ترجمة المؤلف دام مجده

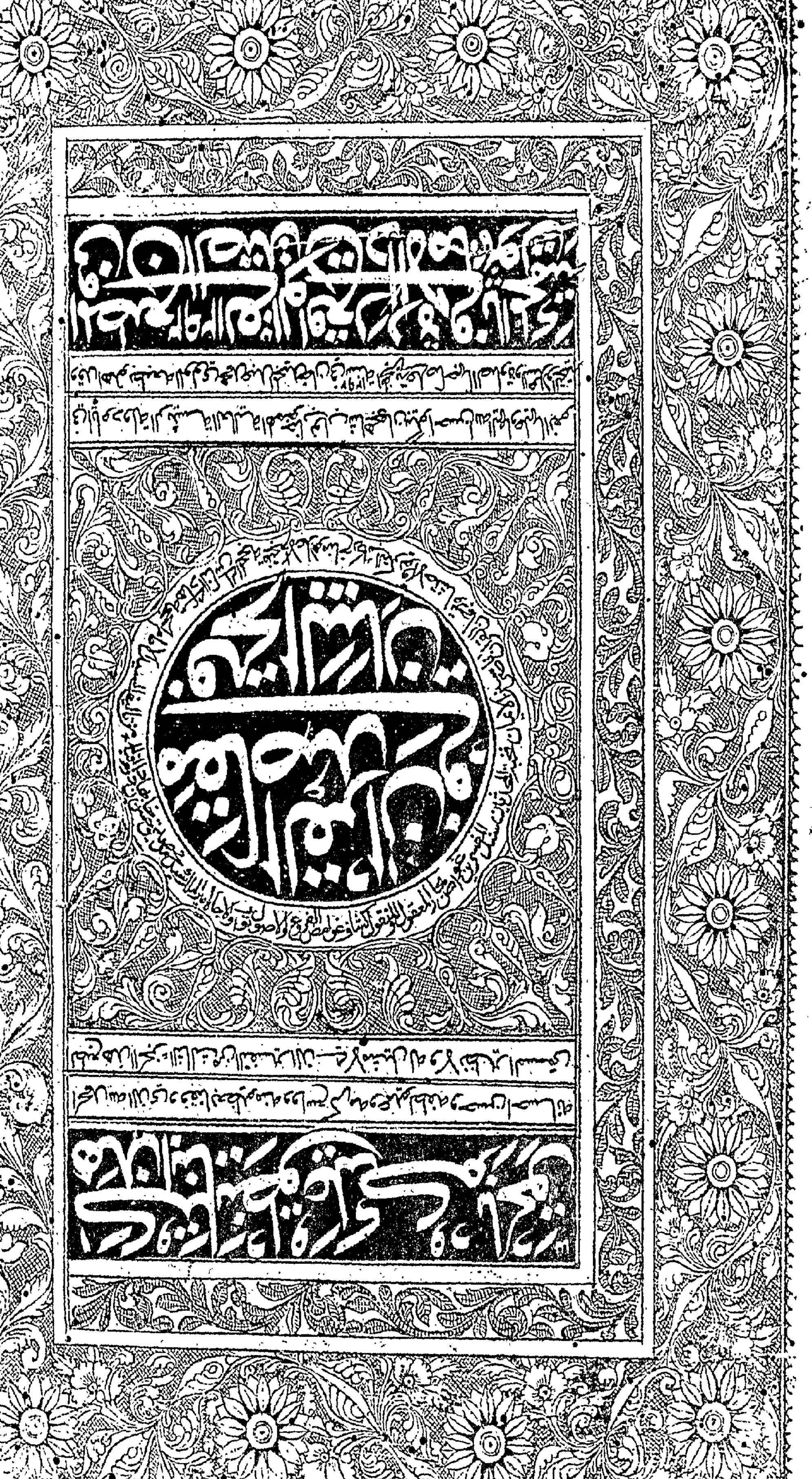
وهو السيد السند الامام العلامة + الاصولي المتكلم المحدث الفهامة - البليغ السني المتبع
فريد العصر نادرة الدهر خاتمة النقاد + حامل لواء الاسناد + بقية اهل الاجتهاد بلا خلاف
وعناد + كشاف اصداف الفرائد + قطاف ازهار الفوائد + فاتح اقفال العلوم + مانح انفال المنطوق
منها والمفهوم + مضحك كمائم النكت من نوادره + مفتح نواظر الظرف في موارده ومصادره +
عز الاسلام والمسلمين محيي المائت من سنن سيد المرسلين + الجوهر الجوهر النضار النضر
الشريف الشريف **ابو الطيب صديق بن حسن بن علي البخاري**
القنوجي الحسيني نسبا على السماك عاليا ومذهبا الى الصواب هاديا اولاه الله تعالى
خلعة العناصر والوجود + واراه بعين عنايته عالم المظاهر في مناظر الشهود + يوم الاحد
وقت الضحى لعله التاسع عشر من جميد الاولى سنة ثمان واربعين ومائتين والف الهجرية
على صاحبها الصلوة والتحية + ببلدة بريلي موطن جده القريب من جهة الام ثم جاءت به
امه الكريمة من بريلي الى قنوج موطن اباءه الرتاة الى سماء العلى والاوج + ولما طعن في السنة
السادسة من عمره انتقل والده الشريف الى جوار رحمة الله وبقي في حجر امه يتيما + وتخلل
الزمان باتيان مثله في السيادة والشرافة كانه صار عقيما + الى ان ترعرع فقرأ من الفارسية
والصرف والنحو بعض رسائلها + واتقن نبذة من مسائلها + ونزل ببلدة كانپور وتعلم
هناك الفوائد الضيائية ومختصر المعاني وغيرها من كتب المعاني والمباني ثم شمر عن ساق
الجد لتحصيل العلوم وشد الرحل الى دهلي واخذ عن الشيخ محمد صدر الدين خان المفتي بها
واتم الدرس واكمل مراتب الفنون ومقاصدها بذهنه الثاقب ونافذ الحدس + وعاد من دهلي
الى قنوج وسافر منها الى بلدة بهوپال والقى بها عصا التسيار طالبا للرزق الحلال وكان زمام
الحكومة اذ ذاك بيد اقتدار المليكة العالية الهمم **نواب سكندر بيگم** غفر الله
لها واجزل لها الاجر الاعظم وصحب بهذه البلدة المحمية الشيخ حسين بن محسن اليمني حماه الله
تعالى واقام سلسلة الاسانيد لكتب الحديث الشريف واستحصل سند القران الكريم عن

الشيخ محمد يعقوب الدهلوي المهاجر المتوفى بمكة المكرمة رحمه الله تعالى في سنة ١٢٨١ واخذ
الاجازة عن الشيخ المعمر عبد الحق الهندي تلميذ الشوكاني رحمهما الله تعالى واستكتب اسناد
الامهات الست والمسانيد والمعاجم وغير ذلك من كتب التفاسير والاصول والفقه
وغير ذلك واجازة كل واحد من هؤلاء الائمة بما هو مذكور في ثبتهم الجامع لجميع اصناف
العلوم وانواع الفنون واشتغل بالدرس والتاليف وصار راسا في المعقول والمنقول واماما
في علمي الفروع والاصول وجد واجتهد في اتقان القرآن والسنة وتدوين علومهما واشاعة
ذلك وبذل المال الكثير في اذاعتها بالطبع والتقسيم وما هنالك وله مصنفات عديدة ومجموعة
مفيدة منها ما كتب في اوان التحصيل ومنها ما الف بعد ذلك وهي كلها نافعة جدا مشتملة
من الحقائق والفوائد على ما لم يشتمل عليه كتاب من كتب علماء هذا العصر من العرب والعجم
ذلك فضل الله يختص به من يشاء من عباده ذوي الهمم والكرم فمن ذلك هذا التفسير المسمى
بفتح البيان في مقاصد القرآن وكتاب الروضة الندية في شرح الدرر البهية
ونيل المرام من تفسير آيات الاحكام وبلوغ السؤل من اقضية الرسول والجنة في الاسوة
الحسنة بالسنة والحطة بذكر الصحاح الستة والبلغة الى اصول اللغة ولقطة العجلان على
بعض ما استعمله العامة من الاغلاط وحصول المامول من علم الاصول الى غير ذلك من الكتب
والرسائل الجمة باللسان العربي ومسك الختام شرح بلوغ المرام وحجج الكرامة في آثار القيامة و
هداية السائل الى ادلة المسائل ومنهج الوصول الى اصطلاح احاديث الرسول وهي باللسان
الفارسي وعنية القاري في شرح ثلاثيات البخاري وتميمة الصبي في ترجمة الاربعين من احاديث
النبي وفتح المغيث بفقه الحديث وغير ذلك وهي باللسان الهنديه وله حماه الله تعالى في كل من
هذه الالسنة يد صالحة وجارحة عاملة وفي الكتابة سرعة عجيبة وفي التاليف ملكة غريبة
يكتب الكراريس العديدة في يوم واحد ويصنف الكتب الضخمة في ايام قليلة ويمر على الدواوين مر
السحاب ويطالع المجاميع في طرفة عين مع امعان النظر في كل باب وله عافاه الله تعالى اولاد صالحة
ذكور واناث ودولة كثيرة وامتعة واثاث لم يلهه عن الدين وعلومه التكاثر بل التنسب
الهند واهلها من جودة انواع التفاخر فهو شمس بازغة والعلماء كالنجوم وهو سماء رفيع والامراء

كالرسوم له نسب عال يتصل الى سيد الانبياء وحسب غال من جهة الاجداد والآباء عالم
بن عالم وفاضل بن فاضل + وباذل للعلم والخير واي باذل كم له من آثار على كف القبول مرفوعة
وثمار لا مقطوعة ولا ممنوعة + يعرفه العجم والعرب + ويخضع له الامم مع الادب + من انكر فضله
فهو عن اللب محروم + ومن جهله فهو في ضلاله يدوم + جعله الله محسودا بين الاقران من الفضلاء
والاعيان + ولم يجعله حاسد الاحد من نوع الانسان + وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويعطي من
يريد ما اراد ومن نعم رحمة الله على عباده ورام البلوغ الى مقاصده فدونه خرط القتاد ومن
حين ارتقى الى هذه المعارج + وبلغ تلك المدارج ظهرت في ايامه السعيدة العادلة محسنات
بديعة طائلة وانشاءات بالمنافع حافلة وتقدم الناس في فنون العرفان + وخلعوا عنهم
رداء التقليد وفازوا بمقاصد الحديث والقرآن ولقد طال ما اعطى فاقنى + وانطى فاغنى
فجميع الناس يقصد مغناه + ويرتوي من جدواه + هو البحر الخضم الطامي والطود الاشم السامي +
الذي لم يخيب قط ذا امل + ولم يله يوما عما زكى من الاعمال وجل + البر شعاره والتقوى دثاره +
وفي طاعة الرحمن افكاره + حاوي محاسن الشيم والشمائل + جامع شتات الفضل والفضائل +
الذي له الايادي المثلى والمآثر الحسنى افتخرت بهوپال بسياسته وكياسته + بل تهلل وجه الاسلام
بميامن سياسته فكم له في غرته يد بيضاء ومآثر غراء قد ابتهج الكون بوجوده + فكل ايامه سعيدة
وسارت في الآفاق مكارمه فكل يحمد وجوده وجوده + ذو طلعة يجلو غياهب الحزن
مرآها + وهمة يعنو لها من عراقيل الامور اقصاها + لا يجيل خاطره المنير في امر الا سدده +
ولا يرى وجها لفعل الخير الا وابتدره ووردّه + فانه مطبوع على الكرم والاحسان + و
مجبول على نفع كل انسان فكانه والمعالي توامان + او صنوان متلازمان + ادام الله فخره
وتجمل هذا التفسير مما يحمد على طول المدى ذكره وكان تاليفه في بلدة بهوپال
المحمية في سنة ١٢٨٩ الهجرية القدسية + في عهد دولة ذات الهمة العلية + صاحبة المكارم
الجلية + عين هذا الزمان الاخرو يمينه + لو حلف الدهر ليأتين بمثلها حنثت يمينه
فهي درة يتيمة كل ما ذكر موجود + وما من فضل الا وهو في ذاتها الكريمة مشهود وموجود
موارد كرمها سائغة + وملابس نعمها سابغة + مع ايادٍ روائح ونعم غوادي + كنسائم الحدائق

غب الامطار الغوادي + فاين للسحائب المركومة فيض بنانها + واين للرياض المطورة بهجة جنانها
اعني بها ولية النعم حضرتنا نواب شاهجهان بيگم الخاطبة من تلقاء الحكام
الانكلسية بريكيس جلاور اعظم طبقة اعلائ هند ادام الله بركات عهدها ومحامد بلادها
على ملازميها ورعيتها + وعمها لجميع المسلمين ونفع بها كافة المؤمنين المتبعين فهي التي
بعثت جناب المؤلف ادام الله بركاته وعم مجده وافاداته على تاليف هذا التفسير للقرآن الكريم وامرت
بادارة مطبع جديد لطبع هذا الرقيم + الذي ينسب الى اسمه الشريف و يقال له المطبع
الصديقي عند الحل والتعريف + واعانت بانواع المكرمات وجادت باصناف الصالحات
الباقيات + احيت ما طمس من السنن الغراء البيضاء + وافنت ما كان شائعا من البدع
المضلة والمحدثات الظلماء + طهرت هذه الارض الحر وستر عن ادناس الاشراك والمعاصي
وزينتها بلباس التقوى حتى اقر بها كل دان وقاصي + فعصرها عروس الدهر لدى ذي
العينين + وعهدها فو اجد الاسلام بلا مين + كم عمرت من مدارس العلم + وكم اجازت
العلماء مع كمال الحزم والحلم + لا يطيق لساني القاصر ابراز مكارمها المشهورة + ولا يهتدي
خاطري الفاتر الى كشف محامدها المأثورة + لله درها فيما علمت وعملت وعلى الله اجرها
حيثما حملت من اعباء البرايا واثقال الرعايا ما حملت + كان الله لها مدى الزمان وكانت له
ما ترنم البلابل على الاغصان + واخر دعوانا ان الحمد لله رب الملوك والاعيان ورازق
الانسان والحيوان + وموفقهم للخير والاحسان في كل زمان ومكان بحسب الاستطاعة والامكان
وصلى الله وسلم على رسوله محمد سيدنا في الوجود والاكوان + وعلى آله وصحبه براك الاسلام وغرة جباه الايمان
تمقه مصحح هذا التفسير في دار الطباعة + الراجي رحمة ربه العالي السيد ذو الفقار احمد
النقوي البوفالي وفقه الله تعالى وتبارك للعمل على كتابه العزيز الكريم ورزقه اتباعه

تاريخ عام الطبع لذي الطبع السليم الحافظ السيد الكريم
محمد التنور همم الوظائف في الرياسة البوفالية صنت عن كل بلية
قد طبع الجزء الثلث





بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم مكية وآياتها ثمان او تسع وتسعون آية

قال ابن عباس انزلت بمكة وعن ابن الزبير وعايشة مثله وفى البيضاوي الا اية السجدة وفى الجلالين الا
سجدتها فمدنية او والا فخلف من بعدهم خلف الآيتان واخرج احمد والبيهقي وابن ابي حاتم عن ام سلمة
ان النجاشي قال لجعفر بن ابي طالب هل معك مما جاء به يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله شيء قال نعم
فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم
حين سمعوا ما تلى عليهم ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكوة واحدة وقد ذكر
ابن اسحاق القصة بطولها وقد تقدم في الجزء الاول من هذا التفسير ان اسماء السور وترتيبها
وترتيب الآيات توقيفي ولم تذكر امرأة باسمها صريحا في القرآن الا مريم فذكرت فيه في ثلاثين موضعا

بسم الله الرحمن الرحيم

... مسعود وناس من
كبر سنها والتي لا تلد ايضا لغير كبر وهي المرادة هنا ويقال للرجل الذي لا يلد عاقر ايضا قال ...
كان اسم امرأته اشاع بنت فاقود بن ميل وهي اخت حنة وهي ام مريم فولدت اشاع يحيى ولحنة ...

أم هانئ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاف هاد عالم صادق وعن علي كان يقول يا كهيعص اغفر لي
وعن السدي قال كان ابن عباس يقول في كهيعص وحم ويس وأشباه هذا هو اسم الله الأعظم وعن ابن عباس
هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم السورة وعن
الكلبي هو ثناء أثنى الله به على نفسه وكما وقع الخلاف في هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين من بعدهم
ولم يصح مرفوعاً في ذلك شيء ومن روي عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روي عن غيره ما يخالفه وقد يروى
عن الصحابي نفسه التفاسير المتخالفة المتناقضة في هذه الفواتح فلا يقوم شيء من ذلك حجة بل الحق الوقف
ورد العلم في مثلها إلى الله سبحانه ولذا قال في الجلالين الله أعلم بمراده بذلك وفي الخطيب إنه من المتشابه الذي
استأثر الله بعلمه وقد قدمنا تحقيق هذا في فاتحة سورة البقرة ذكر أي هذا ذكر والمتلو ذكر وقيل إنه
خبر الحروف المقطعة وهو قول يحيى بن زياد قال أبو البقاء وفيه بعد وقيل هو مبتدأ أي الحروف والخبر أي فيما
يتلى عليك ذكر قال الزجاج المعنى هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك مضاف لفاعله ومفعوله عبده
زكريا يعني إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها كما يقال ذكرني معروف
فلان أي بلغني عن أبي هريرة عن النبي صلعم قال كان زكريا نجاراً أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه وعن ابن
مسعود قال كان آخر أنبياء بني إسرائيل زكريا بن آزر بن مسلم من ذرية يعقوب إذ نادى ربه ظرف لما
للرحمة أي رحمة الله إياه وقت أن ناداه نداء مشتملاً على دعاء خفياً سراً جوف الليل لأنه أسرع إلى الإجابة
واختلف في وجه كون ندائه هذا خفياً فقيل لأنه أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء وقيل أخفاه لئلا
يلام على طلبه للولد في غير وقته ولكونه من أمور الدنيا وقيل أخفاه مخافة من قومه وقيل كان
ذلك منه لكونه قد صار ضعيفاً هرماً لا يقدر على الجهر لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة
وكان النداء في المحراب قال رب إني وهن العظم مني هذه الجملة مفسرة لقوله نادى ربه فالنداء
أوله قوله هذا وآخره قوله الآتي واجعله رب رضياً فجملة النداء ثمان جمل والدعاء منه هو قوله فهب لي
من لدنك ولياً كما سيأتي والوهن الضعف يقال وهن يهن وهناً من باب وعد إذا ضعف فهو واهن
في الأمر والعمل والبدن ووهنته أضعفته يتعدى ولا يتعدى في لغة فهو موهون البدن والعظم والأجود
أنه يتعدى بالهمزة فيقال أوهنته والوهن [illegible]
[illegible] سمية والعجمة وتقول في تثنيته يحييان رفعاً ويحييين نصباً وجراً وفي جمع سلامة يحيون
رفعاً ويحيين نصباً وجراً لم نجعل له من قبل سمياً فعيل بمعنى مفعول أي وسمي يحيى قال أكثر المفسرين

قال رب قل لك

الاضرس وذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقط
قوته ولانه اشد ما في الانسان صلبة فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحد العظم قصد الى الجنس
المفيد لشمول الوهن لكل فرد من افراد العظام واشتعل الراس شيبا الاشتعال في الاصل انتشار شعاع
النار فشبه به انتشار بياض شعر الراس في سواده بجامع البياض والانارة ثم اخرجه مخرج الاستعارة بـ
بان حذف المشبه به واداة التشبيه وهذه الاستعارة من ابدع الاستعارات واحسنها قال الزجاج
يقال للشيب اذا كثر جدا قد اشتعل راس فلان ولم اكن بدعائك اي بدعائي اياك رب شقيا يقال
شقي بكذا اي تعب فيه ولم يحصل المقصود منه فالمعنى لم اكن خائبا في وقت من الاوقات بل كلما
دعوتك استجبت لي وهذا توسل بما سلف له من الاستجابة وتنبيه على ان المطلوب وان لم يكن معتادا فاجابته
لدعائه معتادة قال العلماء يستحب للمرء ان يجمع في دعائه بين الخضوع وذكر نعم الله عليه كما فعل زكريا
ههنا فان في قوله الماضي غاية الخضوع والتذلل واظهار الضعف والقصور عن نيل مطالبه وبلوغ
مآربه وفي هذا ذكر ما عوده الله من الانعام عليه باجابة ادعيته واطمعه ومن حق الكريم ان لا يخيب
من اطمعه والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع
واني خفت بكسر الخاء الموالي من ورائي وقرئ خفت بكسر التاء وفاعله الموالي اي قلوا وعجزوا عن
القيام بامر الدين بعدي او انقطعوا بالموت ماخوذ من خفت القوم اذا ارتحلوا وهذه قراءة شاذة
وبعيدة عن الصواب والموالي هنا هم الاقارب الذين يرثون وسائر العصبات من بني العم ونحوهم
والعرب تسمي هؤلاء الموالي وقيل هم الناصرون له وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة واختلفوا في وجه
المخافة من زكريا لمواليه من بعده فقيل خاف ان يرثوا ماله واراد ان يرثه ولده فطلب من الله سبحانه
ان يرزقه ولدا وقال آخرون انهم كانوا مهملين لامر الدين فخاف ان يضيع الدين بموته فطلب وليا
يقوم به بعد موته وهذا القول ارجح من الاول لان الانبياء لا يورثون وهم اجل من ان يعتنوا بامور
الدنيا فليس المراد هنا وراثة المال بل المراد وراثة العلم والنبوة والقيام بامر الدين وقد ثبت عن نبينا
صلى الله عليه وسلم انه قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وكانت امرأتي عاقرا هي التي لا تلد
لكبر سنها والتي لا تلد ايضا لغير كبر وهي المرادة هنا ويقال للرجل الذي لا يلد عاقر ايضا قال ابن جرير
كان اسم امرأته اشاع بنت فاقود بن ميل وهي اخت حنة وهي ام مريم فولدت لاشاع يحيى ولحنة مريم

وقال القتيبي هي اشاع بنت عمران فعلى القول الاول يكون يحيى بن زكريا ابن خالة ام عيسى وعلى الثاني يكونان
ابني خالة كما ورد في الحديث الصحيح فهب لي من لدنك اي اعطني من فضلك وليا مرضيا لان مثله لا يرجى
الا من فضلك وكمال قدرتك ولم يصرح بطلب الولد لما علم من نفسه بانه قد صار هو وامرأته في حالة
لا يجوز فيها حدوث الولد بينهما وحصوله منهما وقد قيل انه كان ابن بضع وتسعين سنة وقيل بل اراد بالولي
الذي طلبه هو الولد ولا مانع من سوال من كان مثله لما هو خارق للعادة فان الله سبحانه قد يكرم رسله
بما يكون كذلك فيكون من جملة المعجزات الدالة على صدقهم يرثني ويرث من آل يعقوب قرئ بالرفع في
الفعلين جميعا على انهما صفتان للولي وليسا بجواب الدعاء وقرئ بالجزم فيهما على انهما جواب الدعاء ورجح
الاولى ابو عبيد وقال هي اصوب في المعنى لانه طلب وليا هذه صفته فقال هب لي الذي يكون وارثي ورجح
ذلك النحاس والوراثة هنا هي وراثة العلم والنبوة على ما هو الراجح كما سلف وقد ذهب اكثر المفسرين الى ان
يعقوب المذكور هنا هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وزعم بعضهم انه يعقوب بن ماثان اخو عمران
بن ماثان وبه قال الكلبي ومقاتل وآل يعقوب هم خاصته الذين يؤول امرهم اليه للقرابة او الصحبة او
الموافقة في الدين وقد كان فيهم انبياء وملوك وقرئ يرثني وارث آل يعقوب وقرئ وارث آل يعقوب اي انا وقرئ او يرث آل
يعقوب على ان هذا التصغير فاعل يرثني وهذه القراءات في غاية الشذوذ لفظا ومعنى واجعله رب رضيا
اي مرضيا في اخلاقه وافعاله وقيل راضيا بقضائك وقدرك وقيل رجلا صالحا ترضى عنه وقيل نبيا
كما جعلت اباءه انبياء يا زكريا بالهمز وحذفه سبعيتان قال جمهور المفسرين ان هذا النداء من الله سبحانه
وقيل من جهة الملائكة لقوله في آل عمران فنادته الملائكة ويمكن ان يكون وقع له الخطاب مرتين مرة
بواسطة الملائكة واخرى من غير واسطة وفي الكلام حذف اي فاستجاب له دعاءه فقال يا زكريا انا
نبشرك بغلام وبين هذه البشارة ووجود الغلام في الخارج بالفعل ثلث عشرة سنة لان طلب زكريا
للولد والبشارة به كان في صغر مريم وهي في كفالته وان الحمل بيحيى كان مقارنا للحمل بعيسى وكانت مريم اذ
ذاك بنت ثلث عشرة سنة وان اشاع حملت به قبل حمل مريم بعيسى بستة اشهر اسمه يحيى قد تقدم في آل
عمران وجه التسمية بيحيى وزكريا قال الزجاج سمي يحيى لانه حيي بالعلم والحكمة التي اوتيها وهو ممنوع من
الصرف للعلمية والعجمة وتقول في تثنيته يحييان رفعا ويحيين نصبا وجرا وفي جمع سلامة يحيون
رفعا ويحيين نصبا وجرا لم نجعل له من قبل سميا فعيل بمعنى مفعول اي مسمى بيحيى قال اكثر المفسرين

معناه لم نسم احدا قبله يحيى وقال مجاهد وابن عباس وجماعة معناه انه لم يجعل له مثلا ولا نظيرا
فيكون على هذا مأخوذا من المساماة او السمو ورد هذا بانه يقتضي تفضيله على ابراهيم وموسى وقيل
معناه لم تلد عاقر مثله والاول اولى وفي اخباره سبحانه بانه لم يسم بهذا الاسم قبله احد فضيلة له من جهتين
الاولى ان الله سبحانه هو الذي تولى تسميته به ولم يكلها الى الابوين وسماه بمخصوص يحيى لانه به حيي رحم
امه بعد موته بالعقم والجهة الثانية ان تسميته باسم لم يوضع لغيره تفيد تشريفه وتعظيمه قال
رب انى اي كيف ومن اين يكون لي غلام وليس معنى هذا الاستفهام الاستبعاد والانكار بل التعجب و
الاستكشاف من قدرة الله وبديع صنعه حيث يخرج ولدا من امرأة عاقر وشيخ كبير او يحولان شابين
وكانت امرأتي عاقرا اي لا تلد والجملة حال من الياء في لي وقد تقدم الكلام على مثل هذا في آل عمران
وقد بلغت من الكبر عتيا اي يأسا يريد بذلك نحول الجسم والجلد ودقة العظم او يبسا وجساوة
في المفاصل والعظام من اجل الكبر والطعن في السن العالية يقال عتى الشيخ يعتو عتيا اذا انتهى سنه
وكبر وشيخ عات اذا صار الى حال اليبس والجفاف والاصل عتوا لانه من ذوات الواو فابدلوها ياء لكونها
اخف قال السمين فيه اربعة اوجه اظهرها انه مفعول به او مصدر مؤكد لمعنى الفعل او مصدر واقع
موقع الحال اي عاتيا او ذا عتو الرابع انه تمييز وعلى هذه الاوجه من مزيدة ذكره ابو البقاء والاول هو الاوجه
انتهى وقرئ عتيا بكسر العين وبضمها وهما لغتان وكلتا الجملتين لتأكيد الاستبعاد والتعجب المستفاد
من قوله انى يكون لي غلام قال ابن عباس لا ادري كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذا الحرف عتيا
او عسيا وعن عطاء في قوله عتيا قال لبث زمانا في الكبر وقال السدي هرما والمعنى كيف يحصل بيننا ولد
الان وقد كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي وهي الان عجوز وانا شيخ هرم ثم اجاب الله سبحانه عن
هذا السؤال المشعر بالتعجب والاستبعاد بقوله قال اي الملك المبلغ للبشارة وهو كما قال الكواشي جبريل عليه
السلام والاكثر على انه الله تعالى لسلامته عن فك النظم كذلك اي الامر كذلك تصديق له والاشارة الى
ما سبق من قول زكريا ثم ابتدأ بقوله قال ربك او قال قولا مثل ذلك والاشارة الى مبهم يفسره قوله هو
علي هين وعلى الاول هذه الجملة مستأنفة مسوقة لازالة استبعاد زكريا بعد تقريره وانما اعيد قال
ربك اهتماما اي قال هو مع بعده عندك علي هين وهو فعيل من هان الشيء يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع
من المراد قال الفراء اي خلقه علي هين بان ارد عليك قوة الجماع وافتق رحم امرأتك للعلوق وقد



خلقتك من قبل الجملة حال وقرأ سائر الكوفيين وقد خلقناك ولم تك شيئا لان المعدوم ليس
بشيء هذه الجملة مقررة لما قبلها قال الزجاج اي فخلق الولد لك كخلقك من قبل يحيى والمعنى ان الله
سبحانه خلقه ابتداء واوجده من العدم المحض فايجاد الولد له بطريق التوالد المعتاد اهون من ذلك
واسهل منه وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام لانه المخلوق من العدم حقيقة بان يقول وقد
خلقت اباك آدم من قبل ولم يك شيئا للدلالة على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشاء آدم من
العدم قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على وقوع المسئول وتحققه وحصول الحبل والمقصود
من هذا السؤال تعريفه وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه قال ابن الانباري وجه
ذلك ان نفسه تاقت الى سرعة الامر فسأل الله آية يستدل بها على قرب ما من به عليه وقيل طلب آية
تدله على ان البشرى منه سبحانه لا من الشيطان لان ابليس اوهمه بذلك كذا قال الضحاك والسدي وهو
بعيد جدا قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا اي علامتك ان لا تقدر على الكلام والحال انك
سوي الخلق صحيح سليم من غير بأس ليس بك آفة تمنعك منه والمراد ثلاث ليال بايامها كما في آل عمران ثلاثة
ايام وانما عبر هنا بالليالي وهناك بالايام لان هذه السورة مكية والمكي سابق على المدني والليل سابق
على النهار فاعطي السابق للسابق واعطي المؤخر للمؤخر وقيل ثلث ليال متتابعات والاول اولى قال ابن عباس
اعتقل لسانه من غير مرض وفي لفظ من غير خرس وسويا حال من فاعل تكلم اي بلا علة فيك
وفي اعضائك فهذا المنع من الكلام بمحض قدرة الله تعالى لا بسبب قام بك فخرج على قومه من المحراب
اي من مصلاه متغير اللون عاجز الكلام فانكروا ذلك عليه في القاموس المحراب الغرفة وصدر
البيت واكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع يتفرد به الملك فيتباعد عن الناس ومحاريب
بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها وفي الشهاب واما المحراب المعروف الآن وهو طاق في
في حائط المسجد يصلي فيه الامام فهو محدث لا تعرفه العرب فتسميته محرابا اصطلاح للفقهاء انتهى و
هو ممنوع بل هو معنى لغوي اذ هو من افراد المعنى اللغوي الذي ذكره في القاموس بقوله ومقام
الامام بالمسجد واشتقاقه من الحرب كان ملازمه يحارب الشيطان وقيل من الحرب محركا كان ملازمه
يلقى حربا وتعبا ونصبا فاوحى اليهم اي اومى واشار بدليل قوله في آل عمران الا رمزا وقيل كتب
لهم على الارض وبالاول قال الكلبي والقرظي وقتادة وابن منبه وبالثاني قال مجاهد وقد يطلق الوحي

على الكتابة قال ابن عباس كتب لهم كتابا أن سبحوا مصدرية أو مفسرة والمعنى فأوحى إليهم بأن صلوا
أي صلوا بكرة وعشيا أي نزهوا ربكم طرفي النهار فهما ظرفا زمان للتسبيح وانصرفت بكرة لأنه لم يقصد
بها العلمية فلو قصد بها العلمية امتنعت من الصرف قال الفراء العشي يؤنث ويجوز تذكيره إذا أبهم
قال وقد يقال العشي جمع عشية قيل والمراد صلاة الصبح والعصر وقيل المراد بالتسبيح هو قولهم سبحان الله
يا يحيى أي قال الله للمولود يا يحيى أو ولد له مولود فبلغ المبلغ الذي يجوز أن يخاطب فيه فقلنا له يا يحيى
وقال الزجاج المعنى فوهبنا له وقلنا له يا يحيى أي بعد ولادته بثلاث سنين على ما قاله قتادة وقيل
بسنتين يعني على لسان الملك كما قاله أبو حيان خذ الكتاب المراد به التوراة لأنه المعهود حينئذ ويحتمل
أن يكون كتابا مختصا به وإن كنا لا نعرفه الآن والمراد بالأخذ إما الأخذ الحسي أو الأخذ من حيث المعنى
وهو القيام بما فيه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة تقتضي سهولة الإقدام على المأمور به والإحجام عن المنهي
عنه ثم أكده بقوله بقوة أي متلبسا بجد وعزيمة واجتهاد قاله مجاهد وآتيناه الحكم صبيا المراد
بالحكم الحكمة وهي الفهم للكتاب الذي أمر بأخذه وفهم الأحكام الدينية وقيل هي العلم وحفظه والعمل
به وقيل النبوة وقيل العقل قال مجاهد الفهم وقال مالك بن دينار اللب ولا مانع من حمل الحكم على جميع
ما ذكر والجملة مستأنفة قال ابن عباس أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين وعنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغلمان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال يحيى ما للعب خلقنا اذهبوا
نصلي فهو قول الله وآتيناه الحكم صبيا أخرجه الحاكم في تاريخه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبيا أخرجه البيهقي وأخرجه ابن أبي حاتم موقوفا عليه و
حنانا معطوف على الحكم قال جمهور المفسرين الحنان الرحمة والرقة والشفقة والعطف والمحبة وأصله
توقان النفس مأخوذ من حنين الناقة على ولدها قال أبو عبيدة يقول حنانك يا رب وحنانيك يا رب بمعنى
واحد يريد رحمتك قال ابن الأعرابي الحنان مشددا من صفات الله عز وجل والحنان مخففا العطف
والرحمة والحنان الرزق والبركة قال ابن عطية والحنان في كلام العرب أيضا ما عظم من الأمور في ذات
الله ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل والله لئن قتلتم هذا العبد لأتخذن قبره حنانا يعني بلالا لما مر به
وهو يعذب وقيل إن القائل لذلك هو ورقة بن نوفل قال الأزهري معنى ذلك لأترحمن عليه ولا ١٠
تعطفن عليه لأنه من أهل الجنة ومعنى من لدنا من عندنا ومن جنابنا وقيل المعنى أعطيناه رحمة من

من لدنا كائنة في قلبه يتحنن بها على الناس ومنهم ابواه وقرابته حتى يخلصهم من الكفر قال ابن عباس
في حنانا لا ادري ما هو الا اني اظنه يعطف الله على عبده بالرحمة وقد فسرها جماعة من السلف بالرحمة كما مر
ومنه قول الشاعر ٭ وحسبي بلاء حاق به ٭ ويسير حنانك يدفعه ٭ وزكوة معطوف على ما قبله
والزكوة التطهير والبركة والتنمية والبر اي جعلناه مباركا للناس يهديهم الى الخير وقيل زكيناه بحسن
الثناء عليه كتزكية الشهود وقيل صدقة تصدقنا به على ابويه قاله ابن قتيبة وقيل تصدقنا على
الناس اي اعطيناه توفيقا للتصدق عليهم وقيل يعني بالزكوة الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح
فلم يعمل بذنب وكان تقيا قال ابن عباس طهر فلم يعمل بذنب اي مجتنب المعاصي الله سبحانه مطيعا له
وقد روي انه لم يعمل معصية ولم يهم بها قط ومن جملة تقواه انه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء
فكان له مجاري على خده وبرا فعل بمعنى فاعل اي بارا بوالديه والمعنى لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا
عبادة بعد تعظيم الله اعظم من برهما يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا ولم يكن جبارا عصيا اي لم يكن متكبرا يقتل ويضرب على الغضب ولا عاصيا لوالديه او لربه وهذا
وصف له عليه السلام بلين الجانب وخفض الجناح والمراد اصل الفعل فالمنفي اصل الجبر والعصيان لا المبالغة
فيهما وسلام عليه قال ابن جرير وغيره معناه امان عليه من الله قال ابن عطية والاظهر عندي انها
التحية المتعارفة فهي اشرف وانبه من الامان لان الامان متحصل له بنفي العصيان عنه وهو اقل درجاته
وانما الشرف في ان يسلم الله عليه وقال سلام هنا منكرا وفي قصة عيسى عليه السلام معرفا لان الاول من الله
والقليل منه كثير والثاني من عيسى ومعنى يوم ولد انه امن من الشيطان وغيره في ذلك اليوم وسلم من
ان يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم او ان الله حياه في ذلك اليوم ويوم يموت ويوم يبعث حيا
قيل اوحش ما يكون الانسان في ثلاثة مواطن يوم ولد لانه خرج مما كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما لم يكن
قد عرفهم واحكاما ليس له بها عهد ويوم يبعث لانه يرى هول يوم القيامة فخصه الله سبحانه بالكرامة
والسلامة في المواطن الثلاثة واذكر في الكتاب مريم هذا شروع في ابتداء خلق عيسى والمراد بالكتاب هذه
السورة اي اذكر يا محمد للناس في هذه السورة قصة مريم وخبرها ونبأها او المراد به جنس القرآن وهذه السورة
منه اذ انتبذت النبذ الطرح والرمي قال تعالى فنبذوه وراء ظهورهم والمعنى انها تنحت وتباعدت وقال ابن
قتيبة اعتزلت وقيل انفردت من اهلها من قومها والمعاني متقاربة واختلفوا في سبب انتباذها



فقيل لأجل ان تعبد الله سبحانه وقيل للتطهر من حيضها مكانا شرقيا اي من جانب الشرق والنصب
على الظرفية او مفعول به على ان معنى انتبذت اتت مكانا كما في السمين وفي المصباح ما يؤيده والشرق
بسكون الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس وانما خص المكان بالشرق لانهم كانوا يعظمون جهة الشرق
لانها مطلع الانوار حكى معناه ابن جرير قال ابن عباس مكانا اظلتها الشمس ان يراها احد منهم وقال انما
اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم اتخذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاده قبلة وانما سجدت
اليهود على حرف حين نتق فوقهم الجبل فجعلوا ينحرفون وهم ينظرون اليه يتخوفون ان يقع عليهم فسجدوا
سجدة رضيها الله فاتخذوها سنة وقيل كان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقة تفلي رأسها
فاتخذت اي ضربت من دونهم اي من دون اهلها حجابا اي حاجزا وسترا يسترها عنهم لئلا يروها
حال العبادة او حال التطهر من الحيض والحجاب الستر والحاجز فارسلنا اليها روحنا هو جبريل عليه السلام
ليبشرها بالغلام ولينفخ فيها فتحمل به وقد اختلف الناس في نبوة مريم فقيل انها نبية لمجرد هذا الارسال اليها
ومخاطبتها الملك وقيل لم تكن نبية لانه انما كلمها الملك وهو على مثال البشر والمتفق عليه ان المنفي وحي
الرسالة لا مطلق الوحي والوحي هنا انما هو بشارة الولد لا بالرسالة وقد تقدم الكلام على هذا في آل عمران وقيل
هو روح عيسى لان الله سبحانه خلق الارواح قبل الاجساد والاول اولى لقوله فتمثل لها جبريل عليه السلام
لها بعد لبسها الثياب بشرا سويا تاما مستوي الخلق لم يفقد من نعوت بني آدم شيئا قال البيضاوي ولعله
اي التمثل ليهيج شهوتها فتحدر نطفتها الى رحمها انتهى قال في الخفاجي في احوال الانفس نفيس فيه نظر انتهى ولم يبين احد
هذا النظر الصحيح لاهو ولا غيره من المفسرين فيما تصفحت الا ابا السعود حيث قال هو مع مخالفته لمقام بيان
آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر
ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المرتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله
على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية
وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة
مما دهمها انتهى وقد تكلموا في كيفية تمثله فقال امام الحرمين يفني الله الزائد من خلقه او يزيله عنه ثم يعيده
اليه يعني ان له اجزاء اصلية كما في الانسان واجزاء زائدة وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون الفناء وقال
ابن حجر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفيه الله تعالى عن الرائي فقط قاله الكرخي وقيل انما ظهر لها في

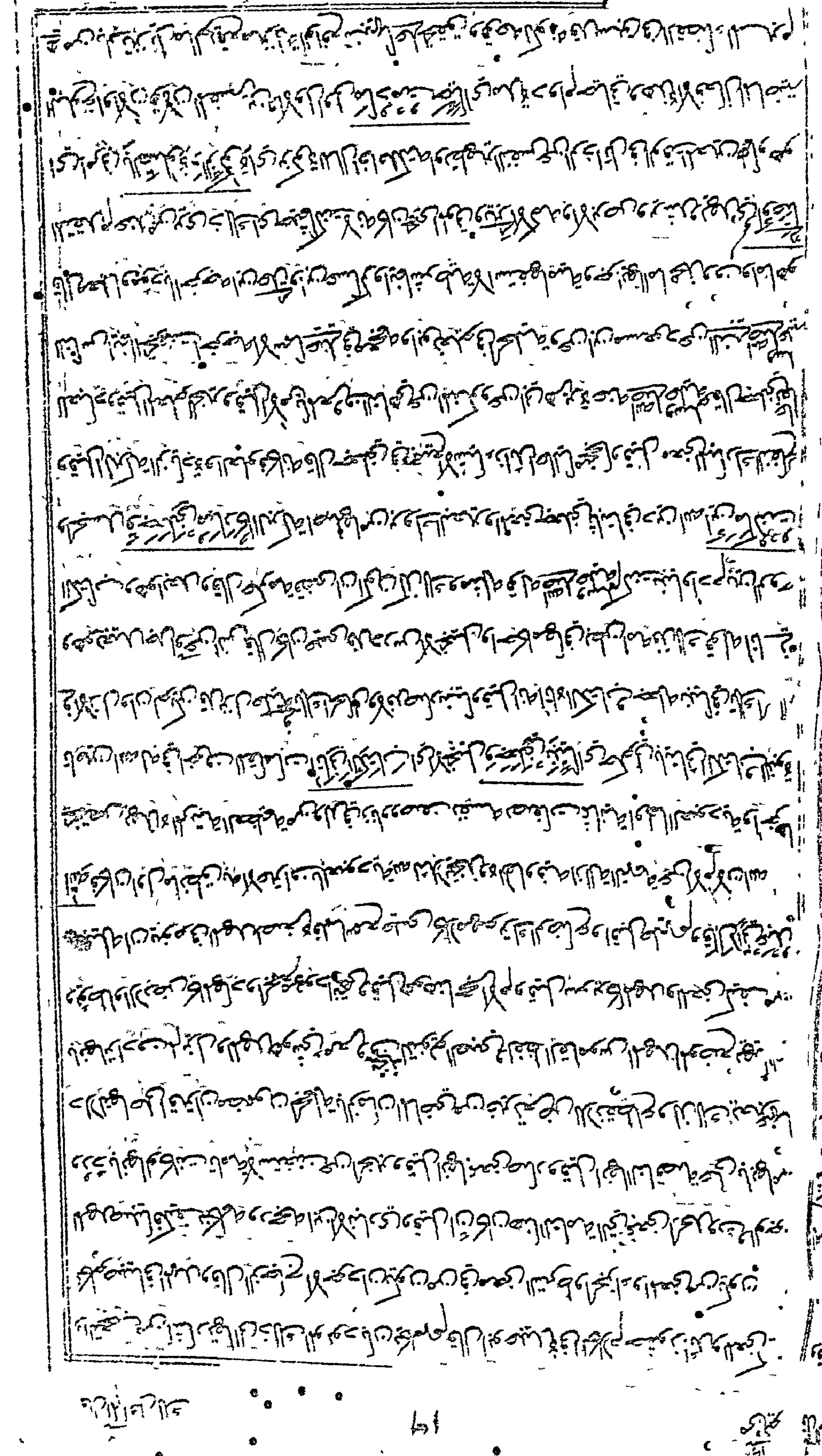
صورة البشر ليستأنس بكلامه ولا تنفر عنه فتفهم كلامه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت ولم
تقدر على استماع كلامه وانها لا تطيق ان تنظر الى الملك وهو على صورته فلما رأته في صورة انسان
حسن كامل الخلق قد خرق عليها الحجاب ظنت انه يريدها بسوء فاستعاذت بالله منه قالت إني أعوذ
بالرحمن منك إن كنت تقيا اي ممن يتقي الله ويخافه ويحافظ على مقتضى التقوى والايمان وخصت الرحمن بالذكر
ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه وقيل ان تقيا اسم رجل صالح فتعوذت منه تعجبا وقيل انه اسم رجل
فاجر معروف في ذلك الوقت والاول اولى وتعوذها من تلك الصورة الحسنة دل على كمال عفتها وغاية
ورعها وجواب الشرط محذوف اي فلا تتعرض لي واتركني وانته عني او فتنتهي عني لتعوذي وهذه الجملة
كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني قال جبريل إنما أنا رسول ربك الذي استعذت به ولست
ممن يتوقع منه ما خطر على بالك من ارادة السوء وانما جئت لأهب لك وجعل الهبة من قبله لكونه سببا
فيها من جهة كون الاعلام بها من جهته او من جهة كون النفخ الذي قام به في الظاهر ويقويه ما في بعض المصاحف
ويفي ان اهلك وقرئ ليهب على معنى ارسلني الله ليهب لك غلاما زكيا هو الطاهر من الذنوب الذي ينمو على النزاهة
والعفة وقيل المراد بالزكي النبي قالت أنى يكون لي غلام والحال اني لم يمسسني اي لم يقربني بشر بزوج
نكاح ولم أك بغيا اي فاجرة فجعلت المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه والزنا ليس كذلك
انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك والبغي هي الزانية التي تبغي الرجال قال المبرد اصله بغوي
على فعول وقال ابن جني انه فعيل قال ابن الانباري ان بغيا غالب في النساء اجراه مجرى حائض وعاقر وقد
تقول العرب رجل بغي وزيادة ذكر ذلك يتناول الحلال والحرام لقصد التاكيد تنزيها لجانبها من الفحشاء
في ان الولد لا يكون الا من نكاح او سفاح ولم يكن هنا واحد منهما قيل وما استبعدت من قدرة الله
شيئا ولكن ارادت كيف يكون هذا الولد هل من قبل زوج تتزوجه في المستقبل ام يخلقه الله سبحانه ابتداء
قال جبريل كذلك اي هكذا من خلق غلام منك من غير اب قال ربك هو اي خلق ولدك بلا اب علي
هين بان ينفخ بامري جبريل فيك فتحملي به ويكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه والجملة مستأنفة والكلام
كالكلام فيما تقدم من قول زكريا ولنخلقه لنجعله آية هذا الغلام او خلقه بلا اب آية للناس
يدلون بها على كمال القدرة على انواع الخلق فانه خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر
بلا انثى وخلق عيسى من انثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وانثى قاله الكرخي ولنجعله رحمة عظيمة

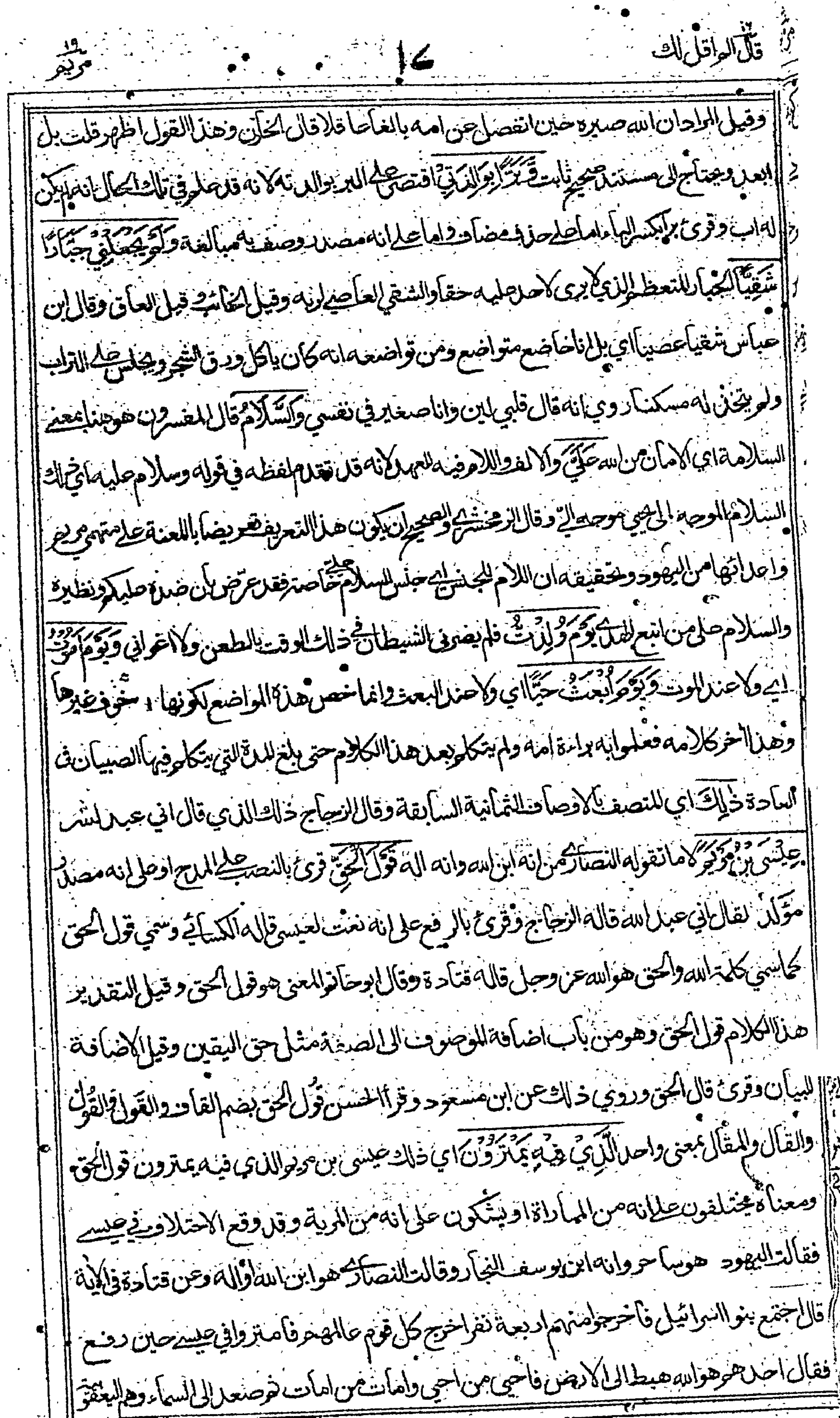
ورحمة منا للناس لمن آمن به لما يأتونه عنه من الهداية والخير الكثير لان كل نبي رحمة لامته وكان
امرا مقضيا به في علمه مقدرا محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل ولا يتغير مسطورا في اللوح
المحفوظ قد قدره الله سبحانه وجف به القلم فحملته اي الموهوب وههنا كلام مطوي والتقدير فاطمأنت
الى قوله فدنى منها فنفخ في جيب درعها وهو بعيد عنها فوصلت النفخة الى بطنها فحملته واحست في بطنها
مصورا وكان سنها ثلاث عشرة سنة او عشرا او عشرين او ست عشرة سنة وقيل كانت النفخة في
ذيلها او كمها وقيل في فمها وليس المراد انه نفخ في فرجها مباشرة عن ابي ابن كعب قال تمثل روح عيسى في
صورة بشر فحملته قال حملت الذي خاطبها دخل في فيها قيل ان وضعها كان متصلا بهذا الحمل من
غير مضي مدة الحمل ويدل على ذلك قوله فانتبذت به مكانا قصيا اي تنحت بالحمل مصاحبة له الى اعتزلت
الى مكان بعيد من اهلها مخافة اللائمة قيل كان هذا المكان وراء الجبل وقيل ابعد مكان في تلك
الدار وقيل اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم وقيل انها حملت به ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر
وذلك اية اخرى لانه لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل تسعة اشهر كحمل النساء
وقيل كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة
حين زالت الشمس من يومها وكانت قد حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى قلت وهذا التفصيل لا دليل
عليه ولا مستند له الا اخبار الاحبار واراء الرجال ولو صح من نص صحيح لوجب المصير اليه وكان اية اخرى
فاجاءها المخاض يقال جاء واجاء لغتان بمعنى واحد اي الجاها واضطرها وجاء بها ـــ وقرأ شبل
فاجاءها من المفاجاة وفي مصحف ابي فلما اجاءها قال في الكشاف ان اجاءها منقول من جاء الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء وفيه بعد والظاهر ان كل واحد من الفعلين موضوع بوضع مستقل
المخاض اي وجع الولادة وهو مصدر مخضت المرأة تمخض مخضا ومخاضا اذا دنى ولادها قرأ الجمهور
بفتح الميم وقرئ بكسرها الى جذع النخلة الجذع ساق النخلة اليابسة التي لا رأس لها كانها طلبت شيئا
تستند اليه وتعتمد عليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق بشيء مما يجده عندها والتعريف
اما للجنس او للعهد والمستفيض المشهور ان ولادة عيسى كانت ببيت لحم وانها لما هربت وخافت عليه
[illegible] البيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهي الان موجودة
تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد ايام توجهت به الى بحر الاردن فغمسته فيه وهو اليوم الذي تتخذه النصارى عيدا

وليسمونه يوم الغطاس وهم يظنون ان المياه في ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون فيها كل ماء ومن زعم
انها ولدت بمصر قال بكورة اهناس ولم يثبت انتهى من البحر لابي حيان واهناس بجانب البهنسي قالت جزعا
مما اصابها يا للتنبيه لان المنادى غير حاضر ليتني مت قبل هذا الوقت او الامر تمنت الموت استحياء من الناس
او خوفا من الفضيحة لانها خافت ان يظن بها السوء في دينها او لئلا يقع قوم بسببها في البهتان وكنت
نسيا منسيا اي شيئا حقيرا متروكا والنسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي من شانه ان ينسى
ولا يذكر ولا يعرف ولا يتالم لفقده كالوتد والحبل وقال الفراء النسي ما تلقيه المراة من خرق اعتلالها فقول
مريم نسيا منسيا اي حيضة ملقاة وقد قرئ بفتح النون وكسرها وهما لغتان مثل الحجر والحجر والوتر والوتر
وقرا القرظي نسئا بالهمز مع كسر النون ونوف البكالي بالهمز مع فتح النون والمنسي المتروك الذي لا يذكر ولا يعرف
ولا يخطر ببال احد من الناس قال ابن عباس نسيا منسيا اي لم اخلق ولم اك شيئا فناداها اي خاطبها
لما سمع قولها من قرئ بكسر الميم وفتحها وهما سبعيتان تحتها الضمير اما لمريم واما للنخلة والاول اولى لتوافق الضمير
وكانت على اكمة وكان جبريل اسفل منها تحت الاكمة قال قتادة الذي ناداه جبريل وبه قال ابن عباس
وزاد ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها وقد اختلفت الروايات عن السلف هل هذا المنادي هو جبريل او
عيسى فمن قرا من بالفتح فهو عيسى ومن قرا بالكسر فهو جبريل ان لا تحزني تفسير للنداء او المعنى بان لا تحزني
على انها مصدرية ولا ناهية او نافية قد جعل ربك تحتك اي قربك سريا قال جمهور المفسرين السري النهر
الصغير لان الماء يسري فيه والسري الجدول والجمع سريان والسري الرئيس والجمع سراة وهو عزيز لا يكاد يوجد
له نظير لانه لا يجمع فعيل على فعلة وجمع السراة سروات فسري مفعول وجعل بمعنى صير او خلق
وقيل السري من سريت الثوب اي نزعته وسروت الجبل عن الفرس والاول اولى والمعنى قد جعل
تحت قدمك نهرا قيل كان هذا قد انقطع عنه الماء فارسل الله فيه الماء لمريم واحيى به ذلك الجذع اليابس
الذي اعتمدت عليه حتى اورق واثمر وقيل معنى تحتك تحت امرك اي ان امرته ان يجري جرى وان امرته
بالامساك امسك والاول اولى وحكي عن جماعة من التابعين ان المراد بالسري هنا عيسى والسري العظيم من الرجال
ومنه قولهم فلان سري اي عظيم ومن قوم سراة اي عظام اخرج الطبراني وابن النجار وابن مردويه
عن ابن عمر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السري الذي في الاية نهر اخرجه الله لها لتشرب
منه وفي سنده ايوب بن نهيك الحلبي قال فيه ابو حاتم الرازي ضعيف وقال ابو زرعة منكر الحديث

وقال ابو الفتح الازدي متروك الحديث وقال الطبراني بعد اخراجه انه غريب جدا وهزي اليك
بجذع النخلة الهز التحريك يقال هزه فاهتز والباء مزيدة للتاكيد وقال الفراء العرب تقول هزه وهز به
والجذع هو اسفل الشجرة قال قطرب كل خشبة في اصل شجرة فهي جذع تساقط عليك اصله
تتساقط وقرئ تسقط ويسقط فمن قرأ بالفوقية جعل الضمير للنخلة ومن قرأ بالتحتية جعله للجذع رطبا
جنيا الجني المأخوذ طريا وقيل هو ما طاب وصلح للجنا وهو فعيل بمعنى مفعول اي رطبا طريا طيبا قاله
ابن عباس اي استحق ان يجنى فكلي من ذلك الرطب واشربي من ذلك الماء او من عصير الرطب وقدم الاكل مع
ان ذكر النهر مقدم على الرطب لان احتياج النفساء الى اكل الرطب اشد من احتياجها الى شرب الماء ثم قال وقري
عينا قرأ الجمهور بفتح القاف وقرئ بكسرها قال ابن جرير هي لغة نجد والمعنى طيبي نفسا وارفضي عنك
الحزن وهو ماخوذ من القر والقرة وهما البرد والمسرور بارد القلب ساكن الجوارح وذلك ان العين اذا
فرح صاحبها كان دمعها قارا اي باردا واذا حزن كان دمعها حارا ولذلك قالوا في الدعاء عليه
اسخن الله عينه وقيل المعنى وقري عينا برؤية الولد الموهوب لك وقال الشيباني معناه نامي قال ابو عمرو
اقر الله عينه اي انام عينه واذهب سهره وقيل ماخوذ من الاستقرار اي اعطاها الله ما يسكن عينها
فلا تطمح الى غيره فاما ترين اصله ترئيين مثل تسمعين من البشر احدا فقولي اي ان طلب منك الكلام
احد من الناس فقولي وبهذا المقدر يتخلص من اشكال وهو ان قولها فلن اكلم اليوم انسيا كلام فيكون
ذلك متناقضا لانها قد كلمت انسيا بهذا الكلام وقيل قوله فقولي اي بالاشارة وليس بشيء بل المعنى
فلن اكلم اليوم انسيا بعد هذا الكلام قاله السمين اني نذرت للرحمن صوما قيل المراد به الصوم الشرعي
وهو الامساك عن المفطرات والاول اولى وفي قراءة ابي صوما صمتا بالجمع بين اللفظين وكذا روي
عن انس وروي عنه الواو بينهما والذي عليه جمهور المفسرين ان الصوم هنا الصمت ويدل عليه فلن اكلم
اليوم انسيا كما سيأتي ومعنى الصوم في اللغة اوسع من المعنيين قال ابو عبيدة كل ممسك من طعام او كلام
او سير فهو صائم وقراءة ابي تدل على ان المراد بالصوم هنا الصمت لانه تفسير للصوم وقراءة انس تدل
على ان الصوم هنا غير الصمت كما يفيده الواو ومعنى فلن اكلم اليوم انسيا انها لا تكلم احدا من الانس بعد
اخبارهم بهذا الخبر بل انما تكلم الملائكة وتناجي ربها وقيل انها لم تخبرهم هنا باللفظ بل بالاشارة المفيدة
للنذر والاول اولى فلما اطمأنت مريم عليها السلام بما رأت من الآيات فأتت به اي بعيسى قومها تحمله

أي أتت مصاحبة له وكان إتيانها إليهم من المكان القصي الذي انتبذت فيه للوضع قيل في يوم
الوضع وقيل بعد أن طهرت قال ابن عباس بعد أربعين يوما بعد ما تعالت من نفاسها فلما رأوا
الولد معها حزنوا وكانوا أهل بيت صالحين قالوا منكرين لذلك يا مريم لقد جئت أي فعلت و
ارتكبت شيئا فريا عجيبا نادرا قاله أبو عبيدة وقال مجاهد الفري العظيم أي من الأمر يقال في الخير
والشر وقال قطرب الفري الجديد من الأسقية أي جئت بأمر بديع جديد لم تسبقي إليه وقال سعيد
بن مسعدة الفري المختلق المفتعل والاسم الفرية ويقال فريت الجلد وأفريت بمعنى واحد قطعته أي
شيئا قاطعا وخارقا للعادة التي هي الولادة بواسطة الأب والواقع من الزنا كالشيء المفترى قال تعالى
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يا أخت هارون هذا من كلامهم أيضا وقد
وقع الخلاف في معنى هذه الأخوة وفي هارون المذكور من هو فقيل هو هارون أخو موسى والمعنى
أن من كانت نظيرة هارون في العبادة كيف تأتي بمثل هذا وقيل كانت مريم من ولد هارون
أخي موسى فقيل لها يا أخت هارون كما يقال لمن كان من العرب يا أخا العرب وقيل كان لها
أخ من أبيها اسمه هارون وقيل هارون هذا رجل صالح في ذلك الوقت شبهت به في عفتها وصلاحها
وقيل بل كان في ذلك الوقت رجل فاسق اسمه هارون فنسبوها إليه على جهة التعيير والتوبيخ
حكاه ابن جرير ولم يسم قائله وهو ضعيف وأخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن حميد
وابن أبي شيبة وغيرهم عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران فقالوا
أرأيت ما تقرؤون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم وهذا التفسير النبوي يغني
عن سائر ما روي عن السلف في ذلك ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي زانية
بغيا هذا فيه تقرير لما تقدم من التعيير والتوبيخ وتنبيه على أن الفاحشة من ذرية الصالحين مما
لا ينبغي أن تكون فأشارت أي مريم إليه أي إلى عيسى أن كلموه وإنما اكتفت بالإشارة ولم تأمره بالنطق لأنها
نذرت للرحمن صوما عن الكلام كما تقدم هذا على تقدير أنها كانت إذ ذاك في أيام نذرها وعلى تقدير
أنها قد خرجت منها فيمكن أن يقال إن اقتصارها على الإشارة للمبالغة في إظهار الآية العظيمة وأن هذا
المولود يفهم الإشارة ويقدر على العبارة قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا هذا الاستفهام للإنكار





وقيل المراد ان الله صيره حين انفصل عن امه بالغا عاقلا قاله الحسن وهذا القول اظهر قلت بل
ابعد ويحتاج الى مستند صحيح ثابت قوله ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ اقتصر على البر بوالدته لانه قد علم في تلك الحال انه لم يكن
له اب وقرئ برا بكسر الباء اما على حذف مضاف واما على انه مصدر وصف به مبالغة ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
شَقِيًّا﴾ الجبار المتعظم الذي لا يرى لاحد عليه حقا والشقي العاصي لربه وقيل الخائب وقيل العاق وقال ابن
عباس شقيا عصيا اي بل انا خاضع متواضع ومن تواضعه انه كان ياكل ورق الشجر ويجلس على التراب
ولم يتخذ له مسكنا روي انه قال قلبي لين وانا صغير في نفسي ﴿وَالسَّلَامُ﴾ قال المفسرون هو هنا بمعنى
السلامة اي الامان من الله ﴿عَلَيَّ﴾ والالف واللام فيه للعهد لانه قد تقدم لفظه في قوله وسلام عليه اي ذلك
السلام الموجه الى يحيى موجه الي وقال الزمخشري والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم
واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس اي جنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره
والسلام على من اتبع الهدى ﴿يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ فلم يضرني الشيطان في ذلك الوقت بالطعن ولا اغواني ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾
اي ولا عند الموت ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ اي ولا عند البعث وانما خص هذه المواضع لكونها اشق من غيرها
وهذا آخر كلامه فعلموا به براءة امه ولم يتكلم بعد هذا الكلام حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان ﴿ذَٰلِكَ﴾
السادة ﴿ذَٰلِكَ﴾ اي المتصف بالاوصاف الثمانية السابقة وقال الزجاج ذلك الذي قال اني عبد الله ﴿ذَٰلِكَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما تقوله النصارى من انه ابن الله وانه اله ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ قرئ بالنصب على المدح او على انه مصدر
مؤكد لقال اني عبد الله قاله الزجاج وقرئ بالرفع على انه نعت لعيسى قاله الكسائي وسمي قول الحق
كما سمي كلمة الله والحق هو الله عز وجل قاله قتادة وقال ابو حاتم المعنى هو قول الحق وقيل التقدير
هذا الكلام قول الحق وهو من باب اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين وقيل الاضافة
للبيان وقرئ قال الحق وروي ذلك عن ابن مسعود وقرا الحسن قُول الحق بضم القاف والقول والقُول
والقال والمقال بمعنى واحد ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ اي ذلك عيسى بن مريم الذي فيه يمترون قول الحق
ومعناه يختلفون على انه من المماراة او يشكون على انه من المرية وقد وقع الاختلاف في عيسى
فقالت اليهود هو ساحر وانه ابن يوسف النجار وقالت النصارى هو ابن الله او اله وعن قتادة في الاية
قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم اربعة نفر اخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع
فقال احدهم هو الله هبط الى الارض فاحيى من احيى وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية

فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه فقال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان
كذبت ثم قال احد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلثة الله اله وعيسى اله وامه اله وهم
الاسرائيلية وهم ملوك النصارى فقال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه من كلمته وهم
المسلمون فكان لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين فذلك قول الله سبحانه
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس قال قتادة وهم الذين قال الله فيهم فاختلف الاحزاب من
بينهم فاختلفوا فيه فصاروا احزابا فاختصم القوم فقال المرء المسلم انشدكم بالله هل تعلمون ان
عيسى كان يطعم الطعام وان الله لا يطعم قالوا اللهم نعم قال فهل تعلمون ان عيسى كان ينام وان
الله لا ينام قالوا اللهم نعم فخصمهم المسلمون فاقتتل القوم فذكر لنا ان اليعقوبية ظهرت يومئذ و
اصيب المسلمون فانزل الله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ما كان لله ان يتخذ من ولد اي
ما صح ولا استقام ذلك قال الزجاج من مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة والمعنى ما كان من صفته
اتخاذ الولد اي ثبوت الولد له محال ثم نزه الله نفسه فقال سبحانه اي تنزه وتقدس عن مقالتهم
هذه ثم صرح سبحانه بما هو شانه تعالى سلطانه فقال اذا قضى امرا من الامور وهذا بمنزلة التعليل
لما قبله فانما يقول له كن فيكون اي فيكون حينئذ بلا تاخير لا يتعذر عليه انجازه على الوجه الذي
اراده وفي ايراده في هذا الموضع تبكيت عظيم والزام بالحجة للنصارى اي من كان هذا شانه كيف يتوهم
ان يكون له ولد وقد سبق الكلام على هذا مستوفى في البقرة وَاَنَّ الله بفتح ان بتقدير اذكر او لان والاية
الزمخشري تابعا للخليل وسيبويه وبكسرها بتقدير قل او على الاستئناف وقيل على الاول انها عطف اي
اوصاني بالصلوة وبان الله واليه ذهب الفراء ولم يذكر مكي غيره وقيل على الثاني عطف على قوله اني عبد الله
وهو من البعد بمكان ربي وربكم فاعبدوه هذا من تمام كلام عيسى بدليل ما قلت لهم الا ما امرتني الاية
صراط مستقيم اي الذي ذكرته لكم من انه ربي وربكم هو الطريق القيم الذي لا اعوجاج فيه ولا يضل
سالكه فاختلف الاحزاب اي اليهود والنصارى من بينهم اي فاختلفت الفرق من اهل الكتاب في امر
عيسى فافرطت النصارى وغلت وفرطت اليهود وقصرت ومن زائدة وقيل للتبعيض اذ بقي منهم فرقة
الفترى مؤمنة يقولون انه عبد الله كما تقدم فويل للذين كفروا وهم المختلفون في امره عبر عنهم
بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم القيامة



وما يجري فيه من الحساب والجزاء والعقاب او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم
عليهم او قيل المعنى فويل لهم من حضورهم المشهد العظيم الذي اجتمعوا فيه للتشاور أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ
قال ابو العباس العرب تقول هذا في موضع التعجب فيقولون اسمع بزيد وابصر به اي ما اسمعه وابصره
فعجب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم منهم وقال السمين هذا لفظ امر ومعناه التعجب وقيل بل هو امر حقيقة
والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اسمع الناس وابصرهم بهم وبحالهم ماذا يصنع بهم من العذاب
وهو منقول عن ابي العالية وقال ابن عباس يقول الكفار يومئذ اسمع شيء وابصره وهم اليوم لا يسمعون
ولا يبصرون يَوْمَ يَأْتُونَنَا للحساب والجزاء لَكِنِ الظَّالِمُونَ الاصل لكنهم وهو من اقامة الظاهر مقام
المضمر للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم الْيَوْمَ اي في الدنيا فِي ضَلَالٍ اي خطأ مُبِينٍ اي واضح
ظاهر ولكنهم اغفلوا التفكر والاعتبار والنظر في الآثار وَأَنْذِرْهُمْ اي خوف يا محمد كفار مكة يَوْمَ الْحَسْرَةِ
اي يوم يتحسرون جميعا فالمسيئ يتحسر على اساءته والمحسن على عدم استكثاره من الخير وعن ابن عباس
قال يوم الحسرة هو من اسماء يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وفي
سنده علي بن ابي طلحة وهو ضعيف والآية التي استدل بها ابن عباس لا تدل على المطلوب لا مطابقة
ولا تضمنا ولا التزاما إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ من الحساب وطويت الصحف وصار اهل الجنة في الجنة واهل النار في
النار وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ اي غافلين عما يعمل بهم وتلك الحال متضمنة للتعليل وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
بالله اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت كانه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة
هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون اليه فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا
اهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون اليه فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيؤمر به فيذبح
ويقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانذرهم يوم الحسرة الآية واشار بيده فقال اهل الدنيا في غفلة واخرج النسائي وابن ابي حاتم
وابن مردويه عن ابي هريرة مرفوعا نحوه إِنَّا نَحْنُ تأكيد للضمير في انا لانه بمعناه نَرِثُ الْأَرْضَ اي نميت
سكانها فلا يبقى بها احد يرث الاموات فكانه سبحانه ورث الارض وَمَنْ عَلَيْهَا حيث اماتهم جميعا
وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ اي يردون الينا يوم القيامة فنجازي كلا بعمله وقد تقدم مثل هذا في سورة الحجر

واذكر لكفار مكة في الكتاب إبراهيم اي خبره المراد بذكر الرسول اياه في الكتاب ان يتلو
ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم فالمراد ما ذكر والا فالذاكر له هو الله في كتابه
وعاش ابراهيم من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة وبين آدم الفا سنة وبينه وبين نوح
الف سنة ذكره السيوطي في التحبير إنه كان صديقا نبيا تعليل لما تقدم من الامر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يذكره وهي معترضة ما بين البدل والمبدل منه والصديق كثير الصدق
بليغه اي اذكر ابراهيم الجامع لهذين الوصفين ولما ثبت ان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا
يجب في كل صديق ان يكون نبيا ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي فلهذا انتقل من
ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا إذ قال لأبيه بدل اشتمال من ابراهيم وتعليق الذكر بالوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث للمبالغة وابو ابراهيم هو آزر على ما تقدم تقريره
يا أبت التاء عوض عن الياء ولهذا لا يجتمعان لم تعبد الاستفهام للانكار والتوبيخ اي لاي شيء ولاي
سبب تعبد ما لا يسمع ما تقوله من الثناء عليه والدعاء له ولا يبصر ما تفعله من عبادته ومن
الافعال التي تفعلها مريدا بها الثواب ويجوز ان يحمل نفي السمع والابصار على ما هو اعم من ذلك اي لا
يسمع شيئا من المسموعات ولا يبصر شيئا من المبصرات ولا يغني عنك شيئا من الاشياء اي
لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررا وهي الاصنام التي كان يعبدها آزر واورد ابراهيم عليه السلام
على ابيه الدلائل والنصائح وصدر كلا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استمالة لقلبه وامتثالا
لامر ربه ووصف الاصنام بثلاثة اشياء كل واحد منها قادح في الالهية وترتيب هذا الكلام على
غاية الحسن ثم كرر دعوته الى الحق فقال يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك اي بعض العلم
وهو علم الوحي او التوحيد او الآخرة اقوال ثلاثة ذكرها ابو حيان فاخبر انه قد وصل اليه من العلم
نصيب لم يصل الى ابيه وانه قد تجدد له حصول ما يتوصل به منه الى الحق ويقتدر به على ارشاد
الضال ولهذا امره باتباعه فقال فاتبعني في الايمان والتوحيد أهدك صراطا سويا مستويا موصلا
الى المطلوب منجيا من المكروه ثم اكد ذلك بنصيحة اخرى زاجرة له عما هو فيه فقال يا أبت لا تعبد
الشيطان اي لا تطعه فان عبادة الاصنام هي من طاعة الشيطان ثم علل ذلك بقوله إن الشيطان
كان للرحمن عصيا حين ترك ما امره به من السجود لآدم ومن اطاع من هو عاص له.

فهو عاص لله والعاصي حقيق بأن تُسلب عنه النعم وتحل به النقم قال الكسائي العصي والعاصي
واحد ثم بين له الباعث على هذه النصائح فقال يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ
إن لم تتب قال الفراء معنى أخاف هنا أعلم وبه فسر الأقلون الآية وإليه أشار في التقرير وقال الأكثرون
إن الخوف هنا محمول على ظاهره لأن إبراهيم غير جازم بموت أبيه على الكفر إذ لو كان جازما بذلك لم
يشتغل بنصحه فوجب إجراؤه على ظاهره ومعنى الخوف على الغير هو أن يظن وصول الضرر إلى ذلك الغير
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا أي أنك إن أطعت الشيطان كنت معه قرينا في النار واللعنة فتكون بهذا السبب
مواليا له أو تكون بسبب موالاته في العذاب معه وليس هناك ولاية حقيقية لقوله سبحانه الأخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو وقيل الولي بمعنى التالي وقيل بمعنى القريب قال الشهاب الولي من الولي وهو
القرب وكل من المتقاربين قريب من صاحبه أي تكون للشيطان قريبا منه في النار تليه ويليك
فلما مرت هذه النصائح النافعة والمواعظ المقبولة بسمع آزر قابلها بالغلظة والفظاظة والقسوة
المفرطة حيث قال أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ناداه باسمه ولم يقل يا بني يا أبت وأخره وقدم
الخبر على المبتدأ وصدره بهمزة الاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب في الإنكار نفس الرغبة كأنها مما لا يرغب عنها
عاقل والمعنى أمعرض أنت عن ذلك ومنصرف إلى غيره ثم توعده وهدده فقال لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ
عن مقالتك فيها أو الرغبة عنها واللام للقسم لَأَرْجُمَنَّكَ بالحجارة حتى تموت وقيل باللسان فيكون
معناه لأشتمنك قاله ابن عباس وقيل معناه لأضربنك وقيل لأبعدنك عني بالقول القبيح وقيل لأظهرن
أمرك فاحذرني وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا أي زمانا طويلا وقال ابن عباس حينا . قال الكسائي يقال هجرته مليا
وملوة وملاوة بمعنى الملاوة من الزمان وهو الطويل وقيل معناه اعتزلني سالم العرض سويا لا تصيبك
مني معرة واختار هذا ابن جرير وعن ابن عباس قال اجتنبني سويا واجتنبني سالما قبل أن تصيبك مني
عقوبة وعن عكرمة مليا دهرا وعن قتادة سالما وعن الحسن مثله فلما رأى إبراهيم إصرار أبيه
على العناد قال سَلَامٌ عَلَيْكَ أي تحية توديع ومتاركة كقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وقيل معناه أمنة مني لك قاله ابن جرير وإنما أمنه مع كفره لأنه لم يؤمر بقتاله والأول
أولى وبه قال الجمهور وقيل معناه الدعاء له بالسلامة استمالة له ورفقا به وهذا في مقابلة قوله
لئن لم تنته وهذا مقابلة للسيئة بالحسنة توعده بأن يطلب له المغفرة من الله سبحانه تألفا له وطمعا في لينه

وذهاب قسوته والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه فقال سأستغفر لك
ربي وكان منه هذا الوعد قبل ان يعلم انه يموت على كفره وتحق عليه الكلمة ولهذا قال الله سبحانه
في موضع اخر فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه بعد قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه وقيل المراد باستغفاره له طلب توفيقه للايمان الموجب للمغفرة اي اسأل لك ربي
توبة تنال بها المغفرة يعني الاسلام والاستغفار للكافر بهذا الوجه جائز كانه يقول اللهم وفقه للاسلام
او تب عليه واهده قاله الكرخي والصحيح هو الاول انه كان بي حفيا تعليل لما قبلها والمعنى سأطلب لك المغفرة
من الله فانه كان بي كثير البر واللطف يقال حفي به وتحفى اذا بره قال الكسائي يقال حفي بي حفاوة وحفوة
اي اعتنى بي وبالغ في اكرامي والطافي وقال الفراء حفيا اي عالما لطيفا يجيبني اذا دعوته به قال ابن عباس و
الحفي ايضا المستقصي في السؤال ومنه كانك حفي عنها ثم صرح الخليل بما تضمنه سلامه من التوديع و
المتاركة فقال واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي اهاجر بديني عنكم وعن معبوداتكم حيث لم تقبلوا نصحي
ولا نجعت فيكم دعوتي وهذا في مقابلة قوله واهجرني مليا وادعو ربي وحده عسى ان لا اكون بدعاء
ربي شقيا اي خائبا كما شقيتم بعبادة الاوثان وقيل عاصيا قيل اراد بهذا الدعاء هو ان يهب الله له ولدا
واهلا يستأنس بهم في اعتزاله ويطمئن اليهم عند وحشته وقيل اراد دعاءه لابيه بالهداية وفي تصدير
الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل منه تعالى غير واجبين وان
ملاك الامر خاتمته وهو غيب قاله البيضاوي والاول اولى لقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
اي بان ذهب مهاجرا من بابل او كوثى الى الارض المقدسة وهبنا له اسحق ويعقوب بدلا جعلنا اهل الموهوب
له اهلا وولدا بدل الاهل الذين فارقهم يأنس بهما وهذا يقتضي انه عاش حتى رأى يعقوب وهو كذلك كما تم
الاشارة اليه في قوله فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وخصهما لانه سيذكر اسماعيل بفضله منفردا
قال ابن عباس وهبنا له اسحاق ابنا ويعقوب ابن ابنه وكلا مفعول لجعلنا قدم عليه للتخصيص
بالنسبة اليهم انفسهم لا بالنسبة الى من عداهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا
لهم من رحمتنا اي للثلاثة بان جعلناهم انبياء وذكره بعد التنصيص بجعلهم انبياء لبيان ان النبوة
هي من باب الرحمة وقيل المراد بالرحمة هنا المال وسعة الرزق وقيل الاولاد وقيل الكتاب والاولى ان
يندرج تحتها جميع هذه الامور ومن للتبعيض وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي الثناء الحسن قاله

ابن عباس عبر عنه باللسان لكونه يوجد به كما عبر باليد عن العطية واضافته الى الصدق وصف
لهم بالدلالة على انهم احقاء بما يقال فيهم من الثناء على السن العباد ففي اللسان مجاز مرسل من اطلاق
اسم الالة وارادة ما ينشأ منها والمعنى وجعلنا لهم ثناء صدقا يذكرهم الامم كلها الى يوم القيامة بما لهم من الخصال
المرضية ويصلون على ابراهيم وعلى آله الى قيام الساعة وهل التوبيخ لكفار مكة اذ كان مقتضى ترضيهم
وثنائهم على المذكورين ان يتبعوهم في الدين مع انهم لم يفعلوا ثم قفى الله سبحانه قصة ابراهيم بقصة
موسى لانه تلوه في الشرف وقدمه على اسماعيل لئلا يفصل بينه وبين ذكر يعقوب فقال واذكر في الكتاب
اي واقرأ عليهم من القرآن قصة موسى انه كان مخلصا بفتح اللام اي جعلناه مختارا واخلصناه وقرئ
بكسرها اي اخلص العبادة والتوحيد لله غير مراء للعباد وكان رسولا نبيا اي ارسله الله الى عباده
فانبأهم عن الله بشرائعه التي شرعها لهم فهذا وجه ذكر النبي بعد الرسول مع استلزام الرسالة للنبوة فكأنه
اراد بالرسول معناه اللغوي لا الشرعي والله اعلم وقال النيسابوري الرسول النبي الذي معه كتاب والنبي الذي
ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الاعم قبل الاخص الا ان رعاية الفواصل اقتضت
عكس ذلك كقوله في طه رب هارون وموسى قال مجاهد النبي هو الذي يكلم وينزل عليه ولا يرسل وفي لفظ
الانبياء الذين ليسوا برسل يوحى الى احدهم ولا يرسل الى احد والرسل الانبياء الذين يوحى اليهم ويرسلون
وناديناه يعني كلمناه كما في سورة القصص في قوله فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة
من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين من جانب الطور الايمن اي من ناحيته اليمنى وهو جبل بين مصر
ومدين اسمه زبير ومعنى الايمن انه كان ذلك الجانب عن يمين موسى حين اقبل من مدين متوجها
الى مصر فان الشجرة كانت في ذلك الجانب والنداء وقع منها وليس المراد يمين الجبل نفسه فان الجبال لا
يمين لها ولا شمال وقيل معنى الايمن الميمون ومعنى النداء انه تمثل له الكلام من ذلك الجانب قال قتادة
انه الجبل الايمن وهذا صريح في ان المراد بالطور هو الذي عند بيت المقدس لا الطور الذي عند
السويس لانه يكون على يسار المتوجه من مدين الى مصر كما هو محسوس وقربناه نجيا اي ادنيناه بتقريب
المنزلة حتى كلمناه والنجي بمعنى المناجي كالجليس والنديم فالتقريب هنا هو تقريب التشريف والاكرام مثلت
حاله بحال من قربه الملك لمناجاته قال الزجاج قربه منه في المنزلة حتى سمع مناجاته وقيل ان الله
سبحانه رفعه حتى سمع صريف القلم روي هذا عن بعض السلف وبه قال ابو العالية وروى نحوه

عن جماعة من التابعين قال ابن عباس حتى سمع صريف القلم يكتب في اللوح المحفوظ واخرجه
عنه مرفوعا قال قتادة في نجيا نجى بصدقه ووهبنا له من رحمتنا اي من نعمتنا وفي من هذه وجهان
احدهما انها تعليلية اي من اجل رحمتنا والثاني انها تبعيضية اي بعض رحمتنا اخاه هارون
نبيا وذلك حين سأل ربه وقال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي قال ابن عباس كان هارون
اكبر من موسى اي باربع سنين ولكن انما وهب له نبوته واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق
الوعد وصف الله سبحانه اسمعيل بصدق الوعد مع كون جميع الانبياء كذلك لانه كان مشهورا به
مبالغا فيه وناهيك انه وعد الصبر من نفسه على الذبح فوفى بذلك وكان ينتظر لمن وعده وعدا
الايام والليالي حتى قيل انه انتظر لبعض من وعده حولا والمراد باسمعيل هنا هو اسمعيل بن ابراهيم ولم
في ذلك الا من لا يعتد به فقال هو اسمعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة راسه فخيره
شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وكان رسولا نبيا قد استدل بهذا على ان الرسول لا
يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته وقيل انه وصفه بالرسالة لكون
ارسله الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسمعيل بوادي مكة وكان يأمر
المراد به هنا امته وقيل جرهم وقيل عشيرته كما في قوله وانذر عشيرتك الاقربين والمراد بالصلاة
والزكوة هنا هما العبادتان الشرعيتان ويجوز ان يراد معناهما اللغوي وكان عند ربه مرضيا
زكيا صالحا والمخبر قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان الله
هو الفائز في كل طاعة باعلى الدرجات قال الفراء والكسائي من قال مرضي بناه على رضيت قالا واهل
يقولون مرضو واذكر في الكتاب ادريس هو ابن شيث بن ادم لصلبه افاده السيوطي في
اسمه اخنوخ قيل هو جد نوح فان نوحا هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وعلى هذا فيكون
ابي نوح ذكره الثعلبي وغيره وقد قيل ان هذا خطأ وامتناع ادريس للعجمة والعلمية وقيل سمي
لكثرة دراسته الكتب ولا يصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان
منصرفا وهو اول مرسل بعد ادم عليه السلام واول من اعطي النبوة من بني ادم واول من خط
ونظر في النجوم والحساب واول من خاط الثياب واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار انه كان
نبيا وذلك ان الله شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة وقد اختلف في معنى قوله ورفعناه مكانا

فقيل ان الله رفعه الى السماء الرابعة وقيل الى السادسة وقيل الى الثانية وقد روى البخاري في صحيحه من حديث
الاسراء وفيه ومنهم ادريس في الثانية وهو غلط من رواية شريك بن عبد الله بن ابي نمر والصحيح انه في السماء
الرابعة كما رواه مسلم في صحيحه من حديث انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان المراد برفعه ما اعطيه
من شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل انه رفع الى الجنة وقيل هو الرفعة بعلو المرتبة في الدنيا والاول
اصح عن ابن عباس قال كان ادريس خياطا وكان لا يغرز غرزة الا قال سبحان الله وكان يمسي حين يمسي
وليس على الارض افضل عملا منه فاستأذن ملك من الملائكة ربه فقال يا رب ائذن لي فاهبط الى ادريس
فاذن له فاتى ادريس فقال اني جئتك لاخدمك قال كيف تخدمني وانت ملك وانا انسان ثم
قال ادريس هل بينك وبين ملك الموت شيء قال الملك ذاك اخي من الملائكة قال هل تستطيع ان
تنفعني قال اما ان يؤخر شيئا او يقدمه فلا ولكن سأكلمه لك فيرفق بك عند الموت فقال اركب بين جناحي
فركب ادريس فصعد الى السماء العليا فلقي ملك الموت وادريس بين جناحيه فقال له الملك ان لي اليك
حاجة قال علمت حاجتك تكلمني في ادريس وقد محي اسمه من الصحيفة فلم يبق من اجله الا نصف طرفة
عين فمات ادريس بين جناحي ملك اخرجه ابن ابي حاتم وعنه سألت كعبا فذكر نحوه فهذا هو من
الاسرائيليات التي يرويها كعب وعنه قال رفع ادريس الى السماء السادسة واخرج الترمذي وصححه وابن المنذر
وابن مردويه قال حدثنا انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي رأيت ادريس في السماء الرابعة واخرج
ابن مردويه عن ابي سعيد الخدري مرفوعا نحوه وعن مجاهد قال رفع ادريس كما رفع عيسى ولم يمت وعن
ابن مسعود قال ادريس هو الياس وحسنه السيوطي أولئك خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والاشارة الى الانبياء
المذكورين من اول السورة الى هنا وهو عشرة اولهم في الذكر زكريا وآخرهم فيه ادريس فهو مبتدأ وقوله
الذين انعم الله عليهم صفته ومن النبيين بيان للموصول من بيان العام بالخاص ومن ذرية آدم
بدل منه باعادة الخافض قيل من فيه للتبعيض يعني ادريس ونوحا وممن حملنا مع نوح اي من
ذرية من حملنا معه في السفينة وهم من عدا ادريس فان ادريس من ذرية آدم لقربه منه وابراهيم
من ذرية من حمل مع نوح لانه من ذرية سام بن نوح فان ابراهيم بن آزر وبينه وبين نوح عشرة
قرون كما في التحبير ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وكان منهم موسى
وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وقيل انه اراد بقوله من ذرية آدم

ادريس وحده وبقوله وممن حملنا مع نوح ابراهيم وحده وبقوله ومن ذرية ابراهيم اسمعيل
واسحاق ويعقوب وبقوله اسرائيل موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى قال السدي هذه تسمية الانبياء
الذين ذكرهم اما من ذرية ادم فادريس ونوح واما من حمل مع نوح فابراهيم واما ذرية ابراهيم
فاسمعيل واسحق ويعقوب واما ذرية اسرائيل فموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى لان مريم من ذريته
وممن هدينا اي من جملة من هدينا الى الاسلام واجتبينا بالايمان وقيل على الانام وهذا الخبر
الصفات والتقدير والكائنين ممن هدينا الخ واعلم انه تعالى اثنى على كل واحد ممن تقدم ذكره من الانبياء
بما يخصه من الثناء ثم جمعهم اخرا فقال اولئك الخ فرتب تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا
الترتيب منبها بذلك على انهم كما فضلوا باعمالهم فلهم منزلة في الفضل بولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم بين
انهم ممن هدينا واجتبينا منبها بذلك على انهم خصوا بهذه المنازل لهداية الله لهم ولانه اختارهم للرسالة
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وهذا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الذين
انعم الله عليهم وهذا استئناف لبيان خشوعهم لله وخشيتهم منه والسجد والبكي جمع ساجد قياسا
وباك على غير قياس وقياسه بكاة كقاض وقضاة وقد تقدم في سبحان بيان معنى خروا سجدا يقال
بكى يبكي بكاء وبكيا قال الخليل اذا قصرت البكا فهو مثل الحزن اي ليس معه صوت ومنه قول الشاعر
بكت عيني وحق لها بكاها ✦ وما يغني البكاء ولا العويل ✦ قال الزجاج قد بين الله ان الانبياء
كانوا اذا سمعوا ايات الله بكوا وسجدوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الايات ما خصهم
من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد بها ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد وفيه استحباب البكاء
وخشوع القلب عند سماع القران قال صالح المري قرأت القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال
لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وفي الحديث اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن ابن عباس
اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وقد
استدل بهذه على مشروعية سجود التلاوة وهذه السجدة من عزائم سجود القران فيسن للقارئ والمستمع
ان يسجد عند تلاوة هذه الاية وقال بعضهم انه الصلوة وقال الرازي يحتمل انهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا
بالسجود فيفعلوا ذلك لاجل ذكر السجود في الاية ولما مدح الله سبحانه هؤلاء الانبياء بهذه الصفات ترغيبا
لغيرهم في الاقتداء بهم وسلوك طريقتهم ذكر اضدادهم تنفيرا للناس عن طريقتهم فقال فخلف



اي وجد وحدث من بعدهم اي من بعد النبيين المذكورين خلف اي عقب سوء وجماعة قال
اهل اللغة يقال لعقب الخير والصدق خلف بفتح اللام ولعقب الشر والسوء خلف بسكون اللام وقد قدمنا
الكلام على هذا في اخر الاعراف اضاعوا الصلوة اي اخروها عن وقتها قاله الاكثر وهو ان لا يصلي الظهر
حتى ياتي العصر ولا العصر حتى ياتي المغرب وقيل اضاعوا الوقت وقيل كفروا بها وجحدوا وجوبها وقيل لم يقيموها
على الوجه المشروع وقيل تركوها كاليهود والنصارى والظاهر ان من اخر الصلوة عن وقتها او ترك
فرضا من فروضها او شرطا من شروطها او ركنا من اركانها فقد اضاعها ويدخل تحت الاضاعة من تركها
بالمرة او جحدها دخولا اوليا واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل في اليهود وقيل في النصارى وقيل في
قوم من امة محمد صلى الله عليه وسلم ياتون في اخر الزمان وقال بالاولين السدي وقال بالثالث مجاهد ولفظه هم من
هذه الامة يتراكبون في الطرق كما تراكب الانعام لا يستحيون من الناس ولا يخافون من الله في السماء وعن ابن
مسعود قال ليس اضاعتها تركها قد يضيع الانسان الشيء ولا يتركه ولكن اضاعتها اذا لم يصلها لوقتها
واتبعوا الشهوات اي فعلوا ما تشتهيه انفسهم وترغب اليه من المحرمات كشرب الخمر والزنا فسوف يلقون
غيا هو الشر عند اهل اللغة كما ان الخير هو الرشاد والمعنى انهم سيلقون شرا لا خيرا وقيل الغي الضلال
وقيل الخيبة وقيل الخسران وقيل الهلاك وقيل العذاب وقيل هو اسم واد في جهنم تستعيذ من
حره اوديتها اعد للزناة وشربة الخمر وشهاد الزور واكلة الربا والعاقين لوالديهم وقيل في الكلام
حذف والتقدير سيلقون جزاء الغي قاله الزجاج ومثله قوله سبحانه يلق اثاما اي جزاء اثام اخرج
احمد وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتلا هذه الاية قال يكون خلف من بعد ستين سنة اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف
يلقون غيا ثم يكون خلف يقرؤن القران لا يعدو تراقيهم ويقرؤ القران ثلثة مؤمن ومنافق وفاجر
واخرج احمد والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيهلك من امتي
اهل الكتاب واهل اللبن قلت يا رسول الله ما اهل الكتاب قال قوم يتعلمون الكتاب يجادلون به الذين
امنوا قلت ما اهل اللبن قال قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات وعن عائشة انها كانت
ترسل بالصدقة لاهل الصدقة وتقول لا تعطوا منها بربريا ولا بربرية فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول هم الخلف الذين قال الله فخلف من بعدهم خلف اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه والحاكم

وحيه . وعن ابن مسعود قال الغي نهر او واد في جهنم من قيح بعيد القعر خبيث الطعم يقذف فيه
الذين يتبعون الشهوات وقيل قال واد في جهنم البراء بن عازب واخرج ابن جرير والطبراني وابن
مردويه والبيهقي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان صخرة زنة عشر عشراوات قذف
بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفا ثم تنتهي الى غي واثام قلت وما غي واثام قال نهران في اسفل جهنم
يسيل فيهما صديد اهل النار وهما اللذان ذكر الله في كتابه فسوف يلقون غيا ومن يفعل ذلك يلق اثاما واخرج
ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغي واد في جهنم الا من تاب مما فرط منه من تضييع الصلوة
واتباع الشهوات فرجع الى طاعة الله وآمن به وعمل عملا صالحا الاستثناء منقطع قاله الزجاج وجوز
ابو حيان وغيره على انه متصل وهو ظاهر الآية لما روي عن قتادة انها في حق هذه الامة ويجوز ان يحمل على
التغليظ كما قال تعالى من استطاع اليه سبيلا وبهذا التاويل يحسن قول قتادة ان هذا الكلام نازل
في شأن امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في هذا الاستثناء دليل على ان الآية في الكفرة لا في المسلمين فاولئك
يدخلون الجنة بفتح الياء وضم الخاء وقرئ بضم الياء وفتح الخاء ولا يظلمون شيئا اي لا ينقص من
اجورهم شيء وان كان قليلا فان الله سبحانه يوفي اجورهم اليهم جنات عدن قرئ بالرفع على الابتداء
وقرئ بالنصب على البدل من الجنة بدل البعض لكون جنات عدن بعضا من الجنة وعلى المدح ايضا
قال ابو حاتم ولولا الخط لكان جنة عدن يعني بالافراد مكان الجمع وليس هذا بشيء فان الجنة اسم لمجموع
الجنات التي هي بمنزلة الانواع للجنس وقرئ بنصب عدن ومنعها عن الصرف على انها علم بمعنى العدن وهو
الاقامة اي بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم او علم لارض الجنة لكونها
مقام اقامة التي وعد الرحمن عباده متلبسة او متلبسين بالغيب والمعنى انهم لا يرونها فهي غائبة
عنهم او هم غائبون عنها انه اي الرحمن وقيل انه ضمير الشان والامر لانه مقام تعظيم وتفخيم كان وعده
اي موعوده على العموم فيدخل فيه الجنات دخولا اوليا وقيل الوعد مصدر على بابه مأتيا اي هم
يأتونها قال الفراء لم يقل آتيا لان كل ما اتاك فقد اتيته وكذا قال الزجاج وقال الزمخشري كان وعده
مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا هو الهذر والفضول من الكلام الذي يلغى ولا طائل تحته وهو كناية
عن عدم صدور اللغو منهم وقيل اللغو كل ما لم يكن فيه ذكر الله الا سلاما هو استثناء منقطع اي سلام
بعضهم على بعض او سلام الله او سلام الملائكة عليهم قال الزجاج السلام اسم جامع للخير لانه يتضمن السلامة

والمعنى ان اهل الجنة لا يسمعون ما يؤلمهم وانما يسمعون ما يسلمهم وابدى الزمخشري فيه ثلاثة اوجه ذكرها سليمان
الجمل ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ قال المفسرون ليس في الجنة بكرة ولا عشية ولا نهار ولا ليل بل ضوء
ونور ابدا ولكنهم يؤتون رزقهم على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشاء في الدنيا وبه قال ابن عباس
وانما يعرفون الليل بارخاء الحجب وغلق الابواب والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روي والرزق في البكرة والعشي
افضل العيش عند العرب وقيل اراد دوام الرزق اخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن الحسن
وابي قلابة قالا قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل قال وما هيجك على هذا قال سمعت الله ذكر
في الكتاب ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فقلت الليل من البكرة والعشي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس هناك ليل وانما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو وتأتيهم طرف الهدايا من الله
بمواقيت الصلوة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا
من كان تقيا﴾ اي هذه الجنة التي وصفنا احوالها نورثها ونعطيها وننزل بها من كان من اهل التقوى
كما يبقى على الوارث مال مورثه ولا يرد كالميراث الذي يأخذه الوارث فلا يرجع فيه الموت اي نبقيها
عليهم من ثمرة تقواهم قرئ نورث بفتح الواو وتشديد الراء من ورث مضعفا وبالتخفيف في قراءة الاعمش
نورثها بابراز عائد الموصول وقيل في الكلام تقديم وتأخير اي نورث من كان تقيا من عبادنا
والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل
برد ولا اسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم
والآية تدل على ان المتقي يدخلها وليس فيها دلالة على ان غير المتقي لا يدخلها وايضا صاحب الكبيرة متق
عن الكفر ﴿وما نتنزل الا بامر ربك﴾ اي قال الله سبحانه قل يا جبريل وما نتنزل وقتا غب وقت الا بامر الله
على ما تقتضيه حكمته وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ نزول جبريل عليه حين سألوه
في امر الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فامر جبريل ان يخبره بان الملائكة ما تتنزل الا بامر الله قيل
احتبس جبريل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين يوما وقيل خمسة عشر وقيل اثني عشر وقيل ثلثة ايام
وقيل ان هذا حكاية عن اهل الجنة وانهم يقولون عند دخولها وما نتنزل هذه الجنان الا بامر
ربك والاول اولى بدلالة ما قبله ومعناه يحتمل وجهين الاول وما نتنزل عليك الا بامر ربك لنا
بالتنزل والثاني وما نتنزل عليك الا بامر ربك الذي يأمرك به مما شرعه لك ولامتك والتنزل النزول



على مهل فإنه مطاوع نزّل بالتشديد وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق نزّل المشدد بمعنى أنزل
وقد أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما يمنعك أن تزورنا
أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية إلى آخرها وكان ذلك الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وفي الباب روايات تدل
على أنه السبب في النزول ثم أكد جبريل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما بين أيدينا وما خلفنا
وما بين ذلك أي من الجهات والأماكن أو من الأزمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من الزمان
أو المكان الذي نحن فيه فلا نقدر أن ننتقل من جهة إلى جهة ومن مكان إلى مكان أو من زمان
إلى زمان إلا بأمر ربك ومشيئته وقيل المعنى له ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة قاله
سعيد بن جبير وقيل ما أمامنا من أمور الآخرة وما خلفنا من أمور الدنيا وما بين ذلك أي ما يكون
من هذا الوقت إلى قيام الساعة وقيل هو ما بين النفختين قاله قتادة وقيل الأرض التي بين أيدينا
إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحالة
التي نحن فيها وعلى هذه الأقوال كلها يكون المعنى أن الله سبحانه هو المحيط بكل شيء لا يخفى عليه خافية
ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فلا نقدم على أمر إلا بإذنه وقال ما بين ذلك ولم يقل ما بين ذينك لأن
المراد ما بين ما ذكرنا كما في قوله سبحانه عوان بين ذلك وما كان ربك نسيا أي لم ينسك
ولم يتركك وإن تأخر عنك الوحي وقيل المعنى أنه عالم بجميع الأشياء لا ينسى منها شيئا وقيل المعنى وما كان
ربك ينسى الإرسال إليك عند الوقت الذي يرسل فيه رسله أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم
وابن مردويه والطبراني والبيهقي والحاكم وصححه عن أبي الدرداء رفع الحديث قال ما أحل الله في كتابه فهو حلال
وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا وما كان
ربك نسيا وفي حديث جابر عند ابن مردويه مثله رب السموات والأرض أي خالقهما وخالق ما بينهما
ومالكهما ومالك ما بينهما ومن كان هكذا فالنسيان محال عليه وكيف يتصور أن يحوم حول ساحته
الغفلة وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لأنه حاصل بين السموات والأرض ثم أمر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم بعبادته والصبر عليها فقال فاعبده واصطبر لعبادته الفاء للسببية لأن كونه لا ينساك
وكونه رب العالمين سبب موجب لأن يعبد وعدى فعل الصبر باللام دون على التي يتعدى بها لتضمنه معنى الثبات
هل تعلم له سميا الاستفهام للإنكار والمعنى أنه ليس له مثل ولا نظير حتى يشاركه في العبادة فيلزم

من ذلك ان تكون غير خالصة له سبحانه فلما انتفى المشارك استحق الله سبحانه ان يفرد بالعبادة
وتخلص له هذا مبني على ان المراد بالسمي هو الشريك في المسمى وقيل المراد به الشريك في الاسم كما هو الظاهر
من لغة العرب فقيل المعنى انه لم يسم شيء من الاصنام ولا غيرها بالله قط يعني بعد دخول الالف واللام التي
عوضت عن الهمزة ولزمت او برب السموات والارض واليه نحا ابو السعود والجملة تاكيد لما افادته الفاء من
علية ربوبيته العامة قال الزجاج تاويله والله اعلم هل تعلم له سميا يستحق ان يقال له خالق وقادر وعالم
بما كان وبما يكون وعلى هذا لا سمي له في جميع اسمائه لان غيره وان سمي بشيء من اسمائه فلله سبحانه حقيقة
ذلك الوصف والمراد بنفي العلم المستفاد من الانكار هنا نفي المعلوم على ابلغ وجه واكمله وقال ابن
عباس هل تعلم اي تعرف للرب شبها او مثلا ليس احد يسمى الرحمن غيره وعنه قال يا محمد هل تعلم لالهك من
ولد ويقول الانسان المراد به ههنا الكافر لان الاستفهام هنا للانكار والاستهزاء والتكذيب بالبعث
قال ابن جريج الانسان هو العاص بن وائل وقيل ابي بن خلف والوليد بن المغيرة النازل فيهم الاية وهذا
من قبيل العام الذي اريد به الخاص وقيل اللام في الانسان للجنس باسره وان لم يقل هذه المقالة الا
بعضهم وهم الكفرة فقد يسند الى الجماعة ما قام بواحد منهم وعلى كل فلفظ الانسان لا يشمل المؤمنين
ائذا ما مت قرئ على الاستفهام وعلى الخبر لسوف اخرج حيا من القبر كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم والاستفهام بمعنى
النفي اي لا احيى بعد الموت وحيا حال مؤكدة لان من لازم خروجه من القبر ان يكون حيا وهو كقوله ويوم
ابعث حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه الهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة على اخرى مقدرة اي
ايقول ذلك ولا يذكر وقرئ يذكر بالتخفيف وبالتشديد واصله يتذكر وفي قراءة ابي اولا يتذكر والمراد بالذكر
هنا اعمال الفكر اي لا يتفكر هذا الجاحد في اول خلقه فيستدل بالابتداء على الاعادة والابتداء اعجب
واغرب من الاعادة لان النشأة الاولى هي اخراج هذه المخلوقات من العدم الى الوجود ابتداعا واختراعا
لم يتقدم عليها ما يكون كالمثال له واما النشأة الاخرة فقد تقدم عليها النشأة الاولى فكانت كالمثال لها
ومعنى من قبل من قبل بعثه وقدره الزمخشري من قبل الحالة التي هو عليها الان وهي حالة بقائه ولم يك
شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا من الاشياء اصلا فالاعادة بعد ان كان شيئا موجودا اسهل
وايسر واهون ثم لما جاء سبحانه وتعالى بهذه الحجة التي اجمع العقلاء على انه لم تكن في حجر البعث حجة اقوى منها
اكدها بالقسم باسمه سبحانه مضافا الى رسوله تشريفا له وتعظيما ولان العادة جارية بتاكيد الخبر باليمين فقال

فوربك لنحشرنهم اي المنكرين للبعث بعد اخراجهم من قبورهم احياء كما كانوا والشياطين الواو للعطف او بمعنى مع والمعنى ان هؤلاء الجاحدين للبعث يحشرهم الله مع شياطينهم الذين اغووهم واضلوهم في سلسلة وهذا ظاهر على جعل اللام في الانسان للعهد وهو الانسان الكافر واما على جعلها للجنس فلكونه قد وجد في الجنس من يحشر مع شيطانه ثم لنحضرنهم حول جهنم من خارجها قبل دخولها وقيل من داخلها جثيا جمع جاث من قولهم جثى على ركبتيه يجثو جثوا اي جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب او يكون الجثي على الركب شأن اهل الموقف كما في قوله سبحانه وترى كل امة جاثية وقيل المراد بقوله جثيا جماعات واصله جمع جثوة والجثوة هي المجموع من التراب والحجارة قال ابن عباس جثيا قعودا ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة وفرقة واهل دين وملة من الكفار والشيعة الفرقة التي تبعت دينا من الاديان وخصص ذلك الزمخشري فقال هي الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ايهم اشد على الرحمن عتيا اي اعصى لله واعتى وقال ابن عباس عتيا معصية وعصيا فانه ينزع من كل طوائف الغي والفساد اعصاهم واعتاهم فاذا اجتمعوا طرحهم في جهنم والعتي هنا مصدر كالعتو وهو التمرد في العصيان اي عصيانا وجرأة وقيل المعنى لننزعن من اهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر قاله قتادة وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن كثير من اهل العصيان ولو خصص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقته التي تليق به وللنحويين في اعراب ايهم كلام طويل واقوال كثيرة اظهرها عند الجمهور من المعربين وهو مذهب سيبويه ان ايهم موصولة بمعنى الذي وان حركتها حركة بناء واشد خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لأي وايهم وصلتها في محل نصب مفعولا به لننزعن وعتيا تمييز محول عن المبتدأ المحذوف الذي هو اشد اي عتوه اشد من عتو غيره وعن ابن مسعود قال يحشر الاول على الآخر حتى اذا تكاملت العدة اثارهم جميعا ثم بدأ بالاكابر فالاكابر جرما ثم قرأ فوربك لنحشرنهم الى قوله عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا بكسر الصاد وضمها لغتان قال ابن جريج يعني ايهم احق واولى بالخلود في جهنم يقال صلي يصلى صليا مثل مضى الشيء يمضي مضيا قال الجوهري يقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كأنك تريد الاحراق قلت اصليته بالالف وصليته تصلية

وي منه ويصلى سعيرا ومن خفف فهو من قولهم يصلى فلان النار بالكسر يصلي صليا احترق
قال الله تعالى هم اولى بها صليا ومعنى الآية ان هؤلاء الذين هم اشد على الرحمن عتيا هم اولى
بصليها او صليهم اولى بالنار وان منكم الا واردها الخطاب للناس من غير التفات او للانسان
المذكور فيكون التفاتا او قيل للكفار وقرئ وان منهم لمناسبة الآيات التي قبل هذه فانها في الكفار
وهي قوله فوربك لنحشرنهم الآيات وكذلك قرأ عكرمة وجماعة لكن الاكثرون على ان الخطاب للعالم كلهم
والمعنى ما منكم من احد مسلما كان او كافرا الا واردها اي واصلها وداخلها والضمير يرجع الى
النار وقيل الى يوم القيامة والاول اولى وقد اختلف الناس في هذا الورود فقيل الورود الدخول لقوله
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لكنه يختص بالكفار لقراءة وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات
ويستثنى الانبياء والمرسلون وتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وقالت فرقة الورود هو
المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم اهل الجنة ويتقاذف اهل النار وعلى هذا لا يستثنى
الانبياء والمرسلون بل يمر عليه جميع الخلق روي ذلك عن ابن عباس وكعب الاحبار والسدي ورواه السدي
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم والحسن وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده
في الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم الحمى حظ كل مؤمن من النار وفيه بعد وقيل ليس الورود الدخول انما هو كما
تقول وردت البصرة ولو ادخلها وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود وحمله على
ظاهره لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون قالوا فلا يدخل النار من
ضمن الله ان يبعده عنها واجابوا عنه بان معناه انهم مبعدون عن العذاب فيها والاحتراق بها
فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعا ولا الما فهو مبعد عنها وقالت فرقة الورود هو الاشراف
والاطلاع والقرب وذلك انهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون اليها في حالة
الحساب ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا اليه ويصار بهم الى الجنة كما سياتي ومما يدل على ان الورود
لا يستلزم الدخول قوله تعالى فلما ورد ماء مدين فان المراد اشرف عليه لا انه دخل فيه ولا يخفى
ان القول بان الورود هو المرور على الصراط او الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين الادلة من
الكتاب والسنة فينبغي حمل هذه الآية على ذلك لانه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار مع كون
الداخل من المؤمنين مبعدا من عذابها او بحمله على المضي فوق الجسر المنصوب عليها وهو الصراط



واخرج احمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي والحاكم وصححه عن ابي سمية
قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ننجي الذين
اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال واهوى باصبعه الى اذنيه صمتا ان لم اكن سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى
ان للنار ضجيجا من بردها ثم ننجي الذين اتقوا الاية واسنده ابو عمر في كتاب التمهيد وعلى هذا فالورود
الدخول وهو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وفي الحديث فتقول النار للمؤمن
جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وعن مجاهد قال خاصم نافع بن الازرق ابن عباس فقال الورود
الدخول وقال نافع لا فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
وقال اوردوها ام لا وقرأ يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار اوردوها ام لا اما انا وانت فسندخلها
فانظر هل نخرج منها ام لا وقرأ ابن مسعود وان منكم الا داخلها وكان واردها وعنه قال ورودها
الصراط وقال رجل من الصحابة لآخر ايقنت بالورود قال نعم قال وايقنت بالصدور قال لا قال ففيم
الضحك وفيم التثاقل واخرج احمد والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن ابن مسعود في
الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون منها باعمالهم فاولهم كلمح البرق ثم
كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب المجد في رحله ثم كشد الرجل في مشيه وقد روي نحوه عنه من طرق
وهو في مسند الدارمي ايضا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان منكم الا واردها يقول
مجتاز فيها واخرج مسلم وغيره عن ام مبشر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد شهد
بدرا والحديبية قالت حفصة اليس الله يقول وان منكم الا واردها قال الم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين
اتقوا واخرج البخاري ومسلم وغيرهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار
الا تحلة القسم ثم قرأ سفيان وان منكم الا واردها واخرج احمد والبخاري في تاريخه وابو يعلى والطبراني
عن معاذ بن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا
يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه الا تحلة القسم فان الله يقول وان منكم الا واردها والاحاديث في
تفسير هذه الاية كثيرة جدا واما فائدة دخول المؤمنين النار اذا لم يكن عذاب فبوجوه احدها ان ذلك
مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد هم على اهل النار حيث يرون المؤمنين

يتخلصون منها وهم باقون فيها وثانيها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار صار ذلك سببا
لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة ولا نقول صريحا ان الانبياء يدخلون النار ادبا معهم ولكن نقول ان الخلق جميعا
يردونها كما دلت عليه احاديث الباب فالعصاة يدخلونها بجرائمهم والاولياء والسعداء يدخلونها
لشفاعتهم فبين الداخلين بون كان على ربك حتما مقضيا اي كان ورودهم المذكور امرا محتوما
لازما قد قضى سبحانه انه لابد من وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بايجاب غيره عليه وقد استدلت
المعتزلة بهذه الآية على ان العقاب واجب على الله وعند الاشاعرة ان هذا مشبه بالواجب من جهة
استحالة تطرق الخلف اليه فالآية التي توهموها دليلا لهم هي من اقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث
البحث واما من حيث النص فقد وردت احاديث تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار وهي معروفة
قال مجاهد مقضيا قضاء من الله وقال عكرمة قسما واجبا ثم ننجي اي نخرج الذين اتقوا ما يوجب النار
وهو الكفر بالله ومعاصيه وترك ما شرعه واوجب العمل به من النار فلا يخلدون بعد ان ادخلوها
قرئ ننجي بالتخفيف من انجى وقرئ بالتشديد وهما سبعيتان ونذر اي نترك الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بفعل ما يوجب النار او ظلموا غيرهم بمظلمة في النفس او المال او العرض فيها اي في النار جثيا
على الركب جمع جاث وقد تقدم قريبا قال ابن عباس جثيا باقين فيها واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
واضحات لا يلتبس معانيها وقيل ظاهرات الاعجاز وقيل انها حجج وبراهين والاول اولى وهي حال مؤكدة
لان آيات الله لا تكون الا واضحة والضمير في عليهم راجع الى الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله ائذا ما
مت لسوف اخرج حيا اي هؤلاء اذا قرئ عليهم القرآن تعززوا بالدنيا وقالوا لو كنتم على الحق وكنا
على الباطل لكان حالكم في الدنيا اطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق به ان يهين اولياءه
ويعز اعداءه وقيل عليهم اي على المؤمنين والاول اظهر ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله قال
الذين كفروا للاشعار بان كفرهم هو السبب لصدور هذا القول عنهم وقيل المراد بهم هنا هم المتمردون
المصرون منهم والاعلياء المتجملون بالثياب وغيرها ومعنى للذين آمنوا قالوا لاجلهم وقيل هي لام
التبليغ كما في قوله وقال لهم نبيهم اي خاطبوهم وشافهوهم بذلك وبلغوا القول اليهم يعني فقراء اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وفي منازلهم ضيق وكان المشركون
يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون افخر ثيابهم اي الفريقين المراد بهما المؤمنون والكافرون



كانهم قالوا او اتينا خير مقاما ام فريقكم وقرئ بضم الميم وهو موضع الاقامة او مصدر بمعناها وبالفتح
منزلا ومسكنا فهو خير النادي اذ هو متحدث القوم وقيل هو الموضع الذي يقام فيه بالامور
الجليلة والمعنى اي الفريقين اكبر جاها واكثر اعوانا وانصارا وعن مجاهد في الاية قال قريش تقوله
لها ولاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس مقاما المنازل واحسن نديا قال ابن عباس نديا المجالس
والندي والنادي مجلس القوم ومتحدثهم ومجتمعهم ومنه قوله تعالى وتاتون في ناديكم المنكر وقوله
فليدع ناديه اي اهل ناديه وناداه جالسه في النادي ومنه دار الندوة لان المشركين كانوا يتشاورون
فيها في امورهم وقيل هو مشتق من الندى وهو الكرم لان الكرماء يجتمعون فيه وكم اي كثيرا اهلكنا
قبلهم من قرن هي الجماعة والامة الماضية وهو مفرد لفظا متعدد معنى هم احسن اثاثا هو
المال اجمع الابل والغنم والبقر والعبيد والمتاع وقيل هو متاع البيت خاصة وقيل هو الجديد من
الفرش وقيل اللباس خاصة ورئيا بمعنى المرئي وهذا كالذبح والطحن بمعنى المذبوح والمطحون قرئ
بالهمزة وقرئ بالياء المشددة من رايت اي هم احسن منظرا وبه قال جمهور المفسرين وحسن المنظر
يكون من جهة حسن اللباس وحسن الابدان وتنعمها او مجموع الامرين ومعنى القراءة الاولى معنى الثانية
قال الجوهري من همز جعله من المنظر من رايت وهو ما راته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمز
اما ان يكون من تخفيف الهمزة او يكون من رويت الوانهم وجلودهم ريا اي امتلات وحسنت وقد ذكر
الزجاج معنى هذا وقرئ زيا وهو الهيئة والحسن والصورة ويجوز ان يكون من زويت اي جمعت والزي
محاسن مجموعة قل امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيب على هؤلاء المفتخرين بحظوظهم الدنيوية و
الكفار القائلين للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بقوله من كان مستقرا في
الضلالة اي الكفر والجهل والغفلة عن عواقب الامور وهذا شرط وجوابه فليمدد له الرحمن مدا
في الدنيا ليستدرجه وهذا وان كان على صيغة الامر فالمراد به الخبر وانما خرج مخرج الامر لبيان
الامهال منه سبحانه للعصاة وان ذلك كائن لا محالة لينقطع معاذير اهل الضلال ويقال لهم يوم
القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كقوله سبحانه انما نملي لهم ليزدادوا اثما
والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وذكر لفظ الرحمن في هذه السورة في ستة
عشر موضعا وقيل المراد بالاية الدعاء بالمد والتنفيس قال الزجاج تاويله ان الله جعل جزاء ضلالته ان يتركه

ويمده فيها لان لفظ الامر يؤكد معنى الخبر كان المتكلم يقول افعل ذلك وامر به نفسي وقال
مجاهد معناه فليدعه الله في طغيانه وفي حرف ابي من كان في الضلالة فانه يزيده الله ضلالة
وطغيانا واستدراجا بان يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه حتى حرف ابتداء وليست جارة
ولا عاطفة قاله الكازروني والشهاب وفي زكريا انها جارة اي فيستمرون في الطغيان الى ان يشاهدوا
الموعود اذا رأوا يعني الذين مدهم في الضلالة ما يوعدون جاء بضمير الجماعة اعتبارا لمعنى
من كما ان قوله من كان في الضلالة فليمدد له اعتبارا بلفظها وقيل هذه غاية للمد لا لقول المفتخرين
اذ ليس فيها امتداد والغاية في الحقيقة هي قوله فسيعلمون الآتي إما العذاب وإما الساعة هذا
تفصيل لقوله ما يوعدون اي هذا الذي يوعدون هو احد الامرين اما العذاب في الدنيا بالقتل
والاسر كما وقع لهم يوم بدر واما يوم القيامة وما يحل بهم حينئذ من العذاب الاخروي فاما حرف
تفصيل وهي مانعة خلو تجوز الجمع والعذاب والساعة بدلان من ما فسيعلمون جواب اذا اي هؤلاء
القائلون اي الفريقين خير مقاما اذا عاينوا ما يوعدون به من العذاب الدنيوي بايدي المؤمنين
او الاخروي من هو شر مكانا من الفريقين وأضعف جندا قابل به احسن نديا من حيث ان
النادي يكون باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم والمعنى فسيعلمون انهم
شر وهو جندهم الشياطين في النار ام المؤمنون وهم في الجنة وعندهم ملائكة الرحمن ومن على هذا
استفهامية وهو احد وجهين ويجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي وليس المراد ان للمفتخرين هنالك
جندا ضعفاء بل لا جند لهم اصلا كما في قوله سبحانه ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما
كان منتصرا ثم لما اخبر سبحانه عن حال اهل الضلالة اراد ان يبين حال اهل الهداية فقال ويزيد
الله الذين اهتدوا بالايمان هدى بما ينزل عليهم من الآيات وذلك ان بعض الهدى يجر الى البعض الآخر
والخير يدعو الى الخير وقيل المراد بالزيادة العبادة من المؤمنين والجملة مستأنفة لبيان حال المهتدين
وقيل الواو للعطف على جملة الشرط المحكية بالقول قال الزجاج المعنى ان الله يجعل جزاء المؤمنين
ان يزيدهم يقينا كما جعل جزاء الكافرين ان يمدهم في ضلالتهم والباقيات الصالحات اي الطاعات
المؤدية الى السعادة الابدية التي تبقى لصاحبها خير عند ربك ثوابا مما يتمتع به الكفار من النعم الدنيوية
التي يفتخرون بها وخير مردا هو هنا مصدر كالرد والمعنى وخير رد للثواب على فاعلها ليست كاعمال

الكفار التي حضروا شبيها والمراد المرجع والعاقبة اي ما يرد اليه ويرجع وهو الجنة وافعل للتفضيل
للتهكم بهم على سبيل المشاكلة للقطع بان اعمال الكفار لا خير فيها اصلا ثم اورد سبحانه مقالة هؤلاء
المفتخرين باخرى مثلها على سبيل التعجب فقال أفرأيت الذي كفر بآياتنا استفهم التعجب اي اخبر بقصة هذا
الكافر يعني عاصي بن وائل واذكر حديثه عقب حديث اولئك وانما استعملوا ارأيت بمعنى اخبر لان
رؤية الشيء من اسباب صحة الخبر عنه والآيات تعم كل آية ومن جملتها آية البعث والفاء للعطف على
مقدر اي انظرت فرأيت واللام في وقال لأوتين هي الموطئة للقسم كانه قال والله لاوتين في الآخرة
مالا وولدا وهذا من شدة تعنته وكفره اي انظر الى حال هذا الكافر وتعجب من كلامه وتأليه على
الله مع كفره به وتكذيبه بآياته اخرج البخاري ومسلم وغيرهما في الآية من حديث خباب بن الارت قال كنت
رجلا قينا وكان لي على العاصي بن وائل دين فاتيته اتقاضاه فقال لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
فقلت والله لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فاني اذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فاعطيك
فانزل الله فيه هذه الآية وقرئ ولدا بضم الواو وبفتحها قيل هما لغتان معناهما واحد يقال
ولد وولد كما يقال عدم وعدم وقيل بالضم للجمع وبالفتح للواحد وقد ذهب الجمهور الى ان هذا الكافر
اراد بقوله لاوتين مالا وولدا انه يؤتى ذلك في الدنيا وقال جماعة في الجنة قيل والمعنى ان اقمت على
دين ابائي لاوتين وقيل المعنى لو كنت على باطل لما اوتيت مالا وولدا ثم اجاب الله سبحانه عن قول
هذا الكافر بما يدفعه ويبطله فقال أطلع الغيب بفتح الهمزة الاستفهامية واطلع متعد بنفسه
كقوله اطلع الجبل قال المغرب وليس متعديا بعلى كما توهمه بعضهم حتى يكون من الحذف والايصال
لكن في القاموس اطلع عليه فكانه يتعدى ولا يتعدى يقال اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه والمعنى
اعلم ما غاب عنه حتى يعلم انه في الجنة أم اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك اي بانه يؤتى ما قاله فانه
لا يتوصل الى هذا العلم الا باحدى هاتين الطريقتين وقيل المعنى انظر في اللوح المحفوظ أم اتخذ
عند الله عهدا وقيل المعنى أم قال لا اله الا الله فادخله بها ويرجو بها قاله ابن عباس وقيل المعنى أم قدم
عملا صالحا فهو يرجوه كلا حرف ردع وزجر اي ليس الامر على ما قال هذا الكافر من انه يؤتى
المال والولد ولفظة كلا فيها للنحاة ستة مذاهب احدها وهو مذهب جمهور البصريين كالخليل وسيبويه
وابي الحسن الاخفش وابي العباس المبرد انها حرف ردع وزجر وهذا معنى لائق بها حيث وقعت في القرآن

وما احسن ما جاءت في هذه الآية زجرت وردعت ذلك القائل والثاني وهو مذهب النضر بن شميل
انها حرف تصديق بمعنى نعم فتكون جوابا ولا بد من ان يتقدمها شيء لفظا او تقديرا وقد تستعمل
في القسم الثالث وهو مذهب الكسائي وابي بكر بن الانباري ونصير بن يوسف وابن واصل انها بمعنى حقا والرابع
وهو مذهب ابي عبد الله الباهلي انها رد لما قبلها وهذا قريب من معنى الردع الخامس انها صلة في الكلام
بمعنى اي كذا قيل وفيه نظر فان اي حرف جواب لكنه مختص بالقسم السادس انها حرف استفتاح
وهو قول ابي حاتم قال السمين ولتقرير هذه المذاهب موضع هو اليق بها قد حققتها بحمد الله فيه انتهى و
ذكرت كلا في القرآن في النصف الثاني فقط وذكرت في خمس عشرة سورة منه كلها مكية وجملة ما ذكرت
ثلاثة وثلاثون مرة ترجع الى اقسام ثلثة قسم يجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها فيبتدأ بها وهذا
باتفاق وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها او يتعين على ما قبلها وقسم لا يجوز الوقف عليها
باتفاق فالقسم الاول خمسة مواضع اللتان في هذه السورة واللتان في سورة الشعراء وواحدة
في سورة سبأ والقسم الثاني تسعة واحدة في سورة المؤمنين وثنتان في سورة سأل سائل وثنتان
في سورة المدثر الاولى والثالثة والاولى في سورة القيامة والثانية في سورة ويل للمطففين والاولى
في سورة الفجر والتي في سورة ويل لكل والقسم الثالث هو التسع عشرة الباقية ذكره عز بن جماعة
سنكتب اي سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به في الآخرة او سنظهر له ما يقول ونعلمه او ننتقم
منه انتقام من كتبت معصيته ونمد له من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق عذابه مكان ما
يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد او نطول له من العذاب ما يستحقه وهو عذاب من جمع بين
الكفر والاستهزاء ونرثه ما يقول اي نميته فنرثه المال والولد الذي يقول انه يؤتاه والمعنى مسمى ما
يقول ومصداقه قاله ابو السعود وقيل المراد بما يقول نفس القول لا مسماه وقيل المعنى نحرمه ما تمناه
في الآخرة ونعطيه غيره من المسلمين قاله القرطبي ويأتينا يوم القيامة فردا لا مال له ولا ولد ولا
عشيرة بل نسلبه ذلك فكيف يطمع في ان نعطيه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا
امتناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا فردا فضلا منفردا عنه والاول اولى واتخذوا من
دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا حكى سبحانه ما كان عليه هؤلاء الكفار الذين تمنوا ما لا يستحقونه تألوا على الله
سبحانه من اتخاذهم الآلهة من دون الله لاجل يتعززوا بذلك وقال ابو السعود حكاية لجناية عامة للكل
مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها التعبيض مضمونها

وقال الهروي معناه ليكونوا لهم اعوانا وقال الفراء ليكونوا لهم شفعاء عند الله في الآخرة وقيل
معناه ليتعززوا بهم من عذاب الله ويمتنعوا بها كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم
ضدا اي ليس الامر كما ظنوا وتوهموا والضمير في الفعل اما للآلهة اي ستجحد هذه الاصنام عبادة الكفار
لها يوم ينطقها الله سبحانه لانها عند ان عبدوها جمادات لا تعقل ذلك واما للمشركين اي سيجحد
المشركون انهم عبدوا الاصنام ويدل على الوجه الاول قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون وقوله
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ويدل على الوجه الثاني قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين قرئ
كلا بضم الكاف والتنوين وهي بمعنى جميعا وبالفتح مصدر اي كل هذا الرأي كلا والاصوب انها
حرف ردع وزجر والمعنى تكون هذه الآلهة التي ظنوها عزا لهم ضدا عليهم اي ضد العز و ضد
العز الذل هذا على الوجه الاول واما على الوجه الثاني فيكون المشركون للآلهة ضدا واعداء
يكفرون بها بعد ان كانوا يعبدونها ويحبونها ويؤمنون بها قال ابن عباس عليهم ضدا اعوانا
وحسرة وانما وحد الضد وان كان خبرا عن جمع لاحد وجهين اما لانه مصدر في الاصل والمصادر
موحدة مذكرة واما لانه مفرد في معنى الجمع الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين ذكر الزجاج
في معنى هذا وجهين احدهما ان معناه خلينا بين الكافرين وبين الشياطين فلم نعصمهم منهم
ولم نعذهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الوجه الثاني
انهم ارسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا ومعنى
الارسال هنا التسليط ومن ذلك قوله سبحانه لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك ويؤيد الوجه الثاني
تمام الآية وهو قوله تؤزهم ازا فان الاز والازيز والهز والهزيز والاستفزاز اخوات معناها التحريك و
التهييج وشدة الازعاج فاخبر الله سبحانه ان الشياطين تحرك الكافرين وتهيجهم وتغويهم وتغريهم
على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات وذلك هو التسليط لها عليهم وقيل معنى الازاز الاستعجال
وهو مقارب لما ذكرنا لان الاستعجال تحريك وتهييج واستفزاز وازعاج وسياق هذه الآية لتعجيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حالهم والتنبيه على ان جميع ذلك باضلال الشياطين واغوائهم والجملة حالية
من الشياطين او من الكافرين او منهما او مستانفة كانه قيل ماذا تفعل الشياطين بهم قال ابن
عباس تؤزهم ازا تغويهم اغواء وتحرض المشركين على محمد واصحابه وقال تزعجهم ازعاجا الى معاصي الله

وفي الآية دليل على ان الله مدبر لجميع الكائنات فلا تعجل عليهم بأن تطلب من الله اهلاكهم بسبب تصميمهم على الكفر وعنادهم للحق وتمردهم عن داعي الله سبحانه حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فساده ثم علل سبحانه هذا النهي بقوله انما نعد لهم عدا يعني نعد الايام والليالي والشهور والسنين من اعمارهم الى انتهاء اجالهم فلا تعجل ما يقع منهم بل تستبطئه عليهم حتى نواخذهم به وقيل نعد انفاسهم وقيل خطواتهم وقيل لحظاتهم وقيل الساعات وقال قطرب نعد اعمالهم وقيل المعنى لا تعجل عليهم انما نؤخرهم ليزدادوا اثما قال الشهاب ابن الهد كناية عن القلة ولا ينافي هذا ما مر من انه يمد لمن كان في الضلالة لانه بالنسبة لظاهر الحال عندهم وهو قليل باعتبار عاقبته وعند الله ثم لما قرر سبحانه امر الحشر واجاب عن شبهة منكريه اراد ان يشرح حال المكلفين حينئذ فقال يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي اذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحشر ومعنى الحشر الى الرحمن حشرهم الى جنته ودار كرامته كقوله اني ذاهب الى ربي والوفد جمع وافد كالركب جمع راكب والصحب جمع صاحب يقال وفد يفد وفدا اذا خرج الى ملك او امر خطير كذا قال الجوهري وعن ابن عباس قال وفدا ركبانا وعن ابي هريرة قال على الابل وعن علي قال على نوق وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلث طرائق راغبين وراهبين اثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا وقيل يركبون من اول خروجهم من القبور وهو ظاهر الآية وقيل من منصرفهم من الموقف وعلى كلا القولين فيستمرون راكبين حتى يقرعون باب الجنة ونسوق المجرمين الكافرين بكفرهم كما تساق البهائم الى جهنم وردا مشاة عطاشا والسوق الحث على السير والورد العطاش قاله الاخفش ونحوه قال ابن عباس وابو هريرة وقال الفراء وابن الاعرابي هم المشاة وقال الازهري هم المشاة العطاش كالابل ترد الماء وقيل وردا اي الورود كقولك جئتك اكراما اي للاكرام وقيل افرادا قيل ولا تناقض بين هذه الاقوال فهم يساقون مشاة عطاشا افرادا واصل الورد الجماعة التي ترد الماء من طير او ابل او قوم او غير ذلك والورد الماء الذي يورد وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء لا يملكون الشفاعة جملة مستانفة

ليبان بعض ما يكون في ذلك اليوم من الامور والضمير راجع الى الفريقين وقيل للمتقين خاصة
وقيل للمجرمين خاصة والاول اولى والمعنى انهم لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك غيرهم ان
يشفع لهم والاول اولى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا هذا الاستثناء متصل على الوجه الاول
اي لا يملك الفريقان المذكوران الشفاعة الا من تأهل لها واستعد لذلك بما يصير به
من جملة الشافعين لغيرهم بان يكون مؤمنا متقيا فهذا معنى اتخاذ العهد عند الله وقيل
معناه ان الله امره بذلك كقولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به وقال ابن عباس شهادة
ان لا اله الا الله ويبرأ من الحول والقوة ولا يرجو الا الله وعنه قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة
وقيل غير ذلك واما على الوجه الثاني فالاستثناء منقطع لان التقدير لا يملك المجرمون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وهم المسلمون والاول اوجه وبه جزم البيضاوي كالكشاف وقيل
متصل على هذا الوجه ايضا والتقدير لا يملك المجرمون الشفاعة الا من كان منهم مسلما ودلت
الآية على حصول الشفاعة لاهل الكبائر واخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ادخل على مؤمن سرورا فقد سرني ومن سرني فقد اتخذ عند الرحمن عهدا فلا تمسه
النار ان الله لا يخلف الميعاد واخرج الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها
وسجودها لم ينقص منها شيئا جاء وله عند الله عهد ان لا يعذبه ومن جاء قد انتقص منها
شيئا فليس له عند الله عهد ان شاء رحمه وان شاء عذبه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قرئ بفتح
الواو وضمها كما تقدم والجملة مستأنفة لبيان قول اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة
بنات الله لقد جئتم شيئا ادا فيه التفات من الغيبة الى الخطاب وفيه رد لهذه المقالة الشنعاء
والاد كما قال الجوهري الداهية والامر الفظيع وكذلك الادة وجمع الادة اُدد يقال ادّت فلانا
الداهية تؤده بالضم وتئده بالكسر وتأده بالفتح اذا دهته وقرئ بالفتح وقرأ الجمهور بالكسر وقرئ
آدا مثل ماد وهي مأخوذة من الثقل يقال آده الحمل يؤده اذا اثقله قال الواحدي ادا
عظيما في قول الجميع وبه قال ابن عباس والمعنى قلتم قولا منكرا عظيما وقيل الاد العجب والادة الشدة و
المعنى متقارب والتركيب يدور على الشدة والثقل تكاد السموات يتفطرن منه قرئ بالتحتية وبالفو

وقرئ ينفطرن من الانفطار واختاره ابو عبيد لقوله اذا السماء انفطرت وقوله السماء منفطر به
وقرأ ابن مسعود يتصدعن والانفطار والتفطر التشقق وتنشق الارض كرر الفعل للتاكيد لان
يتفطرن وتنشق معناهما واحد اي تخسف بهم وتخر الجبال اي تسقط وتنهد هدا قال ابن
عباس هدا هدما لان الشرك فزعت منه السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين
وكادت تزول منه لعظمة الله سبحانه وكما لا ينفع مع الشرك احسان المشرك كذلك نرجو ان يغفر الله
ذنوب الموحدين وانتصاب هدا على انه مصدر مؤكد لان الخرور في معناه او هو مصدر لفعل مقدر
اي وتنهد هدا او على الحال اي مهدودة او على انه مفعول له اي لانها تنهد قال الهروي هدني
الامر وهد ركني اي كسرني وبلغ مني قال الجوهري هد البناء يهده هدا كسره وضعضعه وهدته المصيبة
اوهنته وكسرته وانهد الجبل اي انكسر والهدة صوت وقع الحائط كما قال ابن الاعرابي ان اي لان دعوا
او من اجل ان جعلوا للرحمن ولدا وقال الكسائي هو بتقدير الخافض وقيل في محل رفع على انه
فاعل هدا والدعاء بمعنى التسمية اي سموا للرحمن ولدا وبمعنى النسبة اي نسبوا له ولدا و
الحال انه ما ينبغي اي لا يصلح للرحمن ولا يليق به ان يتخذ ولدا لاستحالة ذلك عليه لان الولد يقتضي
الجنسية والحدوث ان كل من في السموات والارض اي ما كل من فيهما الا وهو آتي الرحمن ووحد آتي
وآتيه الا آتي حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من اتى وهو مستقبل اي يأتيه يوم القيامة عبدا
مقرا بالعبودية خاضعا ذليلا منهم عزير وعيسى كما قال وكل اتوه داخرين اي صاغرين والمعنى ان
الخلق كلهم عبيده فكيف يكون واحد منهم ولدا له وقرئ آت على الاصل لقد احصاهم اي حصرهم
بعلمه وعلم عددهم واحاط بهم وعدهم عدا اي اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وايامهم وآثارهم
بعد ان حصرهم فلا يخفى عليه احد منهم ولا شيء من امورهم وكلهم اي كل واحد منهم آتيه يوم
القيامة فردا اي وحيدا لا ناصر له ولا مال معه كما قال سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون والمعنى كلهم
تحت تدبيره وقهره وقدرته ثم ذكر الله سبحانه من احوال المؤمنين بعض ما خصهم به بعد ذكره
لقبائح الكافرين فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الجمهور من السبعة وغيرهم
على ضم الواو وقرئ بكسرها وفتحها اي حبا في قلوب عباده يجعله لهم من دون ان يطلبوه بالاسباب
التي توجب ذلك كما يقذف في قلوب اعدائهم الرعب والسين للدلالة على ان ذلك لم يكن من قبل وانه

محصول من بعد ترحل الآية لان المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه الآية وكانوا ممقوتين ح بين
الكفرة فوعدهم الله تعالى بذلك اذا ظهر الاسلام فالقى الله تعالى بين قلوب المؤمنين ووضع فيها
المحبة او في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينتزع ما في صدورهم من الغل
وعن ابن عباس قال نزلت في علي بن ابي طالب والمعنى محبة في قلوب المؤمنين وعن البراء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي عندك ودا واجعل لي في صدور
المؤمنين مودة فانزل الله الآية في علي اخرجه ابن مردويه والديلمي وعن ابن عباس قال محبة في الناس في الدنيا
وعن علي قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ما هو قال المحبة الصادقة في صدور المؤمنين
وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا
نادى جبريل اني قد احببت فلانا فاحبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في اهل الارض
فذلك قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واذا ابغض الله عبدا نادى
جبريل اني قد ابغضت فلانا فينادي في اهل السماء ثم ينزل البغضاء في الارض والاحاديث
والآثار في هذا الباب كثيرة ثم ذكر سبحانه تعظيم القرآن خصوصا هذه السورة لاشتمالها على التوحيد
والنبوة وبيان حال المعاندين فقال فانما يسرناه اي القرآن بانزالنا له بلسانك اي على لغتك
العربية وفصلناه وسهلناه والباء بمعنى على والفاء لتعليل كلام ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل
بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر به فانما يسرناه الآية ثم علل ما ذكره من التيسير فقال لتبشر به
المتقين اي المتلبسين بالتقوى المتصفين بها وتنذر به قوما لدا او لو انزلناه بغيرها لم يتيسر
التبشير ولا الانذار لعدم فهم المخاطبين لغير العربية واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة
ومنه قوله تعالى الد الخصام وقال ابو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل وقيل اللد
الصم وقيل الظلمة وقال ابن عباس لدا فجارا وعن الحسن قال صما يعني عن الحق وكم اهلكنا
قبلهم من قرن اي امة وجماعة من الناس وفي هذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك الكافرين
ووعيد لهم وتخويف وانذار هل تحس منهم من احد هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي هل تشعر
باحد من القرون او تراه او تجد او تعلم والاحساس الادراك بالحاسة والحواس خمس والحس والحسيس
الصوت الخفي او تسمع لهم ركزا الركز الخفاء والصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض

وقال اليزيدي وابو عبيدة الركز ما لا يفهم من صوت او حركة وقال سعيد بن جبير هل ترى
منهم من احد او تسمع لهم ركزا صوتا وبه قال ابن عباس والمعنى لما اتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت
يسمع يعني هلكوا كلهم قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا اثر يعني فكذا هؤلاء
ان اعرضوا عن تدبر ما انزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم والله اعلم بالصواب

سورة طه آياتها مائة وخمس وثلثون او اربع وثلثون

قال القرطبي مكية في قول الجميع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وقال السيوطي في الاتقان استثني
منها فاصبر على ما يقولون واخرج ابن مردويه عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل القران يرفع
عن اهل الجنة فلا يقرؤن منه شيئا الا سورة طه ويس فانهم يقرؤن بهما في الجنة وعن انس بن مالك في ذكر
قصة عمر بن الخطاب مع اخته وخباب وقرائتهما طه وكان ذلك سبب اسلام عمر والقصة مشهورة في كتب السير

بسم الله الرحمن الرحيم

طه قد اختلف اهل العلم في معنى هذه الكلمة على اقوال الاول انها من المتشابه الذي لا يفهم المراد
والثاني انها بمعنى يا رجل في لغة عكل وفي لغة عك قال الكلبي لو قلت لرجل من عك يا رجل لم يجب حتى
تقول طه وقيل انها في لغة عك بمعنى يا حبيبي وقال قطرب هي كذلك في لغة طي اي بمعنى يا رجل
وكذا قال الحسن وعكرمة وقيل هي كذلك في اللغة السريانية حكاه المهدوي وحكى ابن جرير انها
كذلك في اللغة النبطية وبه قال السدي وسعيد بن جبير وحكي عن عكرمة انها كذلك في لغة
الحبشة ولا مانع من ان تكون هذه الكلمة موضوعة لذلك المعنى في تلك اللغات كلها اذا صح النقل
الثالث انها اسم من اسماء الله سبحانه الرابع انها اسم للنبي صلى الله عليه وسلم الخامس انها اسم للسورة السادس
انها حروف مقطعة يدل كل واحد منها على معنى ثم اختلفوا في هذه المعاني التي تدل عليها هذه
الحروف على اقوال كلها متكلفة متعسفة السابع ان معناها طوبى لمن اهتدى الثامن ان معناها
طأ الارض يا محمد قال ابن الانباري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل مشقة الصلوة حتى كادت
قدماه تتورم ويحتاج الى الترويح فقيل له طأ الارض اي لا تتعب حتى تحتاج الى الترويح وحكى القاضي
عياض في الشفاء عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى

فأنزل الله طه يعني طأ الأرض يا محمد وعن الحسن البصري أنه قرأ طه على وزن دع أمر بالوطء
والأصل طأ فقلبت الهمزة هاء. التاسع أنه قسم أقسم الله بطوله وهدايته وعن أكثر المفسرين أن
معناه يا رجل يريد النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول الحسن وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك و
قتادة ومجاهد وابن عباس غير أن بعضهم يقول إنها بلسان الحبشة والنبطية والسريانية ويقول
الكلبي هي بلغة عك كما قال ابن الأنباري ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى لأن
الله سبحانه لم يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بلسان غير قريش انتهى وإذا تقرر أنها لهذا المعنى في لغة من لغات
العرب كانت ظاهرة المعنى واضحة الدلالة خارجة عن فواتح السور التي قدمنا بيان كونها من المتشابه
في فاتحة سورة البقرة وهكذا إذا كانت لهذا المعنى في لغة من لغات العجم واستعملتها العرب في كلامها
في ذلك المعنى كسائر الكلمات العجمية التي استعملتها العرب الموجودة في الكتاب العزيز فإنها صارت
بذلك الاستعمال من لغة العرب قال النسفي وما روي أن معناه يا رجل فإن صح فظاهر وإلا فالحق ما هو
المذكور في سورة البقرة انتهى ولذا قال المحلي الله أعلم بمراده بذلك ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى مستأنفة
مسوقة لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب والشقاء يجيء في معنى
التعب وشائع فيه قال ابن كيسان وأصل الشقاء في اللغة التعب والعناء ولعله عدل إليه للإشعار بأنه أنزل
عليه ليسعد والمعنى ما أنزلنا عليك يا محمد القرآن لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك
على أن يؤمنوا إنما عليك إلا أن تبلغ فهو كقوله سبحانه فلعلك باخع نفسك قال النحاس بعض النحاة
يقول هذه اللام في لتشقى لام النفي وبعضهم يقول لام الجحود وقال ابن كيسان هي لام الخفض وهذا
التفسير للآية على قول من قال إن طه كسائر فواتح السور التي ذكرت تعديدا للأسماء الحروف وإن جعلت
اسما للسورة كان قوله ما أنزلنا الخ خبرا عنها وأما على أن معناها يا رجل أو بمعنى الأمر بوطء الأرض
فتكون الجملة مستأنفة أيضا مسوقة لصرفه صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من المبالغة في العبادة وعن
ابن عباس قال إن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدر قدميه إذا صلى فأنزل
الله طه الآية وعنه قال قالوا لقد شقي هذا الرجل بربه فأنزل الله هذه الآية وعنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يربط نفسه بحبل لئلا ينام فأنزل الله هذه الآية وعن علي كان يراوح بين
قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت هذه الآية وحسن السيوطي إسناده وانتصاب إلا تذكرة

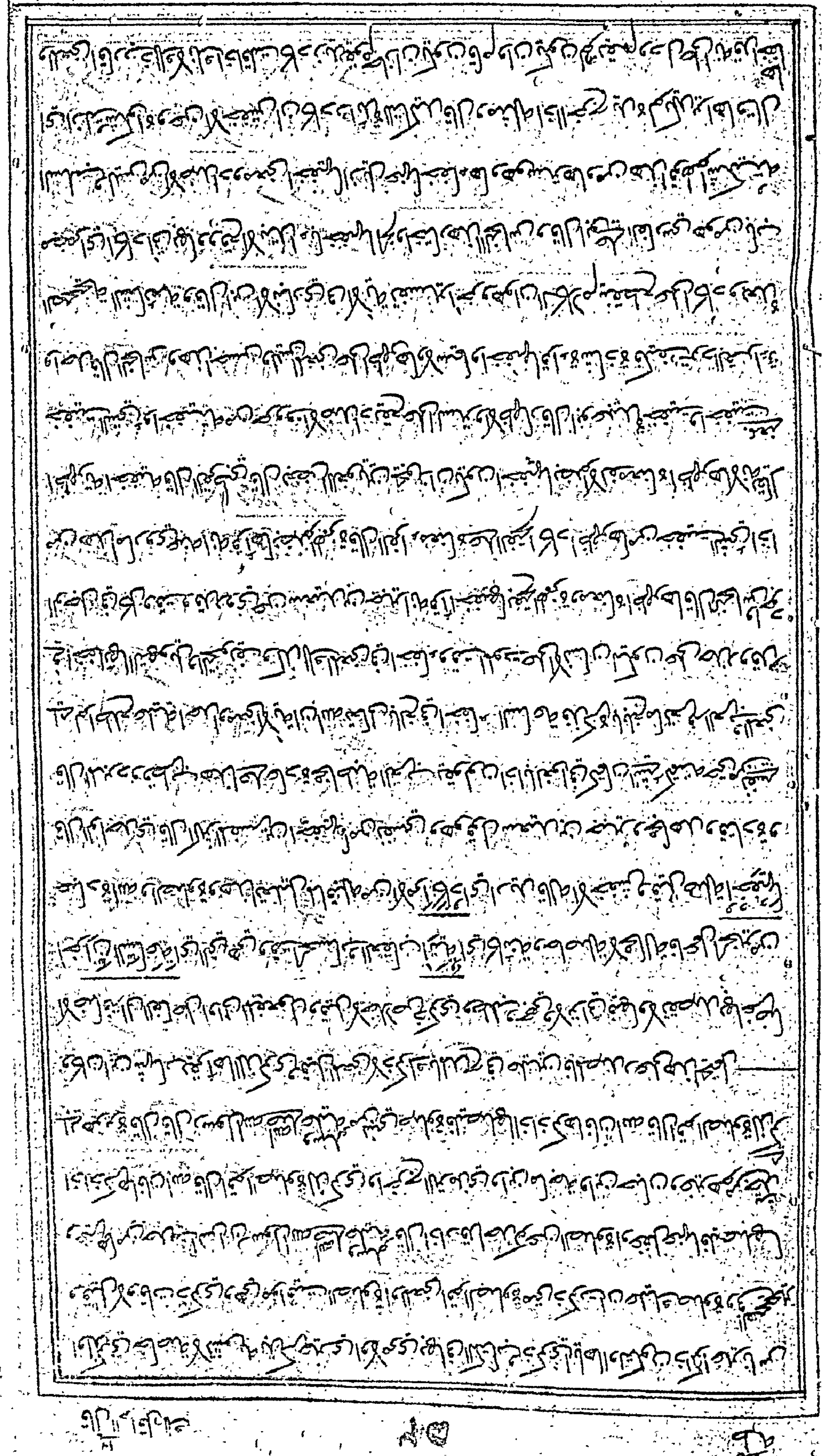
على انه مفعول له لانزلنا كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا عليك وقال الزجاج هو بدل من لتشقى اي
ما انزلناه الا تذكرة وانكره ابو علي الفارسي من جهة ان التذكرة ليست الشقى قال وانما هو منصوب على
المصدرية اي انزلناه لتذكر به تذكرة او على المفعول من اجله اي ما انزلنا عليك القران لتشقى به
ما انزلناه الا للتذكرة وقيل الاستثناء منقطع لان التذكرة ليست من جنس الشقاء المنفي اي لكن انزلناه
عظة لمن يخشى اي لمن يخاف الله او لمن يؤل امره الى الخشية او لمن في قلبه خشية ورقة يتاثر
بالانزال او لمن علم الله انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع وكانه يشير الى ان اللام في لمن للعاقبة
تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى اي انزلناه تنزيلا او بدل من تذكرة او منصوب على المدح او
يخشى تنزيلا من الله او على الحال وبالرفع على معنى هذا تنزيل وتخصيص خلق الارض والسموات
لكونهما اعظم ما يشاهده العباد من مخلوقاته عز وجل والعلى جمع العليا اي المرتفعة كجمع كبرى وصغرى
على كبر وصغر وفي الاية اخبار لعباده عن كمال عظمته سبحانه وعظيم جلاله الرحمن على العرش
هو في اللغة السرير وقيل هو ما علا فاظل وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه استوى استواء
يليق به قال ثعلب الاستواء الاقبال على الشيء وكذا قال الزجاج والفراء وقيل هو كناية عن الملك والعز و
السلطان واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة
من السلف وضعفها كلها وعن مالك الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال
عنه بدعة قال البغوي اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل
الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل وعن الثوري والاوزاعي والليث وابن عيينة وابن المبارك
وغيرهم في امثال هذه الايات التي جاءت في الصفات اقروها كما جاءت بلا كيف وفيه مذهبان
الاول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة وعدم الخوض في تاويلها وبه قال الخازن والمختار
الثاني الخوض فيه على التفصيل وفيه قولان الاول العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك فاذا
استقام له ملكه واطرد امره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه قاله القفال
قال الخازن والذي قاله حق وصواب والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية ويدل على صحة
هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله ثم
استوى على العرش الثاني ان يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين

واحتج عليه بقول الشاعر: قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق * ورد
هذا بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استوى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم
ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها ومستوليا عليها فاي تخصيص للعرش هنا
دون غيره من المخلوقات وقال ابو الحسن الاشعري المعنى ان الله مستو على عرشه وانه فوق الاشياء بائن
منها لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وعن ابن الاعرابي جاءه رجل فقال ما معنى هذه الآية قال
انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك العرب
لا تقول استوى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله
لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر وقد تقدم الكلام على هذه الآية في سورة الاعراف
وفيه رسائل مستقلة وكتب مفردة للحفاظ والمحدثين ونزاع قديم بين المتقدمين والمتاخرين والحق
ما ذهب اليه سلف الامة وائمتها من امرار الصفات على ظاهرها من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل
ولا تحريف ولا تشبيه ولا تاويل والذي ذهب اليه ابو الحسن الاشعري انه سبحانه مستو على عرشه
بغير حد ولا كيف والى هذا القول سبقه الجماهير من السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتبعهم
والمجتهدين الاربعة واهل الحديث والاثر الذين يمرون الصفات كما وردت من دون تحريف ولا
تعطيل ولا تاويل والبحث في تحقيق هذا يطول جدا وليس هذا موضع بسط ذلك ردا وتعقبا وقد
اوضحنا ذلك ايضاحا شافيا في رسائلنا الانتقاد الرجيح وهداية السائل وبغية الرائد و
غيرها فليرجع اليها (لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) من الموجودات وقيل يعني
الهواء (وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ) هو في اللغة التراب الندي فان لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ثرى اي
ما تحت التراب الندي من شيء والمراد الارضون السبع لانها تحته قال الواحدي والمفسرون يقولون
انه سبحانه اراد الثرى الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الارض ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله
سبحانه قال قتادة الثرى كل شيء مبتل واخرج ابو يعلى عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل ما تحت هذه
الارض قال الماء قيل فما تحت الماء قال ظلمة قيل فما تحت الظلمة قال الهواء قيل فما تحت الهواء قال
الثرى قيل فما تحت الثرى قال انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق واخرج ابن مردويه عنه
نحوه باطول منه (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) الجهر بالقول هو رفع الصوت به

والسر ما حدث به الانسان غيره او اسره اليه والاخفى من السر هو ما حدث به الانسان نفسه وخطره ببالـه والمعنى ان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن ذلك فانه يعلم السر وما هو اخفى من السر فلا حاجة لك الى الجهر بالقول وفي هذا معنى النهي عن الجهر كقوله سبحانه واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة وقيل السر ما اسر الانسان في نفسه والاخفى منه هو ما خفي على ابن ادم مما هو فاعله وهو لا يعلمه وبه قال ابن عباس ونحوه فانه يعلم ذلك كله فيما مضى من ذلك وما بقي علما واحدا وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة وهو كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقيل السر ما اضمره الانسان في نفسه والاخفى منه ما لم يكن ولا اضمره احد وقيل السر سر الخلائق والاخفى منه سر الله عز وجل وانكر ذلك ابن جرير وقال ان الاخفى ما ليس في سر الانسان وسيكون في نفسه وعن ابن عباس ايضا قال السر ما علمته انت والخفى ما قذف الله في قلبك مما لم تعلمه وفي لفظ يعلم ما تسر في نفسك ويعلم ما تعمل غدا وفي الاية تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله تعالى واسماعه بل لغرض اخر كتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ودفع الشواغل والوساوس ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجوار ثم ذكر ان الموصوف بالعبادة على الوجه المذكور هو الله سبحانه المتنزه عن الشريك المستحق للتسمية بالاسماء الحسنى فقال الله اي الموصوف بهذه الصفات الكمالية الله وجملة لا اله الا هو مستانفة لبيان اختصاص الالهية به سبحانه اي لا اله في الوجود الا هو وهكذا جملة له الاسماء الحسنى مبينة لاستحقاقه تعالى لها وهي التسعة والتسعون التي ورد بها الحديث الصحيح وقد تقدم بيانها في سورة الاعراف والحسنى تانيث الاحسن فهي اسم تفضيل يوصف به الواحد من المؤنث والجمع من المذكر ثم قرر سبحانه امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث بذكر قصة موسى المشتملة على القدرة الباهرة والخبر الغريب فقال وهل اتاك حديث موسى الاستفهام للتقرير ومعناه اليس قد اتاك وقيل معناه قد اتاك وقال الكلبي لم يكن قد اتاه حديث موسى اذ ذاك وفي سياق هذه القصة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لما يلاقيه من مشاق احكام النبوة وتحمل اثقالها ومقاساة خطوبها وان ذلك شان الانبياء قبله وانه امر مستمر فيما بينهم كابرا عن كابر حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم موسى مقالته حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو فالمراد بالحديث القصة الواقعة لموسى اذ رأى نارا اي اذكر وقت رؤيته نارا وقيل اي حين

رأى نارا كان كيت وكيت وكانت رؤيته للنار في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد
مسافرا الى امه بعد استيذانه لشعيب وكانت ليلة الجمعة فقال لاهله امكثوا المراد بالاهل هنا امرأته
وهي بنت شعيب واسمها صفوراء وقيل صفوريا وقيل صفورة واسم اختها ليا وقيل شرقا وقيل عبرا
واختلف في التي تزوجها موسى هل هي الصغرى او الكبرى والجمع لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم وقيل المراد بهم
المرأة والولد والخادم وللعنعزاقيه امكثوا وذلك في مسيره من مدين طالبا مصر لما قضى الاجل الذي
جعله عليه شعيب وبينها وبين مصر ثمان مراحل وعبر بالمكث دون الاقامة لانها تقتضي الدوام والمكث
ليس كذلك اني آنست نارا اي ابصرت يقال آنست الصوت سمعته وآنست الرجل ابصرته وقيل الايناس
الابصار البين ومنه انسان العين لانه يبصر به الاشياء وقيل هو الوجدان وقيل الاحساس فهو اعم
من الابصار وقيل الايناس مختص بابصار ما يؤنس والجملة تعليل للامر بالمكث ولما كان الاتيان بالقبس
ووجود الهدى متوقعين بنى الامر على الرجاء فقال لعلي لعدم الجزم بوفاء الوعد آتيكم منها
اي من النار بقبس هو الجذوة والشعلة من النار في رأس عود او قصبة او فتيلة وهو فعل بمعنى
مفعول كالقبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض وكذا المقباس يقال قبست منه نارا اقبس قبسا فاقبسني
اي اعطاني وكذا اقتبست قال اليزيدي اقبست الرجل علما وقبسته نارا ففرق بينهما هذا قول المبرد
فان كنت طلبتها له قلت اقبسته وقال الكسائي اقبسته نارا وعلما سواء قال وقبسته ايضا فيهما او لمنع
الخلو وهو الظاهر دون الجمع اجد على النار وحرف الاستعلاء للدلالة على ان اهل النار مستعلون
على اقرب مكان اليها كما قال سيبويه هدى اي هاديا يهديني الى الطريق ويدلني عليها قاله ابن عباس
وكان اخطأها لظلمة الليل قال الفراء اراد هاديا فذكره بلفظ المصدر او عبر بالمصدر لقصد المبالغة
على حذف المضاف اي ذا هدى ولعله لم يقل قوما يهدونني كما في الكشاف اذ كلا دليل على ما فوق الواحد
فلما اتاها اي النار التي انسها نودي من الشجرة كما هو مصرح بذلك في سورة القصص اي من جهتها ومن ناحيتها
قيل كانت الشجرة سمرة خضراء وقيل كانت من عوسج وقيل كانت من العليق وقيل شجرة من العناب والله
اعلم بما كان وقيل لم يكن الذي رآه نارا بل كان نورا وذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا وقيل هي
النار بعينها وهي احدى حجب الرب سبحانه ويدل له ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلعم قال
حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم نودي اي نودي

من الشجرة فقيل يا موسى وهذا اول المكالمة بينه وبين الله تعالى وسيأتي آخرها وهو قوله ان
العذاب على من كذب وتولى وهذا بالنسبة لهذه الواقعة وهذه الحالة والا فله مكالمات أُخر
فقال موسى من المتكلم فقال الله تعالى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فعرف انه كلام الله تعالى وليس هذا النداء
والخطاب هو الذي وقع فيه الصعقة ودك الجبل كما تقدم ذكره في سورة الاعراف بل هذا غيره
اذ هذا اول بدء رسالة وذلك انما كان بعد غرق فرعون حين اعطاه الله التورية فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ امره
الله سبحانه بخلع نعليه تعظيما لان الحفوة ابلغ في التواضع واقرب الى التشريف والتكريم وحسن التأدب وقيل
معناه انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادي المقدس والاول اولى قيل ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين
قال النسفي والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما والقاهما من وراء الوادي
انتهى وقيل لانهما كانا من جلد حمار ميتا او من جلد غير مدبوغ قاله علي وابن مسعود وروي عن السدي وقتادة
وقيل معنى الخلع لهما تفريغ القلب من الاهل والمال وهو من بدع التفاسير ثم علل سبحانه الامر بالخلع فقال
إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ اي المطهر والمبارك والقدس الطهارة والارض المقدسة المطهرة سميت بذلك
لان الله تعالى اخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين طُوًى اسم الوادي قال الجوهري هو اسم موضع
بالشام يكسر طاؤه ويضم ويصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه
جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة وقيل طوى كثنى من الطي مصدر لنوديت اي نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى
قال ابن عباس يعني الارض المقدسة وذلك انه مر بواديها ليلا فطوى يقال طويت وادي كذا وكذا
وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوى في استدارته وَأَنَا اخْتَرْتُكَ بالافراد وقرئ انا اخترناك
بالجمع قال النحاس والاولى اولى لانها اشبه بالخط واولى بنسق الكلام لقوله يا موسى اني انا ربك والمعنى
اصطفيتك بالنبوة والرسالة فنبأه وارسله في ذلك الوقت وفي ذلك المكان وكان عمره اربعين
سنة فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى اليك مني او للوحي وفيه نهاية الهيبة والجلال له كانه قال لقد جاءك امر
عظيم فتأهب له إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ثم امره بالعبادة فقال فَاعْبُدْنِي لان اختصاص الالهية
به سبحانه موجب لتخصيصه بالعبادة وَأَقِمِ الصَّلَاةَ خصها بالذكر مع كونها داخلة تحت الامر بالعبادة
لكونها اشرف طاعة وافضل عبادة وعلل الامر باقامة الصلوة بقوله لِذِكْرِي اي لتذكرني فان الذكر
الكامل لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او المعنى لتذكرني فيهما لاشتمالهما على الاذكار او لذكري



بلا لا به ضير ضلة الاية على هذا التحريض لتجزى كل نفس بما تسعى اي بسعيها والسعي وان كان ظاهرا في الافعال
فهو ههنا يعم الافعال والتروك للقطع بان تارك ما يجب عليه معاقب بتركه ماخوذ به فلا يصدنك
عنها اي لا يصرفنك عن الايمان بالساعة والتصديق بها او عن ذكرها ومراقبتها وهذا اولى وان كان
للنهي بطريق التهييج والالهاب وقيل الضمير للصلوة بعيد من لا يؤمن بها من الكفرة وهذا النهي وان كان للكافر
بحسب الظاهر فهو في الحقيقة نهي له صلى الله عليه وسلم عن الانصداد او عن اظهار اللين للكافرين فهو من باب لا
ارينك ههنا كما هو معروف واتبع هويه اي هوى نفسه بالانهماك في اللذات الحسية الفانية وفي انكار
الساعة فتردى اي فتهلك فان انصدادك عنها بصد الكافرين لك مستلزم للهلاك ومستتبع له وما
تلك بيمينك يا موسى قال الزجاج والفراء ان تلك اسم ناقص وصلت بيمينك اي ما التي بيمينك وروي
عن الفراء انه قال تلك بمعنى هذه ولو قال ما ذلك لجاز اي ما ذلك الشيء والاول اولى قال الكوفيون قال
الزجاج ومعنى السوال من العصا التنبيه له عليها لتقع المعجزة بها بعد التثبيت فيها والتامل لها قال الفراء
ومقصود السوال تقرير الامر حتى يقول موسى هي عصاي لتثبيت الحجة عليه بعد ما اعترف والا فقد علم
الله ما هي في الازل وقيل السؤال للتوطين لئلا يهوله انقلابها حية او للايناس ورفع الهيبة للمكالمة
قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل قال ابن عباس اعطاه ملك من الملائكة اذ توجه الى مدين
فكانت تضيء له بالليل ويضرب بها الارض فيخرج له النبات ويهش بها على غنمه ورق الشجر وعن قتادة
كانت تضيء له بالليل وكانت عصى آدم عليه السلام وورثها شعيب واعطاها موسى بعد ان زوجه ابنته
قيل وكان لها شعبتان وفي اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة اتوكؤ عليها اي اتحامل عليها في المشي
واعتمدها عند الاعياء والوقوف على قطيع الغنم وعند الوثوب والخوض للقيام ومنه الاتكاء واهش بها
على غنمي هش بالعصا يهش هشا اذا خبط بها الشجر ليسقط منه الورق اي اضرب بها الشجر فيتساقط منه
الورق على غنمي قاله عكرمة وقد روي نحو هذا عن جماعة من السلف وقرأ النخعي اهس بالسين المهملة
وهو زجر الغنم وكذا قرأ عكرمة وقيل هما لغتان بمعنى واحد ولما ذكر تفصيل منافع العصا عقبه بالاجمال
فقال ولي فيها مآرب اي حوائج اخرى قاله مجاهد وقتادة واحدها مأربة مثلث الراء كذا قال ابن
الاعرابي وقطرب في القياس اخر وانما قال اخرى ردا الى الجماعة او لنسق الاخرى ولما ذكر بعضها شكرا
اجمل الباقي حياء من التطويل او ليسأل عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام ويتلذذ بالخطاب وقد تعرض

قوم لتعداد منافع العصا فذكروا من ذلك اشياء منها قول بعض العرب عصاي اركزها لصلوتي و
اعدها لعداتي واسوق بها دابتي واقوى بها على سفري واعتمد بها في مشيتي ليتسع خطوي واثب بها
النهر وتؤمنني العثر والقي عليها كسائي فتقيني الحر وتدفيني من القر وتدني الي ما بعد مني وهي تحمل
سفرتي وعلاقة اداوتي اعصي بها عند الضراب واقرع بها الابواب واتقي بها عقور الكلاب وتنوب عني
الرمح في الطعان وعن السيف عند منازلة الاقران ورثتها عن ابي واورثها بعدي بني انتهى وقال الشوكاني
قد وقفت على مصنف في مجلد لطيف في منافع العصا لبعض المتأخرين وذكر فيه اخبارا واشعارا وفوائد
لطيفة ونكتا رشيقة وقد جمع الله سبحانه لموسى في عصاه من البراهين العظام والآيات الجسام ما
امن به من كيد السحرة ومعرة المعاندين واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلوته
وكان ابن مسعود صاحب عصا النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته وكان يخطب بالقضيب وكذلك الخلفاء من بعده
وكان عادة العرب العرباء اخذ العصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب وقال
بعضهم امساك العصا سنة الانبياء وزينة الصلحاء وسلاح على الاعداء وعون للضعفاء وغم
للمنافقين وزيادة في الطاعات ويقال اذا كان مع المؤمن العصا يهرب منه الشيطان ويخشع
منه المنافق والفاجر وتكون قبلته اذا صلى وقوته اذا اعيا قال القها يا موسى هذه جملة مستانفة
امره سبحانه بالقائها ليريه ما جعل له فيها من المعجزة الظاهرة فالقاها اي طرحها موسى على الارض
فاذا هي حية تسعى ولم تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فاكلتها ومرت بصخرة فابتلعتها فجعل موسى
يسمع وقع الصخرة في جوفها قاله ابن عباس وذلك بقلب الله سبحانه لاوصافها واعراضها حتى صارت
حية تسعى اي تمشي بسرعة وخفة على بطنها قيل كانت عصا ذات شعبتين فصار الشعبتان فما وباقيها
جسم حية تنتقل من مكان الى مكان وتلتقم الحجارة مع عظم جرمها وفظاعة منظرها وقال في موضع
اخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر كانها ثعبان وهو اكبر ما يكون من
الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى وقيل كانت في عظم الثعبان و
سرعة الجان وقيل سماها جانا تارة نظرا للمبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية تارة اخرى باعتبار الاسم
الذي يعم الحالين فلما راها كذلك خاف وفزع وولى مدبرا ولم يعقب فنودي ان يا موسى وقال سبحانه عند
ذلك خذها ولا تخف منها سنعيدها سيرتها الاولى اي حالتها الاولى قال ابن عباس فلم ياخذها

ثم نودي الثانية ان خذها ولا تخف فلم يأخذها فقيل له في الثالثة انك من الآمنين فأخذها
قال الاخفش والزجاج التقدير الى سيرتها مثل واختار موسى قومه قال ويجوز ان يكون مصدراً لان
معنى سنعيدها سنسيرها او سائرة او مسيرة والمعنى سنعيدها بعد اخذك لها الى حالتها الاولى التي
هي العصوية والاولى تأنيث الاول والسيرة الحالة التي يكون عليها الانسان غريزية او مكتسبة وهي في
الاصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة والهيئة قيل انه لما قيل
له لا تخف طابت نفسه حتى بلغ من عدم الخوف الى ان كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحيتها قال المحلي
وارى ذلك موسى لئلا يجزع اذا انقلبت حية لدى فرعون واضمم يدك اليمنى بمعنى الكف لا بمعنى
حقيقتها وهي الاصابع الى المنكب الى جناحك قال الفراء والزجاج جناح الانسان عضده وبه قال
مجاهد وقال الى بمعنى تحت وقال قطرب جنبه وعبر بالجناح عن الجنب لانه في محل الجناح وقال مقاتل
الى بمعنى مع اي مع جناحك الايسر تحت العضد الى الابط وجواب الامر تخرج يدك خلاف ما كانت عليه من الادمة
حال كونها بيضاء نيرة مشرقة كائنة من غير سوء اي عيب كنى به عن البرص ويسمى هذا عند اهل البيان
الاحتراس وهو ان يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد وذلك ان البياض قد يراد به البرص والبهق فأتى
بقوله من غير سوء نفياً لذلك والمعنى تخرج بيضاء ساطعاً نورها تضيء بالليل والنهار كضوء
الشمس تغشى البصر من غير برص وبه قال ابن عباس آية اي معجزة اخرى غير العصا وقال الاخفش انها
بدل من بيضاء قال النحاس وهو قول حسن وقال الزجاج المعنى آتيناك او نؤتيك آية اخرى لانه
لما قال تخرج بيضاء دل على انه قد اتاه آية اخرى ثم علل سبحانه ذلك بقوله لنريك من آياتنا
الكبرى قيل والتقدير فعلنا ذلك لنريك والكبرى معناها العظمى اي لنريك بهاتين الآيتين يعني
اليد والعصا بعض آياتنا الكبرى على رسالتك فلا يلزم ان تكون اليد هي الآية الكبرى وحدها حتى
تكون اعظم من العصا فيرد على ذلك انه لم يكن في اليد الا تغير اللون فقط بخلاف العصا فان فيها
مع تغير اللون الزيادة في الحجم وخلق الحياة والقدرة على الامور الخارقة ومن قال هي اليد قال لانها
لم تعارض اصلاً واما العصا فقد عارضها السحرة والاول اولى ثم صرح سبحانه بالغرض المقصود من هذه
المعجزات فقال اذهب رسولاً الى فرعون ومن معه بهاتين الآيتين العصا واليد وانظر رسالته
لبني اسرائيل من ان تؤخذ قال بعضهم تؤخذ من قوله وانا اخترتك اي للنبوة والرسالة وخصه بالذكر

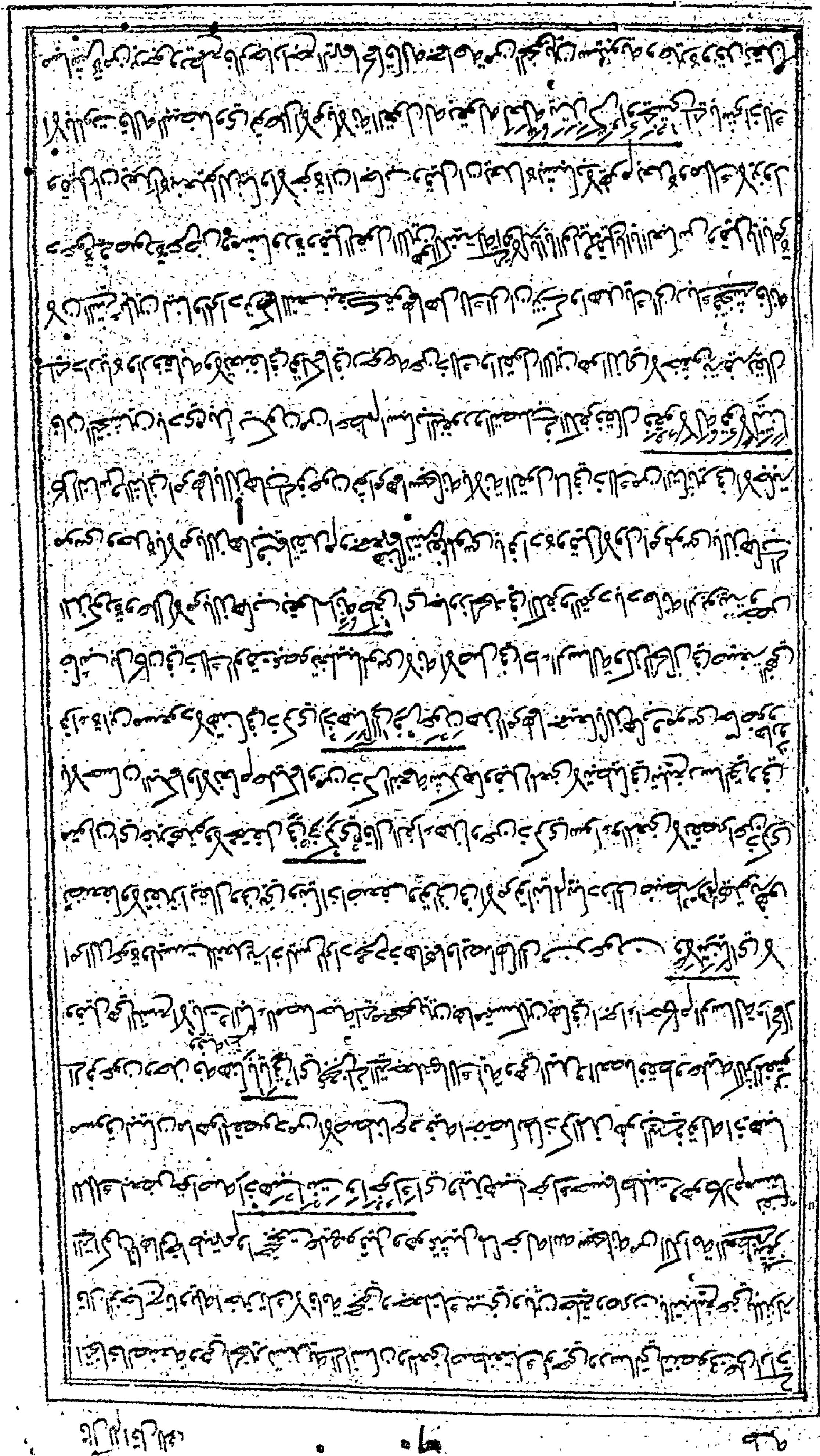
لان قومه تبع له ثم علل ذلك بقوله إِنَّهُ طَغَىٰ اي عصى وتمرد وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد في كفره
وادعاء الالهية قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي مستأنفة كأنه قيل فماذا قال موسى فمعنى شرح الصدر توسيعه
تضرع عليه السلام الى ربه واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون والتيسير معناه التسهيل ولي في الموضعين
لرفع الابهام فكان الكلام لطلب الشرح لصدره والتيسير لامره ويقال يسرته لكذا ومنه هذه الآية
ويسرته لكذا ومنه فسنيسره لليسرى وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يعني العجمة التي كانت فيه من الجمرة
التي القاها في فيه وهو طفل اي اطلق عن لساني العقدة التي فيه قيل اذهب الله سبحانه تلك العقدة
جميعها بدليل قوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وقيل لم تذهب كلها لانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية
بل سأل حل عقدة تمنع الافهام بدليل قوله من لساني اي كائنة من عقد لساني ويؤيد ذلك قوله هو افصح
مني لسانا وقوله حكاية عن فرعون ولا يكاد يبين وجواب الامر قوله يَفْقَهُوا قَوْلِي اي لكي يفهموا كلامي
عند تبليغ الرسالة والفقه في كلام العرب الفهم ثم خص به علم الشريعة والعالم به فقيه قاله الجوهري
وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي اي معينا وظهيرا والوزير الموازر كالاكيل المواكل لانه يحمل عن السلطان
وزره اي ثقله قال الزجاج واشتقاقه في اللغة من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به لينجي من الهلكة
ومنه قوله تعالى كلا لا وزر والوزير الذي يعتمد الملك على رأيه في الامور ويلتجي اليه وقال الاصمعي هو
مشتق من الموازرة وهي المعاونة نقله الزمخشري عن الاصمعي هَارُونَ أَخِي وكان اكبر من موسى وافصح
لسانا واجمل واوسم وكان موسى آدم اقنى جعدا اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي على صيغة الدعاء
اي يا رب احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة والازر القوة يقال آزره اي قواه وقيل الظهر اي اشدد
به ظهري وقرئ اشدد بهمزة قطع واشركه بضم الهمزة اي اشدد انا به ازري واشركه انا في امري
قال ابن عباس نبئ هارون ساعتئذ حين نبئ موسى كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا لان
الذكر والتسبيح هو الغاية من الدعاء للتقدم والمراد التسبيح هنا باللسان وقيل المراد به الصلوة إِنَّكَ كُنتَ
بِنَا بَصِيرًا اي مبصرا والبصير العالم بخفيات الامور وهو المراد هنا اي انك كنت بنا عالما في صغرنا فاحسنت
الينا فاحسن ايضا كذلك الآن ثم اخبره الله سبحانه بانه قد اجاب ذلك الدعاء قَالَ قَدْ أُوتِيتَ
سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ اي اعطيت ما سألته منا عليك والسؤل المسؤل اي المطلوب كقولك خبز بمعنى مخبوز

ومسئوله هو قوله رب اشرح لي وزيادة قوله يا موسى للتشريف بالخطاب مع رعاية الفواصل ولقد
مننا عليك مرة أخرى كلام مستأنف لتقوية قلب موسى بتذكيره نعم الله عليه والمن الاحسان
والافضال والمعنى ولقد احسنا اليك قبل هذه المرة وهي حفظ الله سبحانه له من شر الاعداء كما بينه
سبحانه ههنا واخرى تانيث آخر بمعنى غير وحاصل ما ذكره من المنن عليه من غير سؤال ثمانية الاولى
قوله إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى الى قوله وعدو له اي مننا ذلك الوقت وهو وقت الايحاء والمراد
اما مجرد الالهام لامه واسمها يوحانذ قاله السيوطي في شرح النقاية او في النوم بان اراها ذلك او على
لسان نبي او على لسان ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم او باخبار الانبياء المتقدمين بذلك
فانتهى الخبر اليها والمراد بما يوحى ما سياتي من الامر لها ابهمه اولا وفسره ثانيا تفخيما لشانه بقوله أن مفسرة لان
الوحي فيه معنى القول او بان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم القذف ههنا الطرح اي اطرحيه
في البحر واليم البحر والنهر الكبير قال الفراء هذا امر وفيه المجازاة اي اقذفيه والتابوت الصندوق
فليلقه اليم بالساحل الامر للبحر مبني على تنزيله منزلة من يفهم ويميز لما كان القاؤه اياه بالساحل
امرا واجب الوقوع وهذا امر معناه الخبر وانما جيء به بصيغة الامر مبالغة اذ الامر اقطع الافعال
واكدها والساحل هو شط البحر سمي ساحلا لان الماء سحله قال ابن دريد والمراد هنا ما يلي الساحل
من البحر لا نفس الساحل والضمائر كلها لموسى لا للتابوت وان كان قد القي معه لكن المقصود هو موسى مع كون
الضمائر قبل هذا وبعده له قال السدي اليم هو النيل يأخذه عدو لي وعدو له جواب الامر بالالقاء او القذف
والمراد بالعدو فرعون فان ام موسى لما القته في البحر وهو النيل المعروف وكان يخرج منه نهر الى دار فرعون
فساقه الله في ذلك النهر الى داره فاخذ التابوت فوجد موسى فيه وقيل ان البحر القاه بالساحل فنظره فرعون فامر
من يأخذه وقيل وجدته ابنة فرعون والاول اولى والمنة الثانية قوله وألقيت عليك محبة مني
اي القاه على موسى محبة عظيمة كائنة من الله تعالى في قلوب عباده لا يراه احد الا احبه وقيل جعل
عليه مسحة من جمال لا يراه احد من الناس الا احبه وقال ابن جرير المعنى والقيت عليك رحمتي وقيل
المعنى احببتك ومن احبه الله احبه الناس والقلوب لا محالة قال ابن عباس كان من رآه القيت عليه منه محبة
وعن سلمة بن كهيل قال حببتك الى عبادي والمنة الثالثة قوله ولتصنع على عيني اي ولتربى وتغذى
بمرأى مني ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الانسان الشيء بعينه اذا اعتنى به قال الزمخشري والعين هنا

يعني الرعاية مجاز مرسل من اطلاق السبب على المسبب يقال صنع الرجل جاريته اذا رباها وصنع فرسه
اذا داوم على علفه والقيام عليه وتفسير على عيني بمرأى مني صحيح قال النحاس وذلك معروف في اللغة
ولكن لا يكون في هذا تخصيص لموسى فان جميع الاشياء بمرأى من الله وقال ابو عبيدة وابن الانباري
ان المعنى لتغذى على محبتي وارادتي تقول اتخذ الاشياء على عيني اي على محبتي قال ابن الانباري العين
في هذه الآية يقصد بها قصد الارادة والاختيار من قول العرب غدا فلان على عيني اي على المحبة مني
قيل اي فعلت ذلك لتصنع وقيل اي ولتصنع على عيني قدرنا مشي اختك والعين ايضا من الفاظ الصفات
فلا نؤول ونجريه على ظاهرها وهو الاولى وقرئ ولتصنع باسكان اللام على الامر وقرئ بفتح التاء والمعنى ولتكون
حركتك وتصرفك بمشيئتي وعلى عين مني وقال الزمخشري قريبا منه إذ تمشي أختك وكانت شقيقته
واسمها مريم وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية فتقول هل أدلكم على من يكفله وذلك
انها خرجت متعرفة لخبره فوجدت فرعون وامرأته آسية يطلبان له مرضعة فقالت لهما هذا
القول اي هل ادلكم على من يضمه الى نفسه ويربيه ويكمل له رضاعه وكانت امه قد ارضعته ثلاثة
اشهر وقيل اربعة قبل القائه في اليم فقالا لها ومن هو قالت امي فقالا هل لها لبن قالت نعم لبن اخي
هارون اكبر من موسى بسنة وقيل باكثر فجاءت الام فقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي مرضعة غيرها
وهذا هو معنى فرجعناك إلى أمك وفي مصحف ابي فرددناك وهذه هي المنة الرابعة كي تقر عينها
بلقائك قال الجوهري قررت به عينا قرة وقرورا ورجل قرير العين وقد قرت عينه تقر وتقر نقيض سخنت و
المراد بقرة العين السرور برجوع ولدها اليها بعد ان طرحته في البحر وعظم فراقه عليها ولا تحزن حينئذ
اي لا يحصل لها ما يكدر ذلك السرور من الحزن بسبب من الاسباب ولو اراد الحزن بالسبب الذي قرت عينها
بزواله لقدم نفي الحزن على قرة العين فيحمل هذا النفي على ما يحصل بسبب يطرأ بعد ذلك ويمكن ان
يقال ان الواو لما كانت لمطلق الجمع كان هذا الحمل غير متعين قال البيضاوي ولا تحزن انت يا موسى على
فراقها او فقد اشفاقها وهو تعسف والمنة الخامسة قوله وقتلت نفسا المراد بالنفس هنا نفس القبطي
الذي وكزه موسى فقضى عليه واسمه قانان وكان طباخا لفرعون وكان قتله له خطأ وكان
عمره اذ ذاك اثنتي عشرة سنة وقيل ثلاثين سنة فنجيناك من الغم اي الغم الحاصل معك من قتله خوفا
من العقوبة الاخروية او الدنيوية او منهما جميعا وقيل من جهة فرعون لا من جهة قتله لانه كان



كافرا وايضا فقتله له كان خطأ وقيل الغم هو القتل بلغة قريش وما ابعد هذا والمنة السادسة
قوله وفتناك فتونا الفتنة تكون بمعنى المحنة وبمعنى الامر الشاق وكل ما يبتلى به الانسان والفتون مصدر
كالثبور والشكور والكفور اي ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا او فتونا من الابتلاء على انه
جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك
مرة بعد مرة مما وقعت فيه من المحن التي سبق ذكرها قبل ان نصطفيك لرسالتنا اولها ان امه حملته
في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاءه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدي امه
ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهر ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين
خائفا وقد اخرج عبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن
عباس اثرا طويلا في تفسير هذه الاية فمن احب استيفاء ذلك فلينظر في كتاب التفسير من سنن النسائي
ولعل المقصود بذكر تنجيته من الغم الحاصل له بذلك السبب وتنجيته من المحن هو الامتنان عليه
بصنع الله سبحانه وتقوية قلبه عند ملاقاة ما سيقع له من ذلك مع فرعون وبني اسرائيل والمنة
السابعة قوله فلبثت سنين في اهل مدين قال الفراء تقدير الكلام وفتناك فتونا فخرجت الى اهل
مدين فلبثت سنين ومثل هذا الحذف كثير في التنزيل وكذا في كلام العرب فانهم يحذفون
كثيرا من الكلام اذا كان المعنى معروفا ومدين هي بلد شعيب وكانت على ثمان مراحل من مصر هرب اليها
موسى فاقام بها عشر سنين وهي اتم الاجلين وقيل اقام عند شعيب ثمانية وعشرين سنة منها عشر
مهر امرأته ابنة شعيب ومنها ثماني عشرة سنة بقي فيها عنده حتى ولد له ثم جئت على قدر يا موسى
اي في وقت سبق في قضائي وعلمي وقدري ان اكلمك واجعلك نبيا او على ميقات ومقدار من الزمان
يوحى فيه الى الانبياء قاله ابن عباس وهو راس اربعين سنة او على موعد قد عرفته باخبار
شعيب لك به قاله مجاهد وقتادة قال الشاعر ~ نال الخلافة اذ كانت له قدرا + كما اتى
ربه موسى على قدر + وكلمة ثم المفيدة للتراخي للدلالة على ان مجيئه عليه السلام كان بعد مدة
وذلك بسبب ما وقع له من ضلال الطريق وتفرق غنمه ونحو ذلك وعلى بمعنى مع وفي قوله يا
موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت
قبل المرة المحكية اولا والمنة الثامنة قوله واصطنعتك لنفسي بالرسالة والاصطناع



حقيقته في غير موضع قال الزجاج لعل لفظة طمع وترج فخاطبهم بما يعقلون وقيل لعل هنا
بمعنى الاستفهام والمعنى فانظرا هل يتذكر او يخشى وقيل بمعنى كي والتذكر للنظر فيما بلغاه من الذكر
وامعان الفكر فيه حتى يكون ذلك سببا في الاجابة والخشية هي خشية عقاب الله الموعود به
على لسانهما وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع وفائدة ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علم الله بانه
لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات قالا ربنا اننا
نخاف اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى تغليبا للاثنين باصالته في كل قول وفعل
او قاله هارون بعد ملاقاتهما فحكى ذلك مع قول موسى عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق
الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب ان يفرط فرعون علينا بفتح
الياء وضم الراء اي يعجل ويبادر بعقوبتنا قاله ابن عباس يقال فرط منه امر اي بدر ومنه الفارط
هو الذي يتقدم القوم الى الماء اي يعذبنا عاجل الفارط في الذنب وهو المتقدم فيه كذا قال المبرد و
قال ايضا فرط منه امر وافرط اسرف وفرط ترك وقرئ يفرط بضم الياء وفتح الراء اي يحمله حامل على التسرع
الينا وقرأت طائفة من الافراط اي يشتط في اذيتنا اي فلا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة او ان
يطغى اي يعتدي قاله ابن عباس واظهار كلمة ان مع استقامة المعنى بدونها لاظهار كمال الاعتناء بالامر
والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال تعالى لا تخافا مما توهمتماه من الامرين ثم علل ذلك بقوله انني
معكما بالنصر لكما والمعونة على فرعون اسمع وارى اي ادرك ما يجري بينكما وبينه بحيث لا يخفى علي
منه خافية ولست بغافل عنكما فافعل في كل حال ما يليق بكما من دفع ضرر وجلب نفع وعن ابن جريج
قال اسمع ما يقول وارى ما يجاوبكما به فاوحي اليكما فتجاوباه وعن ابن مسعود قال لما بعث الله موسى
الى فرعون قال رب اي شيء اقول قال قل هيا شراهيا قال الاعمش تفسير ذلك الحي قبل كل شيء والحي بعد
كل شيء وجود السيوطي اسناده وسبقه الى تجويد اسناده ابن كثير في تفسيره ثم امرهما باتيانه الذي هو
عبارة عن الوصول اليه بعد ما امرهما بالذهاب اليه فلا تكرار فقال فأتياه فقولا امرهما ان يقولا ستجمل
الاول قوله انا رسولا ربك ارسلنا اليك فارسل معنا بني اسرائيل اي خل عنهم واطلقهم من الاسر
القسر ولا تعذبهم بالبقاء على ما كانوا عليه وقد كانوا عند فرعون في عذاب شديد يذبح ابناءهم

ويستحيي نساءهم ويكلفهم من العمل ما لا يطيقونه من الحفر والبناء وحمل الثقيل ثم امرهما سبحانه ثانيا
ان يقولا لفرعون قد جئناك بآية من ربك قيل هي العصا واليد وقيل ان فرعون قال
لهما وما هي فادخل موسى يده في جيب قميصه ثم اخرجها ولها شعاع كشعاع الشمس فعجب فرعون
من ذلك ولم يره موسى العصا الا يوم الزينة وهذه الجملة جارية من الجملة الاولى مجرى البيان والتفسير
لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي مجيء الآية وانما وحد باية ولم يأت ومعه آيتان لان المراد
مجرد تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قيل قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة
والسلام اي السلامة من العذاب على من اتبع الهدى قال الزجاج اي من اتبع الهدى سلم من سخط
الله عز وجل ومن عذابه وليس بتحية قال والدليل على ذلك انه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب قال الفراء
السلام على من اتبع ولمن اتبع سواء والجملة السادسة قوله انا قد اوحي الينا من جهة الله سبحانه ان
العذاب على من كذب ما جئنا به وتولى اعرض عنه والمراد بالعذاب الهلاك والدمار في الدنيا
والخلود في النار والمراد بالتكذيب التكذيب بآيات الله وبرسله والتولي الاعراض عن قبولها والايمان بها قال قتادة كذب
كتاب الله وتولى عن طاعته فاتياه وقالا جميع ما ذكر وسارعا الى الامتثال من غير تلعثم قال فرعون لهما
فمن ربكما يا موسى فاضاف الرب اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون بالرسول ولانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل
ولم يضفه الى نفسه لعدم تصديقه لهما وجحده للربوبية وغاية عتوه ونهاية طغيانه وخص موسى
بالنداء لكونه الاصل في الرسالة وقيل لمطابقة رؤوس الآي والاول اولى قال موسى مجيبا له ربنا الذي
اعطى كل شيء خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره وقرئ بفتح اللام على انه فعل وبسكون اللام والمعنى
اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق بالمنفعة المنوطة به المطابقة له كاليد للبطش والرجل للمشي
واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع كذا قال الضحاك وغيره قال الحسن وقتادة اعطى كل
شيء صلاحه وهداه لما يصلحه وقال مجاهد المعنى لم يخلق خلق الانسان في خلق البهائم ولا خلق
البهائم في خلق الانسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا ومنه قول الشاعر ـ وله في كل
شيء خلقه + وكذاك الله ما شاء فعل + وقال الفراء المعنى خلق للرجل المرأة ولكل ذكر ما يوافقه من الاناث
او المعنى اعطى خلقه كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به ومعنى ثم هدى انه سبحانه هداهم
الى طريق الانتفاع بما اعطاهم فانتفعوا بكل شيء فيما خلق له او المعنى اعطى كل شيء خلقه الله سبحانه

ولم يخله من عطائه قال ابن عباس خلق لكل شيء زوجة ثم هدى قال هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه
ومسكنه ولما سمع فرعون ما احتج به موسى في ضمن هذا الكلام على اثبات الربوبية ولظهره في سلك
الاستدلال من البرهان النير كما لا يخفى من ان الخلق والهداية ثابتان بلا خلاف ولا بد لهما من خالق هاد
وذلك الخالق والهادي هو الله سبحانه لا رب غيره خاف ان يظهر للناس حقية ما قاله موسى وبطلان
خرافاته اراد ان يصرف موسى عن نسبته الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات
لاجل ان يرى قومه ان عنده معرفة قال فما بال القرون الاولى كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم
الاوثان فانهم لم تقر بالرب بل عبدتم الاوثان ونحوها من المخلوقات ومعنى البال الحال والشأن اي ما حالهم
وما شأنهم وما جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجابه موسى وقال علمها عند ربي اي ان هذا
الذي سألت عنه ليس مما نحن بصدده بل هو من علم الغيب الذي استأثر الله به لا تعلمه انت ولا انا
وان العلم باحوالهم لا تعلق له بمنصب الرسالة وعلى التفسير الاول يكون المعنى ان علم هؤلاء الذين عبدوا
الاوثان ونحوها محفوظ عند الله في كتاب اي انها مثبتة في اللوح المحفوظ قال الزجاج المعنى ان اعمالهم محفوظة
عند الله يجازي بها يوم القيامة والتقدير علم اعمالها عند ربي في كتاب واعلم ان فرعون لما سأل موسى
عن الاله وكان ذلك مما سبيله الاستدلال اجابه موسى باوجز عبارة واحسن معنى ولما سأله عن القرون
الاولى وكان ذلك مما سبيله الاخبار ولم يأته خبر في ذلك وكله الى عالم الغيوب قاله الكرخي لا يضل ربي
ولا ينسى اختلف في معناه على اقوال الاول انه ابتداء كلام مستأنف تنزيه لله سبحانه عن هاتين الصفتين
وقد تم الكلام عند قوله في كتاب قاله الزجاج قال ومعنى لا يضل لا يهلك من قوله تعالى ائذا ضللنا في الارض و
لا ينسى شيئا من الاشياء فقد نزهه عن الهلاك والنسيان الثاني ان معنى لا يضل لا يخطئ قاله ابن عباس
الثالث ان معناه لا يغيب قال ابن الاعرابي اصل الضلال الغيبوبة الرابع ان المعنى لا يحتاج الى كتاب ولا
يضل عنه علم شيء من الاشياء ولا ينسى ما علمه منها حكى هذا عن الزجاج ايضا قال النحاس وهو اشبهها
بالمعنى ولا يخفى انه كقول ابن الاعرابي الخامس ان المعنى لا يذهب شيء من علمه ولا ينسى اي بعد ما علم وهذا
كالرابع السادس ان اللفظ الاول اشارة الى كونه عالما بكل المعلومات والثاني دليل على بقاء ذلك العلم
ابد الاباد وهو اشارة الى نفي التغيير السابع ان هاتين الجملتين صفة للكتاب والمعنى ان الكتاب غير ذاهب
عن الله ولا هو ناس له الذي جعل لكم الارض مهدا اي مهدها مهدا او ذات مهد وهو اسم لما يمهد

كالفراش لما يفرش وقرئ مهادا قال النحاس والجمع أولى من المصدر لأن هذا الموضع ليس موضع مصدر إلا
على حذف المضاف وقيل مهاد مفرد كالفراش أو جمع ومعناه الفراش فالمهاد جمع المهد أي جعل كل موضع
منها مهدا لكل واحد منكم وهذا من جملة كلام موسى في جواب فرعون عن سؤاله الأول فهو مرتبط
بقوله ثم هدى لكنه ذكر في خلال كلامه على سبيل الاعتراض سؤال فرعون الثاني وجوابه وسلك لكم
فيها سبلا السلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى أدخل في الأرض لأجلكم طرقا تسلكونها وسهلها لكم ووسطها
بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها
وفي آية أخرى الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ثم قال سبحانه تتميما
لما وصفه به موسى وأنزل من السماء ماء هو ماء المطر قيل إلى هنا انتهى كلام موسى وما بعده وهو فأخرجنا
به من كلام الله سبحانه قاله ابن عطية وتبعه المحلي وفيه بعد وقيل هو من الكلام المحكي عن موسى وإنما
التفت إلى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وإيذانا بأنه مطاع تنقاد
الأشياء المختلفة لمشيئته ونوقش بأن هذا خلاف الظاهر مع استلزامه فوت الالتفات لعدم اتحاد المتكلم
ويجاب عنه بأن الكلام كله محكي عن واحد وهو موسى والحاكي للجميع هو الله سبحانه والمعنى فأخرجنا بذلك الماء بسبب
الحرث والمعالجة أزواجا من نبات شتى أي ضروبا وأشباها من أصناف النبات المختلفة الألوان والطعوم
والروائح والمنافع فمنها ما هو للناس ومنها ما هو للدواب سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض والنبات
مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع وشتى جمع شتيت وزنه فعلى والفه للتأنيث وقال الأخفش
التقدير أزواجا شتى من نبات يقال أمر شت أي متفرق وشت الأمر يشت شتا وشتاتا تفرق واشتت
مثله والشتيت المتفرق وشتان اسم فعل ماض بمعنى افترق ولذلك لا يكتفى بواحد قاله السمين قال ابن عباس
شتى مختلف كلوا وارعوا أنعامكم أي قائلين لهم ذلك والأمر للإباحة وتذكير النعمة والجملة حال يقال رعت
الماشية الكلأ ورعاها صاحبها رعاية أي أسامها وسرحها يجيء لازما ومتعديا والأنعام جمع نعم وهي
الإبل والبقر والغنم والمعنى معديها لانتفاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه إن في ذلك الإشارة إلى ما تقدم ذكره
في هذه الآيات لآيات أي لعبرا لأولي النهى جمع نهية وهي العقل وسمي به لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب
القبائح وقيل إنه اسم مفرد وهو مصدر كالهدى والسرى قاله أبو علي وخص ذوي النهى لأنهم الذين ينتهى إليهم
وقال ابن عباس لأولي الحجى والعقل وعنه لأولي التقى وهذا كله من موسى احتجاج على فرعون في إثبات الصانع

جوابا لقوله فمن ربكما يا موسى منها أي من الأرض المذكورة سابقا خلقناكم قال الزجاج وغيره يعني أن
آدم خلق من الأرض وأولاده منه وقيل المعنى أن كل نطفة مخلوقة من تراب في ضمن خلق آدم لأن كل فرد
من أفراد البشر له حظ من خلقه بوسائط عديدة بقدر ما بينه وبين آدم وعلى هذا يدل ظاهر القرآن
وفيها أي في الأرض نعيدكم بعد الموت فتدفنون فيها وتتفرق أجزاؤكم حتى تصير من جنس الأرض وجاء
بفي دون إلى للدلالة على الاستقرار ومنها أي من الأرض نخرجكم كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم تارة أي
مرة أخرى بالبعث والنشور وتأليف الأجسام ورد الأرواح إليها على ما كانت عليه قبل الموت عن عطاء
الخراساني قال إن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من
التراب ومن النطفة وذلك قوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم وأخرج أحمد والحاكم عن أبي أمامة قال
لما وضعت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله وفي حديث في السنن أنه
أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر وقال منها خلقناكم ثم أخرى وقال وفيها نعيدكم ثم أخرى وقال
ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا الرؤية بصرية أي أبصرنا فرعون وعرفناه آياتنا كلها المراد بها الآيات التسع
المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات على أن الإضافة للعهد وهي العصا واليد والسنين ونقص
الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وطمس الأموال والشد على القلوب وقال أبو السعود
هي العصا واليد وجمعهما باعتبار ما في كل من الآيات انتهى وهذا مبني على أن هذا إخبار عما وقع له مع
فرعون في أول دعائه له وليس كذلك بل هذا إخبار عن جملة ما وقع له في مدة دعائه له وهي
العشرون سنة وإن هذا من جملة الكلام المعترض به في أثناء القصة وقيل المراد جميع الآيات التي جاء بها موسى
والتي جاء بها غيره من الأنبياء وإن موسى قد كان عرفه جميع معجزاته ومعجزات سائر الأنبياء والأول أولى
وقيل المراد بها حجج الله سبحانه الدالة على توحيده فكذب فرعون بها وبموسى وزعم أنها سحر وأبى عليه أن
يجيبه إلى الإيمان وأن يوحد الله وهذا يدل على أن كفر فرعون كفر عناد لأنه رأى الآيات وكذب بها كما
في قوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا مستأنفة مبنية
على جواب موسى والهمزة للإنكار لما جاء به موسى من الآيات أي جئت يا موسى لتوهم الناس بأنك نبي يجب عليهم
اتباعك والإيمان بما جئت به حتى تتوصل بذلك الإيهام الذي هو شعبة من السحر إلى أن تغلب على أرضنا

يعني مصر وتخرجنا منها ويكون لك الملك فيها وانما ذكر الملعون الاخراج من الارض لتنفير قومه
عن اجابة موسى فانه اذا وقع في اذهانهم وتقرر في افهامهم ان عاقبة اجابتهم لموسى الخروج من
ديارهم واوطانهم كانوا غير قابلين لكلامه ولا ناظرين في معجزاته ولا ملتفتين الى ما يدعو اليه من الخير
بسحرك يا موسى فيه دليل على انه خاف منه خوفا شديدا والا فاي ساحر يقدر ان يخرج ملكا من
ارضه فلنأتينك بسحر مثله اي والله لنعارضنك بمثل ما جئت به من السحر في الغرابة حتى يتبين
للناس ان الذي جئت به سحر يقدر على مثله الساحر فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر
اي وعدا وقيل اسم مكان اي اجعل لنا يوما معلوما او مكانا معلوما او اجلا وميقاتا قال الجوهري
الميعاد المواعدة والوقت والموضع وكذلك الموعد قال القشيري وابو البقاء والاظهر انه مصدر ولهذا
قال لا نخلفه اي لا نخلف ذلك الوعد ولا نجاوزه وقرئ بالرفع على انه صفة لموعدا اي لا نخلف ذلك
الموعد وقرئ بالجزم على انه جواب الامر والاخلاف ان تعد شيئا ولا تنجزه نحن توكيد مصحح للعطف على الضمير
المرفوع المستتر في نخلفه ولا انت فوض تعيين الموعد الى موسى اظهارا لكمال اقتداره على الاتيان
بمثل ما اتى به موسى مكانا منصوب باجعل على انه مفعول فيه واطال الكلام على نصبه السمين سوى
بضم السين وبكسرها وهما قراءتان سبعيتان وكسر السين هي اللغة العالية الفصيحة والمراد مكانا
مستويا وقيل مكانا منصفا عدلا بيننا وبينك قال سيبويه يقال سوى وسوى اي عدل يعني عدلا
بين المكانين قال ابو عبيدة والقتيبي معناه مكانا وسطا بين الفريقين لان المسافة من الوسط الى
الطرفين مستوية وقيل معناه سوى هذا المكان وفيه بعد ثم واعده موسى لوقت معلوم و قال موعدكم
اي زمان الوعد يوم الزينة او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب اي في يوم الزينة انجاز موعدنا
قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي كان ذلك يوم عيد يتزينون فيه وقال سعيد بن جبير كان ذلك
يوم عاشوراء وبه قال ابن عباس وعن ابن عمر نحوه وقال الضحاك يوم السبت وقيل يوم النيروز وقيل
يوم كسر الخليج وانما جعل الميعاد زمانا بعد ان طلب منه فرعون ان يكون مكانا سوى لان يوم الزينة
يدل على مكان مشهور يجتمع فيه الناس ذلك اليوم فيكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهور
على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد ولما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم و
لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم وان يحشر الناس ضحى يعني وقت ضحى

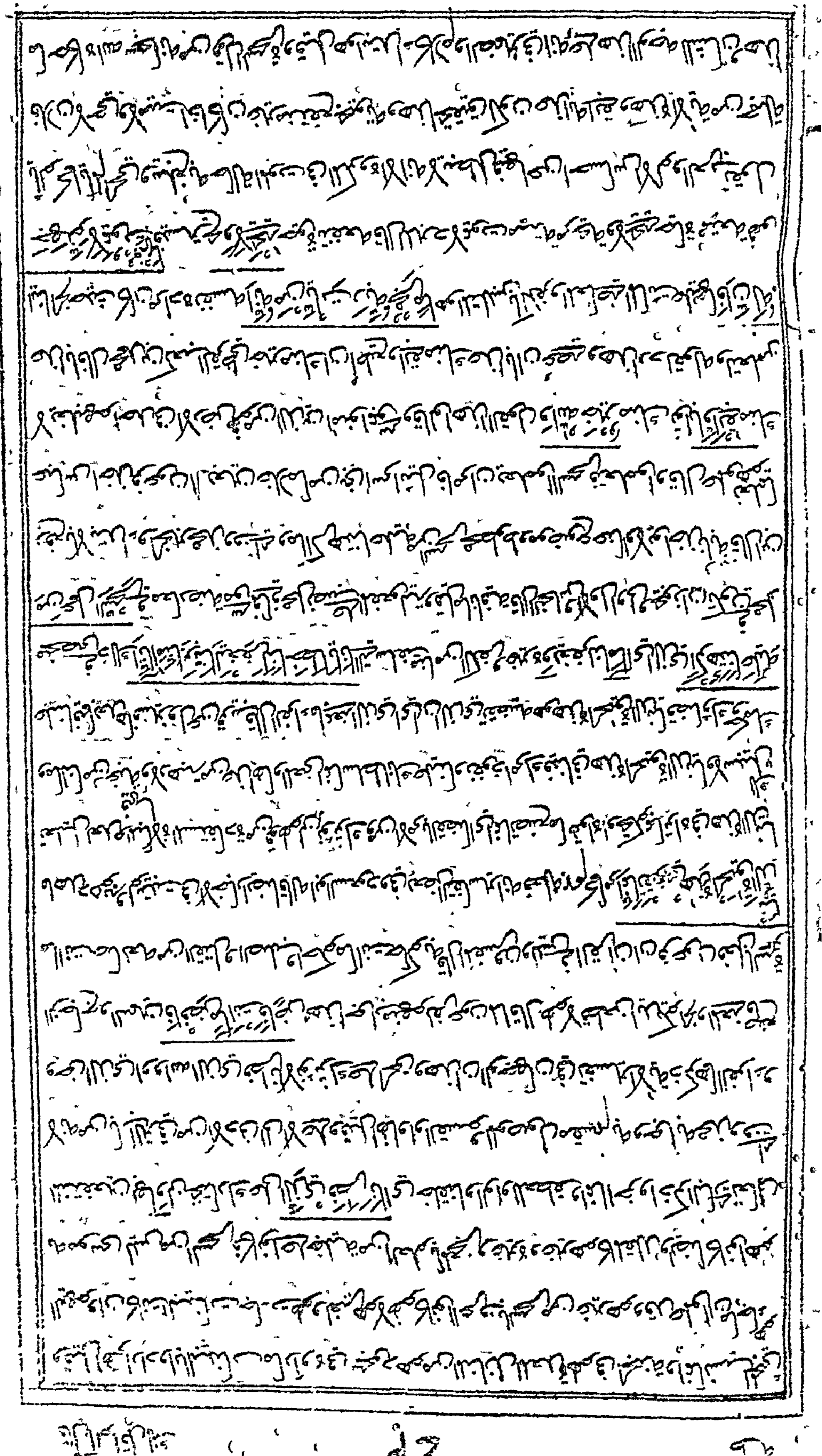
ذلك اليوم الذي هو عبارة من ارتفاع الشمس في الوادي الناس اهل مصر والمعنى يحشرون الى العيد
وقت الضحى نهارا وينظرون في امر موسى وفرعون جهارا ليكون ابعد من الريبة وابين لكشف الحق وليشيع
في جميع اهل الوبر والمدر قال الفراء المعنى اذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد قال وجرت
عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم وقرئ يحشر على البناء للمفعول وللفاعل اي وان يحشر الله الناس وقرئ
بالنون وبالفوقية اي وان تحشر انت يا فرعون والضحى قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم
بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس وخص الضحى لانه اول النهار فاذا امتد الامر بينهما كان في النهار متسع
فتولى فرعون اي انصرف من ذلك المقام والمجلس ليهيئ ما يحتاج اليه مما تواعدا عليه وقيل معنى تولى
اعرض عن الحق والاول اولى فجمع كيده اي جمع ما يكيد به من سحره وحيلته والمراد انه جمع السحرة قيل كانوا
اثنين وسبعين من القبط وسبعين من بني اسرائيل وقيل اربعمائة وقيل اثني عشر الفا وقيل اربعة عشر الفا
وقال ابن المنذر كانوا ثمانين الفا وقيل غير ذلك مع كل واحد حبل وعصا ثم اتى فرعون للموعد
الذي تواعد اليه مع جمعه الذي جمعه واتى موسى ايضا قال لهم موسى مستأنفة جواب سؤال مقدر
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا دعا عليهم بالويل ونهاهم عن افتراء الكذب باشراك احد معه او
بادعاء كون ما ظهر على يدي سحرا قال الزجاج التقدير الزمهم الله ويلا وهو نداء كقوله يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا فيسحتكم بعذاب عظيم السحت الاستيصال يقال سحت واسحت بمعنى واصله استقصاء
الشعر قرئ من السحت وهي لغة نجد وبني تميم وقرئ من سحت وهي لغة الحجاز قال ابن عباس يسحتكم يهلككم
وقال قتادة يستاصلكم وقال ابو صالح فيذبحكم وقد خاب من افترى اي قد خسر وهلك من كذب على الله
اي كذب كان فتنازعوا اي السحرة امرهم بينهم لما سمعوا كلام موسى تناظروا وتشاوروا وتجاذبوا طرف
الكلام في ذلك اي هل هما ساحران او رسولان واسروا النجوى من موسى وكانت نجواهم هي قولهم الآتي
ان هذان لساحران وقيل انهم تناجوا فيما بينهم فقالوا ان كان ما جاء به موسى سحرا فسنغلبه وان كان
من عند الله فسيكون له امر وقيل الذي اسروه انه اذا غلبهم اتبعوه قاله الفراء والزجاج وقيل
الذي اسروه انهم لما سمعوا قول موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قالوا ما هذا بقول ساحر والنجوى
المناجاة يكون اسما ومصدرا قالوا لانفسهم اي قال بعضهم لبعض سرا وحاصل ما قالوه ست جمل
اولها قولهم ان هذان لساحران واخرها قولهم وقد افلح اليوم من استعلى وقرئ ان هذين وروي هذا

عن عثمان وعائشة وغيرهما من الصحابة وبها قرأ الحسن والنخعي وغيرهما من التابعين وهذه
موافقة للإعراب الظاهر مخالفة لرسم المصحف فإنه مكتوب بالألف وقرئ إن هذان بتخفيف إن على أنها نافية
وهذه موافقة للرسم وللإعراب وقرأ أهل المدينة والكوفة إن هذان بتشديد إن وبالألف فوافقوا الرسم
وخالفوا الإعراب الظاهر وقد تكلم جماعة من أهل العلم في توجيه هذه القراءة وقد استوفى ذلك ابن الأنباري
والنحاس فقيل إنها لغة بني الحارث بن كعب ومراد وخثعم وكنانة يجعلون رفع المثنى ونصبه وجره
بالألف في أحواله الثلاث وبه صرح سيبويه والأخفش وأبو زيد والكسائي والفراء وقيل إن بمعنى نعم وهٰهنا
قاله عاصم قال النحاس رأيت الزجاج والأخفش يذهبان إليه وقال الزجاج المعنى إن هذان لهما ساحران
وأنكره أبو علي الفارسي وأبو الفتح وابن جني وقيل إن الألف في هذا مشبهة بالألف في يفعلان فلم تغير
وقيل إنه هذان لساحران وبه قال قدماء النحاة وقال ابن كيسان إنه لما كان يقال هذا بالألف
في الرفع والنصب والجر على حال واحدة وكانت التثنية لا تغير الواحد أجريت مجرى الواحد فثبتت الألف
في الرفع والنصب والجر وقيل تقديره ما هذان إلا ساحران فهذه أقوال تتضمن توجيه هذه القراءة بوجه
تصح به وتخرج عن الخطأ وبذلك يندفع ما روي عن عثمان وعائشة أنه غلط من الكاتب للمصحف وحاصل
القراآت السبعة التي في هذا التركيب أربعة واحدة لأبي عمرو وهي التي بالياء والثانية الف بعدها نون مشددة
ومخففة من إن والأخريان بتخفيف النون التي في هذان مع تشديد النون من إن وتخفيفها وإثبات
كل من الياء والألف في النطق وإن كان قراءة سبعية صحيحة متواترة لكنه مشكل من حيث مخالفته
لخط المصحف الإمام فإنه ليس فيه ياء ولا ألف فإن رسمه كما في السمين هذن من غير ألف ولا ياء ثم قال
وكم جاء في الرسم أشياء خارجة عن القياس وقد نصوا على أنه لا تجوز القراءة بها فليكن هذا الموضع مما خرج
عن القياس يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ وهي أرض مصر بِسِحْرِهِمَا الذي أظهراه وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى قال الكسائي أي بسنتكم والمثلى نعت كقولك امرأة كبرى تقول العرب فلان على
الطريقة المثلى يعنون على الهدى المستقيم قال الفراء العرب تقول هؤلاء طريقة قومهم وطرائق
قومهم لأشرافهم ونحوه في القاموس والمثلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل يقال فلان أمثل قومه
أي أفضلهم وهم الأماثل وإنما أنث باعتبار التعبير بالطريقة وإلا فباعتبار المعنى كان يقال أماثل
والمعنى أنهما إن يغلبا بسحرهما مال إليهما السادة والأشراف منكم أو يذهبا بمذهبكم الذي هو أمثل المذاهب

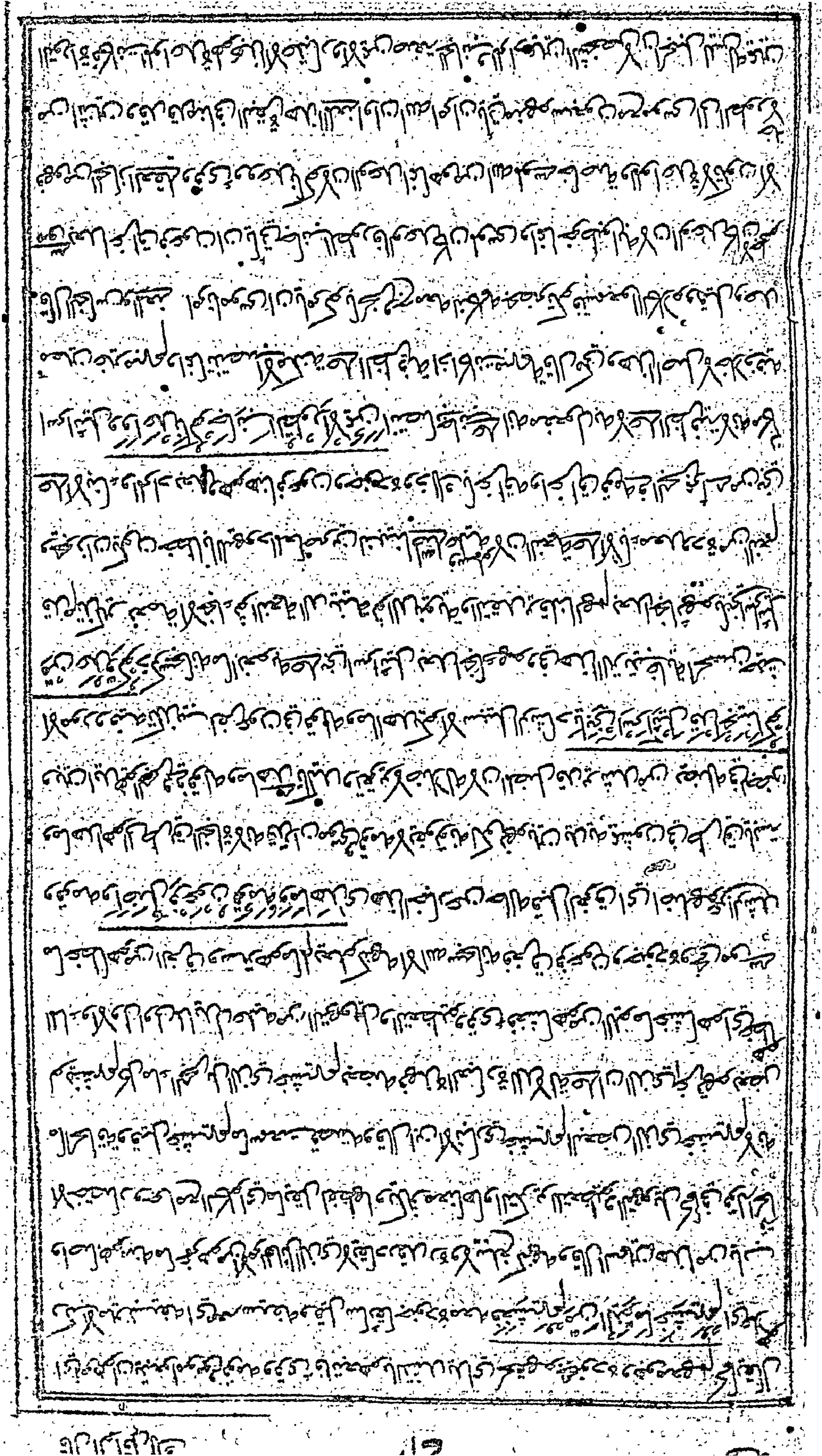
قال ابن عباس يقول امثالكم وهم بنو اسرائيل وقال علي اي يصرفن وجوه الناس اليهما فأجمعوا
كيدكم البناء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين فاجمعوا والاجماع الاحكام والعزم على الشيء
قاله الفراء تقول اجمعت على الخروج مثل ازمعت وقال الزجاج معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه
بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم ثم ائتوا صفا اي مصطفين مجتمعين ليكون انظم لامركم واشد لهيبتكم
وادخل في استجلاب الخشية وهذا قول جمهور المفسرين وقال ابو عبيدة الصف المجمع ويسمى المصلى
الصف قال الزجاج وعلى هذا معناه ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم يقال اتيت
الصف بمعنى اتيت المصلى فعلى التفسير الاول نصب صفا على الحال وعلى الثاني على المفعولية قال الزجاج يجوز
ان يكون المعنى ثم ائتوا والناس مصطفون فيكون مصدرا في موضع الحال ولذلك لم يجمع وقد افلح
اليوم من استعلى اي فاز من غلب يقال استعلى عليه اذا غلبه وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض
وقيل من قول فرعون لهم وهذه جملة معترضة قالوا يا موسى اختر احد الامرين كذا قدره الزمخشري وهذا
تفسير معنى اما ان تلقي ما تلقيه او التقدير الامر اما القاؤك اول او القاؤنا كذا قدره الزمخشري او القاؤ
اول ويدل عليه قوله واما ان نكون نحن اول من القى ما يلقيه واختاره المحلي او اول من يفعل الالقاء
والمراد القاء العصا على الارض وكانت السحرة معهم عصي وكان موسى قد القى عصاه يوم دخل على فرعون
فلما اراد السحرة معارضته قالوا له هذا القول وهذا منهم استعمال ادب حسن معه وكانه تعالى الهمهم
ذلك وقد وصلت اليهم بركته وعلم موسى اختيار القائهم اولا قال لهم بل القوا انتم اولا وانما امرهم
بذلك لتكون معجزته اظهر اذا القوا ما معهم فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين ثم يلقي هو
عصاه فتبتلع ذلك ويظهر سلطانه واظهار العدم المبالاة بسحرهم فالقوا فاذا حبالهم الفاء فصيحة
يقال اذا هذه هي المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وقد يكون ناصبها
فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة وعصيهم بكسر العين اتباعا لكسرة الصاد وقرئ بضمها وهي لغة بني تميم
يخيل اليه من سحرهم بالتحتية على البناء للمفعول وقرئ تخيل بالفوقية لان العصي والحبال مؤنثة
وقرئ تخيل على ان الله سبحانه هو المخيل لذلك وقرئ بالتحتية مبنيا للفاعل على ان المخيل هو الكيد
وقيل المخيل هو انها تسعى اي يخيل اليه سعيها ذكر معناه الزجاج وقال اي تخيل اليه ذات سعي يقال
خيل اليه اذا شبه له وادخل عليه التهمة والشبهة وذلك انهم لطخوها وطلوها بالزيبق فلما اصابها

حر الشمس ارتعشت واهتزت واضطربت فخيل اليه انها تتحرك فأوجس اي احس وقيل وجد
وقيل اضمر وقيل خاف في نفسه خيفة موسى وذلك لما يعرض من الطباع البشرية عند مشاهدة
ما يخشى منه وقيل خاف ان يفتتن الناس قبل ان يلقي عصاه ولعله كان مأمورا بان لا يفعل شيئا
الا بالوحي فلما تأخر نزول الوحي في ذلك المحفل بقي في الخجل قاله ابن عادل وقيل ان سبب خوفه هو ان سحرهم
كان من جنس ما اراه في العصا فخاف ان يلتبس امره على الناس فلا يؤمنوا فاذهب الله سبحانه ما حصل
معه من الخوف بما بشره به بقوله قلنا لا تخف انك انت الاعلى اي المستعلي عليهم بالظفر والغلبة والجملة
تعليل للنهي عن الخوف وفيه اشارة الى ان لهم علوا وغلبة بالنسبة الى سائر الناس ولذلك اوجس منهم خيفة
فرد ذلك بانواع من المبالغة احدها ذكر كلمة التوكيد وهي ان وثانيها تكرير الضمير وثالثها لام التعريف ورابعها
لفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وهذا يكفي فيه ظن العلو في امرهم لان الاعلى لمجرد الزيادة لانه لم يكن للسحرة
علو حتى يكون هو اعلى منهم كما قيل قاله الكرخي والق ما في يمينك يعني العصا وانما ابهمها تعظيما وتفخيما
اي لا تحتفل بهذه الاجرام فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء عندها
فالقها ولا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفريد الصغير الجرم الذي بيدك فانه بقدرة الله تعالى
تلقف على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها قرئ تلقف بسكون اللام من لقفه اذا ابتلعه بسرعة وقرئ
بالرفع على تقدير فانها تلقف وقال الزجاج القراءة بالجزم جواب الامر ويجوز الرفع على معنى الحال كانه قال القها
متلقفة ما صنعوا من الحبال والعصي انما صنعوا كيد ساحر اي جنسه لبيان الذي صنعوه كيد ساحر
او ان صنعهم كيد ساحر وقرئ سحر واضافة الكيد الى السحر على الاتساع من غير تقدير او بتقدير ذي سحر
وقيل غير ذلك ولا يفلح الساحر اي جنس الساحر حيث اتى اي كان واين توجه واقبل وهذا
من تمام التعليل فالقي السحرة اي فالقى ذلك الامر الذي شاهدوه من موسى والعصا اياهم سجدا لله تعالى
وذلك لانهم كانوا في اعلى طبقات السحر فلما رأوا ما فعله موسى خارجا عن صناعتهم عرفوا انه ليس من
السحر البتة وقد مر تحقيق هذا في سورة الاعراف قال صاحب الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا
حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين
وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب قالوا آمنا برب هارون وموسى انما قدم
هارون على موسى هنا في حكاية كلامهم واخر في الشعراء رعاية لفواصل الآي وعناية بتوافق رؤسها

ولان الواو لا توجب ترتيبا قال عكرمة ان سحرة فرعون كانوا تسعمائة فقالوا لفرعون ان يكن هذان
ساحرين فانا نغلبهما فانه لا اسحر منا وان كانا من رب العالمين فانه لا طاقة لنا برب العالمين فلما
كان من امرهم ان خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة فعندها قالوا هذا القول
وقالوا ايضا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الى قوله والله خير وابقى قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ لَهُ يقال
آمن له وبه فمن الاول قوله فآمن له لوط ومن الثاني قوله في الاعراف آمنتم به وقرئ على الاستفهام
التوبيخي اي كيف آمنتم به قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ اي من غير اذن مني لكم بذلك قيل ان الفعل هنا متضمن معنى
الاتباع إِنَّهُ اي ان موسى لَكَبِيرُكُمُ اي اسحركم واعلاكم درجة في صناعة السحر فلا عبرة بما اظهرتموه او معلمكم
واستاذكم كما يدل عليه قوله الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ يعني انكم تلامذته في السحر فاصطلحتم وتواطأتم معه
على ان تظهروا العجز من انفسكم ترويجا لامره وتفخيما لشانه قال الكسائي الصبي بالحجاز اذا جاء من عند معلمه
قال جئت من عند كبيري وقال محمد بن اسحاق انه لعظيم السحر قال الواحدي الكبير في اللغة الرئيس ولهذا يقال
للمعلم الكبير اراد فرعون بهذا القول ان يدخل الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا والا فقد علم انهم لم
يتعلموا من موسى ولا كان رئيسا لهم ولا بينه وبينهم مواصلة فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ اي والله
لافعلن بكم ذلك والتقطيع للايدي والارجل مِنْ خِلَافٍ هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من
العضوين يخالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال اي لاقطعنها مختلفات ومن
لابتداء الغاية كان القطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ
اي على جذوعها كقوله ام لهم سلم يستمعون فيه اي عليه وانما آثر كلمة في للدلالة على استقرارهم عليها
كاستقرار المظروف في الظرف وهذا هو المشهور وخص النخل لطول جذوعها وقيل انه نقر جذوع النخل
حتى جوفها ووضعهم فيها فماتوا جوعا وعطشا وهذا على الحقيقة كما ان الاول على المجاز وهو الاولى وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى اراد لتعلمن هل انا اشد عذابا لكم على ايمانكم به ام موسى ومعنى ابقى ادوم وهو
يريد بكلامه هذا الاستهزاء بموسى لان موسى لم يكن من التعذيب في شيء ويمكن ان يريد العذاب الذي توعدهم به
موسى ان لم يؤمنوا وقيل اشارة الى ان ايمانهم لم يكن ناشئا عن مشاهدة المعجزة بل كان من خوفهم من موسى
حيث رأوا ما وقع من عصاه قَالُوا غير مكترثين بوعيده لهم لَنْ نُؤْثِرَكَ اي لن نختارك عَلَى مَا جَاءَنَا به موسى او جاءنا
من عند الله على يده مِنَ الْبَيِّنَاتِ اي من المعجزات الواضحات من عند الله سبحانه كاليد والعصا



هو الاظهر قاله النسفي اخرج احمد ومسلم وابن ابي حاتم وغيرهم عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطب فاتى على هذه الآية فقال اما اهلها الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون واما الذين ليسوا
باهلها فان النار تميتهم اماتة ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فيؤتى بهم ضبائر على نهر يقال له الحياة او
الحيوان فينبتون كما ينبت الغثاء في حميل السيل ومن يأته اي ومن يأت ربه مؤمنا اي مصدقا به
قد عمل الاعمال الصالحات اي الطاعات ومات على الايمان وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان
المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط من الاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى
لا الثواب مطلقا فاولئك الاشارة الى من باعتبار معناه لهم الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة
التي قصرت دونها الصفات والعلى جمع عليا مؤنث اعلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار بيان
للدرجات لانها مضافة الى عدن وعدن علم للاقامة كما سبق خالدين فيها اي كائنين دائمين فيه
مراعاة معنى من وذلك اي ما تقدم لهم من الاجر جزاء من تزكى اي من تطهر من الكفر والذنوب
المعاصي الموجبة للنار اخرج ابو داؤد وابن مردويه عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات
العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في افق السماء وان ابابكر وعمر منهم وانعما وفي الصحيحين بلفظ
ان اهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في افق السماء ولقد اوحينا الى موسى
هذا شروع في انجاء بني اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس و
اللام في لقد هي الموطئة للقسم وفي ذلك من التاكيد ما لا يخفى ان اسر بعبادي اي سر بهم ليلا من مصر
الى البحر وقد تقدم هذا مستوفى فاضرب لهم اي اجعل لهم طريقا واشرعه وقيل طريقا مفعول به على
سبيل المجاز والمراد بالطريق جنسه فان الطرق كانت اثنتي عشرة بعدد اسباط بني اسرائيل في البحر يبسا اي يابسا
وصف به الفاعل مبالغة وذلك ان الله تعالى ايبس لهم تلك الطريق ومرت عليه الصبا فجففته حتى لم يكن
فيها ماء ولا طين قاله محمد بن كعب ومجاهد وقرئ بسكون الباء مخففا من يبسا المحرك وهو مصدر
او جمع يابس كصحب وصاحب وصف به الواحد مبالغة لا تخاف دركا اي آمنا من ان يدرككم العدو من
وراءكم والدرك اللحاق بهم من فرعون وجنوده وبه قال ابن عباس قرأ الجمهور لا تخاف وهي ارجح لعدم
الجزم في قوله ولا تخشى من فرعون او من البحر ان يغرقك فاتبعهم فرعون بجنوده اتبع هنا مطاوع تبع
يقال اتبعتهم اذا تبعتهم وذلك اذا سبقوك فلحقتهم فالمعنى تبعهم فرعون ومعه جنوده وقيل الباء زائدة والاصل اتبعهم جنوده



ولا شمال فاذا قيل خذ عن يمين الجبل ثم عناه عن يمينك من الجبل ونزلنا عليكم اي في التيه
المن والسلوى قد تقدم تفسير المن بالترنجبين والسلوى بالسماني واوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه
وقال ابو السعود المن هو شيء حلو ابيض مثل الثلج كان ينزل من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع
ويبعث الريح الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منهم ما يكفيه كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم اي المنعم به عليكم والمراد بالطيبات المستلذات وقيل الحلال على الخلاف المشهور في ذلك
ولا تطغوا فيه الطغيان التجاوز اي لا تتجاوزوا ما هو جائز الى ما لا يجوز كالسرف والبطر والمنع عن
المستحق وقيل المعنى لا تجحدوا نعمة الله فتكونوا طاغين وقيل لا تكفروا نعمة الله ولا تنسوا شكرها وقيل
لا تعصوا المنعم اي لا تحملكم السعة والعافية على المعصية ولا مانع من حمل الطغيان على جميع هذه
المعاني فان كل واحد منها يصدق عليه انه طغيان فيحل بكسر الحاء اي يجب عليكم غضبي اي يلزمكم
وبضمها بمعنى ينزل بكم وهو مأخوذ من حلول الدين اي حضور وقت ادائه ومن يحلل عليه غضبي فقد
هوى قرئ بكسر اللام الاولى وبضمها وهما لغتان قال الفراء الكسر احب الي من الضم لان الضم من الحلول بمعنى
الوقوع ويحل بالكسر يجب وجاء التفسير بالوجوب لا بالوقوع وذكر نحو هذا ابو عبيدة وغيره وهوى بمعنى هلك قال
الزجاج فقد هوى اي صار الى الهاوية وهي قعر النار من هوى يهوي هويا اي سقط من علو الى سفل وهوى
فلان اي مات وقال ابن عباس هوى اي شقي واني لغفار لمن تاب من الذنوب التي اعظمها الشرك بالله
او من الشرك قاله ابن عباس وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقال ابن عباس وحد الله
وعمل عملا صالحا مما ندب اليه الشرع وحسنه وقال ابن عباس ادى الفرائض وظاهر اللفظ يشمل الفرض
والنفل ثم اهتدى اي استقام واستمر على ذلك حتى يموت قاله الزجاج وغيره وقال سعيد بن جبير
لزم السنة والجماعة وعن ابن عباس قال من تاب من الذنب وآمن من الشرك وعمل صالحا فيما بينه وبين
ربه ثم اهتدى اي علم ان لعمله ثوابا وعلى تركه عقابا يجزى عليه وقيل تعلم العلم ليهتدي به وقيل
لم يشك في ايمانه والاول ارجح مما بعده وثم لما للتراخي باعتبار الانتهاء لبعده عن اول الاهتداء او
للدلالة على بعد ما بين المرتبتين فان المداومة اعظم واعلى من الشروع والايضاح ان المراد الاستمرار على
تلك الطريقة اذ المهتدي في الحال لا يكفيه ذلك في الفوز بالنجاة حتى يستمر عليه في المستقبل ويموت
عليه قاله الكرخي وما اعجلك عن قومك يا موسى هذا حكاية لما جرى بين الله سبحانه وبين موسى

عند ربي اياته الميقات والسؤال وقع من الله لكنه ليس لاستدعاء المعرفة بل اما للتعريف غيره
او لتبكيته او لتنبيهه كما صرح به الراغب وظاهره انه ليس بمجاز كما يقول التلميذ سألني الاستاذ عن كذا
ليعرف فهمي ونحو ذلك قال المفسرون وكانت المواعدة ان يوافي موسى وجماعة من وجوه قومه فسار موسى
بهم ثم عجل من بينهم شوقا الى ربه فقال الله تعالى له ما الذي حملك على العجلة حتى تركت قومك وخرجت
من بينهم والمراد بهم جملة بني اسرائيل فان موسى كان قد امر هارون ان يسير بهم على اثره ويلحقوه به في
مكان المناجاة فاجاب موسى عن ذلك و قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي اي بالقرب مني تابعون لاثري واصلون
بعدي ليس بيني وبينهم الا مسافة يسيرة وقيل لم يرد انهم يسيرون خلفه بل اراد انهم بالقرب منه ينتظرون
عوده اليهم بنو تميم يقولون اولى مقصورة واهل الحجاز اولاء ممدودة قاله عيسى بن عمر وقرئ إثر بكسر الهمزة
واسكان الثاء وبفتحهما وهما لغتان ثم قال مصححا بسبب ما سأله الله عنه فقال وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى
عني بمسارعتي الى امتثال امرك او لتزداد رضى عني بذلك وفيه دليل على جواز الاجتهاد والمعنى عجلت الى الموضع
الذي امرتني بالمصير اليه لترضى عني يقال رجل عجل وعجول وعجلان بين العجلة والعجلة خلاف البطوء واخرج
سعيد بن منصور وابن ابي شيبة والبيهقي في الشعب من طريق عمرو بن ميمون عن رجل من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قال تعجل موسى الى ربه فرأى في ظل العرش رجلا فعجب له فقال من هذا يا رب قال لا احدثك من
هو لكن ساخبرك بثلاث فيه كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله ولا يعق والديه ولا يمشي
بالنميمة قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ مستانفة كانه قيل فماذا قال الله اي ابتليناهم واختبرناهم
والقيناهم في فتنة ومحنة قال ابن الانباري صيرناهم مفتونين اشقياء بعبادة العجل من بعد انطلاقك
من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا غير اثني عشر الفا وهذه الفتنة
وقعت بعد خروج موسى من عندهم بعشرين يوما في اول حضوره الميقات وفي ذلك الوقت لم تكن
الفتنة وقعت لهم كما علمت فيكون هذا الاخبار فيه تجوز من اطلاق الماضي على المستقبل على حد
اتى امر الله وقيل انه كان بعد تمام الاربعين او في العشر الاخير منها قال الشهاب وعليه الجمهور وعليه
فيكون الاخبار حقيقيا لا تجوز فيه وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ اي دعاهم الى الضلالة وكان من قوم يعبدون
البقر فدخل في دين بني اسرائيل في الظاهر وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر وكان من قبيلة تعرف
بالسامرة وقيل كان من القبط وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر وكان جار الموسى وامن به

واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فقال لمن معه من بني اسرائيل انما تخلف موسى عن الميعاد الذي
بينكم وبينه لما صار معكم من الحلي وهي حرام عليكم وامرهم بالقائها في النار وكان من امر العجل
ما كان فرجع موسى الى قومه قبل وكان الرجوع الى قومه بعد ما استوفى اربعين يوما ذا القعدة
وعشر ذي الحجة واخذ التوراة روي انه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول
العجل فقال هذا صوت الفتنة وفي القرطبي وسئل الامام ابو بكر الطرطوشي عن جماعة يجتمعون
ويكثرون من ذكر الله وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم ثم انهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل ويقوم بعضهم
يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه فهل الحضور معهم جائز ام لا افتونا
يرحمك الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون
حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل واما الطبل فاول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به
المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان مجلس النبي مع اصحابه كانما على رؤسهم الطير من الوقار فينبغي
للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر
ان يحضر معهم او يعينهم على باطلهم وهذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد بن
حنبل وغيرهم من ائمة المسلمين انتهى غضبان اسفا الاسف الشديد الغضب وقيل الحزين وقد مضى في الاعراف
بيان هذا مستوفى قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا الاستفهام للانكار التوبيخي والوعد
الحسن وعدهم بالجنة اذا اقاموا على طاعته ووعدهم ان يسمعهم كلامه في التوراة على لسان
موسى ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم وكانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون
جملا ولا وعد احسن من ذلك قاله النسفي وقيل وعده هو النصر والظفر وقيل هو قوله واني لغفار
لمن تاب الاية افطال عليكم العهد اي اوعدكم ذلك فطال عليكم الزمان فنسيتم ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم اي يلزمكم او ينزل عليكم والغضب العقوبة والنقمة والمعنى ام اردتم ان
تفعلوا فعلا يكون سبب حلول غضب الله عليكم بارادتكم واختياركم فاخلفتم موعدي اي
موعدكم اياي فالمصدر مضاف الى المفعول لانهم وعدوه ان يقيموا على طاعة الله عز وجل الى ان
يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه ان ياتوا على اثره الى الميقات فتوقفوا وتركوا المجيء بعده وهذا [illegible]

على كل واحد من شقي ترديد على سبيل البدل فاجابوه و قالوا ما اخلفنا موعدك الذي
وعدناك بملكنا بفتح الميم وقرئ بكسرها واختار هذه القراءة ابو عبيد وابو حاتم لانها اللغة العالية
الفصيحة وهو مصدر ملكت الشيء املكه ملكا والمصدر مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف اي
بملكنا امورنا او بملكنا الصواب بل اخطانا ولم نملك انفسنا وكنا مضطرين الى الخطاء لما سول
لنا السامري ما سول وغلب على عقولنا قال ابن عباس بملكنا اي بامرنا وقال قتادة بطاقتنا وعن
السدي مثله وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه وقرئ بملكنا بضم الميم
والمعنى بسلطاننا قاله الحسن اي لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك وقيل ان الفتح والكسر والضم كلها لغات
سبعية في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم قرئ حملنا بضم الحاء وتشديد الميم
وقرئ بفتح الحاء والميم مخففة واختارها ابو عبيد وابو حاتم لانهم حملوا حلية القوم معهم باختيارهم
وما حملوها كرها فانهم كانوا استعاروها منهم حين ارادوا الخروج مع موسى واوهموهم انهم يجتمعون
في عيد لهم او وليمة وقيل هو ما اخذوه من آل فرعون لما قذفهم البحر الى الساحل وسميت اوزارا اي
آثاما لانه لا يحل لهم اخذها ولا تحل لهم الغنائم في شريعتهم والاوزار في الاصل الاثقال كما صرح به اهل
اللغة والمراد بالزينة هنا الحلي فقذفناها اي طرحناها في النار طلبا للخلاص من اثمها وقيل المعنى
طرحناها الى السامري لتبقى لديه حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه فكذلك القى السامري اي فمثل ذلك
القذف القاها السامري قيل انه قال لهم حين استبطأ القوم رجوع موسى انما احتبس عنكم لاجل ما
عندكم من الحلي فجمعوه ودفعوه اليه فرمى به في النار وصاغ لهم منه عجلا ثم القى عليه قبضة من اثر
الرسول وهو جبريل فاخرج لهم السامري من الحفرة وهذا من كلامه تعالى عجلا صاغه من الحلي
في ثلثة ايام جسدا اي حال كونها جسدا اي صائرة جسدا اي دما ولحما والجسد جمعه اجساد
قال في البارع لا يقال الجسد الا للحيوان العاقل وهو الانسان والملائكة والجن ولا يقال لغيره جسد
الا للزعفران وللدم اذا يبس ايضا جسد وجاسد والمعنى اخرج لهم عجلا ذا جثة على التشبيه بالعاقل
له خوار صوت يسمع اي يخور كما يخور الحي من العجول والخوار صوت البقر وقيل خواره كان بالريح لانه
كان عمل فيه خروقا فاذا دخلت الريح في جوفه خار ولم تكن فيه حيوة فقالوا اي السامري ومن وافقه
في بادي الرأي هذا الهكم واله موسى فنسي اي فضل موسى ولم يعلم مكان الهه هذا وذهب يطلبه

في الطور وهذا يقتضي انهم جعلوا العجل الها يعبدونه لذاته لا لتقربهم به من الله تعالى وقيل المعنى فنسي
موسى ان يذكر لكم ان هذا الهه والهكم قاله ابن عباس وقيل الناسي هو السامري اي ترك السامري ما امر
به موسى من الايمان وضل كذا قال ابن الاعرابي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا الاستفهام للتوبيخ
والتقريع اي افلا يعتبرون ويتفكرون في ان هذا العجل لا يرد عليهم جوابا ولا يكلمهم اذا كلموه فكيف
يتوهمون انه اله وهو عاجز عن المكالمة وان مخففة ويرجع بالرفع في قراءة العامة وقرئ بالنصب وفيه
ضعف والرؤية على الاول علمية وعلى الثاني بصرية ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا يقدر على ان يدفع
عنهم ضرا او يجلب اليهم نفعا ولقد قال لهم هارون اللام هي الموطئة للقسم والجملة مؤكدة لما
تضمنته الجملة التي قبلها من الانكار عليهم والتوبيخ لهم اي والله لقد نصح لهم هارون من قبل اي من
قبل ان ياتي موسى ويرجع اليهم يا قوم انما فتنتم به اي وقعتم في الفتنة بسبب العجل وابتليتم به وضللتم
عن طريق الحق لاجله قيل ومعنى القصر المستفاد من انما هو ان العجل صار سببا لفتنتهم لا لارشادهم
وليس معناه انهم فتنوا بالعجل لا بغيره وان ربكم الرحمن لا العجل خص هذا الموضع باسم الرحمن تنبيها
على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن ومن رحمته ان خلصهم من آفات فرعون فاتبعوني
في امري لكم بعبادة الله ولا تتبعوا السامري في امره لكم بعبادة العجل واطيعوا امري لا امره قالوا لن
نبرح عليه عاكفين اجابوا هارون عن قوله المتقدم بهذا الجواب المتضمن لعصيانه وعدم قبول ما
دعاهم اليه من الخير وحذرهم عنه من الشر اي لن نزال مقيمين على عبادة هذا العجل حتى يرجع الينا
موسى فينظر هل يقررنا على عبادته او ينهانا عنها فجعلوا هذا غاية لعكوفهم لكن لا على طريق الوعد بل
بطريق التعلل والتسويف فعند ذلك اعتزلهم هارون في اثني عشر الفا من المنكرين لما فعله السامري
اخرج الحاكم وصححه عن علي قال لما تعجل موسى الى ربه عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي بني اسرائيل
فضربه عجلا ثم القى القبضة في جوفه فاذا هو عجل جسد له خوار فقال لهم السامري هذا الهكم واله موسى
فقال لهم هارون يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا فلما ان رجع موسى اخذ براس اخيه فقال له هارون
ما قال فقال موسى للسامري ما خطبك قال قبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي
نفسي فعمد موسى الى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر فما شرب احد من ذلك الماء ممن
كان يعبد ذلك العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما توبتنا قال يقتل بعضكم بعضا فاخذوا

بالسكاكين فجعل الرجل يقتل اخاه واباه وابنه ولا يبالي من قتل حتى قتل منهم سبعون الفا فاوحى
الله الى موسى مرهم فليرفعوا ايديهم فقد غفرت لمن قتل وتبت على من بقي والحكايات في هذه القصة
كثيرة قال يا هارون ما منعك جملة مستأنفة والمعنى ان موسى لما وصل اليهم اخذ بشعور راس اخيه
هارون وبلحيته وقال ما منعك من اتباعي واللحوق بي عندما وقعوا في هذه الضلالة ودخلوا
في الفتنة وقيل المعنى ما منعك من اتباعي في الانكار عليهم وقيل معناه هلا قاتلتهم اذ قد علمت اني
لو كنت بينهم لقاتلتهم وقيل معناه هلا فارقتهم اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن اي تتبعني منعك
حين رؤيتك لضلالهم من اتباعي ومن ان تلحقني وتاتيني في الجبل فتخبرني بما فعلوا وهذه الياء من
ياءات الزوائد فحقها ان تحذف في الرسم كما هي كذلك في مصحف الامام ولا زائدة للتوكيد افعصيت امري الهمزة
للانكار والتوبيخ والمعنى كيف خالفت امري لك بالقيام لله ومنابذة من خالف دينه واقمت بين هؤلاء
الذين اتخذوا العجل الها وقيل المراد بقوله امري هو قوله الذي حكى الله عنه وقال موسى لاخيه هارون
اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما اقام معهم ولم يبالغ في الانكار عليهم نسبه الى
عصيانه ومخالفة امره وبه قال ابن جريج والقرطبي قال هارون يا ابن ام بفتح الميم وبكسرها وعلى كل من
القراءتين اراد امي لكن على الاولى حذفت الالف المنقلبة عن الياء اكتفاء عنها بالفتحة وعلى الثانية حذفت
الياء اكتفاء عنها بالكسرة ونسبه الى الام مع كونه اخاه لابيه وامه عند الجمهور استعطافا له وترقيقا
لقلبه فليس ذكرها لكونه اخاه من امه فقط كما قيل فان الحق انه كان شقيقه لا تأخذ بلحيتي وكان
اخذها بشماله ولا برأسي وكان اخذ شعره بيمينه غضبا والمعنى ولا بشعر راسي وكان قد اخذ
بذوائبه اي لا تفعل هذا بي عقوبة منك لي فان لي عذرا هو اني خشيت ان تقول فرقت بين
بني اسرائيل اي خشيت ان خرجت عنهم وتركتهم ان يتفرقوا فتقول اني فرقت جماعتهم وتغضب علي وذلك
لان هارون لو خرج لتبعه جماعة ممن لم يعبد العجل وتخلف مع السامري عند العجل آخرون وربما
افضى ذلك الى القتال بينهم ولم ترقب قولي اي تقول لم تعمل بوصيتي لك فيهم وتحفظها ومراده
بوصية موسى له قوله اخلفني في قومي واصلح قال ابو عبيدة معناه ولم تنتظر عهدي وقدومي لانك
امرتني ان اكون معهم وقال ابن جريج لم تنتظر قولي ما انا صانع وقال ابن عباس لم تحفظ قولي
والياء في قولي واقعة على موسى وقيل واقعة على هارون لكن المفسرين على الاحتمال الاول كالسمين

والبيضاوي والخازن والخطيب فكلهم اقتصروا على ذلك والمعنى على الثاني وخشيت عليه
تاملك في القول حتى تفهم عذري فاعتذر هارون الى موسى هاهنا بهذا واعتذر بالية في الاعراف
بما حكاه الله عنه هنالك حيث قال ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ثم ترك موسى الكلام
مع اخيه وخاطب السامري قال فما خطبك اي ماشانك الداعي وما الذي حملك على ما صنعت
يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به اي رايت مالم يروا وعلمت بما لم يعلموا وفطنت لما لم يفطنوا له و
اراد بذلك انه رأى جبريل على فرس الحياة فالقي في ذهنه ان يقبض قبضة من اثره وان ذلك الاثر
لا يقع على جماد الا صار حيا وقرئ لم تبصروا بالفوقية على الخطاب وبالتحتية وهي اولى لانه يبعد
كل البعد ان يخاطب موسى بذلك ويدعي لنفسه انه علم مالم يعلم به موسى يقال بصر بالشئ اي علمه
وابصره اي نظر اليه كذا قال الزجاج وقيل هما بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد وقرئ بالكسر وهي لغة
فقبضت قبضة بالضاد المعجمة فيهما وقرئ بالصاد المهملة فيهما والفرق بينهما ان ما بالمعجمة هو الاخذ
بجميع الكف وما بالمهملة باطراف الاصابع والقبضة بضم القاف القدر المقبوض قال الجوهري هي ما قبضت
عليه من شئ قال وربما جاء بالفتح وقد قرئ قبضة بضم القاف وفتحها ومعنى الفتح المرة من القبض ثم
اطلقت على المقبوض وهو معنى القبضة بضم القاف من اثر الرسول اي من المحل الذي وقع عليه حافر
فرس جبريل اي الملك الذي ارسل اليك ليذهب بك الى الطور للمناجاة واخذ التوراة ولعل ذكره
بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على مالم يقف عليه القوم وللتنبيه على وقت اخذ القبضة فنبذتها
اي فطرحتها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل فخار وكذلك اي ومثل ذلك التسويل سولت
اي زينت لي نفسي قاله الاخفش وقيل حدثتني نفسي ان افعله ففعلته اتباعا لهواي وهو اعتراف
بالخطأ واعتذار فلما سمع موسى منه ذلك قال فاذهب من بيننا فان لك في الحيوة اي ما دمت حيا
وما عشت ان تقول لمن رايته لا مساس اي لا تقربني وهو ماخوذ من المماسة اي لا يمسك احد ولا
تمس احدا لكن لا بحسب الاختيار منك بل بموجب الاضطرار الملجئ الى ذلك لان الله سبحانه امر موسى ان
ينفي السامري عن قومه وامر بني اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له لا شئ اوحش منها
ولا اعظم في الدنيا ويقال ان قومه باقية فيهم تلك الحالة الى اليوم قيل انه لما قال له موسى ذلك
هرب فجعل يهيم في البرية مع السباع والوحش لا يجد احدا من الناس يمسه حتى صار كمن يقول لا

بعيدة عن الناس وبعد الناس عنه قال الجوهري في الصحاح وأما قول العرب لا مساس
مثل قطام فإنما بني على الكسر لأنه معدول عن المصدر وهو المس انتهى وقرئ لا مَساس مصدر ماسّ
كقتال من قاتل وهو يقتضي المشاركة وهو مبني مع لا الجنسية والمراد به النفي أي لا تمسني ولا أمسك
وحاصل ما قيل في معنى لا مساس ثلاثة أوجه الأول أنه حرم عليه مماسة الناس وكان إذا مسه
أحد حُمّ الماس والممسوس فلذلك كان يصيح إذا رأى أحدا لا مساس والثاني أن المراد منع الناس من مخالطته
واعترض بأن الرجل إذا صار مهجورا فلا يقول هو لا مساس وإنما يقال له ذلك وأجيب بأن المراد الحكاية
أي أجعلك يا سامري بحيث إذا أخبرت عن حالك قلت لا مساس والثالث أن المراد انقطاع نسله وأن
يخبر بأنه لا يتمكن من مماسة المرأة قاله أبو مسلم وهو ضعيف جدا ويقال إن موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى
لا تقتله فإنه سخي نقله القرطبي وهذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وأن لا يخالطوا
قاله الكرخي ثم ذكر حاله في الآخرة فقال وإن لك موعدا لن تخلفه بفتح اللام وبالفوقية مبنيا للمفعول
أي لن يخلفك الله ذلك الموعد وهو يوم القيامة والموعد مصدر أي إن لك وعد العذاب وهو كائن لا
محالة قال الزجاج أي يكافيك الله على ما فعلت في القيامة والله لا يخلف الميعاد وقرئ لن تخلفه بكسر اللام وله
معنيان أحدهما ستأتيه ولن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه ولن تجده مخلفا كما تقول أحمدته أي وجدته
محمودا والثاني على التهديد أي لا بد لك أن تصير إليه وقرئ لن يخلفه الله موعده الذي وعد لك بل توافيه وسيصل
إليك ولن تستطيع الروغان ولا الحيدة عنه وقرئ لن نخلفه بالنون وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه
عاكفا أصله ظللت وقرئ بكسر الظاء أي دمت وأقمت على عبادته قاله ابن عباس والعاكف الملازم
لنحرقنه بالنار وقرئ بضم النون وتشديد الراء من حرّقه يحرّقه ومن أحرقه يحرقه ومن حرقت
الشيء أحرقه حرقا إذا بردته وحككت بعضه ببعض أي لنبردنه بالمبارد ويقال للمبرد المحرق والقراءة
الأولى أولى ومعناها الإحراق بالنار وكذلك معنى الثانية وقد جمع بين هذه الثلاث القراءات بأنه أحرق
ثم برد بالمبرد وفي قراءة ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه واللام هي الموطئة للقسم ثم لننسفنه في اليم
نسفا قال ابن عباس أي لنذرينه في هواء البحر بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر والمقصود من ذلك زيادة
عقوبته وإظهار غباوة المفتنين لمن له أدنى نظر والنسف نفض الشيء لتذهب به الريح وقرئ بضم السين وبكسرها
وهما لغتان والمنسف ما ينسف به الطعام وهو شيء منصوب الصدر أعلاه مرتفع والنسافة ما يسقط منه

والنسف التفرقة والتذرية وقيل قلع الشيء من اصله واليم البحر قاله ابن عباس وقال ... انما الهكم
الله الذي لا اله الا هو لا هذا العجل الذي فتنكم به السامري استيناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال
الباطل وسع كل شيء علما اي وسع علمه كل شيء وقرئ وسع مشددة قال قتادة وسع ملأ
وهذا اخر قصة موسى في هذه السورة المبتدأة بقوله وهل اتاك حديث موسى الخ كذلك كلام مستأنف
خوطب به النبي صلعم تسلية له وتبصرة باحوال من تقدم وتكثير المعجزاته وتذكيرا للمستبصرين من امته
اي كما قصصنا عليك خبر موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق اي من اخبار الحوادث الماضية
في الامم الخالية لتكون تسلية لك ودلالة على صدق نبوتك وقيل ما سبق من الامور ومن للتبعيض
اي بعض اخبار ذلك وقد اتيناك من لدنا ذكرا منطويا ومشتملا على هذه القصص والاخبار
والمراد بالذكر القران قاله ابن زيد وسمي ذكرا لما فيه من الموجبات للتذكر والاعتبار وقيل المراد بالذكر
الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك ثم توعد سبحانه المعرضين عن هذا الذكر فقال من اعرض عنه
فلم يؤمن به ولا عمل بما فيه وقيل عن الله سبحانه فانه اي المعرض عنه يحمل يوم القيامة وزرا اي
اثما عظيما وعقوبة ثقيلة بسبب اعراضه خالدين فيه اي في عذاب الوزر والمعنى انهم مقيمون في
جزائه فاقيم السبب مقام المسبب وساء لهم اللام للبيان كما في هيت لك يوم القيمة حملا اي بئس
الحمل والمخصوص بالذم محذوف اي ساء لهم حملا وزرهم يوم اي اذكر يوم ينفخ وقرئ بضم التحتية وبالنون
وبفتح الياء على ان الفاعل هو الله او اسرافيل في الصور بسكون الواو وقرئ بفتحها جمع صورة والاول
اولى وهو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله ونحشر
المجرمين المراد بهم المشركون والكافرون والعصاة المأخوذون بذنوبهم التي لم يغفرها الله لهم والمراد
بقوله يومئذ يوم النفخ في الصور زرقا اي زرق العيون مع سواد الوجوه والزرقة الخضرة في العين
كعين السنور والعرب تتشاءم بزرقة العين لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق والزرقة اسوء
الوان العين وابغضها الى العرب ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين
قال الفراء زرقا اي عميا وقال الازهري عطاشا وهو قول الزجاج لان سواد العين يتغير بالعطش
الى الزرقة وقيل انه كناية عن الطمع الكاذب اذا تعقبته الخيبة وقيل هو كناية عن شخوص البصر
من شدة الحرص والقول الاول اولى والجمع بين هذه الاية وبين قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم

عميا وبكما وصما اما قيل من ان يوم القيامة حالات ومواطن تختلف فيها صفاتهم ويتنوع عندها
عذابهم قال ابن عباس فيه حالات يكونون في حال زرقا وفي حال عميا يتخافتون بينهم اي يتشاورون
قاله ابن عباس وقيل يتسارون جملة حالية او مستأنفة لبيان ما هم فيه في ذلك اليوم والخفت
في اللغة السكون والمخافتة والتخافت والخفت بوزن السبت اسرار المنطق ثم قيل لمن خفض صوته
خفته والمعنى يتخافضون اصواتهم ويخفونها ويقول بعضهم لبعض لما لحقهم من هول ذلك اليوم ورعبه
إن اي ما لبثتم في الدنيا او في القبور او ما بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة إلا عشراً اي عشر ليالي
بايامها لان الشهور تؤرخ بالليالي فتكون الايام داخلة فيها تبعا قاله في الكشاف والمعنى انهم
يستقصرون ويستقلون مدة مقامهم ولبثهم في الدنيا جدا وقيل المراد بالعشر عشر ساعات ثم لما
قالوا هذا قال الله سبحانه نحن أعلم بما يقولون فيما بينهم إذ يقول أمثلهم طريقة اي اعدلهم قولا
واكملهم رأيا واعلمهم عند نفسه وقال سعيد بن جبير اوفاهم عقلا إن لبثتم إلا يوما
واحدا ونسبة هذا القول الى امثلهم لكونه ادل على شدة الهول لا لكونه اقرب الى الصدق ويسئلونك
عن الجبال قال ابن جريج قالت قريش كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة اي على سبيل الاستهزاء
[illegible] فامره الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال فقل الفاء جواب شرط محذوف والتقدير ان سألوك
فقل او للمسارعة الى الزام السائلين ينسفها ربي نسفا قال ابن الاعرابي وغيره يقلعها قلعا من اصولها
ثم يصيرها رملا تسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا ثم كالهباء المنثور
يقال نسفت الريح التراب نسفا من باب ضرب اقتلعته وفرقته واسم الآلة منسف بكسر الميم فيذرها اي
يترك الجبال باعتبار مواضعها اي فيذر مواضعها واجزاءها السافلة الباقية بعد النسف وهي
مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه مسطح اجزاء الارض بعد نسف ما كان عليها
من الجبال الشواهق او الضمير للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال قاعا
صفصفا قال ابن الاعرابي هو الارض الملساء بلا نبات ولا بناء وقال الفراء القاع مستنقع الماء
والصفصف القرعاء الملساء التي لا نبات فيها كأن اجزاءها صف واحد من كل جهة فصفصفا قريب في
المعنى من قاعا فهو كالتاكيد له قال الجوهري القاع المستوي الصلب من الارض والجمع اقوع واقواع و
قيعان والظاهر من لغة العرب ان القاع الموضع المنكشف والصفصف المستوي الاملس لا ترى فيها

الضمير راجع الى مقار الجبال بذلك الاعتبار او الى الارض على ما مر عوجًا اي انخفاضًا وهو بكسر العين
التعوج قاله ابن الاعرابي ولا امتًا هو التلال الصغار والامت في اللغة المكان المرتفع وقيل العوج
الميل والامت الاثر مثل الشراك وقيل العوج الوادي والامت الرابية وقيل الامت النتوء اليسير يقال مد
حبله حتى ما فيه امت وقيل هما الانخفاض والارتفاع وقيل العوج الصدوع والامت الاكمة وقيل الامت
الشقوق في الارض وقيل الآكام وقيل الامت ان تغلظ في مكان وترق في مكان ووصف مواضع الجبال
بالعوج بكسر العين ههنا يدفع ما يقال ان العوج بكسر العين في المعاني وبفتحها في الاعيان والمحسوسات
وما ههنا من قبيل الاول لكنه عبر فيه بمكسور العين لكونه لشدة خفائه كانه صار من قبيل المعاني
اي لا تدركه فيها ولو تاملته بالمقاييس الهندسية قاله ابو السعود وقد تكلف لذلك صاحب الكشاف في
هذا الموضع بما يغني وفي غايره سعة وعن ابن عباس قال هي الارض الملساء التي ليس فيها رابية
مرتفعة ولا انخفاض قال البيضاوي هي ثلثة احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث
باعتبار القياس يَوْمَئِذٍ اي يوم نسف الجبال يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ اي يتبع الناس داعي الله الى المحشر فيقبلون
من كل اوب الى صوبه قال الفراء يعني بالداعي صوت الحشر وقيل هو اسرافيل اذا نفخ في الصور والراجح
ان الداعي جبريل والنافخ اسرافيل تامل لَا عِوَجَ لَهُ اي لا معدل لهم عن دعائه فلا يقدرون على ان يزيغوا
عنه وينحرفوا منه بل يسرعون اليه كذا قال اكثر المفسرين وقيل لا عوج لدعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا
شمالا بل يتبعونه ويأتونه سراعا ولا يميلون الى ناس دون ناس وقيل لا عوج لذلك الاتباع والاول اظهر
وعن محمد بن كعب القرظي قال يحشر الناس يوم القيامة في ظلمة تطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس
والقمر وينادي مناد فيتبع الناس الصوت يؤمونه فذلك قول الله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له
وعن ابي صالح في الآية قيل يضع اسرافيل الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس وينادي ايتها
العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة والاوصال المتقطعة هلمي الى عرض الرحمن فان الله يأمركن ان تجتمعن
لفصل القضاء فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون عنه ويستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته وَخَشَعَتِ
الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ اي خضعت لهيبته وجلاله وقيل ضعفت لعظمته وقيل خلت من شدة
الفزع وقيل سكنت قاله ابن عباس والمراد اصحاب الاصوات فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا هو الصوت الخفي قاله
ابن عباس ومجاهد وقال اكثر المفسرين هو صوت نقل الاقدام الى المحشر ووطئها ومنه همست الابل اذا سمع ذلك

من وقع اخفافها على الارض وعن الضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن مثله وعن سعيد
ايضا قال سر الحديث وظاهره ان المراد هنا كل صوت خفي سواء كان بالقدم او من الفم بتحريك الشفاه
او غير ذلك ويؤيده قراءة ابي فلا ينطقون الا همسا وهو مصدر همست الكلام من باب ضرب اذا اخفيته
والاستثناء مفرغ وقال الزمخشري الهمس الذكر الخفي ومنه الحروف المهموسة يومئذ اي يوم يقع ما ذكرنا
لا تنفع الشفاعة من شافع كائنا من كان الا شفاعة من اذن له الرحمن في ان يشفع له وبه قال القاضي
كالكشاف لما فيه من تعظيم الشافع واللام للتعليل اي لاجله ورضي له قولا اي رضي قوله في
الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع والمعنى انما تنفع الشفاعة لمن اذن له الرحمن في ان يشفع وكان
له قول يرضى ومثل هذه الاية قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وفيه دلالة على انه لا يشفع احد لاحد الا
لمن ياذن الله له فيها فلا شفاعة الا باذن منه سبحانه وهل يدل على انه لا يشفع لغير المؤمنين وبه
صرح البغوي وهذه الاية من اقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة في حق الفساق لان قوله ورضي له
قولا يكفي في صدقه ان يكون الله تعالى قد رضي له قولا واحدا من اقواله والفاسق قد رضي الله من
اقواله شهادة ان لا اله الا الله فوجب ان تكون الشفاعة نافعة له بعد الاذن لان الاستثناء من النفي
اثبات والجملة تفسير لمن يؤذن في الشفاعة له وحاصل هذا التفسير انه كل من قال في الدنيا لا اله
الا الله اي كان مسلما ومات على الاسلام وان عمل السيئات يعلم ما بين ايديهم من امور الساعة
والاخرة وما خلفهم من امور الدنيا والمراد هنا جميع الخلق وقيل المراد بهم الذين يتبعون الداعي
وقيل الضمير للشافعين وقال ابن جرير يرجع الى الملائكة اعلم الله من يعبدها انها لا تعلم ما بين
ايديها وما خلفها والعموم اولى ولا يحيطون به علما اي بالله سبحانه لا تحيط علومهم بذاته ولا بصفاته
ولا بمعلوماته وقيل الضمير راجع الى ما في الموضعين فانهم لا يعلمون جميع ذلك وعنت الوجوه للحي
القيوم اي ذلت وخضعت قاله ابن الاعرابي وعن ابن عباس وقتادة مثله وقال مجاهد خشعت
وقال ابو العالية خضعت وعن ابن عباس قال وعنت الوجوه الركوع والسجود قال الزجاج معنى
عنت في اللغة خضعت يقال عنى يعنو عنوا اذا خضع وذل واعناه غيره اي اذله ومنه قيل للاسير عاني
والجمع عناة وقيل هو من العناء بمعنى التعب وذكر الوجوه واراد بها اصحابها وخص الوجوه بالذكر

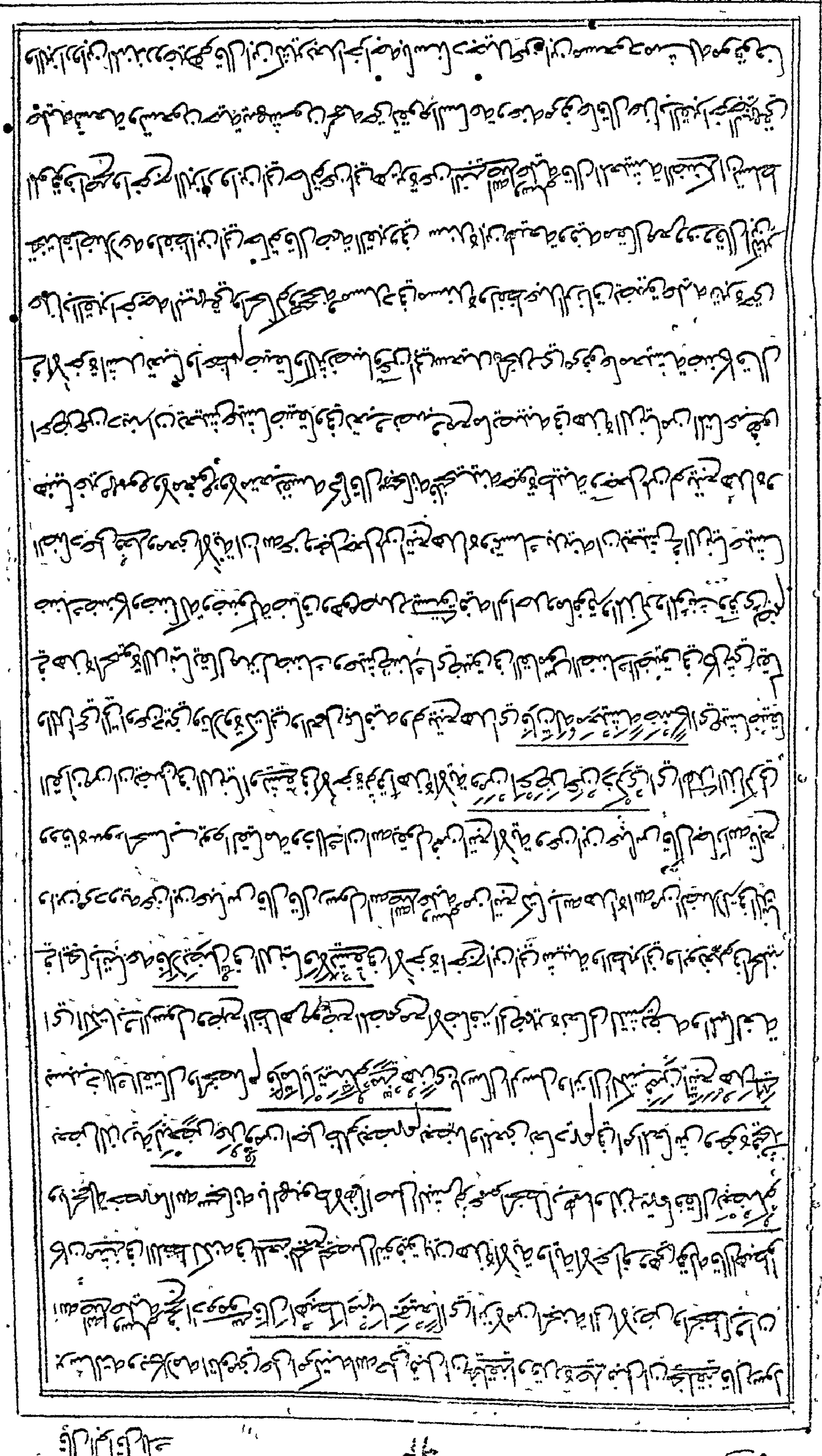
لان الخضوع بها يتبين واول ما يظهر فيها ثم قسمها الى قسمين بقوله وقد خاب من حمل ظلما اي
خسر من حمل شيئا من الظلم وقيل هو الشرك وبه قال ابن جريج وقتادة وقوله ومن يعمل من الاعمال
الصالحات الطاعات وهو اي والحال انه مؤمن بالله لان العمل لا يقبل من غير ايمان بل هو شرط في القبول
فلا يخاف قرئ برفعه على النفي والاستيناف اي فهو لا يخاف وقرئ بجزمه على النهي ظلما يصاب به من نقص ثواب
في الاخرة ولا هضما هو النقص والكسر يقال هضمت لك من حقي اي حططته وتركته ونقصت منه وهذا يهضم
الطعام اي ينقص ثقله وامرأة هضيم الكشح اي ضامرة البطن ومنه ايضا طلعها هضيم اي دقيق متراكم
كان بعضه يظلم بعضا فينقصه حقه ورجل هضيم ومهتضم اي مظلوم وهضمته واهتضمته وتهضمته كله بمعنى
قيل الظلم والهضم متقاربان وفرق القاضي الماوردي بينهما فقال الظلم منع جميع الحق والهضم منع بعضه قال
قتادة ظلما ان يزاد في سيئاته ولا هضما ان ينقص من حسناته وقيل هضما اي غصبا وقيل لا يؤاخذ
بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها وكذلك اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القران كله حال كونه
قرانا عربيا اي بلغة العرب ليفهموه ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق
البشر نازلا من عند خالق القوى والقدر واضمار القران من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شانه وكونه
مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان وصرفنا اي وبينا فيه ضروبا من الوعيد تخويفا وتهديدا او كررنا
فيه بعضا منه والمراد الجنس ومن مزيدة على رأي الاخفش لعلهم يتقون اي كي يخافوا الله فيجتنبوا معاصيه
ويحذروا عقابه او يحدث لهم ذكرا اي اعتبارا واتعاظا بهلاك من تقدمهم من الامم فيعتبرون وقيل
ورعا وقيل شرفا وقيل طاعة وعبادة لان الذكر يطلق عليهما واسند الذكر الى القران ولم تضف التقوى اليه لان
التقوى عبارة عن ان لا يفعل القبيح وذلك استمرار على العدم الاصلي فلم يحسن اسناده الى القران واما حدوث
الذكر فامر حدث بعد ان لم يكن فجازت اضافته اليه قاله الكرخي فتعالى الله الملك الحق لما بين سبحانه للعباد
عظيم نعمته عليهم بانزال القران نزه نفسه عن مماثلة مخلوقاته في شيء من الاشياء اي جل الله عن الحاد
الملحدين وعما يقول المشركون والمعطلون في صفاته فانه الملك الذي بيده الثواب والعقاب نافذ امره
ونهيه وانه الحق اي ذو الحق في ملكوته والوهيته او الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده او الثابت في ذاته
وصفاته وانما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره
اولى به منه ولا تعجل بالقران اي بقراءته من قبل ان يقضى اليك وحيه اي يفرغ جبريل من ابلاغه

قال آدم اقيل لك

قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يبادر جبريل فيقرأ قبل ان يفرغ جبريل من الوحي حرصا منه على ما
ينزل عليه منه فنهاه الله عن ذلك ومثله قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به على ما يأتي ان شاء الله تعالى
وقيل المعنى ولا تلقه الى الناس قبل ان يأتيك بيان تأويله وقرئ نقضي بالنون قال ابن عباس لا تعجل
حتى نبينه لك وقال قتادة لا تتله على احد حتى نتمه لك وعن الحسن قال لطم رجل امرأته فجاءت الى النبي
صلى الله عليه وسلم تطلب قصاصا فجعل النبي صلى الله عليه وسلم القصاص فانزل الله ولا تعجل بالقرآن الآية فوقف النبي
صلى الله عليه وسلم حتى نزلت الرجال قوامون على النساء الآية أخرجه الفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم
وابن مردويه وقل رب زدني علما اي سل في نفسك ربك زيادة العلم بكتابه ومعانيه فانه الموصل
الى مطلوبك دون الاستعجال فكلما انزل عليه شيء منه ازداد به علمه وما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب
الزيادة في شيء الا في العلم وفيه التواضع والشكر له والتنبيه على عظم موقع العلم وفضله وكان ابن مسعود
اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني علما وايمانا ويقينا ذكره الخطيب واقول رب زدني علما نافعا وعملا
صالحا وايمانا كاملا ويقينا تاما و ——— عاقبة محمودة ولقد عهدنا الى آدم اللام هي الموطئة
للقسم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من تصريف الوعيد اي لقد امرناه ووصيناه والمعهود محذوف
وهو ما سيأتي من نهيه عن الاكل من الشجرة من قبل اي من قبل هذا الزمان واكله منها فنسي المراد بالنسيان
هنا ترك العمل بما وقع به العهد اليه فيه وبه قال اكثر المفسرين كما في قوله انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب
فلا يشكل بوصفه بالعصيان غما وقيل النسيان على حقيقته وانه نسي ما عهد الله به اليه وسهى عنه
وكان آدم مأخوذا بالنسيان في ذلك الوقت وان كان النسيان مرفوعا عن هذه الامة والمراد من الآية
تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على القول الاول اي ان طاعة بني آدم للشيطان امر قديم وان هؤلاء المعاصرين له
ان نقضوا العهد فقد نقض ابوهم آدم كذا قال ابن جرير والقشيري وما اعترضه ابن عطية قائلا لا يكون
آدم مماثلا للكفار الجاحدين بالله فليس بشيء وقرئ فنسي بضم النون وتشديد السين مكسورة اي
فنساه ابليس قال ابن عباس انما سمي الانسان لانه عهد اليه فنسي اي لقد عهدنا الى آدم ان لا يقرب الشجرة
فنسي فترك عهده ولم نجد من الوجدان بمعنى العلم او من الوجود ضد العدم له عزما اي حزما و
صبرا عما نهيناه عنه او حفظا قاله ابن عباس والعزم في اللغة توطين النفس على الفعل والتصميم عليه
والمضي على المعتقد في اي شيء كان وقد كان آدم عليه السلام قد وطن نفسه على ان لا يأكل من الشجرة

وصمم على ذلك فلما وسوس اليه ابليس لانت عريكته وفتر عزمه وادركه ضعف البشر وقيل العزم الصبر
كما اي لم نجد له صبرا عن اكل الشجرة قال النحاس وهو كذلك في اللغة يقال لفلان عزم اي صبر وثبات على
التحفظ عن المعاصي حتى يسلم منها ومنه كما صبر اولو العزم من الرسل وقيل المعنى ولم نجد له عزما على الذنب وبه
قال ابن كيسان وقيل ولم نجد له رايا معزوما عليه وبه قال ابن قتيبة ثم شرع سبحانه في كيفية ظهور
نسيانه وفقدان عزمه واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم اي اذكر وتعليق الذكر بالوقت مع ان
المقصود ذكر ما فيه من الحوادث للمبالغة لانه اذا وقع الامر بذكر الوقت كان ذكر ما فيه من الحوادث
لازما بطريق الاولى كررت هذه القصة في سبع سور من القرآن لسر يعلمه الله وبعض خلقه فسجدوا
الا ابليس وهو ابو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم استثناء منقطع وقيل متصل والاول اولى ابى
ان يسجد لآدم وقال انا خير منه فقلنا يا آدم ان هذا يعني ابليس عدو لك ولزوجك اي حواء بالمد
حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا
له فلا يخرجنكما من الجنة اسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته فعل ما
يترتب عليه الخروج صح ذلك فتشقى الشقاء الشدة والعسر ويمد ويقصر يقال شقي كرضي شقاوة والمعنى فتتعب في
تحصيل ما لا بد منه في المعاش وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع
والطحن والخبز ولم يقل فتشقيا لان الكلام من اول القصة مع آدم وحده او ان في ضمن شقاء الرجل
شقاء اهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على
الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعي على زوجته ثم علل ما يوجبه ذلك النهي بما فيه الراحة الكاملة
عن التعب والاهتمام فقال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى المعنى ان لك فيها تمتعا بانواع المعايش وتنعما
باصناف النعم من المآكل الشهية والملابس البهية فانه لما نفى عنه الجوع والعري افاد ثبوت الشبع والاكتساء له
وهكذا قوله وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فان نفي الظمأ يستلزم حصول الري ووجود المسكن الذي يدفع
عنه مشقة الضحى يقال ضحى الرجل يضحى ضحى اذا برز للشمس فاصابه حرها وعن ابن عباس قال لا يصيبك فيها
عطش ولا حر اذ ليس فيها شمس واهلها في ظل ممدود فذكر سبحانه ههنا انه قد كفاه الاشتغال بامر
المعاش وتعب الكد في تحصيله ولا ريب ان اصول المتاعب في الدنيا التي يدور عليها كفاية الانسان هي تحصيل
الشبع والري والكسوة والكن وما عدا هذه ففضلات يمكن البقاء بدونها وهو اعلام من الله سبحانه لآدم

انه ان اضاعة ثلة في الجنة هذا اكله وان ضيع وصيته ولم يحفظ عهدنا اخرجه من الجنة الى الدنيا
فيحل به التعب والنصب بما يدفع به الجوع والعري والظمأ والضحى فالمراد على هذا بالشقاء المتقدم شقاء الدنيا
كما قاله كثير من المفسرين لا شقاء الاخرى قال الفراء هو ان ياكل من كد يديه وقال الصفوي قابل سبحانه وتعالى
بين الجوع والعري والظمأ والضحى وان كان الجوع يقابل العطش والعري يقابل الضحى لان الجوع ذل الباطن و
العري ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر فنفى عن ساكنها ذل الظاهر والباطن وحرهما ذكره
ابن قتيبة وفصل الظمأ من الجوع مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحى المتجانسين
لتوفية مقام الامتنان حقه للاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين
الجوع والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحى ولزيادة التقرير بالتنبيه على
ان نفي كل واحد من هذه الامور مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق
الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع كل من المتجانسين قاله ابو السعود فوسوس اليه
الشيطان قد تقدم تفسيره وما بعده في الاعراف في قوله فوسوس لهما اي انهى اليه وسوسته واما
وسوس له فمعناه وسوس لاجله وقال ابو البقاء عدي بالى لانه بمعنى اسر وعدي باللام في موضع آخر لانه
بمعنى ذكر له ويكون بمعنى لاجله قال يا آدم بيان لصورة الوسوسة هل ادلك على شجرة الخلد هي الشجرة
التي من اكل منها لم يمت اصلا وبقي مخلدا اخرج احمد وعبد بن حميد وابن ابي حاتم عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وهي شجرة الخلد وملك لا يبلى
اي تصرف يدوم لا يزول ولا ينقضي ولا يبيد ولا يفنى وهو لازم الخلود فاكلا اي آدم وحواء منها اي
من الشجرة فبدت لهما سوآتهما يعني عراهما من الثياب التي كانت عليهما بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما
اكلا من الشجرة حتى بدت لكل منهما فروجهما وظهرت عوراتهما وسمي كل منهما سوءة لان انكشافه يسوء
صاحبه ويخزيه وطفقا طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كـ كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا
الا انه للشروع في اول الامر وكاد للدنو منه قال الفراء معنى طفقا في العربية اقبلا وقيل اخذ وجعلا
يخصفان يلصقان عليهما ويلزقان لاجل سوآتهما اي سترهما فعلى تعليلية من ورق الجنة اي
من ورق التين بعضه ببعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به وعصى آدم ربه اي خالف
نهيه بالاكل من الشجرة فالعصيان هو المخالفة لكنه خالف بتأويل لانه اعتقد ان احدا لا يحلف بالله كاذبا



وجميع ما ذكرناه هنا يرجح تفسير المعيشة الضنكى بعذاب القبر وعنه قال بالشقاء وقيل هو الزقوم
والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث والاول اولى وقال ابن جبير يسلبه القناعة
في المعصية
حتى لا يشبع وفي الحياة وان كان في رخاء ونعمة قاله الرازي والمراد بها عيشه في جهنم وبما تقرر
علم انه لا يرد ان يقال نحن نرى المعرضين عن الايمان في خصب معيشة ونحشره اي المعرض عن القرآن
يوم القيامة اعمى اي مسلوب البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا قال النسفي وهو
الوجه وقيل المراد العمى عن الحجة وقيل اعمى عن جهات الخير لا يهتدي الى شيء منها وقال عكرمة عمي عليه
كل شيء الا جهنم وفي لفظ لا يبصر الا النار قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا و
عند البعث قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت او الامر كذلك ثم فسره بقوله اتتك آياتنا فنسيتها
اي اعرضت عنها وتركتها ولم تنظر فيها وكذلك اليوم اي مثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته
في الدنيا تنسى اي تترك في العمى والنار وقيل تنسى من الخير والبركة والرحمة ولم ينسوا من العذاب في
النار قال الفراء يقال انه يخرج بصيرا من قبره فيعمى في حشره وكذلك اي مثل ذلك الجزاء نجزي
من اسرف الاسراف الانهماك في الشهوات وقيل الشرك بالله قاله سفيان ولم يؤمن بآيات ربه
بل كذب بها ولعذاب الآخرة اشد اي افظع من المعيشة الضنكى وابقى اي ادوم واثبت لانه لا ينقطع
افلم يهد لهم الاستفهام للتقريع والتوبيخ وقرئ بالنون والمعنى على هذا واضح والجملة مستأنفة لتقرير
ما قبلها كم اهلكنا قبلهم من القرون قال القفال جعل كثرة ما اهلك من القرون مبينا لهم
قال النحاس وهذا خطأ لان كم استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها وقال الزجاج المعنى افلم يهد لهم الامر
باهلاكنا من اهلكناه وحقيقته تدل على الهدى فالفاعل هو الهدى وقيل الفاعل ضمير الله او الرسول
او القرآن والجملة بعده تفسره ومعنى الآية على ما هو الظاهر افلم يتبين لاهل مكة خبر من اهلكنا
قبلهم من القرون فيعتبروا بهذا الاهلاك فيرجعوا عن تكذيب الرسول والمراد امة الدعوة لا امة الاجابة
حتى لا يتوهم عدم تناوله للكفرة يمشون في مساكنهم ويتقلبون في ديارهم او حال كون هؤلاء يمشون
في مساكن القرون الذين اهلكناهم عند خروجهم للتجارة وطلب المعيشة الى الشام وغيرها فيرون بلاد
الامم الماضية والقرون الخالية خاوية خاربة من اصحاب الحجر وثمود وقرى قوم لوط فان ذلك مما يوجب
اعتبارهم لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك ان في ذلك لآيات لاولي النهى تعليل للانكار وتقرير

للهداية والاشارة الى مضمون كم اهلكنا والنهى جمع نهية وهي العقل اي لذوي العقول التي تنهى اربابها
عن القبيح ولولا كلمة سبقت من ربك اي الكلمة السابقة وهي وعد الله سبحانه بتاخير عذاب
هذه الامة الى الدار الآخرة لكان عقاب ذنوبهم لزاما اي لازما لهم في الدنيا لا ينفك عنهم بحال ولا يتاخر
كما لزم القرون الماضية واللزام مصدر لازم واجل مسمى هو يوم القيامة او يوم بدر وقيل اي لكان الاخذ
العاجل واجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود وفيه تعسف ظاهر قال ابن عباس هذا من
مقاديم الكلام يقول لولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما اي موتا وعن السدي نحوه وعن مجاهد قال الاجل
المسمى الكلمة التي سبقت ثم لما بين الله سبحانه انه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال امره بالصبر فقال فاصبر
على ما يقولون من انك ساحر كذاب شاعر كاهن ونحو ذلك من مطاعنهم الباطلة والمعنى لا تحتفل
بهم فان لعذابهم وقتا مضروبا لا يتقدم ولا يتاخر وانهم معذبون لا محالة فتسل واصبر وقيل هذا منسوخ
باية القتال وقيل انها محكمة قال الشهاب الفاء سببية والمراد بالصبر عدم الاضطراب الحاصل منهم
لا ترك القتال حتى تكون الآية منسوخة وسبح بحمد ربك اي متلبسا بحمده قال اكثر المفسرين والمراد
الصلوات الخمس كما يفيده قوله قبل طلوع الشمس فانه اشارة الى صلوة الفجر وقبل غروبها فانه اشارة
الى صلوة العصر وفي صحيح مسلم وسنن ابي داود والنسائي عن عمارة بن رويبة سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل العتمة والمراد بالآناء
الساعات وهي جمع انا بالكسر والقصر وهو الساعة ومعنى فسبح فصل المغرب والعشاء والفاء اما عاطفة
على مقدر او واقعة في جواب شرط مقدر او زائدة قال ابن عباس هي الصلوة المكتوبة وفي الصحيحين وغيرهما
من حديث جرير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته
فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا وقرأ هذه الآية
واطراف النهار اي في طرفي نصفيه اي في الوقت الذي يجمع الطرفين وهو وقت الزوال فهو نهاية
للنصف الاول وبداية للنصف الثاني والمراد صلوة الظهر لان الظهر في آخر طرف النهار الاول واول طرف النهار
الآخر وقيل ان الاشارة الى صلوة الظهر هي بقوله وقبل غروبها لانها هي وصلوة العصر قبل غروبها
وقيل المراد بالآية صلوة التطوع ولو قيل ليس في الآية اشارة الى الصلوة بل المراد التسبيح في هذه الاوقات
اي قول القائل سبحان الله لم يكن ذلك بعيدا من الصواب والتسبيح وان كان يطلق على الصلوة لكنه مجاز

والحقيقة اولى الا القرينة تصرف ذلك الى المعنى المجازي وجميع الاطراف وهما طرفان لأمن الالتباس
لعلك ترضى اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عند الله سبحانه ما ترضى به نفسك من الثواب هذا
على قراءة الجمهور وقرئ ترضى بضم التاء اي يرضيك ربك وتعطى ما يرضيك ولا تمدن عينيك اي لا تطل نظر
عينيك بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به اي لذذنا فالامتاع والتمتيع معناه الايقاع في اللذة
ازواجا منهم مد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وفيه ان النظر الغير
الممدود معفو عنه وذلك ان يبادر الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون في وجوب غض
البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقدقة
هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم اتخذوا هذه الاشياء
لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها وقد تقدم تفسير هذه الآية
في الحجر زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها وبهجتها بالنبات وغيره وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي نور النبات
وذكر السمين في نصبه تسعة اوجه واخرج ابن ابي حاتم عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اخوف ما اخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال
بركات الارض لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم وضلالة ابتلاء منا لهم كقوله انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم في الآخرة وقيل لنشدد عليهم في التكليف وقيل لنزيد
لهم النعمة فيزيدوا بذلك كفرا وطغيانا ورزق ربك اي ثواب الله في الجنة وما ادخر لصالحي عباده
في الآخرة خير مما رزقهم في الدنيا على كل حال وايضا فان ذلك لا ينقطع وهذا ينقطع وهو معنى
وابقى وقيل المراد بهذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين من الغنائم ونحوها والاول اولى لان الخيرية
المحققة والدوام الذي لا ينقطع انما يتحققان في الرزق الاخروي لا الدنيوي وان كان حلالا طيبا
قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق عن ابي رافع قال اضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا ولم يكن عند
النبي ما يصلحه فارسلني الى رجل من اليهود ان بعنا واسلفنا دقيقا الى هلال رجب فقال لا الا برهن فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال اما والله اني لامين في السماء امين في الارض ولئن اسلفني او باعني لاديت اليه
اذهب بدرعي الحديد فلم اخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية كانه يعزيه عن الدنيا اخرجه البزار وابو يعلى
وابن ابي شيبة وغيرهم وأمر أهلك اي اهل بيته وقيل جميع امته ولم يذكر هنا الامر من الله

بالصلوة بل قصر الامر على جملة اما لكون اقامته لها امرا اجتمعوا ما او لكون امره بها قد تقدم في قوله
وسبح بحمد ربك الخ او لكون امره بالامر لاهله امر اله وهذا قال واصطبر عليها اي اصبر على محافظة
الصلوة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا تشتغل عنها بشيء من امور الدنيا وقيل اصابر عليها فعلا
فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول اخرج ابن النجار وابن عساكر وابن مردويه عن ابي سعيد
الخدري قال لما نزلت هذه الاية كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيء الى باب علي صلوة الغداة ثمانية اشهر يقول
الصلوة رحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واخرج احمد والبيهقي وغيرهما عن
ثابت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اصابت اهله خصاصة نادى اهله يا اهلاه صلوا صلوا
قال ثابت وكانت الانبياء اذا نزل بهم امر فزعوا الى الصلوة وعن عبد الله بن سلام قال السيوطي بسند
صحيح قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت باهله شدة او ضيق امرهم بالصلوة وقرأ وأمر اهلك بالصلوة
الاية وكان عروة بن الزبير اذا رأى ما عند السلاطين قرأ هذه الاية ثم ينادي الصلوة الصلوة وكان بكر
بن عبد الله المزني اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله وعن مالك بن
دينار مثله لا نسألك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك وتشتغل بذلك عن الصلوة
نحن نرزقك ونرزقهم والعاقبة المحمودة وهي الجنة للتقوى اي لاهل التقوى على حذف
المضاف كما قال الاخفش وفيه دليل على ان التقوى هي ملاك الامر وعليها تدور دوائر
الخير وقالوا اي قال كفار مكة لولا هلا يأتينا محمد صلى الله عليه وسلم باية من ربه كما كان يأتي
بها من قبله من الانبياء وذلك كالناقة والعصا او المعنى هلا يأتينا باية من الايات التي
قد اقترحناها عليه فاجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله اولم تأتهم بينة ما في الصحف
الاولى يريد بها التورية والانجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة وفيها التصريح بنبوته والتبشير به و
ذلك يكفي فان هذه الكتب المنزلة هم معترفون بصدقها وصحتها وفيها ما يدفع انكارهم لنبوته
ويبطل تعنتاتهم وتعسفاتهم وقيل المعنى اولم تأتهم اهلاكنا للامم الذين كفروا واقترحوا الايات
فما يؤمنهم ان اتيتهم الايات التي اقترحوها ان يكون حالهم كحالهم وقيل المراد اولم تأتهم اية هي
من الايات واعظمها في باب الاعجاز يعني القران فانه برهان لما في سائر الكتب المنزلة قالوا او عاطفة
على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم تأتهم سائر الايات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى

تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتاتى معه انكار اصلا وقرئ اولم تأتهم بالتحتية
لان معنى البينة البيان والبرهان ولو انا اهلكناهم هو مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها بعذاب
من قبله اي من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم او من قبل اتيان البينة بنزول القرآن لقالوا يوم القيامة
اي لكان لهم ان يحتجوا ويتعللوا بقولهم ربنا لولا هلا ارسلت الينا رسولا في الدنيا فنتبع آياتك
اللاتي يأتي بها الرسول من قبل ان نذل بالعذاب والهوان في الدنيا ونخزى بدخول النار وقرئ نذل
ونخزى على البناء للمفعول وقد قطع الله معذرة هؤلاء الكفرة بارسال الرسول اليهم قبل اهلاكهم ولهذا
حكى الله عنهم انهم قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء قل لهم يا محمد كل اي كل
واحد منا ومنكم متربص اي منتظر لما يؤول اليه الامر فتربصوا انتم فستعلمون عن قريب من
اصحاب الصراط السوي اي الطريق المستقيم ومن اهتدى من الضلالة ونزع عن الغواية أنحن
ام انتم قال النحاس والفراء نذهب الى ان معنى من اصحاب الصراط السوي من لم يضل ومعنى من
اهتدى من ضل ثم اهتدى ومن في الموضعين استفهامية او موصولة

سورة الانبياء مكية قال القرطبي في قول الجميع وهي مائة واحدى او اثنتا عشرة آية

وسميت بذلك لذكر قصص الانبياء فيها واخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال بنو اسرائيل
والكهف ومريم والانبياء من العتاق الاول وهن من تلادي وعن عامر بن ربيعة قال لرجل
من العرب نزل به لا حاجة لي في قطعتك نزلت اليوم سورة اذهلتنا عن الدنيا يريد هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم

يقال قرب الشيء واقترب قال الزجاج المعنى اقترب لهم وقت حسابهم اي القيامة كما في قوله اقتربت
الساعة وتقديم للناس على الحساب لادخال الروعة ومعنى اقتراب الحساب دنوه منهم لانه في كل ساعة
اقرب اليهم من الساعة التي قبلها وقيل لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى وموت كل
انسان قيام ساعته والقيامة ايضا قريبة بالاضافة الى ما مضى من الزمان فما بقي من الدنيا اقل مما مضى

والمراد بالناس العموم وقيل المشركون مطلقا وقيل كفار مكة وعلى هذا الوجه قيل المراد
بالحساب عذابهم يوم بدر وهم في غفلة عن حسابهم وعما يفعل بهم في الدنيا معرضون عن الآخرة
غير متأهبين لما يجب عليهم من الايمان بالله والقيام بفرائضه والانزجار عن مناهيه اخرج
النسائي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال في الدنيا واخرج ابن مردويه عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من امر الدنيا ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث تعليل لما قبله ومن لابتداء
الغاية او زائدة وقد استدل بوصف الذكر بكونه محدثا على ان لفظ القرآن محدث لان الذكر
هنا هو القرآن واجيب بانه لا نزاع في حدوث المركب من الاصوات والحروف لانه متجدد في النزول
ولا خلاف في حدوثها فالمعنى محدث تنزيله وانما النزاع في الكلام النفسي وهذه المسئلة اعني قدم القرآن
وحدوثه قد ابتلي بها كثير من اهل العلم والفضل في الدولة المامونية والمعتصمية والواثقية وجرى
للامام احمد بن حنبل ما جرى من الضرب الشديد والحبس الطويل وضرب بسببها عنق محمد بن نصر الخزاعي
وصارت فتنة عظيمة في ذلك الوقت وما بعده والقصة اشهر من ان تذكر ومن احب الوقوف على
حقيقتها طالع ترجمة الامام احمد بن حنبل في كتاب النبلاء لمؤرخ الاسلام الذهبي ولقد اصاب
ائمة السنة بامتناعهم من الاجابة الى القول بخلق القرآن وحدوثه وحفظ الله صرامة نبيه صلى الله عليه
وسلم عن الابتداع ولكنهم رحمهم الله جاوزوا ذلك الى الجزم بقدمه ولم يقتصروا على ذلك حتى كفروا
من قال بالحدوث بل جاوزوا ذلك الى تكفير من قال لفظي بالقرآن مخلوق بل جاوزوا ذلك الى تكفير من
وقف وليتهم لم يجاوزوا حد الوقف وارجاع العلم الى علام الغيوب فانه لم يسمع من السلف الصالح من
الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى وقت قيام المحنة وظهور القول في هذه المسئلة شيء من الكلام
ولا نقل عنهم كلمة في ذلك فكان الامتناع من الاجابة الى ما دعوا اليه والتمسك باذيال الوقف وارجاع
علم ذلك الى عالمه هو الطريقة المثلى وفيه السلامة والخلوص من تكفير طوائف من عباد الله والامر
لله سبحانه وقيل معنى الآية ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة
في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وهذا القول كالاول وقيل الذكر المحدث
ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه سوى ما في القرآن والاول اولى الا استمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم
او غيره ممن يتلوه استثناء مفرغ وهم يلعبون جملة حالية اي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون والمعنى

يستهزئون به لاهية قلوبهم حال ايضا وهما حالان مترادفان او متداخلان قاله الزمخشري والمعنى
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا في حال الاستماع مع اللعب والاستهزاء ولهوة
القلب واسروا النجوى الذين ظلموا كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم
المعتادة والنجوى اسم من التناجي وهو لا يكون الا سرا فمعناه المبالغة في الاخفاء بحيث لم يفهم احد
تناجيهم ومسارهم تفصيلا ولا اجمالا وانما قالوا ذلك سرا لانهم كانوا في مبادئ الشر والعناد وتمهيد
مقدمات الكيد والفساد وقد اختلف في محل الموصول على اقوال قال ابو عبيدة اسروا هنا من الاضداد
اي بمعنى اخفوا كلامهم وبمعنى اظهروه واعلنوه هل هذا بدل من النجوى مفسر لها او مفعول لمضمر
قيل هل بمعنى النفي اي قالوا ما هذا الرسول الا بشر مثلكم لا يتميز عنكم بشيء وما يأتي به سحر افتأتون
السحر اي اذا كان بشرا مثلكم وكان الذي جاء به سحرا فكيف تجيبون اليه وتتبعونه وانتم تبصرون [illegible]
حال من فاعل تأتون مقرر للانكار ومؤكد للاستبعاد وقالوا اما ذكرنا على ما ثبت في اعتقادهم
الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر يكون سحرا فاطلع الله سبحانه نبيه صلى الله
عليه وسلم على ما تناجوا به وامره ان يجيب عليهم فقال قل ربي يعلم القول في السماء والارض اي لا يخفى
عليه شيء مما يقال فيهما وفي مصاحف اهل الكوفة قال ربي اي قال محمد ربي يعلم فهو عالم بما تناجيتم
قيل الاولى اولى لانهم اسروا هذا القول فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وامره ان يقول لهم هذا
قال النحاس والقراءتان صحيحتان وهما بمنزلة ايتين وهو السميع لكل ما يسمع العليم بكل معلوم فيدخل
في ذلك ما اسروا دخولا اوليا بل للانتقال من غرض الى غرض اخر في المواضع الثلاثة وهي بل قالوا وبل
افتراه وبل هو شاعر كما ذكره ابن مالك في شرح كافيته من انها لا تقع في القران الا على هذا الوجه
وسبقه اليه صاحب البسيط ووافقه ابن الحاجب وهو الحق قالوا الذي يأتي به من القران اضغاث
احلام اي اخلاط رآها في النوم قاله الزجاج وقال القتيبي هي الرؤيا الكاذبة وقال اليزيدي الاضغاث
ما لم يكن له تاويل قال قتادة اي فعل الاحلام انما هي رؤيا رآها يعني اباطيل واهاويل رآها في النوم
بل افتراه حكى سبحانه اضرابهم عن قولهم اضغاث احلام اي بل قالوا افتراه واختلقه من تلقاء
نفسه من غير ان يكون له اصل ثم حكى عنهم الاضراب عن هذا وقالوا بل هو شاعر وما اتى به من
جنس الشعر اي كلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها هذا هو المراد بالشعر هنا وفي هذا

الاضراب منهم والتلون والتردد اعظم دليل على انهم جاهلون بحقيقة ما جاء به لا يدرون ما
هو ولا يعرفون كنهه او كانوا قد علموا انه حق وانه من عند الله ولكن ارادوا ان يدفعوه بالصدر
ويرموه بكل حجر ومدر وهذا شان من غلبته الحجة وقهره البرهان ثم بعد هذا كله قالوا فليأتنا
بآية وهذا جواب شرط محذوف اي ان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من عند الله فليأتنا بآية
اتيانا كائنا كما أرسل الأولون اي مثل ما ارسل موسى بالعصا وغيرها وصالح بالناقة وكان سؤالهم
هذا سؤال تعنت لان الله سبحانه قد اعطاهم من الآيات ما يكفي ولو علم الله سبحانه انهم يؤمنون اذا
اعطاهم ما يقترحونه لاعطاهم ذلك كما قال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون قال الزجاج اقترحوا الآيات التي لا يقع معها امهال فقال الله مجيبا لهم ما آمنت قبلهم
اي قبل مشركي مكة من اهل قرية اهلكناها اي اهلكنا اهلها بتكذيبهم او اهلكناها باهلاك
اهلها وفيه بيان ان سنة الله في الامم السالفة ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا
نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة ومن مزيدة للتوكيد والمعنى ما آمنت قرية من القرى التي اهلكناها بسبب
اقتراحهم قبل هؤلاء فكيف نعطيهم ما اقترحوا وهم اسوة من قبلهم أفهم يؤمنون الهمزة للتقريع
والتوبيخ والمعنى ان لم تؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوا فكيف يؤمن هؤلاء لو اعطوا ما
اقترحوا قال قتادة قال اهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم اذا كان ما تقوله حقا ويسرك ان نؤمن فحول لنا
الصفا ذهبا فأتاه جبريل فقال ان شئت كان الذي سألك قومك ولكنه ان كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا
وان شئت استأنيت بقومك قال بل استأني بقومي فانزل الله ما آمنت قبلهم الآية ثم اجاب الله سبحانه
عن قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله وما أرسلنا اي لم نرسل قبلك الى الامم السالفة إلا رجالا من البشر
مخصوصين من افراد جنسك متأهلين للاصطفاء والارسال ولم نرسل اليهم ملائكة كما قال سبحانه
قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا نوحي إليهم مستأنف
لبيان كيفية الارسال او صفة لرجالا اي متصفين بصفة الايحاء اليهم وصيغة المضارع لحكاية
الحال الماضية ثم امرهم الله بان يسألوا اهل الذكر ان كانوا يجهلون هذا فقال فاسألوا أهل
الذكر هم اهل الكتاب اليهود والنصارى إن كنتم لا تعلمون ان رسل الله من البشر فانهم لا يجهلون
ذلك ولا ينكرونه وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتقدير الكلام ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا اهل الذكر

وتوجيه الخطاب الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة التكبر وقد استدل بالآية على ان
التقليد جائز وهو خطأ ولو سلم لكان المعنى سؤالهم عن النصوص من الكتاب والسنة لا عن الرأي
البحت وليس التقليد الا قبول قول الغير دون حجته والمقلد اذا سأل اهل الذكر عن كتاب الله وسنة
رسوله لم يكن مقلدا قال الرازي ومن الناس من قال المراد باهل الذكر اهل القرآن وهو بعيد لانهم
كانوا طاعنين في القرآن وفي الرسول صلى الله عليه وسلم واما تعلق كثير من الفقهاء بهذه الآية في ان للعامي
ان يرجع الى فتيا العلماء وفي ان للمجتهد ان يأخذ بقول مجتهد آخر فبعيد لان هذه الآية خطاب مشافهة
وهي واردة في هذه الواقعة المخصوصة ومتعلقة باليهود والنصارى على التعيين انتهى وقد قدمنا في
سورة النحل ان سياق هذه الآية الكريمة يفيد ان المراد بها السؤال الخاص وبه يظهر لك ان هذه
الآية دليل الاتباع لا دليل التقليد فارجع اليه وقد اوضح الشوكاني هذا في رسائل بسيطة سماها
القول المفيد في حكم التقليد وادب الطلب ومنتهى الارب وغيره في غيرها ثم لما فرغ سبحانه عن
الجواب عن شبهتهم الكون الرسل من جنس البشر فقال ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾
اي ان الرسل اسوة لسائر افراد بني آدم في حكم الطبيعة يأكلون كما يأكلون ويشربون كما يشربون
والجسد جسم الانسان والجن والملائكة قال الزجاج هو واحد ينبئ عن جماعة اي وما جعلناهم
ذوي اجساد غير طاعمين ﴿وما كانوا خالدين﴾ بل يموتون كما يموت غيرهم من البشر في الدنيا وقد
كانوا يعتقدون ان الرسل لا يموتون فاجاب الله عليهم بهذا ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ اي اوحينا اليهم ما اوحينا
ثم انجزنا وعدهم الذي وعدناهم بانجائهم واهلاك من كذبهم ولهذا قال سبحانه ﴿فانجيناهم ومن نشاء﴾
من عبادنا المؤمنين الذين صدقوهم والمراد انجاؤهم من العذاب واهلاك من كفر بالعذاب الدنيوي ﴿واهلكنا
المسرفين﴾ اي المجاوزين للحد في الكفر والمعاصي وهم المشركون ﴿لقد انزلنا اليكم﴾ يا معشر قريش ﴿كتابا﴾
عظيم الشأن نير البرهان يعني القرآن ﴿فيه ذكركم﴾ كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن الذي
ذكر في صدر السورة اعراضهم عما يأتيهم منه والمراد بالذكر هنا الشرف اي فيه شرفكم قاله ابن عباس
كقوله وانه لذكر لك ولقومك اي فيه ما يوجب الثناء عليكم لكونه بلسانكم نازلا بين اظهركم على
لسان رسول منكم واشتهاره سبب لاشتهاركم وجعل ذلك فيه مبالغة في سببيته له وقيل ذكر
امر دينكم واحكام شرعكم وما تصيرون اليه من ثواب وعقاب وقيل فيه حديثكم قاله مجاهد والحسن

وقيل مكارم اخلاقكم وقيل صيتكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد و
الوعيد وقيل فيه موعظتكم قال ابو السعود وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسباقه فان قوله
أَفَلَا تَعْقِلُونَ انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في الكتاب والتامل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ
والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي
الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر
اوعدهم وحذرهم ما جرى على الامم المكذبة فقال وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً كم هي الخبرية
المفيدة للتكثير والقصم كسر الشيء ودقه يقال قصمت ظهر فلان اذا كسرته وانقصمت سنه اذا انكسرت
والمعنى هنا الاهلاك والعذاب واما الفصم بالفاء فهو الصدع في الشيء من غير بينونة اي وكم قصمنا
من اهل قرية كانوا ظالمين اي كافرين بالله مكذبين بآياته والظلم في الاصل وضع الشيء في غير موضعه
وهم وضعوا الكفر في موضع الايمان قال ابن عباس بعث الله نبيا من حمير يقال له شعيب فوثب اليه
عبد فضربه بعصى فسار اليهم بختنصر فقاتلهم فقتلهم حتى لم يبق منهم شيء وفيهم انزل الله وكم
قصمنا الى قوله خامدين وعن الكلبي في الآية قال هي حضور بني ازد باليمن فيكون التكثير باعتبار
افراد تلك القرية وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا اي اوجدنا واحدثنا بعد اهلاك اهلها قَوْمًا آخَرِينَ ليسوا منهم فَلَمَّا
أَحَسُّوا بَأْسَنَا اي ادركوا وشعروا واوائل بنا بحاسة البصر وقال الاخفش خافوا وتوقعوا والبأس
العذاب الشديد إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ اي يسرعون هاربين ويهربون مسرعين من قريتهم لما رأوا
مقدمة العذاب او من بأسنا لانه في معنى النقمة والبأساء فانث الضمير حملا على المعنى ومن على
الاول لابتداء الغاية وللتعليل على الثاني والركض الفرار والهرب والانهزام واصله من ركض الرجل
الدابة برجليه يقال ركض الفرس اذا كده بساقيه ثم كثر حتى قيل ركض الفرس اذا عدا ومنه اركض
برجلك والمعنى انهم يهربون منها راكضين دوابهم فقيل لهم لَا تَرْكُضُوا اي لا تهربوا قيل ان الملائكة
نادتهم بذلك عند فرارهم وقيل ان القائل لهم ذلك من هنالك من المؤمنين استهزاء بهم
وسخرية منهم وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ يعني ما تنعمتم فيه من الدنيا ولين العيش يعني الى نعمكم التي كانت
سبب بطركم وكفركم والمترف المتنعم يقال اترف فلان اي وسع عليه في معاشه وقل فيه
همه وقال سعيد بن جبير ارجعوا الى دوركم واموالكم وَمَسَاكِنِكُمْ التي كنتم تسكنونها وتفتخرون بها

لعلكم تسألون أي تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات وهذا على طريقة
التهكم بهم والتوبيخ لهم وقيل المعنى لعلكم تسألون عما نزل بكم وجرى عليكم من العقوبة فتخبرون
السائل عن علم ومشاهدة وقيل لعلكم تسألون أن تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول
العذاب بكم وتسألون شيئا من دنياكم على العادة فتعطون من شئتم وتمنعون من
شئتم فإنكم أهل نعمة وثروة وهذا كله توبيخ وتهكم بهم وقيل غير ذلك قال المفسرون وأهل الأخبار
إن المراد بهذه الآية أهل حضور من اليمن وكان أهلها عربا وكان الله سبحانه قد بعث إليهم نبيا
اسمه شعيب بن مهدم وقبره بجبل من جبال اليمن يقال له صنين وبينه وبين حضور نحو بريد
قالوا وليس هو شعيب صاحب مدين قلت وآثار القبر بجبل صنين موجودة والعامة من أهل
تلك الناحية يزعمون أنه قبر ابن قادم فلما كذبوه وقتلوه اتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف
ونادى مناد من جو السماء يا لثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم
قالوا لما قالت لهم الملائكة لا تركضوا يا ويلنا أي يا هلاكنا إنا كنا ظالمين لأنفسنا مستوجبين
للعذاب بما قدمنا فاعترفوا على أنفسهم بالظلم الموجب للعذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة
ولم ينفعهم الندم فما زالت تلك أي هذه الجملة والكلمة دعواهم أي قولهم يا ويلنا أي يدعون
بها ويرددونها حتى جعلناهم حصيدا بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل والحصيد هنا بمعنى المحصود
ومعنى خامدين أنهم ميتون من خمدت النار وهمدت إذا طفئت فشبه خمود الحياة بخمود النار
كما يقال لمن مات قد طفئ والخمود عبارة عن سكون لهبها مع بقاء الجمر والهمود عبارة عن ذهابها
بالكلية حتى تصير رمادا فالأحسن أن يكون المراد بالخمود هنا الهمود فإنه أبلغ معنى والمعنى جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصاد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا أي جعلته جامعا للطعمين قال
مجاهد بالسيف ضرب الملائكة وجوههم حتى رجعوا إلى مساكنهم أخرج ابن أبي حاتم عن ابن وهب
قال حدثني رجل من الجزريين قال كان باليمن قريتان يقال لأحدهما حضور وللأخرى قلابة
فبطروا وأترفوا حتى ما كانوا يغلقون أبوابهم فلما أترفوا بعث الله إليهم نبيا فدعاهم فقتلوه
فألقى الله في قلب بختنصر أن يغزوهم فجهز لهم جيشا فقاتلوهم فهزموا جيشه فرجعوا منهزمين
فجهز إليهم جيشا آخر أكثف من الأول فهزموهم أيضا فلما رأى بختنصر ذلك غزاهم هو بنفسه فقاتلهم حتى خرج

منها يركضون ثم سمعوا مناديا يقول لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم فرجعوا فسمعوا
صوت مناد يقول يا لثارات النبي فقتلوا بالسيف فهي التي قال الله وكم قصمنا من قرية الى قوله
خامدين قلت وقرى حضور معروفة الآن بينها وبين مدينة صنعاء نحو بريد في جهة الغرب منها
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اي لم نخلقهما عبثا ولا باطلا بل للتنبيه على ان
لهما خالقا قادرا يجب امتثال امره واللعب هو محط النفي وفيه اشارة اجمالية الى تكوين العالم والمراد بما
بينهما سائر المخلوقات الكائنة بين السماء والارض على اختلاف انواعها وتباين اجناسها والمعنى ما
سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو وانما سويناهما
لفوائد منها التفكر في خلقهما وما فيهما من المنافع التي لا تعد ولا تحصى وليستدل بها على
قدرة مدبرها وليجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا واللعب فعل يروق اوله ولا ثبات له
ثم نزه ذاته عن سمات النقص فقال لو اردنا ان نتخذ لهوا اللهو ما يتلهى به تقول اهل نجد لهوت عنه
الهو لهيا والاصل لهوي من باب قعد على فعول واهل العالية لهيت عنه الهى من باب تعب ومعناه
السلوان والترك ولهوت به لهوا من باب قتل او لعبت به وتلهيت به ايضا قال الطرطوشي واصل
اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة والهاني الشيء بالالف شغلني قيل اللهو هنا الزوجة والولد
وقيل الزوجة فقط وقيل الولد فقط قال الجوهري قد يكنى باللهو عن الجماع ومنه قول الشاعر ع
وفيهن ملهى للصديق ومنظر والجملة مستانفة لتقرير مضمون ما قبلها وجواب لو قوله لاتخذناه من
لدنا اي من عندنا ومن جهة قدرتنا لا من عندكم ويستثنى نقيض التالي لينتج نقيض المقدم
قال المفسرون اي من الولدان او الحور العين او الملائكة وفي هذا رد على من قال باضافة الصاحبة
والولد الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل اراد الرد على من قال الاصنام او الملائكة بنات الله وقال
ابن قتيبة الاية رد على النصارى ان كنا فاعلين قال المفسرون اي ما كنا وقال الفراء والمبرد و
الزجاج اي ما فعلنا ذلك ولم نتخذ صاحبة ولا ولدا ويجوز ان تكون للشرط اي ان كنا ممن يفعل
ذلك لاتخذناه من لدنا قال الفراء وهذا اشبه الوجهين بمذهب العربية بل نقذف بالحق على الباطل
هذا اضراب عن اتخاذ اللهو اي دع ذلك الذي قالوا فانه كذب وباطل بل شاننا ان نرمي بالحق على الباطل
وبالايمان على الكفر وقيل الحق قول لا اله الا الله وانه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه

اي يقهره ويهلكه واصل الدمغ شج الراس حتى يبلغ الدماغ ومنه الدامغة قال الزجاج المعنى
يذهبه ذهاب الصغار والاذلال وذلك ان اصله اصابة الدماغ بالضرب قيل اراد بالحق
الحجة وبالباطل الشبهة وقيل الحق المواعظ والباطل المعاصي وقيل كذبهم ووصفهم الله سبحانه
بغير صفاته **فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** اي زائل ذاهب وقيل هالك تالف والمعنى متقارب واذا هي الفجائية
وَلَكُمُ الْوَيْلُ يا معشر الكفار **مِمَّا تَصِفُونَ** اي لكم العذاب في الآخرة بسبب وصفكم لله بما لا يجوز عليه
من الصاحبة والولد وقيل الويل واد في جهنم وهو وعيد لقريش بان لهم من العذاب مثل الذي
لاولئك ومن هي التعليلية وهذا اوجه وجيه وقيل مصدرية او موصولة او نكرة موصوفة
وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عبيدا وملكا وهو خالقهم ورازقهم ومالكهم والمنعم عليهم
باصناف النعم فكيف يجوز ان يكون بعض مخلوقاته شريكا له يعبد كما يعبد وهذه الجملة مستأنفة
مقررة لما قبلها **وَمَنْ عِنْدَهُ** يعني الملائكة وفيه رد على القائلين بان الملائكة بنات الله وفي
التعبير عنهم بكونهم عنده اشارة الى تشريفهم وكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم وانهم بمنزلة المقربين
عند الملوك قال ابو السعود بطريق التمثيل واقول انا بل بطريق التحقيق كما هو ظاهر النظم القرآني
ثم وصفهم بقوله **لَا يَسْتَكْبِرُونَ** اي لا يتعاظمون ولا يانفون **عَنْ عِبَادَتِهِ** سبحانه والتذلل له
وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ اي لا يعيون ولا يتعبون ماخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالاعياء والتعب
يقال حسر البعير يحسر حسورا اعيى وكل واستحسر وتحسر مثله وحسرته انا حسرا يتعدى ولا يتعدى
قال ابو زيد لا يكلون وقال ابن الاعرابي لا يفشلون وقال ابن عباس لا يرجعون قال الزجاج معنى
الآية ان هؤلاء الذين ذكرتم انهم اولاد الله عباد الله لا يانفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها كقوله ان الذين
عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وقيل المعنى لا ينقطعون عن عبادته وهذه المعاني متقاربة
يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ اي ينزهون الله سبحانه دائما لا يضعفون عن ذلك ولا
يسأمون وقيل يصلون الليل والنهار قال الزجاج مجرى التسبيح منهم كمجرى النفس منا لا يشغلنا
عن النفس شيء فكذلك تسبيحهم دائم اي ضروري فيهم سجية وطبيعة وهذه الجملة اما مستأنفة
وقعت جوابا عما نشأ مما قبله او حالية **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ** قال المفضل مقصود هذا الاستفهام
الجحد اي لم يتخذوا آلهة تقدر على الاحياء والايجاد من العدم وام هي المنقطعة والهمزة لانكار الوقوع قال

المبرد ان ام هنا بمعنى بل اي بل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الارض يحيون الموتى ولا يكون ام
هنا بمعنى بل لان ذلك يوجب لهم انشاء الموتى الا ان يقدر ام مع الاستفهام فتكون ام المنقطعة
فيصح المعنى هُمْ يُنْشِرُونَ اي يبعثون الموتى والجملة مستانفة او صفة لآلهة وهذه الجملة هي التي
يدور عليها الانكار والتجهيل لا نفس الاتخاذ فانه واقع منهم لا محالة والمعنى بل اتخذوا آلهة من
الارض هم خاصة مع حقارتهم ينشرون الموتى وليس الامر كذلك فان ما اتخذوها آلهة بمعزل
عن ذلك وقرئ ينشرون من انشره اي احياه وقرئ بفتح الياء اي يحيون ولا يموتون ثم ان الله سبحانه
اقام البرهان على بطلان تعدد الآلهة فقال لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ اي لو كان في السموات و
الارض آلهة معبودون غير الله الجمع ليس قيدا وانما عبر به مشاكلة لقوله ام اتخذوا آلهة ولذلك
قوله فيهما ليس قيدا وانما عبر به لان هذا دليل اقناعي بحسب ما يفهمه المخاطب في بحسب ما فرط
منهم وجهرا انما اتخذوا آلهة في الارض والسماء لا فيما وراءهما كالملائكة الحافين من حول العرش
قاله الحفناوي والصحيح ان الآية حجة قطعية الدلالة والقول بانها حجة اقناعية قول منكر
بشع اي انكار وابشاع لَفَسَدَتَا اي لبطلتا يعني السموات والارض بما فيهما من المخلوقات وخرجتا
عن نظامهما المشاهد وهلك من فيهما لوجود التمانع من الآلهة على العادة عند تعدد الحاكم
من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه لان كل امر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام ويدل
العقل على ذلك وذلك انا لو قدرنا الهين لكان احدهما اذا انفرد صح منه تحريك الجسم واذا انفرد الثاني صح
منه تسكينه فاذا اجتمعا وجب ان يبقيا على ما كانا عليه حال الانفراد فعند الاجتماع يصح ان
يحاول احدهما التحريك والآخر التسكين فاما ان يحصل المرادان وهو محال واما ان يمتنعا وهو ايضا
محال لانه يكون كل واحد منهما عاجزا فثبت ان القول بوجود الهين يوجب الفساد فكان القول
به باطلا قاله الكرخي اقول الادلة القرآنية والحجج الفرقانية الدالة على توحيد الله تعالى تغني عن
البراهين الكلامية والمسائل العقلية الفلسفية في هذا المرام وليس وراء بيان الله بيان ودونه
خرط القتاد قال الرازي القول بوجود الهين يفضي الى المحال ثم ذكر دلائل ذلك وهذه حجة تامة
في مسئلة التوحيد والفساد لازم على كل التقديرات التي قدروها واذا وقفت على هذا عرفت
ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى

واما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القران وكل من طعن في دلالة التمانع فسر الاية
بان المراد لو كان في السماء والارض الهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات
لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم في قوله ام اتخذوا
الهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به قال علي
القاري واما قول التفتازاني الاية حجة اقناعية فالمحققون كالغزالي وابن الهمام ما قنعوا بالاقناعية
بل جعلوها من الحقائق القطعية بل قيل يكفر قائلها انتهى قال الكسائي وسيبويه والاخفش والزجاج
وجمهور النحاة ان الا هنا ليست للاستثناء بل بمعنى غير صفة للالهة ولذلك ارتفع الاسم الذي
بعدها وظهر فيه اعراب غير التي جاءت الا بمعناها وقال الفراء ان الا هنا بمعنى سوى ووجه الفساد
ان كون اله اخر مع الله يستلزم ان يكون كل واحد منهما قادرا على الاستبداد بالتصرف فيقع
عند ذلك التنازع والاختلاف ويحدث بسببه الفساد فَسُبْحَانَ اللّٰهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي تنزه عز وجل عما لا يليق به من
ثبوت الشريك له وفيه ارشاد للعباد ان ينزهوا الرب سبحانه عما لا يليق به لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ مستأنفة
مبينة انه سبحانه لقوة سلطانه وعظيم جلاله لا يسأله احد من خلقه عن شيء من قضائه
وقدره من اعزاز واذلال واسعاد واشقاء لانه الرب المالك للاعناق وَهُمْ اي العباد يُسْأَلُونَ
عما يفعلون سؤال توبيخ وتقريع يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا وكذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال
امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول له لشيء فعله لم فعلته وقيل ان المعنى انه سبحانه
لا يؤاخذ على افعاله وهم يؤاخذون قيل والمراد بذلك انه سبحانه بين لعباده ان من يسأل
عن اعماله كالمسيح والملائكة لا يصلح لان يكون الها قال ابن عباس ما في الارض قوم ابغض الي من
من القدرية وما ذاك الا انهم لا يعلمون قدرة الله قال الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أَمِ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ام بمعنى بل وفيه اضراب وانتقال من اظهار بطلان كونها الهة بالبرهان
السابق الى اظهار بطلان اتخاذها الهة مع توبيخهم بطلب البرهان منهم ولهذا قال قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
على دعوى انها الهة او على جواز اتخاذ الهة سوى الله ولا سبيل لهم الى شيء من ذلك لا من عقل ولا نقل
لان دليل العقل قد مر بيانه واما دليل النقل فقد اشار اليه بقوله هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ

قبلي أي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع ذكر أمتي وذكر الأمم السالفة
وقد أقمته عليكم وأوضحته لكم فأقيموا أنتم برهانكم وقيل المعنى هذا القرآن وهذه الكتب التي أنزلت
قبلي فانظروا هل في واحد منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه قال الزجاج قيل لهم هاتوا برهانكم
بأن رسولاً من الرسل أنبأ أمته بأن لهم إلهاً غير الله فهل في ذكر من معي وذكر من قبلي إلا توحيد
الله وفيه تبكيت لهم متضمن لإثبات نقيض مدعاهم وقيل معنى الكلام الوعيد والتهديد أي
افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء وقرئ ذكرٌ من معي بالتنوين وكسر الميم أي هذا ذكر
مما أنزل إلي ومما هو معي وذكر من قبلي قاله الزجاج وقيل ذكر كائن من قبلي أي جئت بما جاءت به
الأنبياء من قبلي ثم لما توجهت الحجة عليهم ذمهم بالجهل بمواضع الحق فقال بل أكثرهم لا يعلمون
الحق وهذا إضراب من جهة الله سبحانه غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من تبكيتهم بمطالبتهم
بالبرهان إلى بيان أنه لا تؤثر فيهم المحاجة وإقامة البرهان لكونهم جاهلين للحق لا يميزون بينه
وبين الباطل وقرئ الحقُّ بالرفع على معنى هذا الحق أو هو الحق فهم معرضون تعليل لما قبله من كون
أكثرهم لا يعلمون أي فهم لأجل هذا الجهل المستولي على أكثرهم معرضون عن قبول الحق وعن النظر
الموصل إليه مستمرون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول فلا يتأملون حجة ولا يتدبرون
في برهان ولا يتفكرون في دليل وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه استئناف مقرر
لما أجمل قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل وقرئ نوحي
بالنون وبالياء أنه لا إله إلا أنا وفي هذا تقرير لأمر التوحيد وتأكيد لما تقدم من قوله هذا ذكر من معي
وختم الآية بالأمر لعباده بعبادته فقال فاعبدون فقد اتضح لكم دليل العقل ودليل النقل وقامت
عليكم حجة الله وقالوا اتخذ الرحمن ولداً هؤلاء القائلون هم خزاعة وجهينة وبنو سلمة وبنو
مليح فإنهم قالوا الملائكة بنات الله وقيل هم اليهود ويصح حمل الآية على كل من جعل لله ولداً وقد قالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله ثم نزه
سبحانه عز وجل نفسه فقال سبحانه أي تنزيهاً له عن ذلك وهو مقول على ألسنة العباد ثم أضرب
عن قولهم وأبطله فقال بل عباد مكرمون وقرئ مُكرَّمون من الإكرام والتكريم أي ليسوا كما قالوا بل عباد الله
سبحانه مكرمون بكرامته لهم مقربون عنده والعبودية تنافي الولادة بحسب المعتاد الذي لا يتخلف عند العقل

من كون عبد الانسان لا يكون ولده او بحسب قواعد الشرع من ان الانسان اذا ملك ولده
عتق عليه والاول في تقرير المنافاة اظهر اذ الكلام مع جهال العرب وهم لا يعرفون قواعد الشرع
قال قتادة قالت اليهود ان الله صاهر الجن فكانت بينهم الملائكة فقال الله تكذيبا لهم بل عباد مكرمون
اي الملائكة اكرمهم بعبادته واصطفاهم ووصفهم بصفات سبعة الاولى هذه والاخيرة ومن يقل
منهم فهذه الضمائر كلها للملائكة لا يسبقونه بالقول وصفهم بصفة اخرى اي لا يقولون شيئا حتى
يقوله او يامرهم به كذا قال ابن قتيبة وغيره وفي هذا دليل على كمال طاعتهم وانقيادهم وهم
بامره يعملون اي هم العاملون بما يامرهم الله به التابعون له المطيعون لربهم فلا يخالفونه قولا
ولا عملا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون
بعد خلقهم او يعلم ما بين ايديهم وهو الآخرة وما خلفهم وهو الدنيا ووجه التعليل لما قبله انهم اذا علموا
بانه عالم بما قدموا واخروا لم يعملوا عملا ولا يقولوا قولا الا بامره ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع
الشافعون له وهو من رضي عنه وقيل هم اهل لا اله الا الله وقد ثبت في الصحيح ان الملائكة
يشفعون في الدار الآخرة قال قتادة لاهل التوحيد وعن مجاهد نحوه وعن الحسن قال قول لا اله
الا الله وقال ابن عباس الذين ارتضاهم بشهادة ان لا اله الا الله واخرج الحاكم وصححه والبيهقي في
البعث عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وقال شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وهم
من خشيته مشفقون اي من خشيتهم منه والخشية الخوف مع التعظيم ولهذا اخص بها العلماء
والاشفاق الخوف مع التوقع والاعتناء والحذر فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي
بعلى فبالعكس اي لا يأمنون مكر الله بل هم خائفون وجلون ومن يقل منهم اي من الملائكة
اني اله من دونه قال المفسرون عني بهذا ابليس لانه لم يقل احد من الملائكة اني اله الا ابليس
وذلك على سبيل التسمح والتجوز اذ هو معترف بالعبودية وآيس من رحمة الله وكونه من الملائكة
باعتبار انه كان مغمورا فيهم وقيل الضمير للخلائق مطلقا وقيل الاشارة الى جميع الانبياء فذلك
القائل على سبيل الفرض والتقدير نجزيه جهنم بسبب هذا القول الذي قاله كما نجزي غيره من المجرمين
كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الظالمين او مثل ما جعلنا جزاء هذا القائل جهنم فكذلك
نجزي الظالمين الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها والمراد بالظالمين المشركون

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا الهمزة للانكار وقرئ بالواو وتركها قراءتان سبعيتان والرؤية هي القلبية اي الم يتفكروا
ولم يعلموا وحاصل ما ذكر من هنا الى يسبحون ستة ادلة على التوحيد وهذا تجهيل لهم بتقصيرهم
في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا
تحت ملكوته أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا قال الاخفش انما قال كانتا دون كن لانهما
صنفان اي جماعتا السموات والارض وبه قال الزمخشري وقال ابو البقاء الضمير يعود على الجنسين و
قال الحوفي اراد الصنفين كما قال سبحانه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقال الزجاج
انما قال كانتا لانه يعبر عن السموات بلفظ الواحد لانها كانت سماء واحدة وكذلك الارضون و
الرتق السد ضد الفتق يقال رتقت الفتق ارتقه فارتتق اي التأم ومنه الرتقاء للمنضمة الفرج
يعني انهما كانا شيئا واحدا ملتزقين ملتصقين وقال رتقا ولم يقل رتقين لانه مصدر والتقدير
كانتا ذواتي رتق وقيل هي مرتوقتين مسردتين قال البيضاوي والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون
من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بواسطة او استفسارا من العلماء
ومطالعة الكتب انتهى ومنعه الكازروني وقال فيه نظر وتمكنهم هذا ممنوع ويجوز ان يكونا
مخلوقين منفصلين بلا رتق وفتق فان استدل عليهما بان القرآن نص عليهما فنقول هذا كاف
في اثباتهما ولا حاجة الى الدليل العقلي المذكور فَفَتَقْنَاهُمَا اي ففصلناهما اي فصلنا بعضهما من
بعض بالهواء فرفعنا السماء وابقينا الارض مكانها والفتق الفصل بين الشيئين وهو من احسن البديع
هنا حيث قابل الرتق بالفتق قيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله وجعلها سبع
سموات وكذلك الارض كانت طبقة واحدة فجعلها سبع ارضين وعن ابن عباس قال فتقت
السماء بالغيث وفتقت الارض بالنبات وقد اطال الكلام القرطبي في ذلك ونقل عن كعب الاحبار وغيره
احوال خلق الارض العليا والسفلى ولا يصار اليها الا ان يصح من ذلك شيء من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ اي خلقنا واحيينا او صيرنا بالماء الذي ننزله من السماء وينبع من الارض
كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فيشمل الحيوان والنبات والمعنى ان الماء سبب حياة كل شيء وقيل المراد بالماء هنا نطفة الرجل
وبه قال ابو العالية واكثر المفسرين وخرج هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر وهذا احتجاج على المشركين
بقدرة الله سبحانه وبديع صنعه وقد تقدم تفسير هذه الآية أَفَلَا يُؤْمِنُونَ الهمزة للانكار عليهم

حيث لم يؤمنوا مع وجود ما يقتضيه من الآيات الربانية وجعلنا في الأرض رواسي أي جبالا
ثوابت جمع راسية من رسى الشيء إذا ثبت ورسخ يقال جبال راسية وراسيات ورواس أن
تميد بهم الميد التحرك والدوران أي لئلا تتحرك وتدور بهم أو كراهة ذلك وقد تقدم تفسير
ذلك في النحل مستوفى وجعلنا فيها أي في الرواسي أو في الأرض وهو الظاهر فجاجا طرقا واسعة قال
أبو عبيدة هي المسالك وقال الزجاج كل مخترق بين جبلين فهو فج وسبلا تفسير للفجاج لأن الفج قد لا يكون طريقا
نافذا مسلوكا لعلهم يهتدون إلى مصالح معاشهم ومقاصدهم في الأسفار وما تدعو إليه حاجاتهم وجعلنا السماء
سقفا محفوظا عن أن يقع ويسقط على الأرض كقوله ويمسك السماء أن تقع على الأرض وقال الفراء محفوظا بالنجوم من الشياطين
كقوله وحفظا من كل شيطان مارد وقيل محفوظا لا يحتاج إلى عماد وقيل المراد بالمحفوظ هنا المرفوع وقيل محفوظا
عن الشرك والمعاصي وقيل عن الهدم والنقض وقيل عن الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم وهم عن آياتها
أي الآيات الكائنة فيها الدالة على وجود الصانع ووحدته وتناهي قدرته وكمال حكمته وأضاف الآيات
إلى السماء لأنها مجعولة فيها وذلك كالشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في أفلاكها ومطالعها ومغاربها
معرضون أي لا يعتبرون بها فيها ولا يتفكرون فيما توجبه من الإيمان وهو الذي خلق هذا تذكير
لهم بنعمة أخرى مما أنعم الله به عليهم وذلك بأنه خلق لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار ليبصروا
فيه في معايشهم وجعل الشمس آية النهار والقمر آية الليل ليعلموا عدد الشهور والحساب كما
تقدم بيانه في سبحان كل في فلك أي مستدير كالطاحونة في السماء يسبحون يجرون قال ابن عباس يعني كل واحد
من الشمس والقمر والنجوم في وسط الفلك يسيرون بسرعة كالسابح في الماء قال ابن عباس فلك كفلكة المغزل
يدورون في أبواب السماء كما تدور الفلكة في المغزل وعنه قال هو فلك السماء الذي فيه ذلك
الكوكب وكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه والجمع في الفعل باعتبار المطالع قال سيبويه إنه لما
أخبر عنهن بفعل من يعقل وجعلهن في الطاعة بمنزلة من يعقل جعل الضمير عنهن ضمير العقلاء
ولم يقل يسبحن أو تسبح وكذا قال الفراء وقال الكسائي إنما قال يسبحون لأنه رأس الآية والفلك واحد
أفلاك النجوم وأصل الكلمة من الدوران ومنه فلكة المغزل لاستدارتها والفلك مدار النجوم الذي يضمها
وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك ماء أو موج مكفوف
دون السماء تجري فيه تلك الكواكب وقال أهل الهيئة الأفلاك أجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة

غير قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول وفي الرازي الفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه
افلاك واختلف العقلاء فيه فقال بعضهم الفلك ليس بجسم وانما هو استدارة هذه النجوم وقال
الاكثرون الافلاك اجسام تدور النجوم عليها وهذا اقرب الى ظاهر القرآن واختلف الناس في حركات
الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فانه اما ان يكون الفلك ساكنا والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك
في الماء الراكد واما ان يكون الفلك متحركا والكواكب ايضا اما مخالفة لجهة حركته او موافقة لجهتها اما
بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء او مخالفة واما ان يكون الفلك متحركا والكواكب ساكنة
والذي يدل عليه لفظ القرآن القسم الاول وهو ان تكون الافلاك ساكنة والكواكب جارية فيها كما تسبح
السمكة في الماء الراكد انتهى والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات والافلاك وما فيها الا باخبار الصادق
المصدوق وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي دوام البقاء في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية
والتشريعية افائن مت باجالك المحتوم وقرئ مت بكسر الميم وضمها وهما لغتان فهم الخالدون
قال الفراء جاء بالفاء لتدل على الشرط لانه جواب قوله ان مت قال ويجوز حذف الفاء واضمارها
والمعنى ان مت فهم يموتون ايضا فلا شماتة في الموت وكان سبب نزول هذه الآية قول المشركين فيما
حكاه الله عنهم ويقولون شاعر نتربص به ريب المنون اخرج البيهقي وغيره عن عائشة قالت دخل
ابو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مات فقبله وقال وانبياه واخليلاه واصفياه ثم تلى وما جعلنا الآية
كل نفس مخلوقة فلا يرد الباري تعالى ذائقة الموت اي ذائقة مرارة مفارقة جسدها فلا يبقى احد من
ذوات الانفس المخلوقة كائنا ما كان وهذا دليل على ما انكروه من خلودهم وقيل هذا العموم مخصوص بقوله
تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فان الله حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا
عبارة عن مقدمات الموت والآلام العظيمة قبل حلوله ونبلوكم اي نختبركم بالشر اي بالشدة والخير
اي الرخاء فتنة مصدر لنبلوكم من غير لفظه اي لننظر كيف شكركم وصبركم والمراد انه سبحانه يعاملهم
معاملة من يبلوهم والله لا يخفى عليه شيء والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم
باعمالكم حسبما يظهر منكم من الخير والشر وفيه اشارة الى المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض
للثواب والعقاب واذا رآك الذين كفروا يعني المستهزئين من المشركين ان يتخذونك الا هزوا اي ما
يتخذونك الا مهزوا بك والهزء السخرية وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين والمعنى

مايفعلون بك الا اتخاذك هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم اي يقولون اهذا الذي ومعنى يذكر
يعيب قال الزجاج يقال فلان يذكر الناس اي يغتابهم ويذكرهم بالعيوب وفلان يذكر الله اي يصفه
بالتعظيم ويثني عليه وانما يحذف مع الذكر ما عقل معناه وعلى ما قالوا لا يكون الذكر في كلام العرب العيب
وحيث يراد به العيب يحذف منه السوء وقيل يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر
الرحمن هم كافرون اي بالقران او هم بذكر الرحمن الذي خلقهم كافرون اذ قالوا ما نعرفه
والمعنى انهم يعيبون على النبي صلى الله عليه وسلم ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم
بذكر الله سبحانه بما يليق به من التوحيد او بالقران كافرون فهم احق بالعيب لهم والانكار عليهم
خلق الانسان من عجل اي جعل لفرط استعجاله في احواله كانه مخلوق من العجل وفيه استعارة
بالكناية والعجل والعجلة ضد البطء وقد عجل من باب طرب والمعنى ان الانسان من حيث هو مطبوع على
العجلة فيستعجل كثيرا من الاشياء وان كانت تضره وقال الفراء كانه يقول بنيته وخلقته من
العجلة وعلى العجلة وقال الزجاج خوطبت العرب بما تعقل والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء
خلقت منه كما تقول انت من لعب وخلقت من لعب تريد المبالغة في وصفه بذلك ويدل على هذا المعنى قوله وكان
الانسان عجولا والمراد بالانسان الجنس وقيل آدم فانه لما خلقه الله ونفخ فيه من الروح صار الروح في راسه فذهب
ينهض قبل ان يبلغ الروح الى رجليه فوقع فقيل خلق الانسان من عجل كذا قال عكرمة وسعيد بن
جبير والسدي والكلبي ومجاهد ولفظ عكرمة لما نفخ في آدم الروح صار في راسه فعطس فقال الحمد
لله فقالت الملائكة يرحمك الله فذهب ينهض قبل ان تمور في رجليه فوقع فقال الله خلق الانسان
من عجل وعن ابن جريج نحوه وقال ابو عبيدة وكثير من اهل المعاني العجل الطين بلغة حمير وقيل
ان هذه الاية نزلت في النضر بن الحارث وهو القائل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الخ
وقيل نزلت في قريش لانهم استعجلوا العذاب وقال الاخفش معناه انه قيل له كن فكان وقيل ان
هذه الاية من المقلوب اي خلق العجل من الانسان لشدة صدوره منه وملازمته له وقد حكي هذا
عن ابي عبيدة والنحاس وابي عمرو والقول الاول اولى ساريكم آياتي اي نقماتي منكم ومواعيدي
في الاخرة بعذاب النار او في الدنيا كوقعة بدر فلا تستعجلون بالاتيان به فانه نازل بكم لا محالة وقيل
المراد بالآيات ما دل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات وما جعله الله له من العاقبة المحمودة و

والاول اولى ويدل عليه قوله ويقولون متى هذا الوعد اي متى حصول هذا الوعد الذي
تعدنا به من العذاب قالوا ذلك على جهة الاستهزاء والسخرية وقيل المراد بالوعد هنا القيامة
إن كنتم يا معشر المسلمين صادقين في وعدكم والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين
يتلون الآيات القرآنية المنذرة بمجيء الساعة وقرب حضور العذاب لو يعلم الذين كفروا حين
اي لو عرفوا ذلك الوقت وقال ابو السعود استيناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وجهلهم بشأنه
وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم وجواب لو محذوف
لانه ابلغ في الوعيد فقدره الزمخشري لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن
جهلهم هو الذي هونه عندهم وقدره ابن عطية ولو علموا الوقت الذي لا يكفون يدفعون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم لما استعجلوا الوعيد وقدره الحوفي لسارعوا وقال الزجاج
التقدير لعلموا صدق الوعد اي البعث وقيل لو علموه ما اقاموا على الكفر وقال الكسائي هو تنبيه
على تحقيق وقوع الساعة اي لو علموه علم يقين لعلموا ان الساعة آتية ويدل عليه قوله بل تأتيهم
بغتة وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب في استلزام الاحاطة
بها للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون
اي لا يمنعون منها في القيامة ولا ينصرهم احد من العباد فيدفع ذلك عنهم بل اضراب انتقالي
من بيان السبب الى بيان كيفية وقوع الموعود فقال تأتيهم اي لا يكفونها بل تأتيهم العدة او النار
او الساعة بغتة اي فجاءة فتبهتهم قال الجوهري بهته بهتا اخذه بغتة وقال الفراء اي
تحيرهم وقيل تفجأهم وقيل تدهشهم فلا يستطيعون ردها اي صرفها عن وجوههم
ولا عن ظهورهم فالضمير راجع الى النار وقيل الى الوعد بتأويله بالعدة وقيل الى الحين بتأويله
بالساعة ولا هم ينظرون اي يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار ولقد استهزئ برسل
من قبلك مسوقة للتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزيته كانه قال ان استهزأ بك هؤلاء
فقد فعل ذلك بمن قبلك من الرسل على كثرة عددهم وخطر شأنهم فحاق اي احاط ودار
ذلك بالذين سخروا منهم اي من اولئك الرسل وهزؤا بهم ما كانوا به يستهزءون ما مصدرية
او موصولة اي فاحاط بهم استهزاؤهم اي جزاؤه على وضع السبب موضع المسبب او نفس الاستهزاء

أريد به العذاب الأخروي أو الأمر الذي كانوا يستهزئون به **قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ** أي يحرسكم قاله
ابن عباس والمعنى يحفظكم والكلاءة الحراسة والحفظ يقال كلأه الله كلاءة بالكسر أي حفظه
وحرسه وحكي يكلوكم بفتح اللام وإسكان الواو أي قل يا محمد لأولئك المستهزئين بطريق التقريع
والتوبيخ من يحرسكم ويحفظكم **بِاللَّيْلِ** أي فيه إذا نمتم **وَالنَّهَارِ** إذا انصرفتم إلى معايشكم وتقديم
الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعاً وأشد وقعاً **مِنَ الرَّحْمَٰنِ** من بأس الرحمن وعذابه الذي تستحقون حلوله
بكم ونزوله عليكم قال الزجاج معناه من يحفظكم من بأس الرحمن وقال الفراء المعنى من يحفظكم
مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة وفي التعرض لعنوان الرحمة إيذان بأن كالئهم
ليس إلا رحمته العامة **بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ** فلا يذكرونه ولا يخطرونه ببالهم ولا يتفكرون
فيه بل يعرضون عنه أو عن القرآن أو عن مواعظ الله أو عن معرفته **أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ
مِنْ دُونِنَا** أم بمعنى بل والهمزة للإضراب عن الكلام السابق المشتمل على بيان جهلهم بحفظه سبحانه
إياهم إلى توبيخهم وتقريعهم باعتمادهم على من هو عاجز عن نفع نفسه والدفع عنها والمعنى
بل ألهم آلهة تمنعهم مما يسوءهم من عذابنا وفيه تقديم وتأخير والتقدير أم لهم آلهة من دوننا
تمنعهم ثم وصف آلهتهم هذه التي زعموا أنها تنصرهم بما يدل على الضعف والعجز فقال **لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ** أي هم عاجزون عن نصر أنفسهم فكيف يستطيعون أن ينصروا غيرهم فهو
استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطلان اعتقادهم **وَلَا هُمْ** أي الكفار **مِنَّا يُصْحَبُونَ** أي
يجارون من عذابنا قال ابن قتيبة أي لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب الجار والعرب تقول صحبك
الله أي حفظك وأجارك تقول العرب أنا لك جار وصاحب من فلان أي مجير منه وهو اختيار الطبري
قال المازني هو من أصحبت الرجل إذا منعته وقال مجاهد يحفظون قال ابن عباس أي لا ينصرون ولا يجارون
ولا يمنعون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير ولا يجعل الله رحمته صاحباً لهم ذكره القرطبي ثم لما أبطل
كون الأصنام نافعة أضرب عن ذلك منتقلاً إلى بيان ما هم فيه من الخير والتمتع بالحياة العاجلة هو
من الله لا من مانع يمنعهم من الهلاك ولا من ناصر ينصرهم على أسباب التمتع فقال **بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ
وَآبَاءَهُمْ** يعني أهل مكة متعهم الله بما أنعم عليهم **حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ** وامتد لهم الزمان فاغتروا
بذلك وظنوا أنهم لا يزالون كذلك فرد الله سبحانه عليهم قائلاً **أَفَلَا يَرَوْنَ** أي لا ينظرون فيرون **أَنَّا**

نأتي الأرض اي نقصدها ارض الكفر ننقصها بالفتوح عليها من اطرافها فنفتحها بلدا بعد بلد وارضا
بعد ارض بتسليط المسلمين عليها واسنده الى نفسه تعظيما لهم وفيه تعظيم للجهاد والمجاهدين وقيل
ننقصها بالقتل والسبي وهو تصوير لما يجريه الله على ايدي المسلمين وقد مضى في الرعد الكلام على هذا
مستوفى افهم الغالبون الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر كنظائره اي كيف يكونون
غالبين بعد نقصنا لارضهم من اطرافها وفي هذا اشارة الى ان الغالبين هم المسلمون اصحاب النبي
قل انما انذركم اي اخوفكم واحذركم ما تستعجلون به من الساعة بالوحي من الله اي بالقرآن لا من
قبل نفسي وذلك شاني وما امرني الله به ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الذي أمر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يقوله لهم او من جهة الله تعالى والمعنى ان من اصم الله سمعه وختم على قلبه وجعل على
بصره غشاوة لا يسمع الدعاء وقرئ لا يسمع بضم الياء وفتح الميم على ما لم يسم فاعله وقرئ بالفوقية
وكسر الميم اي انك يا محمد لا تسمع هؤلاء واللام في الصم للجنس فيدخل المخاطبون فيه دخولا اوليا او للعهد
اذا ما ينذرون اي يخوفون لتركهم العمل بما سمعوه من الانذار والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون
فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا ما انذروا وللتسجيل عليهم ولئن
مستهم نفحة من عذاب ربك المراد بالنفحة الدليل ماخوذ من نفح المسك قاله ابن كيسان وقال
المبرد النفحة الدفعة من الشيء التي دون معظمه يقال نفحه نفحة بالسيف اذا ضربه ضربة خفيفة
وقيل هي النصيب وقيل هي الطرف وقيل وقعة خفيفة والمعنى متقارب اي ولئن مسهم اقل شيء
من العذاب وفيه مبالغات ثلث ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة
الشيء والبناء الدال على المرة ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين بالاشراك وتكذيب محمد اي ليدعون
على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفون عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العادلة ليوم
القيامة اي لاهلها وقيل اللام بمعنى في اي في يوم القيامة والموازين جمع ميزان وهو يدل على ان
هناك موازين ويمكن ان يراد ميزان عبر عنه بلفظ الجمع للتعظيم او باعتبار اجزائه فان الصحيح انه ميزان
واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال وقد ورد في السنة في صفة الميزان ما فيه كفاية وقد مضى في الاعراف
وفي الكهف في هذا ما يغني عن الاعادة والقسط صفة للموازين ووصف به مبالغة قال الزجاج قسط
مصدر يوصف به تقول ميزان قسط وموازين قسط والمعنى ذوات قسط والقسط العدل وصفه

الموازين لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون غير مستقيم فبين الله ان تلك الموازين تجري
على حد العدل وقرئ القصط بالصاد والطاء واما ماهيته فجرم من اي الجوهر وانه موجود الآن
او سيوجد فنمسك عن تعيينه ولا يكون الميزان في حق كل احد لان من لا حساب عليه لا يوزن له
كالانبياء والملائكة والذي يكون للكلفين من الجن والانس وقد يوزن العبد نفسه كما ورد عن
النبي صلى الرجل عبد الله بن مسعود في الميزان اثقل من جبل احد ومن مات له ولد جعل ذلك
الولد في الميزان وكيفيته ثقلا وخفة مثلها في الدنيا فلا تظلم نفس شيئا اي لا ينقص من احسان
محسن ولا يزاد في اساءة مسيء وان كان مثقال حبة من خردل اي ان كان العمل المدلول عليه
بوضع الموازين مثقال حبة كذا قال الزجاج وقال ابو علي الفارسي ان كان الظلامة مثقال حبة
قال الواحدي وهذا احسن لتقدم قوله فلا تظلم نفس شيئا وقرئ برفع مثقال على ان كان تامة
اي ان وقع او ان وجد مثقال حبة ومثقال الشيء ميزانه اي وان كان في غاية الخفة والقلة
والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر اتينا بها اي احضرناها وجئنا بها اي يوزنها المجازاة
عليها وقرئ آتينا بالمد على معنى جازينا بها يقال آتى يواتي مواتاة جازى وكفى بنا حاسبين اي
محصين في كل شيء والحسب في الاصل معناه العد وقيل عالمين لان من حسب شيئا علمه و
حفظه وقيل مجازين على ما قدموه من خير وشر والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في
العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل ان
يكون على اشد الخوف منه وقد اخرج احمد والترمذي وابن جرير في تهذيبه والبيهقي وغيرهم
عن عائشة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني واضربهم و
اشتمهم فكيف انا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك
اياهم فان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم
كان كفافا لا عليك ولا لك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فجعل الرجل
يبكي ويهتف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تقرأ كتاب الله ونضع الموازين القسط الى قوله حاسبين
فقال الرجل يا رسول الله ما اجد لي ولهم خيرا من مفارقتهم اشهدك انهم احرار وفي معناه
احاديث وروي عن الشبلي انه رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال حاسبونا

فلم يقتلوا ثم آمنوا فاعتقوا، وكان كل مالك، بالمماليك يرفق، ثم شرع الله سبحانه في تفصيل
ما اجمله سابقا بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم وذكر عشر قصة الاولى قصة موسى
ثم ابراهيم ثم لوط ثم نوح ثم داود وسليمان ثم ايوب ثم اسماعيل وادريس وذي الكفل ثم يونس ثم زكريا
ثم مريم وابنها عيسى فقال وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ المراد
بالفرقان هنا التورية قاله ابو صالح وعن قتادة مثله لان فيها الفرق بين الحلال والحرام
والحق والباطل وقال ابن زيد الفرقان الحق وقيل الفرقان هنا هو النصر على الاعداء كما في قوله
وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان قال الثعلبي وهذا القول اشبه بظاهر الآية ومعنى ضياء
انهم استضاؤا بها في ظلمات الجهل والغواية ومعنى الذكر الموعظة اي انهم يتعظون بما فيها
وخص المتقين لانهم الذين ينتفعون بذلك ووصفهم بقوله الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ
لان هذه الخشية تلازم التقوى او يخشون عذابه وهو غائب عنهم او هم غائبون عنه لانهم
في الدنيا والعذاب في الآخرة وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس وَهُمْ مِنَ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ اي وهم من اهوال القيامة خائفون وجلون وهذا من ذكر الخاص بعد
العام لكونها اعظم المخلوقات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة
الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وَهَذَا اي القرآن قاله قتادة والاشارة اليه باداة
القرب ايماء الى سهولة تناوله عليهم ذِكْرٌ مُبَارَكٌ قال الزجاج اي ذكر لمن تذكر به وموعظة لمن
اتعظ به والمبارك كثير البركة والخير أَنْزَلْنَاهُ صفة للذكر او خبر بعد خبر أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ الاستفهام
للانكار لما وقع منهم من الانكار اي كيف تنكرون كونه منزلا من عند الله مع اعترافكم بان التورية
منزلة من عنده او انكم من اهل اللسان تدركون مزايا الكلام ولطائفه وتفهمون من بلاغة
القرآن ما لا يدركه غيركم مع ان فيه شرفكم وصيتكم كما يشير اليه لفظ الذكر على ما سبق فلو انكره
غيركم لكان ينبغي لكم مناصبته وتقديم الظرف على المتعلق دال على التخصيص اي افانتم للقرآن خاصة
دون كتاب اليهود فانهم كانوا يراجعون اليهود فيما عن لهم من المشكلات وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ
رُشْدَهُ اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية
الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقال مجاهد هديناه

صغيراً من قبل أي قبل إيتاء موسى وهارون التوراة أو محمد صلى الله عليه وسلم وقال الفراء أي أعطيناه
هداه من قبل النبوة والبلوغ أي وفقناه للنظر والاستدلال لما جن عليه الليل فرأى الشمس
والقمر والنجوم وعلى هذا أكثر المفسرين وبالأول قال أقلهم وكنا به عالمين أي أنه موضع لإيتاء
الرشد وأنه يصلح لذلك إذ أي اذكر حين قال لأبيه آزر وقومه نمرود ومن اتبعه ما هذه التماثيل
وهي الصور والأصنام قاله مجاهد وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها وأصل التمثال
الشيء المصنوع المشابه لشيء من مخلوقات الله سبحانه يقال مثلت الشيء بالشيء إذا جعلته مشابهاً له و
اسم ذلك الممثل تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب شبيهة بخلق الآدمي أو غيره
من الحيوانات وأنكر عليهم عبادتها بقوله التي أنتم لها عاكفون العكوف عبارة عن اللزوم والاستمرار
على الشيء لغرض من الأغراض واللام في لها للاختصاص ولو كانت للتعدية لجيء بكلمة على أي ما
هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها وقيل إن العكوف مضمن معنى العبادة و
كانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنماً بعضها من خشب وبعضها من فضة وبعضها من
حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب وكان
كبيرها من ذهب مكللاً بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان تضيئان في الليل قالوا وجدنا
آباءنا لها عابدين فقلدناهم واقتدينا بهم أجابوه بهذا الجواب الذي هو العصا التي يتوكأ عليها كل
عاجز والحبل الذي يتشبث به كل غريق وهو التمسك بمجرد تقليد الآباء أي وجدنا آباءنا يعبدونها
فعبدناها اقتداء بهم ومشياً على طريقتهم وهكذا يجيب هؤلاء المقلدة من أهل هذه الملة
الإسلامية فإن العالم بالكتاب والسنة إذا أنكر عليهم العمل بمحض الرأي المدفوع بالدليل قالوا
هذا قد قال به إمامنا الذي وجدنا آباءنا له مقلدين وبرأيه آخذين قال الحصنفوي أي فلم يكن
جوابهم إلا التقليد انتهى جوابهم وهو ما أجاب به الخليل ههنا قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في
ضلال مبين أي في خسران واضح ظاهر لا يخفى على أحد ولا يلتبس على ذي عقل فإن قوم إبراهيم
عبدوا الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر وليس بعد هذا الضلال ضلال ولا يساويه
هذا الخسران خسران قال النسفي أراد أن المقلدين والمقلدين منخرطون في سلك الضلال ظاهر اكد بانتم
ليصح العطف لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع انتهى أقول وهؤلاء المقلدة من أهل

الاسلام استبدلوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كتبا قد دونت فيها اجتهادات عالم من
علماء الاسلام زعم انه لم يقف على دليل يخالفها اما القصور منه او لتقصير في البحث فوجد ذلك
الدليل من وجده وابرزه واضح المنار كانه علم في راسه نار وقال هذا كتاب الله او هذه سنة رسوله
وانشدهم شعر دعوا كل قول عند قول محمد * فما آمن في دينه كمخاطر * فقالوا كما قال الاول شعر
وما انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد * وقد احسن من قال شعر يأبى
الفتى الا اتباع الهوى * ومنهج الحق له واضح * قال البيضاوي في التعليل ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه
على الحق ثم لما سمع اولئك مقالة الخليل قالوا أجئتنا بالحق أم انت من اللاعبين اي اجادّ انت فيما
تقول ام انت لاعب مازح وليس المراد به حقيقة المجيء اذ لم يكن غائبا عنهم وام متصلة وان كان بعدها
جملة لانها في حكم المفرد اذ التقدير أي الامرين واقع مجيئك بالحق ام لعبك وفي ايراد الشق الثاني بالجملة
الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم ثم قال مضربا عما بنوا عليه مقالتهم من التقليد
بل ربكم رب السموات والارض وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه و
الاول اظهر الذي فطرهن اي خلقهن وابدعهن والضمير للسموات والتماثيل وهو ادخل في تضليلهم
واقامة الحجة عليهم لان فيه تصريحا بان معبودهم من جملة مخلوقاته وانا على ذلكم الذي
ذكرته لكم من كون ربكم هو رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين.
اي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء هو من كان عالما به مبرهنا
عليه مبينا له وتالله لاكيدن اصنامكم اخبرهم بانه سينتقل من المحاجة باللسان الى تغيير المنكر بالفعل
ثقة بالله سبحانه ومحاماة على دينه وهذه طريقة فعلية دالة على انه على الحق بعد ان اتى بطريقة قولية
فجمع بين القول والفعل والكيد المكر يقال كاده يكيده كيدا ومكيدة والمراد هنا الاجتهاد في كسر الاصنام
قيل انه عليه السلام قال ذلك سرا وقيل سمعه رجل منهم فافشاه بعد ان تولوا مدبرين اي بعد ان
ترجعوا من عبادتها ذاهبين منطلقين قال المفسرون كان لهم عيد في كل سنة يجتمعون فيه فقالوا
لابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فقال ابراهيم هذه المقالة فجعلهم جذاذا اي تولوا
فجعلهم جذاذا اي حطاما بفأس قاله ابن عباس وعنه قال فتاتا الجذ القطع والكسر يقال جذذت
الشيء قطعته وكسرته الواحد جذاذة والجذاذ ما كسر منه قال الجوهري قال الكسائي ويقال لحجارة الذهب

الجذاذ لانها تكسر وقرئ جذاذا بكسر الجيم اي كسرا او قطعا جمع جذيذ وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف
وظريف وظراف وقرئ بالضم اي الحطام والرفات فعال بمعنى مفعول وقرئ بفتحها قال قطرب هي في
لغاتها كلها مصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث والقراءتان الاوليان سبعيتان وهذا هو الكيد الذي
وعدهم به (الا كبيرا لهم) اي عظيم آلهتهم قال ابن عباس يعني تركه لم يكسره والضمير للآلهة او عائد على عابديها
ووضع الفاس في عنقه ثم خرج (لعلهم اليه) اي الى ابراهيم (يرجعون) كما يرجع الى العالم في حل المشكلات
فيحاجهم بما سياتي فيحجهم وقال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم واستهزاء بهم وكان من عادتهم اذا رجعوا من عيدهم
سجدوا اليها ثم ذهبوا الى منازلهم وقيل المعنى لعلهم الى الصنم الكبير يرجعون فيسألونه عن الكاسر لان
من شأن المعبود ان يرجع اليه في المهمات فاذا رجعوا اليه لم يجدوا عنده خبرا فيعلمون انها لا تجلب نفعا
ولا تدفع ضررا ولا تعلم بخير ولا شر ولا تخبر عن الذي ينوبها من الامر وقيل لعلهم الى الله يرجعون وهو
بعيد جدا (قالوا) في الكلام حذف تقديره فلما رجعوا من عيدهم ورأوا ما حدث بآلهتهم من التكسير
قالوا (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) الاستفهام للتوبيخ والتشنيع والانكار وقيل اي فاعل
هذا لظالم والاول اولى عن ابن مسعود قال لما خرج قوم ابراهيم الى عيدهم مروا عليه فقالوا يا ابراهيم
الا تخرج معنا قال اني سقيم وقد كان بالامس قال تالله لاكيدن اصنامكم الآية فسمعه ناس منهم فلما
خرجوا انطلق الى اهله فاخذ طعاما ثم انطلق الى آلهتهم فقربه اليهم فقال الا تاكلون فكسرها الا كبيرهم
ثم ربط في يده الذي كسر به آلهتهم فلما رجع القوم من عيدهم دخلوا فاذا هم بآلهتهم قد كسرت واذا
كبيرهم في يده الذي كسر به الاصنام قالوا من فعل هذا بآلهتنا (قالوا) اي قال الذين سمعوا
ابراهيم يقول وتالله لاكيدن اصنامكم مجيبين للمستفهمين لهم (سمعنا فتى يذكرهم) اي يعيبهم
ويسبهم وسمع هنا متعدية لاثنين لدخولها على ما لا يسمع فالاول فتى والثاني جملة يذكرهم بخلاف ما لو دخلت
على ما يسمع كان قلت سمعت كلام زيد فانها تتعدى لواحد (يقال له ابراهيم) قال الزجاج
اي هو ابراهيم فهو خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي يقال له ابراهيم فاعل ذلك وقيل
ارتفع على انه مفعول ما لم يسم فاعله اي يقال له هذا اللفظ وهذا قال ابو البقاء المراد الاسم لا المسمى وقيل
على النداء اي يا ابراهيم ومن غرائب التدقيقات النحوية وعجائب التوجيهات الاعرابية ان الاعلم الشنتمري
الاشبيلي قال انه مرتفع على الاهمال قال ابن عطية ذهب الى رفعه بغير شيء (قالوا فأتوا به على أعين الناس)

القائلون هم السائلون امروا بعضهم ان يأتي به ظاهرا بمرأى من الناس قيل انه لما بلغ الخبر نمرود
واشراف قومه كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فقالوا هذه المقالة ليكون ذلك حجة عليه يستحلون
بها منه ما قد عزموا على ان يفعلوه به لعلهم يشهدون اي يحضرون عقابه حتى ينزجر غيره عن
الاقتداء به في مثل هذا وقيل لعلهم يشهدون عليه بانهم رأوه يكسر اصنامهم او لعلهم يشهدون
طعنه على اصنامهم قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم مستانفة وفي الكلام حذف تقديره
فجاء ابراهيم حين اتوا به فاستفهموه هل فعل ذلك لاقامة الحجة عليه في زعمهم قال ابراهيم مقيما
للحجة عليهم مبكتا لهم قال المحلي قال ساكتا عن فعله بل فعله كبيرهم هذا مشيرا الى الصنم الذي
تركه ولم يكسره وقال الشهاب هذا على طريقة الكناية العرضية فهذا يستلزم نفي فعل الصنم الكبير
للكسر واثباته لنفسه وحاصله انه اشارة لنفسه على الوجه الابلغ مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل
انتهى اخرج ابو داود والترمذي وابن المنذر وابن ابي حاتم وغيرهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم في شيء قط الا في ثلث كلهن في الله قوله اني سقيم ولم يكن سقيما
وقوله لسارة اختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا وهذا الحديث في الصحيحين من حديث ابي هريرة
باطول من هذا وقد روى نحوه ابو يعلى من حديث ابي سعيد وقيل اراد ابراهيم عليه السلام
بنسبة الفعل الى ذلك الكبير من الاصنام انه فعل ذلك لانه غار وغضب من ان يعبد وتعبد
الصغار معه ارشادا لهم الى ان عبادة هذه الاصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تدفع لا تستحسن
في العقل مع وجود خالقها وخالقهم والاول اولى وقرئ بل فعله بتشديد اللام على معنى فلعل
الفاعل كبيرهم فاسألوهم عن فاعله إن كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكنه النطق ويقدر
على الكلام ويفهم ما يقال له فيجيب عنه بما يطابقه وفيه تقديم جواب الشرط اراد عليه السلام ان يبين
لهم ان من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة ولا يصح في العقل ان يطلق عليه انه اله فاخرج الكلام مخرج
التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بان الجمادات التي عبدوها ليست بآلهة لانهم اذا قالوا انهم لا
ينطقون قال لهم فكيف تعبدون من يعجز عن النطق ويقصر عن ان يعلم بما يقع عنده في المكان الذي
هو فيه فهذا الكلام من باب فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمه الحجة ويعترف بالحق فان ذلك اقطع
لشبهته وادفع لمكابرته وانما قال ينطقون ولم يقل يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف

على السمع والعقل ايضاً لما ان نتيجة السؤال والجواب ان عدم نطقهم اظهر في تبكيتهم ﴿فرجعوا الى انفسهم﴾ اي
رجع بعضهم الى بعض رجوع المنقطع عن حجته المتفطن لصحة حجة خصمه المراجع لعقله وذلك انهم تنبهوا
وفهموا عند هذه المقالة وبينهم وبين ابراهيم ان من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار
بمن فعل به ما فعله ابراهيم بتلك الاصنام يستحيل ان يكون مستحقاً للعبادة ولهذا ﴿فقالوا﴾ اي قال بعضهم
لبعض ﴿انكم انتم الظالمون﴾ لانفسكم بعبادة هذه الجمادات وليس الظالم من نسبتم اليه الظلم بقولكم
انه لمن الظالمين ﴿ثم نكسوا على رؤسهم﴾ اي رجعوا الى جهلهم وعنادهم شبه سبحانه عودهم الى الباطل
بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقيل المعنى انهم طأطأوا رؤسهم خجلة من ابراهيم وهو ضعيف لانه لم يقل
نكسوا رؤسهم بفتح الكاف واسناد الفعل اليهم حتى يصح هذا التفسير بل قال نكسوا على رؤسهم وقرئ
نكسوا بالتشديد وانه لغة في المخفف فليس التشديد للتعدية ولا للتكثير ثم قالوا بعد ان نكسوا مخاطبين
لابراهيم ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ اي لقد علمت ان النطق ليس من شأن هذه الاصنام فكيف تأمرنا
بسؤالهم وما هذه حجازية او تميمية ﴿قال﴾ ابراهيم مبكتاً لهم ومزرياً عليهم ﴿افتعبدون من دون الله﴾
اي بدله ﴿ما لا ينفعكم شيئاً﴾ من النفع ان عبدتموه ﴿ولا يضركم﴾ بنوع من انواع الضرر ان تركتم عبادته
ثم تضجر عليه السلام منهم فقال ﴿اف﴾ بكسر الفاء مع التنوين وتركه وفتحها بلا تنوين بمعنى مصدر وفي القراآت
ثلاث وكلها سبعية اي نتناً وقبحاً ﴿لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ وفي هذا تحقير لهم ولمعبودهم
واللام في لكم لبيان المتأفف له اي لكم ولالهتكم والتأفف صوت يدل على التضجر ﴿افلا تعقلون﴾ اي اليس
لكم عقول تتفكرون بها فتعلمون هذا الصنع القبيح الذي صنعتموه وانها لا تستحق العبادة ولا تصلح
لها وانما يستحقها الله تعالى ﴿قالوا﴾ اي قال بعضهم لبعض لما اعيتهم الحيلة في دفع ابراهيم وعجزوا عن
مجادلته وضاقت عليهم مسالك المناظرة ﴿حرقوه﴾ انصرفوا منهم الى طريق الظلم والغشم وميلاً منهم الى
اظهار الغلبة باي وجه كان وعلى اي امر اتفق وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة
القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة والقائل هو النمروذ بن كنعان بن السحاريب بن نمروذ بن
كوش بن حام بن نوح وقيل القائل رجل من اكراد فارس اسمه هيزن خسف الله به الارض ثم قالوا
﴿وانصروا آلهتكم﴾ اي انصروها بالانتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل وبتحريقه ﴿ان كنتم فاعلين﴾
للنصر مجمعين عليه احتطبوا الحطب الكثير واضرموا النار في جميعه واوثقوا ابراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار

قاله الحلبي وكانت مدة الجمع شهرا او مدة الايقاد سبعة ايام ومدة مكث ابراهيم في النار سبعة
ايام وفي الرازي اربعين يوما او خمسين ومثله في ابي السعود وكان وقت القائه فيها ابن ست عشرة
سنة وقيل ست وعشرين قاله الماوردي قُلْنَا في الكلام حذف تقديره فاضرموا النار وذهبوا بابراهيم
اليها فعند ذلك قلنا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا اي ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للمبالغة وانتصاب سلاما على انه مصدر اي وسلمنا سلاما عَلَى
إِبْرَاهِيمَ ولو لم يقل على ابراهيم لما احرقت نارها ولا اتقدت قاله ابو حيان في البحر عن ابن عباس قال لما
جمع لابراهيم ما جمع والقي في النار جعل خازن المطر يقول متى اومر بالمطر فارسله فكان امر الله اسرع
قال الله كوني بردا وسلاما فلم تبق في الارض نار الا طفئت واخرج احمد وابن ماجة وابن حبان وابو يعلى
وابن ابي حاتم والطبراني عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم حين القي في النار لم تكن
دابة الا تطفئ عنه النار غير الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله وهو
سام ابرص وذكر بعض الحكماء ان الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران وانه يبيض قاله ابن قتيبة وعن
ابن عمر قال اول كلمة قالها ابراهيم حين القي في النار حسبنا الله ونعم الوكيل اخرجه ابن ابي شيبة
وابن المنذر وعن السدي قال كان جبريل هو الذي ناداها اي النار وعن ابن عباس قال لو لم يتبع
بردها سلاما لمات ابراهيم من بردها وعن علي نحوه وعن معتمر بن سليمان التيمي قال جاء جبريل
الى ابراهيم وهو يوثق ليلقى في النار فقال يا ابراهيم الك حاجة قال اما اليك فلا وعن كعب قال ما
احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت اضاءتها وعن المنهال بن عمرو قال اخبرت
ان ابراهيم القي في النار فكان فيها اما خمسين واما اربعين فقال ما كنت اياما ولياليَ قط اطيب
عيشا اذ كنت فيها ووددت ان عيشي وحياتي كلها مثل عيشي اذ كنت فيها وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا اي مكرا
وهو التحريق فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ اي اخسر من كل خاسر ورددنا مكرهم عليهم فجعلنا لهم عاقبة السوء
كما جعلنا لابراهيم عاقبة الخير لانهم خسروا السعي والنفقة فلم يحصل لهم مرادهم وصار سعيهم برهانا
على بطلانهم او الاخسرين بمعنى الهالكين بارسال البعوض على نمروذ وقومه فاكلت لحومهم وشربت
دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ
قد تقدم ان لوطا هو ابن اخي ابراهيم قاله ابن عباس لانه هاران الاصغر كان لهما اخ ثالث اسمه ناحور

والثلاثة اولاد آزر واما هاران الاكبر فكان عما لابراهيم وكانت سارة بنت عم ابراهيم الذي هو
هاران الاكبر وكانت آمنت بابراهيم فحكى الله سبحانه ههنا انه نجى ابراهيم ولوطا عليهما السلام قال
المفسرون والارض هي ارض الشام قاله ابي وكانا بالعراق وسماها سبحانه مباركة لكثرة خصبها
واشجارها وثمارها وانهارها ولانها معادن الانبياء واصل البركة ثبوت الخير ومنه برك البعير
اذا لزم مكانه فلم يبرح وقيل الارض المباركة مكة وقيل بيت المقدس لان منها بعث الله اكثر
الانبياء وهي ايضا كثيرة الخصب والاول اولى لان ابراهيم خرج من كوثا من ارض العراق ومعه لوط
وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج
من حران حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين وترك لوطا بالمؤتفكة
وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها وما قرب منها ذكره الخازن وقد تقدم
تفسير للعالمين ثم قال سبحانه ممتنا على ابراهيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وهي الزيادة من غير
سؤال وكان ابراهيم قد سأل الله ان يهب له ولدا فوهب له اسحاق وجملة ما عاشه من السنين مائة و
سبعة واربعون ثم وهب لاسحاق يعقوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة وقيل المراد بالنافلة هنا العطية
قاله الزجاج ومجاهد وقيل النافلة هنا ولد الولد لانه زيادة على الولد وقال ابن عباس نافلة ابن
الابن وعن قتادة والحكم مثله وقال الفراء النافلة يعقوب خاصة لانه ولد الولد وكلا جعلنا صالحين
اي كل واحد من هؤلاء الاربعة ابراهيم ولوط واسحق ويعقوب لا بعضهم دون بعض جعلناه صالحا
عاملا بطاعة الله تاركا لمعاصيه وقيل المراد بالصلاح هنا النبوة وجعلناهم ائمة اي رؤساء
يقتدى بهم في الخيرات والاعمال الصالحات يهدون الناس بامرنا اي بما انزلنا عليهم من الوحي و
اوحينا اليهم فعل الخيرات اي ان يفعلوا الطاعات وقيل شرائع النبوات واقام الصلوة الاصل
الاقامة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء والمعنى المحافظة عليها وايتاء الزكوة الواجبة وخصهما
بالذكر لان الصلوة افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكوة افضل العبادات المالية
ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وكانوا لنا خاصة دون غيرنا من الاصنام قاله
العمادي عابدين اي مطيعين فاعلين لما نامرهم به تاركين لما ننهاهم عنه وقيل موحدين ولوطا
آتيناه حكما اي نبوة وعلما اي معرفة بامر الدين او فقها لانقيابه فيكون من عطف السبب على المسبب وقيل

الحكم هو فصل الخصومات بالحق وقيل هو الفهم ونجيناه من القرية هي سذوم كما تقدم التي
كانت تعمل اي يعمل اهلها فيه مجاز عقلي الخبائث هي اللواطة والضراط وحذف الحصى والرمي بالبندق
واللعب بالطيور وغير ذلك كما سيأتي ثم علل سبحانه ذلك بقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين اي
خارجين عن طاعة الله وادخلناه بانجائنا له من القوم المذكورين في اهل رحمتنا وقيل في النبوة
وقيل في الاسلام وقيل في الثواب وقيل في الجنة انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى
ونوحا اذ نادى ربه من قبل اي من قبل هؤلاء الانبياء المذكورين وبعث وهو ابن اربعين
سنة ومكث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة فتكون مدة
عمره الفا وخمسين سنة كذا في التحبير وكان عليه السلام اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء والمعنى
دعا على قومه بقوله رب لا تذر الخ دعاء تفصيليا ودعا دعاء اخر اجماليا بقوله اني مغلوب فانتصر واما
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فدعا لقومه بالهداية بقوله رب اهد قومي فانهم لا يفهمون كما فهمنا ولذلك
ورد ان امة محمد صلى الله عليه وسلم ثلثا اهل الجنة وهو ثلاثة ارباع الجنة بل تسعة اعشارها وبقية الامم لهم
العشر ذكره السنوسي في شرح الصغرى فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله اي المؤمنين منهم من
الكرب العظيم اي من الغرق بالطوفان وتكذيب قومه له والكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا
للانتقام وقيل منعناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا الدالة على رسالته اي من ان يصلوا اليه
بسوء وقيل من بمعنى على ثم علل سبحانه ذلك بقوله انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
اي لم نترك منهم احدا بل اغرقنا كبيرهم وصغيرهم ذكرهم وانثاهم بسبب اصرارهم على الذنب
وداود وسليمان اي قصتهما اذ يحكمان اي وقت حكمهما والمراد من ذكرهما ذكر خبرهما في شأن
الحرث قيل كان زرعا وهو اشبه بالعرف وقيل كرما وعليه اكثر المفسرين وبه قال ابن عباس
واسم الحرث يطلق عليهما قال مرة كان الحرث نبتا اذ نفشت قال ابن السكيت النفش بالتحريك ان تنتشر
الغنم بالليل من غير راع اي تفرقت وانتشرت ورعت بان انفلتت فيه غنم القوم اي غنم بعض
القوم من امة داود وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين وفيه جواز اطلاق الجمع على الاثنين وهو مذهب
طائفة من اهل العربية كالزمخشري والرضي وتقدمهما الى القول به الفراء وانما وقع الجمع موقع التثنية
مجازا او لان التثنية جمع واقل الجمع اثنان ويدل عليه قراءة لحكمهما وقيل المراد الحاكمان والمحكوم عليه

فهو لاجماعة وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فان الحقيقة اضافة المصدر لفاعله والمجاز اضافته
لمفعوله ومعنى شاهدين حاضرين والجملة اعتراضية وقد روى البيهقي في سننه عن ابن مسعود
ولفظه قال كرم قد انبتت عناقيده فافسدته الغنم فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال
سليمان غير هذا يا نبي الله قال وما ذاك قال يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود
كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا عاد الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه
والغنم الى صاحبها فذلك قوله ففهمناها سليمان وعن مسروق نحوه وكذا عن ابن عباس لكنه
لم يذكر الكرم وعنه باطول منه والضمير المنصوب يعود الى القضية المفهومة من الكلام او الى الحكومة
المدلول عليها بذكر الحكم وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينما امرأتان معهما ابنان جاء الذئب فاخذ احد الابنين فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا فدعاهما
سليمان فقال هاتوا السكين اشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به للصغرى
وهذا الحديث وان لم يكن داخلا فيما حكته الآية لكنه من جملة ما وقع لهما قال المفسرون دخل رجلان
على داود وعنده ابنه سليمان احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت
غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئا فقال لك رقاب الغنم فقال سليمان او غير ذلك ينطلق
اصحاب الكرم بالغنم فيصيبون من البانها ومنافعها ويقوم اصحاب الغنم على الكرم حتى اذا كان كليلة نفشت
فيه دفع هؤلاء الى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء الى هؤلاء كرمهم فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك
قال النحاس انما قضى داود بالغنم لصاحب الحرث لان ثمنها كان قريبا منه واما في حكم سليمان فقد قيل
كانت قيمة ما نال من الغنم وقيمة ما افسدت الغنم سواء قال جماعة من العلماء ان داود حكم بوحي وحكم
سليمان بوحي نسخ الله به حكم داود فيكون التفهيم على هذا بطريق الوحي وقال الجمهور ان حكمهما
كان باجتهاد وكلام اهل العلم في حكم اجتهاد الانبياء معروف وهكذا ما ذكروه في اختلاف
المجتهدين وهل كل مجتهد مصيب او الحق مع واحد وقد استدل المستدلون بهذه الآية على ان كل مجتهد
مصيب ولا شك انها تدل على رفع الاثم عن المخطئ واما كون كل واحد منهما مصيبا فلا تدل عليه هذه
الآية ولا غيرها بل صرح الحديث المتفق عليه في الصحيحين وغيرهما ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران
وان اجتهد فاخطأ فله اجر فسماه النبي صلى الله عليه وسلم مخطئا فكيف يقال انه مصيب لحكم الله موافق له

ثم ان حكم الله سبحانه واحد لا يختلف باختلاف المجتهدين والا لزم توقف حكمه عز وجل على اجتهادات
المجتهدين فلزم الدور واللازم باطل فالملزوم مثله وايضا يستلزم ان تكون العين التي اختلف فيها اجتهاد
المجتهدين بالحل والحرمة حلالا وحراما في حكم الله سبحانه وهذا اللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وايضا
يلزم ان حكم الله سبحانه لا يزال يتجدد عند وجود كل مجتهد له اجتهاد في تلك الحادثة ولا ينقطع ما يريده
الله سبحانه فيها الا بانقطاع المجتهدين واللازم باطل فالملزوم مثله والحاصل ان المجتهدين لا يقدرون على
اصابة الحق في كل حادثة لكن لا يصرون على الخطأ كما رجع داود هنا الى حكم سليمان لما ظهر له انه الصواب
وقد اوضح الشوكاني هذه المسألة بما لا مزيد عليه في القول المفيد وادب الطلب فمن احب الوقوف على تحقيق الحق
فليرجع اليهما والى المؤلف الذي سميناه حصول المامول من علم الاصول والى كتابنا الجنة في الاسوة الحسنة
بالسنة ففيها ما يغني عن غيرها قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا
بصوابه واثنى على هذا باجتهاده وقال مجاهد كان هذا صلحا وما فعله داود كان حكما والصلح خير
فان قلت فما حكم هذه الحادثة التي حكم فيها داود وسليمان في هذه الشريعة المحمدية والملة الاسلامية
قلت قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث البراء انه شرع لامته ان على اهل الماشية حفظها
بالليل وعلى اصحاب الحوائط حفظها بالنهار وان ما افسدت المواشي بالليل مضمون على اهلها وهذا
الضمان هو مقدار الذاهب عينا او قيمة وقد ذهب جمهور العلماء الى العمل بما تضمنه هذا الحديث
وذهب ابو حنيفة واصحابه وجماعة من الكوفيين الى ان هذا الحكم منسوخ وان البهائم اذا افسدت
زرعا في ليل او نهار لا يلزم صاحبها شيء وادخلوا فسادها في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح
العجماء جبار قياسا لجميع افعالها على جرحها ويجاب عنه بان هذا القياس فاسد الاعتبار لانه في مقابلة
النص ومن اهل العلم من ذهب الى انه يضمن رب الماشية ما افسدته من غير فرق بين الليل
والنهار ويجاب عنه بحديث البراء وقد بسط الشوكاني رح الكلام عليه في شرحه للمنتقى ومما يدل على
ان هذين الحكمين من داود وسليمان كانا بوحي من الله سبحانه لا باجتهاد قوله ففهمناها سليمان
وكلا آتينا حكما وعلما فان الله سبحانه اخبرنا بانه اعطى كل واحد منهما هذين الامرين وهما ان
كانا خاصين فصدقهما على هذه القضية التي حكاها الله سبحانه عنهما مقدم على صدقهما على غيرها
وان كانا عامين فهذا الفرد من الحكم والعلم وهو ما وقع من كل واحد منهما في هذه القضية احق

افراد ذلك العام بدخوله تحته ودلالته عليه وفائدة ما يستفاد من ذلك دفع ما عسى يتوهم من تخصيص
سليمان بالتفهيم من عدم كون حكم داود حكماً شرعياً اي وكل واحد منهما اعطيناه حكماً وعلماً كثيراً
لا لسليمان وحده ولما مدح داود وسليمان على سبيل الاشتراك ذكر ما يختص بكل واحد منهما
فبدأ بداود فقال وسخرنا التسخير التكليف بالعمل بلا اجرة وسخره تسخيراً كلفه عملاً بلا اجرة والمراد
هنا التذليل اي ذللنا مع داود الجبال يسبحن التسبيح اما حقيقة او مجاز وقد قال بالاول جماعة
وهو الظاهر وذلك ان داود كان اذا سبح سبحت الجبال معه وقيل انها كانت تصلي معه اذا صلى
قاله قتادة وهو معنى التسبيح وقال بالمجاز جماعة آخرون وحملوا التسبيح على تسبيح من رآها تعجباً
من عظيم خلقها وقدرة خالقها وقيل كانت الجبال تسير مع داود حيث سار وكان من رآها
سائرة معه سبح والظاهر وقوع التسبيح منها بالنطق خلق الله فيها الكلام كما سبح الحصى في كف رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك وكان داود هو الذي يسمع وحده قاله ابو حيان والطير وكذا سخرنا
الطير للتسبيح معه وكنا فاعلين بما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير وقدم الجبال على
الطير لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان
ناطق وهو جمع طائر وجمع الطير طيور واطيار ويقع الطير على الواحد والجمع وقال ابن الانباري
الطير جماعة وتأنيثها اكثر من التذكير ولا يقال للواحد طير بل طائر وقلما يقال للانثى طائرة
وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس عند العرب السلاح كله درعاً كان او جوشناً او سيفاً او رمحاً
والمراد في الآية الدروع خاصة وهو بمعنى الملبوس كالركوب والحلوب قيل اول من صنع الدروع
وسردها واتخذها حلقاً داود عليه السلام وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله الان الحديد لداود
عليه السلام بان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله لتحصنكم
بالفوقية بارجاع الضمير الى الصنعة او الى اللبوس بتأويل الدرع اي لتمنعكم وقرئ بالنون بارجاع
الضمير اليه سبحانه وقرئ بالياء بارجاع الضمير الى اللبوس او الى داود او الى الله سبحانه من
بأسكم اي من حربكم مع اعدائكم او من وقع السلاح فيكم فهل انتم يا اهل مكة شاكرون
هذه النعمة التي انعمنا بها عليكم والاستفهام في معنى الامر ثم ذكر سبحانه ما خص به سليمان فقال و
سخرنا لسليمان الريح عدّى هنا باللام الدالة على التمليك وفي داود بمع وذلك ان الجبال والطير لما اشتركا

منه في التسخير ناسب فيه ذكرهم الدالة على الاصطحاب ولما كانت الريح مسخرة لسليمان اتى بلام
الملك لانها في طاعته وتحت امره والريح هو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر
للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه عاصفة اي شديدة الهبوب وخفيفة يقال عصفت الريح
اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف تجري بامره اي ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان
تلين لانت فهي جامعة للوصفين في وقت واحد فهذه اية اخرى غير التسخير الى الارض التي
باركنا فيها اي تجري منتهية اليها في رواحه من سفره اي رجوعه منه وهي ارض الشام عن ابن
عباس قال كان سليمان يوضع له ستمائة الف كرسي ثم يجيء اشراف الانس فيجلسون مما يليه ثم
يجيء اشراف الجن فيجلسون مما يلي اشراف الانس ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم
تسير مسيرة شهر في الغداة الواحدة وكنا بكل شيء وتدبيره عالمين وسخرنا له من الشياطين
اي الكافرين منهم دون المؤمنين من يغوصون له في البحار ويستخرجون منها ما يطلبه منهم والغوص النزول تحت الماء يقال
غاص في الماء والغواص الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ ويعملون عملا دون ذلك قال الفراء
اي سوى ذلك ودون بمعنى غير وسوى لا بمعنى اقل واحدون اي سوى الغوص كالبناء والنورة والطاحون
والقوارير والصابون لانه الشين استخراجهم وقيل يراد بذلك المحاريب والتماثيل وغير ذلك مما
يسخرهم فيه وكنا لهم اي لاعمالهم حافظين وقال الفراء اي من ان يهربوا ويمتنعوا او حفظناهم
من ان يخرجوا عن امره قال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يفسدوا
بالليل ما عملوا بالنهار وايوب اذ نادى ربه لما ابتلي بفقد ماله وولده وتمزق جسده وهجر جميع
الناس له الا زوجته وضيق عيشه اني اي باني مسني الضر اختلف في الضر الذي كان نزل به ماهو
فقيل انه قام ليصلي فلم يقدر على النهوض وقيل انه اقر بالعجز فلا يكون ذلك منافيا للصبر وقيل
انقطع الوحي عنه اربعين يوما وقيل ان دودة سقطت من لحمه فاخذها وردها في موضعها
فاكلت منه فصاح مسني الضر وقيل كانت الدود تتناول بدنه فيصبر حتى تناولت دودة قلبه
وقيل انه ضره قول ابليس لزوجته اسجدي لي فخاف ذهاب ايمانها وقيل انه تقذره قومه وقيل
اراد بالضر الشماتة وقيل غير ذلك واخرج ابن عساكر والديلمي وابن النجار عن عقبة بن عامر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لايوب تدري ما جرمك علي حتى ابتليتك قال لا يا رب قال لانك

دخلت على فرعون فداهنت عنده في كلمتين وعن ابن عباس قال انما كان ذنب ايوب
انه استعان به مسكين على ظالم يدرؤه فلم يعنه ولم يأمر بالمعروف ولم ينه الظالم
عن ظلم المسكين فابتلاه الله وفي اسناده جويبر ولما نادى ربه متضرعا اليه وصفه بغاية
الرحمة فقال وانت ارحم الراحمين ولطف في السؤال ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال انت اهل ان
ترحم وايوب اهل ان يرحم فارحمه واكشف عنه الضر ولما شكى اليه تلذذا بالشكوى منه لا تضجرا
بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما ان الشكاية منه غاية البعد فاخبر الله سبحانه باستجابته
لدعائه فقال فاستجبنا له نداءه الذي في ضمنه الدعاء فكشفنا ما به من ضر اي شفاه الله
مما كان به واعاده بما ذهب عليه وقال له اركض برجلك فركض فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل
منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض
مرة اخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه
فصار كاصح ما كان عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لايوب اخوان جاءا يوما فلم يستطيعا
ان يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال احدهما للآخر لو كان علم الله من ايوب خيرا ما ابتلاه
بهذا فجزع ايوب من قولهما جزعا لم يجزع من شيء قط مثله فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت ليلة
قط شبعانا وانا اعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم ان
كنت تعلم اني لم البس قميصا قط وانا اعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم
خر ساجدا وقال اللهم بعزتك لا ارفع راسي حتى تكشف عني فما رفع راسه حتى كشف الله عنه
وقد رواه ابن ابي حاتم مرفوعا بنحو هذا وآتيناه اهله ومثلهم معهم قيل تركهم الله عز وجل
واعطاه مثلهم في الدنيا قال النحاس والاسناد بذلك صحيح وقد كان مات اهله جميعا الا امرأته فاحياهم
الله في اقل من طرف البصر وآتاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وبه قال اكثر المفسرين وكان له سبع بنين وسبع
بنات وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف الذين اماتهم الله فيكون معنى الآية على هذا آتيناه مثل اهله ومثلهم معهم وعن
مجاهد قال قيل له يا ايوب ان اهلك لك في الجنة قال فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا وقال ابن مسعود اوتي
باعيانهم ومثلهم معهم واخرج ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن جرير وابن ابي حاتم والروياني وابن حبان والحاكم وصححه وابن
مردويه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ايوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين

من اخوانه كانا من اخص اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال احدهما لصاحبه هل
تعلم والله لقد اذنب ايوب ذنبا ما اذنبه احد قال وما ذاك قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه
الله فيكشف عنه ما به فلما راحا الى ايوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك فقال ايوب لا ادري ما
تقول غير ان الله يعلم اني امر بالرجلين يتنازعان يذكران الله فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهة ان يذكر
الله الا في حق وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته امسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم
ابطأ عليها فاوحى الله الى ايوب في مكانه ان اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبطأته
فتلقته واقبل عليها قد اذهب الله ما به من البلاء وهو احسن ما كان فلما رأته قالت اي بارك الله
فيك رأيت نبي الله المبتلى والله على ذلك ما رأيت رجلا اشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني انا هو
قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح
افرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الاخرى في اندر الشعير الورق حتى فاض والاندر هو البيدر
بلغة اهل الشام والجمع الانادر والبيدر موضع يداس فيه الطعام والاندر اسم جنس فيكون مصروفا
رحمة من عندنا اي اتيناه ذلك لرحمتنا له وذكرى للعابدين اي وتذكرة لغيره من العابدين
ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب واختلف في مدة اقامته على البلاء فقيل سبع سنين وسبعة
اشهر وسبعة ايام وسبع ليال وقيل ثلاثين سنة وقيل ثماني عشرة سنة قال الكرخي وهذا القول
هو الصحيح وعاش ايوب ثلاثا وستين سنة وكان ايوب رجلا من الروم ينتسب للعيص بن اسحق وكانت
امه من ولد لوط بن هاران واذكر اسمعيل الصابر على الانقياد للذبح وعاش مائة وثلاثين سنة
وادريس هو اخنوخ جد نوح ولد في حياة ادم قبل موته بمائة سنة وبعث بعد موته بمائتي سنة
وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فتكون جملة عمره اربعمائة وخمسين سنة وكان بينه وبين
نوح الف سنة وذا الكفل هو الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا والصحيح انه رجل من بني اسرائيل
كان لا يتورع عن شيء من المعاصي فتاب فغفر الله له وقيل ان اليسع لما كبر قال من يتكفل لي بكذا
وكذا من خصال الخير حتى استخلفه فقال رجل انا فاستخلفه وسمي ذا الكفل وقيل كان رجلا
يتكفل بشأن كل انسان اذا وقع في شيء من المهمات وقيل هو ولد ايوب واسمه بشر بعثه الله بعد ابيه
وسماه ذا الكفل وامره بالتوحيد وكان مقيما بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة وعن مجاهد

قال رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه ان يكفيه امر قومه ويقيمهم له ويقضي بينهم بالعدل
ففعل ذلك فسمي ذا الكفل وعن ابن عباس قال كان في بني اسرائيل قاض فحضره الموت فقال
من يقوم مقامي على ان لا يغضب فقال رجل انا فسمي ذا الكفل فكان ليله جميعا يصلي ثم يصبح
صائما فيقضي بين الناس وذكر قصة وعن ابي موسى الاشعري قال ما كان ذو الكفل نبيا ولكن
كان في بني اسرائيل رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلوة فتوفي فتكفل له ذو الكفل من بعده فكان
يصلي كل يوم مائة صلوة فسمي ذا الكفل واخرج احمد والترمذي وحسنه وابن حبان والطبراني
والبيهقي في شعب الايمان وغيرهم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان الكفل من بني اسرائيل
لا يتورع من ذنب عمله فاتته امرأة فاعطاها ستين دينارا على ان يطأها فلما قعد منها مقعد
الرجل من امرأته ارعدت وبكت فقال ما يبكيك اكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته
قط وما حملني عليه الا الحاجة فقال تفعلين انت هذا وما فعلته اذهبي فهي لك وقال والله لا اعصي
الله بعدها ابدا فمات من ليلته فاصبح مكتوب على بابه ان الله قد غفر للكفل وقد ذهب الجمهور
الى انه ليس بنبي وبه قال ابو موسى الاشعري ومجاهد وغيرهما وقال جماعة هو نبي ولعله هو الصحيح وبه
قال الحسن لان الله قرن ذكره باسمعيل وادريس ولان السورة ملقبة بسورة الانبياء ثم وصف الله
سبحانه هؤلاء بالصبر فقال **كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ** على القيام بما كلفهم الله به **وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي
رَحْمَتِنَا** اي في الجنة او في النبوة او في الخير على عمومه ثم علل ذلك بقوله **إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ**
اي الكاملين في الصلاح **وَذَا النُّونِ** هو يونس بن متى على وزن شتى اسم ابيه على ما
ذكره صاحب القاموس او اسم لامه على ما قاله ابن الاثير وغيره وقال الشهاب متى اسم ابيه على
الصحيح وسمي ذا النون لابتلاع الحوت له فان النون اسم للحوت وجمعه انوان ونينان والحوت السمكة
وجمعه حيتان وقيل سمي به لانه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين وعن
ابن الاعرابي نونة الصبي هي الثقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير ومعنى دسموا سودوا **إِذْ
ذَهَبَ مُغَاضِبًا** اي اذكره وقت ذهابه مغاضبا اي مراغما لقومه لاجل ربه وقال الحسن والشعبي
وسعيد بن جبير مغاضبا لربه واختاره ابن جرير والقتيبي وحكي عن ابن مسعود قال النحاس وربما
انكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح والمعنى مغاضبا من اجل ربه كما تقول غضبت لك

من لجاجته وقال الضحاك مغاضبا لقومه وحكي عن ابن عباس وقالت فرقة منهم الاخفش انما خرج
مغاضبا للملك الذي كان في وقته واسمه حزقيا وقيل لم يغاضب ربه ولا قومه ولا الملك وانما
ماخوذ من غضب اذا انف وذلك انه لما وعد قومه بالعذاب كانوا يسكنون فلسطين وخرج
عنهم تابوا وكشف الله عنهم العذاب فلما رجع وعلم انهم لم يهلكوا انف من ذلك وخرج عنهم
فظن أن لن نقدر عليه بفتح النون وكسر الدال واختلف في معنى الآية على هذه القراءة فقيل معناها
انه وقع في ظنه ان الله تعالى لا يقدر على معاقبته وقد حكي هذا القول عن الحسن وسعيد بن
جبير وهو قول مردود فان هذا الظن بالله كفر ومثل ذلك لا يقع من الانبياء عليهم السلام وذهب
جمهور العلماء الى ان معناها فظن ان لن نضيق عليه كقوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق
ومنه قوله ومن قدر عليه رزقه يقال قَدَرَ وقُدِرَ وقَتَرَ وقُتِرَ اي ضيق وقيل هو من القدر الذي
هو القضاء والحكم اي فظن ان لن نقضي عليه العقوبة قاله قتادة ومجاهد واختاره الفراء والزجاج
ماخوذ من القدر وهو الحكم دون القدرة والاستطاعة قال ثعلب هو من التقدير ليس من القدرة
يقال منه قدر الله لك الخير يقدره قدرا ويؤيده قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري نقدر بضم النون
وتشديد الدال من التقدير وحكي هذا عن ابن عباس ويؤيده قراءة قتادة والاعرج يقدر مبنيا
للمفعول من التقدير وقرئ يُقْدَرُ مخففا مبنيا للمفعول وقد اختلف العلماء في تاويل الحديث الصحيح
في قول الرجل الذي لم يعمل خيرا قط لاهله ان يحرقوه اذا مات ثم قال فوالله لئن قدر الله علي الحديث كما
اختلفوا في تاويل هذه الآية والكلام في هذا يطول وقد ذكرنا ههنا ما لا يحتاج معه الناظر الى غيره
فنادى في الظلمات الفاء فصيحة اي كان ما كان من التقام الحوت له فنادى والمراد بالظلمات ظلمة
الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قاله ابن مسعود وكان نداؤه هو قوله أن أي بأن لا إله إلا
أنت سبحانك يعني تنزيها لك من ان يعجزك شيء إني كنت من الظالمين الذين يظلمون انفسهم واول
هذا الدعاء تهليل واوسطه تسبيح واخره اقرار بالذنب قال الحسن وقتادة هذا القول من يونس
اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته قال ذلك وهو في بطن الحوت قيل مكث فيه اربعين يوما
وليلة وقيل سبعة وقيل ثلاثة كما في الخازن وفي البيضاوي اربع ساعات ثم اخبر الله سبحانه بانه
استجاب له فقال فاستجبنا له دعاءه الذي دعانا به في ضمن اعترافه بالذنب على ألطف وجه ونجيناه

من الغم أي غم الزلة والوحشة والوحدة بإخراجنا له من بطن الحوت حتى قذفه إلى الساحل
وكذلك ننجي المؤمنين أي نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم وبما أعددناه لهم من الرحمة إذا
دعونا واستغاثوا بنا وهذا هو معنى الآية الأخرى وهي قوله فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه
إلى يوم يبعثون قرئ ننجي بنونين وبواحدة وجيم مشددة وتسكين الياء على الفعل الماضي وإضمار
المصدر أي وكذلك نجي النجاء المؤمنين كما تقول ضرب زيداً أي ضرب الضرب زيداً قاله الفراء وأبو عبيد
وثعلب وخطأها أبو حاتم والزجاج وقالا هي لحن لأنه نصب اسم ما لم يسم فاعله وإنما يقال نجي المؤمنون
وقيل أدغم النون في الجيم وبه قال القتيبي وأبو عبيدة واعترضه النحاس فقال هذا لا يجوز عند
أحد من النحويين لبعد مخرج المدغم والمدغم فيه قيل كانت هذه الواقعة قبل الرسالة وصححه الخازن
ويدل له قوله تعالى بعد ذكر خروجه من بطن الحوت في سورة الصافات وأرسلناه إلى مائة ألف أو
يزيدون وأخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت الخ لم يدع بها
مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له وأخرج ابن جرير عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم
الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قلت يا رسول الله هل ليونس
خاصة أم لجماعة المسلمين قال هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا به ألم تسمع قول الله وكذلك
ننجي المؤمنين فهو شرط من الله لمن دعاه وأخرج الحاكم من حديثه أيضاً نحوه وقد ثبت في الصحيحين
وغيرهما من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس
بن متى وروي أيضاً في الصحيح وغيره من حديث ابن مسعود وروي أيضاً في الصحيحين من حديث
أبي هريرة وزكريا إذ نادى ربه أي واذكر خبر زكريا إذ نادى ربه وقت ندائه لربه قال رب لا تذرني فرداً أي
منفرداً وحيداً لا ولد لي يرثني وقد تقدم الكلام على هذه الآية في آل عمران وأنت خير الوارثين أي
ليس خير من يبقى بعد كل من يموت فأنت حسبي إن لم ترزقني ولداً فإني أعلم أنك لا تضيع دينك
وأنه سيقوم بذلك من عبادك من تختاره له وترتضيه للتبليغ فاستجبنا له دعاءه ووهبنا
له يحيى ولداً وقد تقدم تفسيره مستوفى في سورة مريم وأصلحنا له زوجه قال أكثر المفسرين إنها كانت
عاقراً فجعلها الله ولوداً فهذا هو المراد بإصلاح زوجه وقيل كانت سيئة الخلق فجعلها الله سبحانه

حسنة الخلق ولا مانع من ارادة الامرين جميعا وذلك بان يصلح الله سبحانه خلقها فتكون ولودا بعد
ان كانت عاقرا او يصلح اخلاقها فتكون اخلاقها مرضية بعد ان كانت غير مرضية قال ابن عباس
كان في لسان امرأة زكريا طول فاصلحه الله وروي نحو ذلك عن جماعة من التابعين وقال ايضا
وهبنا له ولدها وعن قتادة قال كانت عاقرا فجعلها الله ولودا ووهب له منها يحيى انهم كانوا يسارعون
في الخيرات هذه الجملة تعليل لما قبلها من احسانه سبحانه الى انبيائه عليهم السلام وقيل الضمير
راجع الى زكريا وامرأته ويحيى ثم وصفهم الله سبحانه بانهم كانوا يسارعون الخ اي يبادرون في وجوه
الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف
المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة
من ربكم ويدعوننا رغبا ورهبا اي يتضرعون الينا في حال الرخاء وحال الشدة وقيل الرغبة
رفع بطون الاكف الى السماء والرهبة رفع ظهورها والتقدير يرغبون رغبا ويرهبون رهبا او للرغب و
الرهب او راغبين وراهبين وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين متضرعين قال قتادة اذلاء وقال
ابن جريج رغبا في رحمة الله ورهبا من عذاب الله واخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله رغبا ورهبا فقال رغبا هكذا ورهبا هكذا وبسط كفيه
يعني جعل ظهرهما الى الارض في الرغبة وعكسه في الرهبة واذكر خبر التي احصنت فرجها وهي مريم
فانها احصنت فرجها من الحلال والحرام ولم يمسسها بشر وانما ذكرها مع الانبياء وان لم تكن
منهم لاجل ذكر عيسى وما في ذكر قصتها من الآية الباهرة ومعنى احصنت عفت فامتنعت من الفاحشة
وغيرها وقيل المراد بالفرج جيب القميص اي انها طاهرة الاثواب وقد مضى بيان مثل هذا في
سورة النساء ومريم فنفخنا فيها من روحنا اضاف سبحانه الروح اليه وهو للملك تشريفا وتعظيما وهو
يريد روح عيسى وقيل المراد بالروح جبريل اي امرناه فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى وجعلناها
وابنها آية للعالمين قال الزجاج الآية فيهما واحدة لانها ولدته من غير فحل وقيل ان التقدير على
مذهب سيبويه وجعلناها آية وجعلنا ابنها آية كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه والمعنى
ان الله سبحانه جعل قصتهما آية تامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اراد بالآية الجنس الشامل
لكل واحد منهما من الآيات ثم لما ذكر سبحانه الانبياء بين انهم كلهم مجتمعون على التوحيد فقال

إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً الامة الملة وهي الدين كما قال ابن قتيبة ومنه انا وجدنا اباءنا
على امة اي على دين وملة كانه قال ان هذا دينكم دين واحد لا خلاف بين الامم المختلفة في التوحيد
ولا يخرج عن ذلك الا الكفرة المشركون بالله وقيل المعنى ان هذه الشريعة التي بينتها لكم في كتابكم
شريعة واحدة وقيل المعنى ان هذه ملتكم ملة واحدة وهي ملة الاسلام والنصب على الحال اي
امة متفقة غير مختلفة قال ابن عباس اي ان هذا دينكم دينا واحدا وعن مجاهد مثله وعن
قتادة نحوه وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ خاصة لا تعبدوا غيري كائنا ما كان وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ
بَيْنَهُمْ اي تفرقوا افتراقا في الدين حتى صاروا كالقطع المتفرقة وقال الاخفش اختلفوا فيه وهو
كالقول الاول قال الازهري اي تفرقوا في امرهم فنصب امرهم بحذف في والمقصود بالآية المشركون ذمهم الله
بمخالفة الحق واتخاذهم آلهة من دون الله وقيل المراد جميع الخلق واتهم جعلوا امرهم في اديانهم قطعا
وقسموه بينهم فهذا موحد وهذا يهودي وهذا نصراني وهذا مجوسي وهذا عابد وثن ثم اخبر
سبحانه بان مرجع الجميع اليه فقال كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ اي كل واحد من هذه الفرق الثابت على
دينه الحق والزائغ عنه الى غيره راجع الينا بالبعث لا الى غيرنا فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ اي بعض
الاعمال الصالحة كالفرائض والنوافل لا كلها اذ لا يطيق ذلك احد وقيل من زائدة وَهُوَ مُؤْمِنٌ
بالله ورسله واليوم الآخر فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ اي لا جحود لعمله ولا بطلان لثوابه ولا تضييع لجزائه
بل يشكر ويثاب عليه والمراد نفي الجنس للمبالغة لان نفي الماهية يستلزم نفي جميع افرادها والكفر
ضد الايمان والكفر ايضا جحود النعمة وهو ضد الشكر يقال كفر كفورا وكفرانا وفي قراءة ابن مسعود
فلا كفر لسعيه وَإِنَّا لَهُ اي لسعيه كَاتِبُونَ اي حافظون بان نامر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه
ومثله قوله سبحانه اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى وَحَرَامٌ هكذا قرأ اهل المدينة وقرأ اهل
الكوفة وحرم وبها قرأ علي وابن مسعود وابن عباس وهما لغتان مثل حل وحلال وقرئ حرم
عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا اي قدرنا اهلاكها أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا
للجزاء وقيل لا زائدة اي ان يرجعوا بعد الهلاك الى الدنيا واختاره ابو عبيدة وقيل ان لفظ حرام
هنا بمعنى الواجب اي واجب على قرية وقيل حرام اي ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا زائدة قال النحاس
والآية مشكلة ومن احسن ما قيل فيها واجله ما روي عن ابن عباس في معنى الآية قال واجب

لا يتوبون قال الزجاج وابو علي الفارسي ان في الكلام اضمارا اي وحرام على قرية حكمنا باستيصالها
او بالختم على قلوب اهلها ان يتقبل منهم عمل لانهم لا يرجعون اي لا يتوبون حتى اذا فتحت ياجوج و
ماجوج حتى هذه هي التي يحكى بعدها الكلام وقيل حتى للغاية والمعنى ان هولاء المذكورين سابقا
مستمرون على ما هم عليه الى يوم القيامة وهي يوم فتح سد ياجوج وماجوج واطال سليمان الجمل
في بيان حتى هذه وذكر لها وجوها وياجوج وماجوج بالهمزة وتركه اسمان اعجميان وهما قبيلتان
من الانس يقال انهما تسعة اعشار بني ادم والمراد بالفتح فتح السد الذي عليهم على حذف المضاف
وهم اي ياجوج وماجوج او العالم باسره والاول اظهر من كل حدب اي نشز وهو كل اكمة و
كدية من الارض مرتفعة والجمع احداب ماخوذ من حدبة الارض ومعنى ينسلون يسرعون و
قيل يخرجون قال الزجاج النسلان مشية الذئب اذا اسرع يقال نسل فلان في العدو ينسل
بالكسر والضم نسلا ونسولا ونسلانا والنسلان مقاربة الخطا مع الاسراع وقال ابن عباس ينسلون
يقبلون وقد ورد في صفة ياجوج وماجوج وفي وقت خروجهم وبيان حالهم ومالهم احاديث
واثار كثيرة لا يتعلق بذكرها هنا كثير فائدة وكتابنا بحج الكرامة قد اشتمل عليها اشتمالا تاما فليرجع اليه
واقترب الوعد الحق المراد به ما بعد الفتح من الحساب وقال الفراء والكسائي وغيرهما المراد بالوعد
الحق القيامة والواو زائدة والمعنى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق وهو القيمة
فاقترب جواب اذا ومنه قوله تعالى وتله للجبين وناديناه واجاز الفراء ان يكون جوابه فاذا هي شاخصة
وقال البصريون التقدير قالوا يا ويلنا وبه قال الزجاج وقيل غير ذلك فاذا هي يعني القيامة بارزة
واقعة كانها اتية حاضرة شاخصة ابصار الذين كفروا يعني ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار
الكفار من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم وهول ما هم فيه ومعنى شاخصة مرتفعة
الاجفان وانما هو في القيامة بعد النفخة الثانية فالتعقيب عرفي اريد به المبالغة هنا يا ويلنا على تقدير
القول قد كنا في غفلة في الدنيا من هذا اي من هذا الذي دهمنا من البعث والحساب بل كنا
ظالمين اضربوا عن وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين بل كنا ظالمين لانفسنا بالتكذيب
وعدم الانقياد للرسل ثم بين سبحانه حال معبوديهم يوم القيامة فقال انكم يا اهل مكة وما
تعبدون من دون الله من الاصنام والشمس والقمر وابليس واعوانه حصب اي وقود جهنم

وحطبها وكل ما اوقدت به النار وهيجتها به فهو حصب كذا قال الجوهري وقال ابو عبيدة كل ما
قذفته في النار فقد حصبتها به ومثل ذلك قوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
وقرئ حطب جهنم بالطاء وقرئ حضب بالمعجمة قال الفراء ذكر لنا ان الحضب في لغة اهل اليمن
الحطب ووجه القاء الاصنام في النار مع كونها جمادات لا تعقل ذلك ولا تحس به التبكيت لمن
عبدها وزيادة التوبيخ لهم وتضاعف الحسرة عليهم وقيل انها تحمى فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم
وكذلك الشمس والقمر يكونان ثورين عقيرين في النار ايضا كما صح بذلك خبر ابي هريرة اخرجه
البيهقي واصله في البخاري انتم لها واردون الخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا واللام في لها للتقوية
لضعف عمل اسم الفاعل وقيل هي بمعنى على والمراد بالورود هنا الدخول قال كثير من اهل العلم
ولا يدخل في هذه الآية عيسى وعزير والملائكة لان ما لما لا يعقل ولو اراد العموم لقال ومن تعبدون
قال الزجاج ولان المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية
قال المشركون فالملائكة وعيسى وعزير يعبدون من دون الله فنزلت ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفي الباب روايات
لو كان هؤلاء آلهة اي هذه الاصنام آلهة كما تزعمون ما وردوها اي ما ورد العابدون والمعبودون
في النار وقيل العابدون فقط لكنهم وردوها فلم يكونوا آلهة وفي هذا تبكيت لعباد الاصنام
وتوبيخ شديد وكل فيها اي كل العابدين والمعبودين في النار خالدون لا يخرجون منها لهم
اي لهؤلاء الذين وردوا النار فيها زفير وهو صوت نفس المغموم والمراد هنا الانين والبكاء و
التنفس الشديد والعويل وقد تقدم بيان هذا في هود وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم
زفير بعض لشدة الهول وقال ابن مسعود في الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت
من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخر ثم تلك التوابيت في توابيت اخر عليها مسامير من نار فلا
يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره وقيل لا يسمعون شيئا لانهم
يحشرون صما كما قال سبحانه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وانما سلبوا
السماع لان فيه بعض تروح وتانس وقيل لا يسمعون ما يسرهم بل يسمعون ما يسوءهم ولما
بين سبحانه حال هؤلاء الاشقياء شرع في بيان حال السعداء فقال إنَّ هي بمعنى الا اي الا
الذين سبقت لهم منا الحسنى اي العدة الجميلة والخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال



وهي السعادة وقيل التوفيق او التبشير بالجنة او نفس الجنة أولئك اي الموصوفون بتلك الصفة
عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم قد صاروا في الجنة وقال الجنيد المعنى سبقت منا العناية
في البداية فظهرت الولاية في النهاية لا يسمعون حسيسها الحس والحسيس الصوت تسمعه
من شيء تمر قريبا منك والمعنى لا يسمعون حركة النار وصوتها وحركة تلهبها اخرج ابن مردويه عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حيات على الصراط تقول حس حس وعن ابي عثمان النهدي قال حيات
على الصراط تلسعهم فاذا لسعتهم قالوا حس حس وقال ابن عباس لا يسمع اهل الجنة حسيس النار
اذا نزلوا منازلهم من الجنة وهم فيما اشتهت انفسهم من النعيم والكرامة خالدون اي دائمون
مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة وفي الجنة ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين كما قال تعالى ولكم
فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون لا يحزنهم بفتح الياء وضم الزاي وقرئ بضم الياء وكسر الزاي
قال اليزيدي حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم بيان لنجاتهم من الفزع بالكلية اثر بيان نجاتهم من
النار لانهم اذا لم يحزنهم الفزع الاكبر وهو اهوال يوم القيامة من البعث والحساب والعقاب والامر
بالعبد الى النار لا يحزنهم ما عداه بالضرورة وقال ابن عباس هو النفخة الآخرة وقيل هو حين يذبح
الموت وينادي يا اهل النار خلود ولا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد ان يخرج
الله منها من يريد ان يخرجه فتغلق النار على اهلها واخرج احمد والترمذي وحسنه عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة على كثبان المسك لا يهولهم الفزع الاكبر يوم القيامة رجل ام قوما
وهم له راضون ورجل كان يؤذن في كل يوم وليلة وعبد ادى حق الله وحق مواليه وتتلقاهم
الملائكة اي تستقبلهم على ابواب الجنة يهنئونهم وقال المحلي عند خروجهم من القبور ولا مانع انها
تستقبلهم في الحالين ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون به في الدنيا وتبشرون
بما فيه هكذا قال جماعة من المفسرين ان المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى هنا
هم كافة الموصوفين بالايمان والعمل الصالح لا المسيح وعزير والملائكة لان عليا قرأ هذه الآية ثم
قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال اكثر المفسرين
انه لما نزل انكم وما تعبدون الآية اتى ابن الزبعرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد الست تزعم
ان عزيرا رجل صالح وان عيسى رجل صالح وان مريم امرأة صالحة قال بلى قال فان الملائكة وعيسى وعزير ومريم

يعبدون من دون الله هؤلاء في النار فانزل الله هذه الآية الى آخرها اخرجه ابن مردويه والضيا
في المختارة عن ابن عباس واخرجه ابو داؤد والطبراني من وجه آخر عنه باطول منه يوم نطوي
بنون العظمة اي اذكر يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وقرئ تطوى بالفوقية ورفع السماء وبالتحتية
على معنى يطوي الله السماء والاولى اظهر واوضح والطي في هذه الآية يحتمل معنيين احدهما الذي هو
ضد النشر ومنه قوله والسموات مطويات بيمينه والثاني الاخفاء والتعمية والمحو لان الله سبحانه يمحو
ويطمس رسومها ويكدر نجومها والمراد بالسماء الجنس والسجل الصحيفة اي طيا كطي الطومار للكتابة وقيل
السجل الصك وهو مشتق من المساجلة وهي المكاتبة واصلها من السجل وهو الدلو يقال ساجلت
الرجل اذا نزعت دلوا ونزع هو دلوا ثم استعيرت للمكاتبة والمراجعة في الكلام وقرئ السُّجُل بضم
السين والجيم وتشديد اللام وقرئ السجل بفتح السين واسكان الجيم وقيل السجل اسم ملك في السماء
الثالثة وهو الذي يطوي كتب بني آدم وقيل هو اسم كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس
اخرجه ابو داؤد والنسائي وعن ابن عمر مثله قال ابن كثير هذا منكر جدا وقد صرح جماعة من الحفاظ
بوضعه وان كان في سنن ابي داؤد منهم الحافظ المزي وقد افرد الشوكاني لهذا الحديث جزءا على حدة
وقد تصدى الامام ابن جرير للانكار على هذا الحديث ورده اتم رد وقال ولا نعرف في الصحابة
احدا اسمه سجل وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معروفين وليس فيهم احد اسمه السجل انتهى وصدق
رحمه الله في ذلك وهو من اقوى الادلة على نكارة هذا الحديث واما من ذكر في اسماء الصحابة هذا
فانما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله اعلم قال والصحيح عن ابن عباس ان السجل هو الصحيفة ونص
على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لانه المعروف في اللغة قلت فالاولى التعويل
على المعنى اللغوي والمصير اليه واخرج النسائي عن ابن عباس قال السجل هو الرجل اي بلغة الحبشة والاول
اولى وقرئ للكتب جمعا وللكتاب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه
يتعلق الطي حقيقة واما على الثانية فالكتاب مصدر واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار للكتابة
اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة والاعمال المنتشرة وهذا على ان معنى الطي ضد النشر
وعن علي قال كطي السجل ملك وعن عطية وابي جعفر مثله قال ابن عمر السجل ملك فاذا صعد
بالاستغفار قال اكتبوها نورا كما بدأنا اول خلق نعيده اي بعد اعدامه تشبيها للاعادة بالابتداء

في تناول المقدرة تجمعت آلة السواد أي كما بدأنا أخرجنا بطون أمهاتهم وأخرجناهم من الأرض حفاة
عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة وأنه أخص باول الخلق بذكر تصويرا لايجاده عن العدم
والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على المبدأ لشمول الإمكان الذاتي لهما وقيل معنى الآية
نهلك كل نفس كما كان أول مرة قاله ابن عباس وقيل المعنى نغير السماء ثم نعيدها مرة أخرى
بعد طيها وزوالها والأول أولى وهو مثل قوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ثم قال
سبحانه وعدا علينا أي وعدنا وعدا علينا انجازه والوفاء به وهو البعث والإعادة ثم أكد سبحانه ذلك
بقوله إنا كنا فاعلين أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الأعمال للخلاص من
هذه الأهوال قال الزجاج معناه إنا كنا قادرين على ما نشاء وقيل فاعلين ما وعدناكم ومثله قوله
كان وعده مفعولا ولقد كتبنا في الزبور هو في الأصل الكتاب يقال زبرت أي كتبت وعلى هذا يصح
إطلاق الزبور على التوراة والإنجيل وعلى كتاب داود المسمى بالزبور والمراد جنس الكتب المنزلة وقال الزجاج و
قيل المراد به هنا كتاب داود خاصة من بعد الذكر أي اللوح المحفوظ كما في البيضاوي والخازن وأبي
السعود وأبي حيان وقيل هو القرآن قاله ابن عباس وعنه قال الذكر الأصل الذي نسخت منه
هذه الكتب الذي في السماء أي والله لقد كتبنا في كتاب داود من بعد ما كتبنا في التوراة أو من بعد
ما كتبنا في اللوح المحفوظ أن الأرض يرثها عبادي الصالحون قد اختلف في معنى هذه الآية فقيل
المراد أرض الجنة قاله ابن عباس واستدل القائلون بهذا بقوله سبحانه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وأورثنا الأرض وقيل هي الأرض المقدسة وقيل هي أرض الأمم الكافرة ترثها أمتنا صلى الله عليه وسلم
وأمته بفتحها وقيل المراد بذلك بنو إسرائيل بدليل قوله سبحانه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الأرض ومغاربها التي باركنا فيها والظاهر أن هذا تبشير لأمته صلى الله عليه وسلم بوراثة أرض الكافرين وعليه أكثر المفسرين قال
ابن عباس أخبر الله سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم
الأرض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون وقيل عام في كل صالح [illegible] والأمة محمد صلى الله عليه وسلم وغيرها من الأمم إن في هذا
لبلاغا أي فيما جرى ذكره في هذه السورة من الوعظ والتنبيه لكفاية ووصول إلى البغية قال الرازي قال أبو
[illegible] البلاغ [illegible] ومبلغ أي كفاية وقيل الإشارة إلى القرآن والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر لقوم عابدين أي
مشغولين بعبادة الله مهتمين بها والعبادة هي الخضوع والتذلل وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يصلون الصلوات

قال ابو هريرة الصلوات الخمس واخرج ابن مردويه وابو نعيم والديلمي عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الآية قال ان في الصلوات الخمس شغلا للعبادة واخرج ابن مردويه عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هي الصلوات الخمس في المسجد الحرام جماعة وقيل هم العالمون
العاملون الموحدون وقال الرازي والاولى انهم الجامعون بين الامرين لان العلم كالشجرة والعمل كالثمرة
والشجر بدون الثمر غير مفيد والثمر بدون الشجر غير كائن وما ارسلناك يا محمد بالشرائع والاحكام
الا رحمة للعالمين اي الانس والجن والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال والعلل اي ما ارسلناك لعلة
من العلل الا لرحمتنا الواسعة فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين وقيل معنى كونه رحمة
للكفار انهم امنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال وقيل المراد بالعالمين المؤمنون خاصة و
والاول اولى بدليل قوله سبحانه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وعن ابن عباس في الآية قال
من امن تمت به الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الامم في عاجل
الدنيا من العذاب من المسخ والخسف والقذف واخرج مسلم عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله
ادع الله على المشركين قال اني لم ابعث لعانا وانما بعثت رحمة واخرج احمد والطيالسي والطبراني وابو نعيم
عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين واخرج احمد
والطبراني عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل من امتي سببته سبة في غضبي او لعنته
لعنة فانما انا رجل من بني آدم اغضب كما يغضبون وانما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها عليه
صلاة يوم القيامة واخرج البيهقي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة
قد روي معنى هذا من طرق ثم بين سبحانه ان اصل تلك الرحمة هو التوحيد والبراءة من الشرك
قال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد ان كانت ما موصولة فالمعنى ان الذي يوحى الي هو ان
وصفه تعالى مقصور على الوحدانية لا يتجاوزها الى ما يناقضها او يضادها وان كانت ما كافة فالمعنى
الوحي الي مقصور على استئثار الله بالوحدة فهل انتم مسلمون منقادون مخلصون العبادة لله وحده
سبحانه والمراد بهذا الاستفهام الامر اي اسلموا فان تولوا اي اعرضوا عن الاسلام فقل آذنتكم
اعلمتكم انا واياكم حرب لا صلح بيننا كائنين على سواء في الاعلام لم اخص به بعضكم دون بعض
ه سبحانه واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء اي اعلمهم انك نقضت العهد نقضا

سويت بينهم فيه وقال الزجاج المعنى اعلمتكم بما يوحى الي على استواء في العلم به ولا اظهر لاحد
شيئا كتمته على غيره وقيل اذنتكم بالحرب ولكن لا ادري ما يؤذن لي في محاربتكم وان ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون اي ما ادري اقريب حصوله ام بعيد وهو غلبة الاسلام واهله
على الكفر واهله وقيل المراد العذاب والقيامة المشتملة عليه ولا يعلمها الا الله تعالى انه يعلم
الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي يعلم سبحانه ما تجاهرون به من الكفر والطعن على الاسلام
واهله وما تكتمونه من ذلك وتخفونه لا يخفى عليه منه خافية وان ادري لعله اي ما ادري
لعل الامهال فتنة لكم واختبار ليرى كيف صنعكم عن الربيع بن انس قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
رأى فلانا وهو بعض بني امية على المنبر يخطب للناس فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله هذه الآية يقول هذا الملك وقال ابن عباس يقول ما اخبركم به من العذاب والساعة
لعل تاخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع الى حين اي وتمتع الى وقت مقدر تقتضيه حكمته ثم
حكى سبحانه وتعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله قال رب احكم بالحق بيني وبين
هؤلاء المكذبين بما هو الحق عندك ففوض الامر اليه سبحانه وقال ابن عباس لا يحكم
الله الا بالحق وانما يستعجل بذلك في الدنيا يسأل ربه وقرئ رب بضم الباء قال النحاس و
هذا لحن عند النحويين وقرئ احكم بقطع الهمزة وفتح الكاف وضم الميم اي قال محمد ربي
احكم بالحق من كل حاكم وقرئ احكم بصيغة الماضي اي احكم الامور بالحق وقرئ قل
بصيغة الامر اي قل يا محمد قال ابو عبيدة الصفة هنا اقيمت مقام الموصوف والتقدير رب
احكم بحكمك الحق وقد استجاب سبحانه دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم فعذبهم ببدر ثم جعل
العاقبة والغلبة والنصر لعباده المؤمنين والحمد لله رب العالمين ثم قال سبحانه متمما
لتلك الحكاية وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون من الكفر والتكذيب اي هو
كثير الرحمة لعباده والمستعان به في الامور التي من جملتها ما تصفونه من
ان الشوكة تكون لكم ومن قولكم هل هذا الا بشر مثلكم وقولكم اتخذ
الرحمن ولدا وكثيرا ما يستعمل الوصف في كتاب الله بمعنى الكذب كقوله ولكم
الويل مما تصفون وقوله سيجزيهم وصفهم وقرئ بالتحتية وبالفوقية على الخطاب

سورة الحج هي سبع اوثمان وسبعون اية

اختلف العلماء هل هي مكية او مدنية قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير ومجاهد مثله وقال قتادة الا اربع ايات وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الى قوله عذاب يوم عقيم فهن مكيات وقال ابن عباس سوى ثلث ايات وقيل اربع ايات الى قوله عذاب الحريق وعن النقاش انه عد ما نزل منها بالمدينة عشر ايات وقال الجمهور ان السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني قال القرطبي وهذا هو الصحيح لان الايات تقتضي ذلك لان يا ايها الناس مكي ويا ايها الذين امنوا مدني قال الغزنوي وهي من اعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها وقد ورد في فضلها ما اخرجه احمد وابو داود والترمذي وغيرهم عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله افضلت سورة الحج على سائر القران بسجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأها قال الترمذي هذا حديث حسن ليس اسناده بالقوي وقد روي عن كثير من الصحابة ان فيها سجدتين وبه يقول ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وقال بعضهم ان فيها سجدة واحدة وهو قول سفيان الثوري وروي هذا عن ابن عباس وابراهيم النخعي

بسم الله الرحمن الرحيم

لما انجر الكلام في خاتمة السورة المتقدمة الى ذكر الاعادة وما قبلها وما بعدها بدأ سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة واهوالها حثا على التقوى التي هي انفع زاد فقال **يا ايها الناس اتقوا ربكم** اي احذروا عقابه بفعل ما امركم به من الواجبات وترك ما نهاكم عنه من المحرمات ولفظ الناس يشمل جميع المكلفين من الموجودين ومن سيوجد على ما تقرر في موضعه وقد قدمنا طرفا من ذلك في سورة البقرة **ان زلزلة الساعة شيء عظيم** تعليل لما قبله من الامر بالتقوى والزلزلة شدة الحركة والازعاج واصلها من زل عن الموضع اي زال عنه وتحرك وزلزل الله قدمه اي حركها وتكرير الحرف يدل على تاكيد المعنى وهو من اضافة المصدر الى فاعله وهي على هذا الزلزلة التي هي احد اشراط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة على المجاز الحكمي هذا قول الجمهور

او الى الظرف لانها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة وقيل انها تكون
في النصف من شهر رمضان ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية
المعدوم شيئا فان هذا اسم لها حال وجودها وقيل في التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة
عن ادراك كنهها وقد اخرج احمد والترمذي وصححه والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن عمران بن حصين
قال لما نزلت يا ايها الناس الى قوله عذاب الله شديد انزلت عليه هذه وهو في سفر فقال اتدرون اي يوم ذلك
قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال من
كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة فانشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا وابشروا فانها لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية فتؤخذ العدة
من الجاهلية فان تمت والا كملت من المنافقين وما مثلكم والامم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة
او كالشامة في جنب البعير ثم قال اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجو ان
تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبروا قال ولا ادري
قال الثلثين ام لا واخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر عنه مرفوعا نحوه وقال في آخره
اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء الا كثرتاه يأجوج ومأجوج
ومن مات من بني آدم ومن بني ابليس فسري عن القوم بعض الذي يجدون قال اعملوا وابشروا
فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة
وفي الصحيحين وغيرهما عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وفي آخره فقال من
يأجوج ومأجوج الف ومنكم واحد وهل انتم في الامم الا كالشعرة السوداء في الثور الابيض او كالشعرة
البيضاء في الثور الاسود يوم ترونها اي وقت رؤيتكم للزلزلة تذهل كل مرضعة عما ارضعت
اي تغفل كل ذات رضاع عن رضيعها قال قطرب تذهل تشتغل وقيل تنسى وقيل تلهو وقيل
تسلو وهذه معانيها متقاربة قال المبرد ما هنا بمعنى المصدر اي تذهل عن الارضاع قال وهذا
يدل على ان هذه الزلزلة في الدنيا اذ ليس بعد القيامة حمل وارضاع الا ان يقال ان من ماتت حاملا
تضع حملها للهول ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك ويقال هذا مثل كما يقال يوما يجعل الولدان
شيبا وقيل يكون مع النفخة الاولى قال ويحتمل ان تكون الزلزلة عبارة عن اهوال يوم القيامة كما في

مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها بغير تمام من
شدة الهول كما ان المرضعة تترك ولدها بغير رضاع لذلك وترى الناس سكرى قرأ الجمهور بفتح
التاء والراء خطابا لكل واحد اي يراهم الرائي كانهم سكارى وقرئ ترى بضم التاء مسندا الى المخاطب
من اريتك اي تظنهم سكارى قال الفراء ولهذا وجه جيد في العربية وما هم بسكارى حقيقة
وقرئ سكرى بغير الف وهما لغتان يجمع بهما سكران مثل كسلى وكسالى ولما نفى سبحانه عنهم السكر اوضح
السبب الذي لاجله شابهوا السكارى فقال ولكن عذاب الله شديد فبسبب هذه الشدة والهول
العظيم طاشت عقولهم واضطربت افهامهم فصاروا كالسكرى بجامع سلب كمال التمييز وصحة الادراك
وروي ان هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فقرأهما النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من
تلك الليلة قاله ابو حيان في البحر ثم لما اراد سبحانه ان يحتج على منكري البعث قدم قبل ذلك مقدمة
تشمل اهل الجدل كلهم فقال ومن الناس من يجادل في الله اي في شأن الله وقدرته وصفاته والمعنى
انه يخاصم في ذلك فيزعم انه غير قادر على البعث بغير علم يعلمه ولا حجة يدلي بها او يؤول
او يمثل او يعطل او يشبه صفاته بصفات الخلق من دون حجة نيرة او يكابر في دين الله ويقول
فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وتقليد آراء الرجال ويتبع فيما يقوله ويتعاطاه ويحتج به ويجادل عنه
كل شيطان مريد اي متمرد على الله متجرد للفساد وهو العاتي سمي بذلك لخلوه عن كل خير وقال
الزجاج المريد المارد المرتفع الاملس والمراد اما ابليس وجنوده او رؤساء الكفار الذين يدعون
اشياعهم الى الكفر قال المفسرون نزلت في النضر بن الحارث وكان كثير الجدل وكان ينكر ان الله
يقدر على احياء الاموات وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة كتب عليه اي
قضي على الشيطان قاله قتادة وعن مجاهد مثله انه من تولاه اي من اتخذه وليا واتبعه
فانه اي فشأن الشيطان انه يضله عن طريق الحق والجنة وقد وصف الشيطان بوصفين
الاول انه مريد والثاني ما افاده جملة كتب عليه الخ ويهديه الى عذاب السعير اي يحمله على مباشرة
ما يصير به في العذاب وفي الآية زجر عن اتباعه ثم ذكر سبحانه ما هو المقصود من الاحتجاج على الكفار
بعد فراغه من تلك المقدمة فقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث قرأ الجمهور ريب بسكون
العين وقرئ بفتحها وهي لغة وشكهم يحتمل ان يكون في وقوعه او في امكانه والمعنى ان كنتم في شك



من الاعادة بعد الموت فانظروا في مبدا خلقكم اي خلق ابيكم ادم ليزول عنكم الريب ويرتفع
الشك وتدحض الشبهة الباطلة فانا خلقناكم من تراب في ضمن خلق ابيكم ادم وهذا اول اطوار
الانسان في اطوار سبعة وهي التراب والنطفة والعلقة والمضغة والاخراج طفلا وبلوغ الاشد و
التوفي او الرد الى ارذل العمر كما سياتي تفصيل ذلك ثم خلقناكم من نطفة اي من مني سمي نطفة لقلته
والنطفة القليل من الماء وقد يقع على الكثير منه والنطفة القطرة يقال نطف ينطف اي قطر وليلة
نطوف اي دائمة القطر ثم من علقة وهي الدم الجامد والعلق الدم العبيط اي الطري والمتجمد و
قيل الشديد الحمرة والمراد الدم الجامد المتكون من مني ثم من مضغة وهي القطعة من اللحم قدر
ما يمضغ الماضغ يتكون من العلقة مخلقة اي مستبينة الخلق ظاهرة التصوير وغير مخلقة
اي لم يستبن خلقها ولا ظهر تصويرها قال ابن عباس المخلقة ما كان حيا تام الخلق وغير
المخلقة ما كان سقطا وروي نحو هذا عن جماعة من التابعين وقال ابن الاعرابي مخلقة يريد
قد بدا خلقه وغير مخلقة لم تصور قال الاكثر ما اكمل خلقه بنفخ الروح فيه فهو المخلقة وهو الذي
ولد لتمام وما سقط كان غير مخلقة اي غير حي باكمال خلقته بالروح قال الفراء مخلقة تام
الخلق وغير مخلقة السقط واخرج البخاري ومسلم واهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود قال
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه
اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله
اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد
فو الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها والاحاديث في هذا الباب كثيرة
جدا لنبين لكم اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم كمال قدرتنا بتصريفنا اطوار خلقكم
لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على اعادته ونقر مستانف اي نثبت في الارحام ما نشاء فلا يكون
سقطا ولم يقل من نشاء لانه يرجع الى الحمل وهو جماد قبل ان ينفخ فيه الروح وقرئ ما نشاء بكسر
النون الى اجل مسمى وهو وقت الولادة ثم نخرجكم من بطون امهاتكم طفلا اي اطفالا

وانما افرده ارادة للجنس الشامل للواحد والمتعدد قال الزجاج طفلا في معنى اطفالا ودل عليه
ذكر الجماعة يعني في نخرجكم والعرب كثيرا ما تطلق اسم الواحد على الجماعة والمعنى نخرج كل واحد
منكم طفلا نحو القوم يشبعهم رغيف اي كل واحد منهم وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرضا
والعدل فيقع على الواحد والجمع قال الله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا ثم قيل نصبه على التمييز
قاله ابن جرير وفيه بعد والظاهر انه على الحال والطفل يطلق على الولد الصغير من وقت انفصاله
الى البلوغ واما الطفل بالفتح فهو الناعم والمرأة طفلة ثم لتبلغوا اشدكم كأنه قيل نخرجكم لتكبروا
شيئا فشيئا ثم لتبلغوا الى الاشد وقيل ان ثم زائدة والاشد هو كمال العقل وكمال القوة والتمييز
قيل وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين وهو في الاصل جمع شدة كانعم جمع نعمة وقد تقدم الكلام
على هذا مستوفى في الانعام ومنكم من يتوفى اي يموت قبل بلوغ الاشد والكبر وقرئ
مبنيا للفاعل ايضا ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي اخسه وادونه وهو الهرم والخرف
وهو خمس وسبعون سنة قاله علي وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة حتى لا يعقل
ولهذا قال سبحانه لكيلا يعلم اي يعقل من بعد علم اي بعد عقله الاول شيئا من الاشياء
او شيئا من العلم والمعنى انه يصير من بعد ان كان ذا علم بالاشياء وفهم لها لا علم له ولا فهم
كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة الرأي وقلة الفقه والعقل والفهم فينسى ما يعلمه
وينكر ما يعرفه ومثله قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين
وقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة اي فهذا الرد
والنكس خاص بغير قارئ القرآن والعلماء واما هؤلاء فلا يردون في آخر عمرهم الى الارذل بل تزداد
عقولهم كلما طال عمرهم وترى الارض هامدة هذه حجة اخرى على البعث فانه سبحانه احتج باحياء
الارض بانزال الماء على احياء الاموات والهامدة اليابسة التي لا تنبت شيئا قال ابن قتيبة اي
ميتة يابسة كالنار اذا طفئت وقيل دارسة والهمود السكون والخشوع والدروس وقيل هي
التي ذهب عنها الندى وقيل هالكة ومعاني هذه الاقوال متقاربة فاذا انزلنا عليها الماء اي ماء
المطر والانهار والبحار والعيون والسواقي اهتزت اي تحركت في رأي العين والاهتزاز شدة الحركة
يقال هززت الشيء فاهتز اي حركته فتحرك والمعنى تحركت بالنبات لان النبات لا يخرج منها حتى يزيل

بعضها من بعض إزالة خفيفة فسماه اهتزازا مجازا وقال المبرد المعنى اهتز نباتها واهتزازه
شدة حركته والاهتزاز في النبات أظهر منه في الأرض (وربت) أي ارتفعت وقيل انتفخت وزادت والمعنى واحد
وأصله الزيادة يقال ربا الشيء يربو ربوا إذا زاد ومنه الربا والربوة وقرئ وربأت أي ارتفعت
حتى صارت بمنزلة الرابية وهو الذي يحفظ القوم على مكان مشرف يقال له رابي ورابية وربيئة (وأنبتت)
أي أخرجت (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن ولون مستحسن يسر الناظرين إليه والبهجة الحسن قاله
ابن عباس يعني الشيء المشرق الجميل ومن زائدة والإسناد مجازي لأن المنبت في الحقيقة هو الله
تعالى (ذلك) الصنع البديع حاصل (بأن) أي بسبب (أن الله هو الحق) وحده في ذاته وصفاته وأفعاله
المحقق والموجد لما سواه من الأشياء فهذه الآثار الخاصة من فروع القدرة العامة التامة والحق
هو الموجود الذي لا يتغير ولا يزول وقيل ذو الحق على عباده وقيل الحق في أفعاله قال الزجاج ذلك
في موضع رفع أي الأمر ما وصفه لكم وبين بأن الله هو الحق والجملة مستأنفة ولما ذكر افتقار الموجودات
إليه سبحانه وتسخيرها على وفق إرادته واقتداره قال بعد ذلك هذه المقالات (وأنه يحيي الموتى)
(وأنه على كل شيء) من الأشياء (قدير) والمعنى أنه المتفرد بهذه الأمور وأنها من شأنه لا يدعي غيره
أنه يقدر على شيء منها فدل سبحانه بهذا على أنه الحق الحقيقي الغني المطلق وأن وجود كل موجود
مستفاد منه (وأن الساعة آتية) أي في مستقبل الزمان قيل لا بد من إضمار فعل أي ولتعلموا أن
الساعة آتية (لا ريب فيها) ولا تردد ثم أخبر سبحانه عن البعث فقال (وأن الله يبعث من في القبور)
فيجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر وأن ذلك كائن لا محالة والحاصل أنه تعالى ذكر أسبابا
خمسة الثلاثة الأول مؤثرة والأخيران غير مؤثرين (ومن الناس من يجادل في شأن الله) كقول
من قال إن الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وعزير ابن الله قيل نزلت في النضر بن الحارث وقيل
في أبي جهل وقيل في رجل من بني عبد الدار قاله ابن عباس وقيل هي عامة لكل من يتصدى لإضلال
الناس وإغوائهم وعلى كل حال فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ وإن كان السبب خاصا والمعنى ومن الناس
فريق يجادل في الله فيدخل في ذلك كل مجادل في ذات الله أو صفاته أو شرائعه الواضحة (بغير علم)
لبه كائنا بغير علم قيل والمراد بالعلم هو العلم الضروري (ولا هدى) وهو العلم النظري الاستدلالي لأن
الدليل يهدي إلى المعرفة والأولى حمل العلم على العموم وحمل الهدى على معناه اللغوي وهو الإرشاد

وَّلَا كِتَابٍ اي وحي مُّنِيرٍ وهو القرآن والمعنى انه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية و
لا سمعية والعلم للانسان من احد هذه الوجوه الثلثة والمنير النير المبين الحجة الواضح البرهان
وهو وان دخل تحت قوله بغير علم فافراده بالذكر كافراد جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة وذلك
لكونه الفرد الكامل الفائق على غيره من افراد العلم واما من حمل العلم على الضروري والهدى على الاستدلالي
فقد حمل الكتاب هنا على الدليل السمعي فتكون الاية متضمنة لنفي الدليل العقلي ضروريا كان او استدلاليا
ومتضمنة لنفي الدليل العقلي باقسامه وما ذكرناه اولى قيل والمراد بهذا المجادل في هذه الاية هو المجادل
في الاية الاولى اعني قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد وبذلك قال
كثير من المفسرين والتكرير للمبالغة في الذم كما تقول للرجل تذمه وتوبخه انت فعلت هذا انت
فعلت هذا ويجوز ان يكون التكرير لكونه وصفه في كل اية بزيادة على ما وصفه به في الاية الاخرى
وقيل الاية الاولى واردة في المقلدين اسم فاعل والثانية في المقلدين اسم مفعول ذكره الزمخشري
وقال وهو اوفق واظهر بالمقام انتهى ولا وجه لهذا كما انه لا وجه لقول من قال ان الاية الاولى خاصة
باضلال المتبوعين لتابعيهم والثانية عامة في كل اضلال وجدال ثَانِيَ عِطْفِهِ حال اي لاويا
عنقه قاله قتادة وعن ابن عباس والسدي وابن زيد وابن جريج انه المعرض والعطف الجانب وعطفا
الرجل جانباه من يمين وشمال وفي تفسيره وجهان الاول ان المراد به من يلوي عنقه مرحا و
كبرا ذكر معناه الزجاج قال وهذا يوصف به المتكبر قال ابن عباس اي مستكبرا في نفسه وقال المبرد
العطف ما انثنى من العنق الوجه الثاني ان المراد بقوله ثاني عطفه الاعراض اي معرضا عن
الذكر كذا قال الفراء والمفضل وغيرهما كقوله تعالى ولى مستكبرا كان لم يسمعها وقوله لووا رؤسهم
وقوله اعرض ونأى بجانبه وقيل المعنى مانع تعطفه الى غيره لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ اي ليستمر
ليزيد ضلاله وان ضلاله كالغرض له لكونه ماله قرئ ليضل بفتح الياء وضمها والسبيل هنا
الدين يعني ان غرضه هو الاضلال عن السبيل وان لم يعترف بذلك وقيل هي لام العاقبة كانه
جعل ضلاله غاية لجداله لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ مستانفة مبينة لما يحصل له بسبب جداله من
العقوبة والخزي الذل وذلك بما يناله من العقوبة في الدنيا ومن العذاب المعجل وسوء الذكر على
السن الناس وقيل الخزي الدنيوي هو القتل كما وقع في يوم بدر وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ

الحريق اي عذاب النار المحرقة ثم يقال له ذلك اي ما تقدم من العذاب الدنيوي والاخروي بما قدمت
يداك من الكفر والمعاصي والباء للسببية وعبر باليد عن جملة البدن لكون مباشرة المعاصي تكون
بها في الغالب وفي غير هذه السورة ايديكم لان هذه الاية نزلت في ابي جهل وحده وفي غيرها
نزلت في جماعة تقدم ذكرهم وان الله ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد اي ولا مراء انه سبحانه
لا يعذب عباده بغير ذنب وقد مر الكلام على هذه الاية في آل عمران فلا نعيده ومن الناس
من يعبد الله على حرف هذا بيان لشقاق اهل الشقاق قال اكثر المفسرين الحرف الشك و
اصله من حرف الشيء اي طرفه مثل حرف الجبل والحائط فان القائم عليه غير مستقر والذي
يعبد الله على حرف قلق في دينه على غير ثبات وطمانينة كالذي هو على حرف الجبل ونحوه يضطرب
اضطرابا ويضعف قيامه فقيل للشاك في دينه انه يعبد الله على حرف اي متزلزلا لانه على
غير يقين من وعده ووعيده بخلاف المؤمن لانه يعبده على يقين وبصيرة فلم يكن على حرف
ففي الاية استعارة تمثيلية وقيل الحرف الشرط والشرط هو قوله فان اصابه خير دنيوي من رخاء
وصحة وعافية وسلامة وخصب وكثرة مال اطمان به اي ثبت على دينه واستمر على عبادته
او اطمان قلبه بذلك الخير الذي اصابه وسكن اليه وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه
يصيبه في اهله وماله او نفسه ومعيشته كالجدب والمرض وسائر المحن انقلب على وجهه
اي ارتد ورجع الى الوجه الذي كان عليه من الكفر ثم بين حاله بعد انقلابه على وجهه فقال خسر
الدنيا والآخرة بذهابهما منه وفقدهما فلا حظ له في الدنيا من الغنيمة والثناء الحسن وصون
المال والدم ولا في الآخرة من الاجر وما اعده الله للصالحين من عباده وقرئ خاسر الدنيا على اسم
الفاعل ذلك هو الخسران المبين اي الواضح الظاهر الذي لا خسران مثله فانه اذا لم ينضم اليه
الاخروي او بالعكس لم يتمحض خسرانا فلم يظهر كونه كذلك ظهورا تاما فانحصر الخسران البين فيه
على ما دل عليه الاتيان بضمير الفصل قاله الكرخي اخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في الاية قال
كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امراته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد
امراته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء واخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عنه بسند صحيح قال كان
ناس من الاعراب ياتون النبي صلى الله عليه وسلم يسلمون فاذا رجعوا الى بلادهم فان وجدوا عام غيث وعام خصب

وحام ولادحسن قالوا ان ديننا هذا لصالح فتمسكوا به وان وجد واعلمهم جهلا في خاطر ولادسوء وعام قحط قالوا ما في ديننا هذا خير فانزل الله هذه الآية وعن ابي سعيد قال اسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني اقلني قال ان الاسلام لا يقال فقال لم اصب من ديني هذا خيرا ذهب بصري ومالي ومات ولدي فقال يا يهودي الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة فنزلت هذه الآية اخرجه ابن مردويه **يَدْعُوا** اي يعبد هذا الذي انقلب على وجهه ورجع الى الكفر **مِنْ دُونِ اللَّهِ** اي متجاوزا عبادة الله الى عبادة الاصنام **مَا لَا يَضُرُّهُ** ان ترك عبادته وعصاه **وَمَا لَا يَنْفَعُهُ** ان عبده واطاعه لكون ذلك المعبود جمادا لا يقدر على ضر ولا نفع والجمع بين نفي النفع والضر هنا واثباتهما في قوله لمن ضره اقرب من نفعه الآية كما سيأتي بأن معبود الكفار لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن بسبب عبادتها فنسب الضر اليها كما في قوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس حيث اضافوا الاضلال اليها من حيث انها كانت سبب الضلال وقال الشهاب في دفع التنافي بان النفي باعتبار ما في نفس الامر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل انتهى **ذَلِكَ** اي الدعاء المفهوم من يدعو **هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ** عن الحق والرشد مستعار من ضلال من سلك غير الطريق فصار بضلاله بعيدا عنها قال الفراء البعيد الطويل **يَدْعُوا** اي يقول هذا الكافر يوم القيامة **لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ** هذه الجملة مقررة لما قبلها من كون ذلك الدعاء ضلالا بعيدا والاصنام لا نفع فيها بحال من الاحوال بل هي ضرر بحت لمن عبدها لانه دخل النار بسبب عبادتها وايراد صيغة التفضيل مع عدم النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حال ذلك الداعي او ذلك من باب وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين واللام هي الموطئة للقسم ومن موصولة او موصوفة وقال الزجاج اي ذلك هو الضلال البعيد يدعوه وعلى هذا قوله من ضره كلام مستانف مبتدأ وخبره **لَبِئْسَ الْمَوْلَى** قال وهذا لان اللام لليمين والتوكيد فجعلها اول الكلام وقال الزجاج والفراء يجوز ان يكون يدعو مكررة على ما قبلها على جهة تكثير هذا الفعل الذي هو الدعاء اي يدعو ما لا يضره ولا ينفعه يدعو وقال الفراء والكسائي والزجاج معنى الكلام القسم والتقدير يدعو من لضره اقرب من نفعه وقال محمد بن يزيد المعنى يدعو من ضره اقرب من نفعه الها قال النحاس واحسب هذا القول غلطا منه

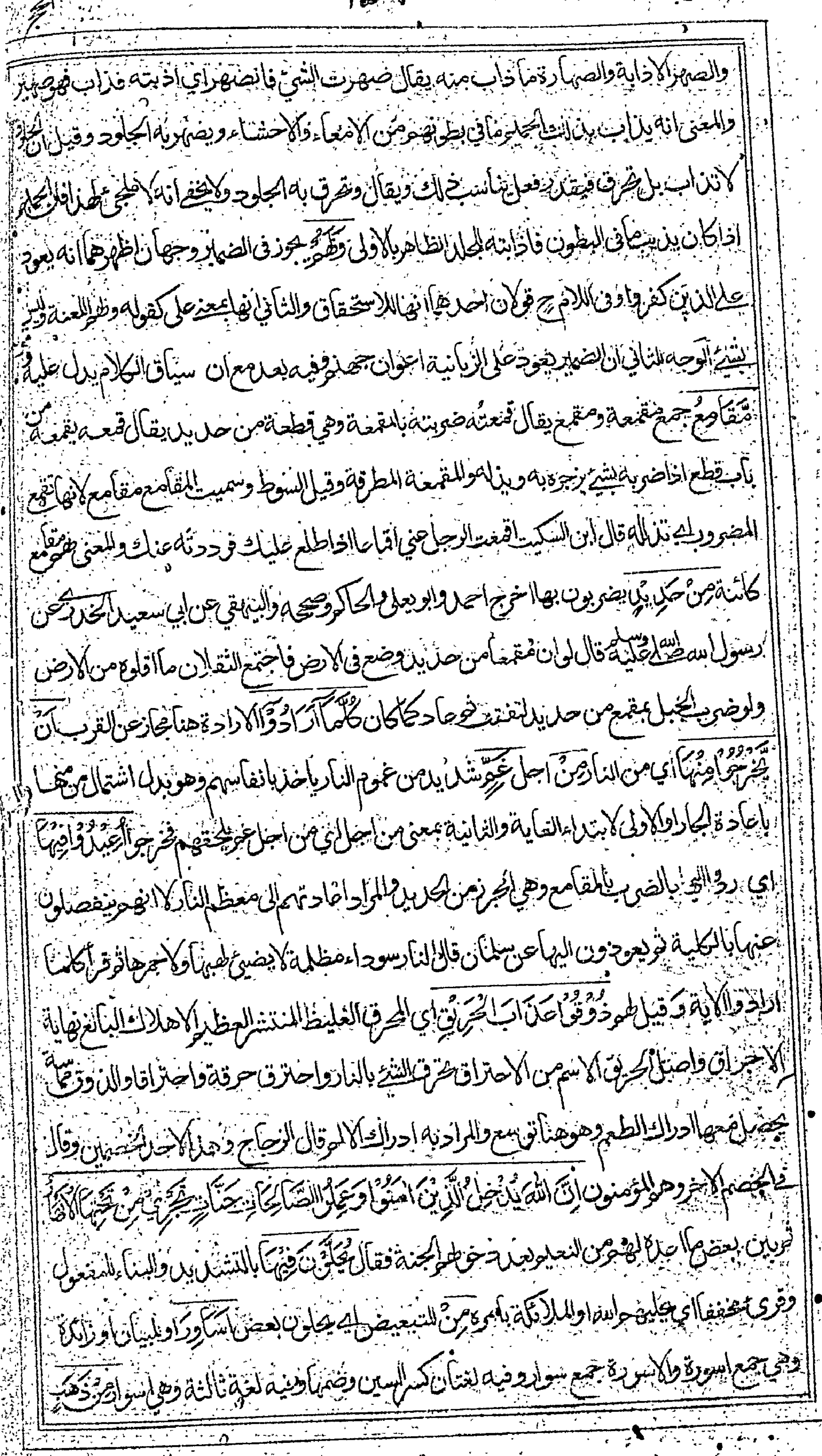


وقال الفراء والقفال اللام صلة والمعنى يدعو من ضره اقرب من نفعه واللام في لبئس على هذا
موطئة للقسم ولبئس العشير وقيل هذا جواب القسم والمعنى انه يقول ذلك الكافر يوم القيامة
لمعبوده الذي ضره اقرب من نفعه لبئس المولى انت ولبئس العشير والمولى الناصر والعشير الصاحب
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما فرغ سبحانه من
ذكر حال المشركين ومن يعبد الله على حرف ذكر حال المؤمنين في الآخرة واخبر انه يدخلهم هذه الجنات
المتصفة بهذه الصفة وهذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبده على حرف وقد تقدم الكلام
في جري الانهار من تحت الجنات وبينا انه ان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار
من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها ان الله يفعل
ما يريد تعليل لما قبلها اي يفعل ما يريده من الافعال لا يسأل عما يفعل فيثيب من يشاء ويعذب
من يشاء ويكرم من يطيعه ويهين من يعصيه من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة
قال النحاس ومن احسن ما قيل في هذه الآية ان المعنى من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم
وانه يتهيأ له ان يقطع النصر الذي اوتيه صلى الله عليه وسلم فليمدد بسبب اي فليطلب حيلة يصل بها
الى السماء ثم ليقطع النصر ان تهيأ له فلينظر هل يذهبن كيده وحيلته ما يغيظ اياه من نصر
النبي صلى الله عليه وسلم وحمل من على الكفار يوافق كلام الجلال ومثله في العمادي وقال ابو السعود المعنى انه
تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان
يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة
ما يرده من المكائد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى اثره وعاقبة
امره ان يختنق خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومبادئه وقيل المعنى
فليشدد حبلا في سقف بيته ثم ليقطع اي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا والمعنى فليختنق غيظا
حتى يموت فان الله ناصره صلى الله عليه وسلم ومظهره ولا ينفعه غيظه وبه قال ابن عباس وقيل المعنى من
كان يظن ان الله لا يرزقه فليقتل نفسه فلينظر هل ينفعه ذلك او ياتيه برزق وكذلك
اي مثل ذلك الانزال البديع من الآيات السابقة انزلناه اي القرآن آيات بينات واضحات ظاهرة
الدلالة على مدلولاتها وان الله يهدي من يريد هدايته ابتداء او زيادة فيها لمن كان مهديا من

قبل ويضل من يريد ضلالته معطوف على هاء انزلناه فان وصلتها في محل نصب ويصح
ان تكون في موضع رفع خبر المبتدأ مضمر اي والامر ان الله ان الذين امنوا بالله ورسوله صلى الله
عليه وسلم او بما ذكر من الايات البينات والذين هادوا هم اليهود المنتسبون الى ملة موسى والصابئين
هم قوم يعبدون النجوم وقيل هم من جنس النصارى وليس ذلك بصحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع
الى ملة من الملل المنتسبة الى الانبياء والنصارى هم المنتسبون الى ملة عيسى والمجوس هم الذين
يعبدون النار ويقولون ان للعالم اصلين النور والظلمة وقيل هم قوم يعبدون الشمس والقمر وقيل هم
يستعملون النجاسات وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوهم ولبسوا المسوح وقيل انهم اخذوا بعض
دين اليهود وبعض دين النصارى والذين اشركوا هم الذين يعبدون الاصنام وقد مضى تحقيق
هذا في البقرة ولكنه سبحانه قدم هنالك النصارى على الصابئين واخرهم عنهم هنا فقيل وجه
التقديم هنالك انهم اهل كتاب دون الصابئين ووجه تقديمهم هنا ان زمنهم متقدم على
زمن النصارى قال قتادة الصابئون هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرؤن
الزبور والمجوس عبدة الشمس والقمر والنيران والذين اشركوا عبدة الاوثان ان الله يفصل اي
يقضي بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين منهم الجنة والكافرين منهم النار وقيل الفصل
هو ان يميز المحق من المبطل بعلامة يعرف بها كل واحد منهما وقيل يفصل بينهم في الاحوال و
الاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد قال قتادة الاديان
ستة فخمسة للشيطان وواحد للرحمن وعن عكرمة قال فصل قضاه بينهم فجعل الخمسة مشتركة
وجعل هذه الامة واحدة وعن ابن عباس قال والذين هادوا اليهود والصابئون ليس لهم كتاب والمجوس
اصحاب الاصنام والمشركون نصارى العرب ان الله تعليل لما قبلها وكان قائلا قال اهذا الفصل
عن علم او لا فقيل ان الله على كل شيء من افعال خلقه واقوالهم شهيد عالم علم مشاهدة لا يعزب عنه
شيء منها ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة والظاهر تعميم الكلام
لعبدة الاوثان ولعباد الشمس والقمر والنجوم قاله الكرخي الم تر ان الله يسجد له من في السموت ومن
في الارض الرؤية هنا هي القلبية لا البصرية وذلك لان رؤية سجود هذه الاشياء لله انما جاءنا من
طريق العقل لا انا نراه بابصارنا والخطاب لكل من يصلح له وهو من تتأتى منه الرؤية والمراد بالسجود

هنا هو الانقياد الكامل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من خاصة
بالعقلاء او عامة لهم ولغيرهم ولهذا عطف الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
على من فان ذلك يفيد ان السجود هو الانقياد لا الطاعة الخاصة بالعقلاء وانما افرد هذه الامور
بالذكر مع كونها داخلة تحت من على تقدير جعلها عامة لكون قيام السجود بها مستبعدا في العادة
وكثير من الناس وهذا عند من منع استعمال المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة
والمجاز في كلمة واحدة وذلك ان السجود المسند لغير العقلاء غير السجود المسند للعقلاء فلا يعطف كثير من
الناس على ما قبله لاختلاف الفعل المسند اليهما في المعنى وقيل كثير مرتفع على الابتداء وخبره محذوف
تقديره وكثير من الناس يستحق الثواب والاول اظهر وانما لم يرتفع بالعطف على من لان سجود هؤلاء الكثير
هو سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء والمراد بالسجود المتقدم هو الانقياد فلو ارتفع بالعطف لكان في
ذلك جمع بين معنيين مختلفين في لفظ واحد وانت خبير بانه لا ملجئ الى هذا بعد حمل السجود على
الانقياد ولا شك انه يصح ان يراد من سجود كثير من الناس هو انقيادهم لا نفس السجود الخاص فارتفاعه
بالعطف لا باس به وان ابى ذلك صاحب الكشاف ومتابعوه وكثير مرتفع بالابتداء وخبره حق عليه العذاب
قاله الكسائي والفراء وقيل معطوف على كثير الاول اي وكثير من الناس يسجد وكثير منهم يابى ذلك وقيل
المعنى وكثير من الناس في الجنة وكثير حق عليه العذاب هكذا حكاه ابن الانباري ومن يهن الله
اي من اهانه الله بان جعله كافرا شقيا فما له من مكرم يكرمه فيصير سعيدا عزيزا وحكى الاخفش
والكسائي والفراء اي من اكرام فهو على هذا مكرم بفتح الراء اسم مصدر ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء
التي من جملتها ما تقدم ذكره من الشقاوة والسعادة والاكرام والاهانة وظاهر هذه الاية والتي قبلها
ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء اشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء وهذه السجدة
من عزائم السجود فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند تلاوتها وسماعها هذان خصمان احدهما انجس
الفرق اليهود والنصارى والصابئون والمجوس والذين اشركوا والخصم الاخر المسلمون فهما فريقان
مختصمان قاله الفراء وغيره وقيل المراد بالخصمين الجنة والنار قالت الجنة خلقني لرحمته وقالت النار خلقني
لعقوبته وهذا ضعيف وقيل المراد بالخصمين هم الذين برزوا يوم بدر فمن المؤمنين حمزة وعلي
وعبيدة ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقد كان ابو ذر يقسم ان هذه

الآية نزلت في هؤلاء المتبارزين كما ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما وقال بمثل هذا جماعة من الصحابة
والتابعين وهم أعرف من غيرهم بأسباب النزول وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أيضاً عن علي
أنه قال فينا نزلت هذه الآية وأنا أول من يجثو في الخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة
قال سبحانه اختصموا ولم يقل اختصما لأنهم جمع ولو قال اختصما لجاز قاله الفراء في شأن ربهم
أي في دينه أو في ذاته أو في صفاته أو في شريعته لعباده أو في جميع ذلك قال أبو حيان الظاهر أن
الاختصام هو في الآخرة بدليل التقسيم بالفاء الدالة على التعقيب في قوله فالذين كفروا وإن قلنا هذا
في الدنيا فالجواب أنه لما كان تحقيق مضمونه في ذلك اليوم صح جعل يوم القيامة ظرفاً له بهذا الاعتبار
ثم فصل سبحانه ما أجمله في قوله يفصل بينهم فقال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار
أي قدرت لهم على قدر جثثهم لأن الثياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها فالتقطيع مجاز
عن التقدير بذكر السبب وهو التقطيع وإرادة المسبب وهو التقدير والتخمين والظاهر أنه يجوز أن يجعل
تقطيعها استعارة تمثيلية تهكمية شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وجمع الثياب
لأن النار لتراكمها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهذا أبلغ من جعلها من مقابلة
الجمع بالجمع قال الأزهري معنى سويت وجعلت لبوساً لهم فإنما شبهت النار بالثياب لأنها مشتملة عليهم
كاشتمال الثياب وعبر بالماضي عن المستقبل تنبيهاً على تحقق وقوعه وقيل إن هذه الثياب من نحاس قد
أذيب فصار كالنار وهي السرابيل المذكورة في آية أخرى قاله سعيد بن جبير وزاد ليس من الآنية شيء
إذا حمي أشد حرارة منه وقيل المعنى في الآية أحاطت النار بهم والحق إجراء النظم القرآني على ظاهره ولا
نرتضي تأويله بما يخالف لفظه ومعناه وقرئ قطعت بالتخفيف يصب من فوق رؤوسهم الحميم
هو الماء الحار المغلي بنار جهنم أي تناهت حرارته والجملة مستأنفة قال النحاس أي على رؤوسهم يصهر به ما
أي يذاب بالحميم ما في بطونهم قال ابن عباس تسيل أمعاؤهم والجلود قال ابن عباس يتناثر جلودهم
وعن أبي هريرة أنه تلا هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الحميم ليصب على رؤوسهم
فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان
أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم وعن ابن عباس قال يمشون و
أمعاؤهم تتساقط وجلودهم وعنه قال يسقون ماء إذا دخل في بطونهم أذابها والجلود مع البطون



والصهر الاذابة والصهارة ما ذاب منه يقال صهرت الشيء فانصهر اي اذبته فذاب فهو صهير
والمعنى انه يذاب بذلك الحميم ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء ويصهر به الجلود وقيل ان الجلود
لا تذاب بل تحرق فيقدر فعل تناسب ذلك ويقال وتحرق به الجلود ولا يخفى انه لا يلجئ لهذا فان الحميم
اذا كان يذيب ما في البطون فاذابته للجلد الظاهر بالاولى ولهم يجوز في الضمير وجهان اظهرهما انه يعود
على الذين كفروا وفي اللام ح قولان احدهما انها للاستحقاق والثاني انها بمعنى على كقوله ولهم اللعنة وليس
بشيء الوجه الثاني ان الضمير يعود على الزبانية اعوان جهنم وفيه بعد مع ان سياق الكلام يدل عليه
مقامع جمع مقمعة ومقمع يقال قمعته ضربته بالمقمعة وهي قطعة من حديد يقال قمعه يقمعه من
باب قطع اذا ضربه بشيء يزجره به ويذله والمقمعة المطرقة وقيل السوط وسميت المقامع مقامع لانها تقمع
المضروب اي تذلله قال ابن السكيت اقمعت الرجل عني اقماعا اذا طلع عليك فرددته عنك والمعنى لهم مقامع
كائنة من حديد يضربون بها اخرج احمد وابو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي عن ابي سعيد الخدري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع الثقلان ما اقلوه من الارض
ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان كلما ارادوا الارادة هنا مجاز عن القرب ان
يخرجوا منها اي من النار من اجل غم شديد من غموم النار ياخذ بانفاسهم وهو بدل اشتمال من منها
باعادة الجار او الاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من اجل اي من اجل غم يلحقهم فخرجوا اعيدوا فيها
اي ردوا اليها بالضرب بالمقامع وهي الجرز من الحديد والمراد اعادتهم الى معظم النار لا انهم ينفصلون
عنها بالكلية ثم يعودون اليها عن سلمان قال النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها ثم قرأ كلما
ارادوا الاية وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي المحرق الغليظ المنتشر العظيم الاهلاك البالغ نهاية
الاحراق واصل الحريق الاسم من الاحتراق تحرق الشيء بالنار واحترق حرقة واحتراقا والذوق مماسة
يحصل معها ادراك الطعم وهو هنا توسع والمراد به ادراك الالم قال الزجاج وهذا لاحد الخصمين وقال
في الخصم الاخر وهم المؤمنون ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
ثم بين بعض ما اعده لهم من النعيم بعد دخولهم الجنة فقال يحلون فيها بالتشديد والبناء للمفعول
وقرئ مخففا اي يحليهم الله او الملائكة بامره من للتبعيض اي يحلون بعض اساور او للبيان او زائدة
وهي جمع اسورة والاسورة جمع سوار وفيه لغتان كسر السين وضمها وفيه لغة ثالثة وهي اسوار من ذهب

من للبيان ولؤلؤا بالنصب اي ويحلون لؤلؤا وهو ما يستخرج من البحر من جوف الصدف قال القشيري
والمراد ترصيع السوار باللؤلؤ ولا يبعد ان يكون في الجنة سوار من لؤلؤ مصمت كما ان فيها اساور من ذهب
قال القرطبي يسور المؤمن في الجنة بثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ
ولباسهم اي جميع ما يلبسونه فيها حرير كما تفيده هذه الاضافة ويجوز ان يراد هذا النوع من
الملبوس الذي كان محرما عليهم في الدنيا حلالا لهم في الاخرة وانه من جملة ما يلبسونه فيها ففيها ما
تشتهيه الانفس وكل واحد منهم يعطى ما تشتهيه نفسه وينال ما يريده وفي الصحيحين وغيرهما عن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وفي الباب احاديث وغير
الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا للمحافظة على الفواصل وللدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة
في الجنة فان العدول الى الجملة الاسمية يدل على الدوام وهدوا اي ارشدوا الى الطيب من القول قيل
هو لا اله الا الله وقيل الحمد لله وقيل القران وقيل هو ما ياتيهم من الله سبحانه من البشارات وقد ورد في
القران ما يدل على هذا القول المجمل هنا وهو قوله سبحانه الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي هدانا
لهذا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقال ابن عباس هدوا الهموا وعن ابي العالية قال في الخصومة اذ قالوا الله
مولانا ولا مولى لكم وعن ابن زيد قال لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله الذي قال اليه يصعد الكلم الطيب و
معنى هدوا الى صراط الحميد انهم ارشدوا الى الصراط المحمود وهو الطريق الموصلة الى الجنة او صراط
الله الذي هو دينه القويم وهو الاسلام قاله الضحاك ان الذين كفروا ويصدون اي يمنعون عن
سبيل الله وحينئذ من اراد الدخول فيه وعطف المضارع على الماضي لان المراد بالمضارع ما مضى من الصد
ومثل هذا قوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام او المراد بالصد هنا الاستمرار لا مجرد
الاستقبال فصح عطفه بذلك على الماضي اي كفروا والحال انهم يصدون وقيل الواو زائدة والمضارع خبر ان
والاولى ان يقدر خبر ان بعد قوله الآتي والباد وذلك نحو خسروا وهلكوا والمراد بالصد المنع والمسجد
الحرام قيل المراد به المسجد نفسه كما هو الظاهر من هذا النظم القراني وقيل الحرم كله لان المشركين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عنه يوم الحديبية وقيل المراد به مكة بدليل قوله الذي جعلناه
للناس على العموم يصلون فيه ويطوفون به سواء مستويا في العاكف المقيم فيه الملازم له ويدخل فيه
الغريب اذا جاور واقام به ولزم التعبد فيه والباد اي الواصل من البادية والمراد به الطارئ عليه المنتاب اليه

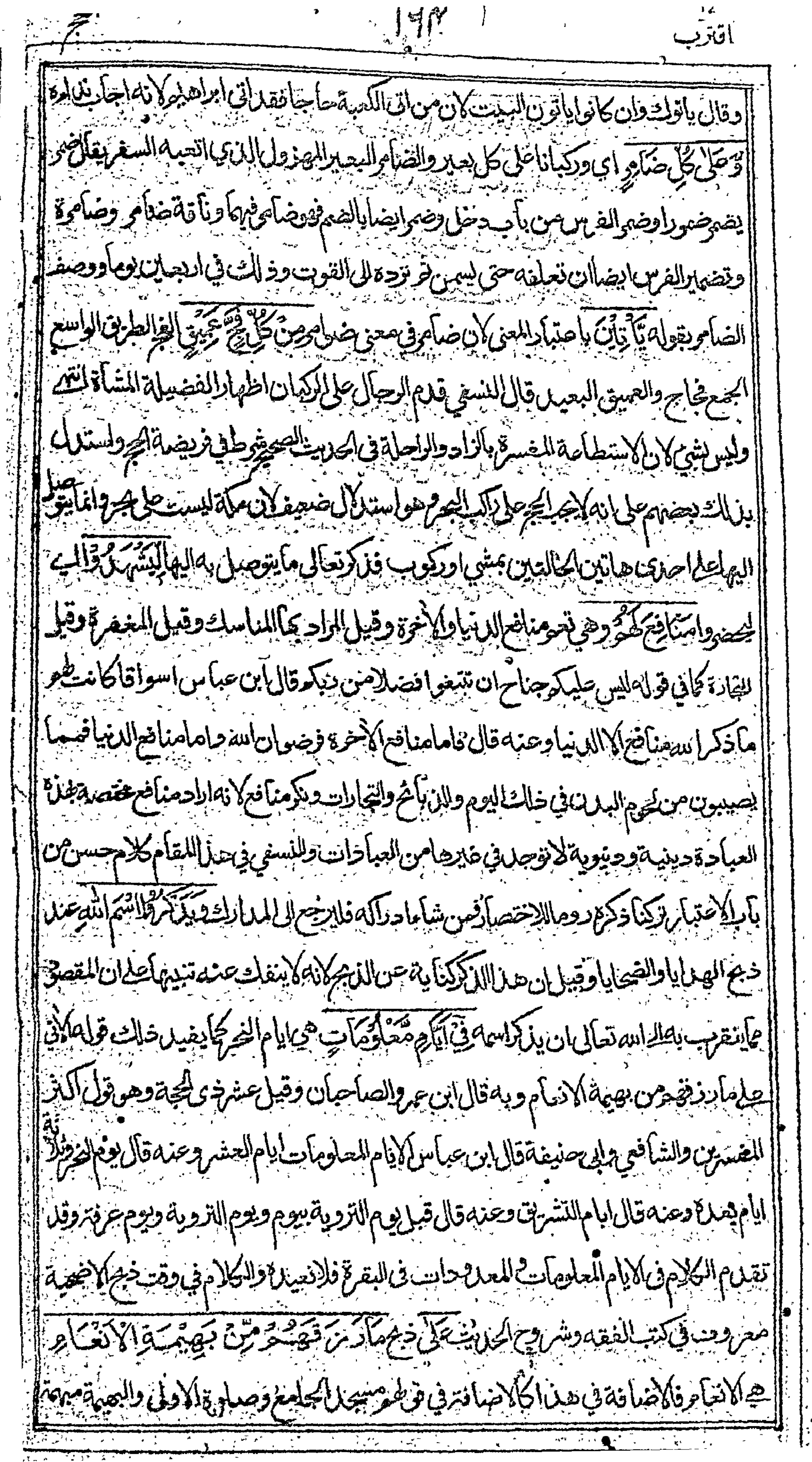
من غير فرق بين كونه من اهل البادية او من غيرهم وصف المسجد الحرام بذلك لزيادة التقريع
والتوبيخ للصادين عنه وقيل جعلناه للناس قبلة لصلوتهم ومنسكا ومتعبدا العاكف والبادي سواء
في تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة من اهل العلم ومعنى التسوية
هو التسوية في تعظيم الكعبة وقضاء النسك فيه وفي فضل الصلوة فيه والطواف به عن جبير بن مطعم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى اية ساعة شاء من ليل
او نهار اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي قال القرطبي واجمع الناس على الاستواء في المسجد الحرام نفسه
واختلفوا في مكة فذهب مجاهد ومالك الى ان دور مكة ومنازلها يستوي فيها المقيم والطاري وذهب
عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة الى ان للقادم ان ينزل حيث وجد وعلى رب المنزل ان يؤويه شاء ام
ابى وذهب الجمهور الى ان دور مكة ومنازلها ليست كالمسجد الحرام ولاهلها منع الطاري من النزول فيها
والحاصل ان الكلام في هذا راجع الى اصلين الاول ما في هذه الاية هل المراد بالمسجد الحرام نفسه او جميع الحرم
او مكة على الخصوص والثاني هل كان فتح مكة صلحا او عنوة وعلى فرض ان فتحها كان عنوة هل اقرها
النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي اهلها على الخصوص او جعلها لمن نزل بها على العموم وقد اوضح الشوكاني
هذا في شرحه على المنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه الى زيادة ثم قال فيه بعد ذكر حجج الفريقين ومن اوضح
الادلة على انها فتحت عنوة قوله صلى الله عليه وسلم وانما احلت لي ساعة من نهار فان هذا تصريح بانها احلت
له في ذلك اليوم سفك الدماء وان حرمتها ذهبت فيه وعادت بعده ولو كانت مفتوحة صلحا لما كان لذلك
معنى وقد ذكر الحنبلي في الاحكام ادلة قوية على ان المراد به نفس المسجد وعن ابن عباس المسجد الحرام الحرم
كله خلق الله فيه سواء وعن سعيد بن جبير مثله وايضا قال هم في منازل مكة سواء فينبغي لاهل
مكة ان يوسعوا لهم حتى يقضوا مناسكهم والبادي واهل مكة سواء يعني في المنزل والحرم وعن ابن عمرو
قال من اخذ من اجور بيوت مكة انما يأكل في بطنه نارا وعن عمر بن الخطاب ان رجلا قال له عند المروة
اقطعني مكانا لي ولعقبي فاعرض عنه وقال هو حرم الله سواء العاكف فيه والباد وكان عمر يمنع اهل مكة
ان يجعلوا لها ابوابا حتى ينزل الحاج في عرصات الدور وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الاية سواء المقيم والذي يدخل اخرجه الطبراني وغيره قال السيوطي باسناد صحيح وعن ابن عمر
مرفوعا قال مكة مباحة لا توجر بيوتها ولا تباع رباعها اخرجه ابن مردويه وعن علقمة بن نضلة

قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة الا السوائب من احتاج سكن ومن
استغنى اسكن رواه ابن ماجة واخرج الدارقطني عن ابن عمر مرفوعا من اكل كراء بيوت مكة اكل نارا وعلى
هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها لانها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والبادي واليه ذهب ابو حنيفة
وعلى القول الاول يجوز ذلك واليه ذهب الشافعي مستدلا بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فنسب الديار
اليهم نسبة ملك واشتراء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من اغلق بابه فهو امن ومن دخل
دار ابي سفيان فهو امن والاول اقوى والله اعلم ومن يرد فيه بالحاد بظلم اي من يرد فيه مرادا اي مراد
بعدول عن القصد والاعتدال وان الالحاد في اللغة الميل الا انه سبحانه بين هنا انه الميل بظلم وقد
اختلف في هذا الظلم ماذا هو فقيل هو الشرك وقيل الشرك والقتل وقيل صيد حيواناته وقطع
اشجاره وقيل هو الحلف فيه بالايمان الفاجرة وقيل المراد المعاصي فيه على العموم حتى شتم الخادم
وقيل هو دخول الحرم بغير احرام او ارتكاب شيء من محظورات الحرم وقيل احتكار الطعام لما روى يعلى
بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه اخرجه ابو داود وعن ابن
عمر بيع الطعام بمكة الحاد وعنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول احتكار الطعام بمكة الحاد اخرجه
البيهقي في الشعب والباء في بالحاد قيل ليست بزائدة ان كان مفعول يرد محذوفا وقيل زائدة وبه قال
الاخفش والمعنى عنده ومن يرد فيه الحادا بظلم وقال اهل الكوفة المعنى بان يلحد وقيل من يرد الناس
بالحاد وقيل ان يرد مضمن معنى يهم والمعنى من يهم فيه بالحاد والباء في بظلم للسببية وقيل غير ذلك
نذقه من عذاب اليم في الاخرة الا ان يتوب قاله السدي قيل المراد بهذه الاية انه يعاقب بمجرد الارادة
للمعصية في ذلك المكان وقد ذهب الى هذا ابن مسعود وابن عمر والضحاك وابن زيد وغيرهم حتى قالوا
لو هم الرجل في الحرم بقتل رجل بعدن لعذبه الله وعن ابن مسعود رضه قال لو ان رجلا هم فيه
بالحاد بظلم وهو بعدن ابين لاذاقه الله عذابا اليما قال ابن كثير هذا الاسناد صحيح على شرط البخاري
ووقفه اشبه من رفعه وعنه قال من هم بخطيئة فلم يعملها في سوى البيت لم يكتب عليه حتى يعملها
ومن هم بخطيئة في البيت لم يمته الله من الدنيا حتى يذيقه من عذاب اليم وعن ابن عباس قال نزلت
هذه الاية في عبد الله بن انيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه مع رجلين احدهما مهاجر والاخر من الانصار
فافتخروا في الانساب فغضب ابن انيس فقتل الانصاري ثم ارتد عن الاسلام وهرب الى مكة فنزلت فيه

ع ٣

ومن يرد فيه بإلحاد بظلم يعني من هم الى الحرم بالحاد يعني يميل عن الاسلام والحاصل ان هذه
الآية دلت على ان من كان في البيت الحرام مأخوذ بمجرد الارادة للظلم فهي مخصصة لما ورد من
ان الله غفر لهذه الامة ما حدثت به انفسها الا ان يقال ان الارادة فيها زيادة على مجرد حديث
النفس وبالجملة فالبحث عن هذا وتقرير الحق فيه على وجه يجمع بين الادلة ويرفع الاشكال يطول
جدا ومثل هذه الآية حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول
الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه فدخل النار هنا بمجرد
الحرص على قتل صاحبه وقد افرد الشوكاني هذا البحث برسالة مستقلة واذكر اذ بوأنا
لإبراهيم يقال بوأته منزلا وبوأت له كما يقال مكنتك ومكنت لك قال الزجاج معناه جعلنا
مكان البيت مبوأ لابراهيم وقيل معنى بوأنا بيناه له وقيل وطأنا وقد رفع البيت الى السماء
ايام الطوفان فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها فكنست مكان البيت فبناه على اسه
القديم وجعل طوله في السماء سبعة اذرع بذراعهم وذرعه في الارض ثلاثين ذراعا بذراعهم
وادخل الحجر في البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بيرا يلقى فيها ما يهدى للبيت
وبناه قبله شيث وقبل شيث آدم وقبل آدم الملائكة وقد تقدم الكلام عليه في سورة البقرة
ان لا تشرك بي شيئا اي اوحينا اليه ان لا تعبد غيري قال المبرد كأنه قيل له وحدني في هذا
البيت لان معنى لا تشرك بي وحدني وقالت فرقة الخطاب بقوله لا تشرك لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا
ضعيف جدا وطهر بيتي من الشرك والاقذار وعبادة الاوثان وفي الآية طعن على من
اشرك من قطان البيت اي هذا كان الشرط على ابيكم فمن بعده وانتم فلم تفوا بل اشركتم والمعنى
تطهيره من الكفر والاوثان والدماء والبدع وسائر النجاسات وقيل عنى به التطهير عن الاوثان
فقط وذلك ان جرهما والعمالقة كانت لهم اصنام في محل البيت وحوله قبل ان يبنيه ابراهيم
وقيل المعنى نزهه ان يعبد فيه صنم وهذا امر باظهار التوحيد فيه وقد مر في سورة براءة ما فيه
كفاية في هذا المعنى للطائفين الذين يطوفون بالبيت والقائمين هم المصلون وذكر قوله الركع
السجود بعده لبيان اركان الصلاة دلالة على عظم شان هذه العبادة وقرن الطواف بالصلاة
لانهما لا يشرعان الا في البيت فالطواف عنده والصلاة اليه وأذن اي ناد في الناس بالحج اي
بدعوته والامر به وقرئ آذن بالمد والايذان الاعلام وعن ابن عباس قال لما فرغ ابراهيم من بناء

البيت قال قد فرغت فقال اذن في الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي البلاغ قال
رب كيف اقول قال قل يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فسمعه من في السماء
والارض الا انهم يجيئون من اقصا الارض يلبون وفي الباب اثار عن جماعة من الصحابة وبه قال
جماعة من المفسرين وزاد وافعلي على المقام فاشرف به حتى صار كاعلى الجبال وقيل على على جبل
ابي قبيس فلما صعده للنداء خفضت الجبال رؤسها ورفعت له القرى فادخل اصبعيه في اذنيه
واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ونادى في الناس بالحج وقال يا ايها الناس ان ربكم بنى بيتا
وكتب عليكم الحج اليه فاجيبوا ربكم فاجابه كل من كتب له ان يحج من كان في اصلاب الرجال وارحام
الامهات لبيك اللهم لبيك قال القسطلاني فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين ومن لبى
اكثر حج بقدر تلبيته انتهى قيل اول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقيل ان الخطاب
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى اعلمهم يا محمد بوجوب الحج عليهم وعلى هذا فالخطاب لابراهيم انتهى عند
قوله والركع السجود وقيل ان خطابه انتهى عند قوله مكان البيت وما بعده خطاب لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم امره ان يقول ذلك في حجة الوداع عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا اخرجه مسلم قال في المدارك والاول اظهر وقرأ الجمهور بالحج بفتح الحاء
وابن اسحاق في كل القرآن بكسرها ياتوك رجالا هذا جواب الامر وعده الله اجابة الناس له الى حج
البيت ما بين راجل وراكب فمعنى رجالا مشاة جمع راجل وقيل جمع رجل وقرئ بضم الراء رجالا
وقرئ على وزن كسالى وقدم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة تعبهم في المشي قال الكرخي فللراكب
بكل خطوة سبعون حسنة وللراجل سبعمائة من حسنات الحرم كل حسنة مائة الف حسنة و
ابراهيم واسمعيل عليهما السلام حجا ماشيين انتهى اقول المعتمد في الباب ان الركوب افضل من
المشي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج راكبا كما في الروايات الصحيحة المشهورة وفضيلة الاتباع تربو على غيرها
وان كان المشي فضيلة في نفسه سواء قدر على المشي ام لا قبل الاحرام وبعده والحديث الذي
ذكره الكرخي تبعا للغزالي والرافعي ضعيف على ما فيه قاله ابن علان في مثير شوق الانام الى بيت الله
الحرام وممن ضعفه ابن حجر المكي في شرح العباب وفي شرح المنهاج والجواب عن التقدير انه قد لا يفيد
التفضيل قطعا او على الاصح وقد يتقدم المفضول ويتأخر الافضل قال تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن
وقال لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وان مع العسر يسرا الى غير ذلك من الآيات فليعلم



وقال يأتوك وإن كانوا يأتون البيت لأن من أتى الكعبة حاجا فقد أتى ابراهيم لأنه أجاب ندائه
وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير والضامر البعير المهزول الذي اتعبه السفر يقال ضمر
يضمر ضمورا وضمر الفرس من باب دخل وضمر ايضا بالضم فهو ضامر فيهما وناقة ضامر وضامرة
وتضمير الفرس ايضا ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك في اربعين يوما ووصف
الضامر بقوله يأتين باعتبار المعنى لأن ضامر في معنى ضوامر من كل فج عميق الفج الطريق الواسع
الجمع فجاج والعميق البعيد قال النسفي قدم الرجال على الركبان اظهار الفضيلة المشاة انتهى
وليس بشيء لأن الاستطاعة المفسرة بالزاد والراحلة في الحديث الصحيح شرط في فريضة الحج واستدل
بذلك بعضهم على انه لا يجب الحج على راكب البحر وهو استدلال ضعيف لأن مكة ليست على بحر وانما يتوصل
اليها على احدى هاتين الحالتين بمشي او ركوب فذكر تعالى ما يتوصل به اليها ليشهدوا اي
ليحضروا منافع لهم وهي تعم منافع الدنيا والآخرة وقيل المراد بها المناسك وقيل المغفرة وقيل
التجارة كما في قوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قال ابن عباس اسواقا كانت لهم
ما ذكر الله منافع الا الدنيا وعنه قال فاما منافع الآخرة فرضوان الله واما منافع الدنيا فمما
يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات ونكر منافع لأنه اراد منافع مختصة بهذه
العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وللنسفي في هذا المقام كلام حسن من
باب الاعتبار تركنا ذكره رعاية للاختصار فمن شاء ادراكه فليرجع الى المدارك ويذكروا اسم الله عند
ذبح الهدايا والضحايا وقيل ان هذا الذكر كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه تنبيها على ان المقصود
مما يتقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسمه في ايام معلومات هي ايام النحر كما يفيد ذلك قوله الآتي
على ما رزقهم من بهيمة الانعام وبه قال ابن عمر والصاحبان وقيل عشر ذي الحجة وهو قول اكثر
المفسرين والشافعي وابي حنيفة قال ابن عباس الايام المعلومات ايام العشر وعنه قال يوم النحر وثلاثة
ايام بعده وعنه قال ايام التشريق وعنه قال قبل يوم التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة وقد
تقدم الكلام في الايام المعلومات والمعدودات في البقرة فلا نعيده والكلام في وقت ذبح الاضحية
معروف في كتب الفقه وشروح الحديث على ذبح ما رزقهم من بهيمة الانعام
هي الانعام فالاضافة في هذا كالاضافة في قولهم مسجد الجامع وصلاة الاولى والبهيمة مبهمة

في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز التي تنحر في يوم
العيد وما بعده من الهدايا والضحايا فَكُلُوا مِنْهَا اي من لحومها والامر هنا للندب عند الجمهور وذهبت
طائفة الى ان الامر للوجوب وهذا التفات من الغيبة الى الخطاب وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ البائس ذو البؤس
وهو شدة الفقر فذكر الفقير بعده لمزيد الايضاح وقال ابن عباس البائس الزمن الذي لا شيء له
والامر هنا للوجوب وقيل للندب ثُمَّ ليقضوا بعد حلهم وخروجهم من الاحرام وبعد الاتيان بما عليهم من النسك
لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ المراد بالقضاء هنا هو التادية اي ليؤدوا ازالة وسخهم لان التفث هو الوسخ والدرن
والشعث والقذارة من طول الشعر والاظفار وقد اجمع المفسرون كما حكاه النيسابوري على هذا قال
الزجاج ان اهل اللغة لا يعرفون التفث وقال ابو عبيدة لم يات في الشعر ما يحتج به في معنى التفث وقال
المبرد اصل التفث في اللغة كل قاذورة تلحق الانسان وقيل قضاءه ادهانه لان الحاج مغبر شعث
لم يدهن ولم يستحد فاذا قضى نسكه وخرج من احرامه حلق شعره ولبس ثيابه فهذا هو قضاء التفث
قال الزجاج كانه خروج من الاحرام الى الاحلال وعن ابن عمر قال التفث المناسك كلها وعن ابن عباس
نحوه وعنه قال التفث حلق الراس والاخذ من العارضين ونتف الابط وحلق العانة والوقوف بعرفة
والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار وقص الاظفار وقص الشوارب والذبح وَلْيُوفُوا بالتخفيف و
التشديد نُذُورَهُمْ اي ما ينذرون به من البر في حجهم والامر للوجوب وقيل المراد بالنذر هنا
اعمال الحج والهدايا والضحايا وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ هذا الطواف هو طواف الافاضة الواجب ووقته
يوم النحر بعد الرمي والحلق قال ابن جرير لا خلاف في ذلك بين المتاولين والعتيق القديم كما يفيده قوله
سبحانه ان اول بيت وضع للناس الاية وقد سمي العتيق لان الله اعتقه من ان يتسلط عليه جبار
فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله منه وقيل لان الله يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب
وقيل لانه اعتق من غرق الطوفان فانه رفع في ايامه وقيل لانه لم يملك قط وقيل العتيق الكريم
وقد ورد في وجه تسمية البيت بالعتيق آثار عن جماعة من الصحابة وهو مطاف اهل الغبراء
كما ان العرش مطاف اهل السماء فان الطالب اذا هاجته معية الطرب وجذبته جواذب
الطلب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ مسالك الشوق منازل فاذا عاين البيت لم يزده
التسلي به الا اشتياقا ولم يقنعه التشفي باستلام الحجر الا احتراقا فيرده الاسف لهفان ويرده

اللهف حوله في الدوران وورد في فضل الطواف احاديث ليس هذا موضع ذكرها ذلك اي الامر
ذلك وهذا وامثاله يطلق ويذكر للفصل بين الكلامين او بين طرفي كلام واحد كما يقدم الكاتب
جملة من كلامه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا قاله ابو حيان
في البحر او المعنى افعلوا ذلك والمشار اليه هو ما سبق من اعمال الحج ومن يعظم حرمات الله جمع
حرمة وهي ما لا يحل انتهاكه قال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وهي في هذه
الاية ما نهي عنها ومنع من الوقوع فيها كالجدال والجماع والصيد والظاهر من الاية عموم كل
حرمة في الحج وغيره كما يفيده اللفظ وان كان السبب خاصا وتعظيمها ترك ملابستها قال مجاهد
الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وقيل هي البيت الحرام والمشعر
الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام وقيل هي مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها
فهو اي فالتعظيم خير له من التهاون بشيء منها عند ربه يعني في الاخرة وقيل ان صيغة التفضيل
هنا لا يراد بها معناها الحقيقي بل المراد ان ذلك التعظيم خير ينتفع به اي قربة وطاعة يثاب
عليها عند الله فهي عدة بخير واحلت لكم الانعام ان تاكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر
والغنم كما تقدم الا ما يتلى عليكم تحريمه في الكتاب العزيز من المحرمات وهي الميتة وما ذكر
معها في اية المائدة فالاستثناء منقطع لما ذكر في اية المائدة بما ليس من جنس الانعام كالدم
ولحم الخنزير ويجوز ان يكون متصلا بان يصرف الى ما يحرم من بهيمة الانعام بسبب عارض كالموت
ونحوه وقيل وجه الانقطاع انه ليس في الانعام محرم قاله الشهاب السمين وقيل في قوله الا ما
يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم فاجتنبوا الرجس من الاوثان الرجس القذر والوثن وعبادة
الاوثان قذر معنوي والوثن التمثال واصله من وثن الشيء اي اقام في مقامه وسمي الصليب وثنا
لانه ينصب ويركز في مقامه فلا يبرح عنه والمراد اجتناب عبادة الاوثان وسماها رجسا لانها
سبب الرجس وهو العذاب وقيل جعلها سبحانه رجسا حكما والرجس النجس وليست النجاسة وصفا
ذاتيا لها ولكنها وصف شرعي فلا تزول الا بالايمان كما انها لا تزول النجاسة الحسية الا بالماء قال
الزجاج من هنا لتخليص جنس من اجناس اي فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن وقال ابن عباس يقول
اجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الاوثان واجتنبوا قول الزور الذي هو الباطل وسمي زورا

لانه مائل عن الحق ومنه قوله تعالى تزاور عن كهفهم وقولهم مدينة زوراء اي مائلة والمراد هنا
قول الزور على العموم فهو تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور والمشرك زاعم ان
الوثن تحق له العبادة فاعظمه الشرك بالله باي لفظ كان وقال الزجاج المراد هنا تحليلهم بعض
الانعام وتحريمهم بعضها وقولهم هذا حلال وهذا حرام وقيل المراد به شهادة الزور و
قال ابن عباس يعني الافتراء على الله والتكذيب به وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا
شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك اخرج احمد والترمذي وابن المنذر وغيرهم
عن ايمن بن خريم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال يا ايها الناس عدلت شهادة الزور
شركا بالله ثلاثا ثم قرأ هذه الآية قال احمد غريب ولا نعرف لايمن بن خريم سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم
وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر
الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال وقول
الزور الا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت حنفاء لله اي مستقيمين على الحق او مائلين
الى الحق مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه ولفظ حنفاء من الاضداد يقع على الاستقامة ويقع
على الميل وقيل معناه حجاجا قاله ابن عباس وعن ابي بكر الصديق نحوه ولا وجه لهذا غير مشركين به
شيئا من الاشياء كما يفيده الحذف من العموم تاكيد لما قبله وهما حالان من الواو في اجتنبوا
والاولى مؤسسة والثانية مؤكدة قيل ان اهل الجاهلية كانوا يحجون مشركين فلما اظهر الله
الاسلام قال الله للمسلمين حجوا الآن غير مشركين به ومن يشرك بالله مبتدأة مؤكدة لما قبلها
من الامر بالاجتناب والغرض بهذا ضرب المثل لمن يشرك بالله والمعنى ان بعد من اشرك به عن
الحق والايمان فكانما خر من السماء اي كبعد من سقط من السماء الى الارض اي انحط من اوج الايمان الى
حضيض الكفر فتخطفه الطير يقال خطفه يخطفه اذا سلبه ومنه قوله يخطف ابصارهم اي تخطف
لحمه وتسلبه وتقطعه بمخالبها وتذهب به وقرئ بتشديد الطاء وفتحها وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء
مع كسرهما او تهوي به الريح اي تقذفه وترمي به في مكان سحيق يقال سحق يسحق سحقا فهو سحيق
اذا بعد اي بعيد فلا يصل اليه احد بحال قاله الزجاج وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من
السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير

مراد بستوطنه في المكان السحيق قال الزمخشري يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق
فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده هلاك بان
صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير متفرقا مزعا في حواصلها وعصفت به
الريح حتى هوت به في بعض الاماكن البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء
والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المودية بالطير المختطفة والشيطان
الموقع في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة ذلك ومن يعظم
شعائر الله جمع شعيرة او الشعارة بالكسر بوزن قلادة وهي كل شيء فيه لله شعار ومنه شعار القوم
في الحرب وهو علامتهم التي يتعارفون بها ومنه اشعار البدن وهو الطعن في جانبها الايمن فشعائر
الله اعلام دينه وتدخل الهدايا في الحج دخولا اوليا وعن ابن عباس في الاية قال الشعائر البدن
والاستسمان والاستحسان والاستعظام وينبغي للانسان ان يترك المشاحة في ثمنها وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه
بثلاثمائة دينار فانها الضمير يرجع الى الشعائر بتقدير مضاف محذوف اي فان تعظيم الشعائر من
تقوى القلوب اي مبتدأ وناش من افعال القلوب التي هي من التقوى وانما ذكرت القلوب
لانها مراكز التقوى لكم فيها اي في الشعائر على العموم او على الخصوص وهي البدن كما يدل عليه السياق
واجبة او مندوبة منافع ومنها الركوب والدر والنسل والصوف والوبر وغير ذلك مما لا يضرها
الى اجل مسمى وهو وقت نحرها وقيل الى ان تسمى بدنا قاله ابن عباس وعن مجاهد نحوه وقال في
ظهورها والبانها واوبارها واشعارها واصوافها منافع الى ان تسمى هديا فاذا سميت هديا
ذهبت المنافع ثم محلها اي حيث يحل نحرها حين تسمى الى البيت العتيق المعنى انها تنتهي الى البيت
وما يليه من الحرم فمنافعها الدنيوية المستفادة منها مستمرة الى وقت نحرها ثم تكون منافعها
بعد ذلك دينية وقيل ان محلها ههنا ماخوذ من احلال المحرم والمعنى ان شعائر الحج كلها من الوقوف
بعرفة ورمي الجمار والسعي ينتهي الى طواف الافاضة بالبيت فالبيت على هذا مراد بنفسه قال
عكرمة اذا دخلت الحرم فقد بلغت محلها ولكل امة هي الجماعة المجتمعة على مذهب واحد جعلنا
منسكا مصدر من نسك ينسك اذا ذبح القربان والذبيحة نسيكة ويقال منسك بكسر السين وفتحها

لغتان قال الفراء المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير او شر وقال ابن عرفة منسكا اي
مذهبا من طاعة الله وروي عن الفراء ان المنسك العيد وبه قال ابن عباس وقيل هو الحج وقال
مجاهد في الآية اهراق الدماء وعن عكرمة قال ذبحا وعن زيد بن اسلم قال مكة لم يجعل الله لامة قط منسكا
غيرها والاول اولى لقوله ليذكروا اسم الله وحده ويجعلوا نسكهم خاصا به والمعنى جعلنا لكل اهل
دين من الاديان او لجماعة مسلمة سلفت قبلكم ذبحا يذبحونه ودما يريقونه او متعبدا او طاعة
او عيدا او حجا يحجونه على ما رزقهم من بهيمة الانعام سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام
لان القربان لا يكون الا من الانعام دون غيرها وان جاز اكله وفي القاموس البهيمة كل ذات اربع قوائم
ولو في الماء او كل حي لا يميز والجمع بهائم والابهم الاعجم واستبهم استعجم فلم يقدر على الكلام وفي الآية
دليل على ان المقصود من الذبح المذكور هو ذكر اسم الله عليه وقد وردت احاديث في الاضحية ليس هذا
موضع ذكرها ثم اخبرهم سبحانه بتفرده بالالهية وانه لا شريك له فقال فالهكم اله واحد الفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها ثم امرهم بالاسلام والانقياد لطاعته وعبادته فقال فله اسلموا
اي انقادوا واخلصوا واطيعوا او تقديم الظرف على الفعل للقصر والفاء كالفاء التي قبلها وبشر
المخبتين من عباده اي المتواضعين الخاشعين المخلصين وقال مجاهد اي المطمئنين وقال عمرو
بن اوس هم الذين لا يظلمون الناس واذا ظلموا لم ينتصروا وهو ماخوذ من الخبت وهو المنخفض
من الارض والمعنى بشرهم يا محمد بما اعد الله لهم من جزيل ثوابه وجليل عطائه ولا يخفى حسن
التعبير بالمخبتين هنا من حيث ان نزول الخبت مناسب للحجاج لما فيهم من صفات المتواضعين
كالتجرد عن اللباس وكشف الراس والغربة عن الاوطان ولذا وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خافت وحذرت مخالفته وحصول الوجل منهم عند الذكر له سبحانه
دليل على كمال يقينهم وقوة ايمانهم والصابرين على ما اصابهم من البلايا والمصائب والمحن
في طاعة الله والمقيمي الصلوة وصفهم باقامة الصلوة اي الاتيان بها في اوقاتها على وجه الكمال لا في
السفر مظنة التقصير فيها ثم وصفهم سبحانه بقوله ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون
به وينفقونه في وجوه البر ويضعونه في مواضع الخير والمراد صدقة التطوع والظاهر انهم كانوا يتصدقون
الصدقة الواجبة بالاولى والبدن قرئ بضم الباء وسكون الدال وبضمها وهما لغتان وهذا الاسم خاص

عند الشافعي بالابل وسميت بدنة لانها تبدن والبدانة السمن وقال ابو حنيفة ومالك انه
يطلق على غير الابل من البقر والغنم وغيرهما والاول اولى لما سياتي من الاوصاف التي هي ظاهرة في
الابل ولما تفيده كتب اللغة من اختصاص هذا الاسم بالابل قال ابن قتيبة فكلام الشافعية موافق
لكلام الازهري وكلام الحنفية موافق لكلام الصحاح وقال ابن كثير في تفسيره واختلفوا في صحة اطلاق
البدنة على البقرة على القولين اصحهما انه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح في الحديث قال ابن عمر لا نعلم
البدن الا من الابل والبقر وقال ايضا البدن ذات الجوف وعن مجاهد قال ليس البدن الا من الابل
وعن عطاء نحو ما قال ابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وقيل لا تسمى الغنم بدنة لصغرها
جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى واضافتها الى اسمه تعظيم
لها وقيل لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك انها هدي وقد تقدم بيانه قريبا لكم
فيها خير اي منافع دينية ودنيوية كما تقدم وهي جملة مستانفة مقررة لما قبلها او حالية قاله
السمين فاذكروا اسم الله عليها اي على نحرها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر
اللهم منك واليك صواف اي انها قائمات قد صفت قوائمها لانها تنحر قائمة معقولة وقرئ صوافن
اي خوالص لله لا يشركون به في التسمية على نحرها احدا او واحد صواف صافة وهي قراءة الجمهور وواحد
صوافي صافية وفي قراءة ابن مسعود صوافن بالنون جمع صافنة وهي التي قد رفعت احدى يديها
بالعقل لئلا تضطرب ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد واصل هذا الوصف في الخيل يقال
صفن الفرس فهو صافن اذا قام على ثلاث قوائم وثنى الرابعة قال ابن عباس في الآية اذا اردت ان تنحر البدنة
فاقمها على ثلاث قوائم معقولة ثم قل بسم الله والله اكبر وفي الصحيحين وغيرهما عنه انه رأى رجلا قد
اناخ بدنته وهو ينحرها فقال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم وكون قيامها سنة انما هو
على سبيل الندب ويجوز نحرها وذبحها مضجعة على جنبها كالبقر فاذا وجبت جنوبها الوجوب السقوط
يقال وجبت الشمس اي سقطت ووجب الجدار سقط ومنه الواجب الشرعي كانه سقط علينا ولزمنا
اي فاذا سقطت جنوبها بعد نحرها على الارض وذلك عند خروج روحها فهو كناية عن الموت وجمع الجنوب مع ان البعير اذا
خر يسقط على احد جنبيه لان ذلك الجمع في مقابلة جمع البدن فكلوا منها ان شئتم ذهب الجمهور الى ان هذا
الامر للندب واطعموا القانع والمعتر هذا الامر قيل هو للندب كالاول وبه قال مجاهد والنخعي

وابن جرير وابن سريج وقال الشافعي وجماعة هو للوجوب واختلف في القانع من هو فقيل
هو السائل يقال قنع الرجل بفتح النون يقنع بكسرها اذا سأل وقيل هو المتعفف عن السؤال المستغني
ببلغة ذكر معناه الخليل وبه قال ابن عباس قال ابن السكيت من العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعة
وهي الرضاء والتعفف وترك المسئلة وبالاول قال زيد بن اسلم وابنه وسعيد بن جبير
والحسن وبالثاني قال عكرمة وقتادة وقال ابن عمر وابن عباس القانع الذي يقنع بما اتيته واما
المعتر فقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد وابراهيم والكلبي والحسن انه الذي يتعرض من غير سؤال
وقيل هو الذي يعتريك ويسألك وقال مالك احسن ما سمعت ان القانع الفقير والمعتر الزائر
وروي عن ابن عباس ان كليهما الذي لا يسأل ولكن القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي
يتعرض لك ولا يسألك وقرأ الحسن والمعتري ومعناه كمعنى المعتر يقال اعتره واعتراه وعره وعراه اذا
تعرض لما عنده او طلبه ذكره النحاس قال ابن عباس المعتر السائل وعنه الذي يعترض وعنه القانع
الذي يجلس في بيته وعنه انه سئل عن هذه الآية فقال اما القانع فالقانع بما ارسلت اليه في بيته
والمعتر الذي يعتريك وعنه قال القانع الذي يسأل والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل وقيل القانع
المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين وقيل القانع جارك الذي ينظر ما دخل عليك والمعتر الذي
يعتر ببابك ويريك نفسه وقد روي عن التابعين في تفسير هذه الآية اقوال مختلفة والمرجع
المعنى اللغوي لاسيما مع الاختلاف بين الصحابة ومن بعدهم في تفسير ذلك كذلك اي مثل ذلك
التسخير البديع المفهوم من قوله صواف سخرناها اي ذللنا البدن لكم فصارت تنقاد لكم الى مواضع
نحرها فتنحرونها وتنتفعون بها بعد ان كانت مسخرة للحمل عليها والركوب على ظهورها والحلب لها ونحو
ذلك لعلكم تشكرون هذه النعمة التي انعم الله بها عليكم لن ينال الله اي لن يصعد ولا يرفع اليه
ولا يبلغ رضاه ولا يقع موقع القبول منه لحومها التي تتصدقون بها ولا دماؤها التي تنصب عند نحرها
من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله اي يبلغ اليه التقوى منكم اي تقوى قلوبكم ويصل اليه
اخلاصكم له في العمل الصالح واراد تكم بذلك وجهه مع الايمان فان ذلك هو الذي يقبله الله ويجازي
عليه وقيل المراد اصحاب اللحوم والدماء اي لن يرضى المضحين والمتقربين الى ربهم باللحوم والدماء ولكن
بالتقوى قال الزجاج اعلم الله ان الذي يصل اليه تقواه وطاعته فيما يامر به وحقيقة معنى هذا

موقع القبول لأن شأن ما يقبله الإنسان يقال قد ناله ووصل إليه فخاطب الله الخلق كعادتهم
في مخاطباتهم قال ابن عباس كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينضحون بها نحو الكعبة
فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فأنزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها وعن ابن جريج نحوه
كذلك سخرها لكم كرر هذا للتذكير لتكبروا الله هو قول الناحر الله أكبر عند النحر فذكر في الآية
الأولى الأمر بذكر اسم الله عليها وذكر هنا التكبير للدلالة على مشروعية الجمع بين التسمية والتكبير
وقيل المراد بالتكبير وصفه سبحانه بما يدل على الكبرياء ومعنى على ما هداكم على ما أرشدكم إليه من
معرفة كيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة وبشر المحسنين قيل المراد بهم المخلصون
وقيل الموحدون والظاهر أن المراد بهم كل من يصدر منه من الخير ما يصح به إطلاق اسم المحسن عليه
إن الله يدافع وقرئ يدفع وصيغة المفاعلة هنا مجردة عن معناها الأصلي وهو وقوع الفعل من
الجانبين كما تدل عليه القراءة الأخرى وقد ترد هذه الصيغة ولا يراد بها معناها الأصلي كثيرا
مثل عاقبت اللص ونحو ذلك وقد قدمنا تحقيقه وقيل إن إيراد هذه الصيغة هنا للمبالغة
وقيل للدلالة على تكرر الوقوع عن الذين آمنوا أي يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين وقيل
يعلي حجتهم وقيل يوفقهم وقال أبو حيان لم يذكر الله ما يدفعه عنهم ليكون أفخم وأعظم وأعم
والجملة مستأنفة لبيان هذه المزية الحاصلة للمؤمنين من رب العالمين وأنه المتولي للمدافعة
عنهم إن الله لا يحب كل خوان كفور مقررة لمضمون الجملة الأولى فإن المدافعة من الله لهم
عن عباده المؤمنين مشعرة أتم إشعار بأنهم مبغضون إلى الله غير محبوبين له قال الزجاج من
ذكر غير اسم الله وتقرب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوان كفور وإيراد صيغتي المبالغة للدلالة على أنهم
كذلك في الواقع لا لإخراج من خان دون خيانتهم وكفر دون كفرهم أذن للذين يقاتلون قرئ أذن
مبنيا للمفعول وللفاعل وكذلك يقاتلون وعلى كلا القراءتين فالإذن من الله سبحانه لعباده المؤمنين
بأنهم إذا صلحوا للقتال أو قاتلهم المشركون قاتلوهم قال المفسرون كان مشركو مكة يؤذون رسول الله
صلى الله عليه وسلم بألسنتهم وأيديهم فيشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فإني
لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله هذه الآية بالمدينة وهي أول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في
نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم

مشركو مكة فاذن الله في قتال الذين يمنعونهم من الهجرة وهذه الآية مقررة ايضاً لمضمون قوله إن الله
يدافع فان اباحة القتال لهم هي من جملة دفع الله عنهم والباء في بأنهم ظلموا للسببية اي بسبب ما كان
يقع عليهم من المشركين من سب وضرب وطرد ثم وعد هو الله سبحانه النصر على المشركين على طريق الرمز
والكناية كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم فقال وإن الله على نصرهم لقدير وفيه تاكيد لما مر من
المدافعة ايضاً اخرج احمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس قال لما اخرج
النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال ابو بكر اخرجوا نبيهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن القوم فنزلت اذن
للذين يقاتلون الآية وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله
الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق المراد بالديار مكة إلا أن يقولوا قال سيبويه هو استثناء
منقطع اي لكن لقولهم ربنا الله اي اخرجوا بغير حق يوجب اخراجهم لكن لقولهم ربنا الله وحده
وقال الفراء والزجاج هو استثناء متصل والتقدير الذين اخرجوا من ديارهم بلا حق الا بان يقولوا
ربنا الله فيكون مثل قوله سبحانه وما تنقمون منا الا ان آمنا بآيات ربنا ولولا دفع الله الناس وقرئ
دفاع بعضهم بدل بعض من الناس ببعض لهدمت بالتشديد للتكثير وبالتخفيف اي لخربت باستيلاء
اهل الشرك على اهل الملل وتكرر الهدم لكثرة المواضع صوامع للرهبان ومعابدهم المتخذة في الصحراء
وقيل صوامع الصابئين وهي جمع صومعة وهي بناء مرتفع محدد يقال صمع الثريدة اذا رفع راسها ورجل
اصمع القلب اي حاد الفطنة والاصمع من الرجال الحديد القول وقيل الصغير الاذن ثم استعمل في المواضع
التي يؤذن عليها في الاسلام وبيع جمع بيعة وهي كنيسة النصارى في البلد وقيل مساجد اليهود وصلوات
هي كنائس اليهود وقيل النصارى وقد ذكر ابن عطية في صلوات تسع قراآت وهي جمع صلوة وسميت
الكنيسة صلوة لانها يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا قال السمين ومعناه في لغتهم
المصلى فلا يكون مجازاً قاله الشهاب ومساجد للمسلمين وقدمت على المساجد لكونها اقدم بناء واسبق
وجوداً وليكون فيه الانتقال من شريف الى اشرف والظاهر من الهدم معناه الحقيقي كما ذكره الزجاج وغيره
وقيل المعنى المجازي وهو تعطلها من العبادة والمعنى لولا ما شرعه الله للانبياء والمؤمنين من قتال
الاعداء بعضهم ببعض واقامة الحدود لاستولى اهل الشرك وذهبت مواضع العبادة من الارض
وقيل المعنى لولا هذا الدفع لهدمت في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد

قال ابن عطية هذا أصوب ما قيل في تأويل هذه الآية فعلى هذا إنما دفع عنهم حين كانوا على
الحق قبل التحريف وقبل النسخ وقيل المعنى ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة وقيل لولا دفع الله
العذاب بدعاء الأخيار وعن علي قال إنما نزلت هذه الآية في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لولا دفع الله
بأصحاب محمد عن التابعين لهدمت الآية قال أبو حيان أجرى الله العادة في الأمم بأن ينتظم به الأمر
وتقوم الشرائع وتصان المتعبدات من الهدم وأهلها من القتل والشتات ويؤيد ذلك قوله تعالى
وقتل داود جالوت ثم قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ
اللَّهِ ذكراً أو وقتاً كَثِيرًا والجملة صفة للمساجد وقيل لجميع المذكورات الأربع لأن كل واحد منها يجمع
وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ اللام هي جواب لقسم محذوف أي والله لينصرن الله مَن يَنصُرُهُ أي دينه وأولياءه
ومعنى نصره تعالى هو أن يظفر أولياءه بأعدائهم ويكون النصر بالتجليد في القتال وبإيضاح الأدلة
والبينات وبالإعانة على المعارف والطاعات إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ على نصر أوليائه عَزِيزٌ على انتقام أعدائه
والقوي القادر على الشيء والعزيز الجليل الشريف قاله الزجاج وقيل الممتنع الذي لا يرام ولا يدافع ولا يمانع
الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ بنصرهم على عدوهم قيل المراد بهم المهاجرون والأنصار والتابعون
لهم بإحسان وقيل أهل الصلوات الخمس وقيل ولاة العدل وقيل غير ذلك وهو إخبار من الله
بالغيب عما ستكون عليه سيرتهم إن مكن لهم في الأرض وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء
يريد أن الله أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا فأقبح بمن يطعن بهم من أهل البدع الرفض
بعد ذلك وتعساً لهم أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ
هذا جواب الشرط وفيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من مكنه الله في الأرض وأقدره
على القيام بذلك وقد تقدم تفسير الآية وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ أي مرجعها إلى حكمه وتدبيره
دون غيره وعن زيد بن أسلم في قوله الذين إن مكناهم في الأرض قال أرض المدينة أقاموا
الصلاة قال المكتوبة وآتوا الزكاة قال المفروضة وأمروا بالمعروف قال بلا إله إلا الله ونهوا عن المنكر
قال عن الشرك بالله ولله عاقبة الأمور قال وعند الله ثواب ما صنعوا وقد أنجز الله تعالى وعده
بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم
وديارهم وعن عثمان بن عفان قال فينا نزلت هذه الآية أخرجنا من ديارنا بغير حق ثم مكنا في

الارض فاقمنا الصلوة واٰتينا الزكوة وامرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فهي لي ولاصحابي وان
يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح وقوم ابراهيم وقوم لوط
واصحاب مدين هم قوم شعيب هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزية له متضمنة للوعد
له باهلاك المكذبين له كما اهلك سبحانه المكذبين لمن كان قبله وفيه ارشاد له صلى الله عليه وسلم الى الصبر
على قومه والاقتداء بمن قبله من الانبياء في ذلك وقد تقدم ذكر هذه الامم وما كان منهم
ومن انبيائهم وكيف كانت عاقبتهم والمعنى فانت يا اشرف الخلق لست باوحدي في التكذيب
فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومك فتسل بهم قاله الخطيب وفي تانيث قوم باعتبار المعنى وهو
الامة او القبيلة واستغنى في عاد وثمود عن ذكر قوم لاشتهارهم بهذا الاسم الاخصر والاصل في التعبير
العلم ولا علم لغيرهما فلهذا لم يقل قوم هود وقوم صالح ولم يقل قوم شعيب لان قومه يشملون اصحاب
مدين واصحاب الايكة واصحاب مدين سابقون على اصحاب الايكة في التكذيب له فخصوا في الذكر
بسبقهم في التكذيب وانما غير النظم في قوله وكذب موسى فجاء بالفعل مبنيا للمفعول لان قوم موسى
لم يكذبوه وانما كذبه غيرهم من القبط وهكذا حكمة تغيير الاسلوب حيث لم يقل وقوم موسى
فامليت للكافرين اي اخرت عنهم العقوبة وامهلتهم والفاء لترتيب الامهال على التكذيب
وفيه وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التشنيع عليهم والنداء عليهم بصفة الكفر ثم اخذتهم
اي اخذت كل فريق من المكذبين السبعة بالعذاب بعد انقضاء مدة الامهال فكيف كان نكير
هذا الاستفهام للتقرير اي فانظر كيف كان انكاري واقعا عليهم وتغييري ما كانوا فيه من النعم على
موقعه ثم اهلكناهم وحمل الاستفهام على التعجب اوضح قال ابو حيان وصحب هذا الاستفهام معنى
التعجب فكانه قيل ما اشد ما كان انكاري عليهم والنكير اسم من المنكر ومصدر بمعنى الانكار قال الزجاج اي
ثم اخذتهم فانكرت ابلغ انكار قال الجوهري النكير والانكار تغيير المنكر فالمراد بالانكار التغيير للضد بالضد
كالحياة بالموت والعمارة بالخراب وفيه ليس بمعنى الانكار اللساني والقلبي واثبت ياء نكيري حيث وقع في القران
ورش في الوصل وحذفها في الوقف والباقون يحذفونها وصلا ووقفا ثم ذكر سبحانه كيف عذب
اهل القرى المكذبة فقال فكاين من قرية اهلكناها اي باهلها وقد تقدم الكلام على هذا التركيب
في ال عمران وهي ظالمة المراد بنسبة الظلم اليها نسبته الى اهلها اي واهلها ظالمون فهي خاوية

الخوى بمعنى السقوط اي فهي ساقطة على عروشها اي سقوفها وذلك بسبب تعطل سكانها
حتى تهدمت فسقطت حيطانها فوق سقوفها واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان
منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة قال قتادة خربة ليس فيها
احد وبئر اي وكم من اهل بئر معطلة هكذا قال الزجاج يقال بأرت الارض اي حفرتها ومنه
التأبير وهو شق كمام طلع الاناث وذر طلع الذكور فيه والبئر فعل بمعنى مفعول وهي مؤنثة
وقد تذكر على معنى القليب والمراد بالمعطلة المتروكة وقيل الخالية عن اهلها لهلاكهم وقيل الغائرة
وقيل معطلة من الدلاء والارشية قال قتادة عطلها اهلها وتركوها وقال ابن عباس التي تركت لا اهل
لها وقصر مشيد هو المرفوع البنيان كذا قال قتادة والضحاك وعن قتادة ايضا شيدوه وحصنوه
فهلكوا وتركوه وقال سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن عباس المراد بالمشيد
المجصص ماخوذ من الشيد وهو الجص وقيل المشيد الحصين قاله الكلبي وقال الجوهري المشيد
المعمول بالشيد والشيد بالكسر كل شيء طليت به الحائط من جص او بلاط وبالفتح المصدر تقول
شاده يشيده جصصه والمشيد بالتشديد المطول قال الكسائي المشيد للواحد من قوله تعالى في بروج
مشيدة وانما بنى هنا من شاده وفي النساء من شيده لانه هناك وقع بعد جمع فناسب التكثير
وهنا وقع بعد مفرد فناسب التخفيف ولانه رأس آية وفاصلة والمعنى وكم من قصر مشيد معطل مثل
البئر المعطلة ومعنى التعطيل في القصر هو انه معطل من اهله او من آلاته او نحو ذلك قال القرطبي
في تفسيره ويقال ان هذه البئر والقصر بحضرموت معروفان فالقصر مشرف على قلة جبل لا
يرتقى اليه بحال والبئر في سفحه لا تقر الريح شيئا سقط فيها الا اخرجته وحكى الثعلبي وغيره ان
البئر كان بعدن من اليمن في بلد الحضرمي واصحاب القصر الحضرمي واصحاب البئر
ملوك البدو وحكى الثعلبي وغيره ايضا ان البئر كان بعدن من اليمن في بلد يقال له حضور نزل
بها اربعة آلاف ممن آمن بصالح ونجوا من العذاب ومعهم صالح فمات صالح فسمي المكان حضرموت
لان صالحا لما حضره مات فبنوا حضورا وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا
دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان
وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم ثم ذكر قصة

طويلة وقال بعد ذلك وأما القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عاد بن إرم لم يُبْنَ في الأرض
مثله فيما ذكروا وزعموا وحاله أيضاً كحال هذه البئر المذكورة في إيحاشه بعد الأنس وإقفاره
بعد العمران وإن أحداً لا يستطيع أن يدنو منه على أميال لما يسمع فيه من عزيف الجن والأصوات
المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وبهاء الملك وانتظام الأهل كالسلك فبادوا وما عادوا
فذكرهم الله سبحانه في هذه الآية موعظة وعبرة قال وقيل إنهم الذين أهلكهم بختنصر
على ما تقدم في سورة الأنبياء في قوله وكم قصمنا من قرية فتعطلت بئرهم وخربت قصورهم
انتهى وقال النسفي والأظهر أن البئر والقصر على العموم ثم أنكر الله سبحانه على أهل مكة عدم
اعتبارهم بهذه الآثار قائلاً أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ حثاً لهم على السفر ليروا مصارع
تلك الأمم فيعتبروا ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا أنكر عليهم كما في قوله
وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وعلى هذا فالاستفهام ليس على حقيقته
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ تفريع على المنفي فهو منفي أيضاً يَعْقِلُونَ بِهَا ما يجب أن يعقل من التوحيد
ونحوه والعقل هنا بمعنى العلم والمعنى أنهم بسبب ما شاهدوا من العبر تكون لهم قلوب يعقلون
بها ما يجب أن يتعقلوه وأسند التعقل إلى القلوب لأنها محل العقل كما أن الآذان محل السمع وقيل
إن العقل محله الدماغ ولا مانع من ذلك فإن القلب هو الذي يبعث على إدراك العقل وإن كان
محله خارجاً عنه وقد اختلف علماء المعقول في محل العقل وماهيته اختلافاً كثيراً لا حاجة
إلى التطويل بذكره أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ما يجب أن يسمعوه مما تلاه عليهم أنبياؤهم من كلام
الله وما نقله أهل الأخبار إليهم من أخبار الأمم المهلكة وما نزل بالمكذبين فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ قال الفراء الهاء عماد يجوز أن يقال فإنه وهي قراءة ابن مسعود والمعنى واحد التذكير
على الخبر والتأنيث على الأبصار والقصة أي فإن الأبصار لا تعمى أو فإن القصة لا تعمى الأبصار
أي أبصار العيون وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما أصابت
الآفة عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد أي لا تدرك عقولهم مواطن الحق ومواضع
الاعتبار قال الفراء والزجاج إن قوله التي في الصدور من التوكيد الذي تزيده العرب في الكلام
كقوله عشرة كاملة ويقولون بأفواههم ويطير بجناحيه ثم حكى سبحانه عن هؤلاء ما كانوا

عليه من التكذيب والاستهزاء فقال (ويستعجلونك) اي يطلبون تعجيل العذاب
لانهم كانوا منكرين لمجيئه اشد انكار فاستعجالهم له هو على طريقة الاستهزاء والسخرية و
كانهم كانوا يقولون ذلك عند سماعهم لما يقوله الانبياء عن الله سبحانه من الوعد منه
عز وجل بوقوعه عليهم وحلوله بهم ولهذا قال (ولن يخلف الله وعده) قال الفراء في هذه
الآية وعيد لهم بالعذاب في الدنيا والآخرة وذكر الزجاج وجها آخر فقال اعلم ان الله لا يفوته
شيء وان يوما عنده والف سنة في قدرته واحد ولا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب
وتاخره في القدرة الا ان الله تفضل بالامهال انتهى والمعنى والحال انه لا يخلف وعده ابدا وقد
سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما والجملة اعتراضية مبينة لما قبلها قال المحلي انجز يوم بدر
اي انزل العذاب بهم في الدنيا فقتل منهم سبعون واسر منهم سبعون (وان يوما من ايام
عذابهم عند ربك في الآخرة كالف سنة مما تعدون) اي من سني الدنيا والجملة مستأنفة
مسوقة لبيان حالهم في الاستعجال وخطئهم في ذلك لبيان كمال حكمه لكون المدة القصيرة
عنده كالمدة الطويلة عندهم كما في قوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا قال الفراء هذا وعيد
لهم بامتداد عذابهم في الآخرة اي يوم من ايام عذابهم في الآخرة في الثقل والاستطالة
كالف سنة وقيل المعنى وان يوما من الخوف والشدة في الآخرة كالف سنة من سني الدنيا
فيها خوف وشدة وكذلك يوم النعيم قياسا واقتصر في التشبيه على الالف لان الالف منتهى العدد
بلا تكرار وقرئ يعدون بالتحتية لقوله ويستعجلونك وبالفوقية على الخطاب واختار الاولى ابو عبيدة
والثانية ابو حاتم وعن ابن عباس قال ان يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض
كالف سنة وعن عكرمة قال هو يوم القيامة وعنه قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة
آلاف سنة وقد مضى منها ستة آلاف واخرج ابن عدي والديلمي عن انس مرفوعا نحوه
وتمام البحث في مدة الدنيا ماضيها وباقيها في كتابنا لقطة العجلان مما تمس الى معرفته حاجة
الانسان (وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها) اي اهلها هذا اعلام منه
سبحانه انه اخذ قوما بعد الاملاء والتاخير قيل وتكرير هذا مع ذكره قبله للتاكيد وليس بتكرار
في الحقيقة لان الاول سيق لبيان الاهلاك مناسبا لقوله فكيف كان نكير والثاني سيق لبيان

الاملاء مناسبا لقوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة فكانه قيل
وكم من أهل قرية كانوا امثالكم ظالمين قد امهلتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الكل الى
حكمي وجملة وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ تذييل لتقرير ما قبلها قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ امره سبحانه ان يخبر الناس بانه نذير لهم بين يدي
الساعة مبين لهم ما نزل اليهم فمن آمن وعمل صالحا فاز بالمغفرة وستر الذنوب ومن كان على خلاف
ذلك فهو في النار والرزق الكريم الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته وَالَّذِينَ
سَعَوْا فِي آيَاتِنَا اي اجتهدوا في ابطالها حيث قالوا القرآن شعر او سحر او اساطير الاولين مُعَاجِزِينَ
يقال عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه قاله
الاخفش وقيل معناه ظانين ومقدرين ان يعجزوا الله سبحانه ويفوتوه فلا يعذبهم قاله الزجاج
وقيل معاندين قاله الفراء وقال ابن عباس مراغمين ومشاقين أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ اي النار
الموقدة وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ من لابتداء الغاية وهذا شروع في تسلية ثانية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد التسلية الاولى مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ من زائدة لتاكيد النفي وفيه دليل بين على
ثبوت التغاير بين الرسول والنبي وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون
الفا فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهما ان الرسول الذي ارسل الى
الخلق بارسال جبريل اليه عيانا ومحاورته شفاها والنبي الذي يكون وحيه الهاما او مناما وقيل
الرسول من بعث بشرع وامر بتبليغه والنبي من امر ان يدعو الى شريعة من قبله ولم ينزل عليه كتاب
ولا بد لهما جميعا من المعجزة الظاهرة وقرأ ابن مسعود ولا نبي ولا محدث وعن سعد بن ابراهيم بن
عبد الرحمن بن عوف مثله وزاد فنسخت محدث قال والمحدثون صاحب يس ولقمان ومؤمن آل
فرعون وصاحب موسى إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ معنى تمنى تشهى وهيأ في نفسه ما يهواه
قال الواحدي قال المفسرون معنى تمنى تلا قال جماعة المفسرين في سبب نزول هذه الآية انه صلى الله عليه وسلم
لما شق عليه اعراض قومه عنه تمنى في نفسه ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على ايمانهم
فكان ذات يوم جالسا في ناد من انديتهم وقد نزل عليه سورة والنجم اذا هوى فاخذ يقرأها عليهم
حتى بلغ قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكان ذلك التمني في نفسه فجرى على

لسانه مما القاه الشيطان عليه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك
فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته حتى ختم السورة فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في
النادي من المسلمين والمشركين فتفرقت قريش مسرورين بذلك وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا باحسن
الذكر فاتاه جبريل فقال ما صنعت تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله فحزن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخاف خوفا شديدا فانزل الله هذه الآية هكذا قالوا ولم يصح شيء من هذا ولا تثبت
بوجه من الوجوه ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه حيث
قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله
وما ينطق عن الهوى وقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم فنفى المقاربة للركون فضلا
عن الركون قال البزار هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل وقال
البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم اخذ يتكلم ان رواة هذه القصة مطعون
فيهم وقال امام الائمة ابن خزيمة ان هذه القصة من وضع الزنادقة قال القاضي عياض
في الشفاء ان الامة اجمعت فيما طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء
بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الرازي هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز
القول بها قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال تعالى سنقرئك فلا
تنسى لا شك ان من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة
ان اعظم سعيه كان في نفي الاوثان ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن شرعه وجوزنا في كل واحد
من الاحكام والشرائع ان يكون كذلك اي مما القاه الشيطان على لسانه ويبطل قوله تعالى
بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته فانه لا فرق عند العقل بين
النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه النقلية والعقلية عرفنا على سبيل الاجمال
ان هذه القصة موضوعة انتهى ملخصا قال ابن كثير قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة
الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرين الى ارض الحبشة ظنا منهم ان مشركي قريش قد
اسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم ارها مسندة من وجه صحيح والحاصل ان جميع
الروايات في هذا الباب اما مرسلة او منقطعة لا تقوم الحجة بشيء منها وقد اسلفنا عن الحفاظ في هذا

البحث ما فيه كفاية وفي الباب روايات من احب الوقوف على جميعها فلينظرها في الدر المنثور
للسيوطي ولا يأتي التطويل بذكرها هنا بفائدة فقد عرفناك انها جميعها لا تقوم بها الحجة لانه
لم يروها احد من اهل الصحة ولا اسندها ثقة بسند صحيح او سليم متصل وانما يرويها المفسرون
والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم وقد دل على ضعف هذه
القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف الفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث
ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش
اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا اخرجه
البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه
عنه الكلبي وهو ضعيف جدا بل متروك لا يعتمد عليه وكذا اخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي
فهذا توهين هذه القصة وقد اجابوا عنه من حيث المعنى بوجوه اخرى يطول ذكرها بلا فائدة
زائدة وقد استوفاها الخازن في تفسيره والنسفي في المدارك ونبه الحافظ ابن حجر على ثبوت اصلها
في الجملة وقال ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح لكنها مراسيل واذا تقرر لك بطلان ذلك
عرفت ان معنى تمنى قرأ وتلا كما قدمنا من حكاية الواحدي لذلك عن المفسرين قال البغوي
ان اكثر المفسرين قالوا معنى تمنى تلا وقرأ كتاب الله ومعنى القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته
وقراءته قال ابن جرير هذا القول اشبه بتأويل الكلام ويؤيد هذا ما تقدم في تفسير قوله
لا يعلمون الكتاب الا اماني وقيل معنى تمنى حدث ومعنى في امنيته في حديثه روي هذا عن ابن
عباس وقيل معنى تمنى قال فحاصل معنى الآية ان الشيطان اوقع في مسامع المشركين ذلك
من دون ان يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا جرى على لسانه فيكون هذه الآية تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يهولك ذلك ولا يحزنك فقد اصاب مثل هذا من قبلك من
المرسلين والانبياء وعلى تقدير ان معنى تمنى حدث نفسه كما حكاه الفراء والكسائي فانهما
قالا يقال تمنى اذا حدث نفسه فالمعنى انه اذا حدث نفسه بشيء تكلم به الشيطان والقاه

في مسامع الناس من دون ان يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا جرى على لسانه قال ابن
عطية لا خلاف ان القاء الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة وقعت بها الفتنة قال القاضي
عياض وهذا احسن الوجوه وهو الذي يظهر ترجيحه وكذا استحسن ابن العربي هذا التاويل
وقال في امنيته في تلاوته وقد قيل في تاويل الآية ان المراد بالغرانيق الملائكة ويرد بقوله الآتي
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله وشفاعة الملائكة غير باطلة وقيل ان ذلك جرى على
لسانه سهوا ونسيانا وهما مجوزان على الانبياء ويُرَدّ بان السهو والنسيان فيما طريقه البلاغ
غير جائز كما هو مقرر في مواطنه قال الضحاك يعني بالتمني التلاوة والقراءة فينسخ الله اي جبريل
بامر الله ما القى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد اذا تمنى اي تكلم وامنيته كلامه
فاخبر تعالى في هذه الآية ان سنة الله في رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه
فهذا نص في ان الشيطان زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله لانه معصوم وقد
سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعدته في النظر فصوب هذا
المعنى قاله الحافظ في الفتح ثم لما سلاه سبحانه بهذه التسلية وانها قد وقعت لمن قبله من الرسل و
الانبياء بين سبحانه انه يبطل ذلك ولا يثبته ولا يستمر تغرير الشيطان به فقال فَيَنْسَخُ اللّٰهُ مَا
يُلْقِي الشَّيْطَانُ اي يبطله ويجعله ذاهبا غير ثابت ثُمَّ يُحْكِمُ اللّٰهُ آيَاتِهِ اي يثبتها وَاللّٰهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ اي كثير العلم والحكمة في كل اقواله وافعاله لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً تعليل اي ذلك الالقاء
الذي يلقيه الشيطان ضلالة ومحنة وبلية لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اي شك ونفاق
وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ هم المشركون فان قلوبهم لا تلين للحق ابدا ولا ترجع الى الصواب بحال ثم سجل
سبحانه على هاتين الطائفتين بانهم ظالمون فقال وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ اي عداوة
شديدة ووصف الشقاق بالبعد مبالغة والموصوف به حقيقة من قام به ولما بين سبحانه
ان ذلك الالقاء كان فتنة في حق اهل النفاق والشك والشرك بين انه في حق المؤمنين العالمين بالله
العارفين به سبب لحصول العلم لهم بان القرآن حق وصدق فقال وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ اي التوحيد
والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ اي الحق النازل من عنده وقيل الضمير في انه راجع
الى تمكين الشيطان من الالقاء لانه مما جرت به عادته مع انبيائه ولكنه يرده هذا قوله فَيُؤْمِنُوا بِهِ فان

المراد الايمان بالقران اي يثبتوا على الايمان به فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ اي تخشع وتسكن وتنقاد
فان الايمان به واخبات القلوب له لايمكن ان يكونا من التمكين من الشيطان بل للقران وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ
الَّذِينَ آمَنُوا في امور دينهم إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ اي طريق صحيح قويم لاعوج به وقرئ لهادٍ بالتنوين
وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ اي في شك من القران وقيل في الدين الذي يدل عليه ذكر
الصراط المستقيم وقيل في الرسول وقيل في القاء الشيطان فيقولون ما باله ذكر الاصنام بخير
ثم رجع عن ذلك وقرئ مُرية بضم الميم وهما لغتان مشهورتان وظاهر كلام ابي البقاء انهما قراءتان
قال السمين ولا احفظ الضم هنا حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ اي القيامة او الموت بَغْتَةً اي فجاءة أَوْ
يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ وهو يوم القيامة لانه لا يوم بعده فكان بهذا الاعتبار عقيما وهو في
اللغة من لا يكون له ولد ولما كانت الايام تتوالى جعل ذلك كهيئة الولادة ولما لم يكن بعد ذلك اليوم
يوم وصف بالعقم وقيل يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر قاله ابن عباس وعن ابي بن كعب نحوه
وعن سعيد بن جبير وعكرمة مثله وعن مجاهد قال يوم القيامة لا ليلة له وعن الضحاك و
سعيد مثله ايضا وقيل ان اليوم وصف بالعقم لانه لا رأفة فيه ولا رحمة فكانه عقيم من الخير
ومنه قوله تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم اي التي لا خير فيها ولا تاتي بمطر وفيه استعارة بالكناية
بان شبه اليوم المنفرد عن سائر الايام والزمان الذي لا خير فيه بالنساء العقم تشبيها مضمرا في
النفس واثبات العقم تخييل فان الايام بعضها نتائج لبعض فكل يوم يلد مثله الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ اي السلطان
الظاهر والاستيلاء التام يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة اي يوم يؤمنون او يوم تزول
مريتهم لِّلَّهِ سبحانه وحده لا منازع له فيه ولا مدافع عنه يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ اي يفصل بينهم مستانفة او هي
حالية ثم فسر هذا الحكم بقوله فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كائنون فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ
مستقرون في روضها منغمسون في نعيمها فضلا من الله وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اي جمعوا
بين الكفر بالله والتكذيب بآياته فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ متصف بانه مُّهِينٌ للمعذبين بالغ منهم
المبلغ العظيم بسبب كفرهم وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ افرد سبحانه المهاجرين بالذكر
تخصيصا لهم بمزيد الشرف وتفخيما لشأنهم قال بعض المفسرين هم الذين هاجروا من مكة الى
المدينة وقال بعضهم الذين هاجروا من الاوطان في سرية او عسكر ولا يبعد حمل ذلك على الامرين

والقتل في سبيل الله وطاعته ثُمَّ قُتِلُوا وقرئ مشددا على التكثير أَوْ مَاتُوا في حال المهاجرة
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ جواب قسم محذوف رِزْقًا أي مرزوقا حَسَنًا أو مصدر مؤكد وفيه دليل على
وقوع الجملة القسمية خبر المبتدأ ومن منعه فقوله مرجوح والرزق الحسن هو نعيم الجنة الذي
لا ينقطع وقيل هو الغنيمة لأنه حلال وقيل هو العلم والفهم كقول شعيب ورزقني منه رزقا حسنا
والتسوية في الوعد بالرزق لا يدل على تفضيل في قدر العطاء ولا تسوية فإن يكن تفضيل فمن دليل
آخر والمقرر في كتب الفروع أن المقتول أفضل لأنه شهيد وقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه
عن سلمان الفارسي أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات مرابطا أجرى الله عليه
مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتانين اقرؤا إن شئتم والذين هاجروا إلى قوله
حليم قلت ويؤيد هذا قوله سبحانه ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد
وقع أجره على الله وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ أي أفضلهم فإنه سبحانه يرزق بغير حساب فجعل الإنسان
وكل رزق يجري على يد العباد بعضهم لبعض فهو منه سبحانه لا رازق سواه ولا معطي غيره والجملة
تذييل مقررة لما قبلها ولما ذكر الرزق أعقبه بذكر المسكن بقوله لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ الجملة
مستأنفة أو بدل من جملة ليرزقنهم الله قرئ مدخلا بفتح الميم وبضمها وهو اسم مكان أريد به الجنة
أو مصدر ميمي مؤكد للفعل المذكور وقد مضى الكلام على مثل هذا في سورة سبحان وفي هذا من
الامتنان عليهم والتبشير لهم ما لا يقادر قدره فإن المدخل الذي يرضونه هو الأوفق لنفوسهم
والأقرب لمطلبهم على أنهم يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وذلك هو الذي يرضونه وفوق الرضى وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم
وقيل بأحوال من قضى نحبه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر معاهد حَلِيمٌ عن تفريط المفرط
منهم بإمهال من قاتلهم معاندا لا يعاجلهم بالعقوبة ذَلِكَ أي ما تقدم أو الأمر ذلك وما بعده
مستأنف قال الزجاج أي الأمر ما قصصنا عليكم من إنجاز الوعد للمهاجرين خاصة إذا قتلوا
أو ماتوا فهو على هذا خبر مبتدأ محذوف وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ أي من جازى الظالم
بمثل ما ظلمه والعقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجيء الشيء بعد غيره وسمي الابتداء عقابا
باسم الجزاء مشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

بمثل ما اعتدى عليكم ومن قبيل تسمية السبب باسم المسبب فان العقوبة في الاصل انما
تكون بعد فعل يكون جزاء عنه والمراد بالمثلية انه اقتصر على المقدار الذي ظلم به
ولم يزد عليه عن ابن جريج قال تعاون المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخرجوه
فوعده الله ان ينصره وهو في القصاص ايضا ثم بغي عليه اي ان الظالم له في الابتداء عاوده
بالمظلمة بعد تلك المظلمة الاولى وقيل المراد بهذا البغي هو ما وقع من المشركين من ازعاج
المسلمين من اوطانهم بعد ان كذبوا نبيهم واذوا من امن به وقيل المعنى ثم كان المجازي
مبغيا عليه اي مظلوما ومعنى ثم تفاوت الرتبة لان الابتداء بالقتال معه نوع ظلم كما قيل
في امثال العرب البادي اظلم وقيل ان هذه الاية مدنية وهي في القصاص والجراحات لينصرنه
الله اللام جواب قسم محذوف اي والله لينصرن الله المبغي عليه على الباغي ان الله لعفو غفور
اي لكثير العفو والغفران للمؤمنين فيما وقع منهم من الذنوب او القتال في الشهر الحرام وقيل العفو
والغفران لما وقع من المؤمنين من ترجيح الانتقام على العفو ذلك بان الله يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل اشارة الى ما تقدم من نصر الله سبحانه للمبغي عليه والباء للسببية
اي ذلك النصر بسبب انه سبحانه قادر ومن كمال قدرته ايلاج الليل في النهار والنهار في الليل قاله
الرازي وقال البيضاوي قادر على تقليب الامور بعضها على بعض جارية عادته على المداولة بين
الاشياء المتعاندة وعبر عن الزيادة بالايلاج لان زيادة احدهما تستلزم نقصان الاخر والمراد تحصيل احد العرضين في
محل الاخر وقد مضى في آل عمران معنى هذا الايلاج وقيل يحصل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بتغيبة
الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس وان الله سميع يسمع كل مسموع لا يشغله سمع عن سمع
بصير يبصر كل مبصر او سميع للاقوال مبصر للافعال فلا يعزب عنه مثقال ذرة وان اختلفت
في النهار الاصوات بفنون اللغات بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي وان توالت
الظلمات ذلك اشارة الى ما تقدم من اتصافه سبحانه بكمال القدرة الباهرة والعلم التام بان
الله هو الحق اي هو سبحانه ذو الحق فدينه حق وعبادته حق ونصره لاوليائه على اعدائه حق و
وعده حق فهو عز وجل في نفسه وافعاله وصفاته كلها حق وان ما يدعون من دونه هو الباطل
قرئ بالفوقية خطاب للمشركين وبالتحتية على الخبر وهما سبعيتان والمعنى ان الذي يدعونه

الها وهي الاصنام هو الباطل الذي لا ثبوت له ولا لكونه الها اي المعدوم في حد ذاته او الباطل
الوهيته والباطل الزائل وقال مجاهد الباطل هنا الشيطان وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ اي العالي على
كل شيء بقدرته وذاته المتقدس عن الاشباه والانداد المتصف بصفات الكمال المتنزه عما
يقوله الظالمون والمعطلون الْكَبِيرُ اي ذو الكبرياء الذي يصغر كل شيء سواه وهو عبارة عن
كمال ذاته وعظيم قدرته وسلطانه وتفرده بالالهية ثم ذكر سبحانه دليلا بينا على كمال قدرته
فقال أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً الاستفهام للتقرير كما قاله الخليل وسيبويه قال الخليل
المعنى الم تعلم انه انزل من السماء مطرا فكان كذا وكذا ذكر هنا ستة اشياء اولها انزال الماء الناشي
منه اخضرار الارض كما قال فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً قال الفراء اي ذات خضرة كما تقول مبقلة
ومسبعة اي ذات بقل وسباع وهو عبارة عن استعجال اثر نزول الماء بالنبات واستمراره
كذلك عادة وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة الاخضرار مع الاشعار بتجدد الانزال واستمراره
وهذا المعنى لا يحصل الا بالمستقبل والرفع هنا متعين لانه لو نصب لانعكس المعنى المقصود
من الآية فينقلب الى نفي الاخضرار والمقصود اثباته قال ابن عطية هذا لا يكون بعد الاخضرار
في صباح ليلة المطر الا بمكة وتهامة والظاهر ان المراد بالاخضرار اخضرار الارض في نفسها لا باعتبار
النبات فيها كما في قوله فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت والمراد بقوله إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ اي
يصل علمه الى كل دقيق وجليل وقيل لطيف بارزاق عباده وقيل باستخراج النبات خَبِيرٌ
اي انه ذو خبرة بتدبير عباده وما يصلح لهم وقيل خبير بما يضطرون عليه من القنوط عند تاخير
المطر وقيل خبير بحاجتهم وفاقتهم والثاني قوله لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خلقا وملكا
وتصرفا وعبيده كلهم محتاجون الى رزقه وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ فلا يحتاج الى شيء الْحَمِيدُ اي المستوجب
للحمد في كل حال أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ هذه نعمة اخرى ثالثة ذكرها الله سبحانه
فاخبر عباده بانه سخر لهم ذلك ما يحتاجون اليه من الدواب والشجر والانهار والحجر والحديد
والنار وما يراد منها والحيوان للاكل والركوب والحمل عليه والنظر اليه وجعله لمنافعهم
وَالْفُلْكَ سخر لكم الفلك اي السفن في حال جريها تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ اي بتقديره واذنه فلولا ان الله سخرها
لكانت تغوص او تقف هذه نعمة رابعة والخامسة قوله وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ كراهة أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ

وذلك بانه خلقها على صفة مستلزمة للامساك لان النعم المتقدمة لا تكمل الا به والسماء
جرم ثقيل وما كان كذلك لا بد له من السقوط لولا مانع يمنع منه وهو القدرة فامسكها الله
بقدرته لئلا تسقط فتبطل النعم التي امتن بها علينا الا باذنه اي بارادته ومشيته وذلك يوم
القيامة والظاهر انه استثناء مفرغ من اعم الاحوال وهو لا يقع في الكلام الموجب الا ان قوله
ويمسك السماء ان تقع على الارض في قوة النفي اي لا يتركها تقع في حالة من الاحوال الا في حالة
كونها ملتبسة بمشيته تعالى فالباء للملابسة ان الله بالناس لرءوف رحيم اي كثير الرافة
والرحمة حيث سخر هذه الامور لعباده وهيأ لهم اسباب المعاش وامسك السماء ان تقع على الارض
فتهلكهم تفضلا منه على عباده وانعاما عليهم ثم ذكر سبحانه نعمة اخرى سادسة فقال
وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا بل لم تكونوا شيئا ثم يميتكم عند القضاء اعماركم ثم
يحييكم عند البعث للحساب والعقاب ان الانسان لكفور لكثير الجحود لنعم الله عليه
مع كونها ظاهرة غير مستترة ولا ينافي هذا خروج بعض الافراد عن هذا الجحود لان المراد
وصف جميع الجنس بوصف من يوجد فيه ذلك من افراده مبالغة وعن الحسن في قوله كفور
قال يعد المصيبات وينسى النعم ثم عاد سبحانه الى بيان امر التكاليف مع الزجر لمعاصري رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اهل الاديان عن منازعته فقال لكل امة جعلنا منسكا اي لكل قرن من القرون
الماضية والباقية وضعنا شريعة خاصة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى
شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقيل عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع
عبادة هم ناسكوه الضمير لكل امة اي تلك الامة هي العاملة به لا غيرها فكانت التوراة منسك
الامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى والانجيل منسك الامة التي كانت من مبعث
عيسى الى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والقران منسك المسلمين الى يوم القيامة والمنسك مصدر لا
اسم مكان كما يدل عليه هم ناسكوه ولم يقل ناسكون فيه وقيل هو الذبائح ولا وجه للتخصيص ولا
اعتبار بخصوص السبب فلا ينازعنك في الامر الفاء لترتيب النهي على ما قبله والضمير راجع
الى الامم الباقية اثارهم يعني قد عينا لكل امة شريعة ومن جملة الامم هذه الامة المحمدية وذلك
موجب لعدم منازعة من بقي منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومستلزم لطاعتهم اياه في امر الدين

والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى نزاعهم له قال الزجاج
انه نهي له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم اي لا تنازعهم انت كما تقول لا يخاصمك فلان اي لا تخاصمه
وكما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وذلك ان المفاعلة تقتضي العكس ضمنا ولا يجوز لا يضربنك
فلان وانت تريد لا تضربه وحكي عن الزجاج انه قال في معنى الآية فلا ينازعنك اي فلا يجادلنك
قال ودل على هذا وان جادلوك وقرئ فلا ينزعنك في الامر اي لا يستخفنك ولا يغلبنك
على دينك وقرأ الجمهور فلا ينازعنك من المنازعة كما تقدم وقال ابن عباس هم ناسكوه اي
ذابحوه فلا ينازعنك في الامر اي في الذبح وعن عكرمة ومجاهد نحوه وعن مجاهد قال قول
اهل الشرك اما ما ذبح الله بيمينه فلا تأكلوه واما ما ذبحتم بايديكم فهو حلال وادع هؤلاء
المنازعين او ادع الناس على العموم الى دين ربك وتوحيده والايمان به انك لعلى هدى
اي طريق مستقيم لا اعوجاج فيه وان جادلوك اي وان ابوا الا الجدال بعد البيان لهم وظهور الحجة
عليهم فقل الله اعلم بما تعملون فكل امرهم الى الله وقل لهم هذا القول المشتمل على الوعيد
الله يحكم بينكم اي بين المسلمين والكافرين يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون من امر
الدين فيتبين حينئذ الحق من الباطل وفي هذه الآية تعليم لهذه الامة بما ينبغي لهم ان يجيبوا به من
اراد الجدال بالباطل وقيل انها منسوخة باية السيف وهذا انما يصح اذا كان المراد من قوله
ان جادلوك الكف عن قتالهم وهو غير متعين بل يصح ان يكون المعنى فاترك جدالهم وفوض
الامر الى الله فيكون هذا وعيدا لهم على اعمالهم وهذا المعنى لا تنسخه اية السيف بل هو باق
بعد مشروعية القتال لعدم المنافاة الم تعلم كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبلها والاستفهام
للتقرير اي قد علمت يا محمد وتيقنت ان الله يعلم ما في السماء والارض ومن جملة ذلك
ما انتم عليه من الاختلاف ان ذلك الذي في السماء والارض من معلوماته في كتاب اي
مكتوب عنده في ام الكتاب اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال خلق الله اللوح
المحفوظ مسيرة مائة عام وقال للقلم قبل ان يخلق الخلق وهو على عرشه اكتب قال ما اكتب قال
علمي في خلقي الى يوم تقوم الساعة فجرى القلم بما هو كائن في علم الله الى يوم القيامة فذلك
قوله سبحانه للنبي صلى الله عليه وسلم الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض يعني ما في السموات السبع

والارضين السبع ان ذلك العلم في كتاب يعني في اللوح المحفوظ مكتوب قبل ان يخلق السموات
والارضين إِنَّ ذَٰلِكَ يعني ان الحكومة منه سبحانه بين عباده فيما يختلفون فيه عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
اي هين او ان احاطة علمه بما في السماء والارض جملة وتفصيلا يسير عليه وان تعذر على الخلق
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا هذا حكاية لبعض فضائحهم اي انهم يعبدون
اصناما لم يتمسكوا في عبادتها بحجة نيرة من الله سبحانه فهو نفي للدليل السمعي وَمَا لَيْسَ لَهُم
بِهِ عِلْمٌ من دليل عقلي يدل على جواز ذلك بوجه من الوجوه وَمَا لِلظَّالِمِينَ بالاشراك مِن
نَّصِيرٍ ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله وقد تقدم الكلام على هذه الآية في آل عمران وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا من القرآن بَيِّنَاتٍ اي حال كونها واضحات ظاهرات الدلالة تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ اي الامر الذي ينكر وهو غضبهم وعبوسهم عند سماعها والمراد
بالمنكر الانكار اي تعرف في وجوههم انكارها والمنكر مصدر وقيل هو التجبر والترفع وهذا
من ايقاع الظاهر موقع المضمر للشهادة عليهم بوصف الكفر يَكَادُونَ يَسْطُونَ السطو
والبطش والسطوة شدة البطش يقال سطى به يسطو اذا بطش به بضرب او شتم او اخذ
باليد واصل السطو القهر وقال ابن عباس اي يبطشون بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وهو
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم والجملة مستانفة كانه قيل ما ذلك المنكر الذي يعرف
في وجوههم فقيل يكادون يسطون وهكذا ترى اهل البدع المضلة اذا سمع الواحد منهم
ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز او من السنة الصحيحة مخالفا لما اعتقده من الباطل
والضلالة رايت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من ان يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا
يفعله بالمشركين وقد راينا وسمعنا من ذلك من اهل البدع ما لا يحيط به الوصف والله
ناصر الحق ومظهر الدين ومدحض الباطل ودامغ البدع وحافظ المتكلمين بما اخذه عليهم
المبينين للناس ما نزل اليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل ثم امر رسوله ان يرد عليهم فقال قُلْ
أَفَأُنَبِّئُكُم اي اخبركم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ الذي فيكم من الغيظ على من يتلو عليكم آيات الله و
ومقاربتكم للوثوب هو النَّارُ التي وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وقيل المعنى افاخبركم بشر
مما يلحق تالي القرآن منكم من الاذى والتوعد لهم والتوثب عليهم وقرئ النار

بالحركات الثلاث وبئس المصير اي الموضع الذي يصيرون اليه وهو النار يا ايها الناس
ضرب مثل هذا متصل بقوله ويعبدون من دون الله وانما قال ضرب مثل لان حجج الله
عليهم بضرب الامثال لهم اقرب الى افهامهم قال ابن عباس نزلت في صنم قال الاخفش ليس
ثم مثل وانما المعنى ضربوا لي مثلا قال النحاس المعنى ضرب الله عز وجل لما يعبدونه من دونه مثلا قال
وهذا من احسن ما قيل فيه اي بين الله لكم شبها ولمعبودكم وقال القتيبي معنى ضرب مثل
اي عبدت آلهة لم تستطع ان تخلق ذبابا واصل المثل جملة من الكلام متلقاة بالرضاء والقبول
مسيرة في الناس مستغربة عندهم وجعلوا مضربها مثلا لموردها ثم قد يستعيرونها
للقصة او الحالة او الصفة المستغربة لكونها مماثلة لها في الغرابة كهذه القصة المذكورة في هذه
الآية فاستمعوا له اي لضرب هذا المثل وتدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل
لا ينفع والمعنى ان الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم غيره فكانه قال جعلوا لي شبيها في عبادتي
فاستمعوا خبر هذا الشبه ثم بين حالها وصفتها فقال ان الذين تدعون من دون الله المراد
بهم الاصنام التي كانت حول الكعبة وغيرها وقيل المراد بهم السادة الذين صرفوهم عن طاعة
الله لكونهم اهل الحل والعقد فيهم وقيل الشياطين الذين حملوهم على معصية الله والاول اوفق
بالمقام واظهر في التمثيل لن يخلقوا ذبابا واحدا مع ضعفه وصغره وقلته وهو اسم للواحد يطلق
على الذكر والانثى وجمع القلة اذبة والكثرة ذبان بالكسر مثل غراب واغربة وغربان وبالضم
كقضبان وقال الجوهري الذباب معروف الواحد ذبابة وسمي ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره
آب لاستكبائه ولن لتاكيد النفي في المستقبل وتاكيده هنا للدلالة على ان خلق الذباب منهم
مستحيل كانه قال محال ان يخلقوا وتخصيص الذباب لمهانته واستقذاره والمعنى لن يقدروا
على خلقه مع كونه صغير الجسم حقير الذات وهو اجهل الحيوانات لانه يرمي نفسه في المهلكات
ومدة عيشه اربعون يوما واصل خلقته من العفونات ثم يتولد بعضه من بعض يقع
روثه على الشيء الابيض فيرى اسود وعلى الاسود فيرى ابيض ولو اجتمعوا له اي لخلق الذباب
والتقييد بلن يخلقوه على كل حال ولو في هذه الحالة المقتضية لجمعهم فكانه تعالى قال ان هذه
الاصنام ان اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة على ضعفها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا كما اشار اليه

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي ما قدموا من الأعمال وما يتركونه من الخير والشر كقوله
تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم وقيل ما مضى وما هو آت وقيل ما عملوا وما سيعملوه أو أمر الدنيا
وأمر الآخرة وإلى الله لا إلى غيره ترجع الأمور لما تضمن ما ذكره من أن الأمور ترجع إليه الزجر
لعباده عن معاصيه والحض لهم على طاعاته صرح بالمقصود فقال يا أيها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا أي صلوا الصلوة التي شرعها الله لكم لأن الصلوة لا تكون إلا بالركوع والسجود وخص
الصلوة لكونها أشرف العبادات ثم عمم فقال واعبدوا ربكم أي افعلوا جميع أنواع العبادة
التي أمركم الله بها وقيل وحدوه وافعلوا الخير أي ما هو خير وهو أعم من الطاعة الواجبة
والمندوبة وقيل المراد بالخير هنا المندوبات ثم علل ذلك بقوله لعلكم تفلحون أي إذا فعلتم
هذه كلها رجوتم الفلاح وفي هذه الإشارة إلى أن دخول الجنة ليس مرتباً على هذه الأعمال
بل هذه أمور كلفنا الله بها شرعاً وأما قبولها فشيء آخر يتفضل الله به علينا وهذه الآية من
مواطن سجود التلاوة عند الشافعي ومن وافقه لا عند أبي حنيفة ومن قال بقوله وقد تقدم
أن هذه السورة فضلت بسجدتين وهذا دليل على ثبوت السجود عند تلاوة هذه الآية وقد
اختلف في عدد سجود التلاوة فذهب أكثر أهل العلم إلى أنها أربعة عشر سجدة وفي الحج سجدتان
وأسقط الشافعي سجدة ص وقال أبو حنيفة في الحج سجدة وأثبت سجدة ص وقيل خمس عشرة سجدة
وقال قوم ليس في المفصل سجدة فعلى هذا يكون إحدى عشرة سجدة وسجود التلاوة سنة عند
الشافعي وواجب عند أبي حنيفة ودلائل الأقوال مبسوطة في مواطنها ثم أمرهم بما هو سنام الدين
وأعظم أعماله فقال وجاهدوا في الله أي في ذاته ومن أجله والمراد به الجهاد الأكبر وهو الغزو
للكفار ومدافعتهم إذا غزوا بلاد المسلمين وقيل المراد بالجهاد هنا امتثال ما أمرهم الله به
في الآية المتقدمة وامتثال جميع ما أمر به ونهى عنه على العموم ومعنى حق جهاده للمبالغة
في الأمر بهذا الجهاد باستفراغ الطاقة لأنه أضاف الحق إلى الجهاد والأصل إضافة الجهاد إلى
الحق أي جهاداً خالصاً لله فعكس ذلك لقصد المبالغة وأضاف الجهاد إلى الضمير اتساعاً أو لاختصاصه
به سبحانه من حيث كونه مفعولاً له ومن أجله وقيل المراد بحق جهاده هو أن لا يخافوا في الله
لومة لائم وقيل المراد به استفراغ ما في وسعهم في إحياء دين الله وقال مقاتل والكلبي إن الآية

منسوخة بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم كما ان قوله اتقوا الله حق تقاته منسوخ بذلك ورد
ذلك بان التكاليف مشروط بالقدرة فلا حاجة الى المصير الى النسخ عن عبد الرحمن بن عوف
قال قال لي عمر ألسنا كنا نقرأ فيما نقرأ وجاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في اوله
قلت بلى فمتى هذا يا امير المؤمنين قال اذا كانت بنو امية الامراء وبنو المغيرة الوزراء واخرج الترمذي
وصححه وابن حبان عن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه
في طاعة الله ثم عظم سبحانه شان المكلفين بقوله هو اجتباكم اي اختاركم لدينه وفيه تشريف
لهم عظيم ثم لما كان في التكاليف مشقة على النفس في بعض الحالات قال وما جعل عليكم في الدين
من حرج اي من ضيق وشدة وقد اختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله فقيل هو ما احله
الله من النساء مثنى وثلث ورباع وملك اليمين وقيل المراد قصر الصلوة والافطار للمسافر والصلوة
بالايماء على من لا يقدر على غيره واسقاط الجهاد عن الاعرج والاعمى والمريض واكل الميتة عند الضرورة
واغتفار الخطأ في تقديم الصيام وتاخيره لاختلاف الاهلة وكذا في الفطر والاضحى وقيل المعنى انه
سبحانه ما جعل عليهم حرجا بتكليف ما يشق عليهم ولكن كلفهم بما يقدرون عليه ورفع عنهم
التكاليف التي فيها حرج فلم يتعبدهم بها كما تعبد بها بني اسرائيل وقيل المراد بذلك انه جعل لهم
من الذنب مخرجا بفتح باب التوبة وقبول الاستغفار والتكفير فيما شرع فيه الكفارة والارش او القصاص
في الجنايات ورد المال او مثله او قيمته في الغصب ونحوه فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد فيه
سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب وقيل المراد الدين التوحيد ولا حرج فيه بل فيه
تخفيف فانه يكفر ما قبله من الشرك وان امتد ولا يتوقف الاتيان به على زمان او مكان معين
وفي القرطبي قال العلماء رفع الحرج انما هو لمن استقام على منهاج الشرع واما السراق واصحاب
الحدود فعليهم الحرج وهم جاعلوه على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع اعظم حرجا من
الزام ثبات رجل لاثنين في سبيل الله لكنه مع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج انتهى والمعنى
الاول اولى والظاهر ان الاية اعم من هذا كله فقد حط سبحانه ما فيه مشقة من التكاليف
على عباده اما باسقاطها من الاصل وعدم التكليف بها كما كلف بها غيرهم او بالتخفيف وتجويز
العدول الى بدل لا مشقة فيه او بمشروعية التخلص عن الذنب بالوجه الذي شرعه الله وما انفع

هذه الآية عام محل موقعها واعظم فائدتها ومثلها قوله سبحانه فاتقوا الله ما استطعتم وقوله
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين
من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وفي الحديث الصحيح انه سبحانه قال قد فعلت كما سبق بيانه
في تفسير هذه الآية والاحاديث في هذا كثيرة وعن عايشة انها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه
الآية فقال الضيق وقال ابو هريرة لابن عباس اما علينا في الدين من حرج في ان نسرق او نزني
قال بلى قال فما هذه الآية قال الاصر الذي كان على بني اسرائيل وضع عنكم وعن ابن عباس
قال من حرج توسعة الاسلام ما جعل الله من التوبة والكفارات وعنه قال هذا في هلال
رمضان اذا شك فيه الناس وفي الحج اذا شكوا في الاضحى وفي الفطر واشباهه وعنه سئل عن
الحرج فقال ادع لي رجلا من هذيل فجاءه فقال ما الحرج فيكم قال الحرجة من الشجر التي ليس
فيها مخرج فقال ابن عباس الذي ليس له مخرج وفي لفظ قال الهذيلي للنبي الضيق قال هو ذاك
وعن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال ادع لي رجلا من بني مدلج وقال ما الحرج فيكم قال
الضيق مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم قاله الزمخشري وقال الزجاج
المعنى اتبعوا ملة ابيكم وبه قال الحوفي واتبعه ابو البقاء وقال الفراء كملة ابيكم وقيل التقدير
وافعلوا الخير كفعل ابيكم ابراهيم فاقام الملة مقام الفعل وقيل النصب على الاغراء وقيل على
الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم وانما جعله سبحانه اباهم لانه ابو العرب قاطبة ولان له
عند غير العرب الذين لم يكونوا من ذريته حرمة عظيمة كحرمة الاب على الابن لكونه ابا نبيهم صلى الله
عليه وسلم قال السدي ملة ابيكم اي دين ابيكم هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ اي قبل نزول القرآن
في الكتب المتقدمة قال ابن عباس الله عز وجل سماكم وروي نحوه عن جماعة من التابعين و
اخرج احمد والبخاري في تاريخه والترمذي وصححه والنسائي والبيهقي وغيرهم عن الحارث
الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعى بدعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم قال
رجل يا رسول الله وان صام وصلى قال نعم فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين والمؤمنين
عباد الله وقيل ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعني ابراهيم سماكم المسلمين في ايامه من قبل
هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله

دعاءه فينا وفي هذا اي في حكمه ان من اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم فهو مسلم قال النحاس وهذا
القول مخالف لقول علماء الامة وقيل اي في القران يعني فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا
الاسم الاكرم ثم علل سبحانه ذلك بقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم يوم القيامة بتبليغه
اليكم وتكونوا انتم شهداء على الناس ان رسلهم قد بلغتهم فان تسمية الله او ابراهيم لهم
حكم باسلامهم وعدالتهم وهو سبب لقبول شهادة الرسول الداخل فيهم دخولا اوليا وقبول
شهادتهم على الامم قاله الشهاب وقد تقدم بيان معنى هذه الاية في البقرة ثم امرهم بما هو اعظم
الاركان الاسلامية فقال فاقيموا الصلوة بواجباتها وداوموا عليها واتوا الزكوة بشرائطها
وتخصيص الخصلتين بالذكر لمزيد شرفهما واعتصموا بالله اي اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون
والتجوا اليه في جميع احوالكم ولا تطلبوا ذلك الا منه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة
وقيل تمسكوا بدين الله وقيل ثقوا به تعالى في مجامع اموركم هو مولكم اي ناصركم ومتولي
اموركم دقيقها وجليلها فنعم المولى هو ونعم النصير اي الناصر لكم هو يعني لا مماثل له في الولاية لاموركم والنصرة على اعدائكم

سورة المؤمنين

قال القرطبي كلها مكية في قول الجميع اي بلا خلاف واياتها مائة وتسع عشرة اية عند
البصريين ومائة وثماني عشرة اية عند الكوفيين وسبب هذا الاختلاف في قوله ثم ارسلنا موسى
واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين هل هو اية او بعض اية وقد اخرج احمد ومسلم
وابوداود والترمذي وابن ماجة وغيرهم عن عبدالله بن السائب قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة الصبح فاستفتح سورة المؤمنين حتى اذا جاء ذكر موسى وهارون او ذكر عيسى اخذته
سعلة فركع واخرج البيهقي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله الجنة
قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون وقد ورد في فضائل العشر الايات من اول هذه السورة ما سياتي قريبا

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون

قال الفراء قد للتأكيد فلاحهم وإفادة ثبوت ما كان يتوقع الثبوت من قبل ولتقريب الماضي من الحال الآتي هو يقولون قد قامت الصلوة قبل حال قيامها والمعنى ان الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه في الحال والفلاح الظفر بالمراد والفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء في الخير ويقال أفلح اذا دخل في الفلاح ويقال أفلحه اذا أصاره الى الفلاح وقد تقدم معنى الفلاح في البقرة وقرئ أُفلح بناء للمفعول وقرئ أفلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وقد اخرج احمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن عمر بن الخطاب قال كان اذا انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكثنا ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا ثم قال لقد انزل علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وفي اسناده يونس بن سليم قال النسائي لا نعرفه وعن يزيد بن بابنوس قال قلنا لعائشة كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن ثم قالت تقرأ سورة المؤمنين اقرأ قد أفلح المؤمنون حتى بلغ العشر فقالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وما عطف عليه والخشوع منهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث وهو في اللغة السكون والتواضع والخوف والتذلل وقد اختلف الناس في الخشوع هل هو من فرائض الصلوة او من فضائلها على قولين قيل الصحيح الاول وقيل الثاني وادعى عبد الواحد بن زيد اجماع العلماء على انه ليس للعبد الا ما عقل من صلاته حكاه النيسابوري في تفسيره قال ومما يدل على صحة هذا القول قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قال اقم الصلوة لذكري والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال ولا تكن من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون نهي للسكران والمستغرق في هموم الدنيا بمنزلته اخرج البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبئت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت الذين هم في صلاتهم خاشعون

وزاد عبد الرزاق فامره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده واخرج الحاكم وصححه والبيهقي في
في سننه عن ابي هريرة كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فانزلت هذه الآية فطأطأ رأسه
وعن علي قال الخشوع في القلب وان تلين كنفك للمرء المسلم وان لا تلتفت في صلاتك
وقال ابن عباس خاشعون خائفون ساكنون وقيل خاضعون بالقلب ساكنون بالجوارح
فلا يلتفتون يمينا ولا شمالا وهذا من فروض الصلوة عند الغزالي وذهب بعضهم الى انه ليس بواجب
لان اشتراط الخضوع والخشوع مخالف لاجماع الفقهاء فلا يلتفت اليه وقد ورد في مشروعية
الخشوع في الصلوة والنهي عن الالتفات وعن رفع البصر الى السماء احاديث معروفة في كتب الحديث
والذين هم عن اللغو معرضون قال الزجاج اللغو هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية وما لا يجمل
من القول والفعل وقد تقدم تفسيره في البقرة وقال الضحاك ان اللغو هنا الشرك وقال الحسن
انه المعاصي كلها وقيل هو معارضة الكفار بالسب والشتم وقال ابن عباس اللغو الباطل وقيل
المراد باللغو كل ما كان حراما او مكروها او مباحا لم تدع اليه ضرورة ولا حاجة والمعنى ان لهم من
الجد ما شغلهم من الهزل وفي وصفهم بالخشوع اولا وبالاعراض ثانيا جمع لهم الفعل والترك
الشاقين على الانفس الذين هما قاعدتا بناء التكليف ومعنى اعراضهم عنه تجنبهم له وعدم التفاتهم
اليه وظاهره اتصافهم بصفة الاعراض عن اللغو في كل الاوقات فيدخل وقت الصلوة
في ذلك دخولا اوليا كما تفيده الجملة الاسمية والذين هم للزكوة فاعلون اي يؤدونها فعبر
عن التادية بالفعل لانها مما يصدق عليه الفعل او المراد بالزكوة هنا المصدر
لانه الصادر عن الفاعل وقيل يجوز ان يراد بها العين على تقدير مضاف اي والذين هم
لتادية الزكوة فاعلون اي مؤدون والذين هم لفروجهم حافظون الفرج يطلق على فرج الرجل والمرأة فهو
اسم سوأتيهما والمراد بحفظهم لها انهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحل لهم وقيل المراد هنا الرجال خاصة دون النساء
بدليل قوله الا على ازواجهم [illegible] للاجماع على انه لا يحل للمرأة ان يطأها من تملكه قال الفراء على بمعنى من
وقال الزجاج المعنى انهم لا يلامون في اطلاق ما حظر عليهم فامروا بحفظه الا على ازواجهم ودل على
المحذوف ذكر اللوم في آخر الآية وقيل ان الاستثناء من نفي الارسال المفهوم من الحفظ اي لا يرسلونها على
الا على ازواجهم وقيل يلامون على كل مباشرة الا على ما احل لهم فانهم غير ملومين عليه وقيل

المعنى الا والين على ازواجهم وقوامين عليهن من قولهم كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان قاله الزمخشري والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم وقيل على بمعنى من واليه ذهب الفراء وجملة أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ في محل جر وما مصدرية والمراد بذلك الاماء وعبر عنهن بما التي لغير العقلاء لانه اجتمع فيهن الانوثة المنبئة عن قصور العقل وجواز البيع والشراء فيهن كسائر السلع فاجراهن بهذين الامرين مجرى غير العقلاء ولهذا اتباع كما تباع البهائم والمراد الاماء والجواري والاية في الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها وعن القاسم بن محمد انه سئل عن المتعة فقال اني لا ارى تحريمها في القرآن ثم تلى هذه الاية فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ في اتيانهن بجماع او غيره تعليل للاستثناء مما لا يجب عليهم حفظ فروجهم منه فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ أي سوى ذَلِكَ من الزوجات وملك اليمين وقال الزجاج ما بعد ذلك فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ أي المجاوزون الى ما لا يحل لهم فسمى سبحانه من نكح ما لا يحل عاديا وقد دلت هذه الاية على تحريم نكاح المتعة واستدل بها بعض اهل العلم على تحريم الاستمناء لانه من الوراء لما ذكر فهو حرام عند الجمهور وقد جمع شيخنا الشوكاني في ذلك رسالة سماها بلوغ المنى في حكم الاستمنا و ذكر فيها ادلة المنع والجواز وترجيح الراجح منهما وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ قرئ بالجمع وقرأ ابن كثير بالافراد والامانة ما يؤتمنون عليه وَعَهْدِهِمْ هو ما يعاهدون عليه من جهة الله سبحانه او من جهة عباده وقد جمع العهد والامانة كل ما يتحمله الانسان من امر الدين والدنيا فلا يرد ما يقال كيف حكم على الموصوفين بالصفات السبعة بالفلاح مع انه تعالى لم يتمم ذكر العبادات الواجبة كالصوم والحج والامانة اعم من العهد فكل عهد امانة رَاعُونَ اي حافظون والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ قرأ الجمهور بالجمع ومن قرأ بالافراد فقد اراد اسم الجنس وهو في معنى الجمع يُحَافِظُونَ المحافظة على الصلوة اقامتها و المحافظة عليها في اوقاتها واتمام ركوعها وسجودها وقراءتها والمشروع من اذكارها عن ابن مسعود انه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلوة في القرآن الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون قال ذلك على مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك الا على تركها قال تركها كفر

وقد وصفهم اولاً بالخشوع في الصلوة واخراً بالمحافظة عليها فلا لبس في الآية تكرار والطهارات
دخلت في جملة المحافظة على الصلوات لكونها من شرائطها ثم مدح سبحانه هؤلاء فقال أُولَٰئِكَ
هُمُ الْوَارِثُونَ اي الاحقاء بان يسموا بهذا الاسم دون غيرهم لان ضمير الفصل يدل على التخصيص و
الحصر اضافي لا حقيقي لانه ثبت ان الجنة يدخلها الاطفال والمجانين والولدان والحور ويدخلها
الفساق من اهل القبلة بعد العفو لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قاله الكرخي ثم بين
الموروث بقوله الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ لغة رومية معربة وقيل فارسية وقيل حبشية
وقيل عربية وهو اوسط الجنة واعلى الجنان كما صح تفسيره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
ان من عمل بما ذكر في هذه الآيات فهو الوارث الذي يرث من الجنة ذلك المكان وهذا بيان لما
يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها وتفخيم لها ورفع لمحلها وهي استعارة
لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل المعنى انهم
يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فرتوها على انفسهم لانه سبحانه خلق لكل انسان منزلا في الجنة
ومنزلا في النار وعن ابي هريرة قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم التي اعدت لهم لو اطاعوا الله وعنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات
ودخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله اولئك هم الوارثون اخرجه ابن ماجة وسعيد
بن منصور وابن جرير وابن المنذر والبيهقي وغيرهم واخرج الترمذي وقال حسن صحيح وعبد بن حميد
عن انس فذكر قصة وفيها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها
ويدل على هذه الوراثة المذكورة هنا قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وقوله
تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وشهد لحديث ابي هريرة هذا ما في صحيح مسلم عن ابي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على
اليهود والنصارى وفي لفظ له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا
او نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ حالية او مستانفة لا محل لها ومعنى الخلود
انهم يدومون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون فيها وتانيث الضمير مع انه راجع الى الفردوس لانه بمعنى
الجنة ولما حث الله سبحانه عباده على العبادة ووعدهم الفردوس على فعلها عاد الى تقرير المبدأ والمعاد

ليتمكن ذلك في نفوس المكلفين فان الابتداء في العادة اصعب من الاعادة لقوله وهو اهون عليه وجملة ما ذكره من الدلائل انواع اربعة الاول الاستدلال بتقلب الانسان في اطوار الخلقة وهي تسعة آخرها مبعوثون الثاني خلق السموات بقوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق الثالث انزال الماء بقوله وانزلنا من السماء ماء الرابع الاستدلال باحوال الحيوانات بقوله وان لكم في الانعام لعبرة واحوال الحيوان اربعة مذكورة في الآية فقال ولقد اي والله لقد خلقنا الانسان اي الجنس لانهم مخلوقون في ضمن خلق ابيهم آدم وقيل المراد به آدم من سلالة فعالة من السل وهو استخراج الشيء من الشيء والسلالة الخالصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمي التراب الذي خلق آدم منه سلالة لانه سل من كل تربة يقال سللت الشعرة من العجين والسيف من الغمد فانسل فالنطفة سلالة والولد سليل وسلالة ايضا وقيل السلالة الطين اذا عصرته انسل من بين اصابعك فالذي يخرج هو السلالة قاله الكلبي وعن ابن عباس قال السلالة صفو الماء الرقيق الذي يكون منه الولد وعن ابن مسعود قال ان النطفة اذا وقعت في الرحم طارت في شعر وظفر فيمكث اربعين يوما ثم ينحدر في الرحم فيكون علقة وللتابعين في تفسير السلالة اقوال قد قدمنا الاشارة اليها اي سلالة كائنة من طين من للبيان والمعنى انه سبحانه خلق جوهر الانسان اولا من طين لان الاصل آدم وهو من طين خالص واولاده من طين ومني ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده الذين هم بنو آدم وجعلنا نسله على حذف مضاف ان اريد بالانسان آدم نطفة وقد تقدم تفسير النطفة في سورة الحج وكذلك تفسير العلقة والمضغة في قرار مكين المراد به الرحم وعبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة واختلاف العواطف بثم والفاء لتفاوت الاستحالات يعني ان بعضها مستبعد حصوله مما قبله وهو المعطوف بثم فجعل الاستبعاد عقلا ورتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي لان حصول النطفة من اجزاء ترابية غريب جدا وكذا جعل النطفة البيضاء دما احمر بخلاف جعل الدم لحما مشابها له في اللون والصورة وكذا تصليبها حتى تصير عظما لانه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد وكذا مد لحم المضغة عليه ليستره فسقط ما قيل ان الوارد في الحديث ان مدة كل استحالة اربعون يوما وذلك يقتضي عطف الجميع بثم ان نظر لآخر المدة واولها او يقتضي العطف بالفاء ان نظر لآخرها فقط ثم خلقنا النطفة علقة اي انه سبحانه احال النطفة

البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة اي قطعة لحم غير مخلقة فخلقنا المضغة اي غالبها
او كلها قولان حكاهما ابو السعود عظاما اي متصلبة لتكون عمود البدن على اشكال مخصوصة
فكسونا العظام لحما يعني انبت الله سبحانه على كل عظم لحما على المقدار الذي يليق به ويناسبه
ثم انشأناه خلقا آخر مباينا للخلق الاول اي نفخنا فيه الروح بعد ان كان جمادا قاله ابن عباس
وبه قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وابو العالية والربيع بن انس والسدي والضحاك وابن
زيد واختاره ابن جرير وقيل اخرجناه الى الدنيا وقيل هو نبات الشعر وقيل خروج الاسنان
قاله ابن عباس وقيل تكميل القوى المخلوقة فيه وقيل كمال شبابه وقيل ان ذلك تصريف
احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشي الى الفطام الى ان يأكل
ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها والصحيح انه عام في هذا وفي غيره من النطق
والادراك وحسن المحاولة وتحصيل المعقولات الى ان يموت قال الكرخي المعنى حولنا النطفة عن صفاتها
الى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين فتبارك الله اي استحق التعظيم والثناء وقيل مأخوذ من
البركة اي كثر خيره وبركته احسن الخالقين اي المصورين والخلق في اللغة التقدير يقال خلقت
الاديم اذا قسته لتقطع منه شيئا فمعناه اتقن الصانعين المقدرين خلقا في الظاهر والا فالله خالق
الكل عن صالح ابي الخليل قال لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ختمت بالذي
تكلمت به يا عمر وعن انس قال قال عمر وافقت ربي في اربع قلت يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فانزل
الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجابا فانه يدخل عليك
البر والفاجر فانزل الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب وقلت لازواج النبي صلى الله عليه وسلم
لتنتهن او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن فنزلت عسى ربه ان طلقكن الآية ونزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة الى قوله انشأناه خلقا آخر فقلت فتبارك الله احسن الخالقين اخرجه الطيالسي
وابن ابي حاتم وابن مردويه وابن عساكر وعن زيد بن ثابت قال املى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الآية ولقد خلقنا الانسان الآية فقال معاذ بن جبل فتبارك الله احسن الخالقين فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له معاذ مم ضحكت يا رسول الله قال بها ختمت وفي اسناده جعفر الجعفي
وهو ضعيف جدا قال ابن كثير وفي خبره هذا نكارة شديدة وذلك ان هذه السورة مكية وزيد

بن ثابت انما كتب الوحي بالمدينة وكذلك اسلام معاذ انما كان بالمدينة والله تعالى اعلم
ثم انكم بعد ذلك في الامور المتقدمة لميتون اي لصائرون الى الموت لا محالة ثم انكم
يوم القيامة تبعثون من قبوركم الى المحشر للحساب والجزاء والعقاب ولقد خلقنا فوقكم
سبع طرائق اللام جواب قسم محذوف والجملة مبتدأة مشتملة على بيان خلق ما يحتاجون اليه
بعد بيان خلق انفسهم والمراد بالفوق جهة العلو من غير اعتبار فوقيه لهم لان تلك النسبة
انما تعرض لهم بعد خلقهم ووقت خلق السموات لم يكونوا مخلوقين ولم تكن هي فوقنا بل خلقن
بعد قاله الحفناوي والطرائق هي السموات قال الخليل والفراء والزجاج سميت طرائق لانها
طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة قاله البيضاوي وقال
ابو عبيدة طارقت الشيء جعلت بعضه فوق بعض والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة وقيل
لانها طرائق الملائكة في العروج والهبوط والطيران قاله الرازي وقيل لانها طرائق الكواكب و
متقلباتها وما كنا عن الخلق غافلين المراد بالخلق هنا المخلوق اي وما كنا عن هذه السبع
الطرائق وحفظها عن ان تقع على الارض بغافلين وقال اكثر المفسرين المراد الخلق كلهم بل
حفظنا السموات عن ان تسقط وحفظنا من في الارض ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم
او تميد بهم الارض او يهلكون بسبب من الاسباب المستاصلة لهم ويجوز ان يراد نفي الغفلة
عن القيام بمصالحهم وما يعيشهم ونفي الغفلة عن حفظهم وعن اعمالهم واقوالهم وانزلنا
من السماء ماء هذا من جملة ما امتن الله سبحانه به على خلقه والمراد بالماء ماء المطر فان
به حياة الارض وما فيها من الحيوان ومن جملة ذلك ماء الانهار النازل من السماء والعيون والابار
المستخرجة من الارض فان اصلها من ماء السماء وقيل ماء اي عذبا والا فالاجاج ثابت في الارض
مع القحط والعذب يقل مع القحط ولا وجه لذلك ايضا فليس في الارض ماء الا وهو من السماء
وفي الاحاديث ان الماء كان موجودا قبل خلق السموات والارض ثم جعل الله منه في السماء
ماء وفي الارض ماء كذا في البحر ومن ابتدائية وتقديمها على المفعول الصريح للاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد
كونها بصفة العلو بقدر اي بتقدير منا لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما يكونون به

صلاح الزرائع والثمار والشرب فانه لو كثر لكان به هلاك ذلك ومثله قوله تعالى وان من شيء
الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ اي جعلناه ساكنا مستقرا ثابتا
فيها بعضه على ظهرها وبعضه في بطنها ينتفعون به وقت حاجتهم اليه كالماء الذي يبقى في
المستنقعات والغدران ونحوها عند انقطاع المطر واخرج ابن مردويه والخطيب قال السيوطي بسند
ضعيف عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل الله من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون وهو
نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله من عين
واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل فاستودعها
الجبال واجراها في الارض وجعلها منافع للناس في اصناف معايشهم فذلك قوله وانزلنا
من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل
فرفع من الارض القرآن والعلم والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه
الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فاذا رفعت هذه
الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدنيا والآخرة قال البغوي رواه الحسن بن سفيان بالاجازة عن
سعيد بن سابق الاسكندري عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس والمعنى كما قدرنا
على انزاله فنحن قادرون على ان نذهب به بوجه من الوجوه اما بالافساد واما بالتصعيد واما بالتعميق والتغوير
في الارض ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى وفي هذا تهديد شديد لما يدل عليه من قدرته سبحانه
على اذهابه وتغويره حتى يهلك الناس بالعطش وتهلك مواشيهم ومثله قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم
غورا فمن ياتيكم بماء معين ثم بين سبحانه ما يتسبب عن انزال الماء فقال فَأَنشَأْنَا لَكُم اي اوجدنا لكم
بِهِ اي بذلك الماء جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ انما افردهما بالذكر لكثرة منافعهما فانهما يقومان
مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا وقيل اقتصر سبحانه عليهما لانهما الموجودة في الطائف والمدينة
وما يتصل بذلك كذا قال ابن جرير وقيل لانهما اشرف الاشجار ثمرة واطيبها منفعة وطعما ولذة لَّكُمْ فِيهَا
اي في هذه الجنات فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ تتفكهون بها وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وتطعمون منها شتاء وصيفا وقيل
المعنى ومن هذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعاشكم كقولهم فلان ياكل من حرفة كذا وهو بعيد وقيل
المعنى ان لكم فيها فواكه من غير العنب والنخيل وقيل المعنى لكم في هذين النوعين خاصة فواكه لان فيهما

انواعاً مختلفة متفاوتة في الطعم واللون وقد اختلف اهل الفقه في لفظ الفاكهة على ماذا يطلق
اختلافاً كثيراً واحسن ما قيل انها تطلق على الثمرات التي ياكلها الناس وليست بقوت ولا طعام
ولا ادام واختلف في البقول هل تدخل في الفاكهة ام لا (وشجرة) قال الواحدي والمفسرون كلهم
يقولون ان المراد بهذه الشجرة شجرة الزيتون وخصت بالذكر لانها لا يتعاهدها احد بالسقي وهي التي
يخرج الدهن منها وهي اول شجرة نبتت بعد الطوفان تعمر في الارض كثيراً حتى قال بعضهم انها تعمر
ثلاثة الاف سنة على ما ذكره الخازن فذكرها الله سبحانه امتناناً منه على عباده بها ولانها اكرم الشجر
واعمها نفعاً واكثرها بركة (تخرج من طور سيناء) خصت به مع انها تخرج من غيره ايضاً لان
اصلها منه ثم نقلت الى غيره ذكره زكريا وهو جبل بيت المقدس والطور الجبل في كلام العرب
وقيل هو مما عرب من كلام العجم واختلف في معنى سيناء فقيل هو الحسن باللغة النبطية وقيل
بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء و
سينين وقيل هو من السنا وهو الارتفاع وقيل هو المبارك وذهب الجمهور الى انه اسم الجبل كما تقول
جبل احد وقيل هو جبل فلسطين وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل وقيل سيناء
اسم حجر بعينه اضيف الجبل اليه لوجوده عنده وقيل هو كل جبل يحمل الثمار وقرئ سيناء بفتح
السين وبكسرها ولم يصرف لانه جعل اسماً للبقعة وزعم الاخفش انه اعجمي قال ابن عباس هو الجبل
الذي نودي منه موسى (تنبت بالدهن) قال ابن عباس هو الزيت يؤكل منه ويدهن به و
قرئ بفتح التاء وضم الباء وبضم التاء وكسر الباء من الثلاثي والرباعي والمعنى على الاولى انها تنبت في
نفسها متلبسة بالدهن وعلى الثانية الباء بمعنى مع فهي للمصاحبة قال ابو علي الفارسي التقدير تنبت
جناها ومعه الدهن وقيل الباء زائدة قاله ابو عبيدة وقال الفراء والزجاج ان نبت وانبت بمعنى
والاصمعي ينكر انبت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء قال الزجاج وابن جني اي تنبت ومعها الدهن
وقرأ ابن مسعود تخرج بالدهن وقرئ تنبت الدهن بحذف حرف الجر وقرئ بالدهان والدهن عصارة
كل شيء ذي دسم قاله السمين (وصبغ للآكلين) اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به
وكونه صبغاً يؤتدم به وقرئ صباغ مثل لبس ولباس وكل ادام يؤتدم به فهو صبغ وصباغ و
اصل الصبغ ما يلون به الثوب وشبه الادام به لان الخبز يكون بالادام كالمصبوغ به جعل الله

سبحانه في هذه الشجرة المباركة ادما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً
هذه من جملة النعم التي امتن الله بها عليهم وقد تقدم تفسير الانعام في سورة النحل وهي
الابل والبقر والغنم قال النيسابوري ولعل القصد بالانعام هنا الى الابل خاصة لانها هي المحمول
عليها في العادة ولانه قرنها بالفلك وهي سفائن البر كما ان الفلك سفائن البحر قال ذو الرمة شعر
سفائن بر تحت خدي زمامها + وبين سبحانه انها عبرة وعظة لانها مما يستدل بخلقها واحوالها
على عظم القدرة الالهية وخصها بالعبرة دون النبات لان العبرة فيها اظهر ثم فصل سبحانه ما في
هذه الانعام من النعم بعد ما ذكره من العبرة فيها للعباد فقال نُسْقِيكُمْ بضم النون وفتحها مِمَّا فِي
بُطُونِهَا يعني اللبن المتكون في بطونها المنصب الى ضروعها من بين فرث ودم فان في انعقاد ما تاكله من
العلف واستحالته الى هذا الغذاء اللذيذ والمشروب النفيس اعظم عبرة للمعتبرين واكبر موعظة
للمتعظين وقرئ بالفوقية على ان الفاعل هو الانعام وذكره هنا بلفظ الجمع لانه راجع للانعام مرادا
بها الجمع وفي النحل قال مما في بطونه بالافراد نظرا الى ان الانعام اسم مفرد ذكره زكريا في متشابه القرآن
وقال الكرماني ان ما في النحل مراد به بعض الانعام وهو الاناث فاتى بالضمير مفردا مذكرا والمراد منه هنا
الكل الشامل للاناث والذكور بدليل العطف في قوله الآتي ولكم فيها منافع فان هذا لا يخص الاناث وهذا
العطف لم يذكر في النحل ثم ذكر ما فيها من المنافع اجمالا فقال وَلَكُمْ فِيهَا اي في ظهورها والبانها
واولادها واصوافها واشعارها وهي جمة مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ثم ذكر منفعة خاصة فقال وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
بعد الذبح لما في الاكل من عظيم الانتفاع لهم وكذلك ذكر الركوب عليها لما فيه من المنفعة العظيمة فقال
وَعَلَيْهَا اي على الانعام فان اريد بها الابل والبقر والغنم فالمراد وعلى بعض الانعام وهي الابل خاصة وان
اريد بها الابل خاصة فالمعنى واضح ثم لما كانت الانعام غالب ما يكون الركوب عليه في البر ضم اليها ما يكون
الركوب عليه في البحر فقال وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ تتميما للنعمة وتكميلا للمنة ولما ذكر سبحانه الفلك اتبعه بذكر
نوح لانه اول من صنعه وذكر ما صنعه قوم نوح معه بسبب اهمالهم للتفكر في مخلوقات الله سبحانه والتذكر
لنعمه عليهم فقال وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وفي ذلك تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له
ببيان ان قوم غيره من الانبياء كانوا يصنعون مع انبيائهم ما يصنعه قومه معه واللام جواب قسم
محذوف والواو للاستيناف وهذا شروع في خمس قصص هذه اولها والثانية قصة هود او صالح

من بعدهم قرنا آخرين والثالثة قوله ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين والرابعة قصة موسى وهارون
المذكورة بقوله ثم ارسلنا موسى واخاه والخامسة قصة عيسى وامه المذكورة بقوله وجعلنا
ابن مريم وامه آية ثم ان اسم نوح يشكر ولقبه نوح على ما قاله الرازي او عبد الله على ما قاله السيوطي وعاش نوح
من العمر الف سنة وخمسين كما مر آنفا وقدمت قصته لتتصل بقصة آدم المذكورة للمناسبة
بين نوح وآدم من حيث انه آدم الثاني لانحصار النوع الانساني بعده في نسله فقال يا قوم اعبدوا
الله وحده واطيعوه ولا تشركوا به شيئا كما يستفاد من الآيات الاخرة وجملة ما لكم من اله غيره
واقعة موقع التعليل لما قبلها اي ما لكم في الوجود اله غيره سبحانه ومن زائدة افلا تتقون تخافون
ان تتركوا عبادة ربكم الذي لا يستحقها غيره وليس لكم اله سواه وقيل المعنى افلا تخافون ان يرفع
عنكم ما خولكم من النعم ويسلبها عنكم وقيل المعنى افلا تقون انفسكم عذابه الذي تقتضيه ذنوبكم
بعبادتكم غيره فقال الملأ اي الاشراف الذين كفروا به من قومه لاتباعهم وحاصل ما ذكروه من
الشبه خمسة اولها قولهم ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم في البشرية لا فرق بينه وبينكم يريد ان
يطلب ان يتفضل عليكم بان يسودكم ويتشرف حتى تكونوا تابعين له منقادين لامره ثم صرحوا
بان البشر لا يكون رسولا فقالوا ولو شاء الله ارسال رسول لانزل اي لارسل ملائكة رسلا وهي
الشبهة الثانية وانما عبر بالانزال عن الارسال لان ارسالهم الى العباد يستلزم نزولهم اليهم وقيل معناه لو
شاء ان لا يعبد غيره لانزل ملائكة لا بشرا ما سمعنا بهذا اي بمثل دعوى هذا المدعي للنبوة من البشر
او بمثل كلامه وهو الامر بعبادة الله وحده او ما سمعنا ببشر يدعي هذه الدعوى وقيل الباء زائدة
وهذه هي الشبهة الثالثة والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر في آبائنا
الاولين اي في الامم الماضية قبل هذا قالوا هذا اعتمادا منهم على التقليد واعتصاما بحبله ولم
يقنعوا بذلك حتى ضموا اليه الكذب البحت والبهت الصراح فقالوا ان هو الا رجل به جنة اي حالة جنون
لا يدري ما يقول وهي الشبهة الرابعة فتربصوا به حتى حين اي انتظروا به حتى يستبين امره بان يفيق
من جنونه فيترك هذه الدعوى او حتى يموت فتستريحوا منه وهي الشبهة الخامسة ولم يتعرض
لردها لظهور فسادها قال الفراء ليس يريد بالحين هنا وقتا بعينه انما هو كقولهم دعه الى يوم ما فلما
سمع عليه السلام كلامهم وعرف تماديهم على الكفر واصرارهم عليه قال رب انصرني عليهم فاهلكهم

بما يشاء وكيف تريد بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي فاوحينا اليه اي ارسلنا اليه رسولا
من السماء ان اصنع الفلك ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول فلا حاجة الى جعلها مصدرية
والفلك السفينة باعيننا اي بمرأى منا او متلبسا بحفظنا وكلايتنا وقيل بعلمنا لئلا يتعرض
له احد ولا يفسد عليه عمله والاول اولى وجمع الاعين للمبالغة وان كانت العادة ان الرائي
له عينان فقط وقد تقدم معنى هذا في هود ووحينا اي بامرنا لك وتعليمنا اياك لكيفية
صنعها وقيل قد صنعها في عامين وجعل طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وارتفاعها
ثلثين وجعلها ثلث طبقات السفلى للسباع والهوام والوسطى للدواب والانعام والعليا للانس
كما مر فاذا جاء امرنا الفاء لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها من صنع الفلك والمراد بالامر
بالعذاب وفار التنور اي جيء الامر وهو فور التنور اي تنور آدم الذي تخبز فيه حواء الصائر
الى نوح وكان من حجارة وقيل التنور وجه الارض واختلف في مكانه فقيل في
مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند والمعنى اذا وقع ذلك فاسلك اي فادخل فيها يقال
سلك في كذا اي دخله واسلكته ادخلته وقال ابن عباس اجعل معك في السفينة من
كل زوجين اثنين قرئ كل بالتنوين وبالاضافة ومعنى الاولى من كل امة زوجين ومعنى
الثانية من كل زوجين وهما امة الذكر والانثى اثنين اي من غير البشر والا فانه ادخل فيها
من البشر سبعين او ثمانين فادخل من هذا النوع زيادة على اثنين واهلك اي واسلك فيها
اهلك اي زوجتك واولادك الا من سبق عليه القول اي الوعد الازلي باهلاكه منهم كابنه
كنعان وامه ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالنجاة انهم مغرقون تعليل
للنهي عن المخاطبة اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لظلمهم ومن كان هكذا فهو لا يستحق الدعاء له
فاذا استويت اي علوت انت واعتدلت ومن معك من اهلك واتباعك على الفلك
راكبين عليه فقل وكان الظاهر ان يقال فقولوا اي انت ومن معك وانما افرد نوحا بالامر بالحمد
للمذكور اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم الحمد لله الذي نجانا
من القوم الظالمين اي حال بيننا وبينهم وخلصنا منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين وقد تقدم تفسير هذه القصة في سورة هود على التمام والكمال

وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزما لانه قد سبق في علمه ان ذلك سبب نجاتهم من الظلمة وسلامتهم من ان يصابوا بما اصيبوا به من العذاب ثم امره ان يسأل ربه ما هو انفع له واتم فائدة فقال ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ اي انزلني في السفينة قرئ منزلا بضم الميم وفتح الزاي على انه مصدر وبفتح الميم وكسر الزاي على انه اسم مكان فعلى الاولى التقدير انزلني انزالا مباركا وعلى الثانية انزلني مكانا مباركا قال الجوهري المنزل بفتح الميم والزاي النزول وهو الحلول تقول نزلت نزولا ومنزلا عن مجاهد قال قال لنوح حين انزل من السفينة وقيل امره الله سبحانه بان يقول هذا القول عند دخول السفينة وقيل عند خروجه منها واراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء والآية تعليم من الله لعباده اذا ركبوا ثم نزلوا ان يقولوا هذا القول قال الواحدي قال المفسرون انه امر ان يقول عند استوائه على الفلك الحمد لله وعند نزوله منها رب انزلني منزلا مباركا ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ هذا ثناء منه على الله عز وجل اثر دعائه له ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ اي ما تقدم مما قصه الله علينا من امر نوح عليه السلام والسفينة وهلاك الكفار ﴿لَآيَاتٍ﴾ اي دلالات على كمال قدرته سبحانه وعلامات يستدل بها على عظيم شأنه ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ اي لمختبرين قوم نوح بارساله اليهم ووعظه او لمختبرين لهم بارسال الرسل اليهم ليظهر المطيع والعاصي للناس او للملائكة وقيل المعنى انه يعاملهم سبحانه معاملة المختبر لاحوالهم تارة بالارسال وتارة بالعذاب لينظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ﴾ اي من بعد اهلاكهم ﴿قَرْنًا﴾ اي قوما ﴿آخَرِينَ﴾ قال اكثر المفسرين ان هؤلاء هم عاد قوم هود لمجيء قصتهم على اثر قصة نوح في غير هذا الموضع ولقوله في الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل هم ثمود لانهم الذين اهلكوا بالصيحة وقد قال سبحانه في هذه القصة فاخذتهم الصيحة وقيل هم اصحاب مدين قوم شعيب لانهم ممن اهلك بالصيحة ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ عدى فعل الارسال بفي مع انه يتعدى بالى للدلالة على ان الرسول المرسل اليهم نشأ فيهم وبين اظهرهم يعرفون مكانه ومولده ليكون سكونهم الى قوله اكثر من سكونهم الى من يأتيهم من غير مكانهم وقيل وجه التعدية بفي انه ضمن معنى القول والاول اولى لان تضمين ارسلنا معنى قلنا لا يستلزم تعديته بفي ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ان مفسرة لارسلنا اي

قلنا لهم على لسان الرسول هذا القول ما لكم من إله غيره تعليل للأمر بالعبادة أفلا تتقون
عذابه الذي يقتضيه شرككم وقال الملأ من قومه أي قادتهم وأشرافهم ثم وصف الملأ بالكفر
والتكذيب فقال الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة أي بما في الآخرة من الحساب والعقاب أو بالمصير
إليها أو كذبوا بالبعث وأترفناهم في الحياة الدنيا أي وسعنا لهم نعم الدنيا فبطروا بسبب ما صاروا
فيه من كثرة المال ورفاهة العيش حتى وصفوا رسولهم بمساواتهم في البشرية وفي الأكل والشرب
فقالوا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون منه قال الفراء
وقيل ما مصدرية فلا تحتاج إلى عائد وذلك يستلزم عندهم أنه لا فضل له عليهم وهذه شبهة
أولى تنتهي عند قوله الخاسرون ولئن أطعتم بشرا مثلكم فيما ذكر من الأوصاف إنكم إذا أي إذا
أطعتموه لخاسرون أي مغبونون بترككم آلهتكم واتباعكم إياه من غير فضيلة له عليكم ومن
حمقهم أنهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا الحجر منهم أيعدكم أنكم إذا متم الهمزة للإنكار والجملة
مستأنفة مقررة لما قبلها من تقبيح اتباعهم له بإنكار وقوع ما يدعوهم إلى الإيمان به واستبعاده
قرئ بكسر الميم من متم من مات يمات كخاف يخاف وبضمها من مات يموت كقال يقول وكنتم ترابا
كان بعض أجزائكم ترابا وبعضها عظاما نخرة لا لحوم فيها ولا أعصاب عليها قيل وتقديم التراب لكونه
أبعد في عقولهم وقيل المعنى كان متقدموكم ترابا ومتأخروكم عظاما أنكم مخرجون أي مبعوثون
من قبوركم أحياء كما كنتم للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى أنكم للتأكيد وحسن ذلك لطول
الفصل بين الأول والثاني بالظرف وإليه ذهب الجرمي والمبرد والفراء وقيل بدل من الأولى وإليه
ذهب سيبويه هيهات هيهات أي بعد وقال ابن عباس بعيد بعيد قال ابن الأنباري وفي هيهات
عشر لغات ثم سردها وهي مبينة في علم النحو وقد قرئ ببعضها وقال سليمان الجمل فيه لغات
كثيرة تزيد على أربعين ثم ذكر منها ما اشتهر وما قرئ به تركناها لقلة الفائدة هنا وهو اسم
فعل ماض بمعنى مصدر والغالب في الاستعمال أن تستعمل هذه الكلمة مكررة والثانية توكيد
لفظي للأولى وليست المسألة من التنازع واللام في لما توعدون لبيان المستبعد كما في قوله هيت
لك كأنه قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون والمعنى بعد إخراجكم للوعد الذي توعدون
هذا على أن هيهات اسم فعل وقال الزجاج هو في تقدير المصدر أي البعد لما توعدون أو بعد

لما توعدون على قراءة من نون ثم بين سبحانه اتراقهم بانهم قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا
لا الحياة الآخرة التي تعدنا بها فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار و
اشعارا باغنائها عن التصريح كما في هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت وحيث
كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وجملة نموت ونحيا
مفسرة لما ادعوه من قصرهم حياتهم على حياة الدنيا وقيل يموت الآباء ويحيى الابناء وقيل
يموت قوم ويحيى قوم او يموت بعض ويولد بعض وينقرض قرن فياتي آخر وفيه تقديم
وتاخير اي نحيى ونموت وبه قرأ ابي وابن مسعود ثم صرحوا بنفي البعث وان الوعد به منه
افتراء على الله فقالوا وما نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا
اي ما هو فيما يدعيه من النبوة والبعث الا مفتر بالكذب على الله وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين
له فيما يقوله قال نبيهم لما علم بانهم لا يصدقونه البتة رب انصرني عليهم وانتقم منهم
بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي قال الله سبحانه مجيبا لدعائه وواعدا له بالقبول لما دعاه
عما قليل من الزمان وفي معناه عن قريب وعن بمعنى بعد وما مزيدة بين الظرف للتوكيد لقلة
الزمان كما في قوله فبما رحمة من الله ليصبحن نادمين على ما وقع منهم من التكذيب والعناد و
الاصرار على الكفر ثم اخبر سبحانه بانها اخذتهم الصيحة وحاق بهم عذابه ونزل عليهم سخطه
فقال فاخذتهم الصيحة قال المفسرون صاح بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح التي اهلكهم
الله بها فماتوا جميعا وقيل الصيحة هي نفس العذاب والهلاك الذي نزل بهم بالحق اي كائنة
بالعدل من الله فماتوا يقال فلان يقضي بالحق اي بالعدل ثم اخبر سبحانه عما صاروا اليه بعد
العذاب النازل بهم فقال فجعلناهم غثاء اي كغثاء السيل قيل الغثاء الجفاء وقال الزجاج هو
البالي من ورق الشجر اذا جرى السيل خالط زبده وقيل كل ما يلقيه السيل والقدر مما لا ينتفع به
وبه يضرب المثل في ذلك ولامه واو لانه من غثا الوادي يغثو غثوا وكذلك غثت القدر وقال
المحلي هو نبت يبس لرعنه هو العشب اذا يبس والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا كما يبس الغثاء وقال ابن
عباس جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر فبعدا للقوم الظالمين اي بعدوا بعدا او الزموا بعدا
فهو اخبار او دعاء واللام لبيان من قيل له ذلك كما في سقيا له ورعيا له قاله الزمخشري

وقال الحوفي متعلق ببعدا وهذا مردود لانه لا يحفظ حذف هذه اللام ووصول المصدر الى مجرورها
البتة ولذلك منعوا الاشتغال في قوله فتعسا لهم وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل
اظهارها ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين اي مع رسلهم
بعد اهلاكهم قيل هم قوم صالح ولوط وشعيب ويونس وايوب وغيرهم كما وردت قصتهم على هذا
الترتيب في الاعراف وهود وقيل هم بنو اسرائيل وكان فيهم الرسل قبل موسى والقرون الامم ولعل
وجه الجمع هنا للقرون والافراد فيما سبق قريبا انه اراد هنا امما متعددة وهناك امة واحدة
ثم بين سبحانه كمال علمه وقدرته في شأن عباده فقال ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
اي ما يتقدم كل طائفة مجتمعة في قرن آجالها المكتوبة لها في الهلاك ولا يتأخر عنها ومثل هذا قوله
تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى
لان امة بمعنى قوم ثم بين سبحانه ان رسله كانوا بعد هذه القرون متواترين وان شأن اممهم كان
واحدا في التكذيب لهم فقال ثم ارسلنا رسلنا تترى يعني ارسال كل رسول متأخر عن انشاء
القرن الذي ارسل اليه لا على معنى ان ارسال الرسل جميعا متأخر عن انشاء تلك القرون جميعا
ومعنى تترى تتواتر واحدا بعد واحد ويتبع بعضهم بعضا من الوتر وهو الفرد قال الاصمعي واترت
كتبي عليه اتبعت بعضها بعضا الا ان بين كل واحد منها وبين الآخر مهلة وقال غيره المتواترة
المتتابعة بغير مهلة والاول اولى لان ما كان بدونها قيل مداركة ومواصلة كما في القاموس
لا تترى وقرئ تترى بالتنوين على انه مصدر كشبع ودعوى والفه للتأنيث قال النحاس وعلى هذا
يجوز تترى بكسر التاء لان معنى ثم ارسلنا واترنا وفي موضع الحال اي متواترين قال ابن عباس بعضهم
على اثر بعض اي غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا كلما جاء امة رسولها كذبوه
مستأنفة مبينة لمجيء كل رسول لامته على ان المراد بالمجيء التبليغ فاتبعنا الامم والقرون بعضهم
بعضا اي في الهلاك بما نزل بهم من العذاب وجعلناهم احاديث اي سمرا وقصصا واخبارا
يسمع بها ويتعجب منها ويتحدث من بعدهم بامرهم وشأنهم جمع احدوثة وهي ما يتحدث به
الناس كالاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب الناس منه او جمع حديث على غير قياس قال في السمين ولكنه
شاذ وقال الاخفش انما يقال ذلك في الشر ولا يقال في الخير كما يقال صار فلان حديثا اي عبرة وكما

قال سبحانه في آية أخرى فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق قلت وهذه الكلية غير مسلمة
فقد يقال صار فلان حديثا حسنا وقد شذت العرب في ألفاظ فجمعوها على صيغة مفاعيل
كأباطيل وأقاطيع وقال الزمخشري الأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع وإنما ذكره أصحابنا فيما شذ من الجموع كقطيع وأقاطيع
وإذا كان عباديد قد حكموا عليه بأنه جمع تكسير مع أنهم لم يلفظوا له بواحد فأحرى أحاديث
وقد لفظ له بواحد وهو حديث فاتضح أنه جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكرنا فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ دعاء عليهم
لَّا يُؤْمِنُونَ وصفهم هنا بعدم الإيمان وفيما سبق قريبا بالظلم لكون كل من الوصفين صادرا عن
كل طائفة من الطائفتين أو لكون هؤلاء لم يقع منهم إلا مجرد عدم التصديق وأولئك ضموا إليه تلك
الأقوال الشنيعة التي هي أشد الظلم وأفظعه ثم حكى سبحانه ما وقع من فرعون وقومه عند إرسال
موسى وهارون إليهم فقال ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ متلبسين بِآيَاتِنَا هي التسع المتقدم
ذكرها غير مرة ولا يصح عد فلق البحر منها هنا لأن المراد الآيات التي كذبوا بها واستكبروا عنها
وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ المراد به الحجة الواضحة البينة قيل هي الآيات التسع نفسها والعطف من باب
إلى الملك القرم وابن الهمام وقيل أراد العصا لأنها أم الآيات فيكون من باب عطف جبريل على الملائكة
وقيل المراد بالآيات التي كانت لهما وبالسلطان المبين التسع الآيات إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ أي
الأشراف منهم كما سبق بيانه غير مرة فَاسْتَكْبَرُوا أي طلبوا الكبر وتكلفوه وتعظموا على الإيمان
فلم ينقادوا للحق وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ قاهرين للناس ولبني إسرائيل بالبغي والظلم مستعلين عليهم
متطاولين كبرا وعنادا وتمردا فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ يعنون بهما موسى وهارون مِثْلِنَا الاستفهام
للإنكار أي كيف نصدق من كان مثلنا في البشرية والبشر يطلق على الواحد كقوله بشرا سويا
كما يطلق على الجمع كقوله فإما ترين من البشر أحدا فتثنيته هنا هي باعتبار المعنى الأول ويطلق على
المثنى والمذكر والمؤنث وأفرد المثل لأنه في حكم المصدر يجري مجراه في الإفراد والتذكير ولا يؤنث
أصلا وقد يطابق ما هو له تثنية كقوله يرونهم مثليهم رأي العين وجمعا كقوله ثم لا يكونوا
أمثالكم وَقَوْمُهُمَا أي بنو إسرائيل لَنَا عَابِدُونَ أي أنهم مطيعون لنا منقادون لما نأمرهم به
كانقياد العبيد قال المبرد العابد المطيع الخاضع قال أبو عبيدة العرب تسمي كل من دان الملك

عابدا لله وقيل يحتمل انه كان يدعي الالهية فدعى الناس الى عبادته فاطاعوه وتقديم الظرف لرعاية الفواصل والجملة حالية فَكَذَّبُوهُمَا اي فاصروا على تكذيبهما فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ بالغرق في البحر ثم حكى سبحانه ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم فقال وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ يعني التوراة وخص موسى بالذكر لان التوراة انزلت عليه في الطور وكان هارون خليفته في قومه لَعَلَّهُمْ اي لعل قوم موسى يَهْتَدُونَ بها الى الحق ويعملون بما فيها من الشرائع فجعل سبحانه ايتاء موسى اياها ايتاء لقومه لانها وان كانت منزلة على موسى فهي لارشاد قومه وقيل المعنى اتينا قوم موسى الكتاب وقيل ضمير لعلهم يرجع الى فرعون وملائه وهو وهم لان موسى لم يؤت التوراة الا بعد هلاك فرعون وقومه كما قال سبحانه ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى ثم اشار سبحانه الى قصة عيسى اجمالا فقال وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً اي علامة تدل على عظيم قدرتنا وبديع صنعنا وقد تقدم الكلام على هذا في آخر سورة الانبياء في تفسير قوله سبحانه وجعلناها وابنها آية للعالمين قال قتادة آية اي ولدته من غير اب وخلق من غير نطفة وعن الربيع بن انس قال آية اي عبرة ولم يقل آيتين لان الاعجوبة فيهما واحدة او للمراد ابن مريم آية وامه آية فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها وَآوَيْنَاهُمَا اي اسكناهما وانزلناهما واوصلناهما وجعلناهما ياويان إِلَى رَبْوَةٍ بفتح الراء وضمها قراءتان سبعيتان قيل هي ارض دمشق وبه قال عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب ومقاتل وقيل بيت المقدس قاله قتادة وكعب وقيل ارض فلسطين قاله السدي قال ابن عباس الربوة المستوية وهي المكان المرتفع من الارض وهو احسن ما يكون فيه النبات واثبتناه دمشق وقيل هو اعلى مكان من الارض فيزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهو اقرب بقاع الارض الى السماء وعن مرة البهزي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الربوة الرملة اخرجه الطبراني وابن ابي حاتم وابن جرير وغيرهم وعن ابي هريرة قال هي الرملة من فلسطين وقيل مصر وسبب الايواء انها فرت بابنها اليها لان ملك ذلك الزمان كان اراد ان يقتل عيسى فهربت به الى تلك الربوة ومكثت بها اثنتي عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك ذَاتِ قَرَارٍ اي مستوى مستقر يستقر عليه ساكنوه وقال ابن عباس اي ذات خصب وقيل ذات ثمار وَمَعِينٍ قال الزجاج

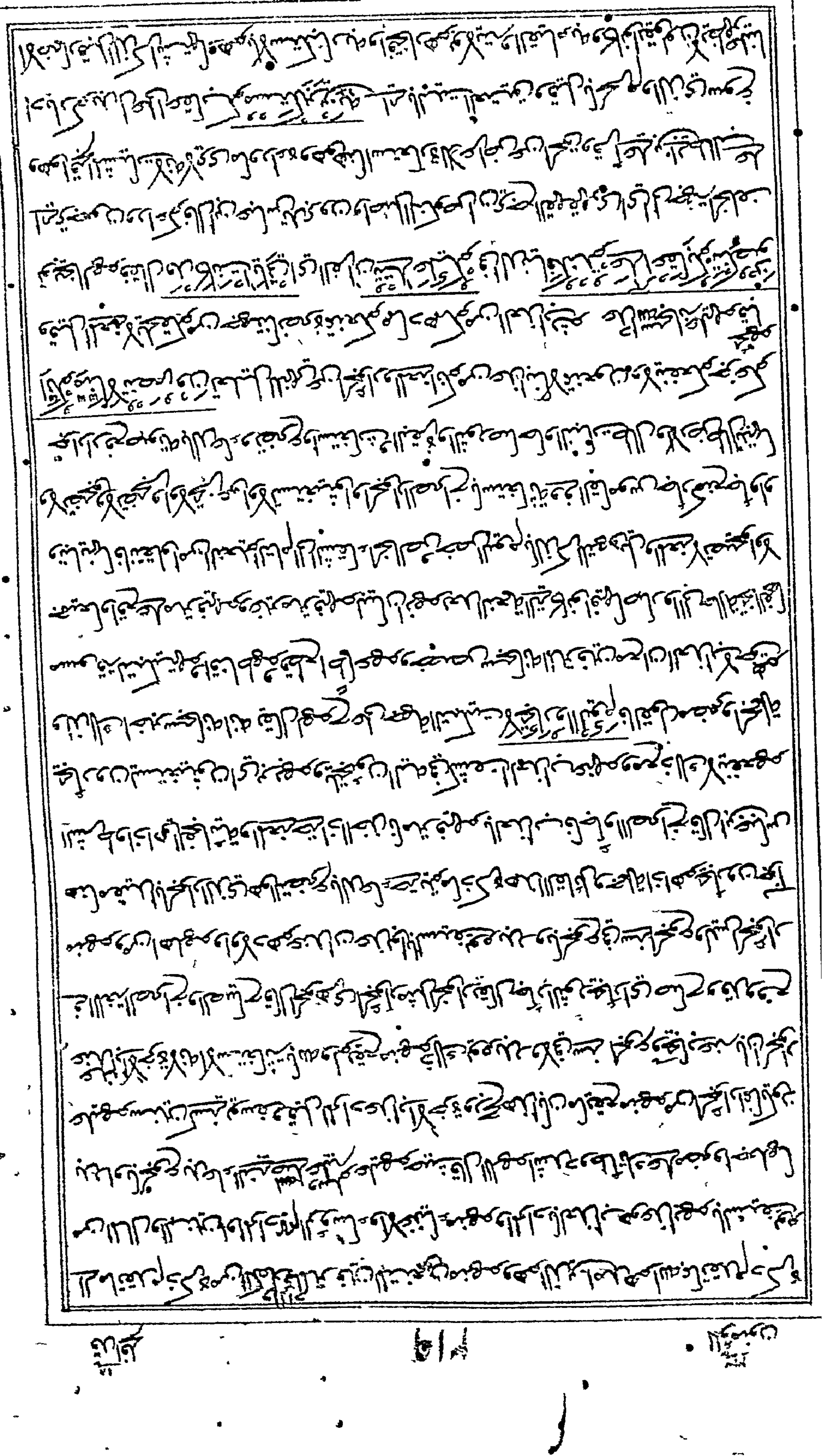
والفراء هو الماء الجاري في العيون فالميم على هذا زائدة كزيادتها في منبع وقيل هو فعيل بمعنى
مفعول قال علي بن سليمان الاخفش يقال معن الماء اذا جرى فهو معين ومعون وكذا قال
ابن الاعرابي وقيل هو مأخوذ من الماعون وهو النفع قال ابن عباس المعين الماء الجاري وقيل
الذي تراه العيون وهو النهر الذي قال الله قد جعل ربك تحتك سريا يا ايها الرسل كلوا قال
الزجاج هذه مخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان هذه المقالة خوطب بها كل نبي في زمانه لان
هذه طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها فيكون المعنى وقلنا يا ايها الرسل خطابا لكل واحد على
انفراده لاختلاف ازمنتهم ويدخل تحته عيسى دخولا اوليا وقال ابن جرير ان الخطاب لعيسى وقال
الفراء هو كما تقول للرجل الواحد كفوا عنا وفيه ايذان بان ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه
عليه السلام بل اباحة الطعام شرع قديم جرى عليه جميع الرسل ووصوا به اي وقلنا لكل رسول
من الرسل كلوا من الطيبات وهو ما يستطاب ويستلذ وقيل هي الحلال وقيل هي ما جمع الوصفين
المذكورين ثم بعد ان امرهم بالاكل من الطيبات امرهم بالعمل الصالح فقال واعملوا صالحا
وهو ما كان موافقا للشرع فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند
الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبان من رفض الطيبات ما لا يخفى
ثم علل هذا الامر بقوله اني بما تعملون عليم لا يخفى علي شيء منه واني مجازيكم على حسب اعمالكم
ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو تحذير للرسل والمقصود اممهم اخرج احمد ومسلم وغيرهما
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله
امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا الآية وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه
حرام وغذي بالحرام يمد يديه الى السماء يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك وعن حفص الفزاري قال
ذلك عيسى بن مريم كان يأكل من غزل امه وهو مرسل لان حفصا تابعي وان هذه امتكم امة واحدة
هذا من جملة ما خوطب به الانبياء والمعنى واعلموا ان هذه ملتكم وشريعتكم ايها الرسل ملة
واحدة وشريعة متحدة يجمعها اصل هو اعظم ما بعث الله به انبياءه وانزل فيه كتبه وهو
دعاء جميع الانبياء الى عبادة الله وحده لا شريك له والمراد بها على هذا العقائد التي اتحدت في كل

الشرائع اما الاحكام الفرعية فقد اختلفت باختلاف الشرائع وقيل المعنى ان هذا الذي تقدم
ذكره هو دينكم وملتكم فالزموه على ان المراد بالامة هنا الدين كما في قوله انا وجدنا اباءنا على
امة وقال الخليل اي انا عالم بان هذا دينكم الذي امرتكم ان تؤمنوا به قال الفراء واعلموا ان هذه
امتكم وقال سيبويه فاتقون لان امتكم امة واحدة وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور
امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والفاء في وَاَنَا
رَبُّكُمْ فَاتَّقُوْنِ لترتيب الامر بالتقوى على ما قبله من كونه ربكم المختص بالربوبية اي لا تفعلوا
ما يوجب العقوبة عليكم مني بان تشركوا بي غيري او تخالفوا ما امرتكم به او نهيتكم عنه ثم ذكر
سبحانه ما وقع من الامم من مخالفتهم لما امرهم به الرسل فقال فَتَقَطَّعُوْا اَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا
الفاء لترتيب عصيانهم على ما سبق من الامر بالتقوى والضمير يرجع الى ما يدل عليه لفظ الامة
والمعنى انهم جعلوا دينهم مع اتحاده قطعا متفرقة واديانا مختلفة قال المبرد زبرا فرقا وقطعا
مختلفة واحدها زبور وهي الفرقة والطائفة ومثله الزبرة وجمعها زبر بالضم والفتح قيل معنى
زبرا كتبا فوصف سبحانه الامم بانهم اختلفوا فاتبعت فرقة التورية وفرقة الزبور وفرقة الانجيل
ثم حرفوا وبدلوا وفرقة مشركة اتبعوا ما رسمه لهم اباؤهم من الضلال قرئ زبرا بضم الباء
وقرئ بفتحها اي قطعا كقطع الحديد كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ اي كل فريق من هؤلاء
المختلفين بما عندهم من الدين معجبون مسرورون لاعتقادهم انهم على الحق فَذَرْهُمْ
فِيْ غَمْرَتِهِمْ اي اتركهم في جهلهم فليسوا باهل الهداية ولا يضيق صدرك بتاخير العذاب
عنهم فلكل شيء وقت شبه سبحانه ما هم فيه من الجهل بالماء الذي يغمر من دخل فيه والغمرة في الاصل
ما يغمرك ويعلوك واصلها الستر والغمر الماء الكثير لانه يغطي الارض وغمر الرداء هو الذي يشمل
الناس بالعطاء ويقال للحقد الغمر والمراد هنا الحيرة والغفلة والضلالة والاية خارجة مخرج
التهديد لهم والتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا مخرج الامر له صلى الله عليه وسلم بالكف عنهم بل نهي له
عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره ومعنى حَتّٰى حِيْنٍ حتى يحضر وقت عذابهم بالقتل
او حتى يموتوا على الكفر فيعذبون بالنار اَيَحْسَبُوْنَ الهمزة للانكار والجواب عنه مقدر يدل عليه
قوله الاتي بل لا يشعرون اَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهٖ مِنْ مَّالٍ وَّبَنِيْنَ اي ما نعطيهم في هذه الدنيا من الاموال

وبنين وتعجيله مدد الهم نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ اي فيما فيه خيرهم واكرامهم قال الزجاج
المعنى نسارع لهم به في الخيرات فحذفت به وما في انما موصولة والرابط هو هذا المحذوف وقال
الكسائي ان انما هو حرف واحد فلا تحتاج الى رابط وقرئ يسارع بالتحتية على ان فاعله هو الامداد
او يسارع الله لهم وقرئ بالنون قال الثعلبي وهذه هي الصواب لقوله نمدهم وهذه الآية حجة
على المعتزلة في مسئلة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو اصلح له
في الدين وقد اخبر ان ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا اصلح بَلْ لَا يَشْعُرُونَ عطف على مقدر
ينسحب اليه الكلام اي اضراب انتقالي عن الحسبان المستفهم عنه استفهام تقريع والمعنى كلا لا
نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم التي لا تفهم ولا تعقل فان ما خولناهم من النعم
وامددناهم به من الخيرات انما هو استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم ليزدادوا اثما كما قال
سبحانه انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ولما نفى سبحانه الخيرات
الحقيقية عن الكفرة المتنعمين اتبع ذلك بذكر من هو اهل للخيرات عاجلا وآجلا فوصفهم بصفات
اربع الاولى قوله إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ الاشفاق الخوف تقول انا مشفق من
هذا الامر اي خائف قيل الاشفاق هو الخشية فظاهر ما في الآية هو التكرار واجيب بحمل الخشية
على العذاب اي من عذاب ربهم خائفون ولو من غير فعل خطيئة وبه قال الكلبي ومقاتل واجيب
ايضا بحمل الاشفاق على ما هو اثره وهو الدوام على الطاعة اي دائمون على طاعته واجيب ايضا
بان الاشفاق كمال الخوف فلا تكرار وقيل هو تكرير للتأكيد كما اشار اليه في التقرير وفيه نظر والصفة
الثانية قوله وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ قيل المراد بالآيات هي التنزيلية وقيل هي التكوينية
وقيل مجموعهما قيل وليس المراد بالايمان بها هو التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة
ولا يوجب المدح بل المراد التصديق بكونها دلائل وان مدلولها حق والصفة الثالثة قوله
وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ معه غيره اي يتركون الشرك تركا كليا ظاهرا وباطنا
والصفة الرابعة قوله وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ اي يعطون مَا آتَوْا اي ما اعطوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ اي
خائفة اشد الخوف من اجل ذلك الاعطاء يظنون ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله والجملة
حالية قال الزجاج قلوبهم وجلة من أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ وسبب الوجل هو ان يخافوا ان لا يقبل

منهم ذلك على الوجه المطلوب لأجل رجوعهم إليه سبحانه وقيل المعنى أن من اعتقد الرجوع إلى
الجزاء والحساب وعلم أن المجازي والمحاسب هو الرب الذي لا تخفى عليه خافية لم يخل من وجل وقرئ
يأتون ما أتوا مقصورا من الإتيان قال الفراء ولو صحت لم تخالف قراءة الجماعة لأن من العرب
من يلزم في الهمز الألف في كل الحالات قال النحاس ومعناها يعملون ما عملوا ويفعلون ما فعلوا من
الطاعات أخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه وغيرهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله
قول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو مع ذلك
يخاف الله قال لا ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه
وعن ابن عباس قال يعطون ما أعطوا ويعملون خائفين وعن ابن عمر قال الزكوة وعن عائشة قالت هم الذين
يخشون الله ويطيعونه وأخرج البخاري في تاريخه والدارقطني والحاكم وصححه وغيرهم عن عبيد بن عمير
أنه سأل عائشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية والذين يؤتون ما آتوا والذين يأتون
ما أتوا قالت أيتهما أحب إليك قلت والذي نفسي بيده لإحداهما أحب إلي من الدنيا وما فيها جميعا قالت
أيتهما قلت الذين يأتون ما أتوا فقالت أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها كذلك وكذلك
أنزلت ولكن الهجاء حرف وفي إسناده إسمعيل بن علي وهو ضعيف أولئك أي المتصفون بهذه الصفات
يسارعون في الخيرات أي يبادرون بها ويرغبون في الطاعات أشد الرغبة قال الفراء والزجاج
ينافسون فيها وقيل يسابقون وقرئ يسرعون وهم لها سابقون اللام للتقوية أي هم سابقون إياها وقيل اللام بمعنى إلى كما في قوله
بأن ربك أوحى لها أي أوحى إليها وقيل هم سابقون الناس لأجلها والأظهر أن الضمير يعود إلى الخيرات لتقدمها في اللفظ وقيل يعود على الجنة وقيل
على السعادة قال ابن عباس أي سبقت لهم السعادة من الله ثم لما انجر الكلام إلى ذكر أعمال المكلفين
ذكر لهما حكمين الأول قوله ولا نكلف نفسا إلا وسعها قد تقدم بيان هذا في آخر سورة البقرة وفي
تفسير الوسع قولان الأول أنه الطاقة كما فسره بذلك أهل اللغة الثاني أنه دون الطاقة وبه قال
مقاتل والضحاك والكلبي والمعتزلة قالوا لأن الوسع إنما سمي وسعا لأنه يتسع على فاعله فعله ولا يضيق عليه
فمن لم يستطع الجلوس فليومئ إيماء ومن لم يستطع الصوم فليفطر وهذه جملة مستأنفة للتحريض على ما وصف به
السابقون من فعل الطاعات المؤدي إلى نيل الكرامات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع
والطاقة وأن ذلك عادة الله سبحانه في تكليف عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق

وجملة لدينا كتاب ينطق بالحق من تمام ما قبلها من نفي التكليف بما فوق الوسع والمراد بالكتاب صحائف الأعمال أي عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل واحد من المكلفين على ما هي عليه يظهر به الحق المطابق للواقع من دون زيادة ولا نقص ومثله قوله سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وفي هذا تهديد للعصاة وتأنيس للمطيعين من الحيف والظلم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ فإنه قد كتب فيه كل شيء وقيل المراد القرآن والأول أولى وفي هذه الآية تشبيه للكتاب بمن يصدر عنه البيان بالنطق بلسانه فإن الكتاب يعرب عما فيه كما يعرب الناطق المحق والمعنى ينطق متلبساً بالحق وجملة وهم لا يظلمون مبينة لما قبلها من تفضله تعالى وعدله في جزاء عباده أي النفوس العاملة لا يظلمون شيئاً منها بنقص ثواب أو بزيادة عقاب ومثله قوله سبحانه ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً والجمع باعتبار عموم النفس لوقوعها في سياق النفي ثم أضرب سبحانه عن هذا فقال بل قلوبهم في غمرة أي بل قلوب الكفار في غمرة غامرة لها من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق أو عن الأمر الذي عليه المؤمنون يقال غمره الماء إذا غطاه ونهر غمر يغطي من دخله والمراد بها هنا الغطاء والغفلة أو الحيرة والعمى والجهالة قال ابن عباس يعني بالغمرة الكفر والشك ولهم أي للكفار أعمال من دون ذلك قال ابن عباس يقول أعمال سيئة دون الشرك منها الإقامة أمامهم في الزنا وقال قتادة ومجاهد أي لهم خطايا لا بد أن يعملوها من دون الحق وقال الحسن وابن زيد لهم أعمال ردية لم يعملوها من دون ما هم عليه لا بد أن يعملوها فيدخلون بها النار والمراد بالدون الغير أي الضد أي أن لهم أعمالا مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين وقيل الإشارة بقوله ذلك إما إلى أعمال المؤمنين أو إلى أعمال الكفار أي لهم أعمال من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله أو من دون أعمال الكفار التي تقدم ذكرها من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن قال الواحدي إجماع المفسرين وأصحاب المعاني على أن هذا إخبار عما سيعملونها من أعمالهم الخبيثة التي كتبت عليهم لا بد لهم أن يعملوها وجملة هم لها عاملون مقررة لما قبلها أي واجب عليهم أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة لا محيص لهم عن ذلك أي مستمرون عليها ثم رجع سبحانه إلى وصف الكفار فقال حتى ابتدائية أو حرف جر و غائية عاطفة أقوال إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون معينة لما قبلها والضمير راجع



احد لانا اهل الحرم وخدامه والى هذا ذهب جمهور المفسرين وقيل الضمير عائد الى القرآن والمعنى
ان سماعه يحدث لهم كبرا وطغيانا فلا يؤمنون به قال ابن عطية وهذا قول جيد وقال النحاس
القول الاول اولى وبينه بما ذكرناه فعلى الاول يكون به متعلقا بمستكبرين وعلى الثاني بقوله سامرا
لانهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكان عامة سمرهم ذكر القرآن والطعن فيه
والسامر كالحاضر والحاج والراكب والغائب في الاطلاق على الجمع قال الواحدي السامر الجماعة يسمرون
بالليل اي يتحدثون وقيل ماخوذ من السمر وهو سمر الليل وقال الراغب السامر الليل المظلم وقرئ سُمّرا
وسُمّارا وروديت هذه عن ابن عباس قال الراغب ويقال سامر وسمار وسمر وسامرون ويجوز ان يتعلق
به بقوله تهجرون والهجر بالفتح الهذيان اي تهذون في شان القرآن او من الهجر بالضم وهو الفحش وقرئ تُهجِرون
من اهجر اي افحش في منطقه ومن هجر بالتشديد ومن الهجران وهو الترك ومن الهجر بسكون الجيم وهو القطع والصد
اي تهجرون آيات الله ورسوله وتزهدون فيهما فلا تصلونهما وقرئ بالتحتية وفيه التفات قال
ابن عباس تسمرون حول البيت وتقولون هجرا وكانت قريش يتحلقون حلقا يتحدثون حول البيت وعنه
قال كان المشركون يهجرون برسول الله صلى الله عليه وسلم في القول بسمرهم وعنه قال انما كره السمر حين نزلت
هذه الاية اخرجه النسائي أفلم يدبروا القول بين سبحانه ان سبب اقدامهم على الكفر هو احد هذه
الامور الاربعة الاول عدم التدبر في القرآن فانهم لو تدبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به
وبما فيه والهمزة للانكار والفاء العطف على مقدر اي فعلوا ما فعلوا فلم يتدبروا والمراد بالقول القرآن
ومثله أفلا يتدبرون القرآن والثاني قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ام هي المنقطعة
اي بل اجاءهم من الكتاب فكان ذلك سبب الاستكبار هم للقرآن والمقصود تقرير انه لم يات آباءهم
الاولين رسول فلذلك انكروه ومثله قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقيل انه اتى آباءهم
الاقدمين رسل ارسلها الله اليهم كما هي سنة الله سبحانه في ارسال الرسل الى عباده فقد عرف
هؤلاء ذلك فكيف كذبوا هذا القرآن وقيل المعنى ام جاءهم من الامن من عذاب الله ما لم يات
آباءهم الاولين كاسمعيل ومن بعده والثالث قوله أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
وفي هذا اضراب وانتقال من التوبيخ بما تقدم الى التوبيخ بوجه آخر اي بل الم يعرفوه بالامانة والصدق
فانكروه ومعلوم انهم قد عرفوه بذلك عن ابي صالح قال عرفوه ولكنهم حسدوه والرابع قوله

أم يقولون به جنة هذا ايضا انتقال من توبيخ الى توبيخ اي بل ايقولون به جنون مع انهم
قد علموا انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا واوجههم لبا ولكنه جاء بما يخالف هواهم
فدفعوه وجحدوه تعصبا وحمية وسياتي خامس في قوله ام تسألهم خرجا ثم اضرب سبحانه
عن ذلك كله فقال بل جاءهم بالحق اي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول بل جاءهم متلبسا
بالحق والحق هو الدين القويم او القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الاسلام وعن ابي صالح قال
الحق هو الله عز وجل وأكثرهم للحق كارهون لما جبلوا عليه من التعصب والانحراف عن الصواب
والبعد عن الحق فلذلك كرهوا هذا الحق الواضح الظاهر والمراد بالحق هنا اعم من الاول فلذلك
اتى به مظهرا في مقام المضمر وظاهر النظم القرآني ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق ولكنهم لم يظهروا
الايمان خوفا من الكارهين له او لقلة فطنتهم وعدم فكرتهم لا لكراهة الحق ولو اتبع الحق أهواءهم
مستأنفة لبيان انه لو جاء الحق على ما يهوونه ويريدونه من الشريك والولد لله تعالى لكان ذلك
مستلزما للفساد العظيم وخروج نظام العالم عن الصلاح بالكلية وهو معنى قوله لفسدت السموات
والارض قال ابن جريج ومقاتل والسدي الحق هو الله والمعنى لو جعل الله مع نفسه كما تحبون شريكا
لفسدتا هي ومن فيهن وقال الفراء والزجاج الحق القرآن اي لو نزل القرآن بما يحبون من الشرك لفسد نظام
العالم وقيل المعنى لو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الآلهة مع الله لاختلفت الآلهة ومثل ذلك قوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم وقد ذهب الى القول الاول
الاكثرون ولكنه يرد عليه ان المراد بالحق هنا هو الحق المذكور قبله من قوله بل جاءهم بالحق
ولا يصح ان يكون المراد به هنالك الله سبحانه فالاولى تفسير الحق هنا وهنالك بالصدق الصحيح من الدين
الخالص من شرع الله والمعنى ولو ورد الحق متابعا لاهوائهم موافقا لفاسد مقاصدهم لحصل
الفساد والمراد بمن في السموات والارض من فيهما من المخلوقات وخص العقلاء بالذكر لان غيرهم
تبع وقرأ ابن مسعود وما بينهما وسبب فساد المكلفين من بني ادم ظاهر وهو ذنوبهم التي من جملتها
الهوى المخالف للحق واما فساد ما عداهم فعلى وجه التبع لانهم مدبرون في الغالب بذوي العقول فلما
فسدوا فسدوا ثم ذكر سبحانه ان نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال بل أتيناهم بذكرهم
اضراب وانتقال عن قوله واكثرهم للحق كارهون اي كيف يكرهون الحق مع ان القرآن اتاهم بشرفهم

وتعظيمهم فالاولى بهم الانقياد فالمراد بالذكر هنا القرآن اي اتيناهم بالكتاب الذي هو فخرهم
وشرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم ومثله قوله وانه لذكر لك ولقومك وحاصل
المعنى بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوه ويقبلوا عليه وقال قتادة
المعنى بذكرهم الذي ذكر فيه ثوابهم وعقابهم وقيل المعنى بذكر ما لهم به حاجة من امر الدين
وقرئ اتيتهم بتاء التكلم وآتيتهم بتاء الخطاب اي اتيتهم يا محمد وقرئ بذكراهم ونذكرهم
بصيغة التكلم من التذكير وقيل الذكر هو الوعظ وقيل الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا
ذكرا من الاولين وقال ابن عباس اتيناهم ببيان الحق فهم بما فعلوا من الاستكبار والنكوص عن
ذكرهم المختص بهم معرضون بسوء اختيارهم لا يلتفتون اليه بحال من الاحوال واتى بذكرهم
مظهرا للتوكيد والتشنيع عليهم وفي هذا التركيب ما يدل على ان اعراضهم مختص بذلك لا يتجاوزه
الى غيره ثم بين سبحانه ان دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم ليست مشوبة باطماع الدنيا فقال أم منقطعة
والمعنى لكنهم يزعمون انك تسألهم خرجا تاخذه على الرسالة والخرج الاجر والجعل فتركوا الايمان
بك وبما جئت به لاجل ذلك مع انهم يعلمون انك لم تسألهم ذلك ولا طلبته منهم فخراج اي فرزق
ربك الذي يرزقك في الدنيا واجره الذي يعطيك في الآخرة خير لك وقرئ خراجا والخرج
هو الذي يكون مقابلا للدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك خرجا والخراج غالب في الضريبة على
الارض قال المبرد الخرج المصدر والخراج الاسم وقال ابو عمرو بن العلاء الخراج ما لزمك والخرج ما
تبرعت به وروي عنه ايضا الخرج من الرقاب والخراج من الارض فالخرج اخص من الخراج
تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى وهو خير الرازقين اي افضل
المعطين والجملة مقررة لما قبلها من كون خراجه سبحانه خيرا ثم لما اثبت سبحانه لرسوله من
الادلة الواضحة المقتضية لقبول ما جاء به ونفى عنه اضداد ذلك قال وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم اي الى طريق واضحة تشهد العقول بانها مستقيمة غير معوجة والصراط
في اللغة الطريق فسمي الدين طريقا لانها تؤدي اليه ثم وصفهم سبحانه بانهم على خلاف ذلك فقال
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يقال نكب عن الطريق ينكب نكوبا
اذا عدل عنه ومال الى غيره والنكوب والنكب العدول والميل ومنه النكباء للريح بين ريحين سميت بذلك

لعدولها عن المهاب والمغنى ان هؤلاء الموصوفين بعدم الايمان بالآخرة اي البعث والثواب والعقاب
لعادلون عن ذلك الصراط او عن جنس الصراط ثم بين سبحانه انهم مصرون على الكفر لا يرجعون.
عنه بحال فقال ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي من قحط وجدب للجوا في طغيانهم
اي لتمادوا في ضلالهم واصل اللجاج التمادي في العناد ومنه اللجة بالفتح لتردد الصفقات ولجة البحر
تردد امواجه ولجة الليل تردد ظلامه وقيل المعنى لو رددناهم الى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم
للجوا في طغيانهم يعمهون اي يترددون ويتذبذبون ويخبطون ولقد اخذناهم بالعذاب تأكيد
للشرطية مسوق لتقرير ما قبله والعذاب قيل هو الجوع الذي اصابهم في سني القحط وقيل المرض
وقيل القتل يوم بدر واختاره الزجاج وقيل الموت وقيل المراد من اصابه العذاب من الامم الخالية فما
استكانوا لربهم اي ما خضعوا ولا تذللوا لربهم بل اقاموا على ما كانوا فيه من التمرد على الله والانهماك
في معاصيه وما يتضرعون اي وما يخشعون لله في الشدائد عند اصابتها لهم ولا يدعونه لرفع
ذلك اخرج النسائي والطبراني والحاكم وصححه وغيرهم عن ابن عباس قال جاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد انشدك الله والرحم فقد اكلنا العلهز يعني الوبر بالدم فانزل الله ولقد اخذناهم بالعذاب
الى آخر الآية واصل الحديث في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال
اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف الحديث واخرج البيهقي وغيره عن ابن عباس ان ابن اثال
الحنفي لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اسير فخلى سبيله لحق باليمامة فحال بين اهل مكة وبين
الميرة من اليمامة حتى اكلت قريش العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليس تزعم
انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال فلقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فانزل الله هذه الآية
وعن علي بن ابي طالب في الآية قال اي لم يتواضعوا في الدنيا ولم يخضعوا ولو خضعوا لله لاستجاب لهم
حتى ابتدائية اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قيل هو عذاب الآخرة وقيل قتلهم يوم بدر
بالسيف قاله ابن عباس وقيل القحط الذي اصابهم وقيل فتح مكة وقيل قيام الساعة اذا هم فيه مبلسون
اي متحيرون لا يدرون ما يصنعون والابلاس التحير والاياس من كل خير وقرئ مبلسون بفتح اللام
من ابلسه اي ادخله في الابلاس والبلاس مثل سلاه المسح وهو فارسي معرب والمبلس اليس وقد تقدم
في الانعام وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة امتن الله سبحانه عليهم ببعض النعم التي

اعطاهم والمقصود به التقريع والتوبيخ بالنسبة للكافرين وتذكير النعم بالنسبة للمؤمنين
وهي نعمة السمع والبصر والفؤاد فصارت هذه الامور معهم ليسمعوا المواعظ وينظروا العبر
ويتفكروا بالافئدة فلم ينتفعوا بشيء من ذلك لاصرارهم على الكفر وبعدهم عن الحق ولم يشكروا
على ذلك ولهذا قال قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ اي شكرا قليلا حقيرا غير معتد به باعتبار تلك النعم
الجليلة وقيل المعنى انهم لا يشكرونه البتة لا ان لهم شكرا قليلا كما يقال لجاحد النعمة ما اقل
شكره اي لا يشكره ومثل هذه الآية قوله فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم وفيه
تنبيه على ان من لم يعمل هذه الاعضاء فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ اي بثكم فيها بالنسل كما تبث الحبوب وقد تقدم تحقيقه وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ اي تجمعون
يوم القيامة بعد تفرقكم وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي النسم بالانشاء ونفخ الروح في المضغ وَيُمِيتُ
النسم بالافناء على جهة الانفراد والاستقلال وفي هذا تذكير بنعمة الحياة وبيان الانتقال
منها الى الدار الآخرة وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ خلقا وايجادا قال الفراء هو الذي جعلهما مختلفين
يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض وقيل اختلافهما نقصان احدهما وزيادة الآخر وقيل
تكرارهما يوما بعد يوم وليلة بعد ليلة أَفَلَا تَعْقِلُونَ كنه قدرته وتتفكرون في ذلك
ثم بين سبحانه انه لا شبهة لهم في انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد المبني على مجرد
الاستبعاد فقال بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ اي آباؤهم والموافقون لهم في دينهم من قوم
نوح وهود وصالح وغيرهم ثم بين ما قاله الاولون فقال قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ فهذا مجرد استبعاد لم يتعلقوا فيه بشيء من الشبه ثم كملوا ذلك القول بقولهم
لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ اي وعدنا هذا البعث الآن ووعده آباؤنا الكائنون
من قبلنا فلم نصدقه كما لم يصدقوه ثم صرحوا بالتكذيب وفروا الى مجرد الزعم الباطل فقالوا
إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اي ما هذا الا اكاذيب الاولين التي سطروها في الكتب جمع
اسطورة كاحدوثة والاساطير الاباطيل والترهات والكذب وقيل جمع اسطار وهو جمع سطر
والاول اوفق والمعنى لم نر هذا الوعد حقيقة وانما رأيناه اساطير الاولين ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يسأل اهل مكة عن امور لا عذر لهم من الاعتراف فيها فقال قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا

المراد بمن الخلق جميعاً وعبر عنهم بمن تغليباً للعقلاء ولمن خبر مقدم والارض مبتدأ مؤخر
إن كنتم تعلمون شيئاً من العلوم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني وفي هذا تلويح بجهلهم
وفرط غباوتهم سيقولون لله اي لابد ان يقولوا ذلك لانه معلوم ببداهة العقل وهذا
اخبار من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه ثم امره سبحانه ان يقول لهم بعد اعترافهم
قل أفلا تذكرون ترغيباً لهم في التدبر واعمال النظر والفكر فان ذلك مما يقودهم الى اتباع الحق
وترك الباطل لان من قدر على ذلك ابتداء قدر على احياء الموتى قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون لله جاء سبحانه باللام نظراً الى معنى السؤال فان قولك من ربه
ولمن هو في معنى واحد كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد ويقال لزيد وقرئ الله بغير لام نظراً
الى لفظ السؤال وهذه اوضح من الاولى ولكنه يؤيدها انها مكتوبة في جميع المصاحف باللام بدون الالف قل
أفلا تتقون عبادة غيره او تحذرون عقابه او قدرته على البعث فلا تشركوا به وفيه تنبيه
على ان اتقاء عذاب الله لا يحصل الا بترك عبادة الاوثان والاعتراف بجواز الاعادة فهذا الختم
ابلغ من ختم الآية الاولى لاشتماله على الوعيد الشديد ولما ذكر الارض اولاً والسماء ثانياً عمم الحكم هنا
فقال قل من بيده ملكوت كل شيء الملكوت الملك وفي زيادة التاء للمبالغة نحو جبروت ورحموت
ورهبوت وقال مجاهد يعني خزائن كل شيء وهو يجير اي انه يغيث غيره اذا شاء ويمنعه
ولا يجار عليه اي لا يمنع احد احداً من عذاب الله ولا يقدر على نصره واغاثته يقال اجرت فلاناً
اذا استغاث بك فحميته واجرت عليه اذا حميت عنه والمعنى يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون
فاجيبوا سيقولون لله قرئ باللام نظراً الى معنى السؤال كما سلف وقرئ بغير لام نظراً الى لفظ السؤال
قل فأنى تسحرون قال الفراء والزجاج اي تصرفون عن الحق وتخدعون والمعنى كيف يخيل اليكم
الحق باطلاً والصحيح فاسداً والخادع لهم هو الشيطان او الهوى او كلاهما ثم بين الله سبحانه انه قد
بالغ في الاحتجاج عليهم فقال بل أتيناهم بالحق اي بالامر الواضح الذي يحق اتباعه وانهم لكاذبون
فيما ينسبونه الى الله تعالى من الولد والشريك ثم نفاهما عن نفسه فقال ما اتخذ الله من
ولد لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه وما كان معه من إله شريك في الالوهية
ومن في الموضعين زائدة لتوكيد النفي ثم بين سبحانه ما يستلزمه ما يدعيه الكفار من اثبات الشريك

فقال إذاً لذهب كل إله بما خلق وفي الكلام حذف أي لو كان مع الله آلهة أخرى لانفرد كل إله
بخلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخر ووقع بينهم التطالب والتحارب والتغالب ولعلا
بعضهم على بعض أي لغلب القوي على الضعيف وقهره وأخذ ملكه كعادة الملوك من بني آدم
وح فذلك الضعيف المغلوب لا يستحق أن يكون إلهاً وإذا تقرر عدم إمكان المشاركة في ذلك
وأنه لا يقوم به إلا واحد تعين أن يكون هذا الواحد هو الله سبحانه وهذا الدليل كما دل على
نفي الشريك فإنه يدل على نفي الولد لأن الولد ينازع أباه في ملكه ثم نزه سبحانه نفسه فقال سبحان
الله عما يصفون من الشريك والولد وإثبات ذلك لله عز وجل عالم الغيب والشهادة أي
هو مختص بعلم ما غاب وما شوهد وأما غيره سبحانه فهو وإن علم الشهادة لا يعلم الغيب وهذا
دليل آخر على الوحدانية بواسطة مقدمة أخرى كأنه قيل الله عالمهما وغيره لا يعلمهما
فغيره ليس بإله وهذا من قبيل الشكل الثاني وقرئ بالرفع على أنه خبر مقدر وقرئ بالجر على أنه
صفة لله عز وجل أو بدل منه وروي عن يعقوب أنه كان يخفض إذا وصل ويرفع إذا ابتدأ
فتعالى الله عما يشركون كأنه قال علم الغيب فتعالى أو أقول فتعالى والمعنى أنه سبحانه متعال عن
أن يكون له شريك في الملك قل رب إما تريني ما يوعدون أي إن كان ولا بد أن تريني العذاب
المستأصل لهم رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قال الزجاج أي إن أنزلت بهم النقمة يا رب
فاجعلني خارجاً عنهم ويعني أن النداء معترض وذكر الرب مرتين قبل الشرط وبعده مبالغة في
التضرع والابتهال وأمره الله أن يسأله أن لا يجعله في القوم الظالمين مع أن الأنبياء لا يكونون معهم
أبداً تعليماً له صلى الله عليه وسلم من ربه كيف يتواضع و يهضم نفسه أو لكون شؤم الكفر قد يلحق من لم يكن
من أهله كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ثم لما كان المشركون ينكرون العذاب
ويسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر لهم ذلك أكد سبحانه وقوعه بقوله وإنا على أن نريك ما
نعدهم لقادرون يعني أن الله سبحانه قادر على أن يري رسوله عذابهم ولكنه يؤخره لعلمه
بأن بعضهم سيؤمن أو لكون الله سبحانه لا يعذبهم والرسول فيهم وقيل قد أراه الله سبحانه ذلك
يوم بدر ويوم فتح مكة ثم أمره سبحانه بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب فقال ادفع بالتي هي
أحسن السيئة أي ادفع بالخصلة التي هي أحسن من غيرها وهي الصفح والإعراض عما يفعله الكفار

من الخصلة السيئة وهي الشرك قيل وهذه الآية منسوخة باية السيف وقيل هي في حق
هذه الامة فيما بينهم منسوخة في حق الكفار قال مجاهد اي اعرض عن اذاهم اياك وقال
عطاء ادفع بالسلام وعن انس قال هو قول الرجل لاخيه ما ليس فيه فيقول ان كنت كاذبا فانا
اسأل الله ان يغفر لك وان كنت صادقا فانا اسأل الله ان يغفر لي نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ اي
بما انت على خلافه او بما يصفون من الشرك والتكذيب وفي هذا وعيد لهم بالعقوبة ثم علمه
سبحانه ما يقويه على ما ارشده اليه من العفو والصفح ومقابلة السيئة بالحسنة فقال وَقُلْ
رَبِّ أَعُوذُ بِكَ اي اعتصم مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ جمع همزة وهي في اللغة الدفعة باليد او
بغيرها يقال همزه ولمزه ونخسه اي دفعه وقيل الهمز كلام من وراء القفا واللمز المواجهة والمراد
بها هنا خطراته التي يخطرها بقلب الانسان ووساوسه وقيل نفخهم ونفثهم والجمع للمرات او لتنوع
الوساوس او لتعدد المضاف اليه وفي الآية ارشاد لهذه الامة الى التعوذ من الشيطان ومن همزات
الشياطين وهي سورات الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ
امره الله سبحانه ان يتعوذ بالله من حضور الشياطين بعد ما امره ان يتعوذ من همزاتهم واعيد كل
من العامل والنداء مبالغة ولزيادة اعتناء بهذه الاستعاذة والمعنى واعوذ بك ان يكونوا معي
في حال من الاحوال فانهم اذا حضروا الانسان لم يكن له عمل الا الوسوسة والاغراء على الشر والصرف
عن الخير وفي قراءة ابي وقل رب عائذا بك واخرج احمد وابو داود والترمذي وحسنه والنسائي
والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات
نقولهن عند النوم من الفزع بسم الله اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده
ومن همزات الشياطين وان يحضرون قال فكان ابن عمرو يعلمها من بلغ من اولاده ان يقولها
عند نومه ومن كان منهم صغيرا لا يعقل ان يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه وفي اسناده
محمد بن اسحاق وفيه مقال معروف واخرج احمد عن الوليد بن الوليد انه قال يا رسول الله اني
اجد وحشة قال اذا اخذت مضجعك فقل اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر
عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون فانه لا يحضرك وبالحري لا يضرك حَتَّى إِذَا جَاءَ
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ حتى هي الابتدائية دخلت على الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها والمراد بمجيء

الموت يجيء علاماته اي رأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن قال اي ذلك الاحد لآلة
حضرة الموت تحسراً وتحزناً على ما فرط منه رب ارجعون اي ردوني الى الدنيا وانما قال بضمير الجماعة
لتعظيم المخاطب وقيل هو على معنى تكرير الفعل اي ارجعني ارجعني قاله ابو البقاء ومثله قوله تعالى القيا
في جهنم قال المازني معناه الق الق وهكذا قيل في قول امرئ القيس ع قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
ومثله قول الحجاج يا حرسي اضربا عنقه وقول الآخر ع الا فارحموني يا اله محمد وقيل انهم لما استغاثوا
بالله قال قائلهم رب ثم رجع الى مخاطبة الملائكة فقال ارجعون لعلي اعمل عملاً صالحاً في الدنيا
اذا رجعت اليها من الايمان وما يتبعه من اعمال الخير اخرج ابن ابي الدنيا وابن ابي حاتم عن ابي هريرة
قال اذا ادخل الكافر في قبره فيرى مقعده من النار قال رب ارجعون اتوب واعمل صالحاً فيقال
له قد عمرت ما كنت معمراً فيضيق عليه قبره فهو كالمنهوش ينازع ويفزع تهوي اليه حيات الارض
وعقاربها وعن ابن جريج قال زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان المؤمن اذا عاين الملائكة
قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدماً الى الله واما الكافر فيقولون نرجعك
فيقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً وهو مرسل وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حضر الانسان الوفاة يجمع له كل شيء يمنعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول رب
ارجعون الآية وعن ابن عباس في قوله اعمل صالحاً قال اقول لا اله الا الله فيما تركت اي في الموضع
الذي ضيعت او منعت وقيل خلفت من التركة وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى
قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى ان يرجع
فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرءاً عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب ولما تمنى ان يرجع ليعمل رد الله عليه
ذلك بقوله كلا انها كلمة هو قائلها فجاء بكلمة الردع والزجر والضمير في انها يرجع الى قوله رب
ارجعون اي ان هذه الكلمة هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم
عليه وليس الامر كما يظنه من انه يجاب الى الرجوع الى الدنيا والمعنى انه لو اجيب الى ذلك لما حصل منه
الوفاء كما في قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل ان الضمير في هو يرجع الى الله اي لا خلف في خبره
وقد اخبرنا بانه لا يؤخر نفساً اذا جاء اجلها ومن ورائهم اي من امامهم وبين ايديهم والضمير
للآحاد والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ برزخ هو

الحاجز بين الشيئين قاله الجوهري واختلف في معنى الآية فقال الضحاك ومجاهد وابن زيد
حاجز بين الموت والبعث وقال الكلبي هو الاجل بين النفختين وبينهما اربعون سنة وقال
السدي هو الاجل وقيل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا الى يوم يبعثون اي يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجوع
الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة عن
عايشة قالت ويل لاهل المعاصي من اهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود حية
عند راسه وحية عند رجليه تقرضانه حتى تلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي
قال الله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور قيل هذه هي النفخة الاولى قاله ابن عباس
وقيل الثانية قاله ابن مسعود وهذا اولى وهي النفخة التي بين البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ
في الاجساد ارواحها على ان الصور جمع صورة لا القرن وقد قرئ بها وبضم الصاد وسكون الواو
القرن الذي ينفخ فيه فلا انساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها او تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف
بينهم لا يذكرونها لما هم فيه من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة والانساب جمع نسب وهو القرابة ولا يتساءلون
اي لا يسأل بعضهم بعضا عنها فان لهم اذ ذاك شغلا شاغلا ومنه قوله يوم يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه وقوله ولا يسأل حميم حميما ولا ينافي هذا ما في الآية الاخرى من قوله
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فان ذلك محمول على اختلاف المواقف يوم القيامة فالاثبات
باعتبار بعضها والنفي باعتبار بعض آخر كما قررناه في نظائر هذا مما اثبت تارة ونفي اخرى وعن ابن عباس في الآية قال
حين ينفخ في الصور فلا يبقى حي الا الله وعنه انه سئل عن هذه الآية وقوله اقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قال انها مواقف فاما الموقف الذي لا انساب بينهم ولا يتساءلون عند الصعقة
الاولى لا انساب بينهم فيها اذا صعقوا فاذا كانت النفخة الآخرة فاذا هم قيام يتساءلون وعنه
انه سئل عن الآيتين فقال هذا في النفخة الاولى حين لا يبقى على الارض شيء وذلك لما دخلوا الجنة
اقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين
والآخرين وفي لفظ يؤخذ بيد العبد او الامة يوم القيامة على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي
مناد الا ان هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت الى حقه واخرج احمد والطبراني
والحاكم والبيهقي في سننه عن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الانساب تنقطع يوم

يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري واخرج البزار والطبراني وابو نعيم والحاكم والضياء في
المختارة عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة
الا سببي ونسبي واخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نسب وصهر ينقطع
يوم القيامة الا نسبي وصهري واخرج احمد عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول على المنبر ما بال رجال يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع قومه بلى والله ان رحمي
موصولة في الدنيا والآخرة واني ايها الناس فرط لكم فمن ثقلت موازينه اي موزوناته
من اعماله الصالحة فالموازين جمع موزون ويجوز كونه جمع ميزان ومع وحدته جمعه لتعدد
الموزون فاولئك هم المفلحون اي الفائزون بمطالبهم المحبوبة الناجون من الامور التي يخافونها
ومن خفت موازينه وهي اعماله الطالحة فاولئك الذين خسروا انفسهم اي ضيعوها و
تركوا ما ينفعها في جهنم خالدون قد تقدم الكلام على هذه الآية مستوفى فلا نعيده تلفح
وجوههم النار اي تحرقها مستأنفة او حالية او خبر لاولئك واللفح اشد النفح لانه الاصابة
بشدة والنفح الاصابة مطلقا كما في قوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك وقيل اللفح الاحراق
يقال لفحته النار اذا احرقته ولفحته بالسيف اذا ضربته وخص الوجوه لانها اشرف الاعضاء
وقيل تسفع قال ابن عباس تلفح تنفح اخرج ابن مردويه والضياء عن ابي الدرداء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الآية تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على اعقابهم وعن ابي مسعود قال لفحتهم لفحة
فما ابقت لحما على عظم الا القته على اعقابهم وهم فيها كالحون حالية والكالح الذي قد تشمرت
شفتاه وبدت اسنانه قاله الزجاج ودهر كالح اي شديد قال اهل اللغة الكلوح تكشر في عبوس
ونابه خضع ومنه كلوح الاسد اي تكشيره عن انيابه وقيل الكلوح تقطب الوجه كلح الرجل يكلح كلوحا و
كلاحا وعن ابن مسعود قال كلوح الراس النضيج بدت اسنانهم وتقلصت شفاههم وعن ابن عباس
قال كالحون اي عابسون وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال تشويه النار
فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد ورد في صفة اهل النار وما يقولونه وما يقال لهم
احاديث كثيرة معروفة الم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفو

بها ويقال لهم ذلك توبيخا وتقريعا فكنتم بها تكذبون وتزعمون انها ليست من الله تعالى
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا مستانفة والمعنى غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا فسمى ذلك
شقوة لانه يؤول الى الشقاء وقرئ شقاوتنا وبها قرأ ابن مسعود والحسن وهما مصدران بمعنى
سوء العاقبة والشقاء ضد السعادة والشدة والعسر وكنا قوما ضالين بسبب ذلك عن الهدى
فانهم ضلوا عن الحق والصواب بتلك الشقوة ثم طلبوا ما لا يجابون اليه فقالوا ربنا اخرجنا
منها اي من النار فان عدنا الى ما كنا عليه من الكفر والتكذيب وعدم الايمان فانا ظالمون
لانفسنا بالعود الى ذلك قال تعالى لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين قيل هو سبعة
الاف سنة بعدد الكواكب السيارة وقيل اثنا عشر الف سنة بعدد البروج وقيل ثلثمائة الف سنة
وستون بعدد ايام السنة ذكره القرطبي في التذكرة والتحقيق فيه ما ذكرناه في لفظ العجلان
اخسؤا فيها اي اسكتوا في جهنم سكوت هوان قال المبرد الخسؤ ابعاد بمكروه قال الزجاج
تباعدوا تباعد سخط وابعدوا بعد الكلب فالمعنى ابعدوا في جهنم كما يقال للكلب اخسأ اي ابعد خسأت
الكلب طردته ولا تكلمون في اخراجكم من النار ورجوعكم الى الدنيا او في رفع العذاب عنكم وقيل المعنى
لا تكلمون راسا قال الحسن هو اخر كلام يتكلم به اهل النار وما بعد ذلك الا الزفير والشهيق
وعواء كعواء الكلاب ثم علل ذلك بقوله انه تعليل لما قبلها من الزجر عن دعائهم بالخروج منها
كان فريق من عبادي وهم المؤمنون وقيل الصحابة المهاجرون ومنهم بلال وصهيب وعمار
وخباب يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين ومحط التعليل قوله
فاتخذتموهم سخريا بكسر السين وضمها سبعيتان وفرق بينهما ابو عمرو فجعل الكسر من جهة الهزؤ و
الضم من جهة السخرة قال النحاس ولا يعرف هذا الفرق الخليل ولا سيبويه ولا الكسائي ولا الفراء
وحكى عن الكسائي ان الكسر بمعنى الاستهزاء والسخرية بالقول والضم بمعنى التسخير والاستبعاد
بالفعل حتى انسوكم ذكري اي اتخذتموهم سخريا الى هذه الغاية فانهم نسوا ذكر الله لشدة
اشتغالهم بالاستهزاء وكنتم منهم تضحكون في الدنيا والمعنى حتى نسيتم ذكري باشتغالكم
بالسخرية والضحك فنسب ذلك الى عباده المؤمنين لكونهم السبب اني جزيتهم اليوم بما
صبروا مستانفة لتقرير ما سبق لبيان حسن حالهم وانباء بالسببية انهم هم الفائزون

بفتح الهمزة مفعول ثان لجزيتهم وقرئ بكسرها على الاستيناف والمعنى جزيتهم بصبرهم الفوز
بالجنة قال الله عز وجل تذكيراً لهم بما ظنوه طويلاً دائماً فهو قليل بالاضافة الى ما انكروه
وقرئ قال على صيغة الامر والمعنى قل يا محمد للكفار او يكون امراً للملك بسؤالهم او قولوا فاخرج
الكلام مخرج الامر للواحد والمراد الجماعة كم لبثتم في الارض التي طلبتم الرجوع اليها والغرض من
هذا السؤال التبكيت والتوبيخ لانهم كانوا ينكرون اللبث في الآخرة اصلا ويحتمل ان يكون السؤال
عن جميع ما لبثوا في الحيوة الدنيا وفي القبور وقيل هو سؤال عن مدة لبثهم في القبور لقوله في
الارض ولم يقل على الارض ورد بمثل قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض عدد سنين اي لبثتم
كم عدداً من السنين بفتح النون على انها نون الجمع ومن العرب من يخفضها وينونها قالوا لبثنا
يوماً او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم وشكوا في ذلك لعظم ما هم فيه من العذاب الشديد
وقيل ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم وقيل انساهم
الله ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الاولى الى النفخة الثانية ثم لما عرفوا ما اصابهم من النسيان
لشدة ما هم فيه من الهول العظيم احالوا على غيرهم فقالوا فاسئل العادين جمع عاد من العدد
اي المتمكنين من معرفة العدد وهم الملائكة لانهم الحفظة العارفون باعمال العباد واعمارهم و
قيل المعنى فاسئل الحاسبين العارفين بالحساب من الناس قال ان لبثتم الا قليلا قرئ على
الخبر وقرئ قل كما في الآية الاولى وقد تقدم توجيه القراءتين اي ما لبثتم في الارض الا زمنا قليلا
او لبثا قليلا قال تعالى ذلك بلسان مالك تصديقا لهم وتقريعا وتوبيخا لو انكم كنتم تعلمون
شيئا من العلم والجواب محذوف اي لعلمتم اليوم قلة لبثكم في الارض او في القبور او فيهما فكل ذلك
قليل بالنسبة الى لبثهم في النار ثم زاد في توبيخهم على تماديهم في الغفلة وتركهم النظر الصحيح
فيما يدل على حقية البعث والقيامة فقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا لحكمة والهمزة للتوبيخ
والتقرير والفاء للعطف على مقدر اي الم تعلموا شيئا افحسبتم او اغفلتم وتلاهيتم وتعاميتم
فحسبتم والمعنى عابثين او لاجل العبث قال بالاول سيبويه وقطرب وبالثاني ابو عبيدة والعبث
في اللغة اللعب وما لا فائدة فيه يقال عبث يعبث عبثا فهو عابث اي لاعب واصله من قولهم
عبثت الاقط اي خلطته والمعنى افحسبتم انا خلقناكم للاهمال كما خلقت البهائم ولا ثواب ولا عقاب

وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ بالبعث والنشور فنجازيكم بأعمالكم قرئ ترجعون مبنيا للفاعل وللمفعول
وقدم إلينا على الفعل لأجل الفواصل ثم نزه سبحانه نفسه فقال فَتَعَالَى اللَّهُ أي تنزه عن الأولاد
والشركاء وعن أن يخلق شيئا عبثا أو عن جميع ذلك وهو الْمَلِكُ الذي يحق له الملك على الإطلاق
إيجادا وإعداما بدأ وإعادة إحياء وإماتة وعقابا وإثابة وكل ما سواه مملوك له بالذات مقهور
لملكوته مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال الْحَقُّ في جميع أفعاله وأقواله
وهذا استعظام له تعالى ولشؤونه لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فكيف لا يكون إلها وربا لما هو
دون العرش الكريم وما تحته من المخلوقات وما أحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصف
العرش بالكريم لنزول القرآن أو الرحمة أو الخير منه أو باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم
إذا كان ساكنوه كراما أو للنسبة إلى أكرم الأكرمين من حيث إنه أعظم مخلوقاته وقرئ الكريم بالرفع
على أنه نعت لرب أخرج الحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن السني في عمل اليوم
والليلة وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود أنه قرأ في أذن مصاب أفحسبتم
حتى ختم السورة فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا قرأت في أذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال وأخرج ابن السني وابن منده وأبو نعيم
قال السيوطي بسند حسن عن إبراهيم التيمي قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا أن نقول
إذا أمسينا وأصبحنا أفحسبتم فقرأناها فغنمنا وسلمنا ثم زيف ما عليه أهل الشرك توبيخا لهم
وتقريعا فقال وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ يعبده مع الله أو يعبده وحده لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ صفة
كاشفة لقوله إلها إذ لا مفهوم لها أو هي صفة لازمة جيء بها للتأكيد كقوله يطير بجناحيه والبرهان
الحجة الواضحة والدليل الواضح وجواب الشرط قوله فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ أي فهو مجازيه بقدر ما
يستحقه وجملة لا برهان له به معترضة بين الشرط والجزاء وقيل إن جواب الشرط قوله لا برهان
له به إِنَّهُ قرئ بالكسر على الاستئناف المفيد للعلة وبالفتح على التعليل — لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ قرئ
من أفلح وقرئ بفتح الياء مضارع فلح بمعنى أفلح فيه مراعاة معنى من وفيه الإظهار في مقام الإضمار
للنداء عليهم بهذا الوصف القبيح جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها إنه لا يفلح الكافرون
فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم ختم هذه السورة بتعليم رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو بالمغفرة

والرحمة فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين امره سبحانه بالاستغفار ليقتدي
به امته وقيل امره بالاستغفار لامته وقد تقدم بيان كونه ارحم الراحمين وفي الرحمة زيادة
على المغفرة وهي ايصال الاحسان زيادة على غفر الذنب وايضا الغفران قد يكون من غير احسان
الذي هو معنى الرحمة ووجه اتصال هذا بما قبله انه سبحانه لما شرح احوال الكفار امر بالانقطاع اليه
والالتجاء الى غفرانه ورحمته لان رحمته اذا ادركت احدا اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته

سورة النور هي مدنية وآياتها اربع وستون آية

وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن عائشة مرفوعا قال لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن
الكتابة يعني النساء وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه البيهقي والحاكم وابن مردويه وعن مجاهد
مرفوعا قال علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نساءكم سورة النور رواه البيهقي وابن المنذر وسعيد بن منصور وهو مرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هي في اللغة اسم للمنزلة الشريفة ولذلك سميت السورة من القران سورة ومنه قول
زهير ألم تر ان الله اعطاك سورة + ترى كل ملك دونها يتذبذب + اي منزلة والتقدير
هذه سورة ورجحه الزجاج والفراء والمبرد قالوا لانها نكرة ولا يبتدئ بها في كل موضع او نكرة موصوفة
بقوله انزلناها والخبر الزانية والزاني والى هذا نحا ابن عطية والمعنى السورة المنزلة المفروضة كذا وكذا
اذ السورة عبارة عن آيات مسرودة لها مبدأ ومختم وهذا معنى صحيح ولا وجه لما قاله الاولون وقيل التقدير
فيما اوحينا اليك سورة ورجحان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا بيان ان في جملة ما
اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم سورة شأنها كذا وكذا وقرئ بالنصب اي اتل سورة او اقرأ او انزلنا سورة او دونك
سورة قاله الزمخشري ورده ابو حيان وقيل انزلنا الاحكام حال كونها سورة من سور القران
وفرضناها قرئ بالتخفيف والتشديد ومعنى المشدد قطعناها في الانزال نجما نجما والفرض القطع و
التشديد للتكثير او للمبالغة او لتأكيد الايجاب او لكثرة الفرائض فيها كالزنا والقذف واللعان والاستئذان
وغض البصر وغير ذلك ومعنى المخفف اوجبناها وجعلناها مقطوعا وقيل الزمناكم العمل بها

وقيل قدرنا ما فيها من الحدود والفرض التقدير ومنه ان الذي فرض عليك القرآن وقيل
بيناها قاله ابن عباس وقيل اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية
وكادة الفرضية ما لا يخفى وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ اي انزلنا في غضونها وتضاعيفها آيات
واضحة الدلالة على مدلولها وتكرير انزلنا لكمال العناية بانزال هذه السورة وشانها لما اشتملت
عليه من الاحكام المفروضة قال الرازي ذكر الله في اول السورة انواعا من الاحكام والحدود
وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله فرضناها اشارة الى الاحكام وقوله هذا الى ما بين فيها من
دلائل التوحيد ويؤيده قوله لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فان الاحكام لم تكن معلومة حتى نؤمر بتذكرها
والمعنى تتعظون وقيل قوله الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي تفصيل ما اجمل من الآيات البينات والزنا هو وطء
الرجل للمرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح وقيل هو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا
محرم شرعا والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما تنبئ عنه الصيغة لا المكرهة
وكذلك الزاني وتقديم الزانية على الزاني لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها
منه لم يقع قاله ابو السعود وانما قدمت المرأة هنا واخرت في آية حد السرقة لان الزنا انما يتولد من شهوة
الوقاع وهي في المرأة اقوى واكثر والسرقة انما تتولد من الجسارة والقوة والجرأة وهي في الرجل اقوى
واكثر قاله الكرخي وقيل وجه تقديم الزانية على الزاني ههنا ان الزنا في ذلك الزمان كان في النساء
اكثر حتى كان لهن رايات تنصب على ابوابهن ليعرفهن من اراد الفاحشة منهن وقيل لان العار
فيهن اكثر اذ موضوعهن الحجبة والصيانة فقدم ذكر الزانية تغليظا واهتماما فَاجْلِدُوا والجلد
الضرب يقال جلده اذا ضرب جلده مثل بطنه اذا ضرب بطنه ورأسه اذا ضرب راسه ودخول الفاء
لتضمن المبتدأ معنى الشرط على مذهب الاخفش وعلى مذهب سيبويه التقدير فيما يتلى عليكم حكم الزانية
ثم بين ذلك بقوله فاجلدوا والخطاب في هذه الآية الكريمة للائمة ومن قام مقامهم وقيل
للمسلمين اجمعين لان اقامة الحدود واجبة عليهم جميعا والامام ينوب عنهم اذ لا يمكنهم الاجتماع
على اقامة الحدود كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ هو حد الزاني الحر البالغ البكر وكذلك الزانية
وثبت بالسنة زيادة على هذا الجلد وهو تغريب عام وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة التغريب
الى رأي الامام والحديث يرده وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المرأة ولا تغرب واما المملوك

والمملوكة فيجلد كل واحد منهما خمسين جلدة لقوله سبحانه فإن اتين بفاحشة فعليهن نصف
ما على المحصنات من العذاب وهذا نص في الاماء والحق بهن العبيد لعدم الفارق واما من كان
محصنا من الاحرار فعليه الرجم بالسنة الصحيحة المتواترة وباجماع اهل العلم بل وبالقران المنسوخ
لفظه الباقي حكمه وهو الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة وزاد جماعة من اهل العلم مع الرجم
جلد مائة وقد اوضح الشوكاني ما هو الحق في ذلك في شرحه للمنتقى وقد مضى الكلام في حد الزنا
مستوفى وهذه الآية ناسخة لآية الحبس وآية الاذى اللتين في سورة النساء وزاد النسفي والتغريب
منسوخ بالآية وليس بصحيح فقد اثبتته السنة الصحيحة كما اشرنا اليه ولا تأخذكم بالتانيث مراعاة
للفظ وبالياء لانه مجازي وللفصل بالمفعول والجار بهما رأفة يقال رأف يرأف رأفة على وزن
فعلة ورآفة على وزن فعالة مثل النشأة والنشاءة وكلاهما بمعنى الرقة والرحمة وقيل هي ارق
الرحمة واشدها في دين الله اي في طاعته وحكمه كما في قوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
اي لا يأخذكم اللين في استيفاء الحدود فتعطلوها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد
بن جبير والنخعي والشعبي وقيل تخففوا الضرب وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري
يجتهد في حد الزنا والفرية اي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك
في حد القذف ودونه في حد الشرب ثم قال مثبتا للمأمورين ومهيجا لهم ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر اي ان كنتم تصدقون بالتوحيد والبعث الذي فيه جزاء الاعمال فلا تعطلوا الحدود
وفيه الهاب الغضب لله ولدينه وذلك لان الايمان بهما يقتضي التجلد في طاعة الله وفي اجراء احكامه
وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة في الحدود وتعطيلها والحاصل
ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة ولا يأخذهم اللين والهوان
في استيفاء حدود الله وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد
لقطعت يدها وليشهد عذابهما اي لتحضر الجلد اذا اقيم عليهما زيادة في التنكيل بهما وشيوع
العار عليهما واشتهار فضيحتهما طائفة من المؤمنين ندبا والطائفة الفرقة التي تكون حافة حول
الشيء من الطوف واقلها ثلاثة لانه اقل الجمع وقيل اثنان قاله عكرمة وقيل واحد قاله مجاهد وقيل
اربعة لانهم عدد شهود الزنا وقيل عشرة قال ابن عباس الطائفة الرجل فما فوقه ولا يجب على الامام

حضور رجم ولا على الشهود لانه صلى الله عليه وسلم امر برجم ماعز والغامدية ولم يحضر رجمهما وانما خص المؤمنين
بالحضور لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل وتسمية الجلد عذابا دليل على انه عقوبة ثم
ذكر سبحانه شيئا يختص بالزاني والزانية فقال ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا
إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ يعني ان الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والزانية لا يرغب فيها
الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وقد اختلف اهل العلم
في معنى هذه الآية على اقوال الاول ان المقصود منها تشنيع الزنا وتشنيع اهله وانه محرم على المؤمنين
ويكون معنى الزاني لا ينكح الا زانية الوطء لا العقد اي الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا تزني الا بزان وزاد
ذكر المشركة والمشرك لكون الشرك اعم في المعاصي من الزنا ورد هذا الزجاج وقال لا يعرف النكاح في
كتاب الله الا بمعنى التزويج ويرد هذا الرد بان النكاح بمعنى الوطء ثابت في كتاب الله سبحانه ومنه قوله
﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ فقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم بان المراد به الوطء ومن جملة القائلين بان معنى
الآية الزاني لا يزني الا بزانية سعيد بن جبير وابن عباس وعكرمة كما حكاه ابن جرير عنهم وعن
ابن عباس قال ليس هذا بالنكاح ولكن الجماع لا يزني بها حين تزني الا زان او مشرك وعن مجاهد
قال كن نساء في الجاهلية بغيات فكانت منهن امرأة جميلة تدعى ام جميل فكان الرجل من المسلمين
يتزوج احداهن لتنفق عليه من كسبها فنهى الله سبحانه ان يتزوجهن احد من المسلمين وهو
مرسل وعن ابن عباس انها نزلت في بغايا معلنات كن في الجاهلية وكن زواني مشركات فحرم الله
نكاحهن على المؤمنين وعنه قال كانت بغايا في الجاهلية بغايا آل فلان وبغايا آل فلان فقال الله
الزاني لا ينكح الا زانية فاحكم الله ذلك في امر الجاهلية وروي نحو هذا عن جماعة من التابعين
وعن الضحاك قال انما عنى بذلك الزنا ولم يعن به التزويج وعن ابن عباس في هذه الآية قال الزاني
من اهل القبلة لا يزني الا بزانية مثله من اهل القبلة او مشركة من غير اهل القبلة والزانية
من اهل القبلة لا تزني الا بزان مثلها من اهل القبلة او مشرك من غير اهل القبلة وحرم الزنا
على المؤمنين الثاني ان الآية هذه نزلت في امرأة خاصة فتكون خاصة بها كما قال الخطابي
عن ابن عمرو قال كانت امرأة يقال لها ام مهزول وكانت تسافح وتشترط ان ينفق عليها فاراد رجل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجها فانزل الله هذه الآية اخرجه احمد والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم

الثالث انها نزلت في رجل من المسلمين فتكون خاصة به قاله مجاهد وعن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت
امرأة بغي بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له وذكر قصة وفيها فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله انكح عناقا فلم يرد علي شيئا حتى نزلت الزاني لا ينكح الا زانية الآية فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا مرثد الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على
المؤمنين فلا تنكحها اخرجه ابو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم
الرابع انها نزلت في اهل الصفة فتكون خاصة بهم قاله ابو صالح الخامس ان المراد بالزاني والزانية
المحدودان حكاه الزجاج وغيره عن الحسن قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محدود ان يتزوج
الا محدودة وروي نحوه عن ابراهيم النخعي وبه قال بعض اصحاب الشافعي قال ابن العربي وهذا لا يصح
نظرا كما لا يثبت نقلا السادس ان هذه الآية منسوخة بقوله سبحانه وانكحوا الايامى منكم قال النحاس
وهذا القول عليه اكثر العلماء والسابع ان هذا الحكم مؤسس على الغالب العام والمعنى ان غالب الزناة
لا يرغب الا في الزواج بزانية مثله وغالب الزواني لا يرغبن الا في الزواج بزان مثلهن قال الكرخي ان
الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح المرأة الصالحة وانما يرغب في نكاح فاسقة
مثله او في مشركة والفاسقة لا ترغب في نكاح الرجل الصالح بل تنفر عنه وانما ترغب فيمن هو من جنسها
من الفسقة والمشركين فهذا على الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل الخير من
ليس بتقي فكذا ههنا والفرق بين قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وقوله والزانية لا ينكحها الا
زان او مشرك ان الكلام يدل على ان الزاني لا يرغب الا في نكاح الزانية بخلاف الزانية فقد ترغب في نكاح
غير الزاني فلا جرم بين ذلك بالكلام الثاني والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم
عن الزنا وهذا ارجح الاقوال وسبب النزول يشهد له كما تقدم وعن شعبة مولى ابن عباس قال
كنت مع ابن عباس فاتاه رجل فقال اني كنت اتبع امرأة فاصبت منها ما حرم الله علي وقد رزقني
الله منها توبة فاردت ان اتزوجها فقال الناس الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة فقال ابن عباس
ليس هذا موضع هذه الآية انما كن نساء بغايا متعاليات يجعلن على ابوابهن رايات يأتيهن الناس
يعرفن بذلك فانزل الله هذه الآية تزوجها فما كان فيها من اثم فعلي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا ينكح الزاني المجلود الا مثله اخرجه ابو داود وابن المنذر والحاكم وابن ابي حاتم وغيرهم
وعن علي ان رجلا تزوج امرأة ثم انه زنى فاقيم عليه الحد فجاؤا به الى علي ففرق بينه وبين امرأته
وقال لا تتزوج الا مجلودة مثلك وقد اختلف في جواز تزوج الرجل بامرأة قد زنى هو بها فقال
الشافعي وابو حنيفة بجواز ذلك وروي عن ابن عباس وعمر وابن مسعود وجابر انه لا يجوز
قال ابن مسعود اذا زنى الرجل بالمرأة ثم نكحها بعد ذلك فهما زانيان ابدا وبه قال مالك
وَحُرِّمَ ذٰلِكَ اي الزنا او نكاح الزواني لما فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والطعن
في النسب والتسبب لسوء المقالة وغير ذلك من المفاسد ومجالسة الخاطئين كم فيها من
التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة البغايا والقحاب وقيل هو مكروه فقط وعبر بالتحريم
عن كراهة التنزيه مبالغة في الزجر عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الاخيار الابرار فعلى المؤمن ان لا يدخل
نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا
لان تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لانها
لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا في ذلك بدئ بذكرها
واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه الخاطب ومنه بدء الطلب وَالَّذِينَ
يَرْمُونَ استعار الرمي للشتم بفاحشة الزنا لكونه جناية بالقول ويسمى هذا الشتم بهذه
الفاحشة قذفا اي يشتمون الْمُحْصَنَاتِ اي النساء العفيفات بالزنا وكذا المحصنين وانما
خصهن بالذكر لان قذفهن اشنع والعار فيهن اعظم ويلحق الرجال
بالنساء في هذا الحكم بلا خلاف بين علماء هذه الامة وقد جمع الشوكاني في ذلك رسالة
رد بها على بعض المتأخرين من علماء القرن الحادي عشر لما نازع في ذلك وقيل ان الآية
تعم الرجال والنساء والتقدير الانفس المحصنات ويؤيد هذا قوله في آية اخرى والمحصنات من النساء
فان البيان بكونهن من النساء يشعر بان لفظ المحصنات يشمل غير النساء والا لم يكن للبيان كثير معنى
وقيل اراد بالمحصنات الفروج كما قال والتي احصنت فرجها فتتناول الآية الرجال والنساء وقيل
ان لفظ المحصنات وان كان للنساء لكنه ههنا يشمل النساء والرجال تغليبا وفيه ان تغليب النساء
على الرجال غير معروف في لغة العرب وقد مضى في سورة النساء ذكر الاحصان وما يحتمله من

من المعاني وللعلماء في الشروط المعتبرة في المقذوف والقاذف ابحاث مطولة مستوفاة في
كتب الفقه منها ما هو ماخوذ من دليل ومنها ما هو مجرد رأي بحت قرئ المحصنات بفتح
الصاد وكسرها وذهب الجمهور من العلماء انه لا حد على من قذف كافرا او كافرة وقال الزهري
وسعيد بن المسيب وابن ابي ليلى يجب عليه الحد وذهب الجمهور ايضا الى ان العبد يجلد اربعين
جلدة وقال ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز وقبيصة يجلد ثمانين قال القرطبي واجمع
العلماء على ان الحر لا يجلد للعبد اذا افترى عليه لتباين مرتبتيهما وقد ثبت في الصحيح عنه
صلى الله عليه وسلم ان من قذف مملوكه بالزنا اقيم عليه الحد يوم القيامة الا ان تكون كما قال وشرائط
الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا والمحصن كالمحصنة في
وجوب حد القذف وبسط الكلام في هذا في كتب الفروع ثم ذكر سبحانه شرطا لاقامة الحد على
من قذف المحصنات فقال ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ يشهدون عليهن بوقوع الزنا منهن
برؤيتهم ولفظ ثم يدل على انه يجوز ان تكون شهادة الشهود في غير مجلس القذف وبه قال
الجمهور وخالف في ذلك مالك وظاهر الآية انه يجوز ان تكون الشهود مجتمعين ومفترقين
وخالف في ذلك الحسن ومالك واذا لم يكمل الشهود اربعة كانوا قذفة يحدون حد القذف
وقال الحسن والشعبي انه لا حد على الشهود ولا على المشهود عليه وبه قال احمد وابو حنيفة
ومحمد بن الحسن ويرد ذلك ما وقع في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه من جلده للثلاثة الذين شهدوا
على المغيرة بالزنا ولم يخالف في ذلك احد من الصحابة وقد اختلف في اعراب شهداء على اقوال
ثم بين الله سبحانه ما يجب على القاذف فقال فَاجْلِدُوهُمْ اي كل واحد منهم ثَمَانِينَ جَلْدَةً الجلد
الضرب كما تقدم والمجالدة المضاربة في الجلود او بالجلود ثم استعير للضرب بالعصا والسيف
وغيرهما وقد تقدم بيان الجلد قريبا وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً اي فاجمعوا لهم بين الامرين الجلد
وترك قبول الشهادة في شيء لانهم قد صاروا بالقذف غير عدول بل فسقة كما حكم الله به
عليهم في آخر هذه الآية ومعنى أَبَدًا ما داموا في الحياة ثم بين سبحانه حكمهم بعد صدور القذف
منهم واصرارهم عليه وعدم رجوعهم الى التوبة فقال وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لاتيانهم كبيرة
وهذه الجملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها والفسق هو الخروج عن الطاعة ومجاوزة الحد

المعصية وفيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفسق لا يقع الا على صاحب كبيرة
ربين الله سبحانه ان هذا التابيد لعدم قبول شهادتهم هو مع عدم التوبة فقال ﴿إِلَّا
الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ اي من بعد اقترافهم لذنب القذف ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ اعمالهم التي من
جملتها ذنب القذف ومداركة ذلك بالتوبة والانقياد للحد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر
ذنوبهم ويرحمهم وقد اختلف اهل العلم في هذا الاستثناء هل يرجع الى الجملتين قبله
وهي عدم قبول الشهادة والحكم عليهم بالفسق ام الى الجملة الاخيرة وهذا الاختلاف بعد
اتفاقهم على انه لا يعود الى جملة الجلد بل يجلد التائب كالمصر وبعد اجماعهم ايضا على ان
الاستثناء يرجع الى جملة الحكم بالفسق فمحل الخلاف هل يرجع الى جملة عدم قبول الشهادة
ام لا فقال الجمهور ان هذا الاستثناء يرجع الى الجملتين فاذا تاب القاذف قبلت شهادته
وزال عنه الفسق لان سبب ردها هو ما كان متصفا به من الفسق بسبب القذف فاذا زال
بالتوبة بالاجماع كانت الشهادة مقبولة وقال القاضي شريح وابراهيم النخعي والحسن البصري
وسعيد بن جبير ومكحول وابن زيد وسفيان الثوري وابو حنيفة ان هذا الاستثناء يعود
الى جملة الحكم بالفسق لا الى جملة عدم قبول الشهادة فيرتفع بالتوبة عن القاذف وصف
الفسق ولا تقبل شهادته اصلا وذهب الشافعي والضحاك الى التفصيل فقالا لا تقبل شهادته
وان تاب الا ان يعترف على نفسه بانه قد قال البهتان فحينئذ تقبل شهادته وقول الجمهور هو الحق
لان تخصيص التقييد بالجملة الاخرة دون ما قبلها مع كون الكلام واحدا في واقعة
شرعية من متكلم واحد خلاف ما تقتضيه لغة العرب واولوية الجملة الاخيرة المتصلة
بالقيد بكونه قيدا لها لا تنفي كونه قيدا لما قبلها غاية الامر ان تقييد الاخيرة بالقيد
المتصل بها اظهر من تقييد ما قبلها به ولهذا كان مجمعا عليه وكونه اظهر لا ينافي كونه
فيما قبلها ظاهرا وقد اطال اهل الاصول الكلام في القيد الواقع بعد جمل بما هو معروف
عند من يعرف ذلك الفن والحق هو هذا والاحتجاج بما وقع تارة من القيود عائدا الى جميع
الجمل التي قبله وتارة الى بعضها لا تقوم به حجة ولا يصلح للاستدلال فانه قد يكون ذلك
لدليل كما وقع هنا من الاجماع على عدم رجوع هذا الاستثناء الى جملة الجلد ومن اتفاق الائمة الاربعة على عدم رجوع هذا الاستثناء

الى جملة الجلد فالقاذف يجلد عند الجميع سواء تاب او لم يتب ومما يؤيد ما قررناه ويقويه
ان المانع عن قبول الشهادة وهو الفسق المتسبب عن القذف قد زال فلم يبق ما يوجب الرد
للشهادة واختلف العلماء في صورة توبة القاذف فقال عمر بن الخطاب والشعبي والضحاك
واهل المدينة ان توبته لا تكون الا بان يكذب نفسه في ذلك القذف الذي وقع منه واقيم
عليه الحد بسببه وقالت فرقة منهم مالك وغيره ان توبته تكون بان يحسن حاله ويصلح
عمله ويندم على ما فرط منه ويستغفر الله من ذلك ويعزم على ترك العود الى مثله وان لم
يكذب نفسه ولا رجع عن قوله وقد اجمعت الامة على ان التوبة تمحو الذنب ولو كان كفرا فتمحو ما
هو دون الكفر بالاولى حكى هذا الاجماع القرطبي قال ابو عبيد الاستثناء يرجع الى الجمل السابقة
وليس من رمى غيره بالزنا باعظم جرما من مرتكب الزنا والزاني اذا تاب قبلت شهادته لان التائب
من الذنب كمن لا ذنب له واذا قبل الله التوبة من العبد كان العباد بالقبول اولى مع ان مثل
هذا الاستثناء موجود في مواضع من القران منها قوله انما جزاء الذين يحاربون الله الى قوله
الا الذين تابوا ولا شك ان هذا الاستثناء يرجع الى الجميع قال الزجاج وليس القاذف باشد جرما
من الكافر فحقه اذا تاب واصلح ان تقبل شهادته قال وقوله ابدا اي ما دام قاذفا كما يقال لا تقبل شهادة
الكافر ابدا فان معناه ما دام كافرا انتهى وعن ابن عباس في الاية قال تاب الله عليهم من الفسوق
واما الشهادة فلا تجوز وعن عمر بن الخطاب انه قال لابي بكرة ان تبت قبلت شهادتك وعنه
قال توبتهم اكذابهم انفسهم فان اكذبوا انفسهم قبلت شهادتهم وعن ابن عباس ايضا قال من تاب واصلح فشهادته
في كتاب الله تقبل وفي الباب روايات عن التابعين وقصة قذف المغيرة في خلافة عمر مروية من
طرق معروفة واخرج البخاري والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس ان هلال بن امية
قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة والا حد في ظهرك
فقال يا رسول الله اذا رأى احدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله
ما يبرئ ظهري من الحد ونزل جبريل فانزل عليه والذين يرمون ازواجهم حتى بلغ ان كان من
الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله

يعلم ان احدكما لكاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها و
قالوا انها موجبة فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين
فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها
شأن واخرج هذه القصة ابو داود الطيالسي وعبد الرزاق واحمد وعبد بن حميد وابو داود
وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس مطولة واخرجها البخاري ومسلم
وغيرهما ولم يسموا الرجل ولا المرأة وفي آخر القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اذهب فلا سبيل
لك عليها فقال يا رسول الله مالي قال لا مال لك ان كنت صدقت عليها فهو بما استحللت من
فرجها وان كنت كذبت عليها فذلك ابعد لك منها واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل
بن سعد قال جاء عويمر الى عاصم بن عدي فقال سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت رجلا وجد
مع امرأته رجلا فقتله ايقتل به ام كيف يصنع فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسائل فقال عويمر والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأسألنه فأتاه فوجده قد
انزل عليه فدعى بهما فلاعن بينهما قال عويمر ان انطلقت بها يا رسول الله لقد كذبت
عليها ففارقها قبل ان يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت سنة المتلاعنين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين فلا اراه الا قد صدق
وان جاءت به احيمر كأنه وحرة فلا اراه الا كاذبا فجاءت به مثل النعت المكروه وفي الباب
احاديث كثيرة وفيما ذكرنا كفاية واخرج عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود
قالوا لا يجتمع المتلاعنان ابدا ثم ذكر سبحانه بعد ذكره لحكم القذف على العموم حكم نوع من انواع
القذف وهو قذف الزوج للمرأة التي يحلها العقد النكاح فقال وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ
جمع زوج بمعنى الزوجة فان حذف التاء منها افصح من اثباتها الا في الفرائض ولم يقيد هنا
بالمحصنات اشارة الى ان اللعان يشرع في قذف المحصنة وغيرها فهو في قذف المحصنة يسقط
الحد عن الزوج وفي قذف غيرها يسقط التعزير كأن كانت ذمية او امة او صغيرة تحتمل الوطء بخلاف
قذف الصغيرة التي لا تحتمله وبخلاف قذف الكبيرة التي شعت زناها ببينة او اقرار فان الواجب في

في قذفهما التعزير لكنه لا يلاعن لدفعه كما في كتب الفروع وقد وقع قذف الزوجة بالزنا
لجماعة من الصحابة كهلال بن امية وعويمر العجلاني وعاصم بن عدي ولم يكن لهم شهداء
يشهدون بما رموهن به من الزنا الا انفسهم بالرفع على البدل من شهداء ولم يذكر الزمخشري
غيره وقيل انه نعت له على ان الا بمعنى غير وبالنصب على الاستثناء على الوجه المرجوح ولا مفهوم لهذا القيد
بل يلاعن ولو كان واجدا للشهود الذين يشهدون بزناها لنفي الولد ولدفع العقوبة حدا او تعزيرا
فشهادة احدهم اي الشهادة التي تزيل عنه حد القذف او فالواجب شهادة احدهم او
فشهادة احدهم كائنة او واجبة وقيل فعليهم ان تشهد احدهم اربع شهادات بالله انه
لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا وهي المشهود به والشهادة الخامسة ان لعنة الله
عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا قرأ الجمهور ان بالتشديد ونافع بتخفيفها
ويدرؤا اي يدفع عنها اي عن المرأة العذاب الدنيوي وهو الحد والمعنى انه يدفع عن
المرأة الحد ان تشهد اي شهادتها اربع شهادات بالله انه اي الزوج لمن الكاذبين
فيما رماني به من الزنا وتشهد الشهادة الخامسة ان غضب الله عليها ان كان الزوج من
الصادقين فيما رماها به من الزنا وتخصيص الغضب بالمرأة للتغليظ عليها لكونها اصل الفجور
ومادته ولان النساء يكثرن اللعن في العادة ومع استكثارهن منه لا يكون له في قلوبهن
كبير موقع بخلاف الغضب ولولا فضل الله عليكم فيه التفات عن الغيبة والخطاب لكل
من الفريقين اي القاذفين والمقذوفات ففي الكلام تغليب صيغة الذكور على صيغة الاناث
حيث لم يقل عليكم وعليكن ورحمته لنال الكاذب منهما عذاب عظيم قاله الزجاج او لعاجله
بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان او لفضحكم فجواب لو محذوف وثم بأن
سبحانه كثير توبته على من تاب وعظيم حكمته البالغة فقال وان الله تواب اي يعود على
من تاب اليه ورجع عن معاصيه بالتوبة عليه والمغفرة له في ذلك وغيره حكيم فيما
شرع لعباده من اللعان وفرض عليهم من الحد وان الذين جاؤا بالافك هذا شروع في
الآيات المتعلقة بالافك وهي ثمانية عشر تنتهي بقوله اولئك مبرؤن والافك اسوء
الكذب وافحشه واقبحه وهو مأخوذ من افك الشيء اذا قلبه عن وجهه فالافك هو الحديث المقلوب

لكونه مصروفا عن الحق وقيل هو البهتان واجمع المسلمون على ان المراد بما في الآية ما وقع
من الافك على عايشة ام المؤمنين وانما وصفه الله بانه افك لان المعروف من حالها رضي
الله عنها خلاف ذلك قال الواحدي ومعنى القلب في هذا الحديث الذي جاء به اولئك
النفر ان عايشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والديانة
وعلو النسب والسبب والعفة لا القذف فالذين رموها بالسوء قلبوا الامر عن وجهه فهو افك قبيح و
كذب ظاهر عصبة منكم العصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين والمراد بهم هنا عبد الله
بن ابي راس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم وقيل العصبة من الثلاثة الى العشرة وقيل من عشرة الى خمسة عشر و
اصلها في اللغة الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض وقد اخرج البخاري ومسلم و
اهل السنن وغيرهم حديث عايشة الطويل في سبب نزول هذه الآيات بالفاظ
متعددة وطرق مختلفة حاصله ان سبب النزول هو ما وقع من اهل الافك الذين
تقدم ذكرهم في شان عايشة وذلك انها خرجت من هودجها تلتمس عقدا لها انقطع
من جزع فرحلوا وهم يظنون انها في هودجها فرجعت وقد ارتحل الجيش والهودج معهم
فاقامت في ذلك المكان ومر بها صفوان بن المعطل وكان متاخرا عن الجيش فاناخ
راحلته وحملها عليها فلما رأى ذلك اهل الافك قالوا ما قالوا فبرأها الله مما قالوا هذا حاصل
القصة مع طولها وتشعب اطرافها فلا نطول بذكر ذلك وجملة لا تحسبوه شرا لكم ان
كانت خبرا لان فظاهر وان كان الخبر عصبة فهي مستانفة خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم و
عايشة وابو بكر وصفوان بن المعطل الذي قذف مع عايشة ام المؤمنين وتسلية لهم
والضمير المنصوب للافك والشر ما زاد ضره على نفعه بل هو خير لكم الخير ما زاد نفعه
على ضره واما الخير الذي لا شر فيه فهو الجنة والشر الذي لا خير فيه فهو النار ووجه كونه
خيرا لهم انه يحصل لهم به الثواب العظيم مع بيان براءة ام المؤمنين عايشة وصيرورة قصتها
هذه شرعا عاما وهذا غاية الشرف والفضل وفيه تهويل الوعيد لمن تكلم فيهم والثناء
على من ظن بهم خيرا لكل امرئ منهم اي من العصبة الكاذبة ما اكتسب من الاثم بسبب تكلمه

بالافك وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ اي معظمه مِنْهُمْ فبدأ بالخوض فيه واشاعه وهو ابن ابي
قرأ جماعة بضم الكاف قال الفراء وهو وجه جيد لان العرب تقول فلان تولى عظيم كذا وكذا
اي اكبره وقرئ بكسرها قيل هما لغتان وقيل هو بالضم معظم الافك وبالكسر البداءة به وقيل
هو بالكسر الاثم فالمعنى ان الذي تولى معظم الافك من العصبة لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ في الدنيا
او في الآخرة او فيهما واختلف في هذا الذي تولى كبره من عصبة الافك من هو منهم فقيل
هو عبد الله بن ابي وقيل هو حسان والاول هو الصحيح وقد روى محمد بن اسحق وغيره ان النبي
صلى الله عليه وسلم جلد في الافك رجلين وامرأة وهو مسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت
جحش وقيل جلد عبد الله بن ابي وحسان وحمنة ولم يجلد مسطحا لانه لم يصرح بالقذف ولكن
كان يسمع ويشيع من غير تصريح وقيل لم يجلد احدا منهم قال القرطبي المشهور من الاخبار
والمعروف عند العلماء ان الذين حد واحسان ومسطح وحمنة ولم يسمع بحد لعبد الله ابن ابي
ويؤيد هذا ما في سنن ابي داود عن عايشة قال لما نزل عذري قام النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك
وتلى القرآن فلما نزل من المنبر امر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم وسماهم حسان ومسطح وحمنة
واختلفوا في وجه تركه صلى الله عليه وسلم لجلد عبد الله بن ابي فقيل لتوفير العذاب العظيم له في الآخرة
وحد من عداه ليكون ذلك تكفير الذنبهم كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الحدود انه قال انها
كفارة لمن اقيمت عليه وقيل ترك حده تألفا لقومه واحتراما لابنه فانه كان من صالحي المؤمنين
واطفاء لنائرة الفتنة فقد كان ظهرت مبادئها من سعد بن عبادة ومن معه كما في صحيح مسلم
واخرج البخاري وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن الزهري قال كنت عند
الوليد بن عبد الملك فقال الذي تولى كبره منهم علي فقلت لا حدثني سعيد بن المسيب وعروة
بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كلهم سمع عايشة
تقول الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي قال فقال لي فما كان جرمه قلت حدثني شيخان من
قومك ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام انهما سمعا
عايشة تقول كان مسيئا في امري وقال يعقوب بن شيبة في مسنده دخل سليمان بن يسار
على هشام بن عبد الملك فقال له يا سليمان الذي تولى كبره من هو قال ابن ابي قال كذبت هو علي

قال امير المؤمنين اعلم بما يقول فدخل الزهري فقال يا ابن شهاب من الذي تولى كبره فقال
ابن ابي قال كذبت هو علي قال انا الكذاب لا ابا لك والله لو نادى مناد من السماء ان الله قد احل الكذب
ما كذبت حدثني عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة عن عايشة ان الذي تولى كبره عبد الله بن
ابي واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن مسروق قال دخل حسان بن ثابت على عايشة فشبب وقال
شعر حصان رزان ما تزن بريبة + وتصبح غرثى من لحوم الغوافل + قالت لكنك لست كذلك قلت
تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد انزل الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت
واي عذاب اشد من العمي ثم صرف سبحانه الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الى المؤمنين
بطريق الالتفات فقال لولا تحضيضية اي هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا تاكيد للتوبيخ والتقريع ومبالغة في معاتبتهم وشرع في توبيخهم وتعييرهم وزجرهم بتسعة
زواجر الاول هذا والثاني لولا جاءوا عليه والثالث ولولا فضل الله والرابع اذ تلقونه والخامس و
لولا اذ سمعتموه والسادس يعظكم الله والسابع ان الذين يحبون والثامن ولولا فضل الله عليكم
والتاسع يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الى سميع عليم ومعنى الاية كان ينبغي
للمؤمنين حين سمعوا مقالة اهل الافك ان يقيسوا ذلك على انفسهم فان كان ذلك يبعد
فيهم فهو في ام المؤمنين ابعد وقيل كان ينبغي لكم بمجرد سماعه ان تحسنوا الظن في ام المؤمنين
فضلا عن ان تتمادوا في سماعه فضلا ان تصروا عليه بعد السماع قال الحسن معنى بانفسهم باهل
دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة في اشتراك الكل في الايمان الا ترى الى قوله ولا تقتلوا انفسكم وقال
الزجاج وكذلك يقال للقوم الذين يقتل بعضهم بعضا انهم يقتلون انفسهم قال المبرد ومثله
قوله تعالى فاقتلوا انفسكم قال النحاس معنى بانفسهم باخوانهم وقيل بابناء جنسهم فاوجب الله
سبحانه على المسلمين اذا سمعوا رجلا يقذف احدا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به ان ينكروا عليه
ويكذبوه وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا
وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي
ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وهذا من الادب الحسن
الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما يسمعه باخوانه وكفى بالله

كذبا ان يحدث بكل ما سمع قال العلماء في الآية دليل على ان درجة الايمان والعفاف لا يزيلها
الخبر المحتمل وان شاع واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وغيرهم عن بعض الانصار ان
امرأة ابي ايوب قالت له حين قال اهل الافك ما قالوا الا تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى
وذلك الكذب اكنت انت فاعلة ذلك يا ام ايوب قالت لا والله قال فعائشة خير منك واطيب انما
هذا كذب افك باطل فلما نزل القرآن ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من اهل الافك
ثم قال لولا اذ سمعتموه الآية اي كما قال ابو ايوب وصاحبته وقالوا اي قال المؤمنون عند
سماع الافك هذا افك مبين اي كذب بين ظاهر مكشوف لا حقيقة له وقوله لولا جاؤا
عليه من تمام ما يقوله المؤمنون اي هلا جاء الخائضون في الافك بأربعة شهداء يشهدون
على ما قالوا فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك اي الخائضون في الافك عند الله اي في حكمه وفضله
الازلي او شرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة هم الكاذبون اي القاذفون الكاملون
في الكذب وهذا من باب الزواجر ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة هذا خطاب
للسامعين وفيه زجر عظيم ولولا هذه هي لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا اني قضيت عليكم
بالفضل في الدنيا بالنعم التي من جملتها الامهال للتوبة والرحمة في الآخرة بالعفو لمسكم فيما افضتم اي بسبب ما افضتم فيه
من حديث الافك والابهام لتهويل امره يقال افاض في الحديث واندفع وخاض عذاب عظيم اي لعاجلتكم بالعقاب
على ما خضتم فيه من حديث الافك وقيل المعنى لولا فضل الله عليكم لمسكم العذاب في الدنيا والآخرة معا ولكن برحمته
ستر عليكم في الدنيا ويرحم في الآخرة من اتاه تائبا اذ تلقونه بألسنتكم من التلقي والاصل تتلقونه قال مقاتل ومجاهد
للتنزيل يرويه بعضكم عن بعض قال الكلبي وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا ويتلقونه تلقيا قال الزجاج معناه
يلقيه بعضكم الى بعض وقرئ من الالقاء ومعناها واضح وقرئ بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف وهي ماخوذة من قول العرب ألق
الرجل يلق ألقا اذا كذب قال ابن سيده جاؤا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي قال ابن عطية وعندي انه اراد يلقون فيه
فحذف حرف الجر فاتصل الضمير وقال الخليل وابو عمرو اصل الولق الاسراع يقال جاءت الابل تلق اي تسرع وعن ابن جرير
مثله وزاد الولق هو الاسراع بالشيء بعد الشيء كعدد في اثر عدد وكلام في اثر كلام وقرئ تألقونه من الالق وهو الكذب
وقرئ تلقونه وهو مضارع ولق بكسر اللام والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي
الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقال الراغب التلقن الحذق

في التناول وفي التلقف الاحتيال فيه وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ
لَكُم بِهِ عِلْمٌ معناه ان قولهم هذا مختص بالافواه من غير ان يكون واقعا في الخارج معتقدا
في القلوب وقيل ان ذكر الافواه للتاكيد كما في قوله يطير بجناحيه ونحوه وَتَحْسَبُونَهُ اي الحديث
الذي وقع الخوض فيه والاذاعة له هَيِّنًا اي شيئا يسيرا لا يلحقكم فيه اثم وَهُوَ عِندَ اللَّهِ
عَظِيمٌ ذنبه وعقابه والجملة في محل الحال قيل جزع بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك
فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا
أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا هذا عتاب لجميع المؤمنين اي هلا اذ سمعتم حديث الافك قلتم تكذيبا للخائضين
فيه المفترين له بمجرد اول السماع ما ينبغي لنا ولا يمكننا ان نتكلم بهذا الحديث ولا يصدر ذلك منا
بوجه من الوجوه سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ التعجب من اولئك الذين جاؤا بالافك واصله
التنزيه لله سبحانه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه والبهتان هو ان يقال في الانسان ما ليس
فيه اي هذا كذب عظيم لكونه قيل في ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وصدور مثله مستحيل شرعا
من مثلها ثم وعظ سبحانه الذين خاضوا في الافك فقال يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا
اي ينصحكم او يحرم الله عليكم قاله ابن عباس او يحرم عليكم او ينهاكم كراهة ان تعودوا او من ان
تعودوا او في ان تعودوا والمثل هذا القذف واستماع حديثه مدة حياتكم إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
فان الايمان يقتضي عدم الوقوع في مثله ما دمتم احياء وفيه تهييج عظيم وتقريع بالغ وَيُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ في الامر والنهي لتعملوا بذلك حتى تتادبوا باداب الله وتنزجروا عن الوقوع في
محارمه وَاللَّهُ عَلِيمٌ بما تبدونه وما تخفونه او بامر عائشة وصفوان حَكِيمٌ في تدبيراته
لخلقه او في حكمه ببراءتهما ثم هدد سبحانه القاذفين ومن اراد ان يتسامع الناس بعيوب المؤمنين
وذنوبهم فقال إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ هي فاحشة الزنا والقول السيء
اي يحبون ان تفشو الفاحشة وتنتشر من قولهم شاع الشيء يشيع شيوعا وشيعانا وشيعا
اذا ظهر وانتشر والمراد بشيوعها شيوع خبرها قال علي بن ابي طالب قائل الفاحشة والذي
شيع بها في الاثم سواء فِي الَّذِينَ آمَنُوا اي المحصنين العفيفين او كل من اتصف بصفة الايمان
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا باقامة الحد عليهم وَالْآخِرَةِ بعذاب النار وَاللَّهُ يَعْلَمُ جميع المعلومات

وأنتم لا تعلمون إلا ما علمكم به وكشفه لكم ومن جملة ما يعلمه الله عظم ذنب القذف
وعقوبة فاعله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم لعاجلكم بالعقوبة
ومن رأفته لعباده أن لا يعاجلهم بذنوبهم ومن رحمته لهم أن يتقدم إليهم بمثل هذا
الإعذار والإنذار وهو تكرير لما تقدم تذكير المنة منه سبحانه على عباده بترك المعاجلة لهم
يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان جمع خطوة وهي ما بين القدمين والخطوة
بالفتح المصدر أي لا تتبعوا مسالك الشيطان ومذاهبه وآثاره ولا تسلكوا طرائقه التي يدعوكم
إليها قرأ الجمهور خطوات بفتح الخاء والطاء وقرئ بضم الخاء والطاء وبإسكان الطاء وهما سبعيتان
ومن يتبع خطوات الشيطان جواب الشرط محذوف تقديره فقد غوى فإنه يأمر بالفحشاء
والمنكر أي فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لأن دأبه أن يستمر أمر الغير بهما أو صار فيه خاصية
الشيطان وهي الأمر بهما والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما ينكره الشرع وضمير إنه للشيطان
وقيل للشأن والأولى أن يكون عائدا إلى من لأن من اتبع الشيطان صار مقتديا به في الأمر بالفحشاء
والمنكر والآية عامة في حق كل أحد لأن كل مكلف ممنوع من ذلك ولولا فضل الله عليكم
ورحمته قد تقدم بيانه وجواب لولا هو قوله ما زكى منكم من أحد أبدا أي لولا التفضل والرحمة
من الله ما طهر أحد منكم نفسه من دنسها ما دام حيا قرئ زكى مخففا ومشددا أي ما طهره الله
وقال مقاتل ما صلح والأولى تفسير زكى بالتطهير والتطهير وهو الذي ذكره ابن قتيبة وعن ابن عباس
قال ما اهتدى أحد من الخلائق لشيء من الخير والآية على العموم وقيل خاصة بالذين خاضوا
في الإفك وأنهم طهروا وتابوا غير عبد الله فإنه استمر على الشقاوة حتى هلك والأول أولى ولكن
الله يزكي من يشاء من عباده بالتفضل عليهم والرحمة لهم والله سميع لما يقولونه عليم بجميع
المعلومات وفيه حث بالغ على الإخلاص وتهييج عظيم لعباده التائبين ووعيد شديد لمن
يتبع الشيطان ويحب أن تشيع الفاحشة في عباد الله المؤمنين ولا يزجر نفسه بزواجر الله
سبحانه ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة لا ناهية والفعل مجزوم وحذفت الياء لأنه معتل بها
أي لا يحلف وزنه يفتعل من الألية كهدية يقال ألية وألايا مثل هدية وهدايا وهي اليمين يقال
ائتلى يأتلي بوزن افتعل يفتعل إذا حلف ومنه قوله سبحانه للذين يؤلون من نسائهم وقالت فرقة هو من ألوت

في كذا اذا قصرت ومنه لم آل جهدا اي لم اقصر وكذا منه قوله تعالى لا يألونكم خبالا والاول اولى
بدليل سبب النزول قال ابن عباس لا تقسموا ان لا تنفعوا احدا اخرج ابن المنذر عن عايشة
قالت كان مسطح بن اثاثة ممن تولى كبره من اهل الافك وكان قريبا لابي بكر وكان في عياله
فحلف ابو بكر ان لا ينيله خيرا ابدا فانزل الله هذه الاية قالت فاعاده ابو بكر الى عياله وقال لا احلف
على يمين فارى غيرها خيرا منها الا تحللتها واتيت الذي هو خير وقد روي هذا من طرق
عن جماعة من التابعين وعن ابن عباس في الاية قال كان ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد رموا عايشة بالقبيح وافشوا ذلك وتكلموا فيها فاقسم ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم
ابو بكر ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصلوه فقال لا يقسم اولوا الفضل منكم والسعة
ان لا يصلوا ارحامهم وان لا يعطوهم من اموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك فامر الله ان يغفر
لهم ويعفى عنهم ان يؤتوا قال الزجاج اي على ان لا يؤتوا فحذف لا وقال ابو عبيدة لا حاجة الى اضمار
لا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات والمعنى لا تحلفوا على ان لا تحسنوا الى المستحقين للاحسان من
اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله الجامعين لتلك الاوصاف وعلى الوجه الآخر
يكون المعنى لا تقصروا في ان تحسنوا اليهم وان كانت بينكم شحناء لذنب اقترفوه ثم علمهم سبحانه
ادبا آخر فقال وليعفوا عن ذنبهم الذي اذنبوه عليهم وجنايتهم التي اقترفوها من عفى الربع
اي درس والمراد محو الذنب حتى يعفو كما يعفو اثر الربع وليصفحوا بالاغضاء عن الجاني والاغماض
عن جنايته والاعراض عن لومه فان العفو ان يتجاوز عن الجاني والصفح ان يتناسى جرمه
وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب وقرئ في الفعلين جميعا بالفوقية ثم ذكر سبحانه ترغيبا
عظيما لمن عفى وصفح فقال الا تحبون ان يغفر الله لكم بسبب عفوكم وصفحكم عن الفاعلين للاساءة
عليكم قال ابو بكر بلى انا احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح ما كان ينفقه عليه والله غفور رحيم
اي كثير المغفرة والرحمة لعباده مع كثرة ذنوبهم فكيف لا يقتدي العباد بربهم في العفو والصفح
عن المسيئين اليهم ان الذين يرمون بالزنا المحصنات العفائف قد مر تفسيرها وذكرنا الاجماع
على ان حكم المحصنين من الرجال حكم المحصنات من النساء في حد القذف الغافلات اي اللاتي
غفلن عن الفاحشة بحيث لا تخطر ببالهن ولا يفطن لها وفي ذلك من الدلالة على كمال النزاهة

وطهارة الجيب ما لم يكن في المحصنات وقيل هن السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس
فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات
العارفات وكذلك البله من الرجال الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس
لانهم اغفلوا امر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها واقبلوا على آخرتهم فشغلوا نفوسهم بها المؤمنات
بالله ورسوله وقد اختلف في هذه الآية هل هي خاصة او عامة فقال سعيد بن جبير هي خاصة
فيمن رمى عايشة وقال مقاتل هي خاصة بعبد الله بن ابي راس المنافقين وقال الضحاك والكلبي
هي في عايشة وسائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم دون سائر المؤمنين والمؤمنات فمن قذف احدى
امهات المؤمنين فهو من اهل هذه الآية قال الضحاك ومن احكام هذه الآية انه لا توبة لمن رمى
احدى ازواجه صلى الله عليه وسلم ومن قذف غيرهن فقد جعل الله له التوبة كما تقدم في قوله الا الذين
تابوا وقيل ان هذه الآية خاصة بمن اصر على القذف ولم يتب وقيل انها خاصة بمشركي مكة لانهم كانوا
يقولون للمرأة اذا خرجت مهاجرة انما خرجت لتفجر وقيل انها تعم كل قاذف ومقذوف من المحصنات
والمحصنين واختاره النحاس وهو الموافق لما قرره اهل الاصول من ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب قال اهل العلم ان كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة فالمراد باللعنة في قوله لُعِنُوا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الابعاد عن الثناء الحسن على السنة اهل الايمان وضرب الحد وهجر سائر المؤمنين
لهم وزوالهم عن رتبة العدالة واستيحاش اهل الايمان منهم وان كان المراد بها من قذف عايشة
خاصة كانت هذه الامور في جانب عبد الله بن ابي راس المنافقين وان كانت في مشركي مكة فانهم
ملعونون في الدنيا والآخرة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ على ذنب عظيم وجملة يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَلْسِنَتُهُمْ مقررة لما قبلها مبينة لحلول وقت ذلك العذاب بهم وتعيين اليوم لزيادة التهويل
بما فيه من العذاب الذي لا يحيط به وصف قرئ تشهد بالفوقية وبالتحتية وهما سبعيتان والمعنى
تشهد السنة بعضهم على بعض في ذلك اليوم وقيل تشهد عليهم السنتهم في ذلك اليوم
بما تكلموا به وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي بما عملوا في الدنيا من قول او فعل وان الله سبحانه
ينطقها بالشهادة عليهم والمشهود به محذوف وهو ذنوبهم التي اقترفوها اي تشهد هذه عليهم
بذنوبهم التي اقترفوها ومعاصيهم التي عملوها اخرج الطبراني وابو يعلى وابن ابي حاتم وابن مردويه

عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرّف الكافر بعمله فجحد و
خاصم فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم السنتهم وايديهم ثم يدخلهم النار وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق جماعة من الصحابة ما يتضمن شهادة الجوارح على العصاة يومئذ
يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ اي يوم تشهد عليهم جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم
عليها موفرا فالمراد بالدين هنا الجزاء بالحق الثابت الذي لا شك في ثبوته قرئ يوفيهم من اوفى
مخففا ومن وفّى مشددا وقرئ الحق بالرفع على انه نعت لله وبالنصب على انه نعت لدينهم قال
ابو عبيدة ولولا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع ليكون نعتا لله عز وجل وليكون موافقا
لقراءة أبي وروي ذلك عن ابن مسعود قال النحاس وهذا الكلام من أبي عبيدة غير مرضي لانه احتج
بما هو مخالف للسواد الاعظم ولا حجة ايضا فيه لانه لو صح انه في مصحف أبي كذلك لجاز ان يكون
دينهم بدلا من الحق وعن ابن عباس قال دينهم اي حسابهم وكل شيء في القرآن الدين فهو الحساب
واخرج الطبراني وغيره عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ يومئذ يوفيهم الله
الحق دينهم وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ اي يعلمون عند معاينتهم لذلك ووقوعه
على ما نطق به الكتاب العزيز ان الله هو الحق الثابت في ذاته وصفاته وافعاله المبين المظهر للاشياء
كما هي في انفسها وانما سمي سبحانه الحق لان عبادته هي الحق دون عبادة غيره وقيل سمي بالحق اي الموجود
لان نقيضه الباطل وهو المعدوم وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم
قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام ولم يغلظ الله سبحانه وتعالى في القرآن
في شيء من المعاصي تغليظه في افك عائشة فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وما
ذلك الا ما روي عن ابن عباس من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذا
منه تعظيم ومبالغة في امر الافك ولقد برأ الله تعالى اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وموسى
بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه الآي العظام في كتابه المعجز المتلو على
وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك حيث لم يرض لها ببراءة صبي ولا
نبي حتى برأها بكلامه من القذف والبهتان وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على انافة
محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين ثم ختم سبحانه الآيات الواردة في اهل الافك بكلمة جامعة فقال

الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم
كلام مستانف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله تعالى
ملكا يسوق الاهل الى اهلها وكذا الخبيثون للخبيثات اي مختصون بهن لا يتجاوزونهن لان
المجانسة من دواعي الانضمام وكذا الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال مجاهد
وسعيد بن جبير وعطاء واكثر المفسرين المعنى الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال
والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات والكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس
والطيبون من الناس للطيبات من الكلمات وعن ابن عباس مثله وزاد نزلت في الذين قالوا في
زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان وعن قتادة نحوه وكذا روي عن جماعة من التابعين
قال النحاس وهذا احسن ما قيل قال الزجاج ومعناه لا يتكلم بالخبيثات الا الخبيث من الرجال
والنساء ولا يتكلم بالطيبات الا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عايشة بالخبث
ومدح للذين برأوها وقيل ان هذه الاية مبنية على قوله الزاني لا ينكح الا زانية فالخبيثات الزواني
والطيبات العفائف وكذا الخبيثون والطيبون وعن ابن زيد قال نزلت في عايشة حين رماها
المنافقون بالبهتان والفرية فبراها الله من ذلك وكان ابن ابي هو الخبيث وكان هو اولى بان تكون
له الخبيثة ويكون هو لها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا فكان اولى ان تكون له الطيبة وكانت
عايشة الطيبة وكانت اولى بان يكون لها الطيب اولئك مبرءون مما يقولون الاشارة الى
الطيبين والطيبات انهم مبرءون مما يقوله الخبيثون والخبيثات وقيل الاشارة الى ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة وصفوان بن المعطل وقيل الى عايشة وصفوان
فقط قال الفراء وجمع كما قال فان كان له اخوة والمراد اخوان قال ابن زيد ههنا برئت عايشة
لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنوب ورزق كريم هو رزق الجنة روي ان عايشة
كانت تفتخر باشياء لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل اتى بصورتها في خرقة حرير وقال هذه زوجتك
ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في
بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عايشة

يقول حدثتني الصديقة ابنة الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرءة من السماء وقال
حسان معتذرا في حقها ٥ حصان رزان ما تزن بريبة + وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا + نبي الهدى والمكرمات الفواضل + عقيلة حي من لؤي بن غالب +
كرام المساعي مجدها غير زائل + مهذبة قد طيب الله خيمها + وطهرها من كل شين وباطل
ولما فرغ سبحانه من ذكر الزجر عن الزنا والقذف شرع في ذكر الزجر عن دخول البيوت بغير
استيذان لما في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء فربما يؤدي الى احد الامرين المذكورين وايضا
فان الانسان يكون في بيته ومكان خلوته على حالة قد لا يحب ان يراه عليها غيره فنهى الله سبحانه
عن دخول بيوت الغير فقال يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اي التي لستم تملكونها
ولا تسكنونها وليس لكم عليها يد شرعية اما المكتري والمستعير فكل منهما يدخل بيته والمعنى لا تدخلوها
الى غاية هي قوله حتى تستأنسوا الاستيناس الاستعلام والاستخبار اي حتى تستعلموا من في
البيت والمعنى حتى تعلموا ان صاحب البيت قد علم بكم وتعلموا انه قد اذن بدخولكم فاذا علمتم ذلك
دخلتم ومنه قوله فان آنستم منهم رشدا اي علمتم قال الخليل الاستيناس الاستكشاف من
انس الشيء اذا ابصره كقوله اني آنست نارا اي ابصرت وقال ابن جرير انه بمعنى وتؤنسوا انفسكم قال
ابن عطية وتصريف الفعل يأبى ان يكون من انس ومعنى كلام ابن جرير هذا انه من الاستيناس الذي
هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش حتى يؤذن له
فاذا اذن له استأنس فنهى سبحانه عن دخول تلك البيوت حتى يؤذن للداخل وقيل هو من الانس وهو ان
يتعرف هل ثم انسان ام لا قال الواحدي قال جماعة المفسرين حتى تستأذنوا ويؤيده ما حكاه القرطبي عن
ابن عباس وابي وسعيد بن جبير انهم قرؤا حتى تستأذنوا قال مالك فيما حكاه عنه ابن وهب الاستيناس
فيما نرى والله اعلم الاستيذان وعن ابن عباس قال اخطأ الكاتب حتى تستأذنوا وتسلموا على اهلها
وفي مصحف عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وعن عكرمة نحوه اخرج ابن ابي شيبة والطبراني وغيرهما
عن ابي ايوب قال قلت يا رسول الله ارايت قول الله حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها هذا التسليم قد عرفناه
فما الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيؤذن اهل البيت قال ابن كثير هذا
حديث غريب واخرج الطبراني عن ابي ايوب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستيناس ان تدعو الخادم حتى

يستأنس اهل البيت الذين تسلم عليهم وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سهل بن سعد قال اطلع
رجل من جحر في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مدرى يحك بها راسه قال لو اعلم انك تنظر لطعنت بها
في عينيك انما جعل الاستيذان من اجل النظر وفي لفظ انما جعل الاذن من اجل البصر وعن
انس قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمري كله في هذه الآية فما ادركتها ان استاذن
على بعض اخواني فيقول ارجع فارجع وانا مغتبط لقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم
وعن ابن عباس قال نسخ واستثنى من ذلك فقال ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها
متاع لكم اخرج احمد والبخاري في الادب وابو داود والترمذي والنسائي والبيهقي من طريق كلدة ان صفوان بن امية
بعثه في الفتح بلبا وضغابيس والنبي صلى الله عليه وسلم باعلى الوادي قال فدخلت عليه ولم اسلم ولم استاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارجع فقل السلام عليكم ادخل قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديثه واخرج احمد
والبخاري في الادب وابو داود والبيهقي في السنن من طريق ربعي قال حدثنا رجل من بني عامر
استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال الج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا
فعلمه الاستيذان فقل له قل السلام عليكم ادخل واخرج ابن جرير عن عمرو بن سعيد الثقفي نحوه
مرفوعا ولكنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لامة له يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه واختلفوا
هل يقدم الاستيذان على السلام او العكس فقيل يقدم الاستيذان فيقول ادخل سلام عليكم لتقديم الاستيناس
في الآية على السلام وقال الاكثرون انه يقدم السلام على الاستيذان فيقول السلام عليكم
ادخل وهو الحق لان البيان منه صلى الله عليه وسلم للآية كان هكذا وقيل ان وقع بصره على انسان قدم
السلام والا قدم الاستيذان ذلكم اي الاستيناس والتسليم خير لكم من الدخول مع الاستيذان والسلام خير لكم من التهجم بغير اذن
ومن الدخول بغتة لعلكم تذكرون ان الاستيذان خير لكم وهذه الجملة متعلقة بمقدر
اي امرتم بالاستيذان والمراد بالتذكر الاتعاظ والعمل بما امرتم به فان لم تجدوا فيها احدا اي في البيوت
التي لغيركم احدا ممن يستاذن عليه ويصلح للاذن او كان ولكنه لم ياذن او لم يكن فيها اصلا
فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بدخولها من جهة من يملك الاذن فان المانع من الدخول ليس
الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير
اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوه وعن مجاهد قال

المعنى فإن لم تجدوا فيها أحداً أي لم يكن فيها متاع وضعفه ابن جرير وهو حقيق بالضعف فإن
المراد بالأحد المذكور أهل البيوت الذين يأذنون للغير بدخولها لا متاع الداخلين إليها وإن
قيل لكم أي إن قال لكم أهل البيت ارجعوا فارجعوا أي لا تعاودوهم بالاستئذان مرة أخرى
ولا تنتظروا بعد ذلك أن يؤذن لكم بعد أمرهم لكم بالرجوع ولا تقفوا على الباب ملازمين ثم بيّن
سبحانه أن الرجوع أفضل من الإلحاح وتكرير الاستئذان والقعود على الباب والإصرار على
الانتظار فقال هو أي الرجوع أزكى لكم أي أفضل وأطهر من التدنس بالمشاحة على الدخول
ومن اللجاج والعناد والوقوف على الأبواب لما في ذلك من سلامة الصدر والبعد من الريبة والفرار
من الدناءة والرذالة وكان ابن عباس يأتي دور الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن
حتى يخرج إليه الرجل فيراه ويقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أخبرتني بمكانك فيقول
هكذا أمرنا أن نطلب العلم والله بما تعملون عليم لا تخفى عليه من أعمالكم خافية ومنه الدخول بإذن
وغير إذن ليس عليكم جناح في الدخول بغير استئذان أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة أي
البيوت التي ليست بموضوعة لسكنى طائفة مخصوصة بل كانت موضوعة ليدخلها كل من
له حاجة تقصد منها وقد اختلف الناس في المراد بهذه البيوت فقال محمد بن الحنفية وقتادة
ومجاهد هي الفنادق التي في الطرق السابلة الموضوعة لابن السبيل يأوي إليها وقال ابن زيد والشعبي
هي حوانيت القيساريات وبيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق والربط قال الشعبي لأنهم جاؤوا ببيوعهم
فجعلوها فيها وقالوا للناس هلم وقال عطاء المراد بها الخرب التي يدخلها الناس للبول والغائط
ففي هذا أيضاً متاع وقيل هي بيوت مكة روي ذلك عن محمد بن الحنفية أيضاً وهو موافق لقول
من قال إن الناس شركاء فيها ولكن قد قيد سبحانه هذه البيوت المذكورة هنا بأنها غير مسكونة
فيها متاع لكم المتاع المنفعة عند أهل اللغة فيكون معنى الآية فيها منفعة لكم كاستكنان من الحر
والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع ومنه قوله ومتعوهن وقولهم أمتع الله بك وقد
فسر الشعبي المتاع في كلامه المتقدم بالأعيان التي تباع قال جابر بن زيد وليس المراد بالمتاع الجهاز
ولكن ما سواه من الحاجة قال النحاس وهو حسن موافق للغة والله يعلم ما تبدون وما تكتمون أي
ما تظهرون وما تخفون وفيه وعيد لمن لم يتأدب بآداب الله في دخول بيوت الغير ويدخل المحرمات

والذين هم الخالية من اهل الريبة ولما ذكر سبحانه حكم الاستيذان اتبعه بذكر حكم النظر على العموم فقال
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم فيندرج تحته غض البصر من المستأذن كما قال صلى الله
عليه وسلم انما جعل الاذن من اجل البصر وخص المؤمنين مع تحريمه على غيرهم لكون قطع ذرائع
الزنا التي منها النظر هم احق بها من غيرهم واولى بذلك ممن سواهم وقيل ان في الآية دليلا على
ان الكفار غير مخاطبين بالشرعيات كما يقوله بعض اهل العلم وفي الكلام حذف والتقدير قل
للمؤمنين غضوا يغضوا ومعنى غض البصر اطباق الجفن على العين بحيث يمنع الرؤية ومن هي
التبعيضية واليه ذهب الاكثرون وعليه اقتصر القاضي كالكشاف وبينوه بان المعنى غض البصر عما
يحرم والاقتصار به على ما يحل وقيل وجه التبعيض انه يعفى للناظر اول نظرة تقع من غير
قصد وقال الاخفش انها زائدة وانكر ذلك سيبويه وقيل انها لبيان الجنس قاله ابو البقاء واعترض
عليه بانه لم يتقدم مبهم حتى يكون مفسرا بمن وقيل انها لابتداء الغاية قاله ابن عطية
وعليه اقتصر ابو حيان في النهر وقيل الغض النقصان يقال غض فلان من فلان اي وضع منه
فالبصر اذا لم يمكن من عمله فهو مغضوض منه ومنقوص فتكون من صلة للغض وليست لمعنى
من تلك المعاني الاربعة وفي هذه الآية دليل على تحريم النظر الى غير من يحل النظر اليه قال ابن
عباس يغضوا ابصارهم يعني من شهواتهم مما يكره الله واخرج ابو داود والترمذي والبيهقي
في سننه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك وليست
لك الاخرى وفي مسلم وابي داود والترمذي والنسائي عن جرير البجلي قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن نظرة الفجاءة فامرني ان اصرف وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها فقال ان ابيتم
فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ويحفظوا فروجهم اي يجب عليهم حفظها عما يحرم عليهم ولا يحل لهم وقيل
المراد ستر فروجهم عن ان يراها من لا تحل له رؤيتها ولا مانع من ارادة المعنيين فالكل يدخل
تحت حفظ الفرج وقيل وجه المجيء بمن في الابصار دون الفروج انه موسع في النظر فانه لا يحرم
منه الا ما استثني الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وكذا الاماء المستعرضات

للسبيع بخلاف حفظ الفرج فانه مضيق فيه فانه لا يحل منه الا ما استثني وقيل الوجه ان غض البصر
كله كالمتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق قال ابو العالية كل ما في القرآن من
حفظ الفرج فهو عن الزنا الا ما في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه
ذلك اي ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس الريبة واطيب من التلبس بهذه الدنية
ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء من صنعهم فيجازيهم عليه وفي ذلك وعيد لمن لم
يغض بصره ويحفظ فرجه وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن خص سبحانه الاناث بهذا
الخطاب على طريق التاكيد لدخولهن تحت خطاب المؤمنين تغليبا كما في سائر الخطابات القرآنية
وظهر التضعيف في يغضضن ولم يظهر في يغضوا لان لام الفعل من الاول متحركة ومن الثاني
ساكنة وهما في موضع جزم جوابا للامر وبدأ سبحانه بالغض في الموضعين قبل حفظ الفرج لان
النظر وسيلة الى عدم حفظ الفرج والوسيلة مقدم على المتوسل اليه وعن مقاتل قال بلغنا
والله اعلم ان جابر بن عبد الله الانصاري حدث ان اسماء بنت مرثد كانت في نخل لها بني حارثة
فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدو ما في ارجلهن يعني الخلاخل وتبدو صدورهن
وذوائبهن فقالت اسماء ما اقبح هذا فانزل الله في ذلك وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن
الآية وبالجملة امر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات بغض الابصار فلا يحل للرجل ان ينظر الى المرأة
ولا للمرأة ان تنظر الى الرجل فان علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها وقال
مجاهد اذا اقبلت المرأة جلس ابليس على رأسها فزينها لمن ينظر واذا ادبرت جلس على عجزتها
فزينها لمن ينظر وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على خمسة وعشرين ضميرا للاناث ما بين مرفوع
ومجرور ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الشأن ويحفظن فروجهن اي يجب عليهن
حفظ فروجهن على الوجه الذي تقدم في حفظ الرجال لفروجهم اخرج البخاري واهل السنن
وغيرهم عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر
قال احفظ عورتك الا من زوجتك او ما ملكت يمينك قلت يا نبي الله اذا كان القوم بعضهم في
بعض قال ان استطعت ان لا يراها احد فلا يرينها قلت اذا كان احدنا خاليا قال فالله احق
ان يستحيى منه من الناس وفي الصحيح وغيرهما من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم كتب الله على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق
وزنا الاذنين السماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطو والنفس تمنى والفرج يصدق ذلك
او يكذبه واخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهام من سهام
ابليس مسمومة فمن تركها من خوف الله اثابه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه والاحاديث في هذا
الباب كثيرة ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ اي ما يتزين به من الحلية وغيرها مثل الخلخال والخضاب
في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز
للاجنبي النظر اليها ثم استثنى سبحانه من هذا النهي فقال ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ اي ما جرت العادة
والجبلة على ظهوره واختلف الناس في ظاهر الزينة ما هو فقال ابن مسعود وسعيد بن جبير
هو الثياب وزاد سعيد الوجه وقال عطاء والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن عباس وقتادة والمسور
بن مخرمة هو الكحل والخاتم والسوار والخضاب في الكف الى نصف الساق ونحو ذلك فانه يجوز
للمرأة ان تبديه وقال ابن عطية ان المرأة لا تبدي شيئا من الزينة وتخفي كل شيء من زينتها ووقع
الاستثناء فيما يظهر منها بحكم الضرورة ولا يخفى عليك ان ظاهر النظم القرآني النهي عن ابداء
الزينة الا ما ظهر منها كالجلباب والخمار ونحوهما مما في الكف والقدمين من الحلية ونحوها وان
كان المراد بالزينة مواضعها كان الاستثناء راجعا الى ما يشق على المرأة ستره كالكفين والقدمين
ونحو ذلك وهكذا اذا كان النهي عن اظهار الزينة يستلزم النهي عن اظهار مواضعها بفحوى الخطاب
فانه يحمل الاستثناء على ما ذكرناه في الموضعين واما اذا كانت الزينة تشمل مواضع الزينة وما تتزين
به النساء فالامر واضح والاستثناء يكون من الجميع قال القرطبي في تفسيره الزينة على قسمين خلقية
ومكتسبة فالخلقية وجهها فانه اصل الزينة والمكتسبة ما تحاوله المرأة في تحسين خلقها
كالثياب والحلي والكحل والخضاب ومنه قوله تعالى خذوا زينتكم وعن ابن مسعود قال الزينة
السوار والدملج والخلخال والقرط والقلادة الا ما ظهر منها قال الثياب والجلباب وعنه قال الزينة
زينتان زينة ظاهرة وزينة باطنة لا يراها الا الزوج فاما الزينة الظاهرة فالثياب واما الزينة
الباطنة فالكحل والسوار والخاتم وفي لفظ فالظاهرة منها الثياب وما يخفى الخلخالان والقرطان والسواران
وعن ابن عباس في الآية قال الكحل والخاتم والقرط والقلادة وغيره قال هو خضاب الكف والخاتم

وعن ابن عمر قال الزينة الظاهرة الوجه والكفان وقال ابن عباس الا ما ظهر منها اي وجهها
وكفاها والخاتم وعنه قال رقعة الوجه وباطن الكف وعن عايشة انها سئلت عن الزينة
الظاهرة فقالت القلب والفتخ وضمت طرف كمها واخرج ابو داود والبيهقي وابن مردويه عن
عايشة ان اسماء بنت ابي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فاعرض عنها
وقال يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا واشار الى وجهه وكفه
وهذا مرسل لانه من طريق خالد بن دريك عن عايشة ولم يسمع منها وانما رخص في هذا القدر
للمرأة ان تبديه من بدنها لان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى
كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها
وخاصة الفقيرات منهن قال المحلي فيجوز نظره اي نظر ما ظهر منها الاجنبي ان لم يخف فتنة في احد
وجهين والثاني يحرم لانه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب انتهى اي باب النظر عن تفاصيل الاحوال
كالخلوة بالاجنبية وليضربن بخمرهن على جيوبهن الخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة راسها
ومنه اختمرت المرأة وتخمرت والجيوب جمع جيب وهو موضع القطع من الدرع والقميص ماخوذ من
الجوب وهو القطع وقيل المراد بالجيب هنا محله وهو العنق والاقوى في الاصل طوق القميص وعدي الضرب
بعلى لتضمينه معنى الالقاء والباء زائدة او تبعيضية وقال المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن
خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام واسعة فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فامرن
ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليستر بذلك ما كان يبدو منها وفي لفظ الضرب مبالغة في الالقاء
الذي هو الالصاق وقرئ خمرهن بتحريك الميم وبكسرها وكثير من متقدمي النحويين لا يجوزون
الكسر قال الزجاج يجوز ان تبدل من الضمة كسرة واما ما روي عن حمزة من الجمع بين الضم والكسر
فمحال لا يقدر الانسان ان يتكلم به الا على الايماء وقد فسر الجمهور الجيوب بما قدمنا
وهو المعنى الحقيقي وقال مقاتل ان معنى على جيوبهن على صدورهن فالمضاف محذوف واي على مواضع
جيوبهن وقد اخرج البخاري في صحيحه وابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم في سننهم عن عايشة
قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن
اكثف مروطهن فاختمرن به واخرجه الحاكم وصححه وابن جرير وغيرهما عنها بلفظ اخذ النساء ازرهن

فتشقها من قبل الجواشي فاختمرن بها ولا يبدين زينتهن اي مواضع الزينة الباطنة وهي
ما عدا الوجه والكفين كالصدر والساق والرأس ونحوها قال الخطيب اي الزينة الخفية التي
لم يبح لهن كشفها في الصلوة ولا للاجانب قال ابو السعود كرر النهي لاستثناء بعض مواضع الخفية
باعتبار الناظر بعد ما استثنى بعض موارد الضرورة باعتبار المنظور فقال الا لبعولتهن اي لا
يبدين عن الجلباب والخمار الا لازواجهن والبعل هو الزوج والسيد في كلام العرب وقدم البعول لانهم
المقصودون بالزينة ولان كل بدن الزوجة والسرية حلال لهم ومثله قوله سبحانه والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ثم لما استثنى
الله سبحانه الزوج اتبعه باستثناء ذوي المحارم فقال او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن فيجوز للنساء ان يبدين الزينة
الباطنة لهؤلاء لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وعدم خشية الفتنة من قبلهم
لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وقد روي عن الحسن والحسين رضي الله عنهما
كانا لا ينظران الى امهات المؤمنين ذهابا منهما الى ان ابناء البعولة لم يذكروا في الآية التي في ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم وهي قوله لا جناح عليهن في آبائهن والمراد بابناء بعولتهن ذكور اولاد الازواج ويدخل
في قوله او ابنائهن اولاد الاولاد وان سفلوا واولاد بناتهن وان سفلوا وكذا آباء البعولة وآباء الآباء
وآباء الامهات وان علوا وكذلك ابناء البعولة وان سفلوا وكذلك ابناء الاخوة والاخوات وذهب
الجمهور الى ان العم والخال كسائر المحارم في جواز النظر الى ما يجوز لهم وقال الشعبي وعكرمة ليس العم
والخال من المحارم قال الكرخي وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن منهم حذرا
من ان يصفوهن لابنائهم والمعنى ان سائر القرابات تشترك مع الاب والابن في المحرمية الا ابني
العم والخال وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في التستر وليس في الآية ذكر الرضاع
وهو كالنسب او نسائهن اي المختصات بهن من جهة الاشتراك في الايمان والملابسات لهن
بالخدمة او الصحبة ويخرج من ذلك نساء الكفار من اهل الذمة وغيرهم فلا يحل لهن ان
يبدين زينتهن لهن لانهن لا يتحرجن عن وصفهن للرجال وفي هذه المسألة خلاف بين اهل
العلم قال ابن عباس هن المسلمات لا تبديه ليهودية ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما يحرم

ان يراه الا محرم وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وابن المنذر عن عمر بن الخطاب انه كتب الى
ابي عبيدة اما بعد فانه بلغني ان نساء من نساء المؤمنين يدخلن الحمامات مع نساء اهل الشرك
فانه من قبلك فانه عن ذلك فانه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان ينظر الى عورتها الا اهل ملتها
أو ما ملكت أيمانهن فيجوز لهم نظرها الا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الازواج قال المحلي وظاهر
الآية يشمل العبيد والاماء من غير فرق بين ان يكونوا مسلمين او كافرين وبه قال جماعة من اهل
العلم واليه ذهبت عائشة وام سلمة وابن عباس ومالك وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم هذه
الآية انما عنى بها الاماء ولم يعن بها العبيد وكان الشعبي يكره ان ينظر المملوك الى شعر مولاته
وهو قول عطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وروي عن ابن مسعود وبه قال ابو حنيفة وابن جريج
وقال ابن عباس لا بأس ان يرى العبد شعر سيدته واخرج البيهقي وابو داود وغيرهما عن انس أن
النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعبد قد وهب لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها
لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس
عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وهو ظاهر القرآن واخرج عبد الرزاق واحمد عن ام سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان لاحداكن مكاتب وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه قال سليمان الجمل
عن شيخه فيجوز لهن ان يكشفن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ويجوز للعبيد ايضاً ان ينظروا اليه و
ان يكشفوا لهن من ابدانهم ما عدا ما بين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من
الجانبين أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال اصل الاربة والارب والمأربة الحاجة و
الجمع مآرب اي حوائج ومنه قوله سبحانه ولي فيها مآرب أخرى قيل المراد بغير اولي الاربة من الرجال
الحمقاء الذين لا حاجة لهم في النساء وقيل البله وقيل العنين وقيل الخصي وقيل المخنث وقيل
الشيخ الكبير وقيل هو المجبوب ولا وجه لهذا التخصيص بل المجبوب الذي بقي انثياه والخصي الذي بقي ذكره والعنين و
المخنث وهو المتشبه بالنساء والشيخ الهرم كالفحل كذا اطلق الاكثرون وقال في الشامل لا يحل
للخصي النظر الا ان يكبر ويهرم وتذهب شهوته وكذا المخنث وبه قال شيخه القاضي ابو الطيب واطلق
ابو مخلد البصري في الخصي والمخنث وجهين والمراد بالآية ظاهرها وهو من يتبع اهل البيت في فضول
الطعام ولا حاجة له في النساء ولا يحصل منه ذلك في حال من الاحوال فيدخل في هؤلاء من هو

بهذه الصفة ويخرج من عداه قال ابن عباس في الآية هذا الذي لا تستحيي منه النساء وعنه قال
هذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل في عقله لا يكترث للنساء ولا يشتهي النساء وعنه قال كان
الرجل يتبع الرجل في الزمان الاول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة ان تضع خمارها عنده وهو الاحمق
الذي لا حاجة له في النساء وعنه قال هو المخنث الذي لا يقوم زبه واخرج مسلم وابو داود و
النسائي والبيهقي وغيرهم عن عايشة قالت كان رجل يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه
من غير اولي الاربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا
اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ارى هذا يعرف ما ههنا
لا يدخلن عليكم فحجبوه ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ الطفل يطلق على المفرد
والمثنى والمجموع او المراد به هنا الجنس الموضوع موضع الجمع بدلالة وصفه بوصف الجمع وفي مصحف ابي
او الاطفال على الجمع قاله ابن قتيبة قيل معناه لم يبلغوا حد الشهوة قاله الفراء والزجاج يقال
ظهرت على كذا اذا غلبته وقهرته والمعنى لم يطلعوا على عورات النساء ويكشفوا عنها للجماع او لم
يبلغوا حد الشهوة للجماع وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يبلغوا اوان القدرة
على الوطي من ظهر على فلان اذا قوي عليه وقيل لم يحتلم قرأ الجمهور عورات بسكون الواو تخفيفا
لحرف العلة وهي لغة جمهور العرب وعامتها وقرئ بفتحها وهي لغة هذيل بن مدركة والعورات
جمع عورة وهي ما يريد الانسان ستره من بدنه وغلب في السوأتين واختلف العلماء في وجوب ستر
ما عدا الوجه والكفين من الاطفال فقيل لا يلزم لانه لا تكليف عليه وهو الصحيح وقيل يلزم لانها قد تشتهي
المرأة وهكذا اختلف في عورة الشيخ الكبير الذي قد سقطت شهوته والاولى بقاء الحرمة كما كانت
فلا يحل النظر الى عورته ولا يحل له ان يكشفها وقد اختلف العلماء في حد العورة قال القرطبي
اجمع المسلمون على ان السوأتين عورة من الرجل والمرأة وان المرأة كلها عورة الا وجهها ويديها على خلاف
في ذلك وقال الاكثر ان عورة الرجل من سرته الى ركبته قال ابن عباس الزينة التي تبديها
لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها فاما خلخالها ومعضدها ونحرها وشعرها فانها لا تبديه الا
لزوجها ومجموع هذه المستثنيات اثنا عشر نوعا ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن
زِينَتِهِنَّ﴾ اي لا تضرب المرأة برجلها اذا مشت ليسمع صوت خلخالها من يسمعه من الرجال فيعلمون

اصابعها خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا الى الرجال وهذا
سد لباب المحرمات وتعليم للاحوط والا فصوت النساء ليس بعورة عند الشافعي فضلا عن صوت
خلخالهن وقال الزجاج وسماع هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها قال ابن عباس في الآية
وهو ان تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال او تكون في رجلها خلاخل فتحركهن عند الرجال فنهى الله
عن ذلك لانه من عمل الشيطان وسماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمي صوت الحلي وسواسا
فنبه به على ان الذي لاجله نهي عنه ان يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره وفي القرطبي من فعل
ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه ومن فعل ذلك منهن تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام مذموم
وكذلك من ضرب بنعله الارض من الرجال ان فعل ذلك عجبا حرم فان العجب كبيرة وان فعل
ذلك تبرجا لم يجز انتهى ثم ارشد سبحانه عباده الى التوبة عن المعاصي فقال وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا
أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره وفيه الامر بالتوبة ولا خلاف بين المسلمين
في وجوبها وانها فرض من فرائض الدين قيل العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في اوامره ونواهيه وان
اجتهد فلذا وصاهم جميعا بالتوبة وقد تقدم الكلام على التوبة في سورة النساء وقيل ان المراد
بالتوبة هنا هي عما كانوا يعملونه في الجاهلية والاول اولى لما تقرر في السنة ان الاسلام يجب ما قبله و
قد وردت احاديث في الامر بالتوبة والاستكثار منها قيل واحوج الناس الى التوبة من توهم انه
ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العصيان لا ينافي الايمان ثم ذكر ما يرغبهم في التوبة
فقال لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ اي تفوزون بسعادة الدنيا والآخرة او تنجون من ذلك لقبول التوبة منه
وفي الآية تغليب الذكور على الاناث ولما امر سبحانه بغض الابصار وحفظ الفروج ارشد بعد ذلك
الى ما يحل للعباد من النكاح الذي يكون به قضاء الشهوة وسكون دواعي الزنا ويسهل بعده غض
البصر عن جميع المحرمات وحفظ الفرج عما لا يحل فقال وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ الايم بالتشديد التي لا زوج
لها ومن ليس له زوجة فيشمل الرجل والمرأة الغير المتزوجين والجمع ايامى والاصل ايايم قال ابو عمرو
والكسائي اتفق اهل اللغة على ان الايم في الاصل هي المرأة التي لا زوج لها بكرا كانت او ثيبا قال ابو عبيد
يقال رجل ايم وامرأة ايم واكثر ما يكون في النساء وهو كالمستعار في الرجال والخطاب في الآية للاولياء
والسادة وقيل للازواج والاول ارجح وفيه دليل على ان المرأة لا تنكح نفسها عن عائشة عن النبي صلى الله عليه

انه قال ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا اخرجه ابو داود والترمذي وعندهما
عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي وقد خالف في ذلك ابو حنيفة
فجوز للمرأة تزويج نفسها واختلف اهل العلم في هذا النكاح هل هو مباح او مستحب او واجب فذهب الى
الاول الشافعي وغيره والى الثاني مالك وابو حنيفة والى الثالث بعض اهل العلم على تفصيل لهم في ذلك
فقالوا ان خشي على نفسه الوقوع في المعصية وجب عليه والا فلا والظاهر ان القائلين بالاباحة
والاستحباب لا يخالفون في الوجوب مع تلك الخشية وبالجملة فهو مع عدمها سنة من السنن
المؤكدة لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح بعد ترغيبه في النكاح ومن رغب عن سنتي فليس مني
ولكن مع القدرة عليه وعلى مؤنته وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب
من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فانه له وجاء اخرجه البخاري ومسلم قال ابن عباس امر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه وامرهم ان
يزوجوا احرارهم وعبيدهم ووعدهم في ذلك الغناء كما سيأتي وعن ابي بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه قال اطيعوا الله فيما امركم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن قتادة قال ذكر لنا ان
عمر بن الخطاب قال ما رايت كرجل لم يلتمس الغنى في الباءة وقد وعد الله فيها ما وعد فقال ان يكونوا
فقراء الآية وعن ابن مسعود نحوه وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوا النساء فانهن
يأتينكم بالمال اخرجه البزار والدارقطني واخرجه ابو داود في مراسيله عن عروة مرفوعا وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء
والغازي في سبيل الله وقد ورد في الترغيب في مطلق النكاح احاديث كثيرة ليس هذا موضع ذكرها
والمراد بالايامى ههنا الاحرار والحرائر واما المماليك فقد بين ذلك بقوله والصالحين من عبادكم
وامائكم وقرئ عبيدكم والصلاح هو الايمان وقيل القيام بحقوق النكاح حتى يقوم العبد بما يلزمها
وتقوم الامة بما يلزم للزوج او المراد بالصلاح ان لا تكون صغيرة لا تحتاج الى النكاح وخص الصالحين بالذكر
ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين منهم هم الذين مواليهم يشفقون
عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في المودة وكانوا مظنة التوصية والاهتمام بهم ومن ليس بصالح
فحاله على العكس من ذلك وذكر سبحانه الصلاح في المماليك دون الاحرار لان الغالب في الاحرار الصلاح

بخلاف المماليك وفيه دليل على ان المملوك لا يزوج نفسه وانما يزوجه ويتولى تزويجه مالكه
وسيده وقد ذهب الجمهور الى انه يجوز للسيد ان يكره عبده وامته على النكاح وقال مالك لا يجوز
ثم رجع سبحانه الى الكلام في الاحرار فقال إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ اي لا تمتنعوا
من تزويج الاحرار بسبب فقر الرجل والمرأة او احدهما فانهم ان يكونوا فقراء يغنهم الله سبحانه
ويتفضل عليهم بذلك فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح قال الزجاج حث الله
على النكاح و اعلم انه سبب لنفي الفقر ولا يلزم ان يكون هذا حاصلا لكل فقير اذا تزوج فان
ذلك مقيد بالمشية وقد يوجد في الخارج كثير من الفقراء لا يحصل لهم الغناء اذا تزوجوا
وقيل المعنى انه يغنيهم بغناء النفس اي القناعة وقيل المعنى ان يكونوا فقراء الى النكاح يغنهم الله
من فضله بالحلال ليتعففوا عن الزنا والوجه الاول اولى ويدل عليه قوله سبحانه وان خفتم
عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فيحمل المطلق هنا على المقيد هناك وقيل هل اجتماع
الرزقين رزق الزوج والزوجة وقيل ان الله وعد الغناء بالنكاح وبالتفرق وهو قوله وان يتفرقا
يغن الله كلا من سعته وجملة وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ مقررة لما قبلها ومؤكدة والمراد انه سبحانه ذو سعة
لا ينقص من سعة ملكه غناء من يغنيه من عباده عليم بمصالح خلقه يغني من يشاء ويفقر من يشاء
ثم ذكر سبحانه حال العاجزين عن النكاح بعد بيان جواز مناكحتهم ارشادا لهم الى ما هو الاولى
فقال وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا يقال استعفف اذا طلب ان يكون عفيفا اي ليطلب العفة
عن الزنا والحرام من لا يجد سبب نكاح وهو المال وقيل النكاح هنا ما ينكح به المرأة من المهر والنفقة
كاللحاف اسم لما يلتحف به واللباس اسم لما يلبس قال ابن عباس ليتزوج من لا يجد فان الله سيغنيه
وقيد سبحانه هذا النهي بتلك الغاية وهي حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ اي يرزقهم رزقا يستغنون
به ويتمكنون بسببه من النكاح وفي هذه الآية ما يدل على تقييد الجملة الاولى وهي ان يكونوا
فقراء يغنهم الله بالمشية كما ذكرنا فانه لو كان وعدا حتما لا محالة في حصوله لكان الغناء والزواج
متلازمين وح لا يكون للامر بالاستعفاف مع الفقر كثير فائدة فانه يستغني عند تزوجه لا محالة
فيكون في تزوجه مع فقره تحصيلا للغناء الا ان يقال ان الامر بالاستعفاف للعاجز عن تحصيل
مبادي النكاح ولا ينافي ذلك وقوع الغناء له من بعد ان ينكح فانه قد صدق عليه انه لم يجد نكاحا

اذا كان غير واجد لاسبابه التي يحصل بها واعظمها المال وانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما
يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغني
عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يقدر
عليه ثم لما رغب سبحانه في تزويج الصالحين من العبيد والاماء ارشد المالكين الى طريقة يصير بها
المملوك من جملة الاحرار فقال وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ من العبيد والاماء
والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة يقال كاتب يكاتب كتابا ومكاتبة كما يقال قاتل يقاتل قتالا و
مقاتلة وقيل الكتاب ههنا اسم عين للكتاب الذي يكتب فيه الشيء وذلك لانهم كانوا اذا كاتبوا العبد
كتبوا عليه وعلى انفسهم بذلك كتابا فيكون المعنى الذين يطلبون كتاب المكاتبة ومعناها
في الشرع ان يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه منجما فاذا اداه فهو حر عن عبد الله بن صبيح عن
ابيه قال كنت مملوكا لحويطب بن عبد العزى فسألته الكتابة فابى فنزلت هذه الآية وظاهر قوله
فَكَاتِبُوهُمْ هو ان العبد اذا طلب المكاتبة من سيده وجب عليه ان يكاتبه بالشرط المذكور بعده وهو
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا الخير هو القدرة على اداء ما كوتب عليه وان لم يكن له مال وقيل هو المال
فقط كما ذهب اليه مجاهد والحسن وعطاء والضحاك وطاوس ومقاتل وروي عن علي وابن عباس
وعنه ايضا امانة ووفاء وعنه قال ان علمت مكاتبك يقضيك وعنه قال حيلة ولا تلقوا مؤنتهم
على المسلمين وذهب الى الاول ابن عمر وابن زيد واختاره مالك والشافعي والفراء والزجاج قال الفراء
يقول ان رجوتم عندهم وفاء وتادية للمال وقال الزجاج لما قال فيهم كان الاظهر الاكتساب والوفاء
واداء الامانة وقال النخعي ان الخير الدين والامانة وروي مثل هذا عن الحسن وقال عبيدة
السلماني اقامة الصلوة قال الطحاوي وقول من قال انه المال لا يصح عندنا لان العبد مال لمولاه
فكيف يكون له مال قال والمعنى عندنا ان علمتم فيهم الدين والصدق قال ابو عمر بن عبد البر
من لم يقل ان الخير هنا المال انكر ان يقال ان علمتم فيهم مالا وانما يقال علمت فيه الخير والصلاح
والامانة ولا يقال علمت فيه المال هذا حاصل ما وقع من الاختلاف بين اهل العلم في الخير المذكور
في هذه الآية واذا تقرر لك هذا فاعلم انه قد ذهب الى ظاهر ما يقتضيه الامر المذكور في الآية
من الوجوب عكرمة وعطاء ومسروق وعمرو بن دينار والضحاك واهل الظاهر فقالوا يجب على السيد

ان يكاتب مملوكه اذا طلب منه ذلك وعلم فيه خيرا وقال الجمهور من اهل العلم لا يجب ذلك
وتمسكوا بالاجماع على انه لو سأل العبد سيده ان يبيعه من غيره لم يجب عليه ذلك ولم يجبر عليه
فكذا الكتابة لانها معاوضة ولا يخفاك انه حجة واهية وشبهة داحضة والحق ما قاله
الاولون وبه قال عمرو وابن عباس واختاره ابن جرير عن انس بن مالك قال سألني سيرين المكاتبة
فابيت عليه فاتى عمر بن الخطاب فاقبل علي بالدرة وقال كاتبه وتلى فكاتبوهم ان علمتم
فيهم خيرا فكاتبته قال ابن كثير اسناده صحيح وعن يحيى بن كثير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس اخرجه ابو داود في المراسيل والبيهقي في سننه
ولا تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند الشافعي وجوزها ابو حنيفة الى نجم واحد وقيل ان الامر
مطلق فيجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم ثم امر سبحانه الموالي بالاحسان الى المكاتبين فقال
وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ففي هذه الآية الامر للمالكين باعانة المكاتبين على مال الكتابة
اما بان يعطوهم شيئا من المال او بان يحطوا عنهم مما كوتبوا عليه وظاهر الآية عدم تقدير
ذلك بمقدار وقيل الثلث وقيل الربع وقيل العشر ولعل وجه تخصيص الموالي بهذا الامر هو
كون الكلام فيهم وسياق الكلام معهم فانهم هم المامورون بالكتابة وقال الحسن والنخعي
وبريدة ان الخطاب بقوله وآتوهم لجميع الناس وقال زيد بن اسلم ان الخطاب للولاة بان
يعطوا المكاتبين من مال الصدقة حظهم كما في قوله سبحانه وفي الرقاب وللمكاتب احكام معروفة
اذا وفى ببعض مال الكتابة قال ابن عباس اي ضعوا عنهم من مكاتبتهم وعن نافع قال كان
ابن عمر يكره ان يكاتب عبده اذا لم تكن له حرفة ويقول تطعمني من اوساخ الناس وعن ابن
عباس في الآية قال امر الله المؤمنين ان يعينوا في الرقاب وعن علي بن ابي طالب امر الله السيد
ان يدع للمكاتب الربع من ثمنه وهذا تعليم من الله ليس بفريضة ولكن فيه اجر وقال صاحب الجمل
ان الامر للوجوب وعن بريدة في الآية قال حث الناس على ان يعطوه ثم انه سبحانه لما ارشد الموالي
الى نكاح الصالحين من المماليك نهى المسلمين عما كان يفعله اهل الجاهلية من اكراه امائهم
على الزنا فقال ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء المراد بالفتيات هنا الاماء وان كان الفتى و
الفتاة قد يطلقان على الاحرار في مواضع اخر والفتى الشاب والفتاة الشابة والبغاء بالكسر والمد

مصدر بغت المرأة تبغي بغاء اذا زنت وفجرت وهذا مختص بالنساء فلا يقال للرجل اذا زنى
انه بغي قاله الازهري والجمع البغايا والبغي القينة وان كانت عفيفة لثبوت الفجور لها في الاصل
قاله الجوهري ولا يراد به الشتم لانه اسم جعل كاللقب والامة تباغي اي تزاني وشرط الله سبحانه
هذا النهي بقوله إن أردن تحصناً لان الاكراه لا يتصور ولا يكون الا عند ارادتهن للتحصن فان
من لم ترد التحصن لا يصح ان يقال لها مكرهة على الزنا والمراد بالتحصن هنا التعفف والتزوج و
قيل ان هذا القيد راجع الى الايامى قال الزجاج والحسين بن الفضل في الكلام تقديم وتأخير
اي وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان اردن تحصنا وقيل ان هذا الشرط ملغى وقيل ان هذا
الشرط باعتبار ما كانوا عليه فانهم كانوا يكرهونهن وهن يردن التعفف وليس لتخصيص النهي بصورة
ارادتهن التعفف عن الزنا وقيل ان هذا الشرط خرج مخرج الغالب لان الغالب ان الاكراه
لا يكون الا عند ارادة التحصن فلا يلزم منه جواز الاكراه عند عدم ارادة التحصن وهذا
الوجه اقوى هذه الوجوه فان الامة قد تكون غير مريدة للحلال ولا للحرام كما فيمن لا رغبة لها في
النكاح والصغيرة فتوصف بانها مكرهة على الزنا مع عدم ارادتها للتحصن فلا يتم ما قيل من انه
لا يتصور الاكراه الا عند ارادة التحصن الا ان يقال ان المراد بالتحصن هنا مجرد التعفف وانه
لا يصدق على من كانت تريد الزواج انها مريدة للتحصن وهو بعيد فقد قال الحبر ابن عباس ان
المراد بالتحصن التعفف والتزوج وتابعه على ذلك غيره اخرج مسلم وسعيد بن منصور وابن ابي شيبة وغيرهم عن جابر بن
عبد الله قال كان عبد الله بن ابي يقول لجارية له اذهبي فابغينا شيئا وكانت كارهة فانزل الله هذه الاية
وذكر مسلم في صحيحه عن جابر ان جارية لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة واخرى يقال لها أميمة
وكان يريدهما على الزنا فشكتا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية واخرج البزار وغيره
عن انس نحو حديث جابر الاول وعن علي بن ابي طالب قال كان اهل الجاهلية يبغين اماءهم
فنهوا عن ذلك في الاسلام وعن ابن عباس قال كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا
يأخذون اجورهن فنزلت الاية وقد ورد النهي منه صلى الله عليه وسلم عن مهر البغي وكسب الحجام وحلوان
الكاهن ثم علل سبحانه هذا النهي بقوله لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا وهو ما تكسبه الامة بفرجها
وهذا التعليل ايضا خارج مخرج الغالب والمعنى ان هذا الغرض هو الذي كان يحملهم على اكرا

على البغاء في الغالب لان اكراه الرجل لامته على البغاء لا فائدة له اصلا لا يصدر مثله عن
العقلاء فلا يدل هذا التعليل على انه يجوز له ان يكرهها اذا لم يكن مبتغيا باكراهها عرض الحيوة
الدنيا وقيل ان هذا التعليل للاكراه هو باعتبار ان عادتهم كانت كذلك لا انه مدار النهي
عن الاكراه لهن وهذا يلائم المعنى الاول ولا يخالفه وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللّٰهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ
غَفُورٌ رَحِيمٌ هذا مقرر لما قبله ومؤكد له والمعنى ان عقوبة الاكراه راجعة الى المكرهين لا الى
المكرهات كما تدل عليه قراءة ابن مسعود وغيره فان الله غفور رحيم لهن قيل وفي هذا
التفسير بعد لان المكرهة على الزنا غير آثمة واجيب بانها وان كانت مكرهة فربما لا تخلوا في تضاعيف
الزنا عن شائبة مطاوعة اما بحكم الجبلة البشرية او بكون الاكراه قاصرا عن حد الالجاء المزيل
للاختيار بالمرة واما الغاية تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد
في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركتهن المغفرة والرحمة مع
قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب وقيل ان المعنى غفور رحيم لهم اما مطلقا
او لشرط التوبة ولما فرغ سبحانه من بيان تلك الاحكام شرع في وصف القران بصفات ثلث

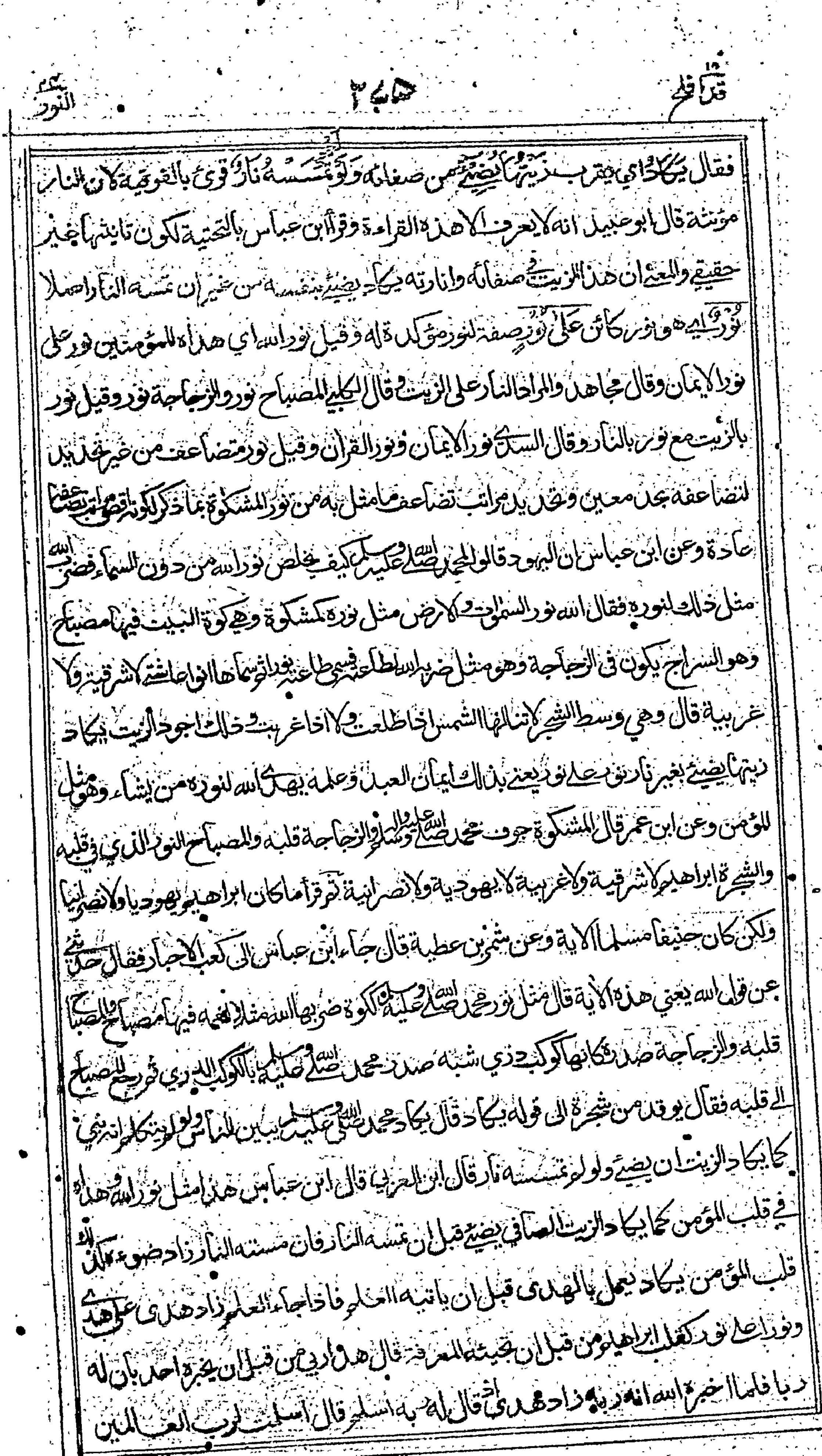
ع

فقال وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ
فالاولى انه آيات بينات اي واضحات في انفسهن لصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة
او موضحات ومبينات فيدخل فيها الآيات المذكورة في هذه السورة دخولا اوليا والصفة
الثانية كونه مثلا من الذين خلوا من قبل هؤلاء اي خبرا عجيبا كائنا من جهة امثال الذين
مضوا من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة فان العجب من قصة عائشة
هو كالعجب من قصة يوسف ومريم وما اتهما به ثم تبين بطلانه وبراءتهما سلام الله عليهما والصفة
الثالثة كونه موعظة ينتفع بها المتقون خاصة فان الله قد ختم على قلوب غيرهم وجعل على ابصارهم
غشاوة عن سماع المواعظ والاعتبار بقصص الذين خلوا وفهم ما تشتمل عليه الآيات البينات ثم
اردف الله وصف القران بكونه سبحانه في غاية الكمال ونهاية الجمال فقال اللّٰهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
مستأنفة لتقرير ما قبلها قال البيضاوي النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وتدرك
بواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا

المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف اي ذو نور السموات كقولك زيد عدل
او يكون المراد المبالغة في وصفه سبحانه بانه نور لكمال جلاله وظهور عدله وبسطه احكامه
كما يقال فلان نور البلد وقمر الزمن وشمس العصر ومعنى النور في اللغة الضياء وهو الذي يبين
الاشياء ويري الابصار حقيقة ما تراه فيجوز اطلاق النور على الله على طريقة المدح ولكونه اوجد
الاشياء المنورة واوجد انوارها ويدل عليه قراءة زيد بن علي وابي جعفر وعبد العزيز المكي
الله نوّر السموات والارض على صيغة الفعل الماضي وفاعله ضمير يرجع الى الله والسموات مفعوله
فمعنى الله نورهما انه سبحانه صيرهما منيرتين باستقامة احوال اهلهما وكمال تدبيره عز وجل
لمن فيهما كما يقال الملك نور البلد وهكذا قال الحسن ومجاهد والازهري والضحاك والقرظي وابن
عرفة وابن جرير وغيرهم وقال هشام الجواليقي وطائفة من المجسمة انه سبحانه نور لا كالانوار وجسم
لا كالاجسام وقال ابن عباس وانس في الآية الله هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون
وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل
مزين السماء والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين
ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على
طريق المدح كما قال الشاعر ❊ اذا سار عبد الله من مرو ليلة ❊ فقد سار عنها نورها وجمالها
وعن ابن عباس يدبر الامر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما مَثَلُ نُورِهِ مبتدأ وخبره كَمِشْكَوٰةٍ اي
صفة نوره الفائض عنه الظاهر على الاشياء كمشكوة وهذه الجملة ايضاح لما قبلها وتفسير
فلا محل لها وفرضا فيحذف اي كمثل مشكوة وهي الكوة في الحائط التي لا منفذ لها كذا حكاه
الواحدي عن جميع المفسرين وحكاه القرطبي عن جمهورهم قيل هي بلغة الحبشة وقيل عربية
ورسمت بالواو كالصلوة والزكوة واصل المشكوة الوعاء يجعل فيه الشيء وقيل هي عمود القنديل
الذي يجعل فيه الفتيلة وقيل هي الانبوبة في وسط القنديل وقيل هي الحديدة او الرصاصة
التي يوضع فيها الزيت وقيل هي العمود الذي يوضع على راسه المصباح وقيل ما يعلق فيه القنديل
من الحديدة وقال مجاهد هي القنديل والاول اولى ووجه تخصيص المشكوة انها اجمع للضوء
الذي يكون فيها من مصباح او غيره وعن ابن عباس قال في الآية مثل نوره اي هداه في قلب المؤمن

كمشكاة يقول موضع الفتيلة وفي إسناده مقال وعن أبي بن كعب قال هو المؤمن الذي قد
جعل الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال الله نور السموات والأرض مثل نوره بدأ
بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فصل والمؤمن المشكاة وعن ابن عباس مثل نوره الذي أعطى
المؤمن كمشكاة وفي قراءة أبي مثل نور المؤمن وفي لفظ نور من آمن به كمشكاة وعن ابن عباس
أيضا مثل نور من آمن بالله كمشكاة وهي الكوة وعنه قال هي خطأ من الكاتب هو أعظم من أن
يكون نوره مثل نور المشكاة بل مثل نور المؤمن كالمشكاة وقيل المعنى مثل نور الله عز وجل في
قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به وقيل أراد بالنور القرآن وقيل أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل
هو الطاعة سمى الله طاعته نورا ثم أضاف هذه الأنوار إلى نفسه تشريفا وتفضيلا وقيل مثل نوره
أي صفة دلائله التي يقذفها في قلب المؤمن والدلائل تسمى نورا قاله القرطبي واختلفوا في هذا التشبيه
هل هو مركب أو غير مركب فقيل ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل به بل وقع التشبيه فيه
بجملة بجملة وقيل صفته العجيبة في قلب المؤمن والذي في قلبه هو العلوم والمعارف وعلى هذا يكون
في الكلام استخدام حيث فسر النور بمعنى منور تنويرا حسيا وفسر الضمير بالنور الذي في قلب المؤمن وهو
معنوي **فيها مصباح** هو السراج الضخم وأصله من الضوء **المصباح في زجاجة** واحدة الزجاج
يعني القنديل قال الزجاج النور في الزجاج وضوء النار أبين منه في كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج
ووجه ذلك أن الزجاج جسم شفاف يظهر فيه النور أكمل ظهور ثم وصف الزجاجة فقال **الزجاجة**
كأنها أي النور فيها **كوكب دري** منسوب إلى الدر لكون الضياء والحسن والإشراق فيه ما يشابه الدر
وقال الضحاك الكوكب الدري الزهرة وقرئ دريء بكسر الدال أخذوه من درأت النجوم تدرأ إذا اندفعت
قاله أبو عمرو وقرئ بضم الدال مهموزا وأنكره الفراء والزجاج والمبرد وقال أبو عبيد إن ضممت الدال
وجب أن لا تهمز لأنه ليس في كلام العرب والدراري هي المشهورة من الكواكب كالمشتري والزهرة
والمريخ وما يضاهيها من الثوابت وقال أبي دري أي مضيء من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام
ثم وصف المصباح بقوله **يوقد** بالتحتية وقد قرئ بالتاء على أن الضمير راجع إلى الزجاجة دون
المصباح وقرئ توقد على أنه فعل ماض من التفعل والضمير في هاتين راجع إلى المصباح قال النحاس
وهاتان متقاربتان لأنهما جميعا للمصباح وهو أشبه بهذا الوصف لأنه الذي ينير ويضيء وإنما الزجاجة

وجاء له توقد على انه فعل مضارع واصله تتوقد من شجرة اي ابتداء ايقاد المصباح منها
وقيل يوقد من زيت شجرة مباركة اي كثيرة المنافع والبركة وقيل النماء قال ابي اصل البارك الاخلاص
لله وحده وعبادته لا شريك له زيتونة الزيتون من اعظم الثمار غناء قيل ومن بركتها ان اغصانها
تورق من اسفلها الى اعلاها وهي ادام ودهان ودباغ ووقود وليس فيها شيء الا وفيه منفعة
وهي اصفى الادهان واضوءها وقيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت في منازل الانبياء
ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وهي شجرة لا يسقط ورقها عن
اسيد بن ثابت او ابي اسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من
شجرة مباركة اخرجه الترمذي لا شرقية ولا غربية صفة لشجرة ودخلت لا لتفيد النفي وقرئ
بالرفع اي لا هي شرقية ولا هي غربية وقد اختلف المفسرون في معنى هذا الوصف فقال عكرمة
وقتادة وغيرهما ان الشرقية هي التي تصيبها الشمس اذا شرقت ولا تصيبها اذا غربت لان لها
سترا والغربية هي التي تصيبها اذا غربت ولا تصيبها اذا شرقت وهذه الزيتونة هي في صحراء
او في منكشف من الارض بحيث لا يسترها ولا يواريها عن الشمس شيء لا في حال شروقها ولا في
حال غروبها وما كانت من الزيتون هكذا فثمرها اجود ونضجها وزيتها اصفى وقيل ان المعنى انها
شجرة في دوحة قد احاطت بها فهي غير منكشفة من جهة الشرق ولا من جهة الغرب حكى هذا
ابن جرير عن ابن عباس قال ابن عطية وهذا لا يصح عنه لان الشجرة التي بهذه الصفة يفسد جناها
وذلك مشاهد في الوجود ورجح القول الاول الفراء والزجاج وقال الحسن ليست هذه الشجرة من
شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله لنوره ولو كانت في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية قال
الثعلبي قد افصح القرآن بانها من شجر الدنيا لان قوله زيتونة بدل من قوله شجرة قال ابن زيد انها
من شجر الشام فان الشام لا شرقي ولا غربي والشام هي الارض المباركة وشجرها افضل وقيل معناه
انها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا تضرها شمس ولا ظل
وقيل معناها انها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد قال ابي فمثله
كمثل شجرة التفت بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على اي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا
غربت فكذلك هذا المؤمن قد اجير من ان يضله شيء من الفتن ثم وصف الزيتونة بوصف آخر



فقال يكاد اي يقرب زيتها يضيء من صفائه ولو لم تمسسه نار وقرئ بالفوقية لان النار
مؤنثة قال ابو عبيد انه لا يعرف الا هذه القراءة وقرأ ابن عباس بالتحتية لكون تانيثها غير
حقيقي والمعنى ان هذا الزيت في صفائه وانارته يكاد يضيء بنفسه من غير ان تمسه النار اصلا
نور على نور اي هو نور كائن على نور صفة لنور مؤكدة له وقيل نور الله اي هداه للمؤمنين نور على
نور الايمان وقال مجاهد والمراد النار على الزيت وقال الكلبي المصباح نور والزجاجة نور وقيل نور
الزيت مع نور النار وقال السدي نور الايمان ونور القران وقيل نور متضاعف من غير تحديد
لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكوة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه
عادة وعن ابن عباس ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله
مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة وهي كوة البيت فيها مصباح
وهو السراج يكون في الزجاجة وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا ثم سماها انواعا شتى لا شرقية ولا
غربية قال وهي وسط الشجر لا تنالها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت وذلك اجود الزيت يكاد
زيتها يضيء بغير نار نور على نور يعني بذلك ايمان العبد وعلمه يهدي الله لنوره من يشاء وهو مثل
للمؤمن وعن ابن عمر قال المشكوة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي في قلبه
والشجرة ابراهيم لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية ثم قرأ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما الاية وعن شمر بن عطية قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال حدثني
عن قول الله يعني هذه الاية قال مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم كالكوة ضربها الله مثلا لفمه فيها مصباح والمصباح
قلبه والزجاجة صدره كانها كوكب دري شبه صدر محمد صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدري ثم رجع المصباح
الى قلبه فقال يوقد من شجرة الى قوله يكاد قال يكاد محمد صلى الله عليه وسلم يبين للناس ولو لم يتكلم انه نبي
كما يكاد الزيت ان يضيء ولو لم تمسسه نار قال ابن العربي قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه
في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه النار فان مسته النار زاد ضوءا كذلك
قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم زاد هدى على هدى
ونورا على نور كقول ابراهيم من قبل ان تجيئه المعرفة قال هذا ربي حين قبل ان يخبره احد بان له
ربا فلما اخبره الله انه ربه زاد هدى فقال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين

وأقول ان تفسير النظم القرآني بهذا ونحوه مما تقدم عن ابي بن كعب وابن عباس وابن عمر رضي الله
تعالى عنهم ليس على ما يقتضيه لغة العرب ولا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجوز العدول عن المعنى
العربي الى هذه المعاني التي هي شبيهة بالالغاز والتعمية ولكن هؤلاء الصحابة ومن وافقهم ممن
جاء بعدهم استبعدوا تمثيل نور الله سبحانه بنور المصباح في المشكوة ولهذا قال ابن عباس هو
اعظم من ان يكون نوره مثل نور المشكوة كما قدمنا عنه ولا وجه لهذا الاستبعاد فانا قد قدمنا
في اول البحث ما يرفع الاشكال ويوضح ما هو المراد على احسن وجه وابلغ اسلوب وعلى ما تقتضيه لغة
العرب ويفيده كلام الفصحاء فلا وجه للعدول عن الظاهر لا من كتاب ولا من سنة ولا لغة واما ما
حكي عن كعب الاحبار في هذا كما قدمنا فان كان هو سبب عدول اولئك الصحابة الاجلاء عن الظاهر
في تفسير الآية فليس مثل كعب رحمه الله ممن يقتدي به في مثل ذلك وقد نبهناك فيما سبق ان تفسير
الصحابي اذا كان مستنده الرواية عن اهل الكتاب كما يقع ذلك كثيرا فلا تقوم به الحجة ولا
يسوغ لاجله العدول عن التفسير العربي نعم ان صحت قراءة ابي بن كعب كانت هي المستند لهذه
التفاسير المخالفة للظاهر وتكون كالزيادة المبينة للمراد وان لم تصح فالوقوف على ما تقتضيه قراءة
الجمهور من السبعة وغيرهم ممن قبلهم وممن بعدهم هو المتعين يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ هداية خاصة
موصلة الى المطلوب وليس المراد بالهداية هنا مجرد الدلالة قال ابن عباس لنوره لدين الاسلام وهو
نور البصيرة مَنْ يَشَاءُ من عباده لان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها وَيَضْرِبُ اللهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ اي يبين الاشياء باشباهها ونظائرها تقريبا لها الى الافهام وتسهيلا للادراك لان
ابراز المعقول في هيئة المحسوس وتصويره بصورته يزيده وضوحا وبيانا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
لا يغيب عنه شيء من الاشياء معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومنه ضرب الامثال فِي بُيُوتٍ
اي ذلك المصباح يوقد في بيوت وقيل متعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت الله وهي المساجد
كانه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكوة التي من صفتها كيت وكيت وقيل صفة لزجاجة وقال
ابن الانباري سمعت ابا العباس يقول هو حال للمصباح والزجاجة والكوكب كانه قيل وهي في بيوت
وعلى هذه الاقوال لا يوقف على عليم وقيل متعلق بما بعده وهو يسبح الآتي اي يسبح رجال في بيوت
وعلى هذا يكون قوله فيها تكريرا للتوكيد والتذكير والايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح

على الوقوع في البيوت فقط وقيل متعلق بمحذوف اي سبحوه في بيوت وعلى هذين القولين يوقف على
عليم فهذه ستة اوجه ذكرها السمين وغيره وقيل انه منفصل عما قبله كأنه قال تعالى في بيوت اذن
الله ان ترفع قال الحكيم الترمذي وبذلك جاءت الاخبار انه من جلس في المسجد فانما يجالس ربه وقد
قيل على تقدير تعلقه بمشكوة او بمصباح او بيوقد ما الوجه في توحيد المصباح والمشكوة وجمع البيوت
ولا تكون المشكوة الواحدة والمصباح الواحد الا في بيت واحد واجيب بان هذا من الخطاب الذي
يفتح اوله بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله سبحانه يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ونحوه وقيل معنى في
بيوت في كل واحد من البيوت فكأنه قال في كل بيت او في كل واحد من البيوت واختلف الناس
في البيوت على اقوال الاول انها جميع المساجد وهو قول مجاهد والحسن وغيرهما قال ابن عباس بيوت
الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض الثاني ان المراد بها بيوت بيت المقدس
روي ذلك عن الحسن الثالث انها بيوت النبي صلى الله عليه وسلم روي هذا عن مجاهد الرابع هي البيوت كلها قاله
عكرمة الخامس انها المساجد الاربعة الكعبة ومسجد قباء ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس
قاله ابن زيد والقول الاول اظهر لقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال والباء من بيوت تضم وتكسر
كل ذلك ثابت في اللغة ومعنى اذن الله امر وقضى ومعنى ان ترفع تبنى قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما
ومنه قوله سبحانه واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن البصري وغيره معنى ترفع تعظم فلا
يذكر فيها الخنا من القول ويرفع شأنها وتطهر من الانجاس والاقذار ورجحه الزجاج وقيل المراد
بالرفع هنا مجموع الامرين ومعنى يذكر فيها اسمه كل ذكر لله عز وجل وقيل هو التوحيد وقيل المراد
تلاوة القرآن والاول اولى وفي القرطبي قد كره بعض اصحابنا تعليم الصبيان في المساجد لانهم لا يتحرزون
عن الاقذار والاوساخ فيؤدي ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد ورد في تعظيم المساجد وتنزيهها
عن القذر واللغو وتنظيفها وتطييبها احاديث ليس هذا موضع ذكرها يسبح له فيها بالغدو و
الآصال رجال قرئ يسبح مبنيا للفاعل وللمفعول فعلى الثانية المعنى قيل من يسبحه فقيل يسبحه رجال
وعلى الاولى يكون رجال فاعل يسبح وقرئ تسبح بالفوقية وكسر الموحدة وعلى هذا يكون الفاعل ايضا رجال
وانما انث الفعل لكون جمع التكسير يعامل معاملة المؤنث في بعض الاحوال وانما وحد الغدو لان صلاته
واحدة وفي الآصال صلوات والآصال جمع اصل جمع اصيل وهو العشي واختلف في هذا التسبيح ما هو

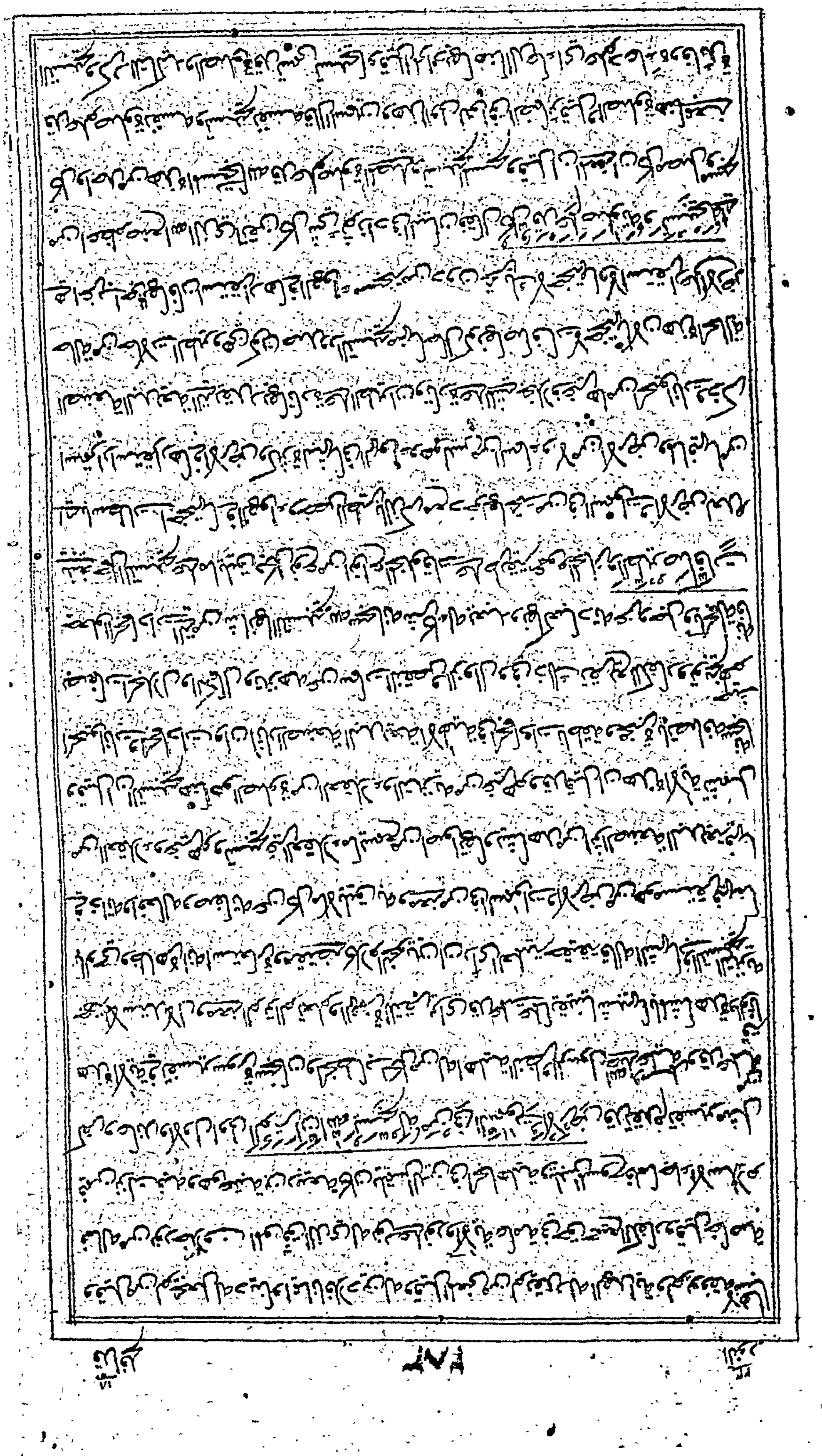
والاكثرون حملوه على الصلوة المفروضة قال الغدوة صلوة الصبح والاصال صلوة الظهر والعصر
والعشائين لان اسم الاصال يشملها والمعنى بالغداة والعشي وقيل صلوة الصبح والعصر وقيل المراد
صلوة الضحى قال ابن عباس وعنه في الاية قال هي المساجد تكرم ونهي عن اللغو فيها ويذكر فيها
اسم الله يتلى فيها كتابه يسبح له فيها بالغدو والاصال صلوة الغداة وصلوة العصر وهما اول ما
فرض الله من الصلوة فاحب ان يذكرهما ويذكرها عباده وعنه قال ان صلوة الضحى لفي القران
وما يغوص عليها الا غواص في هذه الاية وقيل المراد بالتسبيح هنا معناه الحقيقي وهو تنزيه الله سبحانه
عما لا يليق به في ذاته وصفاته وافعاله ويؤيد هذا ذكر الصلوة والزكوة بعده وهذا ارجح مما قبله لكونه
المعنى الحقيقي مع وجود دليل يدل على خلاف ما ذهب اليه الاولون وهو ما ذكرناه وقيل خص الرجال
بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور للمساجد لجمعة ولا جماعة لا تلهيهم تجارة
ولا بيع جملة صفة لرجال اي لا تشغلهم التجارة في السفر والبيع في الحضر وخص التجارة بالذكر لانها
اعظم ما يشتغل به الانسان وقال الفراء التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه وخص
قوم التجارة ههنا بالشراء لذكر البيع بعدها ومثل قول الفراء قال الواقدي فقال التجار هم الجلاب
المسافرون والباعة هم المقيمون ومعنى عن ذكر الله هو ما تقدم في قوله ويذكر فيها اسمه اي
باللسان والقلب وقيل المراد الاذان وقيل ذكره باسمائه الحسنى اي يوحدونه ويمجدونه وقيل
المراد الصلوة ويرده ذكر الصلوة بعد الذكر هنا واخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاية قال هم الذين يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرج
ابن مردويه والديلمي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الذين يبتغون من فضل
الله وعن ابن عباس قال كانوا رجالا يبتغون من فضل الله يشترون ويبيعون فاذا سمعوا النداء
بالصلوة القوا ما في ايديهم وقاموا الى المسجد فصلوا وعنه في الاية قال ضرب الله هذا المثل قوله كمشكوة
لاولئك القوم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وكانوا اتجر الناس وابيعهم ولكن لم تكن
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعنه قال عن ذكر الله عن شهود الصلوة وعن ابن عمر انه كان
في السوق فاقيمت الصلوة فاغلقوا حوانيتهم ثم دخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن ابن مسعود انه رأى ناسا من اهل السوق سمعوا الاذان فتركوا

امتعتهم فقال هؤلاء الذين قال الله فيهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واخرج البيهقي و
ابن ابي حاتم وغيرهما عن اسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله يوم القيامة الناس
في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي اين الذين كانوا يحمدون الله
في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي اين الذين
كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود
فينادي ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة
بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون واخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه عن عقبة بن عامر
نحوه وَإِقَامِ الصَّلٰوةِ اي اقامتها لمواقيتها من غير تاخير واداءها في وقتها جماعة لان مؤخر الصلوة عن
وقتها لا يكون من مقيمي الصلوة وحذفت التاء لان الاضافة تقوم مقامها في ثلاث كلمات جمعها الشاعر
في قوله ؎ ثلاثة تحذف تاآتها، مضافة عند جميع النحاة وهي اذا شئت ابو عذرها، وليت
شعري واقام الصلوة + وقيل الرابع عدا الامر اي عدة الامر وقيل في توجيه حذفها غير ذلك وقد
احتاج من حمل ذكر الله على الصلوة المفروضة ان يحمل اقام الصلوة على تاديتها في اوقاتها فرارا
من التكرار ولا ملجئ الى ذلك بل يحمل الذكر على معناه الحقيقي كما قدمنا وَإِيتَاءِ الزَّكٰوةِ المفروضة و
قيل المراد طاعة الله والاخلاص اذ ليس لكل مؤمن مال يَخَافُونَ يَوْمًا اي يوم القيامة والنصب على انه
مفعول للفعل لا ظرف له يعني ان هؤلاء الرجال وان بالغوا في ذكر الله تعالى والطاعات فانهم مع ذلك
وجلون خائفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادته ثم وصف هذا اليوم بقوله تَتَقَلَّبُ فِيهِ
الْقُلُوبُ اي تضطرب وتتحول من الهول والفزع وقيل المراد انتزاعها من اماكنها الى الحناجر فلا ترجع الى اماكنها ولا تخرج
وَالْأَبْصَارُ من هول ذلك اليوم وقيل المراد بتقلبها هو ان تصير عميا بعد ان كانت مبصرة
وقيل المراد بتقلب القلوب انها تكون متقلبة بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك واما
تقلب الابصار فهو نظرها من اي ناحية يؤخذون والى اي ناحية يصيرون وقيل المراد تحول
قلوبهم وابصارهم عما كانت عليه من الشك الى اليقين ومثله قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد فما كان يراه في الدنيا غيا يراه في الآخرة رشدا وقيل المراد التقلب على جمر جهنم وقيل
غير ذلك لِيَجْزِيَهُمُ اللّٰهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا اللام لام العاقبة والصيرورة او لام العلة الباعثة اي يفعلون

ما يفعلون من التسبيح والذكر واقام الصلوة وايتاء الزكوة ليجزيهم الله احسن جزاء اعمالهم حسبما
وعدهم من تضعيف ذلك الى عشرة امثاله والى سبعمائة ضعف قيل المراد بما في هذه
الاية ما يتفضل به سبحانه عليهم زيادة على ما يستحقونه والاول اولى لقوله ويزيدهم من فضله
فان المراد به التفضل عليهم بما فوق الجزاء الموعود به اي يتفضل باشياء لم توعد لهم بخصوصها
ولم تعقل مقاديرها ولم تخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها
قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى
يعطيهم غير اجور اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب والمعنى من غير ان يحاسبه على ما اعطاه
او ان اعطاءه سبحانه لا نهاية له قال الكرخي وضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز
الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية وذلك تنبيه على كمال
قدرته وكمال جوده وسعة احسانه ولما ذكر سبحانه حال المؤمنين وما يؤول اليه امرهم ذكر مثلا
للكافرين فقال والذين كفروا اعمالهم التي هي من اعمال الخير كالصدقة والعتق والوقف والصلة
وفك العاني وعمارة البيت وسقاية الحاج كسراب هو ما يرى في المفاوز من لمعان الشمس عند
اشتداد حر النهار على صورة الماء في ظن من يراه وسمي سرابا لانه يسرب اي يجري كالماء يقال سرب
الفحل اي مضى وسار في الارض ويسمى الآل وقيل الآل هو الذي يكون ضحى كالماء الا انه يرتفع عن الارض
حتى يصير كانه بين السماء والارض بقيعة اي فيها فالباء بمعنى في وهو جمع قاع وهو الموضع المنخفض
الذي يستقر فيه الماء مثل جيرة وجار قاله الهروي وقال ابو عبيدة قيعة وقاع واحد حكاه النحاس
قال الجوهري القاع المستوي من الارض والجمع اقوع وقيعان واقواع صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها
والقيعة مثل القاع قال بعضهم يقول هو جمع والقاع ما انبسط من الارض واتسع ولم يكن فيه
نبت فيه يكون السراب وقرئ بقيعاة بهاء مدورة كما يقال رجل عزهاة وقيعات بتاء مبسوطة
وقيل الالف متولدة من اشباع العين على الاول وجمع قيعة على الثاني يحسبه الظمآن ماء
الظمآن العطشان وقرئ الظمان بغير همز والمشهور عنهم الهمز وتخصيص الظمآن بالحسبان مع كون الرائي

يراه كذلك لتحقيق التشبيه المبني على الطمع ولانه احوج اليه من غيره فالتشبيه به اتم ﴿حتى اذا جاءه﴾
اي اذا جاء العطشان ذلك الذي حسبه ماء او جاء موضعه ﴿لم يجده شيئا﴾ مما قدره وحسبه وظنه و
لا من غيره والمعنى ان الكفار يعولون على اعمالهم التي يظنونها من الخير ويطمعون في ثوابها فاذا قدموا على الله سبحانه
لم يجدوا منها شيئا لان الكفر احبطها ومحى اثرها عن ابن عباس قال هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد
عطشه فرأى سرابا فحسبه ماء فطلبه فظن انه قد قدر عليه حتى اتى فلما اتاه لم يجده شيئا وقبض عند
ذلك يقول الكافر كذلك اذا اتاه الموت لم يجد عمله يغني عنه شيئا ولا ينفعه الا كما نفع السراب
العطشان ﴿ووجد الله عنده﴾ بالمرصاد وقيل وجد وعد الله بالجزاء على عمله وقيل وجد
امر الله عند حشره وقيل حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل قدم على الله وقيل عند العمل والمعنى متقارب
﴿فوفاه حسابه﴾ اي اعطاه وافيا كاملا حساب عمله المذكور وجزاءه فان اعتقاده لنفعه بغير
ايمان وعمله بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما
لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم
﴿والله سريع الحساب﴾ لعبادة من آمن منهم ومن كفر عن السدي عن ابيه عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الكفار يبعثون يوم القيامة وردا عطاشا فيقولون اين الماء فيمثل لهم السراب فيحسبونه ماء
فينطلقون اليه فيجدون الله عنده فيوفيهم حسابهم والله سريع الحساب اخرجه ابن ابي حاتم وعبد
بن حميد وابن المنذر وفي اسناده السدي عن ابيه وفيه مقال معروف ﴿او كظلمات﴾ معطوف على كسراب
ضرب الله سبحانه مثلا آخر لاعمال الكفار اي كما انها تشبه السراب الموصوف بتلك الصفات فهي ايضا
تشبه الظلمات قال الزجاج اعلم الله سبحانه ان اعمال الكفار ان مثلت بما يوجد فمثلها كمثل السراب وان
مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصفت وقال ايضا ان شئت مثلت بالسراب وان شئت مثلت بهذه
الظلمات فاو للاباحة والتخيير حسبما تقدم من القول في او كصيب قال الجرجاني الآية الاولى في ذكر اعمال
الكفار والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر على اعمالهم لانه ايضا من اعمالهم قال القشيري فعند الزجاج
التمثيل وقع لاعمال الكفار وعند الجرجاني لكفر الكفار وقيل او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالسراب
في الدنيا وكالظلمات في الآخرة وقيل او للتنويع يعني ان اعمالهم ان كانت حسنة فهي كسراب وان
كانت سيئة فهي كظلمات ﴿في بحر لجي﴾ اللجة معظم الماء والجمع لجج وهو الذي لا يدرك عمقه

ثم وصف سبحانه هذا البحر بصفة أخرى فقال يغشاه أي يعلو هذا البحر موج فيستره ويغطيه
بالكلية والموج ما ارتفع من الماء ثم وصف هذا الموج بقوله من فوقه أي من فوق هذا الموج موج
ثان متراكم فيه إشارة إلى كثرة الأمواج وتراكم بعضها فوق بعض ثم وصف الموج الثاني فقال من فوقه
سحاب فيجتمع خوف البحر وأمواجه والسحاب المرتفع فوقه وقيل إن المعنى يغشاه موج من بعده
موج فيكون الموج يتبع بعضه بعضا حتى كان بعضه فوق بعض والبحر أخوف ما يكون إذا توالت أمواجه
فإذا انضم إلى ذلك وجود السحاب من فوقه زاد الخوف شدة لأنها تستر النجوم التي يهتدي بها من في
البحر ثم إذا أمطرت تلك السحاب وهبت الريح المعتادة في الغالب عند نزول المطر تكاثفت الهموم و
ترادفت الغموم وبلغ الأمر إلى الغاية التي ليس وراءها غاية ولهذا قال سبحانه ظلمات بعضها فوق بعض
أي هي ظلمات أو هذه ظلمات متكاثفة مترادفة ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر ففي هذه الجملة
بيان لشدة الأمر وتعاظمه وبلوغه النهاية القصوى وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة
القول وظلمة العمل وقال أبي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله
ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة في النار قرئ سحاب ظلمات بالإضافة ووجهها
أن السحاب ترتفع وقت هذه الظلمات فأضيفت إليها لهذه الملابسة وقرئ بالقطع والتنوين ومن
غرائب التفاسير أنه سبحانه أراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه وبالموج فوق الموج ما يغشى قلبه
من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه وهذا تفسير هو عن لغة العرب بمكان
بعيد وعن ابن عباس قال يعني بالظلمات الأعمال وبالبحر اللجي قلب الإنسان يغشاه موج يعني بذلك
الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر ثم بالغ سبحانه في هذه الظلمات المذكورة بقوله إذا أخرج أي الناظر
أو الحاضر في هذه الظلمات أو من ابتلي بها يده مع أنها أقرب شيء إليه لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها
قال الزجاج وأبو عبيدة المعنى لم يرها ولم يكد وقال الفراء إن كاد زائدة والمعنى إذا أخرج يده لم يرها كما تقول
ما كدت أعرفه وقال المبرد يعني لم يرها إلا من بعد الجهد لشدة الظلمة قال النحاس أصح الأقوال في هذا
أن المعنى لم يقارب رؤيتها فإذا لم يرها رؤية بعيدة ولا قريبة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور مقررة لما قبلها من كون أعمال الكفرة على تلك الصفة قال الزجاج ذلك في الدنيا والمعنى من لم يهده
الله لم يهتد وقيل إن المعنى من لم يجعل له نورا يمشي به يوم القيامة فما له من نور يهتدي به



الاخبار بان كل واحد قد علم ذلك الا ان صدور هذا التسبيح هو عن علم قد علمها الله ذلك والهمها
اليه الا ان صدوره منها على طريقة الاتفاق بلا روية وفي ذلك زيادة دلالة على بديع صنع الله
سبحانه وعظم شانه كونه جعلها مسبحة له عالمة بما يصدر منها غير جاهلة له وقال السدي
الصلوة للانسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وصوته تسبيحه
او المعنى كل واحد من هذه المسبحة قد علم الله صلاته له وتسبيحه اياه والاول ارجح لاتفاق القراء على
رفع كل ولو كان الضمير لله لكان نصب كل اولى وقيل المعنى علم كل صلوة الله وتسبيحه اي الذين امرهما
وبان يفعلا كاضافة الخلق الى الخالق والاول اولى وقرئ علم على البناء للمفعول والله عليم بما يفعلون
مقررة لما قبلها اي لا يخفى عليه طاعتهم ولا تسبيحهم ولا يعزب عن علمه شيء ثم بين سبحانه ان المبدأ منه
والمعاد اليه فقال ولله لا لغيره ملك السموت والارض اي خزائن المطر والرزق والنبات لانه خالقهما
ولا يملكهما احد سواه ومن ملك شيئا فبتمليكه تعالى اياه والى الله لا الى غيره المصير اي الرجوع بعد
الموت وقد تقدم تفسير مثل هذه الاية في غير موضع ثم ذكر سبحانه دليلا اخر من الاثار العلوية
فقال الم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء السوق قليلا قليلا والمعنى انه يسوق السحاب سوقا رفيقا
الى حيث يشاء يقال زجى الشيء تزجية دفعه برفق وتزجى بكذا اكتفى به وازجى الابل ساقها والزجى
الشيء القليل وبضاعة مزجاة قليلة والريح تزجي السحاب والبقرة تزجي ولدها اي تسوقه ثم يؤلف
بينه اي بين اجزائه فيضم بعضه الى بعض ويجمعه بعد تفرقه ليقوى ويتصل ويكثف والاصل في
التاليف الهمز وقرئ يولف بالواو تخفيفا والسحاب واحد في اللفظ ولكن معناه جمع ولهذا دخلت بين
عليه لان اجزاءه في حكم المفردات له قال الفراء ان الضمير في بينه راجع الى جملة السحاب كما تقول
الشجر قد جلست بينه لانه جمع وافرد الضمير باعتبار اللفظ ثم يجعله ركاما اي متراكما يركب
بعضه بعضا والركم جمع الشيء يقال ركم الشيء يركمه ركما اي جمعه والقى بعضه على بعض وارتكم
الشيء وتراكم اذا اجتمع والركمة الطين المجموع والركام الرمل المتراكب والسحاب ونحوه فترى الودق
هو المطر عند جمهور المفسرين يقال ودقت السحاب فهي وادقة وودق المطر يدق اي قطر يقطر وقيل
ان الودق البرق والاول اولى ضعيفا كان او شديدا والروية هنا بصرية يخرج من خلاله اي من فتوقه
ووجوهه التي هي مخارج القطر منه قال كعب ان السحاب غربال المطر ولولا السحاب حين ينزل

المطر من السماء لا فسد ما يقع عليه من الارض وقرئ من خلله على الافراد وقد وقع الخلاف
في خلال هل هو مفرد كحجاب او جمع كجبال وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ اي من جهة لان السماء قد يطلق على جهة
العلو مِنْ جِبَالٍ اي من قطع عظام تشبه الجبال ومن للتبعيض فِيهَا مِنْ بَرَدٍ قيل التقدير من برد
بردا وقيل ينزل من السماء قدر جبال او مثل جبال من برد الى الارض قال الاخفش ان من زائدة في الموضعين
اي ينزل من السماء بردا يكون كالجبال والحاصل ان من في من السماء لابتداء الغاية باتفاق المفسرين
بلا خلاف وفي من جبال ثلاثة اوجه الاول انها لابتداء الغاية والثاني انها للتبعيض كانه قال وينزل
بعض جبال الثالث انها زائدة اي ينزل من السماء جبالا واما من في من برد ففيها اربعة اوجه الثلاثة
المتقدمة والرابع انها لبيان الجنس قاله الحوفي والزمخشري اي وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد فالمنزل
برد لان بعض البرد برد قال الزجاج معنى الاية وينزل من السماء من جبال برد فيها وذكر ابو البقاء
التقدير شيئا من جبال قيل ان في السماء جبالا من برد كما في الارض جبال من حجر وقيل المراد بذكر الجبال الكثرة
كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وفضة فَيُصِيبُ بِهِ اي بما ينزل من البرد كما في البيضاوي والخازن
مَنْ يَشَاءُ ان يصيبه من عباده وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ منهم او يصيب به مال من يشاء ويصرفه
عن مال من يشاء وقد تقدم الكلام على مثل هذا في البقرة يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ العامة على قصر سنا
وهو الضوء وهو من ذوات الواو يقال سنى يسنو سنا اي اضاء يضيء وبالمد الرفعة كذا قال المبرد
وغيره وقرئ سناء برقه بالمد على المبالغة في شدة الضوء والصفاء فاطلق عليه اسم الرفعة والشرف وقرئ
بضم الباء من برقه وفتح الراء وهي على هذه جمع برقة وقال النحاس البرقة المقدار من البرق والبرقة الواحدة
والمعنى يكاد ضوء البرق الذي في السحاب يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ من شدة بريقه وزيادة لمعانه وهو
كقوله يكاد البرق يخطف ابصارهم وقرئ يذهب من الاذهاب ويذهب من الذهاب والابصار جمع
بصر اي الناظرة والباء للالصاق وقيل للتعدية وقيل هي بمعنى من والمفعول محذوف تقديره
يذهب النور من الابصار فسبحان من يجمع الماء والنار والنور والظلمة من شيء واحد وقيل ان الله
يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اي يعاقب بينهما فياتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي
الامر اقلب الليل والنهار اخرجه البخاري ومسلم وقيل يزيد في احدهما وينقص الاخر وقيل يقلبهما

باختلاف ما يقدره فيهما من خير وشر ونفع وضر وقيل بالحر والبرد وقيل المراد بذلك تغيير
النهار بظلمة السحاب مرة وبضوء الشمس أخرى وتغيير الليل بظلمة السحاب تارة وبضوء القمر أخرى
إن في ذلك إشارة إلى ما تقدم من إزجاء السحاب وإنزال الودق والبرد وتقليب الجديدين لعبرة
أي لدلالة واضحة يكون بها الاعتبار لأولي الأبصار أي لكل من له بصر يبصر به في براهين لائحة
على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم ذكر سبحانه دليلا ثالثا من عجائب خلق
الحيوان وبديع صنعته فقال والله خلق كل دابة وقرئ خالق والمعنيان صحيحان والدابة كل ما
دب على الأرض من الحيوان يقال دب يدب فهو داب والهاء للمبالغة ومعنى من ماء من نطفة وهي المني
كذا قال الجمهور ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم وقال جماعة إن المراد الماء المعروف
لأن آدم خلق من الماء والطين قيل وفي الآية تنزيل الغالب منزلة الكل على القول الأول لأن في الحيوانات
ما يتولد لا عن نطفة فإن عيسى خلق من الريح الذي نفخ جبريل في جيب مريم والدود يخلق من
الفاكهة ومن العفونات ويخرج من هذا العموم الملائكة فإنهم خلقوا من نور وهم أكثر المخلوقات
عددا والجان فإنهم خلقوا من نار وهم بقدر تسعة أعشار الإنس كما قيل ثم فصل سبحانه أحوال
كل دابة فقال فمنهم من يمشي على بطنه وهي الحيات والهوام والحوت والدود ونحو ذلك وسمي
الزحف على البطن مشيا استعارة كما استعير المشفر للشفة وبالعكس كما يقال في الأمر المستمر قد مشى
هذا الأمر وفلان ما يمشي له أمر أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين ومنهم من يمشي على
رجلين وهو الإنسان والطير والنعام ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم وسائر الحيوانات
وقدم ما هو أعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي من أرجل أو غيرها ثم الماشي على رجلين
ثم الماشي على أربع وقال من ولم يقل ما تغليبا لمن يعقل على ما لا يعقل لأن جعل النفيس أصلا و
الخسيس تبعا أولى قال ابن عباس كل شيء يمشي على أربع إلا الإنسان وأقول هذه الطيور على اختلاف
أنواعها تمشي على رجلين وهكذا غيرها كالنعامة فإنها تمشي على رجلين وليست من الطير فهذه
الكلية المروية عنه رضي الله تعالى عنه لا تصح ولم يتعرض سبحانه لما يمشي على أكثر من أربع لقلته وقيل لأن المشي
على أربع فقط وإن كانت القوائم كثيرة وقيل لعدم الاعتداد بما يمشي على أكثر من أربع ولا وجه لهذا
هذا فإن المراد التنبيه على بديع الصنع وكمال القدرة فكيف يقال لعدم الاعتداد بما يمشي على أكثر

من اربع وقيل ليس في القرآن ما يدل على عدم المشي على اكثر من اربع لانه لم ينف ذلك ولا جاء
بما يقتضي الحصر وفي مصحف ابي ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع ما يمشي على اكثر من
اربع كالسرطان والعناكب والحيوان المعروف بام اربع واربعين وكثير من خشاش الارض كالعقارب
ولا دخول له في قوله يخلق الله ما يشاء اي مما ذكره هنا ومما لم يذكره كالجمادات مركبها وبسيطها
ناميها وغير ناميها على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال
مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء ولا يمنعه مانع بل الكل
من مخلوقاته داخل تحت قدرته سبحانه لقد انزلنا آيات مبينات بكسر الياء وفتحها اسبعيناه
وكذا الشان في كل ما جاء من هذا الجمع في القرآن والمراد بها القرآن فانه قد اشتمل على بيان كل شيء وما
فرطنا في الكتاب من شيء وفيه التفات قد تقدم مثل هذا في غير موضع والله يهدي من يشاء
بتوفيقه للنظر الصحيح وارشاده الى التامل الصادق الى صراط مستقيم اي طريق مستوي لا عوج فيه
فيتوصل بذلك الى الخير التام وهو نعيم الجنة ثم شرع سبحانه في بيان احوال من لم تحصل له الهداية
الى الصراط المستقيم فقال ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا وهؤلاء هم المنافقون الذين
يظهرون الايمان ويبطنون الكفر ويقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فانهم كما حكى الله عنهم هنا
ينسبون الى انفسهم الايمان بالله وبالرسول والطاعة لله ولرسوله نسبة بمجرد اللسان لا عن اعتقاد
صحيح وعن قتادة قال اناس من المنافقين اظهروا الايمان والطاعة وهم في ذلك يصدون عن
سبيل الله وطاعته وجهاده مع رسوله ثم يتولى اي يعرض فريق منهم اي من هؤلاء
المنافقين القائلين هذه المقالة من بعد ذلك اي من بعد ما صدر عنهم مما نسبوه الى انفسهم
من دعوى الايمان والطاعة ثم حكم عليهم سبحانه وتعالى بعدم الايمان فقال وما اولئك القائلون
هذه المقالة بالمؤمنين على الحقيقة الموافق قلوبهم لالسنتهم فيشمل الحكم بنفي الايمان جميع القائلين
ويندرج تحتهم من تولى اندراجا اوليا وقيل ان الاشارة بقوله اولئك راجع الى من تولى والاول
اولى والكلام مشتمل على حكمين الحكم الاول على بعضهم بالتولي والحكم الثاني على جميعهم بعدم الايمان
وقيل اراد بمن تولى من تولى عن قبول حكمه صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بذلك رؤساء المنافقين وقيل اراد
بتولي هذا الفريق رجوعهم الى الباقين ولا ينافي ما تحتمله هذه الآية باعتبار لفظها ورودها على سبب خاص

ثم وصف هؤلاء المنافقين بان فريقا منهم يعرضون عن اجابة الدعوة الى الله والى رسوله في
خصومتهم فقال وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ المبلغ عنه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ اي الرسول فالضمير راجع
اليه لانه المباشر للحكم وان كان الحكم في الحقيقة لله سبحانه ومثل ذلك قوله تعالى والله ورسوله احق
ان يرضوه إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ اذا هي الفجائية اي فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة الى
الله والرسول او عن الاجابة والمجيء اليه وهذا هو شان مقلدة المذاهب بعينه اليوم يعرضون عن اجابة
الداعي الى الله ورسوله وعن التحاكم اليهما اي الى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر سبحانه
ان اعراضهم انما هو اذا كان الحق عليهم واما اذا كان لهم فانهم يذعنون لعلمهم بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يحكم الا بالحق فقال وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ اي اذا كان الحكم لهم على غيرهم يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ
مطيعين منقادين لحكمه طلبا لحقهم لا رضا بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة يقال اذعن
لي بحقي اي طاوعني لما كنت التمست منه وصار يسرع اليه وبه قال مجاهد وقال الاخفش وابن الاعرابي
مذعنين مقرين وقال النقاش خاضعين والمعنى انهم لما عرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل
البحت يمتنعون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم
وان ثبت لهم الحق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمة الخصم
وما اصدق هذه الاية على المقلدين في صنيعهم مع اهل القرآن واصحاب الحديث ثم قسم الامر في
اعراضهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم فقال أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ هذه الهمزة للتوبيخ والتقريع لهم
والمرض النفاق اي اكان هذا الاعراض منهم بسبب النفاق الكائن في قلوبهم وقيل مرض اي كفر وميل
الى الظلم أَمِ ارْتَابُوا وشكوا في امر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعدله في الحكم او رأوا تهمة فزال يقينهم وثقتهم به
أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ في الحكومة والحيف الميل في الحكم يقال حاف في
قضيته اي جار فيما حكم به ثم اضرب عن هذه الامور التي صدرها بالاستفهام الانكاري فقال
بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اي ليس ذلك لشيء مما ذكر بل لعنادهم وظلمهم فانه لو كان الاعراض لشيء
مما ذكر لما اتوا اليه مذعنين اذا كان الحق لهم وقيل اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقق القسم الاول
ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا
وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته صلى الله عليه وسلم يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم

ومیل نفوسهم الى الحيف وضمير الفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه قاله البيضاوي
وفي هذه الآية دليل على وجوب الاجابة الى القاضي العالم بحكم الله العادل في حكمه لان العلماء ورثة
الانبياء والحكم من قضاة الاسلام العالمين بحكم الله العارفين بالكتاب والسنة العادلين في القضاء
هو حكم بحكم الله ورسوله فالداعي الى التحاكم اليهم قد دعى الى الله والى رسوله اي الى حكمهما قال ابن خويز منداد
واجب على كل من دعي الى مجلس الحاكم ان يجيب ما لم يعلم ان الحاكم فاسق قال القرطبي في هذه الآية دليل
على وجوب اجابة الداعي الى الحاكم لان الله سبحانه ذم من دعي الى رسوله ليحكم بينه وبين خصمه باقبح ذم
فقال افي قلوبهم مرض الآية انتهى فان كان القاضي مقصرا لا يعلم باحكام الكتاب والسنة ولا يعقل حجج الله
ومعاني كلامه وكلام رسوله بل كان جاهلا جهلا بسيطا وهو من لا علم له بشيء من ذلك او جهلا
مركبا وهو من لا علم عنده بما ذكرنا ولكنه قد عرف بعض اجتهادات المجتهدين واطلع على شيء من علم
الرأي فهذا في الحقيقة جاهل وان اعتقد انه يعلم بشيء من العلم فاعتقاده باطل فمن كان من القضاة
هكذا فلا تجب الاجابة اليه لانه ليس ممن يعلم بحكم الله ورسوله حتى يحكم به بين المتخاصمين اليه بل
هو من قضاة الطاغوت وحكام الباطل فان ما عرفه من علم الرأي انما رخص له في العمل به للمجتهد الذي
هو منسوب اليه عند عدم الدليل من الكتاب والسنة ولم يرخص فيه لغيره ممن يأتي بعده واذا تقرر لك
هذا وفهمته حق فهمه علمت ان التقليد والانتساب الى عالم من العلماء دون غيره والتعبد بجميع ما
جاء به من رواية ورأي واهمال ما عداه من اعظم ما حدث في هذه الملة الاسلامية من البدع
المضلة والفواقر الموحشة فانا لله وانا اليه راجعون وقد اوضحت هذا في كتابي الجنة واوضحه
الشوكاني في القول المفيد وادب الطلب وغيره في غيرها فمن اراد ان يقف على حقيقة هذه البدعة
التي طبقت الاقطار الاسلامية فليرجع اليها وعن الحسن في الآية قال ان الرجل كان يكون بينه وبين الرجل
خصومة او منازعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دعي الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محق اذعن وعلم ان
النبي صلى الله عليه وسلم سيقضي له بالحق واذا اراد ان يظلم فدعي الى النبي صلى الله عليه وسلم اعرض وقال انطلق
الى فلان فانزل الله سبحانه واذا دعوا الى الله ورسوله الى قوله هم الظالمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان بينه وبين اخيه شيء فدعاه الى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم لا حق له اخرجه
عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم قال ابن كثير بعد ان ساق هذا المتن بلفظه وهذا حديث

غريب وهو مرسل وقال ابن العربي هذا حديث باطل فاما قوله فهو ظالم فكلام صحيح واما قوله
فلا حق له فلا يصح ويحتمل ان يريد انه على غير الحق انتهى واقول واما كون الحديث مرسلا فظاهر
واما دعوى كونه باطلا فمحتاجة الى برهان فقد اخرجه ثلاثة من ائمة الحديث كما ذكرنا ويبعد كل
البعد ان يتفقوا على ما هو باطل وليس في اسناده عند ابن ابي حاتم كذاب ولا وضاع ويشهد له
ما اخرجه الطبراني عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعي الى سلطان فلم يجب فهو
ظالم لا حق له انتهى ولا يخفاك ان قضاة العدل وحكام الشرع الذين هم على الصفة التي قدمنا
لك قريبا هم سلاطين الدين المترجمون عن الكتاب والسنة المبينون للناس ما نزل اليهم ثم لما
ذكر ما كان عليه اهل النفاق اتبعه بما يجب على المؤمنين ان يفعلوه اذا دعوا الى حكم الله ورسوله
فقال انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله اي الى كتاب الله العزيز وسنة رسوله
المطهرة ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي هذا القول لا قولا آخر وهذا وان كان على
طريقة الخبر فليس المراد به ذلك بل المراد به تعليم الادب الشرعي عند هذه الدعوة من احد المتخاصمين
للآخر والمعنى انه ينبغي للمؤمنين ان يكونوا هكذا اذا سمعوا الدعاء المذكور قابلوه بالطاعة والاذعان
والاجابة قال مقاتل وغيره يقولون سمعنا قول النبي صلى الله عليه وسلم واطعنا امره وان كان ذلك فيما يكرهونه
ويضرهم وقد قدمنا الكلام على الدعوة الى الله ورسوله للحكم بين المتخاصمين وذكرنا من تجب الاجابة
اليه من القضاة ومن لا تجب وهذه الآية على ايجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين ان يفعلوه ثم
اثنى سبحانه عليهم بقوله واولئك المؤمنون الذين قالوا هذا القول هم المفلحون اي الناجون
الفائزون بخيري الدنيا والآخرة ثم اردف الثناء عليهم بثناء آخر فقال ومن يطع الله ورسوله و
يخش الله ويتقه هذه الجملة مقررة لما قبلها من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم الى الدخول
في عدادهم بالمتابعة لهم في طاعة الله ورسوله في كتابه وسنته والخشية من الله عز وجل
فيما مضى والتقوى له فيما يستقبل وفي يتقه قراآت من الجزم والكسر فاولئك اي الموصوفون بما ذكر
من الطاعة والخشية والتقوى هم الفائزون بالنعيم الدنيوي والاخروي لا من عداهم وعن بعض الملوك
انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهي جامعة لاسباب الفوز والفلاح الكاملة الشاملة وبالله
التوفيق وهو المستعان ثم حكى سبحانه عن المنافقين انهم لما كرهوا حكمه اقسموا بانه لو امرهم بالخروج الى

العزو والخروج افقال وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ المعنى يجهدون ايمانهم جهدا ومعناه طاقة ما
قدروا ان يحلفوا ماخوذ من قولهم جهد نفسه اذا بلغ طاقتها واقصى وسعها وقيل التقدير
مجتهدين في ايمانهم كقولهم افعل ذلك جهدك وطاقتك وقد خلط الزمخشري الوجهين فجعلهما
واحدا وقيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ بالخروج الى الجهاد
لَيَخْرُجُنَّ وليغزون ولما كانت مقالتهم هذه كاذبة وايمانهم فاجرة رد الله عليهم زاجرا فقال قُلْ
لَا تُقْسِمُوا اي لا تحلفوا على ما تزعمونه من الطاعة والخروج الى الجهاد ان امرتم به وههنا تم الكلام
ثم ابتدأ فقال طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ اي طاعتهم طاعة معروفة بانها طاعة نفاقية لم تكن عن
اعتقاد وقيل طاعة معروفة اولى بكم من ايمانكم وقيل لتكن منكم طاعة او لتوجد وفي هذا ضعف لان
الفعل لا يحذف الا اذا تقدم ما يشعر به وقيل امركم طاعة بل قال الواسطي انه الاولى لان الخبر محط الفائدة
وعليه فالمعنى امركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب وقرئ طاعة
بالنصب اي اطيعوا طاعة إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ من الطاعة بالقول وما تضمرونه من المخالفة بالفعل
وهذا تعليل لما قبلها من كون طاعتهم طاعة نفاق ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يامرهم بطاعة الله ورسوله فقال قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ طاعة ظاهرة وباطنة
بخلوص اعتقاد وصحة نية وهذا التكرير منه سبحانه لتاكيد وجوب الطاعة عليهم فان قوله قل
لا تقسموا طاعة معروفة في حكم الامر بالطاعة وقيل انهما مختلفان فالاول نهي بطريق الرد والتوبيخ
والثاني امر بطريق التكليف لهم والايجاب عليهم فَإِنْ تَوَلَّوْا خطاب للمامورين وفيه رجوع من الخطاب
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخطاب لهم لتاكيد الامر عليهم والمبالغة في العناية بهدايتهم الى الطاعة
والانقياد وجواب الشرط قوله فَإِنَّمَا عَلَيْهِ اي على النبي مَا حُمِّلَ مما امر به من التبليغ وقد فعل وَعَلَيْكُمْ
مَا حُمِّلْتُمْ اي ما امرتم به من الطاعة والاجابة وهو وعيد لهم كانه قال لهم فان توليتم فقد صرتم
حاملين للحمل الثقيل وفيه المشاكلة وَإِنْ تُطِيعُوهُ فيما امركم به ونهاكم عنه تَهْتَدُوا الى الحق وترشدوا
الى الخير وتفوزوا بالاجر قد اخرج مسلم و الترمذي وغيرهما عن علقمة بن وائل الحضرمي عن ابيه
قال قدم زيد بن اسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارأيت ان كان علينا امراء ياخذون منا الحق
ولا يعطونا قال فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم وعن جابر انه سئل ان كان علي امام فاجر

فلقيت معه اهل ضلالة اقاتلهم ام لا قال قاتل اهل الضلالة اينما وجدتهم وعلى الامام ما حمل و
وعليكم ما حملتم وجملة ما على الرسول الا البلاغ المبين مقررة لما قبلها واللام اما للعهد فيراد
بالرسول نبينا صلى الله عليه وسلم واما للجنس فيراد كل رسول والبلاغ المبين التبليغ الواضح او الموضح والمعنى ان
الرسول قد ادى البلاغ فادوا ايضا انتم ما عليكم من طاعته وعد الله الذين آمنوا منكم و
عملوا الصالحات الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومن للبيان وقيل للتبعيض والجملة مقررة لما
قبلها من ان طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبب لهدايتهم وهذا وعد من الله سبحانه لمن آمن
بالله وعمل الاعمال الصالحات بالاستخلاف لهم كما قال سبحانه ليستخلفنهم في الارض بدلا عن الكفار
وهو وعد يعم جميع الامة وقيل هو خاص بالصحابة ولا وجه لذلك فان الايمان وعمل الصالحات
لا يختص بهم بل يمكن وقوع ذلك من كل واحد من هذه الامة ومن عمل بكتاب الله وسنة رسوله
فقد اطاع الله ورسوله واللام في ليستخلفنهم جواب لقسم محذوف او جواب للوعد بتنزيله منزلة
القسم لانه ناجز لا محالة والمعنى ليجعلنهم فيها خلفاء يتصرفون فيها تصرف الملوك في مملوكاتهم وقد
ابعد من قال انها مختصة بالخلفاء الاربعة او بالمهاجرين او ان المراد بالارض ارض مكة وقد عرفت
ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال ابن العربي انها بلاد العرب والعجم وهو الصحيح لان ارض
مكة محرمة على المهاجرين ففي الحديث لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
توفي بمكة وقال في الصحيح ايضا يمكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا وظاهر قوله كما استخلف الذين
من قبلهم كل من استخلفه الله في ارضه فلا يخص ذلك بني اسرائيل ولا امة من الامم دون غيرها
قرئ على البناء للفاعل وللمفعول وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم معطوف على ليستخلفنهم داخلة
تحت حكمه كائنة من جملة الجواب والمراد بالتمكين هنا التثبيت والتقرير اي يجعله الله ثابتا مقررا ويوسع
لهم في البلاد فيملكوها ويظهر دينهم على جميع الاديان والمراد بالدين هنا الاسلام كما في قوله ورضيت
لكم الاسلام دينا ذكر سبحانه وتعالى الاستخلاف لهم اولا وهو جعلهم ملوكا وذكر التمكين ثانيا فافاد
ان هذا الملك ليس على وجه العروض والطرو بل على وجه الاستقرار والثبات بحيث يكون الملك
لهم ولعقبهم من بعدهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا معطوفة على التي قبلها قرئ من ابدل
ومن بدل وهما لغتان وزيادة البناء تدل على زيادة المعنى فقراءة التشديد ارجح من التخفيف وزعم ثعلب

ان بينهما فرقا وانه يقال بدلته اي غيرته وابدلته ازلته وجعلت غيره مكانه قال النحاس وهذا
القول صحيح والمعنى انه سبحانه يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الاعداء امنا ويذهب
عنهم اسباب الخوف الذي كانوا فيه بحيث لا يخشون الا الله سبحانه ولا يرجون غيره وقد كان
المسلمون قبل الهجرة وبعدها بقليل في خوف شديد من المشركين لا يخرجون الا في السلاح ولا
يمسون ولا يصبحون الا على ترقب لنزول المضرة بهم من الكفار ثم صاروا في غاية الامن والدعة
واذل الله لهم شياطين المشركين وفتح عليهم البلاد ومهد لهم في الارض ومكنهم منها فلله الحمد وعن
البراء قال فينا نزلت ونحن في خوف شديد وعن ابي العالية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
بمكة نحوا من عشر سنين يدعون الى الله وحده والى عبادته وحده لا شريك له سرا وهم
خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى امروا بالهجرة الى المدينة فقدموا المدينة فامرهم الله بالقتال
وكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فغبروا بذلك ما شاء الله ثم ان رجلا
من اصحابه قال يا رسول الله ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لن تغبروا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبيا ليست فيهم حديدة فانزل الله وعد
الله الذين امنوا الى اخر الاية فاظهر الله نبيه على جزيرة العرب فامنوا ووضعوا السلاح ثم ان الله
قبض نبيه فكانوا كذلك امنين في زمان ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم حتى وقعوا فيما
وقعوا وكفروا النعمة فادخل الله عليهم الخوف الذي كان رفع عنهم واتخذوا الحجر والشرط وغيروا
فغير ما بهم وعن ابي بن كعب قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واوتهم الانصار رمتهم العرب
عن قوس واحد فكانوا لا يبيتون الا في السلاح ولا يصبحون الا فيه فقالوا اترون انا نعيش حتى
نبيت امنين مطمئنين لا نخاف الا الله فنزلت هذه الاية وانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة
العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على
الدنيا وفي الاية اوضح دليل على صحة خلافة ابي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان
المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم وفي ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز
كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين وعن سفينة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر

سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثني عشرة سنة وعلي ستا قال علي قلت لحماد القائل
لسعيد امسك سفينة قال نعم اخرجه ابو داؤد والترمذي قلت وفيه اجمال تفصيله ان خلافة
ابي بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة اشهر وخلافة عثمان
اثنتي عشرة سنة وخلافة علي اربع سنين وتسعة اشهر وعلى هذا تكون مدة خلافة الائمة
الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة اشهر وكملت ثلثين سنة بخلافة الحسن وكانت ستة
اشهر ثم نزل عنها والله اعلم يعبدونني حالية او مستانفة مسوقة للثناء عليهم وفيه اوجه سبعة
ذكرها السمين لا يشركون بي شيئا اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا من الاشياء وقيل
معناه لا يراؤن بعبادتي احدا وقيل معناه لا يخافون احدا غيري قاله ابن عباس وقيل معناه لا
يحبون غيري ومن كفر هذه النعم بعد ذلك الوعد الصحيح اي من استمر على الكفر او من كفر بعد الايمان
فاولئك هم الفاسقون اي الكاملون في الفسق وهو الخروج عن الطاعة والطغيان في الكفر وعن
مجاهد قال الفاسقون العاصون وعن ابي العالية قال الكفر بهذه النعمة ليس الكفر بالله ولذلك
قال الفاسقون ولم يقل الكافرون قال اهل التفسير اول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا
عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم من الامن وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد
ان كانوا اخوانا والقصة معروفة واقيموا الصلوة اي فآمنوا واعملوا الصالحات واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول قد تقدم الكلام على اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وكرر الامر بطاعة
الرسول للتاكيد وخصه بالطاعة لان طاعته طاعة الله ولم يذكر ما يطيعونه فيه لقصد التعميم
كما يشعر به الحذف على ما تقرر في علم المعاني من ان مثل هذا الحذف مشعر بالتعميم لعلكم ترحمون
اي افعلوا ما ذكر راجين ان يرحمكم الله سبحانه لا تحسبن بالفوقية اي لا تحسبن يا محمد وقرئ بالتحتية
الذين كفروا معجزين في الارض فائتين وقال قتادة سابقين في الارض قد تقدم تفسيره وتفسير ما بعده
وماواهم النار عطف خبر على انشاء او على مقدر اي بل هم مقهورون مدركون وماواهم ولبئس
المصير اي المرجع النار ولما فرغ سبحانه من ذكر ما ذكره من دلائل التوحيد رجع الى ما كان فيه من
الاستيذان فذكره ههنا على وجه اخص فقال يا ايها الذين آمنوا الخطاب للمؤمنين ويدخل المؤمنات
فيه تغليبا كما في غيره من الخطابات قال العلماء هذه الآية خاصة ببعض الاوقات واختلفوا في المراد بقوله

ليستأذنكم على ا قوال الاول انها منسوخة قاله سعيد بن المسيب وقال سعيد بن جبير ان الامر فيها
للندب لا للوجوب وقيل كان ذلك واجبا حيث كانوا لا ابواب لهم ولو عاد الحال لعاد الوجوب حكاه المهدوي
عن ابن عباس وقيل ان الامر ههنا للوجوب وان الآية محكمة غير منسوخة وان حكمها ثابت على
الرجال والنساء قال القرطبي وهو قول اكثر العلماء وقال السلمي انها خاصة بالنساء وقال ابن عمر هي
خاصة بالرجال دون النساء والمراد بقوله الذين ملكت ايمانكم العبيد والاماء وعن مقاتل
بن حبان قال بلغنا ان رجلا من الانصار وامرأته اسماء بنت مرشدة صنعا للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما
فقالت اسماء يا رسول الله ما اقبح هذا انه ليدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما
بغير اذن فانزل الله في ذلك هذه الآية يعني بها العبيد والاماء وعن السدي قال كان اناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبهم ان يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا الى الصلاة
فامرهم الله ان يامروا المملوكين والغلمان ان لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات الا باذن فان قيل
كيف امرهم الله بالاستيذان مع انهم غير مكلفين ولو كان المقصود امرهم بالذات لما كان لتخصيص
النداء والخطاب بالمؤمنين وجه والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي الصبيان والمراد الاحرار من الرجال
والنساء وقرئ الحلم بسكون اللام وبضمها قال الاخفش الحلم من حلم الرجل بفتح اللام ومن الحلم
حلم بضم اللام يحلم بكسرها واتفقوا على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة
ولم يحتلم فقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة
سنة وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد واحمد في الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا
وتجري عليه الاحكام وان لم يحتلم ثلاث مرات اي ثلاثة اوقات في اليوم والليلة وعبر عن
الاوقات بالمرات لان اصل وجوب الاستيذان هو بسبب مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين
بالمخاطبين لا نفس الاوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلوة الفجر وذلك لانه وقت
القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة وربما يبيت عريانا او على حالة لا يحب
ان يراه غيره فيها وحين تضعون ثيابكم التي تلبسونها في النهار من شدة حر الظهيرة وذلك
عند انتصاف النهار فانهم قد يتجردون عن الثياب لاجل القيلولة ومن للبيان او بمعنى في او بمعنى
اللام ثم ذكر سبحانه الوقت الثالث فقال ومن بعد صلوة العشاء وذلك لانه وقت التجرد عن

ثياب اليقظة والخلوة بالاهل والالتحاف بثياب النوم ثم اجمل سبحانه هذه الاوقات بعد التفصيل
بقوله ثلاث عورات لكم اي اوقات ثلاث عورات وقيل جعل نفس ثلاث مرات نفس ثلاث
عورات مبالغة وقيل هو ثلاث قال ابو حاتم النصب ضعيف مردود وقال الفراء الرفع احب الي قال الكسائي
العورات الساعات التي تكون فيها العورة قال الزجاج المعنى ليستاذنكم اوقات ثلاث عورات والعورات
جمع عورة وهي في الاصل الخلل ثم غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويتعين ستره اي هي ثلاث
اوقات يختل فيها الستر وقرئ عورات بفتح الواو وهي لغة هذيل وتميم فانهم يفتحون عين فعلات
سواء كان واوا او ياء وقيل ثلاث استيذانات ورجحه ابو حيان وقال لانك اذا قلت ضربتك ثلاث
مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات ويرد بان الظاهر هنا متروك للقرينة المذكورة وهو التفسير
بالثلاثة الاوقات والجملة مستانفة مسوقة لبيان علة وجوب الاستيذان عن عبد الله بن سويد قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العورات الثلاث فقال اذا انا وضعت ثيابي بعد الظهيرة لم يلج علي
احد من الخدم من الذين لم يبلغوا الحلم ولا احد لم يبلغ الحلم من الاحرار الا باذن واذا وضعت
ثيابي بعد صلوة العشاء ومن قبل صلوة الصبح اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال انه لم يؤمر
بها اكثر الناس يعني اية الاذن واني لآمر جاريتي هذه لجارية قصيرة قائمة على راسه ان تستاذن علي
وعنه قال ترك الناس ثلاث ايات لم يعملوا بهن هذه الاية والاية التي في سورة النساء واذا حضر القسمة
الاية والاية التي في الحجرات ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعنه قال اذا خلا الرجل باهله بعد العشاء فلا
يدخل عليه صبي ولا خادم الا باذنه حتى يصلي الغداة واذا خلا باهله عند الظهر فمثل ذلك ورخص لهم
في الدخول فيما بين ذلك بغير اذن وهو قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فاما من بلغ الحلم فانه
لا يدخل على الرجل واهله الا باذن على كل حال وهو قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما
استاذن الذين من قبلهم وعنه ان رجلا سأله عن الاستيذان في الثلاث العورات التي امر الله
بها في القرآن فقال ان الله ستير يحب الستر وكان الناس لهم ستور على ابوابهم ولا حجاب في بيوتهم
فربما فجأ الرجل خادمه او ولده او يتيم في حجره وهو على اهله فامرهم الله ان يستاذنوا في تلك العورات
التي سمى الله ثم جاء الله بعد بالستور فبسط عليهم في الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال فرأى
الناس ان ذلك قد كفاهم من الاستيذان الذي امروا به وعن ابن عمر في الاية قال هي على الذكور

اذا احتلموا احرارا كانوا او عبيدا وسئل هل يستاذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل
رأيت منها ما تكره وقال الزهري وسعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه وفي هذا المعنى نزلت هذه
الآية كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم بامور خلقه فيما يبين من الاحكام حكيم بما دبره وشرعه من
مصالح الانام والقواعد من النساء المراد بهن العجائز اللاتي قعدن عن الحيض او عن الاستمتاع او عن
الولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن واحدتها قاعد بلا هاء ليدل حذفها على انه قعود الكبر كما قالوا
امرأة حامل ليدل حذف الهاء على انه حمل حبل ويقال قاعدة في بيتها وحاملة على ظهرها قال
الزجاج هن اللاتي قعدن عن التزويج وهو معنى قوله اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه لكبرهن
وقال ابو عبيدة اللاتي قعدن عن الولد وليس هذا بمستقيم لان المرأة تقعد عن الولد وفيها مستمتع
وقيل هن العجائز اللواتي اذا رآهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة
فلا تدخل في حكم هذه الآية ثم ذكر سبحانه حكم القواعد فقال فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
التي تكون على ظاهر البدن كالجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار ونحوها لا
الثياب التي على العورة الخاصة والخمار وانما جاز لهن ذلك لانصراف الانفس عنهن اذ لا رغبة للرجال فيهن
فاباح الله سبحانه لهن ما لم يبحه لغيرهن وعن ابن عباس في الآية قال هي المرأة لا جناح عليها ان تجلس في
بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرج بما كرهه الله وعنه انه كان يقرأ ان يضعن من ثيابهن
ويقول هو الجلباب وعن ابن عمر قال تضع الجلباب وعن ابن مسعود مثله وزاد الرداء ثم استثنى حالة
من حالاتهن فقال غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات للزينة التي امرن باخفائها في قوله ولا يبدين
زينتهن لينظر اليهن الرجال او زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال والتبرج التكشف والظهور للعيون
والتكلف في اظهار ما يخفى واظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ومنه بروج مشيدة وبروج السماء
ومنه قولهم سفينة بارجة اي لا غطاء عليها وان يستعففن اي وان يتركن وضع الثياب وطلبن
العفة عنه وقرئ بغير السين خير لهن والله سميع عليم اي كثير السماع والعلم بليغهما ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اختلف اهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة او منسوخة
قال بالاول جماعة من العلماء وبالثاني جماعة قيل ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون
اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها

وهو غيب فنزلت هذه الآية رخصة لهم فمعنى الآية نفي الحرج عن الزمناء في اكلهم من بيوت
اقاربهم او بيوت من يدفع اليهم المفتاح اذا خرج للغزو وقال النحاس وهذا القول من اجل ما روي
في الآية لما فيه عن الصحابة والتابعين من التوقيف وقيل ان هؤلاء المذكورين كانوا يتحرجون من مؤاكلة
الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تاذيهم بافعالهم فنزلت وقيل ان الله رفع الحرج عن
الاعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر وعن الاعرج فيما يشترط في التكليف به القدرة الكاملة
على المشي على وجه يتعذر الاتيان به مع العرج وعن المريض فيما يؤثر المرض في اسقاطه وقيل المراد بهذا
الحرج المرفوع عن هؤلاء هو الحرج في الغزو اي لا حرج على هؤلاء في تاخرهم عن الغزو وقيل كان الرجل اذا
ادخل احدا من هؤلاء الزمناء الى بيته فلم يجد فيه شيئا يطعمهم اياه ذهب بهم الى بيوت قرابته فيتحرج
الزمناء من ذلك فنزلت وعن سعيد بن جبير قال لما نزلت يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل قالت الانصار ما بالمدينة مال اعز من الطعام كانوا يتحرجون ان ياكلوا مع الاعمى يقولون انه لا يبصر
موضع الطعام وكانوا يتحرجون الاكل مع الاعرج يقولون ان الصحيح يسبقه الى المكان ولا يستطيع ان يزاحم
ويتحرجون الاكل مع المريض يقولون لا يستطيع ان ياكل مثل الصحيح وكانوا يتحرجون ان ياكلوا في بيوت
اقاربهم فنزلت ليس على الاعمى يعني في الاكل مع الاعمى وعن مقسم نحوه وعن مجاهد قال كان الرجل يذهب
بالاعمى او الاعرج او المريض الى بيت ابيه او بيت اخيه او بيت عمه او بيت عمته او بيت خاله او بيت خالته
فكان الزمناء يتحرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم
وعن عائشة قالت كان المسلمون يرغبون في النفير مع النبي صلى الله عليه وسلم فيدفعون مفاتيحهم الى
زمنائهم ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تاكلوا مما احتجتم اليه فكانوا يقولون انه لا يحل لنا ان ناكل
انهم اذنوا لنا من غير طيب نفس وانما نحن زمناء فانزل الله ولا على انفسكم ان تاكلوا الى قوله او
ما ملكتم مفاتحه كما سياتي وعن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل قال المسلمون ان الله قد نهانا ان ناكل اموالنا بيننا بالباطل والطعام هو افضل الاموال
فلا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد فكف الناس عن ذلك فانزل الله ليس على الاعمى حرج الى قوله او
ما ملكتم مفاتحه وهو الرجل يوكل الرجل لضيعته والذي رخص الله ان ياكل من ذلك الطعام والتمر
وشرب اللبن وكانوا ايضا يتحرجون ان ياكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم

فقال ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا وعن الضحاك قال كان اهل المدينة قبل ان يبعث
النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم اعمى ولا مريض ولا اعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام فنزلت
رخصة في مواكلتهم وعن الزهري انه سئل عن قوله ليس على الاعمى حرج ما بال الاعمى والاعرج والمريض ذكروا
هنا فقال اخبرني عبيد الله بن عبد الله ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم
مفاتيح ابوابهم يقولون قد احللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك يقولون لا ندخلها
وهم غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم من المؤمنين
وهذا ابتداء كلام مستأنف اي ولا عليكم ايها الناس والحاصل ان رفع الحرج عن الاعمى والاعرج والمريض
ان كان باعتبار مواكلة الاصحاء او دخول بيوتهم فيكون ولا على انفسكم متصلا بما قبله وان كان رفع
الحرج عن اولئك باعتبار التكاليف التي يشترط فيها وجود البصر وعدم العرج وعدم المرض فقوله
ولا على انفسكم ابتداء كلام غير متصل بما قبله ان تأكلوا من بيوتكم اي البيوت التي فيها متاعكم
واهلكم فيدخل بيوت الاولاد كذا قال المفسرون لانها داخلة في بيوتهم لكون بيت ابن الرجل بيته فلذا
لم يذكر سبحانه بيوت الاولاد وذكر بيوت الآباء وبيوت الامهات ومن بعدهم قال النحاس وعارض بعضهم هذا
فقال هذا تحكم على كتاب الله سبحانه بل الاولى في الظاهر ان يكون الابن مخالفا لهؤلاء ويجاب عن هذه
المعارضة بان رتبة الاولاد بالنسبة الى الآباء لا تنقص عن رتبة الآباء بالنسبة الى الاولاد بل للآباء
خصوصية في اموال الاولاد لحديث انت ومالك لابيك وحديث ولد الرجل من كسبه او المعنى من بيوت
ازواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج ولان الزوجين صارا كنفس واحدة وقيل اراد من اموال عيالكم والعموم
اولى فيشمل الكل او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت
اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم قد ذكر سبحانه ههنا بيوت
الاخوة والاخوات بل بيوت الاعمام والعمات بل بيوت الاخوال والخالات فكيف ينفي سبحانه الحرج
عن الاكل من بيوت هؤلاء ولا ينفيه عن بيوت الاولاد وقد قيد بعض العلماء جواز الاكل من بيوت
هؤلاء بالاذن منهم لان الاذن ثابت دلالة وقال آخرون لا يشترط الاذن قيل وهذا اذا كان الطعام
مبذولا فان كان محرزا دونهم لم يجز لهم اكله قال الخطيب وشيء لا يكفي فيهم ادنى قرينة بل ينبغي ان يشترط
فيهم ان لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الاجانب فلا بد فيهم من صريح الاذن او قرينة قوية هذا ما ظهر لي

تعرض بذلك ثم قال سبحانه أو ما ملكتم مفاتحه أي البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها
وذلك كالوكلاء والخزان فإنهم يملكون التصرف في بيوت من أذن لهم بدخول بيته وأعطاهم
مفاتحه وقيل المراد بها بيوت المماليك قرئ ملكتم بفتح الميم وتخفيف اللام وبضم الميم وكسر اللام مع
تشديدها وقرئ مفاتيحه ومفاتحه على الإفراد والمفاتح جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح أو صديقكم أي لا جناح عليكم
أن تأكلوا من بيوت صديقكم وإن لم يكن بينكم وبينه قرابة فإن الصديق في الغالب يسمح لصديقه
بذلك وتطيب به نفسه والصديق يطلق على الواحد والجمع ومثله العدو والخليط والقطين والعشير
قال قتادة إذا دخلت بيت صديقك من غير مؤامرته ثم أكلت من طعامه بغير إذنه لم يكن بذلك
بأس وعن ابن زيد قال هذا شيء قد انقطع إنما كان هذا في أوله ولم يكن لهم أبواب وكانت الستور مرخاة
فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله أن يأكله وقال ذهب
ذلك اليوم البيوت فيها أهلها فإذا خرجوا أغلقوا قال النسفي فأما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل
إلا بإذن انتهى قال المحلي المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا أي الأصناف الأحد عشر
إذا علم رضاهم به بصريح اللفظ أو بالقرينة وإن كانت ضعيفة وخصوا هؤلاء بالذكر لأن العادة
جارية بالتبسط بينهم قيل إن هذا كان جائزا في صدر الإسلام ثم نسخ والأول أولى ثم قال سبحانه
ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا أي مجتمعين أو متفرقين جمع شت وهو المصدر
بمعنى التفرق يقال شت القوم أي تفرقوا وهذا كلام مستأنف مشتمل على بيان حكم آخر من جنس
ما قبله قيل كان بعض العرب يتحرج أن يأكل وحده حتى يجد له أكيلا يؤاكله فيأكل معه وبعض العرب
كان لا يأكل إلا مع ضيف قال قتادة كان هذا الحي من بني كنانة بن خزيمة يرى أحدهم أن عليه مخزاة
أن يأكل وحده في الجاهلية حتى إن كان الرجل يسوق الذود الحفل وهو جائع حتى يجد من يؤاكله
ويشاربه فأنزل الله هذه الآية وعن عكرمة وأبي صالح قالا كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون
حتى يأكل الضيف معهم فنزلت رخصة لهم وعن ابن عباس قال خرج الحارث غازيا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخلف على أهله خالد بن يزيد فحرج أن يأكل من طعامه وكان مجهودا فنزلت وقد ترجم البخاري
في صحيحه باب قوله تعالى هذا ومقصوده فيما قال أهل العلم في هذا الباب إباحة الأكل جميعا وإن اختلفت
أحوالهم في الأكل فقد سوغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فصار سنة في الجماعات التي تدعى إلى الطعام في النهد

والولاية والاملاق في السفر وما ملكت مفاتحه بامانة او قرابة او صداقة فلك ان تاكل مع
القريب او الصديق ووحدك والنهد ما يجمعه الرفقاء من مال او طعام على قدر نفقتهم ينفقونه
بينهم قال ابن دريد يقال من ذلك تناهد القوم الشيء بينهم قال الهروي وفي حديث الحسن
اخرجوا نهدكم فانه اعظم للبركة واحسن لاخلاقكم والنهد ما تخرجه الرفقة عند المناهدة وهو
استقسام النفقة بالسوية في السفر وغيره فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا هذا شروع في بيان ادب آخر ادبه
عباده اي اذا دخلتم بيوتا غير البيوت التي تقدم ذكرها فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ اي على اهلها الذين هم
بمنزلة انفسكم وقيل المراد البيوت المذكورة سابقا وعلى القول الاول فقال الحسن والنخعي هي المساجد
والمراد سلموا على من فيها من صنفكم فان لم يكن في المساجد احد فقيل يقول السلام على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل يقول السلام عليكم مريدا الملائكة وقال بالقول الثاني اعني انها البيوت المذكورة
سابقا جماعة من الصحابة والتابعين وقيل المراد بالبيوت هنا كل البيوت المسكونة وغيرها فيسلم
على اهل المسكونة واما غير المسكونة فيسلم على نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
قال ابن العربي القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ولا دليل على التخصيص واطلق القول ليدخل تحت
هذا العموم كل بيت كان للغير او لنفسه فاذا دخل بيتا لغيره استاذن تَحِيَّةً اي فحيوا تحية ثابتة صادرة
مشروعة مِّنْ عِندِ اللَّهِ اي من جهته ومن لدنه يعني ان الله حياكم بها وقال الفراء ان الله امركم ان تفعلوها
طاعة له ثم وصف هذه التحية فقال مُبَارَكَةً اي كثيرة البركة والخير دائمتهما يثاب عليها طَيِّبَةً اي
تطيب بها نفس المستمع وقيل حسنة جميلة وقال الزجاج اعلم الله سبحانه ان السلام مبارك طيب لما
فيه من الاجر والثواب قال ابن عباس في الآية وهو السلام لانه اسم الله وهو تحية اهل الجنة وعن جابر
بن عبد الله قال اذا دخلت على اهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة اخرجه
البخاري وغيره وعن ابن عباس قال هو المسجد اذا دخلته فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعن ابن عمر قال اذا دخلت البيت غير المسكون او المسجد فقل السلام كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ
الْآيَاتِ اي يفصل لكم معالم دينكم تاكيدا لما سبق وقد قدمنا ان الاشارة بذلك الى مصدر
الفعل لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ تعليل لذلك التبيين برجاء تعقل آيات الله سبحانه وفهم معانيها
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدمها من الاحكام

وانما من صيغ الحصر والمعنى لا يتم ايمان ولا يكمل حتى يؤمن بالله ورسوله وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ اي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صلة ثانية ومحط الكمال عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ اي طاعة يجتمعون عليها كالجمعة
والجماعة والنحر والفطر والجهاد او تشاور في امر واشباه ذلك وسمي الامر جامعا مبالغة
وفيه اسناد مجازي لان الامر لما كان سببا في جمعهم نسب الجمع اليه مجازا وقرئ على امر جميع والحاصل
ان الامر الجامع والجميع هو الذي يعم نفعه او ضرره وهو الامر الجليل الذي يحتاج الى اجتماع اهل الرأي
والتجارب لَمْ يَذْهَبُوا اليه يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له لعروض عذر لهم حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ
—— هذا في كمال ايمانهم لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه و
عادته التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه قال
المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد
لحاجة او لعذر لم يخرج حتى يقوم بحيال النبي صلى الله عليه وسلم حيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن
فيأذن لمن يشاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال الزجاج اعلم الله
ان المؤمنين اذا كانوا مع نبيهم فيما يحتاج فيه الى الجماعة لم يذهبوا حتى يستأذنوه وكذلك
ينبغي ان يكونوا مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه في جمع من جموعهم الا باذنه وللامام
ان يأذن وله ان لا يأذن على ما يرى لقوله فأذن لمن شئت منهم قال العلماء كل امر اجتمع عليه المسلمون
مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن ثم قال سبحانه مؤكدا على اسلوب ابلغ معظما لهذا الامر
إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فبين سبحانه ان المستأذنين
هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم اولا بان المؤمنين الكاملين الايمان هم الجامعون بين الايمان
بهما وبين الاستيذان وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ
اي لاجل بعض الامور التي تهمهم كما وقع لسيدنا عمر حين خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
حيث استأذن الرسول في الرجوع الى اهله فاذن له النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ارجع فلست بمنافق
فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ فانه يأذن لمن شاء منهم ويمنع من شاء على حسب ما تقتضيه المصلحة
التي يراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رفع شأنه صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام مفوض
الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه اي فأذن لمن علمت ان له عذرا

ثم ارشده الله سبحانه الى الاستغفار لهم فقال واستغفر لهم الله بعد الاذن فيه اشارة الى ان
الاستيذان وان كان لعذر مسوغ فلا يخلو عن شائبة تاثير امر الدنيا على الاخرة لان اغتنام مجالسه
اولى من الاستيذان إن الله غفور رحيم اي كثير المغفرة لفرطات العباد والرحمة بالتيسير عليهم
بالترفيه الى الغاية التي ليس وراءها غاية لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
مستانفة مقررة لما قبلها اي لا تجعلوا دعوته اياكم كالدعاء من بعضكم لبعض في التساهل في
بعض الاحوال عن الاجابة بل اجيبوه فورا وان كنتم في الصلوة او الرجوع بغير استيذان او رفع
الصوت وقال سعيد بن جبير ومجاهد المعنى قولوا يا رسول الله برفق ولين ولا تقولوا يا محمد بتجهم
وعلى هذا جماعة كثيرة وقال قتادة امرهم ان يشرفوه ويفخموه وقيل المعنى لا تتعرضوا لدعاء الرسول
عليكم باسخاطه فان دعوته موجبة وقيل المعنى يجب عليكم المبادرة لامره واختاره ابو العباس
ويؤيده قوله فليحذر الذين يخالفون عن امره وقيل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم
وكبيركم وفقيركم وغنيكم يسأله حاجة فربما اجاب دعوته وربما لا اجاب فان دعوات الرسول مسموعة
مستجابة وعن سعيد بن جبير في الاية قال يعني كدعاء احدكم اذا دعا اخاه باسمه ولكن وقروه وقولوا له
يا رسول الله يا نبي الله قال لا تصيحوا به من بعيد يا ابا القاسم ولكن كما قال الله في الحجرات ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله والاول اولى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا اي يخرجون وينسلون
من المسجد في الخطبة واحدا بعد واحد من غير استيذان خفية مستترين بشيء وقد للتحقيق والتسلل
الخروج من البين في خفية يقال تسلل فلان من بين اصحابه اذا خرج من بينهم واللواذ من الملاوذة
وهو ان تستتر بشيء مخافة من يراك واصله ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا واللوذ ما يطيف بالجبل
وقيل اللواذ الروغان من شيء الى شيء في خفية اي متلاوذين يلوذ بعضهم ببعض وينضم اليه وقيل
يلوذون لواذا وقرئ لواذا بفتح اللام وفي الاية بيان ما كان يقع من المنافقين فانهم كانوا ينسلون
عن صلوة الجمعة متلاوذين ينضم بعضهم الى بعض استتارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان
يوم الجمعة اثقل يوم على المنافقين لما يرون من الاجتماع للصلوة والخطبة فكانوا يفرون عن الحضور
ويتسللون في خفية ويستتر بعضهم ببعض وينضم اليه وقيل اللواذ الفرار من الجهاد وبه قال
الحسن عن مقاتل قال كان لا يخرج احد لرعاف او احداث حتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه بيده وكان من المنافقين
من يثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق الى
جنبه يستتر به حتى يخرج فانزل الله هذه الآية اخرجه ابو داود في مراسيله فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي يخالفون امر النبي صلى الله عليه وسلم بترك
العمل بمقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعدي فعل المخالفة بعن مع كونه متعديا بنفسه
لتضمينه معنى الاعراض او الصد وقيل الضمير لله سبحانه لانه الآمر بالحقيقة قال ابو عبيدة والاخفش
عن زائدة هنا وقال الخليل وسيبويه ليست بزائدة بل هي بمعنى بعد كقوله ففسق عن امر ربه
اي بعد امر ربه والاولى ما ذكرناه من التضمين أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اي فليحذر المخالفون عن امر الله او امر
رسوله او امرهما جميعا اصابة فتنة لهم والفتنة هنا غير مقيدة بنوع من انواع الفتن وقيل هي
القتل وقيل الزلازل وقيل تسلط سلطان جائر وقيل الطبع على قلوبهم وقيل اسباغ النعم استدراجا
او محنة في الدنيا أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي في الآخرة كما ان الفتنة التي حذرهم من اصابتها لهم
هي في الدنيا وكلمة او لمنع الخلو قال القرطبي احتج الفقهاء على ان الامر للوجوب بهذه الآية ووجه ذلك
ان الله سبحانه حذرهم من مخالفة امره وتوعد بالعقاب عليها بقوله ان تصيبهم فتنة الآية فيجب
امتثال امره ويحرم مخالفته والآية تشمل كل من خالف امر الله وامر رسوله ويدخل فيها الجامدون
على ضلالة التقليد من بعد ما تبين لهم الهدى وظهر الصواب من الخطأ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ تنبيه على
ان لا يخالفوا امر من له مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من المخلوقات باسرها فهي ملكه وخلقه وعبيده
قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ايها العباد من الاحوال التي انتم عليها فيجازيكم بحسب ذلك ويعلم هنا بمعنى
علم وادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين الحق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد
وَيَوْمَ اي ويعلم يوم يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فيجازيهم فيه بما عملوا وفيه التفات عن الخطاب وتعليق
علمه سبحانه بيوم الرجوع لا بنفس رجوعهم لزيادة تحقق علمه لان العلم بوقت وقوع الشيء يستلزم العلم
بوقوعه على ابلغ وجه فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا من الاعمال التي من جملتها مخالفة الامر والظاهر من السياق
ان هذا الوعيد للمنافقين وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا يخفى عليه شيء من اعمالهم وغيرها عن عقبة بن عامر قال رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية في خاتمة سورة النور وهو جاعل اصبعيه تحت عينيه يقول بكل شيء بصير اخرجه الطبراني وغيره قال السيوطي بسند حسن

سورة الفرقان سبع وسبعون اية

وهي مكية كلها في قول الجمهور ونزلت قبل الهجرة وبه قال ابن الزبير قال القرطبي وقال ابن عباس وقتادة
الا ثلث ايات منها نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى الايات واخرج البخاري ومسلم
ومالك والشافعي وابن حبان والبيهقي في سننه عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ
سورة الفرقان في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة
لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلوة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت
من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اني سمعت هذا
يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه
القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة
التي اقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ تكلم سبحانه في هذه السورة على التوحيد لانه اقدم واهم ثم في
النبوة لانها الواسطة ثم في المعاد لانه الخاتمة واصل تبارك ماخوذ من البركة وهي النماء والزيادة حسية
كانت او عقلية قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة وبه قال ابن عباس قال ومعنى البركة الكثرة
من كل ذي خير وقال الفراء ان تبارك وتقدس في العربية واحد ومعناهما العظمة وقيل المعنى تبارك
عطاءه اي زاد وكثر وقيل دام وثبت قال النحاس وهذا اولاها في اللغة والاشتقاق من برك الشيء
اذا ثبت ومنه برك الجمل اي دام وثبت واعترض ما قاله الفراء بان التقديس انما هو من الطهارة
وليس من ذا في شيء قال العلماء هذه اللفظة لا تستعمل الا لله سبحانه ولا تستعمل الا بلفظ الماضي
والمعنى تعالى الله عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو
شانه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية والفرقان

القرآن وسمي فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل قال قتادة هو
القرآن فيه حلاله وحرامه وشرائعه ودينه وقيل لانه نزل مفرقا في اوقات كثيرة ولهذا قال
نزل بالتشديد لتكثير التفريق على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ثم علل التنزيل بقوله ليكون للعالمين
نذيرا فان النذارة هي الغرض المقصود من الانزال والمراد بالعالمين هنا الانس والجن لان النبي صلى الله عليه وسلم
مرسل اليهما قال المحلي دون الملائكة ولم يكن غيره من الانبياء على نبينا وعليهم الصلوة والسلام مرسلا
الى الثقلين والنذير المنذر اي ليكون محمد صلى الله عليه وسلم منذرا اي بشيرا او ليكون انزال القرآن منذرا
او ليكون انزاله انذارا او ليكون محمد صلى الله عليه وسلم انذارا وجعل الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم اولى لان صدور
الانذار منه حقيقة ومن القرآن مجاز والحمل على الحقيقة اولى ولكونه اقرب مذكور قال قتادة بعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم نذيرا من الله لينذر الناس باس الله ووقائعه من خلا قبلكم وقيل ان رجوع الضمير الى
الفرقان اولى لقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويصح رجوعه للمنزل وهو الله وقوله للعالمين متعلق
بنذيرا قدم عليه لرعاية الفاصلة ثم انه سبحانه وصف ذاته الكريمة بصفات اربع الاولى الذي له
ملك السموات والارض دون غيره لا استقلالا ولا تبعا فهو المتصرف فيهما وفيه تنبيه على افتقار
الكل اليه في الوجود وتوابعه من البقاء وغيره والصفة الثانية لم يتخذ ولدا فيه رد على اليهود و
النصارى والثالثة لم يكن له شريك في الملك فيه رد على طوائف المشركين من الثنوية والوثنية و
عباد الاصنام واهل الشرك الخفي فاثبت له الملك بجميع وجوهه ثم نفى ما يقوم مقامه فيه ثم نبه على ما
يدل عليه فقال وخلق كل شيء من الموجودات مما تطلق عليه صفة المخلوق وهي الصفة الرابعة
فقدره تقديرا اي قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما اراد وهيأه لما يصلح له وسواه تسوية لا اعوجاج
فيه ولا زيادة على ما تقتضيه الحكمة والصلح ولا نقصا عن ذلك في باب الدنيا والدين وقيل
احدث فيه احداثا مراعي فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال
معينة فقدره وهياه لما اراد منه من الخصائص والافعال او فقدره للبقاء الى اجل مسمى قال قتادة
بين الله لكل شيء من خلقه صلاحه وجعل ذلك بقدر معلوم قال الواحدي قال المفسرون قدر له
تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق وقيل اريد بالخلق هنا مجرد الاحداث والايجاد
مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره

لئلا يلزم التكرار وهذا اوضح دليل على المعتزلة في خلق افعال العباد ثم صرح سبحانه في تزييف
مذاهب عبدة الاوثان فقال واتخذوا من دونه الضمير للكفار او المنذرين او للمشركين وان
لم يتقدم لهم ذكر لدلالة العالمين ونفي الشريك والنذير عليهم اي اتخذ المشركون لانفسهم متجاوزين
الله الهة قال قتادة هي الاوثان التي تعبد من دون الله لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على
خلق شيء من الاشياء وغلب العقلاء على غيرهم لان في معبودات الكفار الملائكة وعزيرا والمسيح
وهم يخلقون اي يخلقهم الله سبحانه قال قتادة اي هو الله الخالق الرازق وهذه الاوثان
تخلق ولا تخلق شيئا ولا تضر ولا تنفع وقيل عبر عن الالهة بضمير العقلاء جريا على اعتقاد الكفار
انها تضر وتنفع وقيل المعنى عبدتهم يصورونهم وينحتونهم ثم لما وصف سبحانه نفسه الكريمة بالقدرة
الباهرة وصف الهة المشركين بالعجز البالغ فقال ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا اي لا يقدرون
على ان يجلبوا لانفسهم نفعا ولا يدفعوا عنها ضرا وقدم ذكر الضر لان دفعه اهم من جلب النفع
واذا كانوا بحيث لا يقدرون على الدفع والنفع فيما يتعلق بانفسهم فكيف يملكون ذلك لمن
يعبدهم وهذا يدل على غاية عجزهم ونهاية ضعفهم ثم زاد في بيان عجزهم فنص على هذه الامور
فقال ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اي لا يقدرون على اماتة الاحياء ولا احياء الموتى
ولا بعثهم من القبور لان النشور هو الاحياء بعد الموت يقال انشر الله الموتى فنشروا وقدم الموت
لمناسبته للضر المتقدم ولما فرغ سبحانه من بيان التوحيد وتزييف مذاهب المشركين شرع في ذكر
شبه منكري النبوة فالشبهة الاولى ما حكاه عنهم بقوله وقال الذين كفروا اي مشركو العرب ان
هذا اي ما هذا القران الا افك اي كذب افتراه اي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم واعانه عليه
اي على الاختلاق قوم اخرون يعنون من اليهود قيل وهم ابو فكيهة يسار مولى الحضرمي وعداس
مولى حويطب بن عبد العزى وجبر مولى ابن عامر وكان هؤلاء الثلاثة من اليهود وقد مر الكلام على مثل
هذا في سورة النحل ثم رد الله سبحانه عليهم فقال فقد جاءو ظلما وزورا اي فقد قالوا ظلما
هائلا عظيما وكذبا ظاهرا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة
بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ما جاؤا به
من الظلم والزور وانتصاب ظلما بجاؤا فان جاء قد تستعمل استعمال اتى ويعدى تعديته وقال الزجاج

الأصل جاؤوا بظلم وقيل على الحال وإنما كان ذلك منهم ظلماً لأنهم نسبوا القبيح إلى من هو بريء
منه فقد وضعوا الشيء في غير موضعه وهذا هو الظلم وقيل هو جعل الكلام المعجز إفكاً مختلقاً
متلقفاً من اليهود وأما كون ذلك منهم زوراً فظاهر لأنهم قد كذبوا في هذه المقالة ثم ذكر
الشبهة الثانية فقال وقالوا أساطير الأولين أي أحاديثهم وما سطروه من الأخبار مثل حديث رستم
واسفنديار قال الزجاج واحد الأساطير أسطورة مثل أحاديث وأحدوثة وقال غيره جمع أسطار
مثل أقاويل وأقوال اكتتبها أي استكتبها أو كتبها لنفسه والمعنى جمعها من الكتب وهو الجمع لا من
الكتابة بالقلم والأول أولى ومحل اكتتبها النصب على الحال أو الرفع على أنه خبر ثان وقرئ أكتتبها
مبنياً للمفعول والمعنى اكتتبها له كاتب لأنه كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ فهي تملى عليه أي تلقى عليه
تلك الأساطير بعدما اكتتبها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه أمياً لا
يقدر على أن يقرأها من ذلك المكتوب بنفسه أو المعنى أراد اكتتابها فهي تملى عليه لأنه يقال
أمليت عليه فهو يكتب بكرة وأصيلاً أي غدوة وعشياً كأنهم قالوا إن هؤلاء يعلمون محمداً صلى الله
عليه وسلم طرفي النهار وقيل معنى بكرة وأصيلاً دائماً في جميع الأوقات فأجاب الله سبحانه عن هذه الشبهة
بقوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض أي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل بإعانة
قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأخبار الأولين بل هو أمر سماوي أنزله الذي يعلم
كل شيء لا يغيب عنه شيء من الأشياء فلهذا عجزتم عن معارضته ولم تأتوا بسورة مثله وخص
السر للإشارة إلى انطواء ما أنزله سبحانه على أسرار بديعة لا تبلغ إليها عقول البشر والسر الغيب أي
يعلم الغيب الكائن فيهما إنه كان غفوراً رحيماً تعليل لتأخير العقوبة أي إنكم وإن كنتم مستحقين
لتعجيل العقوبة بما تفعلونه من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والظلم له فإنه لا يعجل عليكم
بذلك لأنه كثير المغفرة والرحمة ثم لما فرغ سبحانه من ذكر ما طعنوا به على القرآن ذكر ما طعنوا به
على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال وقالوا ما لهذا الرسول وفي الإشارة هنا تصغير لشأن المشار إليه وهو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسموه رسولاً استهزاء وسخرية وحاصل ما ذكروه هنا ستة قبائح والأخيرة هي
قوله إلا رجلاً مسحوراً وقد رد الله عليهم هذه الستة إجمالاً في البعض وتفصيلاً في البعض والمعنى
أي شيء وأي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكله ويمشي في

الاسواق ويتردد فيها لطلب المعاش كما نتردد زعموا انه كان يجب ان يكون الرسول ملكا
مستغنيا عن الطعام والكسب والاستفهام للانكار وهو يرجع الى السبب مع تحقق المسبب وهو الاكل والمشي
ولكنه استبعد تحقق ذلك على انتفاء سببه عندهم تهكما واستهزاء والمعنى انه ان صح ما يدعيه
من النبوة فما باله لم يخالف حاله حالنا لولا للتحضيض هذا ما استظهره ابن هشام بعد نقله عن
الهروي انها للاستفهام اي هلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا طلبوا ان يكون النبي مصحوبا
بملك يعضده ويساعده تنزلوا عن اقتراح كون الرسول ملكا مستغنيا عن الاكل والكسب الى
اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويشهد له بالرسالة أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ تنزلوا من مرتبة نزول
الملك معه الى اقتراح ان يكون معه كنز يلقى اليه من السماء ليستغني به عن طلب الرزق أَوْ تَكُونُ لَهُ
جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية لان تانيث الجنة غير حقيقي وقرئ نأكل بالنون
اي بستان نأكل نحن من ثماره وبالتحتية اي يأكل هو وحده منه ليكون له بذلك مزية علينا
حيث يكون اكله من جنته قال النحاس والقراءتان حسنتان وان كانت القراءة بالياء ابين
لانه قد تقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحده فعود الضمير اليه ابين عن ابن عباس قال ان عتبة بن
ربيعة وابا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وابا البختري والاسود بن عبد المطلب وزمعة
بن الاسود والوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف
والعاص بن وائل ومنبه بن الحجاج اجتمعوا فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد وكلموه وخاصموه
حتى تعذروا منه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك قال فجاءهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر منك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به
مالا جمعنا لك من اموالنا وان كنت تطلب به الشرف فنحن نسودك وان كنت تريد به ملكا ملكناك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي مما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا
الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم
رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي
اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا شيئا مما عرضنا عليك
او قالوا فاذا لم تفعل هذا فسل لنفسك وسل ربك ان يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول

ويراجعنا عنك وسله ان يجعل لك جناناً وقصوراً من ذهب وفضة يغنيك عما نراك
تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك
ان كنت رسولاً كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا بفاعل ما انا بالذي يسأل ربه هذا وما
بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً فانزل الله في ذلك هذه الآية اخرجه ابن اسحق
وابن جرير وابن المنذر وقال الظالمون المراد بهم هنا هم القائلون بالمقالات الاولى وانما وضع الظاهر
موضع المضمر مع الوصف بالظلم للتسجيل عليهم به ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً اي مخدوعاً
مغلوباً على عقله بالسحر وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشراً له رئة لا ملكاً فالمراد بالسحر هنا لازمه وهو اختلال
العقل وقد تقدم بيان مثل هذا في سبحان انظر كيف استعظام للاباطيل التي اجترؤا
على التفوه بها وتعجب منها اي انظر كيف ضربوا لك الامثال وقالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة
الخارجة عن العقول الجارية مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة
من الوقوع ليتوصلوا بها الى تكذيبك فالامثال هي الاقوال النادرة والاقتراحات الغريبة وهي ما
ذكروه ههنا من المفتري والمملى عليه والمسحور فضلوا عن الصواب فلا يستطيعون اي فلا يجدون
سبيلاً اي طريقاً اليه ولا وصولاً الى شيء منه بل جاؤا بهذه المقالات الزائفة التي لا تصدر عن ادنى
العقلاء واقلهم تمييزاً يعني لا يجدون الى القدح في نبوة هذا النبي طريقاً من الطرق تبارك
اي تكاثر خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا معجلاً خيراً من ذلك الذي اقترحوه من الكنز
والبستان ثم فسر الخير فقال جنات تجري من تحتها الانهار اي في الدنيا لانه تعالى شاء ان يعطيه
اياها في الآخرة ويجعل لك قصوراً قد تقرر في علم الاعراب ان الشرط اذا كان ماضياً جاز في جوابه
الجزم والرفع فيجعل ههنا في محل جزم ورفع والقصر البيت من الحجارة لان الساكن به مقصور عن ان
يوصل اليه وقيل هو بيت الطين وبيوت الصوف والشعر عن خيثمة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان
شئت اعطيناك من خزائن الارض ومفاتيحها ما لم يعط نبي قبلك ولا نعطيها احداً بعدك ولا
ينقصك ذلك مما لك عند الله شيئاً وان شئت جمعتها لك في الآخرة فقال اجمعوها لي في الآخرة
فانزل الله سبحانه هذه الآية اخرجه الفريابي وابن ابي شيبة وابن جرير وغيرهم ثم اضرب الله سبحانه عن توبيخهم
بما حكاه عنهم من الكلام الذي لا يصدر عن العقلاء فقال بل كذبوا بالساعة اي بل اتوا بأعجب

من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها ثم ذكر سبحانه
ما اعده لمن كذب بالساعة فقال واعتدنا اي والحال انا اعتدنا وهيأنا وخلقنا لمن كذب بالساعة
سعيراً قال ابو مسلم اي جعلناه عتيدا ومعدا لهم انتهى والسعير هي النار المتسعرة المشتعلة والنار
موجودة اليوم لهذه الآية كما ان الجنة كذلك لقوله تعالى اعدت للمتقين ووضع الساعة موضع
ضميرها للمبالغة في التشنيع واعداد السعير لهم وان لم يكن لخصوص تكذيبهم بالساعة بل لاي
تكذيب بشيء من الشريعة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اقتصر على ترتيب الاعداد
على التكذيب بها اذا رأتهم قيل معناها اذا ظهرت لهم فكانت بمرأى الناظر في البعد وقيل المعنى
اذا رأتهم خزنتها وقيل ان الرؤية هنا حقيقية وكذلك التغيظ والزفير ولا مانع من ان يجعلها
الله سبحانه مدركة هذا الادراك وهو الارجح ومعنى من مكان بعيد انها رأتهم وهي بعيدة عنهم
قيل بينها وبينهم مسيرة خمسمائة عام وقيل عام وعن ابن عباس قال من مسيرة مائة عام وذلك
اذا اتي بجهنم تقاد بسبعين الف زمام يشد بكل زمام سبعون الف ملك لو تركت لاتت على كل بر
وفاجر ثم تزفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع الا بدت ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من اماكنها
وتبلغ القلوب الحناجر وعن رجل من الصحابة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من يقل علي ما لم اقل او ادعى
الى غير والديه او انتمى الى غير مواليه فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله وهل لها من
عينين قال نعم اما سمعتم الله يقول اذا رأتهم من مكان بعيد اخرجه عبد بن حميد وابن جرير
من طريق خالد بن دريك وغيره عنه رزين في كتابه وصححه ابن العربي في قبسه وله لفظ معنا
واخرج الترمذي من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة
له عينان يبصران واذنان يسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلث بكل جبار عنيد وبكل من
دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وفي الباب عن ابي سعيد قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب
صحيح سمعوا لها تغيظا اي غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب يعني ان لها صوتا يدل
على التغيظ على الكفار او لغليانها صوتا يشبه صوت المغتاظ وزفيرا هو الصوت الذي يسمع من الجوف
يشبه صوت المتغيظ وقال قطرب اراد علموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا وقيل المعنى فيها تغيظا
وزفير المعذبين كما قال لهم فيها زفير وشهيق وفي واللام متقاربان تقول هذا لله وفي الله

وإذا ألقوا منها أي طرحوا مكاناً ضيقاً وصف المكان بالضيق للدلالة على زيادة الشدة
وتناهي البلاء عليهم وعن يحيى بن أسيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية
قال والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار كما تستكره الوتد في الحائط وعن ابن
عباس أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين أي حال كونهم قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم
بالجوامع مصفدين بالحديد وقيل مكتفين وقيل قرنوا مع الشياطين أي قرن كل واحد منهم
إلى شيطانه وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة إبراهيم دعوا هنالك أي في ذلك المكان
الضيق ثبوراً أي هلاكاً كما قال الزجاج وقيل ثبرنا ثبوراً وقيل مفعول له وقال ابن عباس ثبوراً
ويلاً والمعنى أنهم يتمنون هنالك الهلاك وينادونه لما حل بهم من البلاء ويقولون يا
ثبوراه أي احضر فهذا أوانك لكنهم لا يهلكون وأجيب عليهم بقوله لا تدعوا اليوم ثبوراً
واحداً والقائل لهم هم الملائكة خزنة جهنم أي اتركوا دعاء ثبور واحد وادعوا ثبوراً كثيراً
والثبور مصدر يقع على القليل والكثير فلهذا لم يجمع ومثله ضربته ضرباً كثيراً وقعد قعوداً
طويلاً فالكثرة ههنا هي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فإنه شيء واحد
والمعنى لا تدعوا على أنفسكم بالثبور دعاء واحداً وادعوه أدعية كثيرة فإن ما أنتم فيه من
العذاب أشد من ذلك لطول مدته وعدم تناهيه وقيل هذا تمثيل وتصوير لحالهم بحال من يقال
له ذلك من غير أن يكون هناك قول وهو خلاف ظاهر القرآن وقيل إن المعنى إنكم وقعتم
فيما ليس ثبوركم فيه واحداً بل هو ثبور كثير لأن العذاب أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته أو
لأنه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب أو لأنه ينقطع فهو
في كل وقت ثبور والأولى أن المراد بهذا الجواب عليهم الدلالة على خلود عذابهم وإقناطهم عن حصول
ما يتمنونه من الهلاك المنجي لهم مما هم فيه أخرج أحمد والبزار والبيهقي وغيرهم قال السيوطي بسند صحيح
عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه
ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادي يا ثبوراه ويقولون يا ثبورهم حتى يقفوا على الناس
فيقول يا ثبوراه ويقولون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً
ثم وبخهم الله سبحانه توبيخاً بالغاً على لسان رسوله فقال قل أذلك أي السعير المتصفة بتلك

الصفات العظيمة خير أم جنة الخلد وفي إضافة الجنة إلى الخلد إشعار بدوام نعيمها وعدم
انقطاعه والمجيء بلفظ خير هنا مع أنه لا خير في النار أصلاً لأن العرب قد تقول ذلك ومنه ما حكاه
سيبويه عنهم أنهم يقولون السعادة أحب إليك أم الشقاوة وقد علم أن السعادة أحب إليه وقيل ليس
هذا من باب التفضيل وإنما هو كقولك عنده خير قال النحاس وهذا قول حسن التي وعد
أي وعدها المتقون فالراجع إلى الموصول محذوف ثم قال سبحانه كانت أي تلك الجنة لهم أي
للمتقين جزاء على أعمالهم ومصيراً يصيرون إليه وهذا في علم الله أو في اللوح المحفوظ قبل خلقهم
بأزمنة متطاولة وإنما قال ذلك لأن ما وعد الله به فهو في تحققه كأنه قد كان لهم فيها أي في الجنة
ما يشاءون أي ما يشاؤونه من النعم وضروب الملاذ كما في قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولعله
تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبتها إلا أن الظاهر أن الناقص لا يدرك شيئاً مما هو للكامل بالتشهي
وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة قال الشهاب وأنه تعالى لا يلقي في خواطرهم أن
ينالوا رتبة من هو أشرف منهم ولا يلتفتون إلى حال غيرهم خالدين أي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم
أن يكون دائماً إذ لو انقطع لكان مشوباً بضرب من الغم وقد تقدم تحقيق معنى الخلود كان أي
ما يشاؤونه وقيل كان الخلود وقيل الوعد المدلول عليه بقوله وعد المتقون على ربك وعداً
مسئولاً أي الوعد الحقيق بأن يسأل ويطلب كما في قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقيل إن
الملائكة تسأل لهم الجنة كقوله وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقيل المراد به الوعد الواجب
وإن لم يسأل وقال ابن عباس يقول تعالى سلوا الذي وعدتكم تنجزوه ويوم يحشرهم أي اذكر
وتعليق التذكير باليوم مع أن المقصود ذكر ما فيه للمبالغة والتأكيد كما مر مراراً وما يعبدون
من دون الله غلب غير العقلاء من الأصنام والأوثان ونحوها على العقلاء من الملائكة والجن والمسيح
تنبيهاً على أنها جميعاً مشتركة في كونها غير صالحة لكونها آلهة أو لأن من يعبد من لا يعقل أكثر ممن
يعبد من يعقل منها فغلبت اعتباراً بكثرة من يعبدها وقال مجاهد وابن جريج المراد الملائكة و
الإنس والجن والمسيح وعزير بدليل خطابهم وجوابهم فيما بعد وقال الضحاك وعكرمة والكلبي المراد
الأصنام خاصة وإنها وإن كانت لا تسمع ولا تتكلم فإن الله سبحانه يجعلها يوم القيامة سامعة ناطقة وقيل
عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم فيقول الله تعالى

اثباتاً للحجة على العابدين وتقريعاً وتبكيتاً لهم ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء الاستفهام
للتوبيخ والتقريع والمعنى أكان ضلالهم بسببكم وبدعوتكم لهم إلى عبادتكم أم هم ضلوا السبيل
أي طريق الحق بأنفسهم لعدم التفكر فيما يستدل به على الحق والتدبر فيما يتوصل به إلى الصواب
قالوا أي المعبودون مستأنف جواب سؤال مقدر ومعنى سبحانك التعجب مما قيل لهم لكونهم ملائكة أو
أنبياء معصومين أو جمادات لا تعقل أي تنزيهاً لك ما كان ينبغي وقرئ ينبغى مبنياً للمفعول قال ابن
خالويه زعم سيبويه أنها لغة أي ما صح ولا استقام لنا أن نتخذ من دونك أي متجاوزين إياك
من أولياء فنعبدهم فكيف ندعو عبادك إلى عبادتنا نحن مع كوننا لا نعبد غيرك والولي يطلق على
التابع كما يطلق على المتبوع هذا معنى الآية على قراءة الجمهور نتخذ مبنياً للفاعل وقرئ مبنياً للمفعول
والمعنى أن يتخذنا المشركون أولياء من دونك وقال أبو عبيدة لا تجوز هذه القراءة وبه قال أبو عمرو
بن العلاء وعيسى بن عمر لأنه سبحانه ذكر من مرتين ولو كانت صحيحة لقال أن نتخذ من دونك أولياء
أي بحذف من الثانية وقيل أنها زائدة ثم حكى عنهم سبحانه بأنهم بعد هذا الجواب ذكروا سبب ترك
المشركين للإيمان فقال ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وفي هذا ما يدل على أنهم هم
الذين ضلوا السبيل ولم يضلهم غيرهم والمعنى ما أضللناهم ولكنك يا رب متعتهم ومتعت آباءهم
بالنعم ووسعت عليهم الرزق وأطلت لهم العمر حتى غفلوا عن ذكرك ونسوا موعظتك والتدبر
لكتابك والنظر في عجائب صنعك وغرائب مخلوقاتك وجعلوا ذلك ذريعة إلى ضلالهم عكس القضية
وقيل المراد بنسيان الذكر هنا هو ترك الشكر وكانوا هؤلاء الذين أشركوا بك وعبدوا غيرك في
قضائك الأزلي قوماً بوراً أي هلكى قاله ابن عباس مأخوذ من البوار وهو الهلاك يقال رجل بائر و
قوم بور يستوي فيه الواحد والجماعة لأنه مصدر يطلق على القليل والكثير أو جمع بائر وقيل
البوار الفساد يقال بارت بضاعته أي فسدت وأمر بائر أي فاسد وهي لغة الأزد وقيل المعنى
لا خير فيهم مأخوذ من بوار الأرض وهو تعطيلها من الزرع فلا يكون فيها خير وقيل أن البوار
الكساد ومنه بارت السلعة إذا كسدت وهذا كله يرجع إلى معنى الهلاك والفساد ثم يقال
للكفار بطريق الخطاب على الالتفات عن الغيبة فقد كذبوكم في الكلام حذف والتقدير فقال الله عند
تبري المعبودين مخاطباً المشركين العابدين لغير الله فقد كذبكم المعبودون وقرئ مخففاً أي كذبوكم في قولهم

بما تقولون اي في قولكم انهم آلهة وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة
اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا وقول القائل
قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقال ابن زيد المعنى فقد كذبوكم
ايها المؤمنون هؤلاء الكفار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المعنى فبما تقولون بما تقولونه من الحق فما
تستطيعون اي الآلهة صرفا اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه وقيل حيلة ولا نصرا اي
نصركم وقرئ بالتحتية فالمعنى فما يستطيع هؤلاء الكفار لما كذبوا المعبودين صرف العذاب الذي عذبهم
الله به ولا نصرا من الله وقال ابو عبيد المعنى فما يستطيعون لكم صرفا عن الحق الذي هداكم الله اليه
ولا نصرا لانفسهم بما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم اياكم ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا
هذا وعيد لكل ظالم ويدخل تحته الذين فيهم السياق دخولا اوليا والعذاب الكبير عذاب النار
وفسر بالخلود فيها وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج وقرئ يذقه بالتحتية
وهذه الآية وامثالها مقيدة بعدم التوبة وعن الحسن قال الظلم هو الشرك وقال ابن جريج يظلم
يشرك ثم رجع سبحانه الى خطاب رسوله موضحا لبطلان ما تقدم من قولهم ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق فقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
قال الزجاج المعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين فانت مثلهم في ذلك وقد قيل
لهم مثل ما قيل لك وقال الفراء الا من انهم كما في قوله الا واردها اي الا من يردها وبه قال الكسائي
وقال الزجاج هذا خطأ لان من الموصولة لا يجوز حذفها وقال ابن الانباري التقدير الا وانهم وقرئ
انهم بكسر ان لوجود اللام في خبرها وهو مجمع عليه عند النحاة وقال المبرد يجوز فيه الفتح قال النحاس
واحسبه وهما وقرئ يمشون مخففا ومثقلا قال قتادة يقول ان الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
بهذه المنزلة ياكلون ويمشون وجعلنا بعضكم لبعض فتنة هذا الخطاب عام للناس
وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم ايضا فانه اشرف الاشراف وقد ابتلي بالاخساء وقد جعل سبحانه
بعض عبيده فتنة لبعض فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير وقيل المراد بالبعض الاول
كفار الامم وبالبعض الثاني الرسل ومعنى الفتنة الابتلاء والمحنة والاول اولى فان البعض من الناس
ممتحن بالبعض مبتلى به فالمريض يقول لم لم اجعل كالصحيح وكذا صاحب كل آفة والصحيح مبتلى بالمريض

فلا يضجر منه ولا يحتقره والغني مبتلى بالفقير يواسيه والفقير مبتلى بالغني يحسده ونحو هذا امثاله قيل
المراد بالآية انه كان اذا اراد الشريف ان يسلم ورأى الوضيع قد اسلم قبله انف وقال لا اسلم بعده فيكون
له علي السابقة والفضل فيقيم على كفره فذلك افتتان بعضهم ببعض واختار هذا الفراء والزجاج
ولا وجه لقصر الآية على هذا فان هؤلاء ان كانوا سبب النزول فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وقال الحسن في الآية يقول الفقير لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان ويقول السقيم لو شاء الله
لجعلني صحيحا مثل فلان ويقول الاعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان وعن ابي الدرداء انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل
للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية
وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة وهو قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اسنده
الثعلبي ثم قال سبحانه بعد الاخبار بجعل البعض فتنة للبعض أتصبرون هذا الاستفهام للتقرير التقدير
اتصبرون على ما ترون من هذه الحالة الشديدة والابتلاء العظيم فتؤجروا ام لا تصبرون فيزداد غمكم
وعليه جرى الاكثرون وقيل معنى أتصبرون اصبروا مثل قوله فهل انتم منتهون اي انتهوا وروى البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله قال انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم
فهو اجدر بان لا تزدروا نعمة الله عليكم ثم وعد الله الصابرين بقوله وكان ربك بصيرا
اي بكل من يصبر ومن لا يصبر فيجازي كلا منهما بما يستحقه

وقال الذين لا يرجون لقاءنا

هذه المقالة من جملة شبههم التي قدحوا بها في النبوة اي وقال المشركون الذين لا يبالون
بلقاء الله وقيل المعنى لا يخافون لقاء ربهم بالشر وهي لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء
ومنه الرؤية فانها وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول
قال الفراء وضع الرجاء موضع الخوف وقيل لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث والحمل على المعنى
الحقيقي اولى فالمعنى لا يأملون لقاء ما وعدنا على الطاعة من الثواب ومعلوم ان من لا يرجو الثواب لا يخاف
العقاب لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبرونا ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق او هلا انزلوا علينا رسلا

يرسل الله او نرى ربنا عيانا فيخبرنا بان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول ثم اجاب الله سبحانه عن شبهتهم هذه فقال
لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا اي اضمروا الاستكبار عن الحق والعناد في قلوبهم كما
في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه والعتو مجاوزة الحد في الطغيان والبلوغ الى اقصى غاياته
قال ابن عباس عتوا اي شدة الكفر ووصفه بالكبر لكون التكلم بما تكلموا به من هذه المقالة الشنيعة في غاية
الكبر والعظم فانهم لم يكتفوا بارسال البشر حتى طلبوا ارسال الملائكة اليهم بل جاوزوا ذلك الى التخيير
بينه وبين مخاطبة الله سبحانه ورويته في الدنيا من دون ان يكون بينهم وبينه ترجمان ولقد
بلغ هؤلاء الرذالة بانفسهم مبلغا هي احقر واقل وارذل من ان تكون من اهله او تعد من المستعدين
له وهكذا من جهل قدر نفسه ولم يقف عند حده ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى
يوم اي اذكر يوم يرون الملائكة اي ملائكة العذاب رؤية ليست على الوجه الذي طلبوه والصورة التي
اقترحوها بل على وجه آخر وهو يوم ظهورهم لهم عند الموت او عند الحشر قال مجاهد يوم القيامة وعن عطية
العوفي نحوه لا بشرى يومئذ للمجرمين اي يمنعون البشرى يوم يرون او لا توجد لهم بشرى فيه فاعلم
سبحانه بان الوقت الذي يرون فيه الملائكة وهو وقت الموت او يوم القيامة قد حرمهم الله البشرى
بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة قال الزجاج المجرمون في هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله
وهو ظاهر في موضع مضمر او عام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكفار لان مطلق
الاسماء يتناول اكمل المسميات ويقولون عند مشاهدتهم للملائكة حجرا محجورا اي حراما محرما عليكم
البشرى وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة
يقال للرجل اتفعل كذا فيقول حجرا محجورا اي حراما عليك التعرض لي والمعنى يطلبون من الله ان يمنع المكروه
فلا يلحقهم اي نسأله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وقيل ان هذا من قول الملائكة اي يقولون للكفار
حراما محرما ان يدخل احد منكم الجنة وان يكون البشرى في اليوم الا للمؤمنين وقال ابو سعيد الخدري حراما
محرما ان نبشركم بما نبشر به المتقين وعن الحسن وقتادة قالا هي كلمة كانت العرب تقولها عند الشدائد وقال مجاهد اي عوذا
معاذ الملائكة تقوله والحجر مصدر بمعنى الاستعاذة وفي الكسر والفتح لغتان قرئ بهما وقرئ بالضم وهو لغة فيه وهو من حجره اذا منعه
وقد ذكر سيبويه في باب المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها هذه الكلمة وجعلها من جملتها اوية قال السمين البيضاوي والحجر العقل
لانه يمنع صاحبه ومحجورا صفة مؤكدة للمعنى كقولهم ذيل ذائل وموت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل هذا وعيد آخر وذلك انهم

كانوا يعملون اعمالاً لها صورة الخير من صلة الرحم واغاثة الملهوف واطعام الطعام وامثالها ولم يمنع
من الاثابة عليها الا الكفر الذي هم عليه فمثلت حالهم واعمالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم و
استعصوا عليه فقدم الى ما معهم من المتاع فافسده ولم يترك منه شيئاً والا فلا قدوم ههنا
او هو من الصفات كالمجيء والنزول فيجب الايمان به من غير تاويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل
كما هو مذهب السلف الصلحاء وهو الحق قال الواحدي معنى قدمنا عمدنا وقصدنا يقال قدم فلان الى امر
كذا اذا قصده او عمده وقيل هو قدوم الملائكة اخبر به عن نفسه تعالى والقصد في حق الله يرجع
لمعنى الارادة فجعلناه هباء منثوراً اي باطلاً لا ثواب له لانهم لم يعملوا لله عز وجل ومنه الحديث
الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد والهباء واحده هباءة والجمع اهباء قال النضر بن شميل الهباء التراب
الذي تطيره الريح كانه دخان وقال الزجاج هو ما يدخل من الكوة مع ضوء الشمس شبه الغبار وكذا
قال الخليل والازهري وقال ابن عرفة الهباء والهبوة التراب الدقيق وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب
عند السير من الغبار وعن علي قال الهباء شعاع الشمس الذي يخرج من الكوة وعنه الهباء وهج
الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء وعن ابن عباس قال الهباء الذي يطير من النار اذا اضطرمت
يطير منها الشرر فاذا وقع لم يكن شيئاً وعنه قال هو ما تسفي الريح وتبثه من التراب وحطام الشجر وعنه هو الماء المهراق
والمعنى الاول هو الذي ثبت في لغة العرب ونقله العارفون بها والمنثور المفرق والمعنى ان الله سبحانه
احبط اعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور لم يكتف سبحانه بتشبيه عملهم بالهباء حتى وصفه
بانه متفرق متبدد وبالجملة هو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع اذ لا
ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا ثم ميز سبحانه حال الابرار من حال الفجار فقال
اصحاب الجنة يومئذ اي يوم القيامة خير مستقراً اي افضل منزلاً في الجنة من الكافرين في الدنيا
واحسن مقيلاً اي موضع قائلة فيها او هم خير منهم في الآخرة لو فرض ان يكون لهم ذلك او
افعل لمجرد الوصف من غير مفاضلة عن ابن عباس قال في الغرف من الجنة قال النحاس والكوفيون
يجيزون العسل احلى من الخل قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل اهل
الجنة في الجنة واهل النار في النار وقال الازهري القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار اذا اشتد
الحر وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلاً والجنة لا نوم فيها وقال ابن عباس

الحساب في ذلك اليوم في اوله ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر
الى الغروب وفي الآية اشارة الى ان كلا من اهل الجنة واهل النار قد قالوا اي استقروا في وقت القيلولة
وان كان استقرار المؤمنين في راحة واستقرار الكافرين في عذاب فيكون الحساب لجميع الخلق قد
انقضى في هذا الوقت يوم تشقق السماء بالغمام وصف سبحانه ههنا بعض حوادث يوم القيامة
والتشقق التفتح قرئ بتخفيف الشين واصله تتشقق وقرئ مشددا على الادغام والمعنى انها تتشقق
عن الغمام قال ابو علي الفارسي تشقق السماء وعليها غمام كما تقول ركب الامير بسلاحه اي وعليه سلاحه
وخرج بثيابه اي وعليه ثيابه ووجه ما قاله ان الباء وعن يتعاقبان كما تقول رميت بالقوس و
عن القوس وروي ان السماء تتشقق عن سحاب رقيق ابيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم
وقيل ان السماء تتشقق بالغمام الذي بينها وبين الناس والمعنى انه يتشقق السحاب بتشقق السماء وقيل انها
تشقق لنزول الملائكة كما قال سبحانه ونزل الملائكة تنزيلا وقيل الباء للسببية يعني بسبب طلوع الغمام
منها كانه الذي تتشقق به السماء وقيل اي متلبسة بالغمام وقرئ ننزل مخففا من الانزال مضارع انزل
وقرئ نُزّل مشددا ماضيا مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل وفاعله الله سبحانه وقرئ انزل
وقرئ تنزلت الملائكة وتاكيد هذا الفعل بقوله تنزيلا يدل على ان هذا التنزيل على نوع غريب ونمط
عجيب قال اهل العلم هذا تنزيل رضى ورحمة لا تنزيل سخط وعذاب وعن ابن عباس قال في الآية
يجمع الله الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والانس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق فتنشق
السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر من في الارض من الجن والانس وجميع الخلق فيحيطون بالجن والانس وجميع
الخلق فيقول اهل الارض افيكم ربنا فيقولون لا ثم تنشق السماء الثانية وذكر مثل ذلك ثم كذلك
في كل سماء الى السماء السابعة وفي كل سماء اكثر من السماء التي قبلها ثم ينزل ربنا في ظلل من الغمام وحوله
الكروبيون وهم اكثر من اهل السموات السبع والانس والجن وجميع الخلق لهم قرون ككعوب القناء وهم تحت
العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله تعالى ما بين اخمص قدم احدهم الى كعبه مسيرة
خمسمائة عام ومن ركبته الى فخذه مسيرة خمسمائة عام ومن فخذه الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام
وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام اخرجه الحاكم وابن ابي الدنيا وابن جرير وغيرهم الملك يومئذ
الحق للرحمن اي الملك الثابت الذي لا يزول ولا يشركه فيه احد للرحمن يومئذ لان الملك الذي

يزول وينقطع ليس بملك في الحقيقة ولان السلطان الظاهر والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة
ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا لا يكون الا لله تعالى فالملك مبتدأ والحق صفته و
للرحمن خبره ويومئذ متعلق بالملك وفائدة التقييد بالظرف ان ثبوت الملك المذكور له سبحانه
خاصة في هذا اليوم واما فيما عداه من ايام الدنيا فلغيره ايضا ملك في الصورة وان لم يكن حقيقيا
وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا اي وكان
هذا اليوم مع كون الملك فيه لله وحده شديدا على الكفار لما يصابون به فيه وينالهم من العقاب
بعد تحقيق الحساب واما على المؤمنين فهو يسير غير عسير لما ينالهم فيه من الكرامة والبشرى
العظيمة وجاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة
مكتوبة صلاها في الدنيا واذكر يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ الظاهر ان العض هنا حقيقة
ولا مانع من ذلك ولا موجب لتاويله قال عطاء ياكل الظالم يديه حتى ياكل مرفقيه ثم ينبتان
ثم ياكلهما وهكذا كلما نبتت يداه اكلهما على ما فعل تحسرا ذكره الخازن وقيل هو كناية عن
الغيظ والحسرة والاول اولى والمراد بالظالم كل ظالم يرد ذلك المكان وينزل ذلك المنزل ولا ينافيه
ورود الاية على سبب خاص فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعن ابن عباس قال في الاية هو
ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط وهما الخليلان في جهنم يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا اي طريقا وهو طريق الحق ومشيت فيه حتى اخلص من هذه الامور المضلة والمراد
اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به يعني ليتني اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت في الدنيا معه
طريقا الى الهداية يَا وَيْلَتَى وقرئ يا ويلي بالياء الصريحة وقرئ بالامالة وتركها الحسن لَيْتَنِي
لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا دعى على نفسه بالويل والثبور على مخالفة الكافر الذي اضله في الدنيا
وفلان كناية عن الاعلام قال النيسابوري زعم بعض ائمة اللغة انه لم يثبت استعمال فلان في
الفصيح الا حكاية لا يقال جاءني فلان ولكن يقال قال زيد جاءني فلان لانه اسم اللفظ الذي
هو علم الاسم وكذلك جاء في كلام الله وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن
علم اناثهم وهو منصرف وقيل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلانة عمن يعقل من الاناث
واما الفلان والفلانة بالالف واللام فكناية عن غير العقلاء وفل يختص بالنداء الا في ضرورة

الشعر وليس فلي من خماسي فلان خلافا للفراء وزعم ابو حيان ان ابن عصفور وابن مالك وهما
يجعل فلان كناية علم من يعقل وفي لامه وجهان احدهما انه واو والثاني انها ياء وحكم الاية
عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله عز وجل وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابو داود والترمذي ولهما
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياكل طعامك الا تقي
وروى الشيخان عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء
كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه
ريحا طيبا ونافخ الكير اما يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة لقد اي والله لقد اضلني
هذا الذي اتخذته خليلا تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة
في بيان خطئه واظهار ندمه وحسرته عن الذكر اي القران او كتاب الله او ذكره او الموعظة او كلمة
الشهادة او مجموع ذلك بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقدرت عليه بان ردني عن الايمان به
وكان الشيطان للانسان خذولا بان يتركه ويتبرأ منه عند البلاء والخذل ترك الاغاثة ومنه
خذلان ابليس للمشركين حيث يوالونه ثم يتركهم عند استغاثتهم به وهذه الجملة مقررة لمضمون ما
قبلها ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى او من تمام كلام الظالم وانه سمى خليله شيطانا بعد
ان جعله مضلا او اراد بالشيطان ابليس لكونه الذي حمله على مخالة المضلين وقال الرسول
اي يقول في يوم القيامة بثا وشكاية لله مما صنع قومه او هو حكاية لقوله صلى الله عليه وسلم في الدنيا
يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران الذي جئت به اليهم وامرتني بابلاغه وارسلتني به مهجورا
اي متروكا لم يؤمنوا به ولا قبلوه بوجه من الوجوه او لم يعملوا به وقيل هو من هجر اذا هذى والمعنى انهم اتخذوه
هجرا وهذيانا وقيل المعنى مهجورا فيه وهجرهم فيه قولهم انه سحر وشعر واساطير الاولين وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله جعل لكل
نبي من الانبياء الداعين الى الله عدوا يعاديه من مجرمي قومه فلا تجزع يا محمد صلى الله عليه وسلم فان هذا
داب الانبياء قبلك واصبر كما صبروا وقال ابن عباس في الاية كان عدو النبي صلى الله عليه وسلم ابو جهل
وعدو موسى قارون وكان قارون ابن عم موسى وكفى بربك هاديا اي يهدي عباده

الى مصالح الدين والدنيا وتصيرا ينصرهم على الاعداء وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة هذا من جملة اقتراحاتهم وتعنتاتهم اي هلا نزل الله عليه الكتاب
دفعة واحدة غير منجم كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود عليهم
السلام واختلف في قائل هذه المقالة فقيل كفار قريش وقيل اليهود قالوا هلا اتيتنا بالقرآن
جملة واحدة وهذا زعم باطل ودعوى داحضة فان هذه الكتب نزلت مفرقة كما نزل القرآن
ولكنهم معاندون او جاهلون لا يدرون بكيفية نزول كتب الله سبحانه على انبيائه واعتراض
منهم لا طائل تحته لان الاعجاز يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ان نزوله
بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص على المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون
عن معارضته زاد ذلك في قوة قلبه ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه
يعين على البلاغة ثم رد الله سبحانه عليهم فقال كذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل
ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لنثبت لنقوي به اي بهذا
التنزيل على هذه الصفة فؤادك فان انزاله مفرقا منجما على حسب الحوادث اقرب الى حفظك له
وفهمك لمعانيه وذلك من اعظم اسباب التثبيت وقرئ ليثبت بالتحتية اي الله سبحانه وقيل
قوله كذلك هي من تمام كلام المشركين والمعنى كذلك اي كالتوراة والانجيل والزبور فيوقف على
قوله كذلك ثم يبتدأ بقوله لنثبت به فؤادك على معنى انزلناه عليك متفرقا لهذا الغرض
قال ابن الانباري وهذا اجود واحسن قال النحاس وكان ذلك اي انزال القرآن منجما من اعلام
النبوة لانهم لا يسألونه عن شيء الا اجيبوا عنه وهذا لا يكون الا من نبي فكان ذلك تثبيتا
لفؤاده وافئدتهم قال ابن عباس اي لنشدد به فؤادك ونربط على قلبك والمعنى انزلناه مفرقا
لتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على انبياء يكتبون ويقرؤون وانزل القرآن على نبي امي
لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب سؤال عن امور حدثت في
الاوقات المختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل به ورتلناه
ترتيلا بينا لا يقادر قدره ومعنى الترتيل ان تكون اية بعد اية قاله النخعي والحسن وقتادة
وقيل ان المعنى بيناه تبيينا وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال ابن عباس رسلناه ترسيلا

يقول شيئاً بعد شيء وقال مجاهد بعضه في اثر بعض قال ابن الاعرابي ما اعلم الترتيل الا
التحقيق والتبيين وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئاً بعد شيء في عشرين او ثلاث
وعشرين سنة على تؤدة وتمهل لتيسر فهمه وحفظه ثم ذكر سبحانه انهم محجوجون في
كل اوان مدفوع قولهم بكل وجه وعلى كل حالة فقال ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ اي لا يأتيك يا محمد صلى الله
عليه وسلم المشركون ﴿بِمَثَلٍ﴾ من امثالهم التي من جملتها اقتراحاتهم المتعنتة في ابطال امرك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ﴾
في مقابلة مثلهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ اي بالجواب الحق الثابت الذي يبطل ما جاؤا به من المثل ويدمغه
ويدفعه فالمراد بالمثل هنا السؤال والاقتراح وبالحق جوابه الذي يقطع ذريعته ويبطل
شبهته ويحسم مادته والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال والجملة في محل الحال اي لا يأتونك بمثل
في حال من الاحوال الا في حال ايتائنا اياك ذلك ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ اي جئناك باحسن تفسير
بيانا وتفصيلا او بما هو احسن معنى ومؤدى من مثلهم اي من سؤالهم وانما حذف من مثلهم
لان في الكلام دليلا عليه ثم اوعد هؤلاء الجهلة وذمهم فقال ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾ كائنين ﴿عَلَى
وُجُوهِهِمْ﴾ ومعنى الحشر على الوجوه انهم يسحبون عليها ويطؤون الارض على رؤسهم مع ارتفاع
اقدامهم بقدرة الله ويساقون ويجرون عليها ﴿إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ اي منزلا ومصيرا
ومسكنا وهو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ واخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم وذلك لانهم قد صاروا
في النار وهو من الاسناد المجازي وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة سبحان وقد قيل
ان هذا متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ﴿وَلَقَدْ﴾ اي والله لقد
﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ اي التوراة كما آتيناك القرآن ذكر سبحانه طرفا من قصص الاولين تسلية
له صلى الله عليه وسلم بان تكذيب قوم انبياء الله لهم عادة للمشركين بالله وليس ذلك بخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم
﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ اي عونا وعضدا في الدعوة واعلاء الكلمة قاله قتادة وقال
الزجاج الوزير في اللغة الذي يرجع اليه ويعمل برأيه والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر وقد تقدم
تفسير الوزير في طه والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون
بان يوازر بعضهم بعضا وقد كان هارون في اول الامر وزيرا لموسى عليهما السلام ولاشتراكهما
في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ اي فقيل لهما ﴿اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾

وهو فرعون وقومه يعني القبط بِآيَاتِنَا هي التسع المذكورة التي تقدم ذكرها وان لم يكونوا قد كذبوا بها عند
اداء الله لموسى وهارون بالذهاب فيحمل الماضي على معنى الاستقبال اي سيكذبوا بها وقيل انما وصفوا
بالتكذيب عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم للعذاب وقيل يجوز ان يراد الى القوم
الذين آل حالهم الى ان كذبوا وقيل ان المراد بوصفهم بالتكذيب عند الارسال انهم كانوا مكذبين
للآيات الالهية وليس المراد آيات الرسالة قال القشيري وقوله تعالى في موضع آخر اذهب الى فرعون
انه طغى لا ينافي هذا لانهما اذا كانا مأمورين فكل واحد مامور ويمكن ان يقال ان تخصيص موسى بالخطاب
في بعض المواطن لكونه الاصل في الرسالة والجمع بينهما في الخطاب لكونهما مرسلين جميعا فَدَمَّرْنَاهُمْ
تَدْمِيرًا في الكلام حذف اي فذهبا اليهم فكذبوهما فاهلكناهم اثر ذلك التكذيب اهلاكا عظيما
فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم وقيل ان المراد بالتدمير هنا الحكم به لانه لم يحصل عقب بعث موسى وهارون
اليهم بل بعد مدة وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ انما جمع اي كذبوا نوحا لطول لبثه فيهم فكانه رسل
او كذبوه وكذبوا من قبله من رسل الله لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد قال الزجاج من كذب نبيا
فقد كذب جميع الانبياء أَغْرَقْنَاهُمْ بالطوفان كما تقدم في هود وَجَعَلْنَاهُمْ اي جعلنا اغراقهم
او قصتهم لِلنَّاسِ كلهم بعدهم آيَةً اي عبرة يتعظ بها كل مشاهد لها وسامع لخبرها وَأَعْتَدْنَا في
الآخرة لِلظَّالِمِينَ الكافرين اي قوم نوح خاصة فيكون وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا عليهم
بوصف الظلم ويجوز ان يكون المراد كل من سلك مسلكهم في التكذيب عَذَابًا أَلِيمًا هو عذاب
الآخرة سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا واذكر عَادًا قوم هود وَثَمُودَ قوم صالح وقصتهما
قد ذكرت فيما سبق وثمود بالصرف على معنى الحي وتركه على تاويله بالقبيلة قراءتان سبعيتان وَأَصْحَابَ
الرَّسِّ هو في كلام العرب البير التي تكون غير مطوية اي لم تبن بالحجارة وفسرها اهل اللغة كالقاموس
بانها التي طويت اي بنيت بالحجارة فيوخذ من مجموع النقلين ان الرس يطلق على البير مطلقا اي سواء
طويت ام لا وفي القاموس الرس ابتداء الشيء ومنه رس الحمى ورسيسها والجمع رساس كذا قال ابو عبيدة
قال السدي هي بير بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار فنسبوا اليها وهو صاحب يس الذي قال يا قوم اتبعوا
المرسلين وكذا قال مقاتل وعكرمة وغيرهما وقيل هم قوم باذربيجان قتلوا انبياءهم فجفت اشجارهم وزروعهم

فبالوا جوعا وعطشا وقيل كانوا يعبدون الشجر وقيل كانوا يعبدون الاصنام فارسل الله اليهم
شعيبا عليه السلام فكذبوه وآذوه وقيل بير بفلج اليمامة قرية عظيمة بناحية اليمن وموضع باليمن
من مساكن عاد وهم قوم ارسل الله اليهم نبيا فاكلوه وقيل هم اصحاب الاخدود وقيل ان الرس هي
البير المعطلة التي تقدم ذكرها واصحابها اهلها وقال في الصحاح الرس اسم بير كانت لبقية ثمود وقيل
الرس ماء ونخل لبني اسد وقيل هو الثلج المتراكم في الجبال والرس اسم واد قريب من البصرة قاله ابن كثير
والرس ايضا الاصلاح بين الناس والافساد بينهم فهو من الاضداد وقيل الرس نهر بالشرق وقيل
هو قوم ركنوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بئر فبينما هم حول الرس وهي البير الغير المطوية فانهارت فخسف
بهم وبمنازلهم وديارهم وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان وهم الذين ابتلاهم الله بالطائر العظيم
بالعنقاء قال ابن عباس الرس قرية من ثمود وعنه بير باذربيجان وعنه انه سأل كعبا عن اصحاب الرس
قال صاحب يس وورد عن محمد بن كعب القرظي في صاحب الرس خبر طويل مرفوع فيه نكارة وغرابة
ولعل فيه ادراجا كما قال ابن كثير في تفسيره والحديث ايضا مرسل وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا
القرون جمع قرن اي اهل قرون يعني واذكر اقواما والقرن مائة سنة قاله قتادة وقيل مائة وعشرون
سنة قاله زرارة بن اوفى وقيل اربعون سنة وقيل سبعون سنة قاله قتادة ايضا وقد روي
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القرن مائة سنة وقال القرن خمسون سنة وقال القرن اربعون
سنة وما اظنه يصح شيء من ذلك وقد سمي الجماعة من الناس قرنا كما في الحديث الصحيح خير القرون قرني
واخرج الحاكم في الكنى عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى الى معد بن عدنان امسك
ثم يقول كذب النسابون قال الله وقرونا بين ذلك كثيرا والاشارة بقوله بين ذلك الى ما تقدم ذكره من
الامم اي بين عاد واصحاب الرس وهم جماعات فلذا حسن دخول بين عليه وقد يذكر الذاكر
اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت اي
ذلك المحسوب او المعدود وَكُلًّا اي كل الامم ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ اي القصص العجيبة من قصص الاولين
التي تشبه الامثال في الغرابة وبينا لهم الحجة فلم نهلكهم الا بعد الانذار ولم نضرب لهم الامثال الباطلة
كما يفعله هؤلاء الكفرة وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا التتبير الاهلاك بالعذاب قال الزجاج كل شيء كسرته
وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وقال المؤرج والاخفش معناه دمرنا تدميرا

ابدلت التاء والباء من الدال والميم ولقد اتوا على القرية مستانفة مبينة لمشاهدتهم لآثار
هلاك بعض الامم وضمن اتى معنى مر لانه يستعمل متعديا بنفسه او بالى والمعنى ولقد اتى مشركوا
مكة في اسفارهم الى الشام على قرية قوم لوط وهي سدوم وهي اعظم قرى قومه وكانت خمسا مدائن
الله اربعا مع اهلها وبقيت واحدة وهي اصغرها وكان اهلها لا يعملون الخبائث التي امطرت مطر
السوء وهو الحجارة قال ابن عباس والامطار معناه الرمي اي هلكت بالحجارة التي امطروا بها ورميت بها
الحجارة والمعنى اعطيتها واوليتها مطر السوء اي امطارا مثل مطر السوء وقد تقدم تفسير السوء
في براءة افلم يكونوا يرونها الاستفهام للتقريع والتوبيخ اي يرون القرية المذكورة عند سفرهم
الى الشام للتجارة فانهم يمرون بها مرارا اي يرون آثارها وآثار ما حل باهلها وقيل للتقرير اي حمل المخاطب
على الاقرار بما يعرفه وهو ما بعد النفي اي ليقروا بانهم رأوها حتى يعتبروا بها والفاء للعطف على
مقدر اي لم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او كانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرات
مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا
والمنكر في الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها بل كانوا لا يرجون اي لا يأملون نشورا اي بعثا اضراب
سبحانه عما سبق من عدم رؤيتهم لتلك الآثار الى عدم رجاء البعث منهم المستلزم لعدم رجائهم الجزاء
او معنى يرجون يخافون على اللغة التهامية واذا رأوك ان اي ما يتخذونك الا هزوا اي مهزوا بك
قصر معاملتهم له على اتخاذهم اياه هزوا وقيل نزلت في ابي جهل كان اذا مر باصحابه قال مستهزيا
اهذا الذي بعث اي بعثه الله رسولا اي مرسلا في دعواه وفي اسم الاشارة دلالة على استحقارهم له
وتهكمهم به ان كاد اي قالوا انه كاد هذا الرسول ليضلنا ليصرفنا عن آلهتنا فنترك عبادتها
بفرط اجتهاده والدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق الى الذهن انه حجج ومعجزات لولا ان صبرنا
عليها اي حبسنا انفسنا على عبادتها ثم انه سبحانه اجاب عليهم بقوله وسوف يعلمون حين
يرون العذاب عيانا اي عذاب يوم القيامة الذي يستحقونه ويستوجبونه بسبب كفرهم
من اضل سبيلا اي ابعد طريقا عن الحق والهدى اهم ام المؤمنون ثم بين لهم سبحانه انه لا تمسك
لهم فيما ذهبوا اليه سوى التقليد واتباع الهوى فقال معجبا لرسوله صلى الله عليه وسلم ارأيت من اتخذ الهه
هواه قدم المفعول الثاني للعناية به كما تقول علمت منطلقا زيدا قاله الزمخشري اي اطاع هواه طاعة كطاعة

الاله اي انظر اليه يا محمد وتعجب منه والوجه الاخر انه لا تقديم ولا تاخير لاستوائهما في التعريف قاله السمين فادعاء القلب ليس بجيد لانه من ضرورات الشعر وقال ابو السعود بالوجه الاول ثم قال ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد غاب عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية عن ابن عباس قال كان الرجل يعبد الحجر الابيض زمانا من الدهر في الجاهلية فاذا وجد حجرا احسن منه رمى به وعبد الاخر فانزل الله الآية وعنه قال ذلك الكافر لا يهوى شيئا الا اتبعه وعن الحسن مثله **أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا** اي حفيظا وكفيلا حتى ترده الى الايمان وتخرجه من الكفر وتحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والاستفهام للانكار والاستبعاد فالمعنى لست تقدر على ذلك ولا تطيقه فليست الهداية والضلالة موكولتين الى مشيئتك وانما عليك البلاغ وقد قيل ان هذه الآية منسوخة باية القتال قاله الكلبي ثم انتقل سبحانه من الانكار الاول الى انكار آخر فقال **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ** ما تتلو عليهم من آيات القرآن ومن المواعظ سماع تفهم واعتبار **أَوْ يَعْقِلُونَ** معاني ذلك ويفهمونه حتى تعتني بشانهم وتطمع في ايمانهم وليسوا كذلك بل هم بمنزلة من لا يسمع ولا يعقل وتخصيص الاكثر بالذكر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ثم بين سبحانه حالهم وقطع مادة الطمع فيهم فقال **إِنْ هُمْ** اي ما هم في الانتفاع بما يسمعونه **إِلَّا كَالْأَنْعَامِ** التي هي مسلوبة العقل والفهم فلا تطمع فيهم فان فائدة السمع والعقل مفقودة وان كانوا يسمعون ما يقال لهم ويعقلون ما يتلى عليهم ولكنهم لما لم ينتفعوا بذلك كانوا كالفاقد له ثم اضرب سبحانه عن الحكم عليهم بانهم كالانعام الى ما هو فوق ذلك فقال **بَلْ هُمْ أَضَلُّ** من الانعام **سَبِيلًا** اي طريقا قال مقاتل البهائم تعرف ربها وتهتدي الى مراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها وهؤلاء لا ينقادون ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم والمعنى انها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تودي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق

ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم عليها وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب
على تقصيرهم وقيل انما كانوا اضل من الانعام لانه لا حساب عليها ولا عقاب لها وقيل انما كانوا اضل
لان البهائم اذا لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك بخلاف هؤلاء فانهم اعتقدوا
البطلان عنادا ومكابرة وتعصبا وغمطا للحق وقيل ان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك
وقيل الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمي مجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس والهوى
فضلته الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام ولما فرغ سبحانه من ذكر جهالة
الجاهلين وضلالتهم اتبعه بذكر طرف من دلائل التوحيد مع ما فيها من عظيم الانعام وحاصل
ما ذكر منها خمسة فاولها الاستدلال باحوال الظل فقال ألم تر إلى ربك كيف اي على اي حالة
وعلى اي وجه مد الظل وهذه الرؤية اما بصرية والمراد بها الم تبصر الى صنع ربك او الم تبصر الى
الظل كيف مده ربك واما قلبية بمعنى العلم فان الظل متغير وكل متغير حادث ولكل حادث
موجد قال الزجاج الم تر الم تعلم وهذا من رؤية القلب قال وهذا الكلام على القلب والتقدير الم تر
الى الظل كيف مده ربك يعني الظل من وقت الاسفار الى وقت طلوع الشمس وهو ظل لا شمس معه وبه
قال الحسن وقتادة وقيل هو من غيبوبة الشمس الى طلوعها قال القرطبي والاول اصح والدليل على ذلك
انه ليس من ساعة اطيب من تلك الساعة فان فيها يجد المريض راحة والمسافر وكل ذي علة وفيها
ترد نفوس الاموات والارواح منهم الى الاجساد وتطيب نفوس الاحياء فيها وهذه الصفة مفقودة
بعد المغرب قال ابو العالية نهار الجنة هكذا واشار الى ساعة المصلين صلوة الفجر قال ابو عبيدة
الظل بالغداة والفيء بالعشي لانه يرجع بعد زوال الشمس سمي فيأ لانه فاء من المشرق الى جانب المغرب
وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس وعن رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس
فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل انتهى وحقيقة الظل انه امر متوسط بين
الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهذا التوسط هو اعلى من الطرفين واطيب الاحوال لان الظلمة
الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الكامل لقوته يبهر الحس البصري ويؤذي بالتسخين
ولذلك وصفت به الجنة في قوله وظل ممدود قال ابو السعود وهذا غير سديد اذ لا ريب في ان
المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل

مايتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة
لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا
ولا يصفونه باوصافه المعهودة انتهى وعن ابن عباس قال كيف مد الظل اي بعد الفجر قبل ان تطلع الشمس
وعنه قال الم تر انك اذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا
فقبض الظل وعنه قال ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبه قال الجمهور واعترض عليه بانه لا يسمى
ظلا لانه من بقايا الليل واقع في غير النهار ومعنى الاية كيف انشأ ظلا اي ظل كان من جبل او بناء او
شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لانه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها
فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم ولو
شاء لجعله ساكنا ثابتا دائما لا يزول ومستقرا لا تنسخه الشمس ولا يذهب عن وجه الارض و
قيل المعنى لو شاء لمنع الشمس الطلوع فلا تزول فالنفي مسلط على مجموع القيد والمقيد او بان تطلع
مسلوبة الضوء والاول اولى والتعبير بالسكون عن الاقامة والاستقرار شائع ومنه قولهم سكن
فلان بلد كذا اذا اقام به واستقر فيه ثم جعلنا الشمس عليه اي على الظل بنسخها اياه عند
مجيئها دليلا اي حجة وبرهانا وعلامة يستدل باحوالها على احواله وذلك لان الظل يتبعها كما يتبع
الدليل في الطريق من جهة انه يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص والمعنى انه لو لم تكن الشمس لما عرف
الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة فالاشياء تعرف باضدادها ولم يؤنث الدليل وهو صفة الشمس لانه في معنى الاسم كما يقال الشمس
برهان والشمس حق ثم قبضناه اي ذلك الظل الممدود ومحوناه عند ايقاع شعاع الشمس موقعه
بالتدريج حتى انتهت تلك الاظلال الى العدم والاضمحلال ومعنى الينا ان مرجعه اليه سبحانه كما
حدوثه منه وجاء بثم استعارة تبعية لتفاضل ما بين الامور الثلثة مد الظل وجعل الشمس عليه
دليلا وقبضه يسيرا فكان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم من الثاني شبه تباعد ما بينهما
في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل المراد في الاية
قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام النيرة والاول اولى والمعنى ان الظل يبقى في
الجو من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضا جزءا فجزءا وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس
فاشرقت على الارض وعلى الاشياء الى وقت غروبها فاذا غربت فليس هناك ظل انما ذلك بقية نور النهار

وقال قوم قبضه بغروب الشمس لانها اذا لم تغرب فالظل فيه بقية وانما يتم زواله بمجيء الليل و
دخول الظلمة عليه وقيل ان هذا القبض وقع بالشمس لانها اذا طلعت اخذ الظل في الذهاب
شيئاً فشيئاً قاله مالك وابراهيم التيمي وقيل المعنى ثم قبضنا ضياء الشمس بالفيء قبضاً يسيراً اي
قليلاً قليلاً على تدريج بقدر ارتفاع الشمس لتنتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من
منافع الخلق وقيل يسيراً اي سريعاً قاله الضحاك وقيل المعنى يسيراً علينا ليس بعسير وقال
قتادة اي خفيفاً كلما قبض جزء منه جعل مكانه جزء من الظلمة وليس يزول دفعة واحدة
وهو قول مجاهد وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا شبه سبحانه ما يستر من ظلام الليل باللباس
الساتر قال ابن جرير وصف الليل باللباس تشبيهاً من حيث انه يستر الاشياء ويغشاها وجعل
النَّوْمَ سُبَاتًا اي راحة لكم لانكم تنقطعون عن الاشتغال واصل السبات التمدد يقال سبتت المرأة
شعرها اي نقضته وارسلته ورجل مسبوت اي ممدود الخلقة وقيل للنوم سبات لانه بالتمدد
يكون وفي التمدد معنى الراحة وقيل السبت القطع فالنوم انقطاع عن الاشتغال ومنه سبت
اليهود لانقطاعهم عن الاشتغال قال الزجاج السبات النوم الخفيف وهو ان ينقطع عن الحركة و
الروح في بدنه او ابتداؤه في الراس حتى يبلغ القلب اي جعلنا نومكم راحة لكم وقال الخليل السبات
نوم ثقيل اي جعلنا نومكم ثقيلاً ليكمل الاجمام والراحة وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع
الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور في مقابلته ذكره الزمخشري
والنسفي وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا اي ذا نشور وانتشار ينتشر فيه الناس للمعاش اي جعله زمان
بعث من ذلك السبات شبه اليقظة بالحياة كما شبه النوم بالسبات الشبيه بالممات في هذه الآية مع
دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية
ودنيوية وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر قال لقمان لابنه كما تنام
فتوقظ كذلك تموت فتنشر وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا جمع بشور وقرئ نشراً بالنون بَيْنَ
يَدَيْ رَحْمَتِهِ اي متفرقة قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة والمراد بالرياح
الجنس وهي الصبا والجنوب والشمال بخلاف الدبور فانها ريح العذاب التي اهلكت بها عاد والشمال تاتي
من ناحية الشام والجنوب تقابلها وهي اليمانية والصبا تاتي من مطلع الشمس وهي القبول ايضاً والدبور

تاتي من ناحية المغرب والريح مؤنثة على الاكثر فيقال هي الريح وقد تذكر على معنى الهواء فيقال هو
الريح وهب الريح نقله ابو زيد وقال ابن الانباري انها مؤنثة لا علامة فيها وكذلك سائر اسمائها الا
الاعصار فانه مذكر وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى في الاعراف وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا
وصف الماء به اشعارا بالنعمة وتتميما للمنة بما بعده فان الماء الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل
طهوريته وفيه تنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم اولى بذلك
قال الازهري الطهور في اللغة الطاهر المطهر والطهور ما يتطهر به قال ابن الانباري الطهور بفتح
الطاء الاسم وكذلك الوضوء والوقود وبالضم المصدر هذا هو المعروف في اللغة وقد ذهب الجمهور
الى ان الطهور هو الطاهر المطهر ويؤيد ذلك كونه بناء مبالغة ويدل له ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وروي عن ابي حنيفة
انه قال الطهور هو الطاهر واستدل لذلك بقوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا وعلى
كل حال فقد ورد الشرع بان الماء طاهر في نفسه مطهر لغيره قال الله تعالى وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا واخرج اهل السنن واحمد وغيرهم من
حديث ابي سعيد قال قيل يا رسول الله انتوضأ من بير بضاعة وهي بير تلقى فيه الحيض ولحوم
الكلاب والنتن فقال ان الماء طهور لا ينجسه شيء وفي اسناد هذا الحديث كلام طويل قد استوفاه الحافظ
ابن حجر في التلخيص وتبعه الشوكاني في شرحه على المنتقى ثم ذكر سبحانه علة الانزال فقال لِنُحْيِيَ بِهِ
اي بالماء المنزل من السماء بَلْدَةً مَيْتًا وصف البلدة بالميت وهي صفة للمذكر لانها بمعنى البلد وقال
الزجاج اراد بالبلد المكان او يستوي فيه المذكر والمؤنث والمراد بالاحياء هنا اخراج النبات من
المكان الذي لا نبات فيه وَنُسْقِيَهُ بضم النون وقرئ بفتحها والضمير المنصوب يرجع الى الماء مِمَّا
خَلَقْنَا أَنْعَامًا اي بهائم اي ابلا وبقرا وغنما وقد تقدم الكلام عليها وخصها بالذكر لانها ذخيرتنا
ومدار معاش اكثر اهل المدر ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانها
سبب لحياتها وتعيشها فقدم ما هو سبب حياتهم ومعاشهم وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا جمع انسان على ما ذهب
اليه سيبويه وهو الراجح وقال المبرد والفراء والزجاج انه جمع انسي اي بياء النسب وفيه ان ما فيه
لا يجمع على فعالي وللفراء قول آخر انه جمع انسان والاصل على الاول اناسين مثل سرحان وسراحين

وبستان وبساتين فجعلوا الياء عوضا من النون ولقد صرفناه بينهم ليذكروا اي كررنا
احوال الاظلال وذكر انشاء السحاب وانزال المطر في القران وفي سائر الكتب السماوية ليتفكروا و
يعتبروا وقرئ صرفناه مثقلا ومخففا وكذا ليذكروا مخففا من الذكر ومثقلة من التذكر و
قيل ضمير صرفناه يرجع الى اقرب المذكورات وهو المطر اي صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة
والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فنزيد منه
في بعض البلدان وننقص في بعض اخر منها وقيل الضمير راجع الى القران وقد جرى ذكره في اول السورة
حيث قال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وقوله
اتخذوا هذا القران مهجورا والمعنى ولقد كررنا هذا القران بانزال اياته بين الناس ليذكروا به ويعتبروا
بما فيه وقيل هو راجع الى الريح وعلى رجوع الضمير الى المطر فقد اختلف في معناه فقيل ما ذكرناه وقيل
صرفناه بينهم وابلا وطشا وطلا ورذاذا وقيل تصريفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات
والطهارات عن ابن عباس قال ما من عام باقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء ثم قرأ هذه
الاية فابى اكثر الناس الا كفورا اي كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها قال عكرمة المراد
هو قولهم في الانواء مطرنا بنوء كذا قال النحاس ولا نعلم بين اهل التفسير اختلافا ان الكفر هنا قولهم
مطرنا بنوء كذا والنوء كما في المختار سقوط نجم من المنازل في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق في ساعته
في كل ثلاثة عشر يوما ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح
والحر والبرد الى الساقط منهما وقيل الى الطالع لانه في سلطانه والجمع انواء ولو شئنا لبعثنا
في زمنك في كل قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم ليكون الرسل المبعوثون معاونين لك فيخفف
عليك اعباء النبوة كما قسمنا المطر بينهم ولكنا لم نفعل ذلك بل جعلناك نذيرا واحدا وهو انت يا محمد
صلى الله عليه وسلم وقصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل ليعظم
اجرك فقابل ذلك بشكر النعمة وبالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما
يدعونك اليه من اتباع الهتهم بل اجتهد في الدعوة واثبت فيها ولا تضجر وجاهدهم به اي بالقران
واتل عليهم ما فيه من القوارع والنواذر والزواجر والاوامر والنواهي وقيل الضمير يرجع الى الله او الاسلام
او الى السيف والاول اولى وهذه السورة مكية والامر بالقتال انما كان بعد الهجرة وقيل راجع الى ترك

الطاعة المفهوم من قوله فلا تطع الكافرين وقيل الضمير يرجع الى ما دل عليه السياق لانه سبحانه
لو بعث في كل قرية نذيرا لم يكن على كل نذير الا مجاهدة القرية التي ارسل اليها وحين اقتصر على نذير
واحد لكل القرى وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلا جرم اجتمع عليه كل المجاهدات فكبر جهاده وعظم وصار
جامعا لكل مجاهدة ولا يخفى ما في هذين الوجهين من البعد جهادا كبيرا اي شديدا عظيما موقعه
عند الله لما يحتمل فيه من المشاق لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيوف
واريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم ثم ذكر سبحانه دليلا رابعا على التوحيد فقال وهو
الذي مرج البحرين اي ارسلهما متجاورين او خلاهما متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج اي خلى
وخلط وارسل يقال مرجت الدابة وامرجتها اذا ارسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشاء قال مجاهد
ارسلهما وافاض احدهما الى الآخر وقال ابن عرفة خلطهما فهما يلتقيان يقال مرجته اذا خلطته ومرج
الدين والامر اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى في امر مريج وقال الازهري مرج البحرين خلى بينهما لا يلتبس
احدهما بالآخر يقال مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وقال ثعلب المرج الاجراء فالمعنى اجراهما وقال الاخفش
ويقول قوم امرج مثل مرج فعل وافعل بمعنى هذا عذب فرات هو البليغ العذوبة المائلة الى الحلاوة
والجملة مستانفة كانه قيل كيف مرجهما فقيل هذا عذب الخ او حال بتقدير مقولا فيهما قيل سمي الماء الحلو
فراتا لانه يفرت العطش اي يقطعه ويشقه ويكسره ولا يجمع الا نادرا على فرتان كغربان وهذا ملح
اجاج اي بليغ الملوحة وقيل البليغ في الحرارة وقيل البليغ في المرارة وقرئ ملح بفتح الميم وكسر اللام قال ابن
عباس خلع احدهما على الآخر فليس يفسد العذب المالح وليس يفسد الملح العذب وهذا من احسن المقابلة
حيث قال عذب فرات وملح اجاج وجعل بينهما برزخا هو الحاجز والحائل الذي جعله الله بينهما من
قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج ولا يحس وحجرا محجورا اي سترا مستورا يمنع احدهما من
الاختلاط بالآخر فلا يبغي احدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب فالبرزخ الحاجز والحجر المانع وقيل معناه
هو ما تقدم من انها كلمة يقولها المتعوذ كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له هذا
القول وهو استعارة تمثيلية وقيل حدا محدودا وقيل المراد من البحر العذب الانهار العظام كالنيل والفرات وجيحون
ومن البحر الاجاج البحار المشهورة والبرزخ بينهما الحائل من الارض وقيل معناه حراما محرما ان يعذب
هذا الملح بالعذب او يملح هذا العذب بالملح ومثل هذه الآية قوله سبحانه في سورة الرحمن مرج البحرين يلتقيان

بينهما برزخ لا يبغيان وعن ابن عباس قال حجر احدهما عن الآخر بامره وقضائه ثم ذكر سبحانه حالة
من احوال خلق الانسان من الماء فقال وهو الذي خلق من الماء بشرا اي خلق من ماء النطفة انسانا
وقيل المراد بالماء الماء المطلق الذي يراد في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل هو الماء الذي
خمرت به طينة آدم عليه السلام وجعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويتسلسل ويستعد لقبول الاشكال
والهيئات بسهولة قاله ابو السعود فجعله نسبا وصهرا اي جعله ذا نسب وصهر قيل المراد بالنسب هو
الذي لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه قاله الفراء والزجاج واشتقاق الصهر من صهرت
الشيء اذا خلطته وسميت المناكح صهرا لاختلاط الناس بها وقيل الصهر قرابة النكاح فقرابة الزوجة
هم الاختان وقرابة الزوج هم الاحماء والاصهار تعمهما قاله الاصمعي وفي القاموس الصهر بالكسر
القرابة والختن وجمعه اصهار وفي المصباح قال الخليل الصهر اهل بيت المرأة قال ومن العرب
من يجعل الاحماء والاختان جميعا اصهارا وقال الازهري الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات
المحارم كالابوين والاخوة واولادهم والاعمام والاخوال والخالات فهؤلاء اصهار زوج المرأة ومن
كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم فهم اصهار المرأة ايضا وقال ابن السكيت كل
من كان من قبل الزوج من ابيه او اخيه او عمه فهم الاحماء ومن كان من قبل المرأة فهم الاختان
ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت اليهم وفيهم صرت لهم صهرا انتهى وفي القرطبي النسب والصهر
معنيان يعمان كل قربى تكون بين آدميين قال الواحدي قال المفسرون النسب سبعة اصناف
من القرابة يجمعها قوله حرمت عليكم امهاتكم الى قوله وامهات نسائكم ومن هنا الى قوله ان تجمعوا
بين الاختين تحريم بالصهر وهو الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله
سبعة اصناف من النسب وسبعة من جهة الصهر اي السبب قد اشتملت الآية المذكورة على ستة
منها والسابعة قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقد جعل ابن عطية والزجاج وغيرهما الرضاع
من جملة النسب ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب اراد سبحانه تقسيم البشر
قسمين ذوي النسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر
اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وسئل عمر بن الخطاب عن نسب
وصهر فقال ما اراكم الا وقد عرفتم النسب فاما الصهر فالاختان والصحابة وكان ربك قديرا

اي بليغ القدرة عظيمها ومن جملة قدرته الباهرة خلق الانسان من النطفة الواحدة وتقسيمه
الى القسمين المذكورين ولما ذكر سبحانه دلائل التوحيد عاد الى ذكر قبائح الكفار وفضائح سيرتهم
فقال **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ** ان عبدوه **وَلَا يَضُرُّهُمْ** ان تركوه **وَكَانَ الْكَافِرُ**
عَلٰى رَبِّهِ ظَهِيرًا الظهير المظاهر اي المعاون على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هي المظاهرة
على رسوله او على دينه قال الزجاج لانه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله لان عبادتهم
للاصنام معاونة للشيطان وقال ابو عبيدة المعنى وكان الكافر على ربه هينا ذليلا من
قول العرب ظهرت به اي جعلته خلف ظهرك لم التفت اليه ومنه قوله تعالى واتخذتموه وراءكم
ظهريا وقيل ان المعنى وكان الكافر على ربه الذي يعبده وهو الصنم قويا غالبا يعمل به ما يشاء لان الجماد لا
قدرة له على دفع ونفع ويجوز ان يكون الظهير جمعا كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى
ان بعض الكفرة مظاهر لبعض على رسول الله صلى الله عليه وسلم او دين الله والمراد بالكافر هنا الجنس
ولا ينافيه كون سبب النزول هو كافر معينا كما قيل انه ابو جهل وقال ابن عباس يعني ابا الحكم الذي
سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا جهل بن هشام فالاظهر انه عام في كل كافر **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ** في حال
من الاحوال **إِلَّا** حال كونك **مُبَشِّرًا** للمؤمنين بالجنة **وَنَذِيرًا** للكافرين بالنار فلا تحزن على عدم ايمانهم و
اقتصر على صيغة المبالغة في الانذار لتخصيصه بالكافرين اذ الكلام فيهم والانذار الكامل لهم
او قيل ان المبالغة باعتبار الكم لشموله للعصاة جاز **قُلْ** يا محمد **مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ** اي على القرآن او على
تبليغ الرسالة المدلول عليها بالارسال او على ما ادعوكم اليه **مِنْ أَجْرٍ** اي عرض من عرض الدنيا
قاله ابن عباس والاستثناء في قوله **إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلٰى رَبِّهِ سَبِيلًا** منقطع اي لكن من شاء
فليفعل وقيل هو متصل والمعنى الا من شاء ان يتقرب اليه سبحانه بالطاعة وصور ذلك بصورة
الاجر من حيث انه مقصود الحصول ولما بين سبحانه ان الكفار متظاهرون على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامره ان لا يطلب منهم اجرا البتة امره ان يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع فقال
وَتَوَكَّلْ في استكفاء شرورهم والاستغناء عن اجورهم **عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** فانه الحقيق بان يتوكل
عليه وخص صفة الحياة اشارة الى ان الحي هو الذي يوثق به في المصالح والمنافع ودفع المضار ولا
حياة على الدوام الا لله سبحانه دون الاحياء المنقطعة حياتهم فانهم اذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم

وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق والتوكل اعتماد العبد على الله
في كل الامور والاسباب وسائط امر بها من غير اعتماد عليها وسبحه اي نزهه عن صفات النقصان
مقترنا بحمده وقيل معنى سبح صل والصلوة تسمى تسبيحا وكفى به بذنوب عباده خبيرا اي
حسبك وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك كفى بالله ربا والخبير المطلع على الامور بحيث لا يخفى
عليه منها شيء فلا لوم عليك ان امنوا او كفروا وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير
عالم قدير على مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمتم على مخالفة امره كفاكم علمه في
مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة ثم زاد في المبالغة فقال الذي خلق السموات والارض لعل
ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه
وما بينهما ولم يقل بينهن لانه اراد النوعين والمعنى خلقهما في ستة ايام فخلق الارض في يومين
الاحد والاثنين وما بينهما في يومين الثلثاء والاربعاء والسموات في يومين الخميس والجمعة وفرغ من
اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل في مقدار هذه المدة لانه لم يكن ثم ليل ولا نهار وانما خلقها
في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت والتاني في الامر والتودة في
التدريج فان قيل يلزم ان يكون خلق العرش بعد خلق السموات والارض كما يفيده قوله ثم استوى
على العرش فيقال ان كلمة ثم لم تدخل على خلق العرش بل على علوه على السموات والارض والعرش
في اللغة سرير الملك والمراد هنا الجسم العظيم المحيط بالعالم الكائن فوق السموات السبع والاستواء صفة
لله سبحانه معناها مباينته عن الخلق وكونه على الذات وفوق العالم وقد تقدم الكلام عليها
في سورة الاعراف واخواتها الرحمن خبر مبتدأ محذوف اي هو الرحمن او بدل من الضمير في استوى
وقرئ بالجر على انه نعت للحي او للموصول او مبتدأ وخبره فاسئل به خبيرا على راي الاخفش والضمير
المجرور يعود الى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش والمعنى فاسال بتفاصيل ما
ذكر اجمالا من هذه الامور عليما وقال الزجاج والاخفش الباء بمعنى عن اي فاسال عنه كقوله سال
سائل بعذاب واقع والمراد بالخبير الله سبحانه لانه لا يعلم تفاصيل تلك المخلوقات الا هو وقيل جبريل
عليه السلام والاول اولى وما قيل ان التقدير ان شككت فيه فاسال به خبيرا على ان الخطاب له
صلعم والمراد غيره فهو بمعزل من السداد وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه

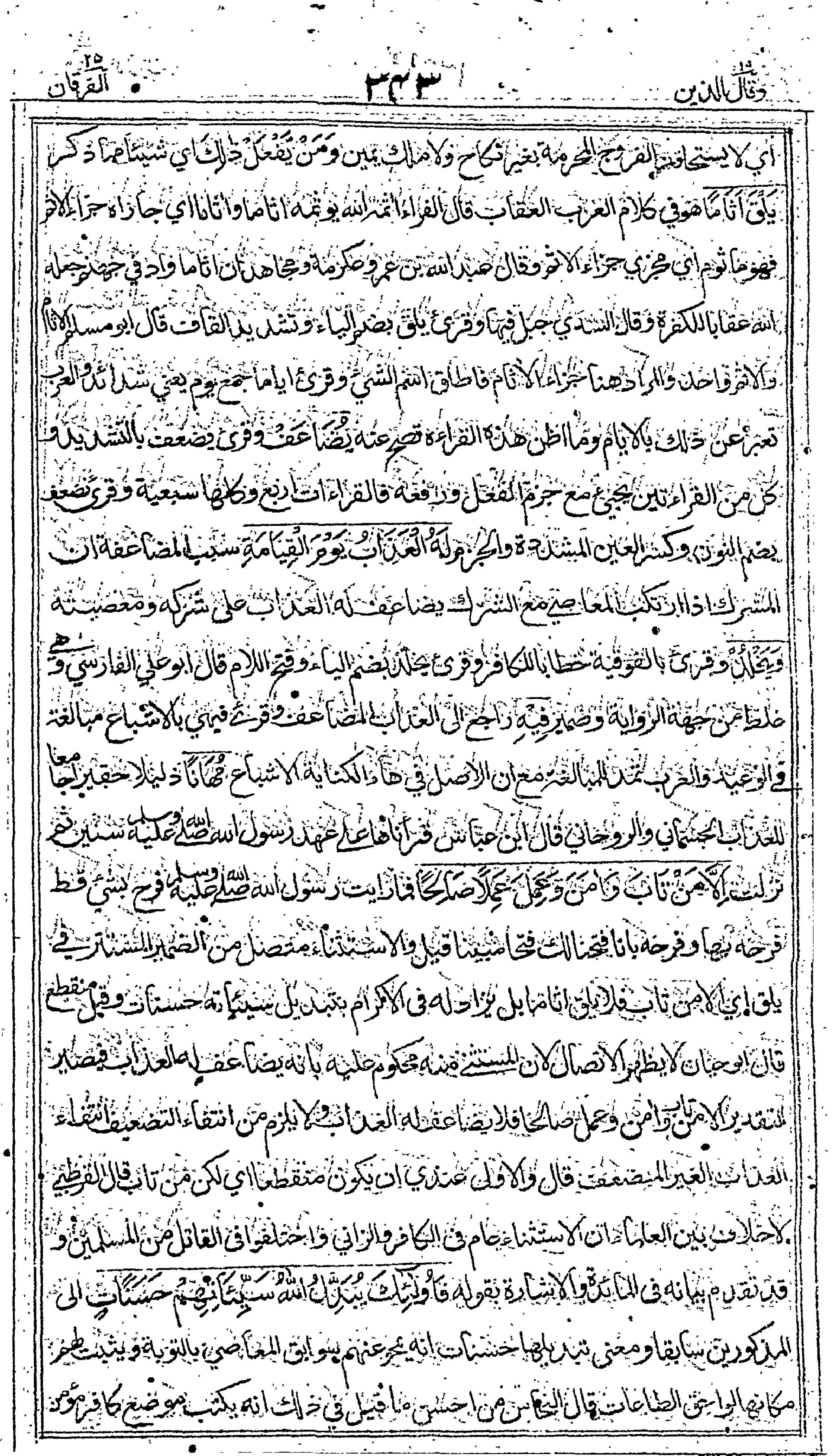
وقيل الضمير للرحمن اي ان انكروا اطلاقه عليه سبحانه فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب
ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وانتصاب خبيرا على المفعولية او على الحال المؤكدة واستضعف الحالية
ابو البقاء وقال ابن جرير المعنى فاسأل حال كونه خبيرا وعلى هذا الباء في به زائدة وقيل قوله به
يجري مجرى القسم كقوله واتقوا الله الذي تساءلون به والوجه الاول اقرب هذه الوجوه ثم اخبر سبحانه
عنهم بانهم جهلوا معنى الرحمن فقال وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ قال المفسرون
انهم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة قال الزجاج الرحمن اسم من اسماء الله فلما
سمعوه انكروا فقالوا وما الرحمن أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا الاستفهام للانكار اي لا نسجد لما تأمرنا اي للرحمن الذي تأمرنا
بالسجود له ومن قرأ بالتحتية فالمعنى انسجد لما يأمرنا محمد بالسجود له قيل هذه السجدة من عزائم السجود
فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند سماعها وقراءتها وَزَادَهُمْ الامر بالسجود نُفُورًا عن الدين
وبعدا عنه وقيل زادهم ذكر الرحمن تباعدا من الايمان كذا قال مقاتل والاول اولى ثم ذكر سبحانه
ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرحمن فقال تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا المراد بها
بروج النجوم السبعة السيارة اي منازلها ومحالها الاثنا عشر التي تسير فيها وقال الحسن وقتادة
ومجاهد هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها والاول اولى واصل البروج القصور العالية لانها
للكواكب كالمنازل الرفيعة لمن يسكنها واشتقاق البروج من التبرج وهو الظهور وقال الزجاج ان
البرج كل مرتفع فلا حاجة الى التشبيه او النقل قال ابن عباس في الاية هي هذه الاثنا عشر برجا
اولها الحمل ويسمى بالكبش ثم الثور ثم الجوزاء ثم السرطان ثم الاسد ويسمى بالليث ثم السنبلة ثم الميزان
ثم العقرب ثم القوس ثم الجدي ثم الدلو ويسمى بالدالي ثم الحوت وقد نظمها بعضهم في قوله شعر
حمل الثور جوزة السرطان + ورعى الليث سنبل الميزان + ورمى عقرب بقوس لجدي + نزح الدلو
بركة الحيتان + وهي منازل الكواكب السيارة السبعة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور
والميزان وعطارد وله الجوزا والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشتري وله
القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو وقاله المحلي وقد نظم بعضهم هذه السبعة بقوله شعر
زحل شرى مريخه من شمسه + فتزاهرت لعطارد الاقمار + فزحل نجم في السماء السابعة و
للمشتري نجم في السماء السادسة والمريخ نجم في السماء الخامسة والشمس في الرابعة والزهرة في الثالثة

وعطارد في الثانية والقمر في الاولى والحاصل ان خمسة من الكواكب السبعة اخذت عشرة بروج
كل واحد اخذ اثنين وان اثنين من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما اخذ واحدا من البروج
المذكورة (وجعل فيها سراجا) اي شمسا ومثله قوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا بالجمع اي
النجوم العظام الوقادة ورجح الاولى ابو عبيد وقال الزجاج في تاويل الثانية اراد الشمس والكواكب
(وقمرا منيرا) اي ينير الارض اذا طلع وقرئ قمرا بضم القاف واسكان الميم وهي قراءة ضعيفة
شاذة وخص القمر بالذكر لنوع فضيلة عند العرب لانها تبني السنة على الشهور القمرية (وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة) قال ابو عبيد الخلفة كل شيء بعد شيء الليل خلفة للنهار والنهار خلفة
لليل لان احدهما يخلف الآخر ويأتي بعده ومنه خلفة النبات وهو ورق يخرج بعد الورق
الاول في الصيف قال الفراء يقول يذهب هذا ويجيء هذا وقال مجاهد وابن عباس خلفة من
الخلاف هذا ابيض وهذا اسود والاول اقوى وقيل يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة
والنقصان وقيل هو من باب حذف المضاف اي جعل الليل والنهار ذوي خلفة اي اختلاف قال ابن
عباس وعمر والحسن يقول من فاته شيء من الخير بالليل ان يعمله ادركه بالنهار ومن فاته بالنهار
ادركه بالليل وعن الحسن ان عمر اطال صلوة الضحى فقيل له صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه
فقال انه بقي علي من وردي شيء فاحببت ان اتمه او قال اقضيه وتلى هذه الآية (لمن اراد
ان يذكر) مشددا من التذكر لله وقرئ مخففا من الذكر له والمعنى ان المتذكر المعتبر اذا نظر
في اختلاف الليل والنهار علم انه لابد في انتقالهما من حال الى حال من ناقل وقيل المعنى يتذكر
فيعلم ان الله لم يجعلهما كذلك عبثا فيعتبر في مصنوعات الله ويشكره سبحانه على نعمه عليه
في العقل والفكر والفهم قال الفراء يذكر ويتذكر ياتيان بمعنى واحد قال الله تعالى واذكروا ما فيه
وفي حرف عبد الله ويذكروا ما فيه (او اراد شكورا) اي اراد ان يشكر الله على ما اودعه في الليل
والنهار من النعم العظيمة والالطاف الكثيرة واو للتقسيم والتنويع وهي مانعة خلو فتجوز الجمع (وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) هذا كلام مستانف مسوق لبيان اوصاف صالحي
عباد الله سبحانه واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال المنافقين قيل هذه الاضافة
للتخصيص والتشريف والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله وهونا مصدر وهو السكينة والوقار والتواضع

وقد ذهب جماعة من المفسرين الى ان الهون متعلق بيمشون اي مشيا هونا قال ابن عطية ويشبه
ان يتأول هذا على ان يكون اخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيه واما ان يكون المراد صفة
المشي وحده فباطل لانه رب ماش هونا رويدا وهو ذيب اطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتكفأ في مشيه كانما يمشي في صبب قال ابن عباس في الآية هم المؤمنون الذين يمشون على الارض
هونا اي بالطاعة والعفاف والتواضع وقال ايضا هونا اي علماء وحلماء والمعنى يمشون بالسكينة
والوقار متواضعين غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء اصحاب وقار وعفة ولذا
كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشي في الاسواق وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا ذكر سبحانه انهم يتحملون ما يرد عليهم من اذى اهل الجهل والسفه فلا يجهلون مع من يجهل
ولا يسافهون اهل السفه قال النحاس ليس هذا السلام من التسليم انما هو من التسلم تقول العرب
سلاما اي تسلما منك اي براءة منك يعني قالوا اسلمنا اسلاما وهذا على قول سيبويه او مفعول به
اي قالوا هذا اللفظ ورجحه ابن عطية وقال مجاهد معنى سلاما سدادا اي يقولون للجاهل كلاما
يدفعه به برفق ولين قال سيبويه لم يؤمر المسلمون يومئذ ان يسلموا على المشركين لكنه على معنى
قوله تسلما منكم ومتاركة لاخير ولا شر بيننا وبينكم قال المبرد كان ينبغي ان يقال لم يؤمر المسلمون يومئذ
بحربهم ثم امروا بحربهم وقال محمد بن اليزيد المبرد اخطأ سيبويه في هذا واساء العبارة قال
النحاس ولا نعلم لسيبويه كلاما في معنى الناسخ والمنسوخ الا في هذه الآية لانه قال في آخر كلامه
فنسختها آية السيف وأقول هكذا يكون كلام الرجل اذا تكلم في غير علمه ومشى في غير طريقته ولم
يؤمر المسلمون بالسلام على المشركين ولا نهوا عنه بل امروا بالصفح والهجر الجميل فلا حاجة الى دعوى النسخ
وفي الخطيب عن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى دعاء النسخ بها ولا غيرها لان الاغضاء
عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة اسلم للعرض والورع وقال ابن العربي
لم يؤمر المسلمون يومئذ ان يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك بل امروا بالصفح والهجر الجميل وقد كان
عليه الصلوة والسلام يقف على انديتهم ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم قال النضر بن شميل حدثني
الخليل قال اتيت ابا ربيعة الاعرابي وكان من اعلم من رأيت فاذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا
السلام وقال لنا استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال فقال لنا اعرابي الى جنبه امركم ان ترتفعوا

قال الخليل هو من قول الله ثم استوى الى السماء فصعدنا اليه فقال هل لكم في خبز فطير ولبن هجير
فقلنا الساعة فارقناه فقال سلاما فلم ندر ما قال فقال الاعرابي انه سالمكم متاركة لا خير فيها
ولا شر قال الخليل هو من قول الله عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال الحسن هذا
وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا على وجوههم وقياما
على اقدامهم وبيان لحالهم في معاملة الخالق بعد بيان حالهم في معاملة الخلق وتخصيص البيتوتة
لان العبادة بالليل احمض وابعد عن الريا وتاخير القيام للفاصلة والبيتوتة هي ان يدركك الليل
نمت ام لم تنم قال الزجاج من ادركه الليل فقد بات نام او لم ينم كما يقال بات فلان قلقا قال
النسفي والظاهر انه وصفهم باحياء الليل او اكثره والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان غراما اي لزوما كليا في حق الكفار ولزوما بعده اطلاق الى الجنة في حق
عصاة المؤمنين اي هم مع طاعتهم وحسن معاملتهم لخالقهم وخلقه لا يأمنون مكر الله
بل هم مشفقون وجلون خائفون من عذابه والغرام الشر اللازم الدائم قاله ابن زيد كما ورد
مرفوعا اليه صلى الله عليه وسلم ومنه سمي الغريم لملازمته ويقال فلان مغرم بكذا اي ملازم له مولع به
هذا معناه في كلام العرب كما ذكره ابن الاعرابي وابن عرفة وغيرهما وقال الزجاج الغرام اشد
العذاب وقال ابو عبيدة هو الهلاك الدائم انها ساءت تعليل لما قبلها اي بئست جهنم واحزنت
اصحابها وداخليها مستقرا ومقاما المراد بهما جهنم فلذلك جاز تانيث فعله قيل هما مترادفان
وانما عطف احدهما على الاخر لاختلاف لفظهما وقيل بل هما مختلفان معنى فالمستقر للعصاة فانهم
يخرجون والمقام للكفار فانهم يخلدون والمخصوص بالذم محذوف اي هي ويجوز ان يكون هذا
من كلام الله سبحانه ويجوز ان يكون حكاية لكلامهم ثم وصف سبحانه بالتوسط في الانفاق
فقال والذين اذا انفقوا على عيالهم لم يسرفوا ولم يقتروا بفتح التحتية وضم الفوقية من قتر
يقتر كقعد يقعد وقرئ بفتح التحتية وكسر التاء وهي لغة معروفة حسنة وقرئ بضم التحتية و
كسر الفوقية قال ابو عبيدة يقال قتر الرجل على عياله يقتر ويقتر قترا واقتر يقتر اقتارا ومعنى الجميع
التضييق في الانفاق قال النحاس من احسن ما قيل في معنى الآية ان من انفق في غير طاعة الله
فهو الاسراف ومن امسك عن طاعة الله فهو الاقتار ومن انفق في طاعة الله فهو القوام وقال

ابراهيم النخعي هو الذي لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة تقول الناس قد اسرف وقال يزيد بن ابي حبيب
اولئك اصحاب محمد كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون
من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة الله ومن اللباس ما يستر عوراتهم ويقيهم
الحر والبرد وقال ابو عبيدة لم يزيدوا على المعروف ولم يبخلوا كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك ولا تبسطها كل البسط قال ابن عباس هم المؤمنون لا يسرفون فينفقوا في معصية الله
ولا يقترون فيمنعوا حقوق الله قال عمر بن الخطاب كفى سرفا ان لا يشتهي شيئا الا اشتراه واكله
وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه
وكان بين ذلك قواما بفتح القاف وقرئ بكسرها فقيل هما بمعنى وقيل القوام بالكسر ما يدوم عليه
الشيء ويستقر وبالفتح العدل والاستقامة قاله ثعلب وقيل بالفتح العدل بين الشيئين وبالكسر
ما يقام به الشيء لا يفضل عنه ولا ينقص وقيل بالكسر السداد والمبلغ واسم كان مقدر فيها وخبرها
قواما قاله الفراء اي كان انفاقهم بين ذلك قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين
السيئتين وروي عن الفراء قول آخر وهو ان اسم كان بين ذلك وتبنى بين على الفتح لانها من الظروف
المفتوحة وقال النحاس ما ادري ما وجه هذا لان بينا اذا كانت في موضع رفع رفعت والذين
لا يدعون مع الله الها آخر لما فرغ من ذكر اتيانهم بالطاعات شرع في بيان اجتنابهم للمعاصي فقال
لا يدعون معه ربا من الارباب ولا يشركون به شيئا بل يوحدونه ويخلصون له العبادة والدعوة
وقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اكبر
قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت
ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الآية واخرجا
وغيرهما ايضا عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا واتوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين
لا يدعون الآية ونزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية ولا يقتلون النفس التي
حرم الله قتلها بسبب من الاسباب الا بالحق اي بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها اي بما يحق ان
تقتل به النفوس من كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس ولا يزنون



أي لا يستحلون الفروج المحرمة بغير نكاح ولا ملك يمين ومن يفعل ذلك أي شيئا مما ذكر
يلق أثاما هو في كلام العرب العقاب قال الفراء أثمه الله يؤثمه أثاما وأثاما أي جازاه جزاء الإثم
فهو مأثوم أي مجزي جزاء الإثم وقال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد إن أثاما واد في جهنم جعله
الله عقابا للكفرة وقال السدي جبل فيها وقرئ يلق بضم الياء وتشديد القاف قال أبو مسلم الأثام
والإثم واحد والمراد هنا جزاء الآثام فأطلق اسم الشيء وقرئ أياما جمع يوم يعني شدائد والعرب
تعبر عن ذلك بالأيام وما أظن هذه القراءة تصح عنه يضاعف وقرئ يضعف بالتشديد و
كل من القراءتين يجيء مع جزم الفعل ورفعه فالقراءات أربع وكلها سبعية وقرئ نضعف
بضم النون وكسر العين المشددة والجزم له العذاب يوم القيامة سبب المضاعفة أن
المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته
ويخلد وقرئ بالفوقية خطابا للكافر وقرئ يخلد بضم الياء وفتح اللام قال أبو علي الفارسي وهي
غلط من جهة الرواية وضمير فيه راجع إلى العذاب المضاعف وقرئ فيهي بالإشباع مبالغة
في الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع أن الأصل في هاء الكناية الإشباع مهانا ذليلا حقيرا جامعا
للعذاب الجسماني والروحاني قال ابن عباس قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين ثم
نزلت إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشيء قط
فرحه بها وفرحه بإنا فتحنا لك فتحا مبينا قيل والاستثناء متصل من الضمير المستتر في
يلق أي إلا من تاب فلا يلق أثاما بل يزاد له في الإكرام بتبديل سيئاته حسنات وقيل منقطع
قال أبو حيان لا يظهر الاتصال لأن المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير
التقدير إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء
العذاب الغير المضعف قال والأولى عندي أن يكون منقطعا أي لكن من تاب قال القرطبي
لا خلاف بين العلماء أن الاستثناء عام في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين و
قد تقدم بيانه في المائدة والإشارة بقوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات إلى
المذكورين سابقا ومعنى تبديلها حسنات أنه يمحو عنهم سوابق المعاصي بالتوبة ويثبت
مكانها لواحق الطاعات قال النحاس من أحسن ما قيل في ذلك أنه يكتب موضع كافر مؤمن

وموضع عاص مطيع قال الحسن قوم يقولون هذا التبديل في الآخرة وليس كذلك انما
التبديل في الدنيا يبدل الله لهم ايمانا مكان الشرك واخلاصا من الشك واحصانا من الفجور
وقتل المشرك مكان المؤمن قال الزجاج ليس يجعل مكان السيئة الحسنة ولكن يجعل مكان
السيئة التوبة والحسنة مع التوبة وقيل ان السيئات تبدل الحسنات وبه قال جماعة من
الصحابة ومن بعدهم وقيل تبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة بأن يزيل
الاولى ويأتي بالثانية مكانها وقيل التبديل عبارة عن الغفران اي يغفر الله لهم تلك السيئات
لا انه يبدلها حسنات قلت ولا يبعد في كرم الله تعالى اذا صحت توبة العبد ان يضع مكان
كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
وقال ابن عباس ابدلهم الله بالكفر الاسلام وبالمعصية الطاعة وبالانكار المعرفة وبالجهالة
العلم وعنه قال هم المؤمنون كانوا من قبل ايمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن ذلك فحولهم
الى الحسنات فابدلهم مكان السيئات الحسنات واخرج احمد وهناد والترمذي وابن جرير و
البيهقي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار
ذنوبه فيعرض عليه صغارها وينحى عنه كبارها فيقال عملت كذا وكذا وهو يقر ليس ينكر وهو مشفق
من الكبائر ان تجيء فيقال اعطوه بكل سيئة عملها حسنة والاحاديث في تكفير السيئات وتبديلها
بالحسنات كثيرة وكان الله غفورا رحيما مقررة لما قبلها من التبديل وتكفير السيئات بالحسنات
اي لم يزل متصفا بذلك ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما
فرط فانه يتوب يرجع الى الله متابا مرجعا صحيحا مرضيا قويا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب
او متابا الى الله الذي يحب التائبين ويحسن اليهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا
وهذا تعميم بعد تخصيص قال القفال يحتمل ان تكون الآية الاولى فيمن تاب من المشركين ولهذا
قال الا من تاب وآمن ثم عطف عليه ومن تاب من المسلمين واتبع توبته عملا صالحا فله حكم التائبين
ايضا وقيل اي من تاب بلسانه ولم يحقق التوبة بفعله فليست تلك التوبة نافعة بل من تاب و
عمل صالحا فحقق توبته بالاعمال الصالحة فهو الذي تاب الى الله متابا اي تاب حق التوبة وهي
النصوح ولذلك اكد بالمصدر ومعنى الآية من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فالخبر في معنى

الامر كذا قيل لئلا يتحد الشرط والجزاء فانه لا يقال من تاب فانه يتوب وقيل المعنى من تاب من
الشرك وادى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يعود الى الله بعد الموت حسنا يفضل على غيره
ممن قتل وزنى فالاية الاولى رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافاة والاول
اولى ثم وصف سبحانه هؤلاء التائبين العاملين للصالحات فقال والذين لا يشهدون الزور
اي لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون الزور وهو الكذب والباطل ولا يشاهدونه والى
الثاني ذهب جمهور المفسرين قال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله
قال الواحدي اكثر المفسرين على ان الزور ههنا بمعنى الشرك والحاصل ان يشهدون ان كان
من الشهادة ففي الكلام مضاف محذوف اي لا يشهدون شهادة الزور وان كان من الشهود
الحضور كما ذهب اليه الجمهور فقد اختلفوا في معناه فقال قتادة لا يساعدون اهل الباطل
على باطلهم وقال محمد بن الحنفية لا يحضرون اللهو والغناء وقال ابن جريج الكذب وعن مجاهد
ايضا وقيل ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة
الشر واهله وقيل اعياد المشركين وقيل النوح والاولى عدم التخصيص بنوع دون نوع من
انواع الزور بل المراد الذين لا يحضرون ما يصدق عليه اسم الزور كائنا ما كان وعن ابن
عباس قال ان الزور كان صنما بالمدينة يلعبون حوله كل سبعة ايام واذا مروا باللغو على سبيل
الاتفاق من غير قصد مروا كراما اي معرضين عنه غير ملتفتين اليه مكرمين انفسهم
عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية
عما يستهجن التصريح به قال ابن عباس كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مروا به يعني الصنم
المذكور مروا كراما لا ينظرون اليه كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقال الباقر اذا ذكروا
الفروج كنوا عنها وقيل الشتم والاذى واللغو كل ساقط من قول او فعل قال الحسن اللغو
المعاصي كلها وقيل المراد مروا بذوي اللغو يقال فلان يكرم عما يشينه اي يتنزه ويكرم نفسه
عن الدخول في اللغو والاختلاط باهله والذين اذا ذكروا بايات ربهم اي بالقران او بما
فيه من موعظة وعبرة لم يخروا عليها لم يسقطوا او لم يقعوا عليها حال كونهم صما وعميانا
ولكنهم اكبوا عليها سامعين مبصرين باذان واعية وعيون راعية وانتفعوا بها قال ابن قتيبة

المعنى لم يثبتا فلو اعنهما كانهم صم لم يسمعوها وعمي لم يبصروها قال ابن جرير ليس ثم خرور بل كما
يقال قعد يبكي وان كان غير قاعد قال ابن عطية كان المستمع للذكر قائما فاذا اعرض عنه
كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام قيل المعنى اذا تليت عليهم ايات الله وجلت قلوبهم
فخروا سجدا وبكيا ولم يخروا عليها صما وعميانا قال الفراء اي لم يقعدوا على حالهم الاول كان لم يسمعوا
قال في الكشاف ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى واراد ان النفي متوجه الى
القيد لا الى المقيد والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا من ابتدائية او بيانية قاله
الزمخشري وذرياتنا قرئ بالجمع وبالافراد وهما سبعيتان والذرية تقع على الجمع كما في قوله ذرية
ضعافا وتقع على الفرد كما في قوله ذرية طيبة قرة اعين يقال قرت عينه قرة قال الزجاج يقال
اقر الله عينك اي صادف فؤادك ما تحبه وقال المفضل في قرة العين ثلاثة اقوال احدها
برد دمعها لانه دليل السرور والضحك كما ان حره دليل الحزن والغم والثاني نومها لانه
يكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن والثالث حصول الرضاء قال ابن عباس يعنون من يعمل
بالطاعة فتقر به اعيننا في الدنيا والاخرة فانه ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته
واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع ان يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك
واجعلنا للمتقين اماما اي قدوة يقتدى بنا في الخير واقامة مراسم الدين بافاضة العلوم
والتوفيق للعمل الصالح وانما قال اماما ولم يقل ائمة لانه اريد به الجنس كقوله ثم يخرجكم طفلا قال
الفراء قال اماما ولم يقل ائمة كما قال للاثنين انا رسول رب العالمين يعني انه من الواحد الذي
اريد به الجمع وقال الاخفش الامام جمع ام من ام يؤم جمع على فعال نحو صاحب وصحاب وقائم وقيام
وقيل ان اماما مصدر يقال ام فلان فلانا اماما مثل الصيام والقيام وقيل اراد واجعل كل واحد
منا اماما وقيل اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحاد كلمتنا واتفاق طريقتنا وقيل انه من الكلام
المقلوب وان المعنى واجعل المتقين لنا اماما وبه قال مجاهد وقيل ان هذا الدعاء صادر عنهم
بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما ولكنها
حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير لقصد الايجاز كقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وفي هذا ابقاء اماما على حاله قال القفال وعندي ان الامام اذا ذهب به مذهب الا

وحد كأنه قيل اجعلنا حجة للمتقين ومثله البينة يقال هؤلاء بينة فلان قال الحفناوي ولفظ
امام يستوي فيه الجمع وغيره فالمطابقة حاصلة قال النيسابوري قيل في الآية دلالة على ان الرياسة
الدينية مما يجب ان تطلب و ترغب فيها والاقرب انهم سألوا الله ان يبلغهم في الطاعة المبلغ
الذي يشار اليهم ويقتدى بهم وقال ابن عباس في الآية ائمة هدى يهتدى بنا ولا تجعلنا
ائمة ضلالة لانه قال لاهل السعادة وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا ولاهل الشقاوة وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار أولئك اشارة الى المتصفين بتلك الصفات المفصلة في حيز الموصولات الثمانية
من حيث اتصافهم بها وفيه دليل على انهم متميزون بذلك اكمل تمييز ومنتظمون في سلك
الامور المشاهدة وهو مبتدأ وخبره ما بعده والجملة مستأنفة وقيل غير ذلك يجزون الغرفة
اي الدرجة الرفيعة وهي اعلى منازل الجنة وافضلها كما ان الغرفة اعلى مساكن الدنيا وهي في الاصل
كل بناء مرتفع والجمع غرف وقال الضحاك الغرفة الجنة اي يجزون الجنة ووحد الغرفة لانها على
الجنس بدليل قوله وهم في الغرفات آمنون وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغرفة
من ياقوتة حمراء وزبرجدة خضراء ودرة بيضاء ليس فيها فصم ولا وصم اخرجه الحكيم الترمذي
بما صبروا اي بسبب صبرهم على مشاق التكليفات والطاعات ورفض الاهواء والشهوات وتحمل
المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما بضم الياء مشددا واختاره ابو عبيد اي يعطون لقوله
ولقاهم نضرة وسرورا وقرئ يلقون بفتح الياء مخففا واختاره الفراء ومعناه يجدون ويصادفون
قال لان العرب تقول فلان يلقى بالسلام والتحية وبالخير وقل ما يقولون يلقى والمعنى انه يحيي بعضهم بعضا
ويرسل اليهم الرب سبحانه بالسلام وقيل التحية البقاء الدائم والملك العظيم وقيل هي بمعنى السلام وقيل
ان الملائكة تحييهم وتسلم عليهم والظاهر ان هذه التحية والسلام هي من الله سبحانه لهم ومن ذلك
قوله سبحانه تحيتهم يوم يلقونه سلام وقيل معنى التحية الدعاء لهم بطول الحياة والتعمير ومعنى
السلام الدعاء لهم بالسلامة من الآفات وقيل المراد بالتحية اكرام الله تعالى لهم بالهدايا والتحف
وبالسلام سلامه عليهم بالقول خالدين فيها اي مقيمين فيها من غير موت ولا خروج حسنت الغرفة
مستقرا اي موضع قرار يستقرون فيه ومقاما يقيمون فيه وهذا في مقابل ما تقدم من قوله ساءت
مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربي بين سبحانه انه غني عن طاعة الكل وانما كلفهم لينتفعوا

بالتكليف يقال ما عبأت بفلان اي ما باليت به ولا له عندي قدر واصل يعبأ من العبء وهو الثقل
قال الخليل ما اعبأ بفلان اي ما اصنع به كانه يستقله ويستحقره ويدعي ان وجوده وعدمه
سواء وكذا قال ابو عبيدة قال الزجاج ما يعبأ بكم ربي يريد اي وزن يكون لكم عنده او ما يصنع بكم
او يعبأ بكم والعبء الثقل وما استفهامية او نافية وصرح الفراء بانها استفهامية قال ابن الشجري
وحقيقة القول عندي ان موضع ما نصب والتقدير اي عبء يعبأ بكم اي اي مبالاة يبالي بكم واي
اعتداد يعتد بكم لولا دعاؤكم اي لولا دعاؤه اياكم لتعبدوه وعلى هذا فالمصدر الذي هو الدعاء مضاف
الى مفعوله وهو اختيار الفراء وفاعله محذوف وجواب لولا محذوف تقديره لولا دعاؤكم لم يعبأ بكم
ويؤيد هذا قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والخطاب لجميع الناس وعن ابن عباس
في الاية قال يقول لولا ايمانكم فاخبر الله سبحانه انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كانت
له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حببه الى المؤمنين وقيل ان المصدر مضاف الى الفاعل اي
لولا استغاثتكم اليه في الشدائد وقيل المعنى ما يعبأ بكم اي بمغفرة ذنوبكم لولا دعاؤكم الالهة معه
وممن قال ان الدعاء مضاف الى الفاعل القتيبي والفارسي قالا والاصل لولا دعاؤكم الهة من
دونه وجواب لولا محذوف اي لولا دعاؤكم لم يعذبكم قال ابو السعود امر رسوله بان يبين للناس
ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم
ولولاها لم يعتد بهم اصلا يعني انما اكترث باولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم لاجل عبادتهم وحدها
لا لمعنى اخر ولولا عبادتهم لم يكترث بهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالي به فقاله
الزمخشري ثم خص الكفار منهم فقال فقد كذبتم وقرأ ابن الزبير فقد كذب الكافرون وبه قرأ
ابن عباس وابن مسعود كما حكاه ابن جني وفي هذه القراءة دليل بين على ان الخطاب لجميع الناس
ويكون معنى فقد كذبتم على الاول فقد كذبتم بما دعيتم اليه وعلى الوجه الثاني فقد كذبتم بالتوحيد
ثم قال سبحانه فسوف يكون لزاما اي يكون جزاء التكذيب لازما لكم وجمهور المفسرين على ان المراد
باللزام هنا ما لزم المشركين يوم بدر وبه قال ابن مسعود وقالت طائفة هو عذاب الاخرة قال ابو عبيدة
لزاما فيصلا بينكم وبين المؤمنين وقال الزجاج يكون تكذيبكم لزاما يلزمكم فلا تعطون التوبة
وجمهور القراء على كسر اللام من لزاما قال ابن جرير لزاما عذابا دائما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم ببعض

وقرأ أبو السمال لزاماً بفتح اللام قال أبو جعفر يكون مصدر لزم والكسر أولى وقال ابن عباس لزاماً موتاً وقيل وفي
الصحيحين عنه قال خمس قد مضين أي خمس علامات دالة على قيام الساعة الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام

سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آية وهي مكية عند الجمهور

وبه قال ابن الزبير وقال ابن عباس سوى خمس آيات من آخرها نزلت بالمدينة وهي والشعراء
يتبعهم الغاوون إلى آخرها وأخرج القرطبي في تفسيره عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أعطاني
السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني الطواسين مكان الزبور و
فضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أعطيت المفصل نافلة قال ابن كثير ووقع في تفسير مالك تسميتها بسورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم محله الرفع على الابتداء إن كان اسماً للسورة كما ذهب إليه الأكثر أو على أنه خبر أو التقدير اذكر
أو اقرأ وأما إذا كان مسروداً على نمط التعديد كما تقدم مراراً فلا محل له من الإعراب وقد قيل إنه اسم
من أسماء الله سبحانه وقيل إنه اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه
وقال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وهو الحق في المقام ولذا قال المحلي الله أعلم بمراده
بذلك تلك أي السورة أو آيات هذه السورة آيات الكتاب أي القرآن المبين أي المبين المظهر للحق من
الباطل أو البين الظاهر إعجازه إن كان من أبان اللازم بمعنى بان وهذا المعنى أليق بالمقام وأوفق بالمرام
ولذا اقتصر عليه صاحب الكشاف لعلك باخع أي قاتل ومهلك نفسك لعل هنا للإشفاق أي
أشفق عليها بتخفيف هذا الغم والبخع في الأصل أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق في القفا وقد مضى تحقيق
هذا في سورة الكهف وقرئ باخع نفسك بالإضافة والمعنى لعلك قاتل نفسك أن لا يكونوا
أهل مكة مؤمنين أي لعدم إيمانهم بما جئت به وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان
حريصاً على إيمان قومه شديد الأسف لما يراه من إعراضهم إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية
مستأنفة مسوقة لتعليل ما سبق من التسلية والمعنى ننزل آية تلجئهم إلى الإيمان ولكن قد سبق القضاء

بانا لا ننزل ذلك وتقديم الظرفين على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فظلت اعناقهم لها خاضعين اي انهم صاروا منقادين لها اي فتظل اعناقهم قيل واصله
فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق للتقرير والتصوير لان الاعناق موضع الخضوع وقيل انها لما
وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم ووصفت بما يوصفون به قال عيسى بن عمر
خاضعين وخاضعة سواء واختاره المبرد والمعنى انها اذا ذلت رقابهم ذلوا فالاخبار عن الرقاب
اخبار عن اصحابها ويسوغ في كلام العرب ان يترك الخبر عن الاول ويخبر عن الثاني وقال ابو عبيدة
والكسائي ان المعنى خاضعيها هم وضعفه النحاس وقال مجاهد اعناقهم كبراؤهم قال النحاس
وهذا معروف في اللغة يقال جاءني عنق من الناس اي رؤساء منهم وقال ابو زيد والاخفش اعناقهم
جماعاتهم يقال جاءني عنق منهم اي جماعة وقال ابن عباس خاضعين ذليلين وما يأتيهم من
ذكر من الرحمن محدث من مزيدة لتاكيد المعنى ومن الرحمن لابتداء الغاية محدث انزاله وكلما نزل شيء من القرآن بعد
شيء فهو احدث من الاول الا كانوا عنه معرضين اي انه لا يجدد لهم موعظة وتذكيرا الا جددوا
ما هو نقيض المقصود وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء والجملة حالية والاستثناء مفرغ
اعم العام وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة الانبياء فقد كذبوا بالذكر الذي يأتيهم
تكذيبا صريحا ولم يكتفوا بمجرد الاعراض وقيل ان الاعراض بمعنى التكذيب لان من اعرض عن
شيء ولم يقبله فقد كذبه وعلى هذا فيكون ذكر التكذيب للدلالة على صدور ذلك منهم على وجه
التصريح والاول اولى فالاعراض عن الشيء عدم الالتفات اليه ثم انتقلوا عن هذا الى ما هو اشد
منه وهو التصريح بالتكذيب ثم انتقلوا عن التكذيب الى ما هو اشد منه وهو الاستهزاء كما يدل
عليه قوله فسيأتيهم انباء وهي ما يستحقونه من العقوبة اجلا وعاجلا وسميت انباء
لكونها مما انبأ عنه القرآن وقال ما كانوا به يستهزءون ولم يقل ما كانوا عنه معرضين او ما
كانوا به يكذبون لان الاستهزاء اشد منهما ومستلزم لهما وفي هذا وعيد شديد وقد مر تفسير
مثل هذا في سورة الانعام ثم ذكر سبحانه ما يدل على كمال قدرته من الامور الحسية التي يحصل
بها للمتأمل فيها والناظر اليها والمستدل بها اعظم دليل واوضح برهان وبين انه اظهر لهم ادلة تحتة
في الارض وقتا بعد وقت تدل على توحيده ومع ذلك استمر اكثرهم على الكفر فقال أولم يروا الهمزة للتوبيخ والواو

للعطف على مقدر كما في نظائره إلى الأرض أي إلى عجائبها وبين بعضها بقوله كم أنبتنا فيها أي
كثيراً من كل زوج كريم فنبه سبحانه على عظمته وقدرته وأن هؤلاء المكذبين المستهزئين
لو نظروا حق النظر لعلموا أنه سبحانه الذي يستحق أن يعبد والمراد بالزوج هنا الصنف والنوع وقال
الفراء هو اللون وقال الزجاج زوج نوع وكريم محمود والمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على إنباته إلا رب
العالمين أدماً من نبت الأرض فله النفع والكريم في الأصل الحسن الشريف يقال نخلة كريمة أي كثيرة
الثمرة ورجل كريم شريف فاضل وكتاب كريم إذا كان مرضياً في معانيه والنبات الكريم هو المرضي
في منافعه قال الشعبي الناس مثل نبات الأرض فمن صار منهم إلى الجنة فهو كريم ومن صار منهم
إلى النار فهو لئيم وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والإحاطة أن كلمة كل تدل على الإحاطة بأزواج
النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه على كمال
قدرته قاله الزمخشري وإليه أشار في التقرير إن في ذلك لآية أي فيما ذكر من الإنبات أو في كل واحد
من تلك الأزواج لدلالة بينة وعلامة واضحة على كمال قدرة الله سبحانه وبديع صنعته واللام زائدة
في اسم إن المؤخر وقد تكررت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرات ثم أخبر سبحانه بأن أكثر هؤلاء
مستمر على ضلالته مصمم على جحوده وتكذيبه واستهزائه فقال وما كان أكثرهم مؤمنين أي
سبق علمي فيهم أنهم سيكونون هكذا فلذلك لا تنفعهم أمثال هذه الآيات العظام قال سيبويه
إن كان هنا صلة أي زائدة وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي الغالب القاهر لهؤلاء بالانتقام
منهم مع كونه كثير الرحمة ولذلك أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة أو المعنى أنه منتقم من أعدائه
رحيم بأوليائه وإذ نادى ربك موسى مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من الإعراض والتكذيب
والاستهزاء وشروع في قصص سبع أولها قصة موسى والثانية إبراهيم والثالثة نوح والرابعة
هود والخامسة صالح والسادسة لوط والسابعة شعيب والتقدير واتل إذ نادى أو اذكر
والنداء الدعاء أي نادى حين رأى الشجرة والنار وكان النداء بكلام سمعه من كل الجهات من
غير واسطة أن مفسرة أو مصدرية أي بأن ائت القوم الظالمين وليس هذا مطلع ما ورد في خبر
النداء وإنما هو ما فصل في سورة طه من قوله إني أنا ربك إلى قوله لنريك من آياتنا الكبرى ووصفهم
بالظلم لأنهم جمعوا بين الكفر الذي ظلموا به أنفسهم وبين المعاصي التي ظلموا بها غيرهم كاستعبادهم

بني اسرائيل وذبح ابناءهم وكانوا في ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثين الفا قوم فرعون يعني
القبط عطف بيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على
مؤدى واحد ألا يتقون اي ألا يخافون عقاب الله سبحانه فيصرفون عن انفسهم عقوبته بطاعته وقيل
المعنى قل لهم ألا يتقون وجاء بالتحتية لانهم غيب وقت الخطاب وقرئ بالفوقية اي قل لهم ذلك
واتهم نجزا فقد ان لهم ان يتقوا ومثله قل للذين كفروا ستغلبون بالتحتية والفوقية وهي كلمة
حث واغراء وقيل يظلمون غير متقين الله وعقابه وعلى هذا حال من الضمير في الظالمين قال موسى
واعتذر بثلاثة اعذار كل منها مترتب على ما قبله وليس مراده الامتناع من الرسالة بل اظهار العجز عن هذا
الامر الثقيل وطلب المعونة عليه من الله رب اني اخاف ان يكذبون في الرسالة والخوف غم يلحق
الانسان لامر سيقع ويضيق صدري بتكذيبهم اياي ولا ينطلق لساني اي بتأدية الرسالة للعقدة
كانت على لسانه قرئ يضيق وينطلق بالرفع على العطف او على الاستئناف وبنصبهما قال الفراء
كلا القراءتين له وجه قال النحاس الوجه الرفع لان النصب عطف على يكذبون وهذا بعيد فأرسل
جبريل بالوحي الى اخي هرون ليكون معي رسولا موازرا مظاهرا معاونا ولم يذكر الموازرة هنا
لانها معلومة من غير هذا الموضع كقوله في طه واجعل لي وزيرا من اهلي وفي القصص ارسله معي
ردءا يصدقني وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام وهذا من موسى عليه السلام من باب طلب
المعاونة له والتماس العون في تبليغ الرسالة بارسال اخيه لا من باب الاستعفاء من الرسالة ولا من التوقف
عن المسارعة بالامتثال وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ولهم علي ذنب هو قتله
للقبطي قاله قتادة وسماه ذنبا بحسب زعمهم او كما سمي جزاء السيئة سيئة فأخاف ان يقتلون
به قصاصا فيفوت المقصود من الرسالة فهذا هو الخائف عليه وليس هذا تعللا ايضا بل استدفاع
البلية المتوقعة وفيه دليل على ان الخوف قد يحصل مع الانبياء فضلا عن الفضلاء ثم اجابه سبحانه
بما يشتمل على نوع من الردع وطرف من الزجر قال كلا اي لا يقتلونك كأنه قيل ارتدع عما تظن فاذهبا
اي انت واخوك بآياتنا وفي ضمن هذا الجواب اجابة موسى الى ما طلبه من ضم اخيه اليه كما يدل
عليه توجيه الخطاب اليهما وفيه تغليب الحاضر على الغائب لانه اذ ذاك كان بمصر والارسال والخطاب
كانا في الطور انا معكم وفي هذا تعليل للردع عن الخوف وهو كقوله سبحانه انني معكما اسمع وارى

وأراد بذلك سبحانه تقوية قلوبهما وانه متولٍ لحفظهما وكلايتهما واجراهما مجرى الجمع فقال معكم
لكون الاثنين اقل الجمع على ما ذهب اليه بعض الائمة اولكونه اراد موسى وهارون ومن ارسلا اليه
ويجوزان يكون المراد هما مع بني اسرائيل اوتعظيماً لهما ولايخفى ما في المعية من المجاز لان المصاحبة
من صفات الاجسام فالمراد معية النصرة والمعونة مُّسْتَمِعُونَ اي سامعون ما تقولون وما
يقال لكم والاستماع في غيرهذا الاصغاء للسماع يقال استمع فلان حديثه اي اصغى اليه ولايجوز
حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع قاله النسفي فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها قال القرطبي فانطلقا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول
عليه ووحد الرسول هنا ولم يثنه كما في قوله انا رسولا ربك لانه مصدر بمعنى رسالة والمصدر
يوحد واما اذا كان بمعنى المرسل فانه يثنى مع المثنى ويجمع مع الجمع قال ابو عبيدة رسول بمعنى رسالة
والتقدير على هذا انا ذو رسالة وقال ابو عبيدة ايضاً يجوزان يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع
تقول العرب هذا رسولي ووكيلي وهذان رسولي ووكيلي وهو لاء رسولي ووكيلي ومنه قوله
تعالى فانهم عدو لي وقيل ان معناه ان كل واحد منا رسول وقيل انهما لما كانا متحاضدين
متساعدين في الرسالة كانا بمنزلة رسول واحد وان في قوله أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مفسرة
لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول اي خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين
ولاتستعبدهم وكان قد استعبدهم اربعمائة سنة قَالَ فرعون لموسى بعد ان اتياه وقالا
له ما امرهما الله به أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا اي في حجرنا ومنازلنا اراد بذلك المن عليه والاحتقار له اي
ربيناك لدينا وَلِيدًا اي صغيراً قريباً من الولادة بعد فطامك لم نقتلك فيمن قتلنا من الاطفال
وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ فمتى كان هذا الذي تدعيه قيل لبث فيهم ثماني عشرة سنة وقيل
ثلاثين سنة وقيل اربعين سنة ثم قرره بقتل القبطي فقال وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ
الفعلة بفتح الفاء المرة من الفعل كما قيل ع الفعلة للمرة والفعلة للحالة + وقرأ الشعبي بكسر
الفاء والفتح اولى لانها للمرة الواحدة لا للنوع والمعنى انه عدد عليه النعم وذكر له ذنوبه واراد
بالفعلة قتل القبطي ثم قال وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ للنعمة حيث قتلت رجلاً من اصحابي وقيل من
الكافرين بان فرعون اله وقيل من الكافرين بالله في زعمه لانه كان معهم على دينهم قَالَ

موسى مجيبا لفرعون فعلتها اذا اي فعلت هذه الفعلة التي ذكرت وهي قتل القبطي وانا اذ
ذاك من الضالين اي الجاهلين قاله ابن عباس فنفى عليه الصلوة والسلام عن نفسه الكفر
واخبر انه فعل ذلك على الجهل قبل ان ياتيه العلم الذي علمه الله وقيل المعنى من الجاهلين
ان تلك الوكزة تبلغ القتل وقال ابو عبيدة من الناسين وقيل من المخطئين قال ابن جرير العرب
تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال ففررت منكم اي خرجت من بينكم الى
مدين كما في سورة القصص لما خفتكم ان تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون
ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية فوهب لي ربي حكما اي نبوة او علما وفهما وقال الزجاج
المراد بالحكم تعليمه التوراة التي فيها حكم الله وجعلني من المرسلين اي من جملة رسله رد
بذلك ما وبخه به فرعون قدحا في نبوته وهو القتل بغير حق ووجه الرد ان موهبة الحكم و
النبوة كانت بعد تلك الحادثة وتلك نعمة تمنها علي قيل هذا الكلام من موسى على جهة الاقرار
بالنعمة كانه قال نعم تلك التربية نعمة تمن بها علي ولكن لا يدفع ذلك رسالتي وبهذا قال الفراء وابن
جرير وقيل هو من موسى على جهة الانكار اي اتمن علي بان ربيتني وليدا وانت قد استعبدت بني
اسرائيل وقتلتهم وهم قومي قال الزجاج المفسرون اخرجوا هذا على جهة الانكار بان يكون ما ذكر
فرعون نعمة على موسى واللفظ لفظ خبر وفيه تبكيت للمخاطب على معنى انك لو كنت لا تقتل ابناء
بني اسرائيل لكانت امي مستغنية عن قذفي في اليم فكانك تمن علي ما كان بلاؤه سببا له وذكر
نحوه الازهري باسط منه وقال المبرد يقول التربية كانت بالسبب الذي ذكرت من التعبيد اي تربيتك
اياي كانت لاجل التملك والقهر لقومي وقيل ان في الكلام تقدير الاستفهام اي او تلك نعمة قاله
الاخفش وانكره النحاس قال الفراء ومن قال ان الكلام انكار قال او تلك نعمة اي ليست هذه نعمة
حتى تمن بها علي ومعنى ان عبدت بني اسرائيل ان اتخذتهم عبيدا يقال عبدته واعبدته
بمعنى كذا قال الفراء ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من نعمة والجر باضمار الباء والنصب
بحذفها وعن مجاهد قال عبدت بني اسرائيل قهرتهم واستعملتهم وفيه اوجه سبعة ذكرها
السمين قال فرعون وما رب العالمين اي لما سمع قول موسى وهارون انا رسول رب العالمين
قال مستفسرا لهما عن ذلك عازما على الاعتراض لما قالاه اي اي شيء هو جاء في الاستفهام بما التي

يستفهم بها عن المجهول ويطلب بها تعيين الجنس وقيل معناه وما صفته تقول ما زيد اي طويل
ام قصير فقيه ام طبيب نص عليه صاحب الكشاف وغيره فلما قال فرعون ذلك قال موسى رب
السموات والارض وما بينهما اي بين الجنسين فعين له ما اراد بالعالمين وترك جواب ما
سال عنه فرعون لانه سال عن جنس رب العالمين ولا جنس له فاجابه موسى بما يدل على عظيم
القدرة الالهية التي تتضح لكل سامع انه سبحانه الرب ولا رب غيره وفيه ابطال لدعواه انه اله ان كنتم
موقنين بشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله وهو العلم الذي يستفاد
بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن قال فرعون لمن حوله من اشراف قومه وهم خمسمائة رجل
عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون ما قاله يعني موسى معجبا لهم من ضعف
المقالة كانه قال اتسمعون وتعجبون يعني سالته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب
السموات فهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر والعدول
عن الجواب المطابق متعين لاستحالته فالسؤال عن الحقيقة سفه وعبث وحمق وهذا من التعاند
مغالطة لما لم يجد جوابا عن الحجة التي اوردها عليه موسى فلما سمع موسى ما قاله فرعون اورد
عليه حجة اخرى هي مندرجة تحت الحجة الاولى ولكنها اقرب الى فهم السامعين قال ربكم ورب
اباءكم الاولين وخص من العام المتقدم انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل
نفسه ومن ولد منه وهي اظهر دلالة على القادر فاوضح لهم ان فرعون مربوب لا رب كما يدعيه والمعنى
ان هذا الرب الذي ادعوكم اليه هو الذي خلق اباءكم الاولين وخلقكم فكيف تعبدون من هو
واحد منكم مخلوق كخلقكم وله اباء قد فنوا كاباءكم فلم يجبه فرعون عند ذلك بشيء يعتد به بل
جاء بما يشكك قومه ويخيل اليهم ان هذا الذي قاله موسى مما لا يقوله العقلاء قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون قاصدا بذلك المغالطة وايقاعهم في الحيرة مظهرا انه مستخف بما قاله
موسى مستهزئ به لاني اساله عن شيء ويجيبني عن اخر واضافه الى مخاطبيه ترفعا عن ان يكون
مرسلا اليه نفسه فاجابه موسى عند ذلك بما هو تكميل لجوابه الاول قال رب المشرق والمغرب
وما بينهما خصهما لانهما اوضح دلالة واظهر وفي ذلك انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وطلوع النهار واراد
بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار ومعلوم ان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها

في الامر على تقدير مستقيم لا يكون الا بتقدير قادر حكيم والمعنى ليس ملكه كما لك لانك انما
تملك بلدا واحدا لا يجري امرك في غيره ويموت فيه من لا تحب ان يموت والذي ارسلني يملك
المشرق والمغرب وما بينهما اي فتشاهدون في كل يوم انه ياتي بالشمس من المشرق و
يجريها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع تنتظم به امور
الكائنات ولم يشتغل موسى بدفع ما نسبه اليه من الجنون بل بيّن لفرعون شمول ربوبية
الله للمشرق والمغرب وما بينهما وان كان ذلك داخلا تحت ربوبيته سبحانه للسموات والارض
وما بينهما لما تقدم ولان فيه تصريحا باسناد حركات السموات وما فيها وتغيير احوالها
واوضاعها تارة بالنور وتارة بالظلمة الى الله وقيل علم موسى ان قصده في السؤال معرفة
من سال عنه فاجاب بما هو الطريق الى معرفة الرب ان كنتم تعقلون شيئا من الاشياء
او ان كنتم من اهل العقول اي ان كنت يا فرعون ومن معك من العقلاء عرفت وعرفوا
انه لا جواب لسؤالك الا ما ذكرت لك لاينهم اولا وعاملهم بالرفق حيث قال لهم ان
كنتم موقنين ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم واغلظ عليهم في الرد وعارضهم بمثل
مقالتهم بقوله ان كنتم تعقلون لانه ابلغ واوفق بما قبله من نسبة الجنون اليه ثم ان
اللعين لما انقطع عن الحجة رجع الى الاستعلاء والتغلب والتهديد وهكذا ديدن المعاند
المحجوج قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين اي من اهل السجن واللام
للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني وكان سجن فرعون اشد من القتل لانه اذا سجن
احدا لم يخرجه حتى يموت وكان يطرحه في هوة عميقة في مكان تحت الارض وحده و
لذلك جعل ابلغ من لاسجننك فتوعد موسى بالسجن ولم يقل ما دليلك على ان هذا الاله
ارسلك لان فيه الاعتراف بان ثم الها غيره وفي توعده بالسجن ضعف وكان فيما يروى انه يفزع
من موسى فزعا شديدا فلما سمع موسى عليه الصلوة والسلام ذلك لاطفه طمعا في اجابته
وارخاء لعنانه للمناظرة معه مريدا لقهره بالحجة المعتبرة في باب النبوة وهي اظهار المعجزة فعرض
له على وجه يلجئه الى طلب المعجزة قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتجعلني من المسجونين و
تفعل ذلك ولو جئتك بشيء يتبين به صدقي ويظهر عندك صحة دعواي يعني المعجزة فانها

الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والهمزة هنا للاستفهام والواو للعطف على مقدر
كما مر مرارا فلما سمع فرعون ذلك طلب ما عرضه عليه موسى قال فأت به إن كنت من الصادقين
في دعواك وإنما أمره بذلك لظنه أنه يقدر على معارضته وهذا الشرط جوابه محذوف لأنه
قد تقدم ما يدل عليه فعند ذلك أبرز موسى المعجزة فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين
أي ظاهر ثعبانيته ليس بتمويه وتخييل كما يفعل السحرة قيل إنها لما صارت حية ارتفعت في
السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون فقال بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها موسى
فعادت عصا كما كانت وقد تقدم تفسير هذا وما بعده في سورة الأعراف واشتقاق الثعبان
من ثعبت الماء في الأرض فانثعب أي فجرته فانفجر وقد عبر سبحانه في موضع آخر مكان الثعبان
بالحية بقوله فإذا هي حية تسعى وفي موضع بالجان فقال كأنها جان والجان هو المائل إلى الصغر
والثعبان هو المائل إلى الكبر والحية جنس يشمل الكبير والصغير ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين
خلاف ما كانت عليه من الأدمة فيه دليل على أن بياضها كان شيئا يجمع النظارة على النظر إليه
لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريا قال ابن عباس يقول وأخرج موسى يده من جيبه فإذا
هي بيضاء تلمع للناظرين لمن ينظر إليها ويراها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس يكاد يغشي
الأبصار ويسد الأفق قال للملإ مستقرين حوله إن هذا لساحر عليم فائق في علم السحر وكان
زمان السحر فلهذا أروج فرعون هذا القول على قومه ثم قال على سبيل التنفير يريد أن يخرجكم
من أرضكم بسحره لئلا يقبلوا قول موسى عليه الصلاة والسلام فماذا تأمرون أي ما رأيكم فيه
وما مشورتكم في مثله فأظهر لهم الميل إلى ما يقولونه تألفا لهم واستجلابا لمودتهم لأنه قد أشرف
ما كان فيه من دعوى الربوبية على الزوال وقارب ما كان يتمرد به عليهم الاضمحلال وإلا فهو أكبر
وأعظم كبرا من أن يخاطبهم مثل هذه المخاطبة المشعرة بأنه فرد من أفرادهم وواحد منهم مع كونه
قبل هذا الوقت يدعي أنه إلههم ويذعنون له بذلك ويصدقونه في دعواه قال ابن القشيري بهره
سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية إلى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه
والامتثال بأمرهم وإلى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا بالرأي والتدبير و
أظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج والأرض إليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام

قالوا أرجه وأخاه أخر أمرهما من أرجيته إذا أخرته وقيل المعنى احبسهما وابعث في المدائن
حاشرين للسحرة وهم الشرط الذين يحشرون الناس أي يجمعونهم يأتوك بكل سحار عليم
هذا ما أشاروا به عليه وجاؤوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه والمراد
بالسحار العليم الفائق في معرفة السحر وصنعته أي يفضل موسى ويفوق ويزيد عليه في
علم السحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو يوم الزينة كما في قوله قال موعدكم يوم الزينة وكان
يوم عيد لهم أو يوم سوق وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى من يوم الزينة
حيث قال وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت أي حد من زمان أو مكان ومنه مواقيت
الإحرام والصلوة وقيل للناس هل أنتم مجتمعون حثا لهم على الاجتماع ليشاهدوا ما يكون من موسى
والسحرة ولمن تكون الغلبة وكان ذلك ثقة من فرعون بالظهور وطلبا أن يكون بجمع من الناس
حتى لا يؤمن بموسى أحد منهم فوقع ذلك من موسى الموقع الذي يريده لأنه يعلم أن حجة الله هي
الغالبة وحجة الكافرين هي الداحضة وفي ظهور حجة الله بجمع من الناس زيادة في الاستظهار
للمحقين والانقهار للمبطلين لعلنا نتبع السحرة في دينهم إن كانوا هم الغالبين
لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وإنما هو
أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا
لهم على الاهتمام والجد في المبالغة قاله أبو السعود وقيل أراد بالسحرة موسى و
هارون على طريقة الاستهزاء فلما جاء السحرة أي فعند ذلك طلب السحرة من
فرعون الجزاء على ما سيفعلونه وقالوا لفرعون أئن لنا لأجرا أي لجزاء تجزينا به
به من مال أو جاه وقيل أرادوا أن لنا ثوابا عظيما ثم قيدوا ذلك بظهور غلبتهم
لموسى فقالوا إن كنا نحن الغالبين فوافقهم فرعون على ذلك وقال نعم وإنكم
إذا لمن المقربين أي نعم لكم ذلك الأجر والجعل عندي على عملكم السحر مع زيادة عليه
وهي كونكم من المقربين لدي قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون من السحر فسوف ترون
عاقبته وفي آية أخرى قالوا إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين فيحمل ما هنا على
أنه قال لهم ألقوا بعد أن قالوا هذا القول ولم يكن ذلك من موسى عليه السلام أمرا لهم

يفعل السحر والتمويه بل اراد ان يقهرهم بالحجة توسلا الى اظهار الحق ويظهر لهم ان الذي جاء به
ليس هو من الجنس الذي ارادوا معارضته به فالقوا حبالهم وعصيهم سبعين الف حبل و
سبعين الف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين الفا وكذا العصي فيخيلون انها حيات تسعى
وقالوا عند الالقاء بعزة فرعون اقسموا بعزته وقوته وهو من ايمان الجاهلية وقولهم هذا
يحتمل وجهين الاول انه قسم وجوابه ما بعده والثاني ان يتعلق بمحذوف والباء للسببية والمراد
بالعزة العظمة انا لنحن الغالبون اي نغلب بسبب عزته لفرط اعتقادهم في انفسهم بالغلبة في
اتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون قد تقدم
تفسير هذا مستوفى والمعنى انها تبتلع وتلقف ما صدر منهم من الافك باخراج الشيء عن صورته
الحقيقية قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها
موسى فاذا هي كما كانت اول مرة فالقي السحرة اي خروا وسقطوا ساجدين اي لما شاهدوا ذلك
علموا انه صنيع صانع حكيم ليس من صنيع البشر ولا من تمويه السحرة امنوا بالله وسجدوا له واجابوا
دعوة موسى وقبلوا نبوته وعبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالقاءات ولانهم
لسرعة ما سجدوا صاروا كانهم القوا واخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهر بما خولهم
من التوفيق وقد تقدم بيان معنى القي ومن فاعله لو وقع التصريح به قال الشهاب ففي القي استعارة
تبعية حسنها المشاكلة وليس مجازا مرسلا وان احتمله النظم ووجه الشبه عدم التمالك قالوا
عند سجودهم بدل اشتمال من القي او حال باضمار قد امنا برب العالمين قال عكرمة اصبحوا سحرة
واصبحوا شهداء رب موسى وهارون بدل للتوضيح والاشعار بان سبب ايمانهم ما اجراه الله تعالى
على يديهما لعلمهم بان ما شاهدوه من العصا لا يتاتى بالسحر واضافوه سبحانه اليهما لانهما القائمان
بالدعوة في تلك الحالة وفيه تبكيت لفرعون بانه ليس برب وان الرب في الحقيقة هو هذا فلما
سمع فرعون ذلك منهم وراى سجودهم لله قال امنتم له قبل ان اذن لكم اي بغير اذن مني
قال ذلك لما خاف على قومه ان يتبعوا السحرة ثم قال مغالطا للسحرة الذين امنوا وموهما للناس
ان فعل موسى سحر من جنس ذلك السحر انه لكبيركم الذي علمكم السحر وانما اعترف له
بكونه كبيرهم مع كونه لا يحب الاعتراف بشيء يرتفع به شان موسى لانه قد علم كل من حضر ان ما جاء به

موسى ايهم ما جاء به السحرة فاراد ان يشكك على الناس بان هذا الذي شاهدتموه وان كان قد
فاق على ما فعله هؤلاء السحرة فهو فعل كبيرهم ومن هو استاذهم الذي اخذوا عنه هذه
الصناعة فلا تظنوا انه فعل لا يقدر عليه البشر وانه من فعل الرب الذي يدعو اليه موسى
ولا تعتقدوا ان السحرة امنوا على بصيرة وظهور حق يعني ان غلبته عليكم لم تكن بالعجز الالهي بل
بما لم يعلمكم من السحر وانتم لضعف عقولكم حسبتم انه غلبكم بغير جنس السحر فامنتم ثم توعد اولئك
السحرة الذين امنوا بالله لما قهرتهم حجة الله فقال فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وما ينالكم
مني اجمل التهدد بدأ للتهويل ثم فصله فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من جانب
خلاف ظاهر منكم وقيل اي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ولاصلبنكم اجمعين كانه اراد به
ترهيب العامة لئلا يتبعوهم في الايمان قيل انه فعل بهم ما توعدهم به من التقطيع والتصليب
وقيل لم يفعله بهم ولم يرد في القران ما يدل على انه فعل بهم ذلك فلما سمعوا ذلك من قوله
قالوا لا ضير اي لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا فان ذلك يزول ولا بد من الانقلاب بعده
الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها فيعطينا من النعيم الدائم ما لا يحد ولا يوصف
قال الهروي لا ضير ولا ضر ولا ضرر بمعنى واحد قال الجوهري ضاره يضوره ويضيره ضيرا وضورا اي ضره قال الكسائي
سمعت بعضهم يقول لا ينفعني ذلك ولا يضورني قال ابو زيد لا يضيرنا الذي تقول وان صنعت بنا و
صلبتنا انا الى ربنا منقلبون اي راجعون وهو مجازينا بالصبر على عقوبتك ايانا وثباتنا
على توحيده والبراءة من الكفر قاله ابو زيد تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه
نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم انا
نطمع اي نرجو ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي الكفر والسحر ثم عللوا هذا بقولهم ان كنا اي بسبب ان
كنا اول المؤمنين اي انهم اول من امن من قوم فرعون بعد ظهور الاية او من اهل المشهد وقال
الفراء اول مؤمني زمانهم وانكره الزجاج وقال قد روي انه امن معهم ستمائة الف وسبعون الفا
وهم الذين عناهم فرعون بقوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال ابو زيد كانوا كذلك يومئذ اول
من امن باياته حين راوها واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي امر الله سبحانه موسى ان يخرج ببني اسرائيل
ليلا الى البحر لا الى جهة الشام بالبر وهذا بعد سنين من ايمان السحرة وسماهم عباده لانهم امنوا

بموسى وبما جاء به وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة الأعراف ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ تعليل
للأمر المتقدم أي يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم أي سر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان
لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر
فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم وأغرقهم ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾
وذلك حين بلغه خروجهم والمراد بالحاشرين الجامعين للجيش من الأمكنة التي فيها أتباع
فرعون ثم قال فرعون لقومه بعد اجتماعهم لديه ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ يريد بني
إسرائيل والشرذمة الجمع الحقير القليل والجمع شراذم قال الجوهري الشرذمة الطائفة القليلة
من الناس والقطعة من الشيء وثوب شراذم أي قطع قال الفراء يقال عصبة قليلة وقليلون
وكثيرة وكثيرون قال المبرد الشرذمة القطعة من الناس غير الكثير وجمعها الشراذم قال
الواحدي قال المفسرون وكان الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف وبه قال ابن عباس ولا
يحصى عدد أصحاب فرعون وقال ابن مسعود ستمائة ألف وسبعون ألفا ومقدمة جيشه
سبعمائة ألف فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه وجملة جيشه ألف ألف وستمائة ألف وأخرج
عبد بن حميد وابن المنذر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب موسى الذين جازوا
البحر اثني عشر سبطا فكان في كل طريق اثنا عشر ألفا كلهم ولد يعقوب وأخرج ابن مردويه عنه
أيضا بسند قال السيوطي واه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فرعون عدو الله حيث غرقه الله سبحانه
هو وأصحابه في سبعين قائدا مع كل قائد سبعون ألفا وكان موسى مع سبعين ألفا حيث
عبروا البحر وعنه قال كان طلائع قوم فرعون الذين بعثهم الله في إثرهم ستمائة ألف ليس فيها
أحد إلا على بهيم وأقول هذه الأقوال والروايات المضطربة قد روي عن كثير من السلف ما يماثلها
في الاضطراب والاختلاف ولا يصح منها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ يقال غاظني
كذا وأغاظني والغيظ الغضب ومنه التغيظ والاغتياظ أي غاظونا بخروجهم من غير إذن مني ﴿وَإِنَّا
لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ أي خائفون من شرهم وقرئ حذرون قال الفراء الحاذر
الذي يحذرك الآن والحذر المخلوق كذلك أي مجبولا على الحذر لا تلقاه إلا حذرا وقال الزجاج الحاذر
المستعد والحذر المتيقظ وبه قال الكسائي والمبرد وذهب أبو عبيدة إلى أن معنى حاذرون وحذرون

واحد وهو قول سيبويه اي فانا جمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما
يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه
او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كي لا يظن به ما يكسر سلطانه قاله البيضاوي فَأَخْرَجْنَاهُمْ اي
فرعون وقومه اي خلقنا فيهم داعية الخروج فخرجوا مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ اخرجهم الله من
ارض مصر ليلحقوا موسى وقومه وفيها الجنات والبساتين على جانبي النيل من اسوان الى رشيد
وهي جمع جنة وعين وكنز والمراد بالكنوز الخزائن وقيل الدفائن وقيل الانهار وفيه نظر لان العيون
المراد بها عند جمهور المفسرين عيون الماء فيدخل تحتها الانهار والمراد بالكنوز الاموال الظاهرة من
الذهب والفضة وسميت كنوزا لانه لم يعط حق الله منها وفي الشهاب المراد بها اما الاموال التي تحت
الارض وخصها لان ما فوقها انطمس او مطلق المال الذي لم يؤد منه حق الله لانه يقال له كنز والاول
اوفق باللغة والثاني مروي عن السلف فلا وجه للتحكم هنا وَمَقَامٍ كَرِيمٍ اي بهي بهيج واختلف فيه فقيل
المنازل الحسان وقيل المنابر قاله ابن عباس وقيل مجالس الرؤساء والامراء والوزراء حكاه ابن عيسى
وقيل مرابط الخيل والاول اظهر وقال سعيد بن جبير سمعت ان المقام الكريم الفيوم كَذَٰلِكَ
اي اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا او مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم
او الامر كذلك وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اي جعلناها ملكا لهم بعد اغراق فرعون وقومه قال
الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم وجناتهم واموالهم وعيونهم وقيل اراد بالوراثة هنا
ما استعاروا من حلي آل فرعون بامر الله تعالى وقيل مساكنهم الحسنة والكنوز قلت وكلا الامرين
حصل لهم والحمد لله فَأَتْبَعُوهُم بقطع الهمزة وقرئ بوصلها وتشديد التاء اي فلحقوهم حال كونهم
مُّشْرِقِينَ اي داخلين في وقت الشروق يقال شرقت الشمس شروقا اذا طلعت كاصبح وامسى
اي دخل في هذين الوقتين وقيل داخلين نحو المشرق كانجدوا واتهموا وقيل مضيئين قال الزجاج
يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ اي تقابلا بحيث
يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرؤية وقرئ تراءت الفئتان والمراد بنو اسرائيل والقبط
قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ اي سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم وهذه قراءة
الجمهور يعني اسم مفعول من ادرك ومنه حتى اذا ادركه الغرق وقرئ بفتح الدال المشددة وكسر

والتخفيف
الراء قال الفراء هما بمعنى واحد قال النحاس ليس كذلك يقول النحويون الحذاق انما يقولون حذرون
ملحقون وبالتشديد مجتهدون في لحاقهم قال وهذا معنى قول سيبويه وقال الزمخشري ان معنى هذه القراءة
انا المتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد قال موسى زجرا لهم وردعا كلا يعني انهم لا يدركونكم
وذكرهم وعد الله بالهداية والخلاص من الظفر بقوله ان معي ربي بالنصر سيهدين اي سيدلني على طريق النجاة
عن ابي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى لما اراد ان يسير ببني اسرائيل اضل الطريق فقال
لبني اسرائيل ما هذا فقال له علماء بني اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت اخذ علينا موثقا ان لا نخرج
من مصر حتى ننقل تابوته معنا فقال لهم موسى ايكم يدري اين قبره فقالوا ما يعلم احد مكان قبره الا
عجوز لبني اسرائيل فارسل اليها موسى فقال دلينا على قبر يوسف فقالت لا والله حتى تعطيني حكمي قال
وما حكمك قالت ان اكون معك في الجنة فكانه ثقل عليه ذلك فقيل له اعطها حكمها فاعطاها
حكمها فانطلقت بهم الى بحيرة مستنقعة ماء فقالت لهم انضبوا عنها الماء ففعلوا قالت احفروا
فحفروا فاستخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه اذا الطريق مثل ضوء النهار فلما عظم البلاء على بني اسرائيل
وراوا من الجيوش ما لا طاقة لهم به امر الله سبحانه موسى ان يضرب البحر بعصاه وذلك قوله فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر وذلك ان الله عز وجل اراد ان تكون الاية متصلة بموسى
ومتعلقة بفعله والا فضرب العصا ليس بفارق البحر ولا معينا على ذلك بذاته الا بما اقترن
به من قدرة الله تعالى واختراعه وبه نجى موسى وبنو اسرائيل وهلك عدوهم فانفلق الفاء فصيحة
اي فضرب فصار وانشق اثني عشرة فلقا بعدد الاسباط وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره
كالجبل العظيم وهو معنى قوله فكان كل فرق هو القطعة من البحر وقرئ فلق باللام بدل الراء كالطود
كالجبل او عظيمه والجمع اطواد يقال طاد يطود اذا ثبت العظيم اي الضخم بينها مسالك سلكوها
لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده قاله ابن عباس وابن مسعود وازلفنا ثم الاخرين اي قربناهم الى البحر قاله
ابن عباس قال ابو عبيدة ازلفنا جمعنا ومنه قيل لليلة المزدلفة ليلة جمع وثم ظرف مكان للبعيد
وقيل قربنا من النجاة وقرئ زلفنا ثلاثيا وقرئ ازلقنا اي ازللنا واهلكنا من قولهم ازلقت الفرس
اذا القت ولدها ويعني بالاخرين فرعون وقومه وقيل المراد بهم موسى واصحابه والاول اولى قيل كان
جبريل بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم اولكم ويقول للقبط

رويدا البحر اخركم اولكم فكان بنو اسرائيل يقولون ما راينا احسن سياسة من هذا الرجل
وكان القبط يقولون ما راينا احسن داع من هذا وأنجينا موسى ومن معه أجمعين بمرورهم
في البحر بعد ان جعله الله طرقا يمشون فيها ثم أغرقنا الآخرين يعني فرعون وقومه اغرقهم الله
باطباق البحر عليهم بعد ان دخلوا فيه متبعين موسى وقومه وخرج بنو اسرائيل منه وفيه ابطال القول
بتاثير الكواكب في الآجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوالعهم إن في ذلك
اي في ما صدر بين موسى وفرعون الى هذه الغاية لآية عبرة عظيمة وقدرة باهرة من ادل العلامات
على قدرة الله سبحانه وعظيم سلطانه لمن بعدهم وما كان أكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين مع فرعون
مؤمنين بالله فانه لم يؤمن منهم فيما بعد الا القليل كحزقيل وابنته وآسية امرأة فرعون والعجوز التي دلت
على قبر يوسف وليس المراد اكثر من كان مع فرعون عند لحاقه بموسى فانهم هلكوا جميعا في البحر بل المراد من
كان معه من الاصل ومن كان متابعا له ومنتسبا اليه هذا غاية ما يمكن ان يقال وقال سيبويه
وغيره ان كان زائدة وان المراد الاخبار عن المشركين بعد ما سمعوا الموعظة وإن ربك لهو العزيز
اي المنتقم من اعدائه باغراقهم الرحيم باوليائه بانجائهم واتل اي اقصص يا محمد عليهم اي على كفار مكة
نبأ خبر إبراهيم وحديثه إذ قال اي وقت قوله لأبيه وقومه ما اي اي شيء تعبدون وهو يعلم انهم
يعبدون الاصنام ولكنه اراد الزام الحجة وليريهم ان ما يعبدونه ليس يستحق للعبادة بل يعزلها بالكلية
قالوا نعبد أصناما افتخارا ومباهاة بعبادتها فنظل لها عاكفين اي فنقيم وندوم على عبادتها مستمرين
طول النهار لا في وقت معين يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا فظاهره
انهم يستمرون على عبادتها نهارا لا ليلا والمراد من العكوف لها الاقامة على عبادتها وانما قال لها لافادة
ان ذلك العكوف لاجلها فلما قالوا هذه المقالة قال ابراهيم منبها على فساد مذهبهم هل يسمعونكم
إذ تدعون قال الاخفش المعنى هل يسمعون منكم او هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة هل يُسمعونكم
بضم الياء اي هل يسمعونكم اصواتهم وقت دعائكم لهم قال الزمخشري انه على حكاية الحال الماضية
ومعناه استحضروا الاحوال التي كنتم تدعونها فيها هل سمعوكم اذا دعوتم وهو ابلغ في التبكيت أو
ينفعونكم بوجه من وجوه النفع ان عبدتموها أو يضرون اي يضرونكم اذا تركتم عبادتها وهذا
الاستفهام للتقرير فانها اذا كانت لا تسمع ولا تنفع ولا تضر فلا وجه لعبادتها فاذا قالوا نعم هي كذلك

اثروا إيان عبادتهم لها من باب اللعب والعبث والسفه وعند ذلك تقوم الحجة عليهم فلما اورد
عليهم الخليل هذه الحجة الباهرة لم يجدوا لها جوابا الا رجوعهم الى التقليد البحت وهو انهم قالوا بل
وجدنا آباءنا كذلك يفعلون هذه العبادة لهذه الاصنام فقلدناهم مع كونها بهذه الصفة التي
هي سلب السمع والنفع والضر عنها وفي ابي السعود هذا الجواب منهم اعتراف بانها بمعزل عما ذكر من السمع
والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا مستند لهم سوى التقليد اي ما علمنا ولا راينا منهم
ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فاقتدينا بهم انتهى قال الخازن وفي الآية دليل
على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال انتهى وهذا الجواب هو العصى التي يتوكأ
عليها كل عاجز ويمشي بها كل اعرج ويغتر بها كل مغرور وينخدع لها كل مخدوع فانك لو سألت الآن هذه
المقلدة للرجال التي طبقت الارض بطولها والعرض وقلت لهم ما الحجة لكم على تقليد فرد من افراد العلماء
والاخذ بكل ما يقوله في الدين ويبتدعه من الرأي المخالف للدليل لم يجدوا غير هذا الجواب ولا فاهوا بسواه
واخذوا يعدون عليك من سبقهم الى تقليد هذا من سلفهم واقتدى بقوله وفعله وهم قد
ملأوا صدورهم هيبة وضاقت اذهانهم عن تصورهم وظنوا انهم خير اهل الارض واعلمهم واورعهم
فلم يسمعوا لناصح نصحا ولا لداع الى الحق دعاء ولو فطنوا لوجدوا انفسهم في غرور عظيم وجهل شنيع
وانهم كالبهيمة العمياء واولئك الاسلاف كالعمي الذين يقودون البهائم العمي كما قال الشاعر ؎ كبهيمة
عمياء قاد زمامها اعمى على عوج الطريق الحائر فعليك ايها العامل بالكتاب والسنة المبرأ من
التعصب والتعسف ان تورد عليهم حجج الله وتقيم عليهم براهينه فانه ربما انقاد لك منهم من لم يستحكم
داء التقليد في قلبه واما من قد استحكم في قلبه هذا الداء العضال فلو اوردت عليه كل حجة واقمت
عليه كل برهان لما اعارك الا اذنا صماء وعينا عمياء ولكنك قد قمت بواجب البيان الذي اوجبه عليك
القرآن والهداية بيد الخلاق العليم انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ولما قال
هؤلاء المقلدة هذه المقالة قال الخليل عليه السلام أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم
الاقدمون اي فهل ابصرتم وتفكرتم وتاملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون من هذه الاصنام التي لا تسمع
ولا تنفع ولا تضر حتى تعلموا انكم على ضلالة وجهالة والرؤية هنا مستعملة في معناها الاصلي واليه
نحا ابو السعود وصنيع الكازروني يقتضي انها بمعنى اخبروني اي اخبروني عن حال ما كنتم تعبدون

هل هو حقيق بالعبادة او لا وهذا استهزاء بعبدة الاصنام والفاء فاء السببية تفيد ان ما بعدها
وهو العداوة سبب لطلب الاخبار عن حالهم فهي بمعنى اللام اي اخبروني عن حالها لانها عدو لي كما صرح
الرضي في قوله اخرج منها فانك رجيم ثم اخبرهم بالبراءة من هذه الاصنام التي يعبدونها فقال
﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ ومعنى كونهم عدوا له مع كونهم جمادا انه ان عبدهم كانوا له عدوا يوم القيامة قال الفراء هذا
من المقلوب اي فاني عدو لهم لان من عاديته عاداك واسند العداوة الى نفسه تعريضا بهم وهو انفع
في النصيحة من التصريح بان يقول فانهم عدو لكم والعدو كالصديق يطلق على الواحد والمثنى
والجماعة والمذكر والمؤنث كذا قال الفراء قال علي بن سليمان من قال عدوة الله فاثبت الهاء قال
هي بمعنى المعادية ومن قال عدو للمؤنث والجمع جعله بمعنى النسب وقيل المراد بقوله فانهم عدو لي
آباؤهم الاقدمون لاجل عبادتهم للاصنام ورد بان الكلام مسوق فيما عبدوه لا في العابدين ﴿إِلَّا﴾
اي لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ليس كذلك بل هو ولي في الدنيا والآخرة لا يزال متفضلا علي فيهما
قال الزجاج قال النحويون هو استثناء ليس من الاول واجاز الزجاج ايضا ان يكون من الاول على
انهم كانوا يعبدون الله عز وجل ويعبدون معه الاصنام فاعلمهم انه تبرأ مما يعبدون الا
الله فاني اعبده قال الجرجاني تقديره افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون الا رب
العالمين فانهم عدو لي فجعله من باب التقديم والتأخير وجعل الا بمعنى دون وسوى كقوله
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي دون الموتة الاولى وقال الحسين بن الفضل ان المعنى
الا من عبد رب العالمين ثم وصف رب العالمين بقوله ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ اي يرشدني
الى مصالح الدين والدنيا وطرق النجاة وقد وصف الخليل ربه بما يستحق العبادة لاجله فان الخلق
والهداية والرزق الذي يدل عليه قوله ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾
ودفع المرض وجلب نفع الشفاء والاماتة والاحياء والمغفرة للذنب كلها نعم يجب على المنعم عليه ببعضها
فضلا عن كلها ان يشكر المنعم بجميع انواع الشكر التي اعلاها واولاها العبادة ودخول هذه الضمائر
في صدور هذه الجمل للدلالة على انه الفاعل لذلك دون غيره واسند المرض الى نفسه دون غيره
من هذه الافعال المذكورة رعاية واستعمالا للادب مع الرب كما قال الخضر فاردت ان اعيبها
وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما والا فالمرض والشفاء من الله سبحانه ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾

المراد بالاحياء البعث وفي هذا عطف هنا بثم خلاف ما قبله لاتساع الامرين الاماتة والاحياء لان
المراد به الاحياء في الآخرة وحذف الياء من هذه الافعال لكونها رؤس الآي وقرئ كلها باثبات
الياء وانما قال عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي هضما لنفسه وتعليما للامة ان
يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب ان يغفر لهم ما يفرط منهم وتكرير الموصول في المواضع
الثلثة المعطوفة للايذان بان كل واحد من تلك الصلات نعت جليل مستقل في ايجاب الحكم
قيل ان الطمع هنا بمعنى اليقين في حقه وبمعنى الرجاء في حق سواه وقرئ خطاياي لانها
ليست خطيئة واحدة قال النحاس خطيئة بمعنى خطايا في كلام العرب قال مجاهد يعني بخطيئته
قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم وقوله ان سارة اخته زاد الحسن وقوله للكوكب هذا
ربي وحكى الواحدي عن المفسرين انهم فسروا الخطايا بما فسرها مجاهد قال الزجاج الانبياء بشر ويجوز
ان تقع عليهم الخطيئة الا انهم لا تكون منهم الكبيرة لانهم معصومون يوم الدين اي يوم
الجزاء للعباد باعمالهم ولا يخفى ان تفسير الخطايا بما ذكره مجاهد ومن معه ضعيف فان تلك
معاريض وهي ايضا انما صدرت عنه بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه وعن عائشة
قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين اكان ذلك نافعه
قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه
انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال ثم لما فرغ الخليل من الثناء على ربه والاعتراف بنعمه
وفنون الطافه الفائضة عليه من حضرة الحق من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته
تعالى فعقبه بالدعاء ليقتدي به غيره في ذلك فقال رب هب لي حكما المراد بالحكم الكمال في العلم
والفهم والعمل يستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق وقيل النبوة والرسالة وقيل المعرفة بحدود
الله واحكامه والحقني بالصالحين يعني بالنبيين قبلي في العمل الصالح وقيل باهل الجنة اي في
درجاتهم قاله ابن عباس والاول اولى ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين
واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي اجعل لي ثناء حسنا وذكرا جميلا وجاها وصيتا وقبولا
عاما في الامم الآخرين الذين يأتون بعدي في الدنيا يبقى اثره الى يوم القيامة قال القتيبي وضع اللسان
موضع القول على الاستعارة لان القول يكون بها وقد تكني العرب بها عن الكلمة وقد اعطى الله سبحانه

ابراهيم ذلك بقوله وتركنا عليه في الآخرين واجاب دعاءه فان كل امة تتمسك به وتعظمه
وكل اهل الاديان يتولونه ويثنون عليه خصوصا هذه الامة وخصوصا في كل تشهد من تشهدات
الصلوات وقال مكي قيل معنى سؤاله ان يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت دعوته
في محمد صلى الله عليه وسلم فتكون الآية على تقدير مضاف اي صاحب لسان صدق او هو مجاز من اطلاق
الجزء على الكل لان الدعوة باللسان ولا وجه لهذا التخصيص والتكلف وقال القشيري اراد الدعاء
الحسن الى قيام الساعة ولا وجه لهذا ايضا فان لسان الصدق اعم من ذلك وعن ابن عباس
في الآية قال اجتماع اهل الملل على ابراهيم فما من امة الا وهي تحبه وتثني عليه واجعلني وارثا
من ورثة جنة النعيم اي ممن رجا فيهم ومن جملتهم اي ممن يعطاها بلا تعب ومشقة
كالارث الحاصل للانسان من غير تعب واضافة الجنة الى النعيم من اضافة المحل للحال فيه ولما طلب عليه السلام
بالدعوة الاولى سعادة الدنيا طلب بهذه الدعوة سعادة الآخرة وهي جنة النعيم قيل وجعلها
مما يورث تشبيها الغنيمة الآخرة بغنيمة الدنيا وقد تقدم تفسير معنى الوراثة في سورة مريم
واغفر لابي كان ابوه قد وعده انه يؤمن به فاستغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه
وقد تقدم تفسير هذا مستوفى في سورة التوبة وسورة مريم وعن ابن عباس قال امنن عليه بتوبة
يستحق بها مغفرتك انه كان من الضالين اي من المشركين الضالين عن طريق الهداية
وكان زائدة على مذهب سيبويه كما تقدم في غير موضع ولا تخزني يوم يبعثون اي لا تفضحني
على رؤس الاشهاد بمعاتبتي او بمعاقبتي على ما فرطت او لا تعذبني يوم القيامة وقال ذلك لخفاء
العاقبة وجواز التعذيب عقلا والمعنى لا تخزني بتعذيب ابي او ببعثه في جملة الضالين او بنقص
رتبتي عن رتبة بعض الوراث والاخزاء يطلق على الخزي وهو الهوان وعلى الخزاية وهي الحياء اي
الاستحياء اخرج البخاري وغيره من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم اباه
آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول ابوه فاليوم
لا اعصيك فيقول ابراهيم رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي
الابعد فيقول الله اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول ما تحت رجليك يا ابراهيم فاذا بذيخ متلطخ
فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار والذيخ هو الذكر من الضباع فكانه حول آزر الى صورة ذيخ وقد اخرجه

النسائي باطول من هذا يوم لا ينفع مال ولا بنون احدا من الناس والابن هو اخص القرابة
واولاهم بالحماية والدفع والنفع فاذا لم ينفع فغيره من القرابة والاعوان بالاولى وقال ابن عطية ان
هذا وما بعده من كلام الله وهو ضعيف والاظهر انه من كلام ابراهيم الا من اتى الله بقلب سليم
قيل هو استثناء منقطع اي لكن من اتى الله قال في الكشاف الا حال من اتى الله فقيل مضاف محذوف
قال ابو حيان ولا ضرورة تدعو الى ذلك وقيل ان هذا الاستثناء بدل من المفعول المحذوف او مستثنى
منه اذ التقدير لا ينفع مال ولا بنون احدا من الناس الا من كانت هذه صفته ويحتمل ان يكون بدلا
من فاعل ينفع فيكون مرفوعا قال ابو البقاء فيكون التقدير الا مال من او بنو من فانه ينفع وهذا
الماضي بمعنى المضارع وكذا يقال في قوله وازلفت وبرزت وقيل وكبكبوا وقالوا واختلف في معنى
القلب السليم فقيل السالم من الشرك فاما الذنوب فليس يسلم منها احد قاله اكثر المفسرين وقال
سعيد بن المسيب القلب السليم الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض قال تعالى في قلوبهم مرض
وقيل هو القلب الخالي عن البدعة المطمئن الى السنة وقيل السالم من آفة المال والبنين وقال
الضحاك السليم الخالص وقال الجنيد السليم في اللغة اللديغ فمعناه انه قلب كاللديغ من خوف الله
تعالى وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القرآن قال الرازي اصح الاقوال ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل
والاخلاق الرذيلة وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له
ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم قال النسفي وما احسن
ما رتب عليه السلام من كلامه مع المشركين حيث سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم
ثم اقبل على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فاخرجه
من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها
الى ذكر الله تعالى فعظم شانه وعدد نعمه من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجى في الآخرة من
رحمته ثم اتبع ذلك ان دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الادب ثم وصله بذكر يوم
القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه
من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا انتهى وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وادنيت
لهم ليدخلوها او بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها

وقال الزجاج قربت لهم ايامها ونظرهم اليها وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ اي جعلت بارزة لهم المراد
بهم الكافرون الضالون عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى والمعنى انها اظهرت بحيث يرونها مع
ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا وقيل اظهرت
قبل ان يدخلوها ليشتد حزن الكافرين ويكثر سرور المؤمنين وقرئ برزت على البناء للفاعل وَقِيلَ لَهُمْ
على سبيل التوبيخ أَيْنَمَا اي في اي مكان كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ من الاصنام والانداد هذا
سؤال تبكيت لا يتوقع له جواب هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ فيدفعون عنكم العذاب أَوْ يَنْتَصِرُونَ بدفعه عن
انفسهم وهذا كله توبيخ وتقريع لهم فَكُبْكِبُوا فِيهَا اي القوا في جهنم على رؤسهم وقيل قلبوا
على رؤسهم وقيل القي بعضهم على بعض وقيل جمعوا قاله ابن عباس ماخوذ من الكبكبة وهي
الجماعة قاله الهروي وقال النحاس هو مشتق من كوكب الشيء وهو معظمه والجماعة من الخيل كوكب وكبكبة
وقيل دهدهوا وهذه المعاني متقاربة والكبكبة تكرير الكب وهو الالقاء على الوجه جعل التكرير
في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة اثر مرة حتى يستقر في قعرها نعوذ
بالله منها واصله كببوا بباءين الاولى مشددة من حرفين فابدل من الباء الوسطى الكاف وقد رجح
الزجاج ان المعنى طرح بعضهم على بعض ورجح ابن قتيبة ان المعنى القوا على رؤسهم وقيل انكسوا
وقيل الضمير في كبكبوا لقريش هُمْ اي الالهة المعبودون والاصنام وَالْغَاوُونَ اي العابدون لهم وقيل
الجن والكافرون وقال ابن عباس مشركو العرب والالهة وَجُنُودُ إِبْلِيسَ اي شياطينه الذين يغوون
العباد من الانس والجن وقيل ذريته واتباعه وقيل كل من يدعو الى عبادة الاصنام أَجْمَعُونَ تاكيد
للضمير في كبكبوا وما عطف عليه قَالُوا اي الغاوون وَهُمْ اي حال كونهم فِيهَا يَخْتَصِمُونَ مع معبودهم
مستانفة كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل ومقول القول تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا اي ان الشان كوننا
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ واضح ظاهر والمراد بالضلال هنا الخسار والتبار والحيرة عن الحق ويجوز ان ينطق
الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم او يجري ذلك بين العصاة والشياطين إِذْ نُسَوِّيكُمْ العامل
في الظرف هو كونهم في الضلال وقيل العامل هو الضلال وفيه ضعف وقيل ظرف لمبين وقيل ما
يدل عليه الكلام كانه قيل ضللنا وقت تسويتنا لكم في العبادة بِرَبِّ الْعَالَمِينَ الذي انتم ادنى
مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقال الكوفيون ان في ان كنا نافية واللام بمعنى الا اي ما كنا الا في

ضلال مبين والاول اولى وهو مذهب البصريين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية
وَمَا أَضَلَّنَا عن الهدى إِلَّا الْمُجْرِمُونَ يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس والشياطين وقيل
رؤساؤهم الذين اضلوهم وقيل ابليس وجنوده وابن آدم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل
وانواع المعاصي وقيل من سن الشرك وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ يشفعون
لنا من العذاب كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ اي ذي قرابة والحميم
القريب الذي توده ويودك ووحد الصديق لما تقدم غير مرة انه يطلق على الواحد والاثنين والجماعة
والمذكر والمؤنث او لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق او لان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء
والحميم ماخوذ من حامة الرجل اي خاصته واقربائه ويقال حم الشيء واحم اذا قرب ومنه الحمى لانه
يقرب من الاجل وقال علي بن عيسى انما سمي القريب حميما لانه يحمى لغضب صاحبه فجعله ماخوذا من الحمية
وقيل من الاحتمام بمعنى الاهتمام الذي يهمه ما يهمك قاله الزمخشري وسئل حكيم عن الصديق فقال
اسم لا معنى له وقيل اسم بلا مسمى والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من اصله او نفي صفته فقط فَلَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً هذا منهم على طريق التمني الدال على كمال التحسر كأنهم قالوا فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا
وجواب التمني فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اي نصير من جملتهم حتى تحل لنا الشفاعة كما حلت لهؤلاء إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ اي ما تقدم ذكره من نبأ ابراهيم وقصة قومه لَآيَةً اي عبرة وعلامة وحجة وعظة
لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها
لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلالتها وحسن دعوته للقوم
وحسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على
سبيل الحكاية تعريضا بهم وايقاظا لهم ليكون ادعى الى الاستماع والقبول والتنوين في آية يدل
على التعظيم والتفخيم وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
نبأ ابراهيم وهم قريش ومن دان بدينهم وقيل وما كان اكثر قوم ابراهيم بمؤمنين لانهم كلهم غير
مؤمنين وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ القاهر لاعدائه الرَّحِيمُ باوليائه او والرحيم للاعداء بتاخير عقوبتهم
وترك معاجلتهم كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ انث الفعل لكونه مسندا الى قوم وهو في معنى
الجماعة او الامة او القبيلة وفي المصباح القوم يذكر ويؤنث وكذا كل اسم جمع لا واحد له من لفظه نحو

رهطا ونفرا واوقع التكذيب على المرسلين وهم لم يكذبوا الا الرسول المرسل اليهم لان من كذب رسولا
فقد كذب الرسل لان كل رسول يأمر بتصديق غيره من الرسل وقيل كذبوا نوحا في الرسالة وكذبوه
فيما اخبرهم به من مجيء المرسلين بعده او لانه لطول لبثه فيهم كانه رسل اذ قال لهم اخوهم نوح
اي اخوهم من ابيهم لا اخوهم في الدين وقيل المراد اخوة المجانسة وقيل هو من قول العرب يا اخا
بني تميم يريدون واحدا منهم الا تتقون الله بترك عبادة الاصنام وتجيبون رسوله الذي ارسله
اليكم اني لكم رسول امين فيما ابلغكم عن الله وقيل امين فيما بينكم فانهم كانوا قد عرفوا امانته وصدقه
فاتقوا الله اي اجعلوا طاعة الله وقاية لكم من عذابه واطيعون فيما آمركم به عن الله من الايمان به وترك
الشرك والقيام بفرائض الدين تصدير القصص الخمس بالحث على التقوى يدل على ان البعثة مقصورة
على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين
على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية وما
اسألكم عليه من اجر اي ما اطلب منكم اجرا على تبليغ الرسالة ولا اطمع في ذلك منكم ومن زائدة
في المفعول ان اجري اي ما ثوابي الذي اطلبه واريده الا على رب العالمين لا على غيره وكرر قوله
فاتقوا الله واطيعون للتأكيد والتقرير في النفوس مع كونه علق كل واحد منهما بسبب وهو الامانة
في الاول وقطع الطمع في الثاني ونظيره قولك الا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا الا تتقي الله في
عقوقي وقد علمتك كبيرا وقدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله علة لطاعته قالوا انؤمن
لك الاستفهام للانكار اي كيف نتبعك ونصدق لك ونؤمن بك والحال ان قد اتبعك الارذلون
جمع ارذل وجمع التكسير اراذل والانثى رذلى وهم الاقلون جاها ومالا والرذالة الخسة والذلة استرذلوهم
لقلة اموالهم وجاههم او لاتضاع انسابهم قال مجاهد الارذلون الحواكون وقال قتادة سفلة الناس واراذلهم
وقال ابن عباس يعني القافة وقيل هم الحاكة والاساكفة وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية
والصناعة لا تزري بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز ان يسمى المؤمن رذلا وان كان
افقر الناس واوضعهم نسبا وما زالت اتباع الانبياء كذلك وانما بادروا الى الاتباع قبل الاغنياء لاستيلاء
الرياسة على الاغنياء وصعوبة الانفكاك منها والانفة عن الانقياد للغير والفقير خلي من تلك الموانع
فهو سريع الاجابة والانقياد وهذا غالب احوال اهل الدنيا وهذا من سخافة عقولهم وقصر رأيهم

على حطام الدنيا حتى جعلوا اتباع المقلين من الدنيا مانعا من اتباعهم وجعلوا ايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك
الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة وقرئ اتباعك الارذلون قال النحاس هي قراءة حسنة لان هذه الواو
تتبعها الاسماء كثيرا واتباع جمع تابع قال وما علمي بما كانوا يعملون كان زائدة والمعنى وما علمي بعملهم اي لم اكلف العلم باعمالهم
انما كلفت ان ادعوهم الى الايمان والاعتبار به لا بالحرف والصنائع والفقر والغنى وكانهم اشاروا
بقولهم واتبعك الارذلون الى ان ايمانهم لم يكن عن نظر صحيح فاجابهم بهذا اي اني لم اقف على باطن امرهم
وانما وقفت على ظواهرهم وقيل المعنى اني لم اعلم ان الله سيهديهم ويضلكم ويرزقهم ويخذلكم
ويرشدهم ويغويكم ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي ما حسابهم والتفتيش عن ضمائرهم
واعمالهم الا على الله لو كنتم من اهل الشعور والفهم ما عيرتموهم بصنائعهم قرئ يشعرون بالتحتية
كانه ترك الخطاب للكفار والتفت الى الاخبار عنهم قال الزجاج والصناعات لا تضر في باب الديانات
وما احسن ما قال وما انا بطارد المؤمنين هذا جواب من نوح على ما ظهر من كلامهم من طلب
الطرد لهم ان انا الا نذير مبين اي ما انا الا نذير موضح لما امرني الله سبحانه بابلاغه اليكم و
هذه الجملة كالعلة لما قبلها قالوا لئن لم تنته يا نوح اي ان لم تترك عيب ديننا وسب الهتنا
لتكونن من المرجومين بالحجارة وقيل من المشتومين وقيل من المقتولين فعدلوا بعد تلك
المحاورة بينهم وبين نوح الى التجبر والتوعد فلما سمع نوح قولهم هذا قال رب ان قومي كذبون
اي اصروا وصمموا على تكذيبي بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يسمعوا قولي ولا اجابوا
دعائي وانما قال هذا اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تحريضهم له واستخفافهم
به فافتح بيني وبينهم فتحا الفتح الحكم اي احكم بيننا حكما يستحقه كل واحد منا اي انزل العقوبة
والهلاك وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون اي السفينة المملوة من الناس والحيوان والطير والشحن
ملأ السفينة بالناس والدواب والمتاع قال ابن عباس المشحون الممتلي وعنه قال اتدرون ما المشحون
قلنا لا قال هو الموقر وعنه ايضا قال هو المثقل ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين من قومه
وكانوا ثمانين اربعون من الرجال واربعون من النساء ان في ذلك لاية اي علامة وعبرة عظيمة
وما كان اكثرهم مؤمنين انهم انه لو كان نصفهم مؤمنين لما اخذوا وان ربك لهو العزيز

اي القاهر لاعدائه والمنتقم باهانة من جحد واصر الرحيم باوليائه والمنعم باعانة من وحد واقر

كذبت عاد المرسلين انث الفعل باعتبار اسناده الى القبيلة لان عادا اسم ابيهم الاعلى وكان من نسل سام بن نوح ومعنى تكذيبهم المرسلين مع كونهم لم يكذبوا الا رسولا واحدا قد تقدم وجهه في قصة نوح قريبا اذ قال لهم اخوهم نسبا هود وكان تاجرا جميل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر اربعمائة واربعا وستين سنة الا تتقون والكلام فيه كالكلام في قول نوح المتقدم قريبا وكذا في قوله اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع آية الريع المكان المرتفع من الارض جمع ريعة يقال كم ريع ارضك اي كم ارتفاعها قال ابو عبيدة الريع الارتفاع جمع ريعة وقال قتادة والضحاك والكلبي الريع الطريق وبه قال مقاتل والسدي وابن عباس واطلاق الريع على ما ارتفع من الارض معروف عند اهل اللغة وقيل الريع الجبل واحده ريعة والجمع ارياع وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين وروي عنه انه الثنية الصغيرة وروي عنه ايضا انه المنظرة وقيل بروج الحمام وقال ابن الاعرابي الريع الصومعة والريع البرج يكون في الصحراء والريع التل العالي وفي الريع لغتان كسر الراء وفتحها والاستفهام للتقريع والتوبيخ ومعنى الآية انكم تبنون بكل مكان مرتفع بناء تعبثون ببنائه وتلعبون بالمارة وتسخرون منهم لانكم تشرفون من ذلك البناء المرتفع على الطريق فتؤذون من يمر بكم وتسخرون منهم وقال الكلبي انه عبث العشارين باموال من يمر بهم حكاه الماوردي وتتخذون مصانع هي الابنية التي يتخذها الناس منازل قال ابو عبيدة كل بناء مصنعة وبه قال الكلبي وغيره وقيل هي الحصون المشيدة قاله مجاهد وغيره وقال الزجاج انها مصانع الماء التي تجعل تحت الارض واحدتها مصنعة ومصنع اي حياضا وبركا تجمعون فيها الماء فهي من قبيل الصهاريج قال الجوهري المصنعة بضم النون الحوض يجمع فيه ماء المطر والمصانع الحصون وقال عبد الرزاق المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العالية لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا في الدنيا لانكاركم البعث والتوبيخ ظاهرا وعاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها وقيل ان لعل هنا للاستفهام التوبيخي قاله زيد بن علي وبه قال الكوفيون اي هل تخلدون كقولهم لعلك تشتمني اي هل تشتمني وقال الفراء كي تخلدون وبه قرأ عبد الله اي لا تتفكرون في الموت وقيل المعنى كانكم باقون مخلدون وفي [illegible]

مغناها التشبيه ولم ار من نص على انها تكون للتشبيه وقرئ تخلدون مخففا ومشددا وحكى النحاس ان في
بعض القراءات كانكم تخلدون فيه قال ابن عباس واذا بطشتم بضرب او قتل بطشتم جبارين من غير
رافة والبطش السطوة والاخذ بالعنف قال مجاهد وغيره اذا اردتم البطش لئلا يتحد الشرط والجزاء قال
الزجاج انما انكر عليهم ذلك لانه ظلم واما في الحق فالبطش بالسوط والسيف جائز قال الكرخي على ان اتخاذ
الابنية العالية تدل على حب الدنيا واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو
وهذه صفات الالهية وهي ممتنعة الحصول للعبد انتهى ثم لما وصفهم بهذه الاوصاف القبيحة
الدالة على الظلم والعتو والتمرد والتجبر امرهم بالتقوى فقال فاتقوا الله في ذلك واطيعون فيما امرتكم به
اجمل التقوى ثم فصله بقوله واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من انواع النعم والخير الحاصلة لكم
ثم فصل هذا الاجمال بقوله امدكم بانعام وبنين الخ باعادة الفعل لزيادة التقرير والتاكيد لان
التفصيل بعد الاجمال والتفسير بعد الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اي بساتين وانهار وابار
ثم وعظهم وحذرهم فقال اني اخاف عليكم ان كفرتم واصررتم على ما انتم فيه ولم تشكروا هذه النعم
عذاب يوم عظيم اي العذاب الدنيوي والاخروي فان كفران النعمة مستتبع للعقاب كما ان شكرها
مستتبع لزيادتها قالوا سواء علينا اي مستو عندنا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اصلا اي وعظك
وعدمه سواء عندنا لا نبالي بشيء منه ولا نلتفت الى ما تقوله ولا نرعوي له والحاصل انهم اظهروا قلة
اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد
ولم يقل ام لم تعظ لرؤس الاي وتواخي القوافي وابدى له الزمخشري معنى فقال هو ابلغ في قلة
اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ وعن الكسائي اوعظت بادغام الظاء في التاء وهو بعيد
لان حرف الظاء حرف اطباق انما يدغم فيما قرب منه جدا وقرا الباقون باظهار الظاء ان هذا تعليل
لما قبله اي ما هذا الذي جئتنا به ودعوتنا اليه من الدين وقيل المعنى ما هذا الذي نحن عليه
الا خلق الاولين اي طبيعتهم وعادتهم التي كانوا عليها وهذا بناء على ما قال الفراء وغيره ان معنى
الخلق العادة قال النحاس الخلق عند الفراء العادة وعن محمد بن يزيد خلقهم مذهبهم وما جرى
عليه امرهم والقولان متقاربان وقال مقاتل قالوا ما هذا الذي تدعونا اليه الا كذب الاولين قال
الواحدي هو قول ابن مسعود ومجاهد قال والخلق والاختلاق الكذب ومنه قوله وتخلقون افكا وفي

خلق بفتح الخاء وسكون اللام وبضمهما قال الهروي معناه على الأولى اختلاقهم وكذبهم وعلى
الثانية عادتهم وهذا التفصيل لا بد منه قال ابن الأعرابي الخلق الدين والطبع والمروءة وقرأ أبو قلابة
بضم الخاء وسكون اللام وهي تخفيف لقراءة الضم لهما والظاهر أن المراد بالآية هو قول من قال
ما هذا الذي نحن عليه إلا عادة الأولين وفعلهم ويؤيده قولهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ على ما نفعل
من البطش ونحوه مما نحن عليه الآن في الدنيا من الأعمال ولا بعث ولا حساب ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي هودا
أي أصروا على تكذيبه ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح كما صرح به القرآن في غير هذا الموضع وهي ريح
باردة شديدة الصوت لا ماء فيها وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام أولها من صبح يوم
الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ تقدم تفسير هذا قريبا في هذه السورة ثم لما فرغ
سبحانه من ذكر قصة هود وقومه ذكر قصة صالح وقومه وكانوا يسكنون الحجر فقال ﴿كَذَّبَتْ
ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ المراد بهم صالح وفي التعبير عنه بالجمع ما تقدم وثمود اسم قبيلة سميت باسم
أبيها وهو ثمود جد صالح ولذا قال ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نسبا ﴿صَالِحٌ﴾ لاجتماعه معهم في الأب الأعلى وعاش
صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة ﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قد تقدم
تفسيره في قصة هود المذكورة قبل هذه القصة ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ الاستفهام
للإنكار والتوبيخ أي لا تظنوا ولا ينبغي لكم أن تعتقدوا أنكم تتركون في الدنيا متقلبين في هذه
النعم التي أعطاكم الله آمنين من الموت والعذاب باقين في الدنيا ولما أبهم النعم في هذا فسرها
بقوله ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ﴾ ذكر النخل مع دخوله تحت الجنات لفضله على سائر الأشجار
أو لأن المراد به غيرها من الأشجار وكثيرا ما يذكرون الشيء الواحد بلفظ يعمه وغيره كما يذكرون
النعم ولا يقصدون إلا الإبل وهكذا يذكرون الجنة ولا يريدون إلا النخل وهو اسم جمع الواحدة
نخلة وكل اسم جمع كذلك يؤنث ويذكر وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقا وقيل المراد بالجنات
غير النخل من الشجر والأول أولى ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطلع أول ما يطلع من الثمر وبعده يسمى خلالا ثم بلحا
ثم بسرا ثم رطبا ثم تمرا وفي البيضاوي هو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو انتهى

وهذا التشبيه من حيث الهيئة والشكل والهضيم هو النضيج الرخص اللين اللطيف او متدلل متكسر من كثرة
الحمل وقيل ما لم يخرج من كفراه لدخول بعضه في بعض وحكى الماوردي في معنى هضيم اثني عشر قولا احسنها واوفقها
باللغة ما ذكرناه وعن ابن عباس قال هضيم معشب وعنه قال اينع وبلغ وعنه قال ارطب في
استرخى (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) النحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر براه والنحاتة البراية
والمنحت ما ينحت به وكانوا ينحتون بيوتهم من الجبال لما طالت اعمارهم وتهدم بناؤهم من المدر فان
السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم وفي الخطيب وكان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة
الى الف سنة وكذا كان قوم هود وقرئ فرهين قال ابو عبيدة وغيره وهما بمعنى واحد والفره النشاط
وشدة الفرح وفرق بينهما ابو عبيد وغيره فقالوا فارهين حاذقين بنحتها قاله ابن عباس وقيل
متجبرين وفرهين بطرين اشرين وبه قال مجاهد وابن عباس وغيره وقيل شرهين وقال الضحاك
كيسين وقال قتادة معجبين ناعمين امنين وبه قال الحسن وقيل فرحين قاله الاخفش وقال
ابن زيد اقوياء (فاتقوا الله واطيعون) فيما امركم به (ولا تطيعوا امر المسرفين) اي المشركين
وقيل التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي في النسبة الايقاعية والمراد
الامر ثم وصف هؤلاء المسرفين بقوله (الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون) اي ذلك دابهم
يفعلون الفساد في الارض ولا يصدر منهم الصلاح بطاعة الله البتة (قالوا انما انت من
المسحرين) اي الذين اصيبوا بالسحر قاله مجاهد وقتادة وقيل المسحر هو المعلل بالطعام والشراب
قاله الكلبي وغيره فيكون المسحر الذي له سحر وهو الرئة فكانهم قالوا انما انت بشر مثلنا تاكل وتشرب
قال الفراء اي انك تاكل الطعام والشراب وتسحر به قال المؤرج المسحر المخلوق بلغة ربيعة قال ابن عباس
مسحرين مخلوقين (ما انت الا بشر مثلنا) فكيف تدعي انك رسول الينا (فات باية ان كنت من
الصادقين) في قولك ودعواك (قال هذه ناقة) اشار اليها بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه
كما اقترحوها قال ابو موسى الاشعري رايت مبركها فاذا هو ستون ذراعا في ستين ذراعا ثم وصاهم صالح
بامرين الاول (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) اي لها نصيب من الماء ولكم نصيب منه معلوم ليس لكم
ان تشربوا في اليوم الذي هو نصيبها ولا هي تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم وهذا دليل
على جواز المهاياة قال الفراء الشرب الحظ من الماء قال النحاس فاما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا



وأكثرها الضم والشرب بفتح الشين جمع شارب والمراد هنا الشرب بالكسر وبه قرأ الجمهور فيهما وقرئ
بالضم فيهما أي الثاني ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أي بعقر أو ضرب أو شيء مما يسوءها وجواب النهي ﴿فيأخذكم
عذاب يوم عظيم﴾ لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت
إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد ﴿فعقروها﴾ يوم الثلثاء أي عقرها قدار وضرب
بالسيف في ساقيها وكان ابن زنا قصيرا أحمر ولكنهم راضون به فأضيف إليهم ﴿فأصبحوا نادمين﴾
على عقرها لما عرفوا أن العذاب نازل وذلك أنه أنظرهم ثلثا فظهرت عليهم العلامة في كل يوم
وندموا حيث لا ينفع الندم لأن ذلك لا يجدي عند معاينة العذاب وظهور آثاره ولأن مجرد الندم
ليس توبة ﴿فأخذهم العذاب﴾ الذي وعدهم به يوم السبت فهو لهم في اليوم الأول أي الأربعاء قد
اصفرت وجوههم ثم احمرت في الخميس ثم اسودت في الجمعة وفي قول مقاتل أنه خرج في أبدانهم
خراج مثل الحمص فكان في اليوم الأول أحمر ثم صار من الغد أصفر ثم صار في الثالث أسود وكان عقر
الناقة يوم الأربعاء وهلاكهم يوم الأحد انفقعت فيه تلك الخراجات وصاح عليهم جبريل صيحة فماتوا
بالأمرين وكان ذلك ضحوة وقد تقدم تفسير قوله ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾
وفيه إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وإن قريشا إنما عصموا من مثله ببركة
من آمن منهم ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ تقدم تفسيرها أيضا في هذه السورة ﴿كذبت قوم
لوط المرسلين﴾ ذكر سبحانه القصة السادسة من قصص الأنبياء مع قومهم وهي قصة لوط وقد
تقدم تفسير قوله ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط﴾ أي في البلد والسكنى والتجاور في القرية لا في الدين ولا في
النسب لأنه ابن أخي إبراهيم وهما من بلاد المشرق من أرض بابل ﴿ألا تتقون إني لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون
الذكران﴾ الذكران جمع الذكر ضد الأنثى وهو بنو آدم أو كل حيوان ﴿من العالمين﴾ أي من الناس
وقد كانوا يفعلون ذلك بالغرباء على ما تقدم في الأعراف ﴿وتذرون ما خلق﴾ أي أصلح وأحل وأباح
﴿لكم ربكم﴾ لأجل استمتاعكم به ﴿من أزواجكم﴾ المراد بهن جنس الإناث وقال مجاهد تركتم أقبال النساء إلى
أدبار الرجال وأدبار النساء وعن عكرمة نحوه وفيه دليل على تحريم أدبار الزوجات والمملوكات قال
السيوطي ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أي متجاوزون الحد في جميع المعاصي

ومن جملتها هذه المعصية التي ترتكبونها من الذكران قالوا لئن لم تنته يا لوط عن الانكار علينا
وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من بلدنا المنفيين عنها ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على
اسوء حال قال اني لعملكم وهو ما انتم فيه من اتيان الذكران من القالين اي من المبغضين له و
القلي البغض الشديد كانه يغلي الفؤاد يقال قليته اقليه قلى وقلاء وفي هذا دليل على عظم المعصية
لان قلاه من حيث الدين ثم رغب عليه السلام عن محاورتهم وطلب من الله عز وجل ان ينجيه فقال رب
نجني واهلي مما يعملون اي من عملهم الخبيث او من عقوبته التي ستصيبهم فاجاب الله سبحانه
دعاءه فقال فنجيناه واهله ——— اي اهل بيته ومن تابعه على دينه اجمعين
الا عجوزا هي امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم العاصي واستثناء الكافرة
من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم وان لم تشاركهم في الايمان في الغابرين
اي من الباقين في العذاب قال ابو عبيدة من الباقين في الهرم اي بقيت حتى هرمت قال
النحاس يقال للذاهب غابر وللباقي غابر والاغبار بقية الالبان وتقول العرب ما مضى وما غبر اي ما
بقي قال قتادة هي امرأة لوط غبرت في عذاب الله ثم دمرنا الآخرين اي اهلكناهم بالخسف والحصب
وبقلب قراهم عليهم وجعل عاليها سافلها وامطرنا عليهم اي على من كان منهم ذلك الوقت خارج
القرى لسفر او غيره مطرا يعني الحجارة وقيل الكبريت والنار فساء مطر المنذرين المخصوص بالذم محذوف
والتقدير مطرهم ولم يرد بهم قوما باعيانهم بل جنس الكافرين وقد تقدم تفسير قوله ان في ذلك
لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في هذه السورة كذب اصحاب الايكة
المرسلين الايكة الشجر الملتف وهي الغيضة وقرئ ليكة بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسما غير
معرف بأل مضافا اليه اصحاب وليكة اسم للقرية وانكره الزمخشري وهو غير جيد وقيل هما
بمعنى واحد اسم للغيضة قال القرطبي فاما ما حكاه ابو عبيد من ان ليكة اسم القرية التي كانوا فيها
وان الايكة اسم البلد كله فشيء لم يثبت ولم يعرف من قاله ولو عرف لكان فيه نظر لان اهل
العلم جميعا على خلافه قال ابو علي الفارسي الايكة تعريف ليكة فاذا حذفت الهمزة تخفيفا القيت حركتها
على اللام قال الخليل الايكة الغيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر قال مجاهد ليكة هي
الايكة وقد وقع لفظ الايكة في القرآن اربع مرات في الحجر وفي ق وهاهنا وفي ص والاولان بأل والحجر

والاخران يقرآن بال وبالجر وبحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وفتح الهاء معا ن الكل مجرورات
باضافة لفظ اصحاب اليها وقال ابن عباس كانوا اصحاب غيضة من ساحل البحر الى مدين اذ قال لهم
شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم كما قال في الانبياء قبله لانه لم يكن من اصحاب الايكة في النسب
فلما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وقد مضى تحقيق نسبه في الاعراف وبعث الله شعيبا
الى امتين اصحاب الايكة واهل مدين فاهلك الله اصحاب الايكة بالظلة واما اهل مدين فصاح بهم
جبريل صيحة فهلكوا اجمعين اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين وانما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على
صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر على
تبليغ الرسالة اوفوا الكيل اي اتموه لمن اراده وعامل به ولا تكونوا من المخسرين اي الناقصين للكيل
والوزن يقال اخسرت الكيل والوزن اي نقصته ومنه قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون
قال النسفي الكيل واف وهو مامور به وطفيف وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل
على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعل فلا شئ عليه ثم زاد سبحانه في البيان فقال وزنوا بالقسطاس
المستقيم اي اعطوا الحق بالميزان السوي وقد مر بيان تفسير هذا في سورة سبحان وقرئ القسطاس
مضموم القاف ومكسورها وهي الميزان او القبان فان كان من القسط وهو العدل وجعلت
العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس النقص يقال
بخسه حقه اذا نقصه اي لا تنقصوا حقوقهم التي لهم وهذا تعميم بعد التخصيص وقيل دراهم
ودنانيرهم بقطع اطرافها وقد تقدم تفسيره في سورة هود وتقدم ايضا تفسير ولا تعثوا في
الارض مفسدين فيها او في غيرها اي لا تبالغوا فيها بالفساد نحو قطع الطريق والغارة واهلاك
الزرع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثى في الارض اذا افسد وبابه سما وعثي بالكسر وعثى
بفتحتين بوزن فتى قال الازهري القراء كلهم متفقون على فتح الثاء فدل على ان القرآن نزل باللغة
الثانية وفي القاموس عثى كسعى ورمى ورضي واتقوا الله الذي خلقكم اي من نطفة واعدا مكرا هو
شئ عليه واشار الى ضعفهم وقوة من كان قبلهم بقوله والجبلة الاولين الذين اهلكوا بالمعاصي
كقوم لوط كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة قرئ الجبلة بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرئ بضمهما

وتشديد اللام وقرئ بفتح الجيم مع سكون الباء والجبلة الخليقة قاله مجاهد وغيره يعني الامم
المتقدمة يقال جبل فلان على كذا اي خلق قال النحاس الخلق يقال الجبلة بكسر الحرفين الاولين وضمهما
مع تشديد اللام فيهما وبضم الجيم وسكون الباء وضمه وفتحها قال الهروي الجبلة والجبلة والجبل والجبل
لغات وهو الجمع والعدد الكثير من الناس ومنه قوله تعالى جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا قالوا انما
انت من المسحرين اي من المخلوقين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو هنا يفيد معنيين كلاهما
مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية يعني ان كلا منهما كاف فكيف اذا اجتمعا وترك الواو في قصة
ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا وقد تقدم تفسيره في هذه السورة وان نظنك لمن
الكاذبين فيما تدعيه علينا من الرسالة وقيل ما نظنك الا من الكاذبين والاول اولى فاسقط
علينا كسفا كان شعيب عليه السلام يتوعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فقالوا له هذا القول تعنتا
واستبعادا وتعجيزا ——— قال ابو عبيد الكسف جمع كسفة مثل سدر وسدرة قال
الجوهري الكسفة القطعة من الشيء يقال اعطني كسفة من ثوبك والجمع كسف وكسف وقد مضى تحقيق هذا
في سورة سبحان من السماء اي السحاب او الظلة ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي
اعلم بما تعملون من الشرك والمعاصي فهو مجازيكم على ذلك ان شاء وفي هذا تهديد شديد
فكذبوه فاستمروا على تكذيبه واصروا على ذلك فاخذهم عذاب يوم الظلة هي السحاب اقامها
الله فوق رؤسهم فامطرت عليهم نارا فهلكوا وقد اصابهم الله بما اقترحوه لانهم ان ارادوا
بالكسف القطعة من السحاب فظاهر وان ارادوا بها القطعة من السماء فقد نزل عليهم العذاب
من جهتها قال ابن عباس ارسل الله اليهم سموما من جهنم فاطاف بهم سبعة ايام حتى انضجهم الحر
فحميت بيوتهم وغلت مياههم في الآبار والعيون فخرجوا من منازلهم ومحلتهم هاربين والسموم
معهم فسلط الله عليهم الشمس من فوق رؤسهم فغشيتهم حتى تقلقلت فيها جماجمهم وسلط الله
عليهم الرمضاء من تحت ارجلهم حتى تساقطت لحوم ارجلهم ثم نشأت لهم ظلة كالسحابة السوداء
فلما رأوها ابتدروها يستغيثون بظلها حتى اذا كانوا جميعا اطبقت عليهم فهلكوا ونجى الله شعيبا
والذين آمنوا معه وعنه ايضا انه سئل عن قوله فاخذهم عذاب الخ فقال فخرجوا من البيوت
هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا

حتى اذا اجتمعوا تحتها اسقط الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة وعنه قال من حدثك
من العلماء عذاب يوم الظلة فكذبه اقول فما نقول له رضي الله عنه فيما حدثنا به من ذلك
مما نقلناه عنه ههنا وقد رواه عنه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وغيرهم ويمكن
ان يقال انه لما كان هو البحر الذي علمه الله تاويل كتابه بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم كان مختصا بمعرفة
هذا الحديث دون غيره من اهل العلم فمن حدث بحديث عذاب يوم الظلة على وجه غير
هذا الوجه الذي حدث به فقد وصانا بتكذيبه لانه قد علمه ولم يعلمه غيره والله اعلم واضاف
العذاب الى يوم الظلة لا الى الظلة تنبيها على ان لهم في ذلك اليوم عذابا غير عذاب يوم الظلة كذا
قيل ثم وصف سبحانه هذا العذاب الذي اصابهم بقوله انه كان عذاب يوم عظيم لما فيه من
الشدة عليهم التي لا يقادر قدرها وقد تقدم تفسير قوله ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في هذه السورة مستوفى فلا نعيده وقد تقدم
الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا وفي هذا التكرير لهذه
الكلمات في اخر هذه القصص السبع من التهديد والزجر والتقرير والتاكيد ما لا يخفى على من يفهم
مواقع الكلام ويعرف اساليبه قال النسفي فذكر في هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر
تقريرا للمعاني في الصدور وليكون ابلغ في الوعظ والزجر ولان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها
من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به
وانه الضمير يرجع الى ما نزله عليه من الاخبار اي وان هذه الاخبار او وان القرآن وان لم يجر له
ذكر للعلم به وبه قال قتادة لتنزيل رب العالمين اي فليس بشعر ولا سحر ولا اساطير ولا غير
ذلك مما قالوه فيه نزل قرئ مخففا ومشددا به الروح الامين هو جبريل كما في قوله قل من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك وبه قال قتادة وابن عباس وعنه مرفوعا قال الروح الامين جبريل
رايت له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها فيهما مثل ريش الطواويس اخرجه ابو الشيخ وسماه روحا
لانه خلق من الريح وسماه امينا لانه مؤتمن على وحيه لانبيائه على قلبك اي انه تلاه على قلبك
حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه ووجه تخصيص القلب لانه اول مدرك من الحواس الباطنة قال الكرخي
خصه بالذكر ليؤكد ان ذلك المنزل محفوظ والرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغير ولان القلب

هو المخاطب في الحقيقة لانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل
عليه القرآن والحديث والمعقول اما القرآن فقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
والحديث قوله صلى الله عليه وسلم الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه في الصحيحين واما المعقول فان القلب اذا غشي عليه وقطع سائر
الاعضاء لم يحصل له شعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما نزل بالاعضاء من الآفات فصارت الجوارح
ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب او حزن يتغير حال
سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا
ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم انتهى لتكون
من المنذرين علة للانزال اي انزله عليك لتنذرهم بما تضمنه من التحذيرات والانذارات و
العقوبات بلسان عربي مبين اي لتكون من المنذرين الذين انذروا بهذا اللسان وهم هود و
شعيب وصالح واسماعيل عليهم الصلاة والسلام او متعلق بنزل اي نزله بلسان عربي لتنذر به وقال ابو البقاء
بلسان عربي اي برسالة او لغة وقال ابو السعود باللغة العربية وانما جعل الله سبحانه القرآن
عربيا بلسان الرسول العربي لئلا يقول مشركوا العرب لو نزل بالاعجمي لسنا نفهم ما تقوله بغير لساننا
فقطع بذلك حجتهم وازاح علتهم ودفع معذرتهم قال ابن عباس اي بلسان قريش ولو كان غير
عربي ما فهموه وعن بريدة قال بلسان جرهم وانه اي ان هذا القرآن باعتبار احكامه التي اجمعت
عليها الشرائع او ذكره وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم لفي زبر الاولين من الانبياء كالتوراة
والانجيل والزبر الكتب الواحد زبور وقد تقدم الكلام على تفسير مثل هذا وقيل المراد بكون القرآن
فيها انه مذكور فيها هو نفسه لا ما اشتمل عليه من الاحكام وفيه دليل على ان القرآن قرآن اذا
ترجم بغير العربية كالفارسية وغيرها والاول اولى وقد قيل ان الصحيح من مذهب ابي حنيفة ان
القرآن هو النظم والمعنى معا قاله الشهاب اولم يكن لهم آية الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر
كما تقدم مرارا والآية العلامة والدلالة اي الم تكن لهؤلاء اي لكفار مكة علامة دالة على ان القرآن حق
وانه تنزيل رب العالمين وانه في زبر الاولين ان يعلمه علماء بني اسرائيل على العموم او من آمن
منهم كعبد الله بن سلام واسد واسيد وثعلبة وابن يامين فهؤلاء الخمسة من علماء اليهود وقد

حسن اسلامهم وانهم يخبرون بذلك وانما صارت شهادة اهل الكتاب حجة على المشركين
لانهم كانوا يرجعون اليهم ويصدقون قولهم قال الزجاج المعنى اولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل ان
محمدا صلى الله عليه وسلم نبي حق علامة ودلالة على نبوته لان العلماء الذين آمنوا من بني اسرائيل كانوا
يخبرون بوجود ذكره في كتبهم وكذا قال الفراء عن ابن عباس قال كان عبد الله بن سلام من علماء
بني اسرائيل وكان من خيارهم فآمن بكتاب محمد فقال لهم الله اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل
ولو نزلناه اي هذا القرآن على الصفة التي هو عليها على بعض رجل من الاعجمين جمع اعجمي في النصاب
التحرير او جمع اعجم قاله ابن عطية يقال رجل اعجم واعجمي اذا كان غير فصيح اللسان وان كان عربيا
ورجل عجمي اذا كان اصله من العجم وان كان فصيحا الا ان الفراء اجاز ان يقال رجل عجمي بمعنى اعجمي وقرئ
على بعض الاعجميين على الاصل وقال الزمخشري الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة او استعجام والاعجمي
مثله الا ان فيه زيادة ياء النسب توكيدا فقرأه عليهم قراءة صحيحة ما كانوا به مؤمنين لفرط انفتهم من
اتباعه مع انضمام اعجاز القراءة من الرجل الاعجمي للكلام العربي اي القرآن والمعنى ان الاعجمي لا يحسن
بالكتابة اصلا ولا باختراعه لفقد الفصاحة فيه ولكونه ليس لغته وقيل المعنى ولو نزلناه على
بعض الاعجميين بلغة العجم فقرأه عليهم بلغته لم يؤمنوا به وقالوا ما نفقه هذا ولا نفهمه ومثل هذا
قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته وهذه الشرطية لا تستلزم الوقوع كذلك اي
مثل ذلك السلك سلكناه اي ادخلنا القرآن في قلوب المجرمين اي كفار مكة بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم
حتى فهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه معجز وقال الحسن وغيره سلكنا الشرك والتكذيب في
قلوب المجرمين وقال عكرمة سلكنا القسوة والاول اولى لان السياق في القرآن وفيه حجة على
المعتزلة في خلق افعال العباد خيرها وشرها لا يؤمنون به اي بالقرآن حتى يروا العذاب الاليم
اي الى هذه الغاية وهي مشاهدتهم للعذاب الاليم والمراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك
ايمان يأس فلا ينفعهم والجملة مستأنفة او حالية فيأتيهم اي العذاب بغتة اي فجأة والفاء
للترتيب الرتبي دون الزماني كما في الكشاف والمعنى حتى يروا العذاب فما هو اشد منه من رؤيته وهو لحوقه
بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سؤالهم الانظار مع القطع بامتناعه كما يأتي وهم اي والحال انهم
لا يشعرون به باتيانه فتاتيهم الساعة وان لم يتقدم لها ذكر لكنه قد دل العذاب عليها فيرونه

فيقولوا هل نحن منظرون اي مؤخرون وممهلون عن الهلاك ولو طرفة عين لنؤمن قالوا
هذا تحسرا على ما فات من الايمان وطمعا في المحال وهو امهالهم بعد مجيء العذاب وتمنيا للرجعة
الى الدنيا لاستدراك ما فرط منهم فيقال لهم لا تاخير ولا امهال وقيل المراد بقولهم هذا الاستعجال
للعذاب على طريقة الاستهزاء لقوله أفبعذابنا يستعجلون ولا يخفى ما في هذا من البعد والمخالفة
للمعنى الظاهر فان معنى هل نحن منظرون طلب النظرة والامهال واما قوله افبعذابنا الخ فالمراد به
الرد عليهم والانكار لما وقع منهم من قولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم وقولهم
فأتنا بما تعدنا حيث استعجلوا ما فيه ضررهم وحتف انفسهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي ايكون حالهم كما ذكر عند نزول العذاب فيستعجلون به وبينهما من التنافي ما لا يخفى
على احد او ايغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون وتقديم الظرف لرعاية الفواصل
أفرأيت الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام ومعنى رأيت اخبرني والخطاب
لكل من يصلح له إن متعناهم سنين في الدنيا متطاولة وطولنا لهم الاعمار ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون من العذاب والهلاك ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون اي اي شيء او اي اغناء اغنى
عنهم كونهم ممتعين ذلك التمتع الطويل المديد والاستفهام للانكار التقريري وما في ما كانوا
مصدرية او موصولة وقيل نافية اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه
وقرئ يمتعون من امتع الله زيدا بكذا وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى
لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر
بن عبد العزيز انه كان يقرأها عند جلوسه للحكم وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون من مزيدة
للتاكيد اي وما اهلكنا قرية من القرى الا بعد الانذار والاعذار بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب
ذكرى بمعنى تذكرة اي يذكرون ذكرى قال النحاس وهذا قول صحيح لان معنى الا لها منذرون الا لها
مذكرون او التقدير انذارنا ذكرى او ذلك ذكرى قال ابن الانباري هي ذكرى او يذكرهم ذكرى
وقيل ينذرونهم ذوي تذكرة او لاجل التذكرة وبه صرح ابو البقاء اي تنذرهم لاجل تذكيرهم
بالعواقب وتدبرها الاخفش انها خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين في تعذيبهم
وليس من شأننا الظلم وقد قدمنا الحجة اليهم وانذرناهم واعذرنا اليهم وما تنزلت به اي بالقرآن

الشياطون وقرئ بالواو والنون اجراءله مجرى جمع السلامة قال النحاس وهذا غلط عند جميع
النحويين قال المبرد وهذا غلط من العلماء وبه قال الفراء وقال المورج ان كان الشيطان من شاط
يشيط كان لهذه القراءة وجه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلنا بساتين من ورائها
بساتون وهذا رد لما زعمه الكفرة في القران انه من قبيل ما تلقيه الشياطين على الكهنة بعد
تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين فلا يكون سحرا او كهانة او شعرا او اضغاث احلام كما يقولون
وما ينبغي لهم ذلك وما يصح منهم ولا يصلح ان ينزلوا به وما يستطيعون ما نسبه الكفار اليهم اصلا ولا يمكنهم انهم عن السمع للقران
او لكلام الملائكة لمعزولون اي لمحجوبون مرجومون بالشهب ثم لما قرر الله سبحانه حقية القران وانه منزل من عنده امر نبيه
صلى الله عليه وسلم بدعاء الله وحده فقال فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين ان فعلت ذلك الذي دعوك اليه وخطاب
النبي صلى الله عليه وسلم بهذا مع كونه منزها عنه معصوما منه لحث العباد على التوحيد ونهيهم عن شوائب
الشرك وكانه قال انت اكرم الخلق علي واعزهم عندي ولو اتخذت معي الها لعذبتك فكيف بغيرك
من العباد قال في حاشية الجمل الخطاب له والمقصود غيره وانذر عشيرتك الاقربين خصهم لان الاهتمام
بشانهم اولى وهدايتهم الى الحق اقدم قيل هم قريش وقيل بنو عبد مناف وقيل بنو هاشم وقد ثبت
في البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا
وعم وخص فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر
بني قصي انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر بني عبد مناف انقذوا انفسكم
من النار فاني لا املك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم
ضرا ولا نفعا يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك لك ضرا ولا نفعا الا ان لكم رحما
وسابلها ببلالها وفي الباب احاديث من طريق جماعة من الصحابة وذلك منه صلى الله عليه وسلم بيان
للعشيرة الاقربين وانذار لهم جهارا واخفض جناحك اي جانبك يقال خفض جناحه اذا
الانه وفيه استعارة حسنة والمعنى الن جناحك وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين الموحدين
من عشيرتك وغيرهم واظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم فان عصوك اي خالفوا امرك ولم
يتبعوك فقل لهم اني بريء مما تعملون اي من عملكم ومن الذي تعملونه من عبادة غير الله
وهذا يدل على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان المصدقون باللسان لان المؤمنين الخلص لا يعصونه

ولا يخالفونه ثم بين له ما يعتمد عليه عند عصيانهم له فقال وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ اي فوض
جميع امورك اليه فانه القادر على قهر الاعداء وهو الرحيم للاولياء قرئ فتوكل بالفاء والواو وهما
قراءتان سبعيتان فعلى الاولى يكون ما بعدها كالجزاء مما قبلها مترتبا عليه وعلى الثانية يكون ما بعد
الواو معطوفا على ما قبلها عطف جملة على جملة من غير ترتيب الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ الى الصلوة
وحدك منفردا في قول اكثر المفسرين وقال مجاهد حين تقوم حيثما كنت وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ
المصلين اي ويراك اذا صليت في الجماعة راكعا وقائما وساجدا كذا قال اكثر المفسرين وعن مقاتل
انه سأل ابا حنيفة رحمهما الله هل تجد الصلوة بالجماعة في القران قال لا يحضرني فتلا له هذه الاية
وقيل يراك في اصلاب الرجال الموحدين من نبي الى نبي من لدن ادم وحوا الى عبد الله وامنة حتى
اخرجك في هذه الامة فجميع اصوله رجالا ونساء مؤمنون واورد على هذا ان ازر ابو ابراهيم فانه كافر
بمقتضى الايات واجاب بعضهم بانه كان عم ابراهيم لا اباه وفيه ضعف بين واجاب بعضهم ان قولهم
اصول محمد لم يدخلهم الشرك محله ما دام النور المحمدي في الذكر والانثى فاذا انتقل منه لمن بعده امكن ان
يعبد غير الله وازر ما عبد الاصنام الا بعد انتقال النور منه لابراهيم واما قبل انتقاله فلم يعبد غير الله
قاله الحفناوي وقيل المراد بتقوم قيامه الى التهجد وبالتقلب تردده في تفحص احوال المجتهدين في العبادة
وتقلب بصره فيهم كذا قال مجاهد قال ابن عباس تقلبك اي قيامك في ركوعك وسجودك وعنه قال يراك
وانت مع الساجدين تقوم وتقعد معهم وعنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ومنه الحديث في الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم من
وراء ظهري إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لما تقوله الْعَلِيمُ به ثم لما ذكر سبحانه معنى قوله وما تنزلت به الشياطين
وبينه فقال هَلْ أُنَبِّئُكُمْ يا كفار مكة عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ اي تتنزل فحذف احدى التائين
فيه بيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ الافاك
الكثير الافك والاثيم كثير الاثم والمراد به كل من كان كاهنا فان الشياطين كانت تسترق السمع
ثم ياتون اليهم فيلقونه اليهم مثل مسيلمة من المتنبئة وكسطيح من الكهنة وهو معنى قوله يُلْقُونَ
السَّمْعَ اي ما يسمعونه مما يسترقونه والمعنى حال كون الشياطين ملقين السمع اي ما يسمعونه من

وقال الذين

الملأ الاعلى الى الكهان ويجوز ان يكون المعنى ان الشياطين يلقون السمع اي يصغون الى الملأ
الاعلى ليسترقوا منهم شيئا ويكون المراد بالسمع على الوجه الاول المسموع وعلى الوجه الثاني نفس
حاسة السمع ويجوز ان تكون جملة يلقون السمع راجعة الى كل افاك اثيم على انها صفة او مستانفة
ومعنى الالقاء انهم يسمعون ما تلقيه اليهم الشياطين من الكلمات التي تصدق الواحدة منها وتكذب
المائة الكلمة ويلقونه الى العوام الخلق اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت سأل اناس
النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان قال انهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله انهم يحدثون احيانا بشيء يكون
حقا قال تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقذفها في اذن وليه فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة
وفي لفظ للبخاري فيزيدون معها مائة كذبة وجملة وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ راجعة الى كل افاك اثيم اي
واكثر هؤلاء الكهنة كاذبون فيما يتلقونه من الشياطين لانهم يضمون الى ما يسمعونه كثيرا من اكاذيبهم
المختلقة او اكثرهم كاذبون فيما يلقونه من السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس او هذه الجملة راجعة
الى الشياطين اي واكثر الشياطين كاذبون فيما يلقونه الى الكهنة مما يسمعونه فانهم يضمون الى ذلك
من عند انفسهم كثيرا من الكذب وكان هذا قبل ان حجبت الشياطين عن السماء وقد قيل كيف يصح على
الوجه الاول وصف الافاكين بان اكثرهم كاذبون بعد ما وصفوا جميعا بالافك واجيب بان المراد
بالافاك الذي يكثر الكذب لا الذي لا ينطق الا بالكذب فالمراد بقوله واكثرهم كاذبون انه قل من يصدق
منهم فيما يحكي عن الشياطين والغرض الذي سيق لاجله هذا الكلام رد ما كان يزعمه المشركون
من كون النبي صلى الله عليه وسلم من جملة من يلقي اليه الشيطان السمع من الكهنة ببيان ان الاغلب على الكهنة
الكذب ولم يظهر من احوال محمد صلى الله عليه وسلم الا الصدق فكيف يكون كما زعموا ثم ان هؤلاء
يعظمون الشياطين وهذا النبي المرسل من عند الله برسالته الى الناس يذمهم ويلعنهم ويأمر
بالتعوذ منهم ثم لما كان قد قال قائل من المشركين ان النبي صلى الله عليه وسلم شاعر بين سبحانه حال
الشعراء ومنافاة ما هم عليه لما عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ مشددا ومخففا
ليجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الْغَاوُونَ اي الضالون عن الحق والشعراء جمع شاعر
والغاوون جمع غاو وهم ضلال الجن والانس قاله ابن عباس وقيل الزائلون عن الحق وقيل المشركون
وقيل الشياطين وقيل الذين يروون الشعر المشتمل على الهجاء وما لا يجوز وقيل المراد شعراء الكفار خاصة

منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة
الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا
الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم
قولهم فذلك قوله تعالى هذا قال الزجاج اذا مدح او هجا شاعر بما لا يكون واحب ذلك قوم وتابعوه فهم
هم الغاوون والمعنى لا يتبعهم على كذبهم وباطلهم وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والطعن في
الاحساب ومدح من لا يستحق المدح وذم من لا يستحق الذم ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون
عن ابن عباس قال تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما من الانصار والآخر من قوم
آخرين وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فانزل الله هذه الآية ثم بين سبحانه
قبائح شعراء الباطل فقال ألم تر انهم في كل واد يهيمون تقرير لما قبله والخطاب لكل من
تتاتى منه الرؤية يقال هام يهيم هيما وهيمانا اذا ذهب على وجهه والهيام ان يذهب على وجهه من
عشق وغيره وهو تمثيل كما في الكشاف والمعنى الم تر انهم في كل فن من فنون الكذب يخوضون
وفي كل شعب من شعاب الزور يتكلمون فتارة يمزقون الاعراض بالهجاء وتارة يأتون من المجون
بكل ما يمجه السمع ويستقبحه العقل وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق و
يمدحون الباطل ويرغبون في فعل المحرمات ويدعون الناس الى فعل المنكرات كما تسمعه في اشعارهم
من مدح الخمر والزنا واللواط ونحو هذه الرذائل الملعونة كيف واكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة
لها واغلب كلماتهم في التشبيب بالحرام والغزل والابتهار والقدح في الانساب والطعن في الاحساب والوعد
الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه قاله البيضاوي وغيره وهذا من باب الاستعارة
البليغة والتمثيل الرائع شبه جولانهم في افانين القول بطريق المدح والذم والتشبيب وانواع الشعر
بهيام الهائم في كل وجه وطريق والهائم هو الذي يخبط في طريقه ولا يقصد موضعا معينا و
الهائم العاشق والهيمان العطشان والهيام داء يأخذ الابل من العطش وجمل اهيم وناقة
هيماء والجمع فيهما هيم قال تعالى فشاربون شرب الهيم قال ابن عباس في الآية في كل لغو يخوضون
وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشيء ثم يذمونه لا يطلبون الحق
والصدق فالوادي مثل للفنون الكلام وطرقه والغوص في المعاني والقوافي ثم قال سبحانه وانهم

يقولون ما لا يفعلون اي يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة في ذلك الجاهلية الغي الذي
سلكوه فقد يحثون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه وقد ينسبون الى انفسهم من افعال الشر ما
لا يقدرون على فعله كما تجده في كثير من اشعارهم من الدعاوي الكاذبة والزور الخالص المتضمن
لقذف المحصنات وانهم فعلوا بهن كذا وكذا وذلك كذب محض وافتراء بحت ثم استثنى سبحانه
الشعراء المؤمنين الصالحين الذين اغلب احوالهم تحري الحق والصدق وكانوا يجيبون شعراء
الكفار ويهجون وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات**
اي دخلوا في حزب المؤمنين وعملوا باعمالهم الصالحات **وذكروا الله كثيرا** في اشعارهم ولم
يشغلهم الشعر عن ذكر الله كابن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير رضي الله
تعالى عنهم عن عروة قال لما نزلت والشعراء الى قوله ما لا يفعلون قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله
قد علم الله اني منهم فانزل الله الا الذين امنوا الى قوله ينقلبون وروي نحو هذا من طرق **وانتصروا
من بعد ما ظلموا** كمن يهجو منهم من هجاه او ينتصر لعالم او فاضل كما كان يقع من شعراء النبي
صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يهجون من يهجوه ويحمون عنه ويذبون عن عرضه ويكافحون شعراء المشركين
وينافحونهم ويدخل في هذا من انتصر بشعره لاهل السنة وكافح اهل البدعة وزيف ما يقول
شعراؤهم من مدح بدعتهم وهجو السنة المطهرة كما يقع ذلك كثيرا من شعراء الرافضة
ونحوهم فان الانتصار للحق بالشعر وتزييف الباطل به من اعظم المجاهدة وفاعله من المجاهدين
في سبيل الله المنتصرين لدين الله القائمين بما امر الله بالقيام به **واعلم ان الشعر**
في نفسه ينقسم الى اقسام فقد يبلغ ما لا خير فيه منه الى قسم الحرام وقد يبلغ ما فيه خير منه
الى قسم الواجب وقد وردت احاديث في ذمه وذم الاستكثار منه ووردت احاديث
اخر في اباحته وتجويزه والكلام في تحقيق ذلك يطول واخرج احمد والبخاري في تاريخه وابو يعلى وابن مردويه
عن كعب بن مالك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل في الشعراء ما انزل فكيف ترى فيه فقال
ان المؤمن يجاهد نفسه بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل
واخرج ابن ابي شيبة واحمد عن ابي سعيد قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عرض شاعر ينشد
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا واخرج الديلمي مرفوعا عن



ابن مسعود الشعراء الذين يموتون في الاسلام يأمرهم الله ان يقولوا شعرا يتغنى به الحور
العين لازواجهن في الجنة والذين ماتوا في الشرك يدعون بالويل والثبور في النار واخرج ابن مردويه
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكمة قال واتاه قريظة بن كعب وعبد الله بن رواحة وحسان
بن ثابت فقالوا انا نقول الشعر وقد نزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا فقرأوا
الشعراء الى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فقال انتم هم وذكروا الله كثيرا فقال انتم هم وانتصروا
من بعد ما ظلموا فقال انتم هم واخرج ابن سعد وابن ابي شيبة عن البراء بن عازب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اهج المشركين فان جبريل معك واخرج احمد وابن سعد
عن ابي هريرة قال مر عمر بحسان وهو ينشد في المسجد فلحظ اليه فنظر اليه فقال قد كنت انشد
فيه وفيه من هو خير منك فسكت ثم التفت حسان الى ابي هريرة فقال انشدك بالله هل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اجب عني اللهم ايده بروح القدس قال نعم واخرج ابن ابي شيبة عن
بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكما واخرج ابن ابي شيبة عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكما ومن البيان سحرا واخرج مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا يريه خير من ان يمتلئ شعرا وفي الحديث الصحيح عن ابي سعيد الخدري مرفوعا
لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا قال في الصحاح وري القيح جوفه يريه وريا اذا اكله
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الشعر كحسن الكلام وقبيح الشعر كقبيح الكلام
قال القرطبي رواه اسمعيل عن عبد الله بن عون الشامي وحديثه عن اهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن
معين وغيره واخرج مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هل معك من شعر امية بن الصلت قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته
بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر
وكان عثمان يقول الشعر وكان علي اشعر من الثلاثة وعن ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشده
في المسجد فروي انه دعا عمر بن ابي ربيعة المخزومي فاستنشده قصيدة فانشده اياها وهي قريب
من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى
البخاري عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة وقالت عائشة الشعر كلام

فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ولازاد البلجرامي رح في بيان حكم الشعر كلام لطيف
في كتابه تسلية الفؤاد ان شئت فارجع اليه ثم ختم سبحانه هذه السورة باية جامعة للوعيد
كله فقال وسيعلم وفيه تهديد شديد وتهويل عظيم وكذا في اطلاق الذين ظلموا وابهام
اي منقلب ينقلبون بعد الموت وخص بعضهم هذه الآية بالشعراء ولا وجه لذلك فان الاعتبار
بعموم اللفظ وقد تلاها ابو بكر لعمر حين عهد اليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عطاء
سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا والمعنى ينقلبون منقلبا اي منقلب والمراد جهنم وقدم
اي لتضمنه معنى الاستفهام قال ابو البقاء ولا يعمل فيه سيعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله
بل هو معلق عن العمل فيه وهذا الذي قاله مردود بان ايا الواقعة صفة لا تكون استفهامية
وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة بل هما قسمان كل منهما قسم براسه واي تنقسم الى اقسام كثيرة
قال النحاس وحقيقة القول في ذلك ان الاستفهام معنى وما قبله معنى اخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض والله
اعلم وقال القرطبي معناه اي مصير يصيرون واي مرجع يرجعون لان مصيرهم الى النار وهو اقبح
مصير ومرجعهم الى العذاب وهو اشر مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال الى ضد
ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب
مرجعا ذكره الماوردي والمعنى عند الحسن في ابن عباس ان الظالمين يطمعون في الانقلاب من عذاب
الله ولا انفكاك منه ولا يقدرون على ذلك وعن فضالة بن عبيد في الآية قال هؤلاء الذين يخربون البيت

سورة النمل هي ثلاث او اربع او خمس وتسعون اية

قال القرطبي وهي مكية كلها في قول الجميع وبه قال ابن عباس وعن ابن الزبير مثله

بسم الله الرحمن الرحيم

طس قد تقدم الكلام مفصلا في فواتح السور وهذه الحروف ان كانت اسما للسورة فمحلها
الرفع على الابتداء وما بعده خبره اي هذا اسم هذه السورة وان كانت مسرودة على نمط التعديد
فلا محل لها والله اعلم بمراده بذلك تلك اشارة الى نفس السورة لانها قد ذكرت اجمالا بذكر اسمها

آيات القرآن وكتاب مبين عطف بزيادة صفة على مفهوم المعطوف عليه فكان مفيداً لهذا
الاعتبار والمراد بالكتاب القرآن نفسه او اللوح المحفوظ او نفس السورة وقد وصف الآيات بالوصفين
القرآنية الدالة على كونها مقروًّا مع الاشارة الى كونها قرآنا عربيا معجزا والكتابية الدالة على كونها مكتوبة
مع الاشارة الى كونها متصفة بصفة الكتب المنزلة ثم ضم الى الوصفين وصفا ثالثا وهي الابانة لمعانيه
لمن يقرؤه وهو من ابان بمعنى بان معناه اتضح اعجازه بما اشتمل عليه من البلاغة او مظهر لما في
تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد
والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقدم وصف القرآنية هنا نظرا الى تقدم
حال القرآنية على حال الكتابة واخره في سورة الحجر فقال تلك آيات الكتاب وقرآن مبين نظرا
الى حالته التي قد صار عليها فانه مكتوب والكتابة سبب القراءة والله اعلم واما تعريف القرآن
هنا وتنكير الكتاب وتعريف الكتاب في سورة الحجر وتنكير القرآن فلصلاحية كل واحد منهما
للتعريف والتنكير لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ووصفان له لانه
يقرؤ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف هدى
وبشرى للمؤمنين اي تلك آيات هادية ومبشرة او هو هدى او يهدي هدى ويبشر بشرى
او هاد من الضلالة ثم وصف المؤمنين الذين لهم الهدى والبشرى فقال الذين يقيمون
الصلوة اي الخمس ويداومون على شرائطها من الفروض والسنن ويأتون بها على وجهها ويؤتون الزكوة
اي يؤدون ويعطون زكوة اموالهم اذا وجبت عليهم طيبة بها انفسهم ولما كانت اقامة
الصلوة وايتاء الزكوة مما يتكرر ويتجدد في اوقاتهما اتى بهما فعلين ولما كان الايقان بالآخرة
امرا ثابتا مطلوبا دوامه اتى به جملة اسمية فقال وهم بالآخرة هم يوقنون يعلمونها
بالاستدلال وجعل الخبر مضارعا للدلالة على ان ايقانهم يستمر على سبيل التجدد في كل وقت
وعدم الانقطاع وكرر الضمير للدلالة على الحصر ولما فصل بينه وبين الخبر اي لا يوقن بالآخرة حق
الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق
وانهم الاوحدون فيه ثم لما ذكر سبحانه اهل السعادة ذكر بعدهم اهل الشقاوة فقال ان الذين
لا يؤمنون بالآخرة اي لا يصدقون بالبعث وهم الكفار زينا لهم اعمالهم قيل المراد ان الله

زين لهم اعمالهم السيئة القبيحة بتركيب الشهوة فيهم حتى رأوها حسنة وقيل المراد ان الله زين
لهم الاعمال الحسنة وذكر لهم ما فيها من خيري الدنيا والآخرة فلم يقبلوا ذلك قال الزجاج
الآية انا جعلنا جزاءهم على كفرهم ان زينا لهم ما هم فيه بان جعلناه مشتهى بالطبع
محبوبا للنفس فهم يعمهون اي يترددون فيها متحيرين على الاستمرار لا يهتدون الى
ولا يقفون على حقيقته لعدم ادراكهم قبحها في الواقع وقيل المعنى يتمادون قاله ابو العالية وقال
قتادة يلعبون وعن الحسن يتحيرون وقيل يداومون وينهمكون فيها ويستمرون والمعاني متقاربة
أولئك الذين لهم سوء العذاب اي اشده قيل في الدنيا كالقتل والاسر ووجه تخصيصه
بعذاب الدنيا قوله بعده وهم في الآخرة هم الاخسرون اي هم اشد الناس خسرانا واعظم
خيبة فالمفضل عليه هو انفسهم من حيث اعتبار اختلاف الزمان والمكان ثم مهد سبحانه
مقدمة نافعة لما سيذكره بعد ذلك من الاخبار العجيبة فقال مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم
وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي يلقى عليك بشدة فتلقاه وتأخذه من لدن
كثير الحكمة والعلم ووجه الجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة ان العلم الذي يدخل فيها
هو العلم العملي وهو الذي يتعلق بكيفية عمل والعلم اعم منه فكأنه قيل مصيب في افعاله لا يفعل
شيئا الا على وفق علمه عليم بكل شيء سواء كان ذلك العلم موديا الى العمل ام لا قيل ان لدن ههنا
بمعنى عند وفيها لغات كما تقدم في سورة الكهف وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق
بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه وقد اشتملت هذه السورة
على قصص خمسة الاولى هذه وتليها قصة النملة وتليها قصة بلقيس وتليها قصة صالح وتليها
قصة لوط اذ قال موسى لاهله قال الزجاج اي اذكر قصته اذ قال لاهله والمراد باهله امرأته
في مسيره من مدين الى مصر وكان في ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل الطريق واخذ زوجته
الطلق والحامل له على هذا السفر ان يجتمع بامه واخيه بمصر ولم يكن معه اذ ذاك الا زوجته بنت
شعيب وولده وخادمه فكنى عنها بلفظ الاهل الدال على الكثرة او للتعظيم مبالغة في التسلية
ومثله قوله امكثوا اني آنست نارا اي ابصرتها من بعيد سآتيكم منها بخبر عن حال الطريق
كانت وقد ضلها والسين تدل على بعد مسافة النار وتأكيد الوعد او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على

ان الثاني بدل من الاول اوصفة له لانه بمعنى مقبوس اي بشعلة نار مقبوسة اي ماخوذة من
اصلها وقرئ بالاضافة على انها للبيان فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء
والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه الصلوة والسلام بطريق
الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر
بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده
حرمانين قاله ابو السعود والمعنى على القراءتين آتيكم بشعلة نار ماخوذة من اصلها في راس فتيلة
او عود قال الزجاج من نوّن جعل قبس من صفة شهاب وقال الفراء هذه الاضافة كمسجد الجامع
وصلوة الاولى اضاف الشيء الى نفسه لاختلاف اسماءه وقال النحاس هي اضافة النوع الى الجنس كما
تقول ثوب خز وخاتم حديد وهي بمعنى من اي شهاب من قبس قال ويجوز في غير القرآن بشهاب
قبسا على انه مصدر او بيان او حال قال الزجاج كل ابيض ذي نور فهو شهاب وقال ابو عبيدة الشهاب النار
وقال ثعلب اصل الشهاب عود في احد طرفيه جمرة والآخر لا نار فيه والشهاب الشعاع المضيء وقيل
للكوكب شهاب لعلكم تصطلون اي رجاء ان تستدفئوا بها من البرد او لكي تستدفئوا بها يقال
صلي بالنار واصطلى بها اذا استدفأ بها والصلاء النار العظيمة واختلاف الالفاظ في هاتين
السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ التزويج

فلما جاءها اي النار التي ابصرها نودي من جانب الطور أن بورك من في النار ومن حولها
ان هي المفسرة لما في النداء من معنى القول اي قيل له بورك او هي المصدرية اي بان بورك
لانه بارك الله اي ناداه بانا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة وقيل هي المخففة من المثقلة وتقديره
بانه بورك واسمها ضمير الشان وبورك خبرها وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشري
لانه لم يحتج هنا الى فاصل لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في احكام كثيرة وقرئ ان بوركت
النار وحكى الكسائي عن العرب باركك الله وبارك فيك وعليك ولك وكذلك حكى هذا الفراء
قال ابن جرير قال بورك من في النار ولم يقل بورك على النار على لغة من يقول باركك الله اي بورك
وقدس وطهر من في النار وهو موسى وليس هو فيها حقيقة بل في المكان القريب منها وهذا تحية
من الله تعالى لموسى وتكرمة له كما حيا ابراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته

عليكم أهل البيت قاله القرطبي وقال السدي كان في النار ملائكة والنار هنا هي مجرد النور
ولكنه ظن موسى أنها نار فلما وصل إليها وجدها نوراً وعن الحسن وسعيد بن جبير أن المراد
بمن في النار هو الله سبحانه أي نوره أو قدرته وسلطانه وقيل بورك ما في النار من أمر الله سبحانه
الذي جعلها على تلك الصفة قال الواحدي ومذهب المفسرين أن المراد بالنار هنا النور وعن
ابن عباس قال يعني تبارك وتعالى نفسه كان نور رب العالمين في الشجرة ومن حولها يعني الملائكة وعنه
قال كان الله في النور نودي من النور ومن حولها قال الملائكة وعنه قال ناداه الله وهو في النور وعنه
قرئ بوركت النار وفي مصحف أبي بن كعب بوركت النار أما النار فيزعمون أنها نور رب العالمين وعن
ابن عباس بورك قال قُدس وقيل المراد بمن غير العقلاء وهو النور والأمكنة التي حولها وأخرج
عبد بن حميد وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه إليه عمل الليل
قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو رفع لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره ثم
قرأ أبو عبيدة أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين والحديث أصله مخرج في صحيح
مسلم من حديث عمرو بن مرة وفي التوراة جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من
جبال فاران والمراد بعثة موسى من سيناء وبعثة عيسى من ساعير وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم
من فاران وهو اسم مكة ثم نزه سبحانه نفسه من السوء فقال ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾
فيه تعجيب لموسى من ذلك وهو من جملة ما نودي به وإنما وقع التعرض للتنزيه في هذا المقام
لدفع ما ربما يتوهمه موسى بحسب الطبع البشري الجاري على العادة الخلقية أن الكلام الذي يسمعه
في ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق أو المتكلم به في مكان أو جهة قال الحفناوي ﴿يا موسى إنه﴾ أي الشأن
﴿أنا الله العزيز﴾ الغالب القاهر ﴿الحكيم﴾ في أمري وفعلي وقيل إن موسى قال يا رب من الذي ناداني فأجابه
سبحانه بقوله إنه أنا الله وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات فأمره سبحانه بأن يلقي عصاه
ليعرف ما أجراه على يده من المعجزة الخارقة فيأنس بها فقال ﴿وألق عصاك﴾ عطف على بورك منتظم معه في سلك
تفسير النداء أي نودي أن بورك وأن ألق عصاك ﴿فلما رآها تهتز﴾ جملة حالية من هاء رآها
لأن الرؤية بصرية وقوله ﴿كأنها جان﴾ يجوز أن تكون حالاً ثانية وأن تكون حالاً من ضمير تهتز فتكون حالاً

متداخلة قاله السمين قال الزجاج صارت العصا تتحرك كما يتحرك الجان وهو الحية البيضاء وانما
شبهها بالجان في خفة حركتها ولا لجثتها كانت كبيرة جدا وشبهها في موضع آخر بالثعبان لعظمها
وجمع الجان جنان وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم وقال الكلبي لا صغيرة ولا كبيرة والفاء فصيحة
تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ولدلالة على سرعة وقوع مضمونها كانه قيل فالقاها فانقلبت
حية تسعى فابصرها فلما ابصرها متحركة بسرعة واضطراب ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي
لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر يقال عقب فلان اذا رجع وكل راجع معقب وقيل
لم يقف ولم يلتفت ولم يعطف ولم ينتظر والاول اولى لان التعقيب هو الكر بعد الفر وانما اعتراه الرعب
لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله يا موسى لا تخف من غيري اي من الحية وضررها
ثقة بي او لا تخف مطلقا اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا يخاف عندي من ارسلته برسالتي من
حية وغيرها فلا تخف انت عندي قيل نفي الخوف عن المرسلين ليس في جميع الاوقات بل في وقت
الخطاب لهم والايحاء والارسال لانهم اذ ذاك مستغرقون في مطالعة شئون الله عز وجل لا يخطر
ببالهم خوف من شيء واما في غير هذه الحالة فالمرسلون اخوف الناس منه تعالى والمعنى لا يكون لهم
عندي سوء عاقبة ليخافوا منه ثم استثنى استثناء منقطعا فقال الا من ظلم اي لكن من اذنب
في ظلم نفسه بالمعصية ثم بدل حسنا اي توبة وندما اتاه بعد سوء اي بعد عمل سوء
فاني غفور رحيم اقبل التوبة واغفر له وقيل الاستثناء من مقدر اي لا يخاف لدي المرسلون
وانما يخاف غيرهم ممن ظلم الا من ظلم الخ كذا قال الفراء وقال النحاس الاستثناء من محذوف
محال لانه استثناء من شيء لم يذكر وعن الفراء ان الا بمعنى الواو وقيل ان الاستثناء متصل من
لم يذكر الا من الحذف والمعنى الا من ظلم من المرسلين باتيان الصغائر التي لا يسلم منها احد واختار
هذا النحاس وقال علم من عصاه منهم فاستثناه فقال الا من ظلم وان كنت قد غفرت له كآدم
وداود واخوة يوسف وموسى لقتله القبطي ولا مانع من الخوف بعد المغفرة فان نبينا صلى الله عليه وسلم
الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول وددت اني شجرة تعضد وادخل يدك
في جيبك المراد بالجيب هو المعروف وهو طوق القميص سمي جيبا لانه يجاب اي يقطع ليدخل فيه الرأس
او القميص لسلك يدك في جيبك في ادخل من المبالغة ما لم يكن في اسلك ولو امره بادخالها في كمه

لانه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لاكم لها وقيل كان لها كم قصير عن ابن عباس
قال كانت على موسى جبة من صوف لاتبلغ مرفقيه فقال له ادخل يدك في جيبك فادخلها
تخرج خلاف لونها من الادمة بيضاء من غير سوء اي من غير برص ونحوه من الآفات فهو
احتراس وقيل في الكلام حذف تقديره ادخل يدك تدخل واخرجها تخرج ولا حاجة الى هذا الحذف
ولا ملجئ اليه قال المفسرون كانت على موسى مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبه
واخرجها فاذا هي تبرق كالبرق لها شعاع يغشي البصر في تسع آيات قال ابو البقاء هو في محل نصب
على الحال من فاعل تخرج وفيه بعد وقيل متعلق بمحذوف اي اذهب في تسع آيات وقيل متعلق بقوله الق
عصاك وادخل يدك في جملة تسع آيات وقيل المعنى فهما آيتان من تسع يعني العصا واليد فتكون
الآيات احدى عشرة هاتان والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم قال النحاس احسن ما قيل فيه ان هذه الآية يعني اليد
داخلة في تسع آيات وكذا قال المهدوي والقشيري قال الزجاج والقشيري تقول خرجت في عشرة
نفر وانت احدهم اي خرجت عاشر عشرة ففي بمعنى من لقربها منها كما تقول خذ لي عشرا من الابل
فيها فحلان اي منها وقيل في بمعنى مع واليد والعصا خارجتان من التسع وكذا فعل ابن عطية الى
فرعون وقومه قال الفراء في الكلام اضمار اي انك مبعوث او مرسل الى فرعون وقومه وكذا
قال الزجاج انهم كانوا قوما فاسقين تعليل لما قبله من المقدر اي خارجين عن الحد في الكفر
والعدوان فلما جاءتهم آياتنا التي كانت على يد موسى حال كونها مبصرة اي مضيئة واضحة
اسم فاعل اطلق على المفعول نحو ماء دافق اي مدفوق اشعارا بانها لفرط انارتها ووضوحها تبصر
نفسها لو كانت مما يبصر كقوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة وقرئ مبصرة بفتح الميم والصاد اي مكانا
يكثر فيه التبصر كما يقال الولد مجبنة ومبخلة والاول اولى ونسب الابصار اليها مجاز لان بها يبصر والمعنى
اضاءة معنوية في كلها وحسية ايضا في بعضها وهو اليد فلما جاءتهم آياتنا قالوا هذا الذي
نشاهده من الخوارق التي جاء بها موسى سحر مبين واضح ظاهر سحريته وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم اي قد كذبوا بها ولم يقروا والحال كون انفسهم مستيقنة لها انها من عند الله فالواو للحال
يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والاستيقان ابلغ من الايقان ظلما وعلوا للآيات كقوله تعالى بما كانوا

بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها أي ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وعلوا
أي استكبارا عن الإيمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما
إما على العلة أي الحامل لهم على ذلك الظلم والعلو أو على الحالية من فاعل جحدوا أي جحدوا
بها ظالمين لها مستكبرين عنها ويجوز أن يكونا نعت مصدر محذوف أي جحدوا بها جحودا
ظلما وعلوا قال أبو عبيدة والباء في وجحدوا بها زائدة وقال الزجاج التقدير وجحدوها ظلما و
علوا أي وتكبروا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين أي تفكر يا محمد في ذلك فإن فيه معتبرا للمعتبرين وقد كان عاقبة
أمرهم الإغراق لهم هنا في البحر على تلك الصفة الهائلة والإحراق ثم وإنما لم يذكر تنبيها على
أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولما فرغ سبحانه من قصة موسى شرع
في قصة داود وابنه سليمان وهذه القصص وما قبلها وما بعدها هي كالبيان والتقرير لقوله
وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فقال ولقد آتينا أي أعطينا داود وسليمان ابنه
علما التنوين إما للنوع أي طائفة من العلم أو للتعظيم أي علما كثيرا قيل المراد علم الدين والحكم
وقيل علم القضاء والسياسة وقيل علم داود تسبيح الطير وعلم سليمان منطق الطير والدواب
وكان لداود تسعة عشر ولدا سليمان واحد منهم وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة
سنة وتسع وستون سنة وعاش سليمان نيفا وخمسين سنة وبينه وبين محمد صلعم ألف سنة وسبعمائة سنة
ذكره في التحبير وقالا أي كل منهما والواو للعطف على محذوف ولأن هذا المقام مقام الفاء والتقدير
ولقد آتيناهما علما فعملا به وقالا اشكرا لله الحمد لله ويؤيده أن الشكر باللسان إنما يحسن إذا
كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية الذي فضلنا بالعلم
والنبوة وتسخير الطير والجن والإنس والشياطين على كثير ممن لم يؤت علما ومثل علمنا وهذه
المقالة على سبيل التحدث والشكر من عباده المؤمنين ولم يفضلوا أنفسهم على الكل تواضعا
منهم وظاهره النظر إلى التسخير كان لكل من داود وسليمان ومثله في الخازن والخطيب وفي الآية
دليل على شرف العلم وارتفاع محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم التي ينعم
الله بها على عباده وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من العباد ومنح شرفا جليلا وما

وقال الذين

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمدانا تهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا
من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله على ما اوتوه وان يعتقد العالم
انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس
افقه من عمر وعن عمر بن عبد العزيز انه كتب ان الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها الا كان
حمده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل فقد قال الله عز وجل ولقد آتينا
داود وسليمان علما الى قوله عباده المؤمنين واي نعمة افضل مما اعطي داود وسليمان اقول
ليس في الاية ما يدل على ما فهمه رحمه الله والذي تدل عليه انهما حمدا الله سبحانه على ما فضلهما
به من النعم فمن اين تدل على ان حمده افضل من نعمته وورث سليمان داود اي ورثه العلم
والنبوة او الملك دون باقي اولاده قال قتادة والكلبي كان لداود تسعة عشر ولدا ذكرا فورث
سليمان من بينهم نبوة ولو كان المراد وراثة المال لم يخص سليمان بالذكر لان جميع اولاده في ذلك
سواء وكذا قال جمهور المفسرين فهذه الوراثة هي وراثة مجازية كما في قوله صلى الله عليه وسلم العلماء
ورثة الانبياء قال قتادة في الاية ورث نبوته وملكه وعلمه واعطي ما اعطي داود وزيد له تسخير
الريح والجن والشياطين وكان اعظم ملكا منه واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان
شاكر النعم الله تعالى وقال سليمان لبني اسرائيل تحدثا بما انعم الله به عليه وشكر النعمة التي
خصه بها يا ايها الناس علمنا الضمير فيه وفي اوتينا لكل من داود وسليمان قال القرطبي تفضل
الله علينا زيادة على ما ورثنا من داود من العلم والنبوة والخلافة في الارض ان فهمنا منطق الطير
اي فهم ما يريده كل طائر اذا صوت والمعاني التي في نفوسها سمي صوت الطير منطقا لحصول
الفهم منه كما يفهم من كلام الناس وقدم منطق الطير لانها نعمة خاصة به لا يشاركه فيها غيره
قال الفراء منطق الطير كلام الطير فجعل كمنطق الرجل ومعنى الاية فهمنا ما يقول الطير ومقتضى هذا
ان كلا منهما كان يعلم اصوات الطير وما تريده قال الخطيب علمنا اي انا وابي بايسر امر واسهله وفي
البيضاوي النطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا مفيدا
كان او غير مفيد وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه
الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات نزلت منزلة العبارات

سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان مهما
سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية الغرض الذي صوت لاجله والغرض الذي توخاه به
انتهى قال جماعة من المفسرين انه علم منطق جميع الحيوانات وانما ذكر الطير لانه كان جندا من
جنوده يسير معه لتظليله من الشمس فخص بالذكر لكثرة مداخلته وقال قتادة والشعبي انما
علم منطق الطير خاصة ولا يعترض ذلك بالنملة فانها من جملة الطير وكثيرا ما تخرج لها اجنحة
فتطير وكذلك كانت هذه النملة التي سمع سليمان كلامها وفهمه اخرج احمد في الزهد وابن ابي
شيبة وابن ابي حاتم عن ابي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود يستسقي بالناس
فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك
ليس بنا غنى عن رزقك فاما ان تسقينا واما ان تهلكنا فقال سليمان للناس ارجعوا فقد
سقيتم بدعوة غيركم وقد ذكر الخازن والنسفي في تفسيريهما منطق بعض الطيور وما تقوله القمري
وغيرها وكذا القرطبي بلا اسناد صحيح متصل يعتمد عليه ويصار اليه فتركنا ذكره ههنا فانه لا ياتي
بكثير فائدة للمنتفعين وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تدعو اليه الحاجة كالعلم والنبوة والحكمة والمال و
تسخير الجن والانس والطير والرياح والوحش والدواب وكل ما بين السماء والارض وجاء سليمان
بنون العظمة والمراد نفسه بيانا لحاله من كونه مطاعا لا يخالف لا تكبرا وتعظيما لنفسه عن جعفر
بن محمد قال اعطي سليمان ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سليمان سنة وستة اشهر ملك
اهل الدنيا كلهم واعطي كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة حتى اذا اراد الله ان يقبضه
اوحى اليه ان استودع علم الله وحكمته اخاه وولد داود كانوا اربعمائة وثمانين رجلا انبياء
بلا رسالة قال الذهبي هذا باطل وقد رويت قصص في عظم ملك سليمان عن القرظي وغيره لا
تطيب النفس بذكر شيء منها فالامساك عن ذكرها اولى إِنَّ هَٰذَا اي ما تقدم ذكره من التعليم
والايتاء لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ اي الظاهر الواضح الذي لا يخفى على احد والمظهر لفضيلتنا وانما
قال ذلك شكرا لا فخرا وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ من الاماكن المختلفة
في مسيره له والحشر الجمع اي جمع له جنوده من هذه الاجناس وقد اطال المفسرون في ذكر مقدار
جنده وبالغ كثير منهم مبالغة تستبعدها العقول ولا تصح من جهة النقل ولو صحت لكان في القدرة

الربانية ما هو أعظم من ذلك وأكثر فهم يوزعون أي لكل طائفة منهم وزعة ترد أولاهم
على أخراهم فيقفون على مراتبهم قيل كان في جنوده وزراء وهم النقباء ترد أوائل العسكر على آخرهم
لئلا يتقدموا في السير يقال وزعه يزعه وزعا كفه فاتزع أي انكف وأوزعه بالشيء أغراه به
واستوزعت الله شكره فأوزعني أي استلهمته فألهمني والوازع في الحرب الموكل بالصفوف يزع
من تقدم منهم أي يرده وجمعه وزعة وقيل هو من التوزيع بمعنى التفريق يقال القوم أوزاع
أي طوائف وقال ابن عباس يوزعون يدفعون وعنه قال لكل صنف وزعة ترد أولاها على
أخراها لئلا تتقدمها في السير كما يصنع الملوك وفي الآية دليل على اتخاذ الأئمة والحكام وزعة يكفون
الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض إذ لا يمكن الحكام ذلك بأنفسهم قال الحسن
لا بد للناس من وازع أي سلطان يكفهم حتى إذا أتوا حتى هي التي يبتدئ بعدها الكلام و
تكون غاية لما قبلها والمعنى فهم يوزعون إلى حصول هذه الغاية وهي إتيانهم على واد النمل أي هم
يسيرون ممنوعا بعضهم من مفارقة بعض حتى إذا أتوا على مكان فيه نمل كثير وعدي بعلى
لأنهم كانوا محمولين على الريح فهم مستعلون والمعنى أنهم قطعوا الوادي وبلغوا آخره قال كعب وادي النمل
بالطائف وقال قتادة ومقاتل هو بالشام والنمل حيوان معروف شديد الإحساس والشم حتى إنه يشم الشيء من
بعيد ويدخر قوته ومن شدة إدراكه أنه يفلق الحبة فلقتين خوفا من الإنبات ويفلق الحبة الكسبرة
أربع فلق لأنها إذا فلقت فلقتين نبتت ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي باقيه عدة ووقف
القراء جميعهم على واد بدون ياء اتباعا للرسم حيث لم تحذف لالتقاء الساكنين كقوله الذين
جابوا الصخر بالواد إلا الكسائي فإنه وقف بالياء قال لأن الموجب للحذف إنما هو التقاء الساكنين بالوصل
قالت نملة ملكة النمل على وجه النصيحة قولا مشتملا على حروف وأصوات وكانت عرجاء ذات
جناحين وهي من الحيوانات التي تدخل الجنة قاله سليمان الجمل قيل وكانت أنثى بدليل تأنيث الفعل
المسند إليها ورد هذا أبو حيان فقال لحاق التاء في قالت لا يدل على أن النملة
مؤنثة بل يصح أن يقال في المذكر قالت لأن نملة وإن كانت بالتاء فإنها مما لا يتميز فيه المذكر من
المؤنث بتذكير الفعل ولا بتأنيثه بل بتميز بالإخبار عنه بأنه ذكر أو أنثى ولا يتعلق بمثل هذا كثير فائدة
ولا بالتعرض لاسم النملة ولا بذكر القصص الموضوعة والأحاديث المكذوبة وقرئ والنمل والنملة بزنة رجل

وبسمرة وقرئ بضمتين فيهما ثم قيل نمل هذا الوادي صغار وهو النمل المعروف او كبار كالبخاتي او
كالذباب والاول هو المشهور والجملة جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت و نبهت
سائر النمل منادية لها قائلة يا ايها النمل وقد اشتمل هذا القول منها على احد عشر نوعا من البلاغة
اولها النداء بيا وثانيها انها كنت باي وثالثها نبهت بهاء التنبيه ورابعها سمت بقولها النمل
وخامسها امرت بقولها ادخلوا وسادسها نصت بقولها مساكنكم جعل خطاب النمل كخطاب
العقلاء لفهمها لذلك الخطاب والمساكن هي الامكنة التي تسكن النمل فيها وقرأ ابي ادخلن مساكنكن
وقرئ مسكنكم وسابعها حذرت بقولها لا يحطمنكم اي لا يكسرنكم والحطم الكسر يقال حطمته
حطما اي كسرته كسرا فانحطم وتحطم تكسر والتحطيم التكسير والحطام ما تكسر من اليبس وهذا النهي
هو في الظاهر للنمل وفي الحقيقة لسليمان فهو من باب لا ارينك ههنا او بدل من الامر او جواب
للامر وهو ضعيف يدفعه نون التاكيد لانه من ضروريات الشعر وقرئ لا يحطمنكم بضم الياء
وفتح الحاء وتشديد الطاء وثامنها خصت بقولها سليمان وتاسعها عمت بقولها وجنوده
ارادت جنود سليمان فجاءت بما هو ابلغ وعاشرها اشارت بقولها وهم وحادي عشرها عذرت
بقولها لا يشعرون اي بحطمكم ولا يعلمون بمكانكم اي لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه
العذر واصفتهم بالعدل كانها عرفت ان النبي معصوم وجنده محفوظ فلا يقع منهم حطم
هذه الحيوانات الا على سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء وحفظ
اصحابهم وفيه ان الرافضة الذين ينسبون الظلم وحطم الحقوق الى اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اهل بيته وعترته هم اقل عقلا واضعف رايا من تلك النملة فانها اعتقدت في
جنود سليمان العدل وهؤلاء اعتقدوا في اصحابه صلى الله عليه وسلم الظلم وشتان بينهما وقيل ان
المعنى والنمل لا يشعرون ان سليمان يفهم مقالتها وهو بعيد جدا فتبسم سليمان ابتداء
ضاحكا انتهاء من قولها وقرئ ضحكا وعلى الاول حال مؤكدة لانه قد فهم الضحك من التبسم
وقيل حال مقدرة لان التبسم اول الضحك وقيل لما كان التبسم قد يكون للغضب كان الضحك
مبينا له وقيل ان ضحك الانبياء هو التبسم لا غير وعلى الثاني مصدر منصوب بفعل محذوف
وكل من التبسم والضحك والقهقهة انفتاح في الفم لكن الاول انفتاح بلا صوت اصلا والثاني مع صوت خفيف

والثالث مع صوت قوي وكان ضحك سليمان تعجبا من قولها وفهمها واهتدائها الى تحذير النمل او فرحا
لظهور عدله وقال رب أوزعني قد تقدم بيان معناه قريبا في قوله فهم يوزعون قال في الكشاف
وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني لا انفك شاكرا لك
انتهى قال الواحدي اوزعني اي ألهمني وبه قال قتادة وعن الحسن مثله يقال فلان موزع بكذا اي مولع
قال القرطبي واصله من وزع فكأنه قال كفني عما يسخطك انتهى وقال الزجاج معناه امنعني ان اكفر نعمتك
وهو تفسير باللازم أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي مفعول ثان لاوزعني اي من النبوة
والملك والعلم وعلى والدي الدعاء منه بأن يوزعه الله شكر نعمته على والديه كما اوزعه
شكر نعمته عليه لان الانعام عليهما انعام عليه وذلك يستوجب الشكر منه لله سبحانه قال
اهل الكتاب وامه هي زوجة اوريا بوزن فوعلا التي امتحن الله بها داود قاله القرطبي والله اعلم بصحته
ثم طلب ان يضيف الله له لواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية فقال وأن أعمل صالحا
في بقية عمري ترضاه مني ثم دعى ان يجعله الله سبحانه في الآخرة داخلا في زمرة الصالحين فان
ذلك هو الغاية التي يتعلق بها الطلب فقال وأدخلني الجنة برحمتك في عبادك الصالحين
من النبيين اوصلحاء العباد والمعنى ادخلني في جملتهم واثبت اسمي في اسمائهم واحشرني في زمرتهم
الى دار الصالحين وهي الجنة او في مجتمع والصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يفعل معصية ولا يهم
بها وهذه درجة عالية اللهم اني ادعوك بما دعاك به هذا النبي الكريم فتقبل ذلك مني وتفضل
علي به فاني وان كنت مقصرا في العمل ففضلك الواسع هو سبب الفوز بالخير ورحمتك ارجى عندي
من عملي فهذه الآية منادية باعلى صوت واوضح بيان بان دخول الجنة التي هي دار المتقين بالتفضل
منك لا بالعمل منهم كما قال رسولك الصادق المصدوق فيما ثبت عنه في الصحيح سددوا وقاربوا واعلموا
انه لن يدخل الجنة احد بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذا
لم يكن الا بفضلك الواسع فترك طلبه منك عجز والتفريط في التوسل اليك بالايصال اليه تضييع ثم
شرع سبحانه في ذكر قصة بلقيس وما جرى بينها وبين سليمان وذلك بدلالة الهدهد فقال
وتفقد الطير التفقد تطلب ما غاب عنك وتعرف احواله والطير اسم جنس لكل ما يطير والمعنى انه
تطلب ما فقد من الطير وتعرف حال ما غاب منها وكانت الطير تصحبه في سفره وتظله باجنحتها

فقال مالي وقرئ بسكون الياء لا أرى الهدهد أي ما للهدهد لا أراه فهذا من الكلام المقلوب
الذي تستعمله العرب كثيرا وقيل لا حاجة إلى ادعاء القلب إذ المعنى صحيح بدونه بل هو استفهام
استخبار عن المانع له من رؤية الهدهد كأنه قال ما لي لا أراه هل ذلك لساتر يستره عني أو لشيء
آخر قال الكلبي ولم يكن له في مسيره إلا هدهد واحد والهدهد معروف ثم ظهر له أنه غائب
فقال أم كان من الغائبين فلم أره لغيبته وأم هي المنقطعة التي بمعنى الإضراب عن ابن عباس
أنه سئل كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير فقال إن سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بعد
الماء وكان الهدهد يدل سليمان على الماء فأراد أن يسأله عنه ففقده قيل كيف ذلك والهدهد
ينصب له الفخ يلقى عليه التراب ويضع له الصبي الحبالة فيغيبها فيصيده فقال إذا جاء القضاء
ونزل القدر ذهب اللب وعمي البصر فلما تحقق الغيبة قال لأعذبنه عذابا شديدا اختلفوا في
هذا العذاب الشديد ما هو فقال ابن عباس ومجاهد وابن جريج هو أن ينتف ريشه جميعا وروي
نحو هذا عن جماعة من التابعين وقال يزيد بن رومان هو أن ينتف ريش جناحيه وقيل
أن يحبسه مع أضداده وقيل أن يمنعه من خدمته وقيل إلقاؤه في الشمس وقيل التفريق
بينه وبين إلفه وقيل إلزامه خدمة أقرانه وقيل إيداعه في القفص وقيل طرحه بين يدي النمل
ليأكله وفي هذا دليل على أن العقوبة على قدر الذنب لا على قدر الجسد وحل له تعذيب الهدهد
لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير
إلا بالتأديب والسياسة وعن الحسن قال كان اسم هدهد سليمان عنبر قال الشوكاني لا أدري
من أين جاء هذا للحسن رح وهكذا ما روي عنه أن اسم النملة حرس وأنها من قبيلة يقال لهم
بنو الشيصان وأنها كانت عرجاء وكانت بقدر الذئب وهو رحمه الله أورع الناس عن نقل الكذب
ونحن نعلم أنه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء ونعلم أنه ليس للحسن إسناد متصل بسليمان
أو بأحد من أصحابه فهذا العلم مأخوذ من أهل الكتاب وقد أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم
فإن ترخص مترخص بالرواية عنهم لمثل ما روي حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فليس ذلك
مما يتعلق بتفسير كتاب الله سبحانه بلا شك بل فيما يذكر عنهم من القصص الواقعة لهم وقد كررنا
التنبيه على مثل هذا عند عروض ذكر التفاسير الغريبة أو لأذبحنه بقطع حلقومه أو ليأتيني

بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ هو الحجة البينة في غيبته قال ابن عباس السلطان المبين خبر الحق
الصدق البين وعنه قال كل سلطان في القرآن حجة وذكر هذه الآية ثم قال واي سلطان
كان للهدهد يعني ان المراد بالسلطان الحجة لا السلطان الذي هو الملك والحلف في
الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث فكلمة او بين الاولين للتخيير وفي الثالث للترديد
بينه وبينهما قال الزمخشري لما نظم الثلاثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك
ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما
وليس في هذا ادعاء دراية انتهى واو والثانية ترجح في المعنى الى انها بمعنى الا وهي قيد في كل من
الامرين قبلها فكانه قال لاعذبنه الا ان ياتيني ولاذبحنه الا ان ياتيني بسلطان مبين
فَمَكَثَ بفتح الكاف من باب نصر وقرئ بضم الكاف من باب قرب قال سيبويه مكث يمكث مكوثا
كقعد يقعد قعودا اي مكث الهدهد بعد تفقد سليمان اياه زمانا غَيْرَ بَعِيدٍ وقيل ان الضمير
في فمكث لسليمان والمعنى بقي سليمان بعد التفقد والتوعد زمانا غير طويل والاول اولى فَقَالَ
أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ الاحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم ولعل
في الكلام حذفا والتقدير فمكث الهدهد غير بعيد فجاء فعوتب على مغيبه فقال معتذرا عن
ذلك احطت بما لم تحط به قال الفراء ويقال احتُّ بادغام الطاء في التاء والمعنى علمت ما لم تعلم
من الامر وبلغت ما لم تبلغ انت ولا جنودك وقال ابن عباس اطلعت على ما لم تطلع عليه وفي الهام
الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان به مع ما اوتي من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له في
علمه وتنبيها على ان ادنى خلقه قد احاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا به في ترك الاعجاب
وانما اخفى الله على سليمان مكانها وكانت المسافة بينهما قريبة لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف
على يعقوب وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد
اعلم منه وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ قرئ بالصرف على انه اسم رجل نسب اليه قوم وقرئ بفتح الهمزة
وترك الصرف على انه اسم مدينة وانكر الزجاج ان يكون اسم رجل وقال سبا اسم مدينة
تعرف بمارب اليمن وقيل هو اسم امرأة سميت بها المدينة قال القرطبي والصحيح انه
اسم رجل كما في كتاب الترمذي من حديث فروة بن مسيك المرادي قال ابن عطية وخفي هذا على

على الزجاج فخبط خبط عشواء وزعم الفراء ان الرواسي سأل ابا عمرو بن العلاء عن سبأ فقال
ما ادري ما هو قال النحاس وابو عمرو اجل من ان يقول هذا قال والقول في سبأ ما جاء التوقيف
فيه انه في الاصل اسم رجل فان صرفته فلانه قد صار اسما للحي وان لم تصرفه جعلته اسما للقبيلة
مثل ثمود الا ان الاختيار عند سيبويه الصرف انتهى واقول لا شك ان سبأ اسم لمدينة باليمن
كانت فيها بلقيس وهو ايضا اسم رجل من قحطان وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن
هود ولكن المراد هنا ان الهدهد جاء الى سليمان بخبر ما عاينه في مدينة سبأ مما وصفه وسيأتي
من المأثور ما يوضح هذا ويؤيده وعن ابن عباس قال سبأ بارض اليمن يقال لها مأرب بينها وبين
صنعاء مسيرة ثلاثة ليال والمعنى ان الهدهد جاء سليمان من هذه المدينة بنبأ يقين
النبأ هو الخبر الخطير الشان وهذا من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى
ههنا الا ترى انه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبأ من الزيادة
التي يطابقها وصف الحال فلما قال الهدهد لسليمان قال له سليمان وما ذاك فقال اني وجدت
امرأة تملكهم وهي بلقيس بنت شراحيل روي ذلك عن الحسن وقتادة وزهير بن محمد وعن
ابن جريج انها بنت ذي شرح وجدها الهدهد تملك اهل سبأ وكان ابوها ملك ارض اليمن ولم
يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في
تملكهم راجع الى سبأ على تاويل القوم او اهل المدينة والجملة هذه كالبيان والتفسير للجملة التي
قبلها اي ذلك النبأ اليقين هو كون هذه المرأة تملك هؤلاء قال ابن عباس اسمها بلقيس بنت ذي شيرة
وكانت صلبا اشعر اقيل كانت من نسل يعرب بن قحطان وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احد ابوي بلقيس كان جنيا اخرجه ابن عساكر وابن مردويه وابو الشيخ وابن جرير واوتيت من كل
شيء فيه مبالغة والمراد انها اوتيت من كل شيء من الاشياء التي تحتاجها الملوك من الآلة والعدة
وكان يخدمها النساء وهذا عام اريد به الخصوص وقيل المعنى اوتيت من كل شيء في زمانها من
اسباب الدنيا والمال والعدة ما يليق بحالها فحذف شيئا لان الكلام قد دل عليه ولها عرش
عظيم اي سرير كبير ضخم وقيل المراد بالعرش هنا الملك والاول اولى لقول سليمان
ايكم يأتيني بعرشها ووصفه بالعظم بالنسبة اليها والى امثالها من ملوك الدنيا

لانه كما قيل كان مضروبا من الذهب والفضة طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون
ذراعا وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعا مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر
والزمرذ واما وصف عرش الله بالعظيم فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات
والارض وما بينهما فبينهما بون عظيم وفرق بين قال ابن عطية واللازم من الاية انها
امرأة ملكة على مدائن اليمن ذات ملك عظيم وسرير كبير وكانت كافرة من قوم كفار وعن ابن عباس
قال سرير كريم من ذهب وقوائمه من جوهر ولؤلؤ حسن الصنعة غالى الثمن عليه سبعة ابيات
على كل بيت باب مغلق وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ اي يعبدونها متجاوزين
عبادة الله سبحانه قيل كانوا مجوسا وقيل زنادقة ووجدت بمعنى لقيت واصبت فتعدي
لواحد وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ التي يعملونها وهي عبادة الشمس وسائر اعمال الكفر فصدهم
عَنِ السَّبِيلِ اي صدهم الشيطان بسبب ذلك التزيين عن الطريق الواضح وهو الايمان بالله وتوحيده
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ الى ذلك ولا يبعد من الهدهد التهدي الى معرفة الله تعالى ووجوب السجود
له وحرمة السجود للشمس الهاما من الله له كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف
اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ قال ابن الانباري الوقف
على لا يهتدون غير تام عند من شدد الا لان المعنى وزين لهم الشيطان الا يسجدوا وقال النحاس
هي ان دخلت عليها لا قال الاخفش اي زين لهم ان لا يسجدوا لله بمعنى لئلا يسجدوا وهو على
الوجهين مفعول له وقيل فهم لا يهتدون ان يسجدوا لله ولا على هذا زائدة كقوله ما منعك ان
لا تسجد وعلى قراءة الجمهور ليس هذه الاية موضع سجدة لان ذلك اخبار عنهم بترك السجود اما بالتزيين
او بالصد او بمنع الاهتداء وقد رجح كونه علة للصد الزجاج ورجح الفراء كونه علة لزين
قال زين لهم اعمالهم لئلا يسجدوا وقرئ الا بالتخفيف وعلى هذا حرف تنبيه واستفتاح وما
بعدها حرف نداء واسجدوا فعل امر وتقديره الا يا هؤلاء اسجدوا وقال الزجاج وقراءة التخفيف
تقتضي وجوب السجود دون قراءة التشديد وللقراءة التخفيف وجه حسن الا ان فيها انقطاع
الخبر عن امر سبا ثم الرجوع بعد ذلك الى ذكرهم والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضا
لا انقطاع في وسطه وكذا قال النحاس وعلى هذه تكون جملة الا يسجدوا معترضة من كلام الهدهد او من

كلام سليمان او من كلام الله سبحانه وقرأ ابن مسعود هلا تسجدوا بالفوقية وقرأ ابي الا تسجدوا بالتاء وفيه مناسبة لما قبله وهي الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يقال خبأت الشيء اخبأه خبأ والخبأ ما خبأت لبي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من فيهما عالم بجميع المعلومات وفي اخراج الخبأ دليل على القدرة قال الزجاج جاء في التفسير ان الخبأ ههنا بمعنى القطر من السماء والنبات من الارض وقيل خبأ الارض كنوزها ونباتها وقال قتادة الخبأ السر قال النحاس اي ما غاب فيهما وقرئ الخب بفتح الباء من غير همز وقرئ الخبا بالالف قال ابو حاتم وهذا لا يجوز في العربية ورد عليه بان سيبويه حكى عن العرب ان الالف تبدل من الهمزة اذا كان قبلها ساكن وقرئ من السموات قال الفراء من وفي تتعاقبان عن ابن عباس قال يعلم كل خبيئة في السماء والارض وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ قرئ بالتحتية في الفعلين وبالفوقية للخطاب اما الاولى فلكون الضمائر المتقدمة ضمائر غيبة واما الثانية فلكون فيها الامر بالسجود والخطاب لهم بذلك فهذا من ذلك الخطاب والمعنى ان الله سبحانه يخرج ما في هذا العالم الانساني من الخفي بعلمه له كما يخرج ما خفي في السماء والارض وفيه دليل على اثبات العلم والاعلان ذكره لتوسيع دائرة العلم للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى علمه تعالى ثم بعد ما وصف الرب سبحانه بما تقدم مما يدل على عظيم قدرته وجليل سلطانه وسعة علمه ووجوب توحيده وتخصيصه بالعبادة قال اَللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ بالجر نعتا للعرش وبالرفع نعتا للرب وخص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات كما ثبت ذلك في المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عرش بلقيس فتعظيمه بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك وهذا بالنسبة الى جميع الموجودات من السماء والارض وبينهما بون عظيم كما تقدم والى هنا كلام الهدهد لكنه من قوله الذي يخرج الى هنا ليس مما علمه دون سليمان بل سليمان يعلمه ايضا على وجه اتم واكمل من علم الهدهد وانما ذكره الهدهد بيانا لما هو عليه معتقده واظهار التصلبة في الدين فلما فرغ الهدهد من كلامه قال له سليمان سَنَنْظُرُ فيما اخبرتنا به من هذه القصة ونتعرف والنظر هو التامل والتصفح وفيه ارشاد الى البحث عن الاخبار والكشف عن الحقائق وعدم قبول خبر المخبرين تقليدا لهم واعتمادا عليهم اذا تمكن

من ذلك بوجه من الوجوه أصدقت فيما قلت والهمزة استفهامية أم كنت من الكاذبين
أم هي المتصلة وهذا القول أبلغ من قوله أم كذبت فيه مع أنه أخصر واشهر لأن المعنى من الذين اتصفوا
بالكذب وصار خلقاً لهم فهو يفيد أنه كاذب لا محالة على أتم وجه ومن كان كذلك فلا يوثق به وقال
البيضاوي التغيير للمبالغة والمحافظة على الفواصل ثم بين سليمان هذا النظر الذي وعد به فقال
اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم أي إلى أهل سبا قال الزجاج في ألقه خمسة أوجه قرئ بها
وخص الهدهد بإرساله بالكتاب لأنه المخبر بالقصة ولكونه رأى من مخائل الفهم والعلم ما يقتضي
كونه أهلاً للرسالة ثم تول عنهم أي تنح وانصرف عنهم وقف قريباً منهم وإنما أمره بذلك لكون التنحي بعد دفع
الكتاب من أحسن الآداب التي يتأدب بها رسل الملوك والمراد التنحي إلى مكان يسمع فيه حديثهم
حتى يخبر سليمان بما سمع وقيل معنى التولي الرجوع إليه والأول أولى لقوله فانظر ماذا يرجعون
أي تأمل وتفكر فيما يرجع بعضهم إلى بعض من القول وما يتراجعونه بينهم من الكلام قال ابن
عباس يقول كن قريباً منهم فانظر ما الذي يردونه من الجواب قالت بلقيس يا أيها الملأ في الكلام
حذف والتقدير فذهب الهدهد فألقاه إليهم فسمعها تقول يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم
والملأ هم الأشراف سموا ملأ لأنهم يملؤون العيون وفاعل ألقي محذوف وقيل لجهلها به إن لم
تكن شاهدته وقيل لاحتقاره إن كانت رأته والكريم المكرم المعظم ووصفت الكتاب بالكريم لكونه من عند
عظيم في نفسها فعظمته إجلالاً لسليمان وقيل لاشتماله على كلام حسن وقيل لكونه مصدراً بالبسملة
وقيل لغرابة شأنه وقيل لكونه وصل إليها مختوماً بخاتم سليمان وكرامة الكتاب ختمه كما روي ذلك
مرفوعاً قال ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به ثم بينت ما تضمنه هذا
الكتاب فقالت إنه من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبا وإنه
بسم الله الرحمن الرحيم أي وإن ما اشتمل عليه من الكتاب الكلام وتضمنه من القول مفتتح
بالتسمية وفيه إشارة إلى سبب وصفها إياه بالكريم قال ابن عباس انطلق بالكتاب حتى إذا توسط
عرشها ألقى الكتاب إليها فقرئ عليها فإذا فيه إنه من سليمان الخ وأخرج ابن أبي حاتم عن ميمون
بن مهران أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية فكان يكتب البسملة وبعدها
السلام على من اتبع الهدى أن لا تعلوا علي أي أما بعد فلا تتكبروا علي كما يفعله جبابرة الملوك وأن

هي المفسرة وقيل مصدرية ولا ناهية وقيل نافية ومحل الجملة الرفع على انها بدل من كتاب او
خبر مبتدأ محذوف اي هو ان لا تعلوا وقرئ لا تغلوا بالغين من الغلو وهو تجاوز الحد في الكبر
وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ اي طائعين منقادين للدين مؤمنين بما جئت به قيل لم يزد سليمان على
ما نص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون قيل ختمه سليمان
بخاتمه ثم طبعه بالمسك اي جعل عليه قطعة منه كالشمع قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي
أَمْرِي اي اشيروا علي وبينوا لي الصواب في هذا الامر واجيبوني بما يقتضيه الحزم وعبرت
عن المشورة بالفتوى لكون ذلك حلا لما اشكل من الامر عليها وفي الكلام حذف والتقدير
فلما قرأت بلقيس الكتاب جمعت اشراف قومها وكانوا ثلثمائة واثني عشر لكل واحد منهم
اتباع كثيرة وقالت لهم يا ايها الملأ اني القي الي يا ايها الملأ افتوني وكرر قالت لمزيد العناية
بما قالته لهم ثم زادت في التادب واستجلاب خواطرهم ليمحضوها النصح ويشيروا عليها بالصواب
فقالت مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ اي عادتي وشاني معكم اني ما كنت مبرمة وقاضية
وفاصلة امرا من الامور حتى تحضروا عندي وتشيروا علي فلما قالت لهم ذلك قَالُوا مجيبين لها
نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ في العدد والعدة وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ عند الحرب واللقاء ولنا من الشجاعة و
النجدة ما نمنع به انفسنا وبلدنا ومملكتنا يعني اشاروا عليها بالقتال ثم فوضوا الامر اليها لعلمهم
بصحة رأيها وقوة عقلها فقالوا وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ موكول اي الى رأيك ونظرك فَانْظُرِي اي تأملي
مَاذَا تَأْمُرِينَ ايانا به فنحن سامعون لامرك مطيعون له فلما سمعت تفويضهم الامر اليها
لم ترض بالحرب بل مالت للصلح وبينت السبب في رغبتها فيه و قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
من القرى أَفْسَدُوهَا اي خربوا مبانيها وغيروا مغانيها واتلفوا اموالها وفرقوا شمل اهلها قال
ابن عباس اذا اخذوها عنوة وقهرا خربوها وعن الزجاج مثله وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً اي
اهانوا اشرافها وحطوا مراتبهم فصاروا عند ذلك اذلة وانما يفعلون ذلك لاجل ان يتم لهم
الملك وتستحكم لهم الوطأة وتتقرر لهم في قلوبهم المهابة والمقصود من قولها هذا تحذير قومها من
مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ اي مثل ذلك الفعل يفعلون اراد ان هذه عادتهم المستمرة
التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت قال ابن الانباري الوقف

على قوله اذلة وقف تام فقال الله عز وجل تحقيقا وتصديقا لقولها وكذلك يفعلون
وقيل هذه الجملة من تمام كلامها فيكون من جملة مقول قولها الذي به ما قبله وعلى
الاول مستانفة لا محل لها من الاعراب قال النسفي واجتح الساعي في الارض بالفساد بهذه الآية
ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج له بالقران على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين انتهى ولما
قدمت لهم هذه المقدمة وبينت لهم ما في دخول الملوك الى ارضهم من المفسدة اوضحت لهم
وجه الرأي عندها وصرحت لهم بصوابه فقالت وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم اي الى اجرب هذا الرجل
بارسال رسلي اليه بِهَدِيَّةٍ مشتملة على نفائس الاموال فان كان ملكا ارضيناه بذلك
وكفينا امره وان كان نبيا لم يرضه ذلك لان غاية مطلبه ومنتهى اربه هو الدعاء الى
الدين فلا ينجينا منه الا اجابته ومتابعته والتدين بدينه وسلوك طريقته ولهذا قالت
فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ بالهدية من قبول ورد فعاملة بما يقتضيه ذلك وذلك ان
بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها وقد طول المفسرون في ذكر هذه
الهدية قال ابن عباس ارسلت بلبنة من ذهب فلما قدموا اذا حيطان المدينة من ذهب
فذلك قوله اتمدونن بمال الآية وقال ثابت البناني اهدت له صفائح الذهب في اوعية الديباج
وقال مجاهد اهدت جواري لباسهن لباس الغلمان وغلمانا لباسهم لباس الجواري
وقال عكرمة اهدت مائتي فرس على كل فرس غلام وجارية وعلى كل فرس لون ليس
على الآخر وقال سعيد بن جبير كانت الهدية جواهر وقيل غير ذلك مما لا فائدة في
التطويل بذكره فَلَمَّا جَاءَ رسولها المرسل بالهدية وهو منذر بن عمرو والمراد بهذا المضمر
الجنس فلا ينافي في كونهم جماعة كما يدل عليه قولها بم يرجع المرسلون وقرئ فلما جاؤا اي
الرسل سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ مستانفة والاستفهام للانكار اي قال منكرا لامدادهم
له بالمال مع علو سلطانه وكثرة ماله فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ من النبوة والعلم والملك العظيم والاموال
الكثيرة خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ من المال الذي هذه الهدية من جملته وهذا تعليل للنفي ثم انه اضرب
عن الانكار المتقدم فقال توبيخا لهم بفرحهم بهذه الهدية فرح فخر وخيلاء بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ
تَفْرَحُونَ واما انا فلا افرح بها وليست الدنيا من حاجتي لان الله سبحانه قد اعطاني منها ما لم

احد من العالمين ومع ذلك اكرمني بالنبوة والمراد بهذا الاضراب من سليمان بيان السبب الحامل
لهم على الهدية مع الازدراء بهم والحط عليهم ثم قال سليمان للرسول ارجع اليهم اي الى بلقيس
وقومها بما اتيت به من الهدية وخاطب المفرد ههنا بعد خطابه للجماعة فيما قبل اما لان الذي
سيرجع هو الرسول فقط او خص امير الرسل بالخطاب هنا وخاطبهم معه فيما سبق افتنانا في
الكلام وقرئ ارجعوا وقيل ان الضمير يرجع الى الهدهد واللام في فلنأتينهم جواب قسم محذوف
اي والله ان لم يأتوني مسلمين لنأتينهم قال النحاس وسمعت ابن كيسان يقول هي لام توكيد ولام امر
ولام خفض وهذا قول الحذاق من النحويين لانهم يردون الشيء الى اصله وهذا لا يتهيأ الا لمن
درب في العربية بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة اي
لا يقدرون ان يقابلوهم ولنخرجنهم منها اي من بلادهم وارضهم التي هم فيها وهي سبأ حال كونهم
اذلة بعد ان كانوا اعزة وهم صاغرون هي حال ثانية مؤكدة للاولى لان الصغار هو الذلة
وقيل ان المراد بالصغار هنا الاسر والاستعباد وقيل ان الصغار الاهانة التي تسبب عنها الذلة
ولما رجع الرسول الى بلقيس بالهدية تجهزت للمسير الى سليمان لتنظر ما يأمرها به واخبر جبريل
سليمان بذلك قال سليمان لكل من هو عنده في قبضته من الجن والانس وغيرهما يا ايها الملأ
ايكم يأتيني بعرشها اي عرش بلقيس الذي تقدم وصفه بالعظم وكان سليمان اذ ذاك في
بيت المقدس وعرشها في سبأ بلدة باليمن وبينها وبين القدس مسيرة شهرين قبل ان
يأتوني مسلمين اي قبل ان تأتيني هي وقومها منقادين طائعين قيل انما اراد سليمان
اخذ عرشها قبل ان يصلوا اليه ويسلموا لانهم حينئذ حربيون واذا اسلمت واسلم قومها
لم يحل اخذ اموالهم بغير رضائهم لان الاسلام يعصم اموالهم قال ابن عطية وظاهر الروايات ان
هذه المقالة من سليمان بعد مجيء هديتها ورده اياها وبعثه الهدهد بالكتاب وعلى هذا
جمهور المتأولين وقيل استدعى العرش قبل وصولها ليريها القدرة التي هي من عند الله ويجعله
دليلا على نبوته وقيل اراد ان يختبر عقلها ولهذا قال نكروا لها عرشها كما سيأتي وقيل اراد ان
يختبر صدق الهدهد في وصفه للعرش بالعظم قال النسفي وهذا بعيد عند اهل التحقيق انتهى
والقول الاول هو الذي عليه الاكثر قال عفريت من الجن وقرئ عفرية بفتح التحتية بعدها تاء تأنيث

منقلبة هاء وروبت هذه عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقرأ ابو حيان بفتح العين وهو
شاذ والعفريت المارد الغليظ الشديد القوي قال النحاس يقال للشديد اذا كان معه خبث و
دهاء عفر وعفرية وعفريت وقال قتادة هو الداهية وقيل هو رئيس الجن وقال ابن عطية و
قرأت فرقة عفر بكسر العين جمعه على عفار قال وهب اسمه كوذي وقال السهيلي ذكوان وقيل هو
صخر المارد قاله ابن عباس وقيل اسمه دعوان وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه
وكان مسخرا لسليمان أنا آتيك به اي انا سآتي بالعرش اليك مضارع او اسم فاعل قبل أن
تقوم من مقامك اي مجلسك الذي تجلس فيه للحكومة بين الناس وهو من الغداة الى
نصف النهار وإني عليه اي على حمله لقوي أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان
اريد اسرع من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب المنزل على الانبياء قبل سليمان كالتوراة
التي انزلت على موسى قال اكثر المفسرين اسمه آصف بن برخيا بالمد والقصر وهو من بني اسرائيل
وكان وزير السليمان وصديقا له وقيل كاتبه وكان من اولياء الله تظهر الخوارق على يديه
كثيرا وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب قال ابن
عطية وقالت فرقة هو سليمان نفسه ويكون الخطاب على هذا للعفريت كان سليمان استبطأ
ما قاله العفريت فقال له هذه المقالة تحقيرا له وقيل هو جبريل وقيل ملك آخر وقيل الخضر
وقد قيل غير ذلك مما لا اصل له والاول اولى أنا آتيك به اي بالعرش وقال مجاهد في قراءة
ابن مسعود انا انظر في كتاب ربي ثم آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك اذا نظرت به
الى شيء ما والمراد بالطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا
غير منوط بالقصد اثر الارتداد على الرد وفي القاموس ان الطرف كما يطلق على نظر العين يطلق
على العين نفسها وقيل هو بمعنى المطروف اي الشيء الذي ينظره وقيل هو نفس الجفن عبر به
عن سرعة الامر كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة قاله مجاهد وقال سعيد بن جبير
قال لسليمان انظر الى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يعود اليك
طرفك بعد مده الى السماء والاول اولى هذه الاقوال ثم الثالث قال ابن عباس لم يجر عرش صاحبة
سبا بين الارض والسماء ولكن انشقت به الارض فجرى تحت الارض حتى ظهر بين يدي سليمان

وقال مجاهد لما انكر ذلك العالم بكلام دخل العرش في نفق تحت الارض حتى خرج اليهم
فلما رآه مستقرا عنده قيل في الآية حذف والتقدير فاذن له سليمان فدعى الله فاتى
فلما رأى سليمان العرش حاضرا لديه قال هذا اي حضور العرش وثبوته من غير تحرك ونقلة
من فضل ربي واحسانه الي ليبلوني اي ليختبرني وقيل ليتعبدني وهو مجاز والاصل في الابتلاء
الاختبار ءاشكر الله بذلك واعترف بانه من فضله من غير حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر
بترك الشكر وعدم القيام به او بان اثبت لنفسي فعلا وتصرفا في ذلك وقال الاخفش المعنى
لينظر اشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يستحق بالشكر تمام النعمة ودوامها
فان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة والمعنى انه لا يرجع نفع ذلك وفوائده
الا الى الشاكر ومن كفر النعمة بترك الشكر فان ربي غني عن شكره كريم في ترك المعاجلة
بالعقوبة بنزع نعمه عنه وسلبه ما اعطاه منها قال نكروا لها عرشها قيل انما اعيد
ذكر القول لكون المتعلق مختلفا لكونه اولا اثناء على الله وثانيا متعلقا بشان عرشها والتنكير التغيير
وجعل الشيء بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه نقل الى مصطلح اهل العربية يقول غيروا
سريرها الى حال تنكره اذا رأته قيل جعل اسفله اعلاه واعلاه اسفله وقيل غير بزيادة
ونقصان قاله ابن عباس قال الفراء وغيره انما امر بتنكيره لان الشياطين قالوا له ان في عقلها
شيئا فاراد ان يمتحنها وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمان فيولد له ولد منها فيبقون
مسخرين لآل سليمان ابدا فقالوا لسليمان انها ضعيفة العقل ورجلها كرجل الحمار وقيل اراد
سليمان ان يظهر لها ان الجن مسخرون له ننظر اي نعلم قرء بالجزم على انه جواب الامر وبه قرأ
الجمهور وقرئ بالرفع على الاستيناف قال ابن عباس لننظر الى عقلها فوجدت ثابتة العقل
أتهتدي الى معرفته او الى الايمان بالله ام تكون من الذين لا يهتدون الى ذلك فلما جاءت
بلقيس الى سليمان قيل لها والقائل هو سليمان او غيره بامره أهكذا عرشك الذي تركتيه في
قصرك واغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حرسا والهمزة للاستفهام ولم يقل هذا عرشك
لئلا يكون ذلك تلقينا لها فلا يتم الاختبار لعقلها قالت كانه هو فاجابت احسن جواب فلم
تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للامرين قال مجاهد

جعلت تعرف وتنكر وتعجب من حضوره عند سليمان فقالت كأنه هو، وقال مقاتل عرفته
ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها، ولو قيل لها أهذا عرشك لقالت نعم، وقال عكرمة
كانت حكيمة قالت إن قلت هو خشيت أن أكذب، وإن قلت لا خشيت أن أكذب فقالت كأنه
هو ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ قيل هو من كلام بلقيس أي وأوتينا العلم
بصحة نبوة سليمان من قبل هذه الآية في العرش وكنا منقادين لأمره، وقيل هو من قول سليمان
أي وأوتينا العلم بقدرة الله من قبل بلقيس، وقيل العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل
مجيئها، وقيل هو من كلام قوم سليمان، والقول الثاني أرجح من سائر الأقوال وبه قال مجاهد
وعن زهير بن محمد نحوه ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من جملة كلام سليمان
أو كلامها على الاحتمالين السابقين، وذكر أبو السعود احتمالاً آخر وهو أنه من كلام الله سبحانه
بيان لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الإسلام أي منعها من إظهار الإيمان ما كانت تعبده
وهو الشمس، قال النحاس أي صدها عبادتها عن التقدم إلى الإسلام، وقيل منعها الله عما كانت
تعبد من دونه، وقيل منعها سليمان عما كانت تعبد، والأول أولى، والجملة مستأنفة للبيان
﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ تعليل للجملة الأولى أي سبب تأخرها عن عبادة الله ومنع ما كانت
تعبده عن ذلك أنها كانت من قوم متصفين بالكفر راسخين فيه ولذلك لم تكن قادرة على
إظهار إسلامها وهي بينهم حتى دخلت تحت ملك سليمان ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ قال أبو عبيدة
الصرح القصر، وقال الزجاج الصرح الصحن يقال هذه صرحة الدار وقاعتها، وقال ابن قتيبة
الصرح بلاط اتخذ لها من قوارير وجعل تحته ماء وسمك، وأصله من التصريح وهو الكشف، وكذا
صراح أي ظاهر مكشوف، ولوم صراح، وحكى أبو عبيد في الغريب أن الصرح كل بناء عال مرتفع
﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ أي الصرح بين يديها ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ هي معظم الماء، وقال ابن عباس البحر، ولذلك
﴿كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ لتخوض الماء خوفاً عليها أن تبتل فإذا هي أحسن النساء ساقاً سليمة مما قالت
الجن فيها غير أنها كانت كثيرة الشعر فلما فعلت ذلك وبلغت إلى هذا الحد ﴿قَالَ﴾ لها سليمان بعد أن
صرف بصره عنها ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ أي مسقف مبسوط ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ فمن أراد مجاوزته لا يحتاج إلى
تشمير ثيابه، والممرد المحكوك المملس، ومنه الأمرد لملاسة وجهه، وتمرد الرجل إذا لم تخرج لحيته

قال الفراء ومنه الشجرة المرداء التي لا ورق لها والتمريد في البناء التمليس والتسوية والممرد أيضاً المطول
ومنه قيل للحصن مارد وقوارير جمع قارورة أي زجاج وتطلق القارورة على المرأة لأن الولد والمني
يقر في رحمها كما يقر الشيء في الإناء أو تشبيهاً بآنية الزجاج لضعفها قال الأزهري والعرب تكني
عن المرأة بالقارورة والقوصرة قال آزاد البلجرامي ؎ كم من قلوب في قاف أثر عيسهم + يا حادي
العيس رفقاً بالقوارير + والمراد بها هنا بيت الزجاج فلما سمعت بلقيس ذلك أذعنت واستسلمت و
قالت رب إني ظلمت نفسي أي بما كنت عليه من عبادة غيرك وهو الشمس وقيل بالظن الذي
توهمته في سليمان لأنها توهمت أنه أراد تغريقها في اللجة والأول أولى وأسلمت مع سليمان
متابعة له داخلة في دينه وهو الإسلام لله رب العالمين التفتت من الخطاب إلى الغيبة
قيل لإظهار معرفتها بالله والأولى أنها التفتت لما في هذا الاسم الشريف من الدلالة على جميع
الأسماء ولكونه علماً للذات وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن
ابن عباس في أثر طويل أن سليمان تزوجها بعد ذلك قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من
حديث قال ابن كثير في تفسيره بعد حكاية هذا القول بل هو منكر جداً ولعله من أوهام
عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن
أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله فيما نقلاه إلى هذه الأمة
من بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان ومما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ انتهى
وكلامه هذا هو شعبة مما قد ذكرناه في هذا التفسير ونبهنا عليه في عدة مواضع وكنت أظن أنه
لم ينبه على ذلك غيري فالحمد لله على هذه الموافقة لمثل هذا الحافظ المنصف وقيل انتهى
أمرها إلى قولها أسلمت ولا علم لأحد وراء ذلك لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وأخرج البخاري
في تاريخه والعقيلي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من صنعت له
الحمامات سليمان وروي عنه مرفوعاً من طريق أخرى رواها الطبراني وابن عدي في الكامل والبيهقي
في الشعب بلفظ أول من دخل الحمام سليمان فلما وجد حره قال أوه من عذاب الله روي أن
سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وانقضى
ملك بلقيس بانقضاء ملك سليمان فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه

ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً اللام هي الموطئة للقسم وهذه القصة من جملة بيان
قوله وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وثمود هو أبو القبيلة التي منها صالح فهو جدها والمراد به
هنا نفس القبيلة وتسمى عاد الثانية وأما عاد الأولى فهم قوم هود وتقدم أن بينهما مائة
سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة أن اعبدوا الله أن هي المفسرة أو المصدرية أي بأن
اعبدوا الله وحده فإذا هم فريقان يختصمون إذا هي الفجائية أي ففاجأ إرساله التفرق
والاختصام والمراد بالفريقين المؤمنون منهم والكافرون ومعنى الاختصام أن كل فريق يخاصم
على ما هو فيه ويزعم أن الحق معه وقيل إن الخصومة بينهم في صالح هل هو مرسل أم لا وقيل
أحد الفريقين صالح والآخر جميع قومه وهو ضعيف وقد تقدم حكاية اختصام الفريقين في
سورة الأعراف في قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم الآية
قال صالح للمكذبين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة قال مجاهد أي بالعذاب قبل الرحمة
والمعنى لم تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يجلب إليكم العقوبة
وقد كانوا لفرط كفرهم يقولون ائتنا يا صالح بالعذاب ووصف العذاب بأنه سيئة مجاز إما لأن
العقاب من لوازمه أو لأنه يشبهه في كونه مكروهاً لولا هلا تستغفرون الله وتتوبون إليه
من الشرك لعلكم ترحمون أي رجاء أن ترحموا أو لكي ترحموا فلا تعذبوا فإن استعجال الخير
أولى من استعجال الشر فكان جوابهم عليه بعد هذا الإرشاد الصحيح والكلام اللين أنهم قالوا اطيرنا
بك أصله تطيرنا وقد قرئ بذلك والتطير التشاؤم أي تشاءمنا بك وأصابنا الشؤم والضيق
والشدة بك وبمن معك ممن أجابك ودخل في دينك وذلك لأنه أصابهم قحط فتشاءموا
بصالح وقد كانت العرب أكثر الناس طيرة وأسبقاهم بها وكانوا إذا أرادوا سفراً أو أمراً من الأمور
نفروا طائراً من وكره فإن طار يمنة ساروا وفعلوا ما عزموا عليه وإن طار يسرة تركوا ذلك قال
القرطبي لا شيء أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيق
غراب يرد قضاء أو يدفع مقدوراً فقد جهل فلما قالوا ذلك قال لهم صالح طائركم عند الله أي ما
يصيبكم من الخير والشر بأمر الله وهو مكتوب عليكم سمي طائراً لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم والمعنى أن الشر الذي
بسبب الطيرة التي تتشاءمون بها بل سبب ذلك عند الله وهو ما يقدره عليكم وقيل المعنى إن الشؤم الذي أصابكم هو من عند الله بسبب كفركم

وهذا كقوله تعالى يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله وقيل طائركم عملكم
وسمي طائر السرعة صعوده الى السماء ثم اوضح لهم سبب ما هم فيه باوضح بيان فقال
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ اي تمتحنون وتختبرون وقيل تعذبون بذنوبكم وقيل يفتنكم
غيركم وقيل يفتنكم الشيطان بما تقعون فيه من الطيرة او بما لاجله تطيرون فاضرب
عن ذكر الطائر الى ما هو سبب الداعي اليه وجاء بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير ولو روعي
ما بعده لقيل يفتنون بياء الغيبة وهو جائز ولكنه مرجوح تقول انت رجل تفعل ويفعل
ونحن قوم نقرأ ويقرءون وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ التي كان فيها صالح وهي الحجر كذا قال المفسرون
هنا وتقدم في سورة الحجر انه واد بين المدينة والشام وهو ديار ثمود تِسْعَةُ رَهْطٍ اي تسعة
رجال او اشخاص من ابناء الاشراف وبهذا الاعتبار وقع تمييز التسعة لا باعتبار لفظه
والاضافة بيانية اي تسعة هم رهط والرهط اسم جماعة فكانهم كانوا رؤساء يتبع كل
واحد منهم جماعة وقيل الرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة وسكون الهاء
افصح من فتحها وهو جمع لا واحد له من لفظه وقيل الرهط من سبعة الى عشرة وما دون
السبعة الى الثلاثة نفر قال ثعلب الرهط والنفر والقوم والمعشر والعشيرة معناهم الجمع
لا واحد لهم من لفظهم وهو للرجال دون النساء وقال ابن السكيت الرهط والعترة بمعنى
وقال الاصمعي الرهط ما فوق العشرة الى الاربعين ونقله ابن فارس ايضا والجمع ارهط
واراهط وهؤلاء التسعة هم اصحاب قدار عاقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وقد اختلف
في اسماء هؤلاء التسعة اختلافا كثيرا لا حاجة الى التطويل بذكره ثم وصف هؤلاء بقوله
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ اي شانهم وعملهم الفساد في الارض لا في المدينة
فقط فسادا لا يخالطه شيء من الاصلاح قيل كانوا يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم
وقيل كانوا يظلمون ولا يمنعون الظالمين قَالُوا تَقَاسَمُوا اي قال بعضهم لبعض احلفوا بالله
هذا على ان تقاسموا فعل امر ويجوز ان يكون فعلا ماضيا مفسرا لقالوا كانه قيل ما قالوا
فقال تقاسموا او قالوا ذلك متقاسمين واليه ذهب الزمخشري وقرأ ابن مسعود تقاسموا
بالله ليس فيها قالوا لَنُبَيِّتَنَّهُ اللام جواب قسم اي لناتينه بغتة في وقت البيات فنقتله ليلا

مدينة يقال لها احاضوراء وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وهم اهل سدوم اتاتون
الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح والشناعة وهي اتيان الذكور واللواط وانتم تبصرون
اي وانتم تعلمون علما يقينا انها فاحشة وقبيحة وذلك اعظم لذنوبكم على ان تبصرون من
بصر القلب وهو العلم او بمعنى النظر لانهم كانوا لا يستترون حال فعل الفاحشة عتوا وتمردا والجملة
حالية مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ وقد تقدم تفسير هذه القصة في الاعراف مستوفى
أئنكم لتأتون الرجال فيه تكرير للتوبيخ مع التصريح بان تلك الفاحشة هي اللواطة التي ابهمها
اولا وفيه اشارة الى ان فعلتهم هذه مما يعيي الواصف ولا يبلغ كنه قبحها ولا يصدق ذو عقل
ان احدا يفعلها ثم علل ذلك بقوله شهوة تنزيلا لهم الى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد
ولا عفاف والتقييد للشهوة او اتيانا شهوة او مشتهين لهم من دون النساء اي متجاوزين
النساء اللاتي هن محل لذلك وفيه اشارة الى انهم اساؤا من الطرفين في الفعل والترك بل
انتم قوم تجهلون التحريم او عاقبة فعلكم والعقوبة على هذه المعصية قيل اراد بالجهل
السفاهة التي كانوا عليها او تفعلون فعل الجاهلين بقبحه وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا
وفي قوله بل انتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه اقوى وارسخ اذ الاصل ان يكون
الكلام بين الحاضرين فما كان جواب قومه الا ان قالوا اي الا قولهم اخرجوا آل لوط اي لوطا
واهله والمراد بهم بنتاه وزوجته المؤمنة من قريتكم فيه امتنان عليه باسكانه عندهم
والاضافة للجنس لان قراهم كانت خمسا اعظمها سدوم انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون و
يتباعدون عن ادبار الرجال قالوا ذلك استهزاء منهم بهم فانجيناه واهله من العذاب
الواقع بالقوم فخرج لوط باهله من ارضهم وطوى الله له الارض حتى نجا ووصل الى ابراهيم الا
امرأته قدرناها قرئ مخففا ومشددا والمعنى واحد مع دلالة زيادة البناء على زيادة
المعنى من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم اي على كل من كان منهم خارج
المدائن مطرا اي حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها وهو حجارة السجيل اي الطين المحرق وهذا
التأكيد يدل على شدة المطر وانه غير معهود فساء مطر المنذرين اي الذين انذروا فلم
يعقلوا ولم يقبلوا الانذار والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم وقد مضى بيان الحكاية في الاعراف والشعراء



قل الحمد لله قال الفراء قال اهل المعاني قيل للوط قل الحمد لله على هلاكهم وخالفه جماعة المفسرين فقالوا ان هذا خطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم اي قل الحمد لله على هلاك كفار الامم الخالية قال النحاس وهذا اولى لان القران منزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكل ما فيه فهو مخاطب به الا ما لم يصح معناه الا لغيره وكان هذا صدر خطبة لما يلقى من البراهين الدالة على الوحدانية والعلم والقدرة الاتي ذكرها بقوله امن خلق الخ قيل والمراد بقوله وسلام على عباده الذين اصطفى امته صلى الله عليه وسلم والاولى حمله على العموم وهم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين فيدخل في ذلك الانبياء واتباعهم قال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وروي مثله عن سفيان الثوري والاولى ما قدمناه من التعميم فيدخل في ذلك اصحابه صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا وهو تعليم لكل متكلم في كل امر ذي بال بان يتبرك بهما ويستظهر لمكانهما ءالله فيه وجهان يجريان في خمسة مواضع في القران غير هذا الموضع احدهما تسهيل الهمزة الثانية مقصورة والثاني ابدالها الفا ممدودة مدا لازما والمعنى الله الذي ذكرت افعاله وصفاته الدالة على عظيم قدرته خير اما يشركون به من الاصنام وفيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار وام هذه متصلة عاطفة لاستكمال شروطها والتقدير ايهما خير وهذه الخيرية ليست بمعناها الاصلي بل هي كقول الشاعر ٥ اتهجوه ولست له بكفوء فشركما لخيركما الفداء ٥ فيكون ما في الاية من باب التهكم اذ لا خير فيهم اصلا وقد حكى سيبويه ان العرب تقول السعادة احب اليك ام الشقاوة ولا خير في الشقاوة اصلا وقيل المعنى اثواب الله خير ام عقاب ما تشركون به وقيل قال لهم ذلك جريا على اعتقادهم لانهم كانوا يعتقدون ان في عبادة الاصنام خيرا وقيل المراد من هذا الاستفهام الخبر وقرا الجمهور تشركون بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية

امن خلق السموات والارض

ام هذه هي المنقطعة وقال ابو حاتم تقديره الهتكم خير ام من خلق السموات والارض وقدر على خلقهن وقيل المعنى اعبادة ما تعبدون من اوثانكم خير ام عبادة من خلق العالم الجسماني فيكون ام على هذا متصلة وفيها معنى التوبيخ والتهكم كما في الجملة الاولى وانزل لكم من السماء ماء اي نوعا من الماء وهو المطر فانبتنا به حدائق جمع حديقة قال الفراء الحديقة



البستان الذي عليه حائط فان لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة وقال
قتادة وعكرمة الحدائق النخل ذات بهجة اي ذات منظر حسن ورونق والبهجة هي الحسن
الذي يبتهج به من رآه ولم يقل ذوات بهجة على الجمع لان المعنى جماعة حدائق وصرف الكلام
عن الغيبة الى التكلم لتأكيد المعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان انبات الحدائق المختلفة
الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع سقيها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ثم رشح
معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمارها وسائر صفاتها
البديعة ومعنى هذا النفي الحظر والمنع من فعل هذا اي ما يصح للبشر ولا يتهيأ لهم ذلك ولا يدخل
تحت مقدورهم لعجزهم عن اخراج الشيء من العدم الى الوجود وان تأتي ذلك محال من غيره ثم
قال سبحانه موبخا لهم ومقرعا أإله اي هل معبود مع الله الذي تقدم ذكر بعض افعاله حتى
يقرن به ويجعل شريكا له في العبادة وقرئ أإلها اي أتدعون إلها مع الله والاستفهام للانكار
اي ليس معه اله ولذا يقال في المواضع الاربعة الآتية ثم اضرب عن توبيخهم وتقريعهم بما تقدم
وانتقل الى بيان سوء حالهم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة فقال بل هم قوم يعدلون
بالله غيره او يعدلون عن الحق الى الباطل وبل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رأيهم ثم شرع
في الاستدلال باحوال الارض وما عليها فقال أمن جعل الارض قرارا القرار هو المستقر اي
دحاها وسواها وجعلها بحيث يمكن الاستقرار عليها للانسان والدواب باخلاء بعضها
من الماء حسبما تدور عليه منافعهم وقيل هذه الجملة وما بعدها من الجمل الثلاث بدل
من قوله أمن خلق السموات والارض ولا ملجئ لذلك بل هي وما بعدها اضراب وانتقال من
التقريع والتوبيخ بما قبلها الى التوبيخ والتقريع بشيء آخر وجعل اي خلق او صير خلالها اي فيما
بينها انهارا تطرد بالمياه وبين البحرين مثله والخلال الوسط وقد تقدم تحقيقه في قوله فجرنا
خلالهما نهرا وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة وجعل بين
البحرين هما العذب والمالح اي جعل بينهما من قدرته حاجزا اي مانعا معنويا وهو المنع الالهي اذ
ليس هناك حاجز حسي كما هو مشاهد فلا يختلط احدهما بالآخر فلا هذا يغير ذاك ولا ذاك يدخل
في هذا وقد مر بيانه في سورة الفرقان أإله مع الله اي اذا ثبت انه لا يقدر على ذلك الا الله

قل اله في الوجود يصنع صنعه ويخلق خلقه فكيف يشركون به ما لا يضر ولا ينفع بل أكثرهم
لا يعلمون توحيد ربهم وسلطان قدرته أمن يجيب المضطر إذا دعاه هذا استدلال منه
سبحانه بحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر اسم فاعل واسم مفعول من الاضطرار وهو
افتعال من الضرورة وهي الحاجة الملجئة الى اللجأ يقال اضطره الى كذا والمضطر هو المكروب
المجهود الذي مسه الضر ولا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب اذا استغفر وقيل هو المظلوم اذا دعا
او من رفع يديه ولم يرى لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر وقيل هو الذي عراه ضر
من فقر او مرض او نازلة من نوازل الدهر فالجأه الى التضرع الى الله واللام في المضطر للجنس لا الاستغراق
فقد لا يجاب دعاء بعض المضطرين لمانع يمنع من ذلك بسبب يحدثه العبد يحول بينه وبين اجابة
دعائه والا فقد ضمن الله سبحانه اجابة دعاء المضطر اذا دعاه واخبر بذلك عن نفسه والوجه
في اجابة دعاء المضطر ان ذلك الاضطرار الحاصل له يتسبب عنه الاخلاص وقطع النظر عما سوى
الله وقد اخبر الله سبحانه بانه يجيب دعاء المخلصين له الدين وان كانوا كافرين فقال حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا
انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
وقال فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجابهم عند ضرورتهم واخلاصهم مع علمه بانهم سيعودون الى
شركهم ويكشف السوء الذي يسوء العبد من غير تعيين وقيل هو الضر وقيل هو الجور وهذا من
عطف العام على الخاص ويجعلكم خلفاء الارض اي يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله بعد
انقراضهم والمعنى يهلك قرنا وينشئ آخرين وقيل يجعل اولادكم خلفا منكم وقيل جعلكم خلفاء
الجن في الارض وقيل يجعل المسلمين خلفا من الكفار ينزلون ارضهم وديارهم أءله مع الله
الذي يوليكم هذه النعم الجسام قليلا ما اي تذكرا قليلا تذكرون وما زائدة لتقليل القليل
وهو كناية عن العدم بالكلية فالمراد نفي تذكرهم راسا قال الكرخي المعنى نفي التذكر والقلة
تستعمل في معنى النفي قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الخبر ردا على قوله بل
اكثرهم لا يعلمون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي يرشدكم في الليالي المظلمة اذا سافرتم
في البر والبحر الى مقاصدكم وقيل المراد مفاوز البر التي لا اعلام لها ولجج البحار اي يهديكم بالنجوم بلا

وبعلامات الارض نهارا وشبهها بالظلمات لعدم ما يهتدون به فيها ومن يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته المراد بالرحمة هنا المطر اي بين يدي المطر وقبل نزوله أإله مع الله
يفعل ذلك ويوجده تعالى الله عما يشركون اي تنزه وتقدس عن وجود ما يجعلونه له
شريكا أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده كانوا يقرون بان الله سبحانه هو الخالق فالزمهم الاعادة
اي اذا قدر على الابتداء قدر على الاعادة ومن يرزقكم من السماء والارض بالمطر والنبات أي
اهو خير أم ما تجعلونه شريكا له مما لا يقدر على شيء من ذلك أإله مع الله حتى تجعلوه شريكا له
قل هاتوا برهانكم اي حجتكم عقلية او نقلية على ان لله سبحانه شريكا او هاتوا حجتكم على
ان ثم صانعا يصنع كصنعه إن كنتم صادقين ان مع الله إلها افعل شيئا مما ذكر في هذه الآيات
وتهكم بهم وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل قل لا يعلم من اي لا يعلم احد من
المخلوقات الكائنة الثابتة الساكنة المستقرة في السموات والارض وهم الملائكة والانس
الغيب الذي استأثر الله بعلمه الا الله اي لكن الله يعلم ذلك فالاستثناء منقطع ورفع ما بعده
الا على اللغة التميمية كما في قولهم الا اليعافير والا العيس وقيل لا يعلم غيب من فيهما ولا يعلم الاشياء
التي تحدث فيهما الا الله وقيل هو استثناء متصل من من والاول اولى لان الاتصال يقتضي ان الله
من جملة من فيهما اخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة قالت ثلاث من تكلم بواحدة
منهن فقد اعظم على الله الفرية وقالت في آخره ومن زعم انه يخبر الناس بما يكون في غد
فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم الآية وما يشعرون اي الكفار ايان
يبعثون اي متى ينشرون من القبور وايان مركبة من اي وان وقد تقدم تحقيقه وقرئ إيان
بكسر الهمزة وهي لغة بني سليم بل ادّارك اصله تدارك وقرئ ادرك من الادراك وقرئ ادّرك
بتشديد الراء وادخل على الاستفهام وقرئ بل تدارك باثبات التاء ومعنى الآية بل تكامل
علمهم في الآخرة لانهم رأوا كلما وعدوا به وعاينوه وقيل معناه تتابع وتلاحق والقراءة الثانية
معناها كمل علمهم في الآخرة مع المعاينة وذلك حين لا ينفعهم العلم لانهم كانوا في الدنيا مكذبين
وقال الزجاج انه على معنى الانكار واستدل على ذلك بقوله فيما بعد بل هم منها عمون اي لم يدرك
علمهم علم الآخرة وقيل المعنى بل ضل وغاب علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم ومعنى الثالثة كالاولى

فافتعل وتفاعل قد يجيئان لمعنى والرابعة هي بمعنى الانكار قال الفراء وهو وجه حسن كأنه
وجّهه الى المكذبين على طريق الاستهزاء بهم وفي الآية قراءات أخر لا ينبغي الاشتغال بذكرها و
توجيهها وعن ابن عباس قال بل ادارك علمهم في الآخرة حين لا ينفع الندم وعنه قال لم يدرك
علمهم وعنه انه قرأها بالاستفهام وعنه قال غاب علمهم بل هم في شك منها اي بل هم اليوم
في الدنيا في شك من الآخرة ثم اضرب عن ذلك الى ما هو اشر منه فقال بل هم منها عمون
فلا يدركون شيئا من دلائلها لاختلال بصائرهم التي يكون بها الادراك وعمون جمع عمٍ وهو
من كان اعمى القلب والمراد بيان جهلهم بها على وجه لا يهتدون الى شيء مما يوصل الى العلم بها
فمن قال ان معنى الآية الاولى انه كمل علمهم وتم مع المعاينة فلا بد من حمل قوله بل هم في شك الخ
على ما كانوا عليه في الدنيا ومن قال ان معنى الآية الاولى الاستهزاء بهم والتبكيت لهم لم يحتج الى التقييد
قوله بل هم في شك الخ بما كانوا عليه في الدنيا وبهذا يتضح معنى هذه الآيات ويظهر ظهورا بينا
والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم ولما ذكر سبحانه ان المشركين في شك من
البعث وانهم عمون عن النظر في دلائله اراد ان يبين غاية شبهتهم وهي مجرد استبعاد احياء الموتى
بعد صيرورتهم ترابا فقال وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون المعنى
انهم استنكروا واستبعدوا ان يخرجوا من قبورهم احياء بعد ان قد صاروا ترابا ثم اكدوا ذلك
الاستبعاد بما هو تكذيب للبعث فقالوا لقد وعدنا هذا يعنون البعث نحن وآباؤنا من
قبل اي من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم لنا وقد مرت الدهور على هذا الوعد ولم يقع منه شيء فذلك
دليل على انه لا حقيقة له والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير الانكار مصدرة بالقسم لزيادة
التقرير ان هذا الوعد بالبعث الا اساطير الاولين اي احاديثهم واكاذيبهم الملفقة التي
كتبوها ولا حقيقة لها وقد تقدم تحقيق معنى الاساطير في سورة المؤمنين ثم اوعدهم سبحانه
على عدم قبول ما جاءت به الانبياء من الاخبار بالبعث فامرهم بالنظر في احوال الامم السابقة
المكذبة للانبياء وما عوقبوا به وكيف كانت عاقبتهم فقال قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين المكذبين بما جاءت به الانبياء على نبينا وعليهم الصلوة والسلام
من الاخبار بالبعث ومعنى النظر هو مشاهدة آثارهم بالبصر فان في المشاهدة زيادة اعتبار وكفاية



لاولي الابصار وقيل المعنى فانظروا بقلوبكم وبصائركم كيف كان عاقبة المكذبين لرسلهم والاول اولى لامرهم بالسير في الارض وفيه تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ الحزن بسبب ما فوت امر في الماضي او توقع مكروه في المستقبل اي لا تحزن على عدم ايمان المستهزئين فيما مضى ولا تغتم وتهتم بمكرهم في المستقبل وهو معنى قوله ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ الضيق الحرج يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وضيقا بالكسر قرئ بهما وهما لغتان قال ابن السكيت يقال في صدر فلان ضيق وضيق وهو ما يضيق عنه الصدر وقرئ لا تكن بثبوت النون هنا على الاصل وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعا تسعة منها مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنان بالنون وواحد بالهمزة وهو قوله ولم اك بغيا وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة النحل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب الذي تعدنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ذلك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ يقال ردفت الرجل وأردفته اذا ركبت خلفه وردفته اذا اتبعته وجاء في اثره قال ابن شجرة معنى ردف لكم تبعكم قال ومنه ردف المرأة لانه تبع لها من خلفها قال الجوهري واردفه لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه قال الفراء ردف لكم دنى لكم ولهذا قيل لكم وقرئ ردف بفتح الدال وهي لغة والكسر اشهر وقرء ابن عباس ازف لكم وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري الله وعيده قاله ابو السعود والمعنى قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الكفار عسى ان يكون هذا العذاب الذي به توعدون تبعكم ولحقكم فتكون اللام زائدة للتاكيد او بمعنى اقترب لكم ودنى منكم قاله ابن عباس فتكون غير زائدة ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب اي حلوله قيل هو عذابهم بالقتل يوم بدر وقيل هو عذاب القبر ثم ذكر سبحانه فضله فقال ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ في تاخير العقوبة والاولى ان تحمل الآية على العموم ويكون تاخير العقوبة من جملة افضاله سبحانه وانعامه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضله وانعامه ولا يعرفون حق احسانه ثم بين سبحانه انه مطلع على ما في صدورهم فقال ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ اي ما تخفيه

ما يبين التأخير بخفاء حالهم عليه ثم بعض التابعين الكن وتخفيها وضمر أكان يقال كننته بمعنى
سترته واخفيت أثره وما يعلنون من أقوالهم وأفعالهم ويظهرونها وقال ابن عباس يعلم
ما عملوا بالليل والنهار وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين أي في اللوح
المحفوظ والغائبة هي من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كراوية وعلامة وقيل هي كالتاء الداخلة
على المصادر نحو العاقبة والعافية قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في أنها
أسماء غير صفات قال الحسن الغائبة هنا هي القيامة وقال مقاتل علم ما يستعجلون من
العذاب هو مبين عند الله وإن غاب عن الخلق وقال ابن شجرة الغائبة هنا جميع ما أخفى الله
عن خلقه وغيبه عنهم مبين في أم الكتاب فكيف يخفى عليه شيء من ذلك ومن جملة ذلك
ما يستعجلون من العذاب فإنه موقت بوقت مؤجل بأجل علمه عند الله فكيف يستعجلونه
قبل أجله المضروب له وقال ابن عباس ما من شيء في السماء والأرض سراً وعلانية إلا يعلمه إن
هذا القرآن يقص على بني إسرائيل الموجودين في زمان نبينا بالتصريح والتصحيح وإنما
خص الأكثر بالذكر وقال أكثر الذي هم فيه يختلفون من التشبيه والتنزيه وأحوال الجنة
والنار وعزير ومسيح وذلك لأن أهل الكتاب تفرقوا فرقاً وتحزبوا أحزاباً يطعن بعضهم على
بعض ويتبرأ بعضهم من بعض فنزل القرآن مبيناً لما اختلفوا فيه من الحق فلو أخذوا به
لوجدوا فيه ما يرفع اختلافهم ويدفع تفرقهم وإنه لهدى من الضلالة ورحمة من العذاب
للمؤمنين أي لمن آمن بالله وتابع رسوله صلى الله عليه وسلم وخصهم لأنهم هم المنتفعون به ومن
جملتهم من آمن من بني إسرائيل إن ربك يقضي بينهم كغيرهم يوم القيامة بحكمه أي
يقضي بالعدل بين المختلفين من بني إسرائيل بما يحكم به من الحق فيجازي المحق ويعاقب المبطل وقد
يمكن أحد المخالفة كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه ورسله وقيل يقضي بينهم في الدنيا فيظهر
ما حرفوه وقرئ بحكمه بضم الحاء وسكون الكاف وبكسرها وفتح الكاف جمع حكمة والحكم بمعنى العدل
والحق والمحكوم به وهو العزيز الذي لا يغالب العليم بما يحكم به أو الكثير العلم ثم أمره سبحانه
بالتوكل وقلة المبالاة فقال فتوكل على الله الفاء لترتيب الأمر على ما تقدم ذكره لأن هذه
الأوصاف توجب على كل أحد أن يفوض جميع أموره إليه والمعنى فوض إليه أمرك واعتمد عليه فإنه ناصرك

ثم علل ذلك بعلتين الأولى قوله إنك على الحق المبين أي الظاهر وقيل المظهر وعلل التوكل
بأنه على الحق الأبلج وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق
بالوثوق بالله وبنصرته وتأييده وحفظه له والعلة الثانية قوله إنك لا تسمع الموتى أي موتى
القلوب وهم الكفار وفيه قطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم أصلاً ولا تسمع الصم الدعاء
لأنه إذا علم أن حالهم كحال الموتى في انتفاء الجدوى بالسماع أو كحال الصم الذين لا يسمعون ولا
يفهمون ولا يهتدون صار ذلك سبباً قوياً في عدم الاعتداد بهم شبه الكفار بالموتى الذين
لا حس لهم ولا عقل وبالصم الذين لا يسمعون المواعظ ولا يجيبون الدعاء إلى الله وقرئ تسمع بضم
الفوقية وكسر الميم من أسمع وقرئ بالتحتية مفتوحة وفتح الميم وفاعله الصم ثم ذكر سبحانه جملة لتكميل
التشبيه وتأكيده فقال إذا ولوا مدبرين أي أعرضوا عن الحق إعراضاً تاماً فإن الأصم لا يسمع الدعاء
إذا كان مقبلاً فكيف إذا كان معرضاً عنه مولياً قال قتادة الأصم إذا ولى مدبراً ثم ناديته
لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان وظاهر نفي سماع الموتى العموم فلا يخص منه
إلا ما ورد بدليل كما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم خاطب القتلى في قليب بدر فقيل له يا رسول الله
إنما تكلم أجساداً لا أرواح لها وكذلك ما ورد من أن الميت يسمع خفق نعال المشيعين له إذا انصرفوا
ثم ضرب العمى مثلاً لهم فقال وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الحق
إرشاداً يوصله إلى المطلوب منه وهو الإيمان وليس في وسعك ذلك ومثله قوله إنك لا تهدي من
أحببت قرأ الجمهور بإضافة هادي إلى العمي وقرئ بالتنوين وقرئ تهدي فعلاً مضارعاً وفي حرف عبد الله
وما أن تهدي العمي إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا أي من يصدق بالقرآن في علم الله لا من يكفر
فهم مسلمون تعليل للإيمان أي فهم منقادون مخلصون بتوحيد الله ثم هدد العباد بذكر
طرف من أشراط الساعة وأهوالها فقال وإذا وقع القول عليهم اختلف في معنى هذا الوقوع فقال
قتادة وجب الغضب عليهم وقال مجاهد حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون وقيل حق العذاب
عليهم وقيل وجب السخط والمعاني متقاربة وقيل المراد بالقول ما نطق به القرآن من مجيء الساعة
وما فيها من فنون الأهوال التي كانوا يستعجلونها وقيل وقع القول بموت العلماء وذهاب العلم
ورفع القرآن وذلك إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر قاله ابن عمر وأخرجه ابن مردويه عنه مرفوعاً

وعن أبي العالية أنه فسر وقع القول بما أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن
والحاصل أن المراد بوقع وجب وبالقول مضمونه أو أطلق المصدر على المفعول أي المقول وجواب
الشرط قوله أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ اختلف في هذه الدابة على أقوال فقيل إنها فصيل
ناقة صالح يخرج عند اقتراب الساعة ويكون من أشراطها وقيل هي دابة مزغبة ذات شعر وقوائم
طوال يقال لها الجساسة وبه قال ابن عمرو وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد إبهامه بالتنوين
التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج أوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقيل هي دابة على خلقة
بني آدم رأسها في السحاب وقوائمها في الأرض وقيل رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن
فيل وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة
هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا ولعل ذلك وهو
الجساسة وقيل هي الثعبان المشرف على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين أرادت قريش
بناء الكعبة والمراد أنها هي التي تخرج في آخر الزمان وقيل هي دابة ما لها ذنب ولها لحية وقيل
هي إنسان ناطق متكلم يناظر أهل البدع ويراجع الكفار وفيه بعد وعن ابن عباس قال الدابة
ذات وبر وريش مؤلفة فيها من كل لون لها أربع قوائم تخرج بعقب من الحاج وقيل غير ذلك
مما لا فائدة في التطويل بذكره وقد رجح القول الأول القرطبي في تفسيره وقال هو أصح الأقوال و
اختلف في تعيينها وصفتها اختلافا كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكرة واختلف من أي موضع
تخرج فقيل من جبل الصفا بمكة يتصدع فتخرج منه قاله ابن عمرو وقيل تخرج من جبل أبي قبيس
وقيل لها ثلاث خرجات خرجة في بعض البوادي حتى يتقاتل عليها الناس وتكثر الدماء ثم تكمن
وتخرج في القرى ثم تخرج من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها وقيل تخرج من بين الركن والمقام
وقال ابن عباس تخرج من بعض أودية تهامة وقيل من مسجد الكوفة من حيث فار التنور وقيل
من أرض الطائف وقيل من صخرة من شعب أجياد قاله ابن عمر وقيل من صدع في الكعبة وقيل
من بحر سدوم قاله وهب بن منبه واختلف في معنى قوله تُكَلِّمُهُمْ فقيل تكلمهم ببطلان
الأديان سوى دين الإسلام وقيل تكلمهم بما يسوءهم وقيل تكلمهم بالعربية بقوله تعالى ألا إن
الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قاله ابن عباس أي بخروجها لأن خروجها من الآيات



وقال ابن عباس ايضا تكلمهم تحدثهم وعنه انه سئل هو من التكليم باللسان او من الكلم
وهو الجرح فقال كل ذلك والله تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر اي تجرحه قرأ الجمهور تكلمهم
من التكليم ويدل عليه قراءة ابي تنبئهم وقرئ بفتح الفوقية وسكون الكاف من الكلم وهو الجرح
قال عكرمة اي تسمهم وسما وقيل تجرحهم وقيل قراءة الجمهور ماخوذة من الكلم وهو الجرح والتشديد
للتكثير قاله ابو حاتم واخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عمر في الآية قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس ذلك حديثا ولا كلاما ولكنها سمة تسم من امرها الله به فيكون خروجها من الصفا
ليلة منى فيصبحون بين راسها وذنبها لا يدحض داحض ولا يجرح جارح حتى اذا فرغت مما امرها
الله به فهلك من هلك ونجى من نجى كان اول خطوة تضعها بانطاكية واخرج احمد وابن مردويه
عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة فتسم على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشتري
الرجل الدابة فيقال له ممن اشتريتها فيقول من الرجل المخطم وعن حذيفة بن اسيد رفعه قال
تخرج الدابة من اعظم المساجد حرمة واخرج احمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن
جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم والبيهقي وغيرهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تخرج دابة الارض ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم
انف الكافر بالعصى حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر وعن حذيفة بن اسيد الغفاري
قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر الحديث اخرجه البيهقي
والحاكم وصححه وابن المنذر وغيرهم في صفتها ومكان خروجها وما تصنعه ومتى تخرج احاديث
كثيرة بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف واما كونها تخرج وكونها من علامات الساعة
فالاحاديث الواردة في ذلك صحيحة ومنها ما هو ثابت في الصحيح كحديث حذيفة مرفوعا لا تقوم
الساعة حتى تروا عشر آيات وذكر منها الدابة فانه في صحيح مسلم وفي السنن الاربع وكحديث
بادروا بالاعمال طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة فانه في صحيح مسلم ايضا من حديث
ابي هريرة مرفوعا وكحديث ابن عمر مرفوعا ان اول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج
الدابة على الناس ضحى فانه في صحيح مسلم ايضا ثم قرأ الجمهور ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
بكسر ان على الاستيناف وقرئ بفتحها قال الاخفش المعنى على الفتح بان الناس وبها قرأ ابن مسعود

وقال ابو عبيدة اي تخبرهم ان الناس الخ وعلى هذه فالذي تكلم الناس به هو قوله ان الناس الخ
كما قدمنا الاشارة الى ذلك واما على الكسر فالجملة مستانفة كما قدمنا ولا يكون من كلام الدابة
وقد صرح بذلك جماعة من المفسرين وجزم به الكسائي والفراء وقال الاخفش ان كسر ان هو على
تقدير القول اي تقول لهم ان الناس فيرجع معنى القراءة الاولى على هذا الى معنى الثانية و
المراد بالناس في الآية هم الناس على العموم فيدخل في ذلك كل مكلف وقيل المراد الكفار خاصة و
قيل كفار مكة والاول اولى كما صنع جمهور المفسرين والمعنى لا يؤمنون بالقران المشتمل على البعث و
الحساب والعقاب فبخروجها ينقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يبقى تائب ولا تائب ولا يؤمن
كافر كما اوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن ثم ذكر سبحانه طرفا مجملا من اهوال
يوم القيامة بعد بيان مبادئها فقال ويوم نحشر من كل امة فوجا خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
والحشر الجمع قيل والمراد بهذا الحشر هو حشر العذاب الخاص بعد الحشر الكلي الشامل لجميع
الخلق ومن لابتداء الغاية والفوج الجماعة كالزمرة والقوم وقيدهم الراغب فقال الفوج الجماعة
المارة المسرعة وكان هذا هو الاصل ثم اطلق وان لم يكن مرور ولا اسراع والجمع افواج وفوج ممن
يكذب بآياتنا من بيانية فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم لاجل تلاحقهم وقيل معناه
يدفعون وقد تقدم تحقيقه في هذه السورة مستوفى ومعنى الآية واذكر يا محمد يوم نجمع من كل امة
من الامم جماعة مكذبين بآياتنا فهم عند ذلك الحشر يرد اولهم على آخرهم او يدفعون اي اذكر لهم
هذا وبينه تحذيرا لهم وترهيبا حتى اذا جاؤوا الى موقف الحساب قال الله لهم توبيخا وتقريعا
أكذبتم بآياتي التي انزلتها على رسلي وامرتهم بابلاغها اليكم والحال انكم لم تحيطوا بها علما
بل كذبتم بها بادي بدء جاهلين لها غير ناظرين فيها ولا مستدلين على صحتها او بطلانها تمردا و
عنادا وجرأة على الله وعلى رسله وفي هذا مزيد تقريع وتوبيخ لان من كذب بشيء ولم يحط به علما
فقد كذب في تكذيبه ونادى على نفسه بالجهل وعدم الانصاف وسوء الفهم وقصور الادراك
ومن هذا القبيل من تصدى لذم علم من علوم الشريعة او لذم علم هو مقدمة من مقدماتها
ووسيلة يتوسل بها اليها وتفيد زيادة بصيرة في معرفتها وتعقل معانيها كعلوم اللغة العربية
باسرها وهي اثنا عشر علما وعلم اصول الفقه فانه يتوصل به الى استنباط الاحكام الشرعية عن ادلتها

التفصيلية مع اشتماله على بيان قواعد اللغة الكلية وهكذا كل علم من العلوم التي لها مزيد نفع
في فهم كتاب الله وسنة رسوله فانه قد نادى على نفسه بانه جاهل مجادل بالباطل طاعن
على العلوم الشرعية مستحق لان تنزل به قارعة من قوارع العقوبة التي تزجره عن جهله وضلاله
وطعنه على ما لا يعرفه ولا يعلم به ولا يحيط بكنهه حتى يصير عبرة لغيره وموعظة يتعظ بها
امثاله من ضعفاء العقول وركاك الاديان ورعاع المتلبسين بالعلم زورا وكذبا أمّ ماذا
هي المنقطعة بمعنى بل والمعنى اي شيء كنتم تعملون حتى شغلكم ذلك عن النظر فيها والتفكر في معانيها
وهذا الاستفهام على طريق التبكيت لهم ووقع القول اي وجب العذاب عليهم وقد تقدم تفسيره
قريبا بما ظلموا اي بسبب الظلم الذي اعظم انواعه الشرك بالله فهم لا ينطقون عند وقوع القول عليهم
اي ليس لهم عذر ينطقون به او لا يقدرون على القول لما يرونه من الهول العظيم وقال اكثر
المفسرين يختم على افواههم فلا ينطقون ثم بعد ان خوفهم باهوال القيامة ذكر سبحانه ما يصلح
ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد وابلاء للمعذرة فقال ألم يروا انا
جعلنا الليل ليسكنوا فيه اي الم يعلموا انا خلقنا الليل للسكون والاستقرار والنوم فيه وذلك
بسبب ما فيه من الظلمة فانهم لا يسعون فيه للمعاش وخلقنا النهار مبصرا ليبصروا فيه ما
يسعون له من المعاش الذي لا بد لهم منه ووصف النهار بالابصار وهو وصف للناس مبالغة
في اضاءته كانه يبصر ما فيه ففي الكلام اسناد عقلي من الاسناد الى الزمان قيل في الكلام حذف
والتقدير وجعلنا الليل مظلما ليسكنوا وحذف مظلما لدلالة مبصرا عليه وقد تقدم تحقيقه
في الاسراء وفي يونس ان في ذلك المذكور لآيات اي لعلامات ودلالات لقوم يؤمنون بالله
سبحانه وفي الآية دليل على صحة البعث بعد الموت لان القادر على تقليب الضياء ظلمة والظلمة
ضياء قادر على الاعادة بعد الموت كيف ومن تامل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجه
مبنية على حكم تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل
المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت
بالتيقظ الذي هو مثل الحياة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور
وجزم بان الله قد جعل هذا انموذجا ودليلا يستدل به على ان سائر الآيات حق نازل من عند الله قال [illegible]

ثم ذكر سبحانه علامة اخرى للقيامة فقال وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وهو معطوف على ويوم نحشر منصوب
بناصبه المتقدم قال الفراء ان المعنى وذلكم يوم ينفخ في الصور والاول اولى والصور قرن ينفخ فيه
اسرافيل وقد تقدم في الانعام استيفاء الكلام عليه والنفخات في الصور ثلاث الاولى نفخة
الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث وقيل انها نفختان وان نفخة الفزع اما
ان تكون راجعة الى نفخة الصعق او الى نفخة البعث واختار هذا القشيري والقرطبي وغيرهما
وقال الماوردي هذه النفخة المذكورة هنا هي يوم النشور من القبور فَفَزِعَ كل مَنْ كَانَ فِي السَّمٰوٰتِ
وَمَنْ كان فِي الْاَرْضِ حيا ذلك الوقت لم يسبق له موت او كان ميتا لكنه حي في قبره كالانبياء
والشهداء اي خافوا الخوف المفضي بهم الى الموت كما في اية اخرى فصعق من في السموات الخ
وانزعجوا لشدة ما سمعوا وقيل المراد بالفزع هنا الاسراع والاجابة الى المنادي من قولهم فزعت
اليك في كذا اذا اسرعت الى اجابته والاول اولى بمعنى الاية وانما عبر بالماضي مع كونه معطوفا
على المضارع للدلالة على تحقيق الوقوع حسبما ذكره علماء البيان وقال الفراء هو محمول على المعنى
لان المعنى اذا نفخ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ ان لا يفزع عند تلك النفخة فهو لا يفزع واختلف في تعيين
من وقع الاستثناء له فقيل هم الشهداء والانبياء وقيل الملائكة وقيل جبريل وميكائيل و
اسرافيل وملك الموت وقيل الحور العين وخزنة النار وحملة العرش وقيل اهل الجنة والنار عموما
وقيل هم المؤمنون كافة بدليل قوله فيما بعد من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
آمنون ويمكن ان يكون الاستثناء شاملا لجميع المذكورين فلا مانع من ذلك قال البيضاوي ولعل
المراد ما يعم ذلك لعدم قرينة الخصوص انتهى فهؤلاء كلهم لا يفضي بهم الفزع الى الغشي والاغماء
بل هو اقل من ذلك وَكُلٌّ أَتَوْهُ قرئ فعلا ماضيا وكذا قرأ ابن مسعود وقرأ قتادة كل اتاه وقرئ
آتوه على اسم الفاعل مضافا الى الضمير الراجع الى الله سبحانه قال الزجاج من قرأ على الفعل الماضي
فقد وحد على لفظ كل ومن قرأ على اسم الفاعل فقد جمع على معناه وهو غلط ظاهر فان كلتا القراءتين
لا توحيد فيهما بل التوحيد في قراءة قتادة فقط دَاخِرِينَ اي صاغرين ذليلين قاله ابن عباس
وقرئ دخرين بغير الالف والمعنى صغار وذل وهيبة من الجبار فيشمل هذا الطائعين والعاصين
وقال الكرخي المراد به ذل العبودية والرق لا ذل الذنب والمعاصي وذلك يعم الخلق كلهم كما في قوله

تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا وفي القاموس دخر الشخص كمنع و
فرح دخرا ودخورا صغر وذل وادخرته بالالف للتعدية وقد مضى تفسير هذا في سورة
النحل وترى الجبال تحسبها بفتح السين وكسرها جامدة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
من يصلح للرؤية والرؤية بصرية وهذه هي العلامة الثالثة لقيام الساعة والمعنى تظنها واقفة
قائمة ساكنة مكانها قاله ابن عباس وهي تمر مر السحاب اي وهي تسير سيرا حثيثا كسير
السحاب التي تسيرها الرياح وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر
لكثرته وعظمه وبعد ما بين اطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال
يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه وقال القتيبي وذلك ان الجبال تجمع وتسير
وهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير قال النسفي وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد
اذا تحركت اي في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها ونحوه قال البيضاوي قال القشيري وهذا
يوم القيامة ومثله قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا وقال ابو السعود هذا انما يقع بعد
النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله الارض ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها على
ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى
لكن تسييرها انما يكون بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله فقل ينسفها ربي نسفا الخ وقوله يوم تبدل
الارض وقد قيل ان المراد بالنفخة هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت فيختص اثرها
بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم والمراد بالاتيان داخرين رجوعهم
الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان تنزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من
هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق فانه مما لا ارتباط له
بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سياتي من قوله تعالى
وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله الذي اتقن كل شيء اي صنع الله ذلك صنعا وهو مصدر
مؤكد لقوله يوم ينفخ في الصور وقيل انظروا صنع الله الذي احكم يقال رجل تقن بكسر التاء اي
حاذق بالاشياء والاتقان الاتيان بالشيء على اكمل حالاته وهو ماخوذ من قولهم تقن ارضه
اذا ساق اليها الماء الخاثر بالطين لتصلح للزراعة وارض تقنة والتقن فعل ذلك بها والتقن ايضا ما رمي

في القدير من ذلك والارض ذكره السمين قال ابن عباس اتقن اي احسن كل شي صنعه وخلقه
واوثقه إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ تعليل لما قبله من كونه سبحانه صنع ما صنع واتقن كل شي والخبير
المطلع على الظواهر والضمائر قرئ بالفوقية على الخطاب وبالتحتية على الخبر قال المحلي اي ما يفعله
اعداؤه من المعصية واولياؤه من الطاعة مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ اي من جاء بجنس الحسنة يوم
القيامة فَلَهُ من الجزاء والثواب عند الله خَيْرٌ اي افضل مِنْهَا واكثر وقيل خير حاصل من
جهتها والاول اولى وقيل الحسنة هي الاخلاص وقيل اداء الفرائض والتعميم اولى ولا وجه
للتخصيص وان قال به بعض السلف واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله خير منها قال هي لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة
فكبت وجوههم في النار قال هي الشرك واذا صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمصير اليه في التفسير
متعين ويحمل على ان المراد قال لا اله الا الله بحقها وما يجب لها فيدخل تحت ذلك كل طاعة ويشهد
له ما اخرجه الحاكم في الكنى عن صفوان بن عسال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم
القيامة جاء الايمان والشرك يجثوان بين يدي الله سبحانه فيقول الله للايمان انطلق انت واهلك
الى الجنة ويقول للشرك انطلق انت واهلك الى النار ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة
فله خير منها يعني قول لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار و
اخرج ابو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة يعني
شهادة ان لا اله الا الله فله خير منها يعني بالخير الجنة ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت
وجوههم في النار وقال هذه تنجي وهذه تردي وعن ابن مسعود وابن عباس مثله وعنه قال
خير منها اي من جهتها وقال ايضا خير اي ثواب قيل وهذه الجملة بيان لقوله انه بما تفعلون
خبير وقيل بيان لقوله وكل اتوه داخرين وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ قرئ من فزع بالتنوين
وفتح ميم يومئذ وقرئ بفتحها من غير تنوين وقرئ باضافة فزع الى يومئذ قال ابو عبيدة
وهذا اعجب الي لانه اعم التاويلين لان معناه الامن من فزع جميع ذلك اليوم ومع التنوين
يكون الامن من فزع دون فزع وقيل انه مصدر يتناول الكثير فلا يتم الترجيح بما ذكر فتكون
القراءتان بمعنى واحد وقيل المراد بالفزع ههنا هو الفزع الاكبر المذكور في قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر

وقد تقدم في سورة هود كلام في هذا مستوفى ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ قال جماعة من الصحابة
ومن بعدهم حتى قيل انه مجمع عليه بين اهل التاويل ان المراد بالسيئة هنا الشرك ووجه
التخصيص قوله ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ فهذا الجزاء لا يكون الا لمثل سيئة الشرك والمعنى
انهم كبوا فيها على وجوههم والقوا فيها وطرحوا عليها يقال كببت الرجل اذا القيته لوجهه فانكب
واكب وذكرت الوجوه لانها موضع الشرف من الحواس فغيرها اولى ﴿هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾
بتقدير القول اي يقال لهم ذلك وقت كبهم او مقولا لهم ذلك وهذا اوضح والقائل لهم خزنة
جهنم اي ما تجزون الا جزاء عملكم في الدنيا من الشرك والمعاصي ﴿انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة﴾ لما فرغ سبحانه من بيان احوال المبدء والمعاد امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم هذه
المقالة تنبيها لهم على انه قد تم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق لهم بعد ذلك شأن سوى
الاشتغال بعبادة الله والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا او رشدوا صلحوا او فسدوا
ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامر انفسهم ويشتغلوا بالتدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعنى
قل يا محمد انما امرت ان اخص الله بالعبادة وحده لا شريك له والمراد بالبلدة مكة قاله ابن عباس
وانما خصها من بين سائر البلاد لكون بيت الله الحرام فيها ولكونها احب البلاد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ﴿الذي﴾ الموصول صفة للرب وهكذا قرأ الجمهور وقرأ ابن عباس وابن مسعود التي
على ان الموصول صفة للبلدة والسياق انما هو للرب لا للبلدة فلذلك كانت قراءة العامة اوضح
ومعنى ﴿حرمها﴾ جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يعضد شوكها ولا يصاد
صيدها ولا يختلى خلاها وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها فلا ينافي قوله
﴿وله﴾ اي للرب ﴿كل شيء﴾ من الاشياء خلقا وملكا وتصرفا ﴿وامرت ان اكون من المسلمين﴾ اي
المنقادين لامر الله المستسلمين له بالطاعة وامتثال امره واجتناب نهيه والمراد بقوله ان اكون
ان اثبت على ما انا عليه ﴿وان اتلو القرآن﴾ اي اداوم تلاوته واواظب على ذلك لتنكشف لي حقائقه
الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا قيل وليس المراد من تلاوة القرآن هنا الا تلاوة الدعوة
الى الايمان والاول اولى قرأ الجمهور ان اتلو باثبات الواو من التلاوة وهي القراءة او من التلو وهو
الاتباع كقوله واتبع ما اوحي اليك من ربك وقرئ ان اتل بحذف الواو امرا له صلى الله عليه وسلم كذا وجهه الفراء

قال النحاس ولا نعرف هذه القراءة وهي مخالفة لجميع المصاحف ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما
امر به اتم قيام على ما امر به فمن اهتدى اي على العموم او فمن اهتدى بما اتلوه عليه فعمل بما فيه
من الايمان بالله والعمل بشرائعه فانما يهتدي لنفسه لان نفع ذلك راجع اليه لا الي ومن ضل
بالكفر واعرض عن الهداية فقل انما انا من المنذرين وقد فعلت بالانذار بابلاغ ذلك اليكم وليس
علي غير ذلك وقيل الجواب محذوف اي فوبال ضلاله عليه واقيم انما انا من المنذرين مقامه لكونه
كالعلة له والاول اظهر قيل نسختها اية القتال وقل الحمد لله على نعمه التي انعم بها علي من النبوة
والعلم وغير ذلك ووفقني لتحمل اعباءها وتبليغ احكامها الى كافة الورى وقوله سيريكم
اياته هو من جملة ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله اي سيريكم الله اياته الباهرة التي نطق بها
القران في انفسكم وفي غيركم قيل هو يوم بدر وهو ما اراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم
وادبارهم وقيل اياته في السموات والارض وقيل اياته في الاخرة فيستيقنون بها وقيل هو
انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا فتعرفونها اي تعرفون اياته و
دلائل قدرته ووحدانيته وهذه المعرفة لا تنفع الكفار لانهم عرفوها حين لا يقبل منهم
الايمان وذلك عند حضور الموت ثم ختم السورة بقوله وما ربك بغافل عما تعملون قرئ
بالفوقية على الخطاب وبالتحتية وهو كلام من جهته سبحانه غير داخل تحت الكلام
الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله وفيه ترهيب شديد وتهديد عظيم

سورة القصص وتسمى سورة موسى ايضاً واسماء السور توقيفية وكذا ترتيبها وترتيب الآيات الكريمات

وهي ثمان وثمانون اية وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء قال المحلي هي مكية الا ان الذي فرض
عليك القران لرادك الى معاد نزلت بالجحفة والا الذين اتيناهم الكتاب الى لا نبتغي الجاهلين
انتهى عن ابن عباس نزلت الاولى بالجحفة فليست مكية ولا مدنية وقال مقاتل فيها من المدني
الذين اتيناهم الخ **بسم الله الرحمن الرحيم** طسم الله اعلم بمراده بذلك
والكلام في فاتحة هذه السورة قد مر في فاتحة الشعراء وغيرها فلا نعيده وكذلك مر الكلام
على قوله تلك ايات الكتاب المبين قال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وهو

من ابان بمعنى اظهر ويقال ابنته فابان لازم ومتعد اي مبين خيره وبركته نتلوا عليك
من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون اي نوحي اليك بواسطة جبريل من امرهما
متلبسا بالحق وخص المؤمنين لان التلاوة انما ينتفع بها المؤمن وقيل نتلو عليك شيئا من
نبأهما ومن مزيدة على رأي الاخفش والاولى ان تكون للبيان او للتبعيض ولا ملجئ الى الحكم بزيادتها
والحق الصدق ان فرعون علا في الارض مستانفة مسوقة لبيان ما اجمله من النبأ قال
المفسرون معنى علا تكبر وتعظم وتجبر بسلطانه والمراد بالارض ارض مصر وقيل معنى علا ادعى
الربوبية وقيل علا عن عبادة ربه وجعل اهلها شيعا اي فرقا واصنافا في خدمته يشايعونه
على ما يريد ويطيعونه قال مجاهد فرق بينهم وقال قتادة يستعبد طائفة منهم ويدع طائفة ويقتل
طائفة ويستحيي طائفة او فرقا متفرقة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف
طائفة منهم مستانفة مسوقة لبيان حال الاهل الذين جعلهم فرقا واصنافا او جعلهم شيعا
حال كونه مستضعفا طائفة منهم والطائفة هم بنو اسرائيل فانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه
عن انفسهم وذلك ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي ولم
يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان نجاهم الله على
يد موسى عليه السلام يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل من الجملة الاولى او مستانفة
للبيان او حال او صفة كالتي قبلها وانما كان فرعون يذبح ابناءهم ويترك نساءهم يستحيهن
لان المنجمين في ذلك العصر اخبروه انه يذهب ملكه على يد مولود من بني اسرائيل قال الزجاج
والعجب من حمق فرعون فان الكاهن الذي اخبره بذلك ان كان صادقا عنده فما ينفع القتل وان
كان كاذبا فلا معنى للقتل وقد قيل انه ذبح سبعين الفا انه كان من المفسدين الراسخين في
الافساد في الارض بالمعاصي والتجبر ولذلك اجترأ على مثل تلك الجريمة العظيمة من قتل المعصومين
من اولاد الانبياء عليهم السلام وفيه بيان ان القتل من فعل اهل الفساد ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض جاء بصيغة المضارع لحكاية الحالة الماضية واستحضار
صورتها اي نريد ان نتفضل عليهم بانجائهم من باسه بعد استضعافهم وقال النسفي وهو
دليل لنا على مسئلة الاصلح انتهى والمراد بهؤلاء بنو اسرائيل والواو للعطف على جملة ان فرعون علا

وهذا أولى وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً أي قادة في الخير ودعاة إليه يقتدى بهم وولاة على الناس
وملوكا فيهم بعد أن كانوا أتباعا مسخرين ممتهنين قال علي بن أبي طالب يعني يوسف وولده وقال
قتادة أي ولاة الأمر وهم بنو إسرائيل وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ أي الذين يرثون الأرض بعد فرعون وقومه
لا الوراثة المعهودة في شرعنا قاله قتادة أي نجعلهم الوارثين لملك فرعون ومساكن القبط وأملاكهم
فيكون ملك فرعون فيهم ويسكنون مساكن قومه وينتفعون بأملاكه وأملاكهم وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي
الْأَرْضِ أي نجعلهم مقتدرين عليها وعلى أهلها مسلطين على ذلك يتصرفون فيها كيف شاؤا
يقال مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه ويتمكن فيه أو يرقد ثم استعير للتسلط وإطلاق الأمر
والأرض أرض مصر والشام وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا الفاعل هو الله سبحانه وقرئ يرى
بالتحتية والفاعل فرعون والأولى ألصق بالسياق لأن قبلها نريد ونمكن بالنون وأجاز الفراء
ويُري فرعون أي ويري الله فرعون والرؤية بصرية والإضافة إليهما إما للتغليب أو أنه كان لهامان
جنود مخصوصة به وإن كان وزيرا أو لأن جند السلطان جند وزيره ولا إبصار لا يتوقف
على الحياة عند أهل الحق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في أهل القليب ما أنتم بأسمع منهم أو المراد رؤية
طلائعه وأسبابه وذلك حين أدركهم الغرق مِنْهُمْ أي من أولئك المستضعفين مَا كَانُوا
يَحْذَرُونَ والمعنى أن الله يريهم ما يرون هم الذي كانوا يخافون منه ويجتهدون في دفعه من
ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد المولود من بني إسرائيل المستضعفين والحذر التوقي من الضرر
وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أي ألهمناها الذي صنعت قاله ابن عباس ليس ذلك هو الوحي الذي
يوحى إلى الرسل وقيل كان ذلك رؤيا في منامها وقيل كان ذلك بملك أرسله الله يعلمها بذلك
فعلى هذا هو وحي إعلام لا إلهام وقد أجمع العلماء على أنها لم تكن نبية وإنما كان إرسال الملك إليها
عند من قال به على نحو تكلم الملك للأقرع والأبرص والأعمى كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما
وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت في الصحيح فلم يكن بذلك نبيا
وكان اسمها يوحانذ وقيل لوخابذ بنت هاند بن لاوي بن يعقوب نقله القرطبي عن الثعلبي
أَنْ أَرْضِعِيهِ أن هي المفسرة لأن في الوحي معنى القول أو بأن أرضعيه قيل أرضعته ثمانية أشهر
وقيل أربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها وكان الوحي برضاعه قبل ولادته

وقيل بعدها وامرها بارضاعه مع انها ترضعه طبعا ليالف لبنها فلا يقبل ثدي غيرها بعد
وقوعه في يد فرعون فإذا خفت عليه من فرعون بان يبلغ خبره اليه فيذبحه قال ابن عباس
ان يسمع جيرانك صوته فألقيه في اليم وهو بحر النيل وقد تقدم بيان الكيفية التي القته في اليم
عليها في سورة طه ولا تخافي عليه الغرق او الضيعة ولا تحزني لفراقه الخوف غم يصيب الانسان
لامر يتوقعه في المستقبل والحزن غم يصيبه لامر وقع ومضى فلا يقال ما الفرق بينهما حتى عطف
احدهما على الآخر في الآية إنا رادّوه إليك عن قريب على وجه تكون به نجاته وتامنين عليه والجملة
تعليل للنهي عن الخوف والحزن وجاعلوه من المرسلين الذين نرسلهم الى العباد وقد اشتملت
هذه الآية على امرين ارضعيه والقيه ونهيين لا تخافي ولا تحزني وخبرين انا رادوه وجاعلوه وبشارتين
في ضمن الخبرين وهما الرد والجعل المذكوران فالتقطه آل فرعون الفاء هي الفصيحة والالتقاط اصابة
الشيء من غير طلب والمراد بآل فرعون هم الذين اخذوا التابوت الذي فيه موسى من البحر والتقدير
فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت فالتقطه من وجده من آل فرعون اي اعوانه قال
الزجاج كان فرعون من اهل فارس من اصطخر ليكون لهم عدوا وحزنا اللام لام العاقبة ووجه
ذلك انهم انما اخذوه ليكون لهم ولدا وقرة عين لا ليكون عدوا فكان عاقبة ذلك انه كان
لهم عدوا يقتل رجالهم وحزنا يستعبد نساءهم قاله المحلي وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي
معناها التعليل ولكن هذا المعنى وارد على طريق المجاز لانه لما كانت هذه العداوة نتيجة لفعلهم وثمرة
له شبهت بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله قرئ حزنا بفتح الحاء والزاء وحزنا بضم الحاء
وسكون الزاء وهما لغتان كالعدم والعدم والرشد والرشد والسقم والسقم إن فرعون وهامان
وجنودهما تعليل لما قبله او اعتراض لقصد التاكيد كانوا خاطئين اي عاصين آثمين في
كل افعالهم واقوالهم فعوقبوا على يديه مع انه تربى على ايديهم فهذا ابلغ في اذلالهم وهو ماخوذ
من الخطأ المقابل للصواب لانهم لم يشعروا انه الذي يذهب بملكهم او من خطأ يخطؤ اي يتجاوز الصواب
وقالت امرأت فرعون وقد همّ مع اعوانه لقتله وهي آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء
وبنات الانبياء وقيل كانت من بني اسرائيل وقيل كانت عمة موسى حكاه السهيلي قرت عين
لي ولك وكان قولها لهذا القول عند رؤيتها له لما وصل اليها واخرجته من التابوت وخاطبت

بقولها لا تقتلوه فرعون ومن عنده من قومه او فرعون وحده على طريقة التعظيم له وقرأ ابن مسعود
قالت امرأة فرعون لا تقتلوه قرة عين لي ولك قيل انها قالت هذا الولد اكبر من سنة وانت تذبح
الولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقد حكى الفراء عن السدي عن الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس ان قوله لا تقتلوه من كلام فرعون واعترضه بكلام يرجع الى اللفظ ويكفي في رده ضعف
اسناده وقيل انها قالت لا تقتلوه فان الله اتى به من ارض بعيدة وليس من بني اسرائيل ثم
عللت ما قالته بالترجي منها لحصول النفع منه لهم او التبني له فقالت عسى ان ينفعنا فنصيب منه
خيرا لان فيه مخائل اليمن ودلائل النفع لاهله او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبته من فرعون
فوهبه لها وهم لا يشعرون انهم على خطأ في التقاطه ان هلاكهم على يده فيكون حالا من آل
فرعون وهي من كلام الله سبحانه وقيل هي من كلام المرأة اي وبنو اسرائيل لا يدرون انا التقطناه وهم
لا يشعرون قاله الكلبي وهو بعيد جدا وما احسن نظم هذا الكلام عند اصحاب المعاني والبيان
وأصبح فؤاد ام موسى فارغا اي صار فارغا من كل شيء الا من امر موسى كأنها لم تهتم بشيء سواه قاله
المفسرون وقال ابو عبيدة خاليا من ذكر كل من في الدنيا الا من ذكر موسى وقال الحسن وابن اسحاق
وابن زيد فارغا مما اوحى الله اليها من قوله ولا تخافي ولا تحزني وذلك لما سول الشيطان لها من غرقه وهلاكه
وقال الاخفش فارغا من الخوف والغم لعلمها انه لم يغرق بسبب ما تقدم من الوحي اليها وروي مثله
عن ابي عبيدة ايضا وقال الكسائي ناسيا ذاهلا وقيل صفرا من العقل وقال العلاء بن زياد فارغا
وقال سعيد بن جبير والها كادت تقول وا ابناه من شدة الجزع وقال مقاتل كادت تصيح شفقة
عليه من الغرق وقيل المعنى انها لما سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهش
قال النحاس واصح هذه الاقوال الاول والذين قالوه اعلم بكتاب الله فاذا كان فارغا من كل شيء الا
من ذكر موسى فهو فارغ من الوحي وقول من قال فارغا من الغم غلط قبيح لان بعده ان كادت
لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وقرئ فزعا مكان فارغا من الفزع اي خائفا وجلا وقرأ ابن
عباس قرعا من قرع راسه اذا انحسر شعره ان كادت لتبدي به من بدا يبدو اذا ظهر وابدى
يبدي اي اظهر والمعنى لتظهر امر موسى وانه ابنها من فرط ما دهمها من الدهش والخوف والحزن
وقيل الضمير في به عائد الى الوحي الذي اوحي اليها والاول اولى وقال الفراء لتبدي باسمه لضيق صدرها

وقال ابن عباس تقول يا ابناه وقيل الباء زائدة للتأكيد والمعنى لتبديه كما تقول اخذت الحبل
وبالحبل وقيل المعنى لتبدي القول به لولا ان ربطنا على قلبها بالعصمة والصبر والتثبت
قال الزجاج معنى الربط على القلب الهام الصبر وتقويته وجواب لولا محذوف اي لابدت
لتكون من المؤمنين اي ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه
اليك قال يوسف بن الحسين امرت ام موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت بشيئين
فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها وقالت ام موسى لاخته وهي مريم وقال
الضحاك ان اسمها كاثمة وقال السهيلي كلثوم ذكره الماوردي قصيه اي تتبعي اثره واعرفي خبره
وانظري اين وقع والى من صار يقال قصصت الشيء اذا اتبعت اثره متعرفا لحاله فبصرت به
اي ابصرته قال المبرد ابصرته وبصرت به بمعنى وقرئ بصرت بفتح الباء وضم الصاد وقرئ بفتحها
وبكسرها عن جنب اصله عن مكان جنب ومنه الاجنبي وقيل المراد بقوله عن جنب عن جانب
قاله ابن عباس والمعنى انها ابصرت اليه متجانفة مخاتلة وقرئ عن جانب اي بصرت به مستخفية
كائنة عن جنب او بعيد امنها وقرئ بضمتين وبضم الجيم وسكون النون وقال ابو عمرو بن
العلاء ان معنى عن جنب عن شوق قال وهي لغة جذام يقولون جنبت اليك اي اشتقت اليك
وهم لا يشعرون انها اخته وانها تقصه وتتبع اثره اخرج الطبراني وابن عساكر عن ابي امامة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اما شعرت ان الله زوجني مريم بنت عمران وكلثوم اخت
موسى وامرأة فرعون قالت هنيئا لك يا رسول الله واخرجه ابن عساكر عن ابن رواد مرفوعا باطول
من هذا وفي آخره انها قالت بالرفاء والبنين وحرمنا عليه المراضع جمع مرضع وقيل جمع مرضع
بفتح الضاد وهو الرضاع او موضعه وهو الثدي اي منعناه ان يرضع من المرضعات فجعله
مجازا اما استعارة او مرسلا لان من حرم عليه شيء فقد منعه لان الصبي ليس من اهل التكليف
من قبل اي من قبل ان نرده الى امه او من قبل ان تاتيه امه او من قبل قصها لاثره قال
ابن عباس لا يؤتى بمرضع فيقبلها وقد كانت امرأة فرعون طلبت لموسى المرضعات ليرضعنه
فلم يرضع من واحدة منهن فقالت اخته لما رأت امتناعه من الرضاع وحنوهم عليه هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي يضمنون لكم القيام به وارضاعه وهي امرأة قتل

ولدها واحب شيء اليها ان تجد ولدا ترضعه وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ اي مشفقون عليه لا يقصرون
في ارضاعه وتربيته والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد وفي الكلام حذف اي قالوا لها
من هم فقالت امي فقيل وهل لامك لبن قالت نعم لبن اخي هارون وكان ولد في السنة
التي لا يقتل فيها فدلتهم على ام موسى فدفعوه اليها فقبل ثديها ورضع منه قيل كانوا يعطونها
كل يوم دينارا وانما حل لها ما تاخذه لانه مال حربي لا انه اجرة على رضاع ولدها فَرَدَدْنَاهُ إِلَى
أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بولدها وَلَا تَحْزَنَ على فراقه وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ اي جميع وعده ومن
جملة ذلك ما وعدها بقوله انا رادوه اليك حَقٌّ لا خلف فيه واقع لا محالة وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
اي اكثر آل فرعون لَا يَعْلَمُونَ بذلك بل كانوا في غفلة عن القدر وسر القضاء او اكثر الناس
لا يعلمون بذلك او لا يعلمون ان الله وعدها بان يرده اليها وهذه اخته وهذه امه وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُ اي نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وانعم عند سيبويه وقد قال
ربيعة ومالك هو الحلم لقوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا الآية واقصاه
اربع وثلاثون سنة كما قال مجاهد وسفيان الثوري وغيرهما وقيل الاشد ما بين الثمانية عشر
الى الثلاثين وقال ابن عباس ثلاثا وثلاثين سنة وقد تقدم الكلام في بلوغ الاشد في الانعام
وَاسْتَوَى اي اعتدل وتم استحكامه والاستواء من الثلاثين الى الاربعين فاذا زاد على الاربعين
اخذ في النقصان قاله ابن عباس وقيل الاستواء هو بلوغ الاربعين ويروى انه لم يبعث نبي
الا على راس اربعين سنة وقيل الاستواء اشارة الى الخلقة وقيل الاشد والاستواء بمعنى واحد
وهو ضعيف لان العطف يشعر بالمغايرة آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا الحكم الحكمة على العموم وقيل النبوة
وقيل الفقه في الدين والعلم الفهم قاله السدي وقال مجاهد الفقه وقال ابن اسحاق العلم
بدينه ودين آبائه وقيل كان هذا قبل النبوة وقد تقدم بيان معنى ذلك في البقرة وَكَذَلِكَ
اي مثل ذلك الجزاء الذي جزينا ام موسى لما استسلمت لامر الله والقت ولدها في البحر وصدقت
بوعد الله نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ على احسانهم والمراد العموم وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ اي دخل موسى
مدينة مصر الكبرى وقيل مدينة غيرها من مداين مصر وهي منف من اعمال مصر وقيل ام خنان
او حابين على راس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين شمس عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا اي مستخفيا

قيل لما عرف موسى ما هو عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون وفشا ذلك منه
فأخافوه فخافهم فكان لا يدخل المدينة الا مستخفيا قيل كان دخوله بين العشاء والعتمة قاله
ابن عباس وقيل وقت القائلة اي نصف النهار قاله ابن عباس ايضا وقيل يوم عيد لهم قد اشتغلوا
بلهوهم ولعبهم قال الضحاك طلب ان يدخل المدينة وقت غفلة اهلها فدخل على حين علم
منهم فكان منه ما حكى الله سبحانه بقوله فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ اي يختصمان ويتنازعان
هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ اي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل اي اسرائيلي وقيل هو السامري وَهَٰذَا
مِنْ عَدُوِّهِ اي من المعادين له على دينه وهم قوم فرعون اي قبطي وهو طباخ فرعون واسمه فاتون
او فليثون وكان كافرا اتفاقا واما الاسرائيلي فقيل كان مؤمنا وقيل كان كافرا فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي
مِن شِيعَتِهِ اي طلب منه الاسرائيلي ان ينصره ويعينه على خصمه والاستغاثة طلب الغوث
عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ اي القبطي فاغاثه لان نصر المظلوم واجب في جميع الملل قيل اراد القبطي ان يسخر
الاسرائيلي ليحمل حطبا للمطبخ فرعون فابى عليه واستغاث موسى فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ الوكز الضرب والدفع
بجميع الكف وهكذا اللكز واللهز وقيل اللكز على اللحي والوكز على القلب وقيل اللكز باطراف الاصابع والوكز
بجمع الكف وقيل بالعكس والنكز كاللكز وقيل ضربه بعصاه وقرأ ابن مسعود فلكزه وحكى الثعلبي
ان في مصحف عثمان فنكزه بالنون قال الاصمعي نكزه بالنون ضربه ودفعه قال الجوهري اللكز الضرب
على الصدر وقال ابو زيد في جميع الجسد يعني انه يقال له لكز واللهز الضرب بجميع اليدين
في الصدر ومثله عن ابي عبيدة فَقَضَىٰ عَلَيْهِ الضمير المرفوع لله او للوكز او لموسى وهو الظاهر
اي قتله وكل شيء اتيت عليه وفرغت منه فقد قضيت عليه قيل لم يقصد موسى قتل
القبطي وانما قصد دفعه فاتى ذلك على نفسه خطأ فندم ودفنه في الرمل والوكزة لا تقتل غالبا
وانما وافقت اجله ولهذا قال هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ وانما قال بهذا القول مع ان المقتول
كافر حقيق بالقتل لانه لم يكن اذ ذاك مأمورا بقتل الكفار وقيل ان تلك الحالة حالة كف
عن القتال لكونه مأمونا عندهم فلم يكن له ان يغتالهم فكان ذلك على موسى وقيل ان
الاشارة بقوله هذا الى عمل المقتول لكونه كافرا مخالفا لما يريده الله وقيل انه اشارة الى المقتول
نفسه يعني انه من جند الشيطان وحزبه ثم وصف الشيطان بقوله إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ

مبين اي عدو للانسان يسعى في اضلاله ظاهر العداوة والاضلال ثم طلب من الله سبحانه
ان يغفر له ما وقع منه قال رب اني ظلمت نفسي بقتل القبطي من غير امر فاغفر لي فغفر الله
له ذلك وعلم انه غفر له بالهام او بغيره ولا يلزم من هذا نبوته في هذا الوقت انه هو الغفور
باقالة الزلل الرحيم بازالة الخلل المتصف بهما في الابد والازل ووجه استغفاره انه لم يكن لنبي
ان يقتل حتى يؤمر وقيل انه طلب المغفرة من تركه للاولى كما هو سنة المرسلين او اراد اني ظلمت
نفسي بقتل هذا الكافر لان فرعون لو يعرف ذلك لقتلني به وقيل معنى فاغفر لي استر ذلك
علي لا يطلع عليه فرعون وهذا خلاف الظاهر فان موسى عليه السلام ما زال نادما على ذلك
خائفا من العقوبة بسببه حتى انه يوم القيامة عند طلب الناس الشفاعة منه يقول اني قتلت
نفسا لم اومر بقتلها كما ثبت ذلك في حديث الشفاعة الصحيح وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة
وقيل كان قبل بلوغه سن التكليف وانه كان اذ ذاك في اثني عشر سنة وكل هذه التاويلات
البعيدة محافظة على ما تقرر من عصمة الانبياء ولا شك انهم معصومون عن الكبائر والقتل
الواقع منه لم يكن عن عمد فليس بكبيرة لان الوكزة في الغالب لا تقتل وقيل بل كان من قبيل دفع
الصائل وهو لا اثم فيه واشار له القرطبي بقوله وانما اغاثه لان نصر المظلوم دين في الملل كلها
وفرض في جميع الشرائع وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام
بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ثم لما اجاب الله
سؤاله وغفر له ما طلب منه مغفرته قال رب بما انعمت علي الباء للقسم وما موصولة او
مصدرية اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن قاله الزمخشري والمهدوي والماوردي وقيل
المراد بما انعم به عليه هو ما اتاه من الحكم والمعرفة والعلم والتوحيد قاله القرطبي وقال الثعلبي
اي بالمغفرة فلم تعاقبني وجملة فلن اكون ظهيرا للمجرمين كالتفسير للجواب وكانه اقسم بما انعم
الله عليه ان لا يظاهر مجرما ويجوز ان تكون الباء هي باء السببية متعلقة بمحذوف اي اعصمني بسبب ما
انعمت به علي ويكون قوله فلن اكون ظهيرا مترتبا عليه ويكون في ذلك استعطاف لله تعالى
وتوصل الى انعامه بانعامه واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون والانتظام في جملته في
ظاهر الامر او مظاهرته على ما فيه اثم او تكثير سواده قال الكسائي والفراء ليس قوله هذا خبرا

بل هو دعاء اي فلا تجعلني يا رب ظهيرا لهم وبها قرأ عبد الله وقال الفراء المعنى اللهم فلن اكون
الخ وقال النحاس ان جعله من باب الخبر اوفى واشبه بنسق الكلام وفيه دليل على ان الاسرائيلي
الذي اعانه موسى كان كافرا وقيل اراد اني وان اساءت في هذا القتل الذي لم اؤمر به فلا اترك
نصرة المسلمين على المجرمين فعلى هذا كان الاسرائيلي مؤمنا ونصرة المؤمنين واجبة في جميع الاديان
وقيل لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني اي لم يقل فلن اكون ان شاء الله ظهيرا للمجرمين كما قال الله تعالى
فاصبح في المدينة اي دخل في وقت الصباح في المدينة التي قتل فيها القبطي خائفا يترقب
المكروه او متى يؤخذ به او يترقب الفرج او الخبر هل وصل الى فرعون ام لا قال النسفي وفيه دليل
على انه لا باس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله
سبحانه زاد القرطبي وان الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه فاذا الذي استنصره اذا هي
الفجائية اي فاذا صاحبه الاسرائيلي الذي استغاثه بالامس يقاتل قبطيا اخر اراد ان يسخره وظلمه
كما اراد القبطي الذي قد قتله موسى بالامس يستصرخه اي يستغيث به والاستصراخ الاستغاثة
وهو من الصراخ وذلك ان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث قال له اي للاسرائيلي موسى
واليه ذهب الخازن والمحلي او للقبطي واليه ذهب القرطبي انك لغوي مبين اي بين الغواية وذلك
انك تقاتل من لا تقدر على مقابلته ولا تطيقه وقيل انما قال له هذه المقالة لانه تسبب بالامس
لقتل رجل ويريد اليوم ان يتسبب لقتل اخر فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذي اي بالقبطي
الذي هو عدو لهما اي لموسى وللاسرائيلي حيث لم يكن على دينهما قال الاسرائيلي يا موسى اتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قال ذلك لما سمع موسى يقول له انك لغوي مبين وراه يريد
ان يبطش بالقبطي ظن انه يريد ان يبطش به ولم يكن قد علم احد من اصحاب فرعون ان موسى
هو الذي قتل القبطي بالامس حتى افشى عليه الاسرائيلي هكذا قال جمهور المفسرين وقيل ان
القائل هو القبطي وكان قد بلغه الخبر من جهة الاسرائيلي وهذا هو الظاهر وقد سبق ذكر القبطي
قبل هذا بلا فصل لانه هو المراد بقوله عدو لهما ولا موجب لمخالفة الظاهر حتى يلزم منه ان المؤمن
بموسى المستغيث به المرة الاولى والمرة الاخرى هو الذي افشى عليه وايضا ان قوله ان تريد الا
ان تكون جبارا في الارض لا يليق صدور مثله الا من كافر وان هي النافية اي ما تريد قال الزجاج

الجبار في اللغة الذي يتعاظم ولا يتواضع لامر الله والقاتل بغير حق جبار وقيل الجبار الذي يفعل
ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقال عكرمة لا يكون الرجل
جبارا حتى يقتل نفسين وهو بعيد ولا دلالة في الآية على ذلك والحق هو الاول الموافق باللغة
وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ
أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قيل المراد بهذا الرجل حزقيل وهو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم موسى وقيل
اسمه شمعون وقيل طالوت وقيل سمعان والمراد باقصى المدينة آخرها وابعدها والمعنى يسرع
في مشيه واخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى واخبره وانذره بما سمع قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ
اي اشراف قوم فرعون يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ اي يتشاورون في قتلك ويتوامرون بسببك
وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر به قال الزجاج يأمر بعضهم بعضا
بقتلك وهذا اقرب باللفظ والمعنى قاله الحفناوي وقال ابو عبيدة يتشاورون فيك قال الازهري
ائتمر القوم وتآمروا اي امر بعضهم بعضا ونظيره قوله تعالى وأتمروا بينكم بمعروف فَاخْرُجْ
من المدينة إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ في الامر بالخروج واللام للبيان لان معمول المجرور لا يتقدم عليه
فَخَرَجَ موسى مِنْهَا اي من المدينة خَائِفًا يَتَرَقَّبُ اي حال كونه خائفا من الظالمين مترقبا لحوقهم به
وادراكهم له او راجيا غوث الله اياه قولان للمفسرين وعن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى
مدين وبينه وبينها ثمان ليال ولم يكن له طعام الا ورق الشجر وخرج حافيا فما وصل اليها حتى
وقع خف قدميه وعنه قال خرج موسى خائفا جائعا ليس معه زاد حتى انتهى الى ماء مدين وهو اول
ابتلاء من الله تعالى لموسى ثم دعى ربه بان ينجيه ممن خافه وقَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
قوم فرعون اي خلصني منهم وادفعهم عني وحل بيني وبينهم واحفظني من لحوقهم وَلَمَّا تَوَجَّهَ اي
قصد بوجهه تِلْقَاءَ مَدْيَنَ اي نحوها وجهتها قاصدا لها ماضيا اليها قال الزجاج اي سلك في
الطريق التي تلقاء مدين فيها انتهى والتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب يقال داره
تلقاء دار فلان واصله من اللقاء ولم تكن هذه القرية داخلة تحت سلطان فرعون ولهذا
خرج اليها ولكن لم يكن يعرف طريقها قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ اي يرشدني نحو الطريق المستوية
الى مدين وهو من اضافة الصفة للموصوف وكان لها ثلاث طرق فاخذ موسى الوسطى وجاء الطلاب في اثره فسلكوا في الآخرين ذكره ابو السعود

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ اي وصل اليه وهو الماء الذي يستقون منه والمراد بالماء هنا بئر فيها صرح به الخازن والمحلي فهو من باب ذكر الحال وارادة المحل ولفظ الورود قد يطلق على الدخول في المورد وقد يطلق على البلوغ اليه وان لم يدخل فيه وهو المراد هنا وقد تقدم تحقيق معنى الورود في قوله وان منكم الا واردها وقيل مدين اسم للقبيلة لا للقرية وهي غير منصرفة على كلا التقديرين وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً اي وجد على الماء جماعة كثيرة لان التنكير للتكثير مِنَ النَّاسِ اي من اناس مختلفين يَسْقُونَ مواشيهم وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ اي من دون الناس الذين يسقون ما بينهم وبين الجهة التي جاء منها وقيل معناه في موضع اسفل منهم قاله ابو السعود وفي الخازن في موضع بعيد منهم امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ اي تحبسان اغنامهما من الماء حتى يفرغ الناس ويخلو بينهما وبين الماء وبه قال ابن عباس والذود بمعنى الطرد اي تطردان وقيل تكفان الغنم عن ان تختلط باغنام الناس وقيل تمنعان اغنامهما عن ان تند وتذهب والاول اولى لقوله قَالَ موسى للمرأتين مَا خَطْبُكُمَا اي ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس والخطب الشأن قيل وانما يقال ما خطبك لمصاب او مضطهد او لمن يأتي بمنكر قَالَتَا عادتنا التأني لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ عن الماء وينصرفوا منه حذرا من مخالطتهم او عجزا عن السقي معهم قرئ نسقي بفتح النون وبضمها من اسقى وقرئ يصدر من اصدر ومن صدر يصدر والمعنى حتى يرجعون مواشيهم والرعاء جمع راع على غير قياس لان فاعلا الوصف المعتل اللام كقاض قياسه فعلة نحو قضاة ورماة خلافا للزمخشري في ان جمعه على فعال قياس كصيام وقيام قاله الكرخي قرأ الجمهور الرعاء بكسر الراء وقرئ بفتحها قال ابو الفضل هو مصدر اقيم مقام الصفة فلذلك استوى فيه الواحد والجمع وقرئ الرعاء بالضم اسم جمع وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ في السن وهذا من تمام كلامهما ابداء منهما للعذر في مباشرة السقي بانفسهما اي لا يقدر ان يسقي ماشيته من الكبر فلذلك احتجنا ونحن امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال وعلى ان نسقي الغنم لعدم وجود رجل يقوم لنا بذلك قيل ابوهما هو شعيب وقيل هو يثرون بن اخي شعيب وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب والاول اولى وانما رضي شعيب لابنتيه بسقي الماشية لان هذا الامر في نفسه ليس بمحظور والدين لا يأباه واما المروة فعادات الناس في ذلك متباينة واحوال العرب

فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة
حالة الضرورة فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فَسَقَى لَهُمَا اي سقى اغنامهما لاجلهما
رغبة في المعروف واغاثة للملهوف قال المحلي سقى من بئر اخرى بقربها رفع حجرا عنها لا يرفعه الا
عشرة انفس انتهى ثُمَّ لما فرغ من السقي لهما تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ اي انصرف اليه فجلس فيه من شدة الحر
وهو جائع قيل كان هذا الظل ظل سمرة هنالك وهي شجرة من شجر الطلح وفيه دليل على جواز
الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة فَقَالَ اي ثم قال لما اصابه من الجهد
والتعب مناديا لربه رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ اي خير كان فَقِيرٌ اي محتاج الى ذلك
واللام بمعنى الى قال الاخفش يقال هو فقير له واليه قال ابن عباس لقد قال موسى ذلك وهو اكرم
خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة ولقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع وعنه قال ما سأل
الا الطعام وعنه قال سأل فلقا من الخبز يشد بها صلبه من الجوع ويحتمل ان يريد اني فقير
من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في
ملك وثروة قال ذلك رضاء بالبدل السني وفرحا بالعوض الهني وشكرا لله الغني وقال ابن عطاء
نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الانوار فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
في الكلام حذف يدل عليه السياق قال الزجاج تقديره فذهبتا الى ابيهما سريعتين وكانت
عادتهما الابطاء في السقي فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما فامر الكبرى من بنتيه
وهي صفورا وقيل صفراء وقيل امر الصغرى وهي ليا وقيل صفيراء ان تدعوه له فجاءته وذهب اكثر
المفسرين الى انهما ابنتا شعيب وقيل هما ابنتا اخي شعيب وان شعيبا كان قد مات والاول
ارجح وهو ظاهر القرآن تَمْشِي كائنة عَلَى اسْتِحْيَاءٍ حال في المشي والمجيء لا عند المجيء فقط وهذا دليل
كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم ايجيبها ام لا فاتته مستحيية
قال عمر بن الخطاب جاءت مستترة بكم درعها على وجهها من الحياء والحياء والاستحياء بالمد
الحشمة والانقباض والانزواء ويتعدى بنفسه وبالحرف يقال استحييته واستحييت منه قَالَتْ
إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ مستأنفة جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا قالت له لما جاءته فقيل قالت
لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا اي جزاء سقيك لنا فاجابها امتثالا في نفسه اخذ الاجرة وقيل اجابها

لوجه الله او للتبرك برؤية الشيخ لما سمع منهما ان اباهما شيخ كبير فلما جاءه اي جاء موسى شعيبا عن ابي حازم قال
لما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء فقال له شعيب كل قال موسى اعوذ بالله قال ولم الست
بجائع قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا عما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيئا من
عمل الآخرة بملء الارض ذهبا قال لا والله ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام
فجلس موسى فاكل وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ مصدر يسمى به المفعول اي المقصوص يعني اخبره
بجميع ما اتفق له من عند قتله القبطي الى عند وصوله الى ماء مدين وعن مالك بن انس انه
بلغه ان شعيبا هو الذي قص عليه القصص قَالَ شعيب لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
اي فرعون واصحابه لان فرعون لا سلطان له على مدين وفيه دليل على جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا
او انثى وعلى المشي مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وللرازي في هذا الموضع
اشكالات باردة جدا لا تستحق ان تذكر في تفسير كلام الله عز وجل والجواب عليها يظهر للمقصر
فضلا عن الكامل واشف ما جاء به ان موسى كيف اجاب الدعوة المعللة بالجزاء لما فعله من
السقي ويجاب عنه بانه اتبع سنة الله في اجابة دعوة نبي من انبياء الله ولم تكن تلك الاجابة
لاجل اخذ الاجر على هذا العمل ولهذا اورد انه لما قدم اليه الطعام قال انا اهل بيت لا نبيع دينا
بملء الارض ذهبا كما مر في الكشاف ان طلب الاجرة لشدة الفاقة غير منكر ويشهد لصحته
لو شئت لاتخذت عليه اجرا قَالَتْ إِحْدَاهُمَا وهي التي جاءته يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ليرعى لنا الغنم
وفيه دليل على ان الاجارة كانت عندهم مشروعة وقد اتفق على جوازها ومشروعيتها
جميع علماء الاسلام الا الاصم فانه عن سماع ادلتها اصم إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ تعليل لما وقع منها من الارشاد لابيها الى استيجار موسى اي انه حقيق باستيجارك له
لكونه جامعا بين خصلتي القوة والامانة ولم يقل تستاجر مع انه الظاهر لانه جعله لتحققه
وتجربته منزلة ما مضى وعرف قبل تدري عن ابن عباس وعمر ان اباها سألها عن صفتها
له بالقوة والامانة فاجابته اما قوته فرفعه الحجر ولا يطيقه الا عشرة رجال واما امانته فقال
امشي خلفي وانعتي لي الطريق فاني اكره ان تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك فزاده ذلك
رغبة فيه وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان

ينفعنا وابو بكر في امر عمر قال إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ الكبرى او الصغرى وفيه
مشروعية عرض ولي المرأة لها على الرجل وهذه سنة ثابتة في الاسلام كما ثبت من عرض عمر لابنته
حفصة على ابي بكر وعثمان والقصة معروفة وغير ذلك مما وقع في ايام الصحابة وايام النبوة
وكذلك ما وقع من عرض المرأة لنفسها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون
انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورا وهي التي ذهبت في طلب موسى وهاتين يدل على انه كان
له غيرهما وقد قال البقاعي ان له سبع بنات كما في التوراة وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك
عقد نكاح اذ لو كان عقدا لقال قد انكحتك عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ جمع حجة وهي السنة
قال الفراء يقول على ان تجعل ثوابي ان ترعى غنمي ثماني سنين قال المبرد يقال اجرت داري
ومملوكي غير ممدود وممدود والاول اكثر والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لانه من باب
القيام بامر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فَإِنْ أَتْمَمْتَ ما استأجرتك عليه
من الرعي عَشْرًا من السنين فَمِنْ عِندِكَ اي تفضلا منك وتبرعا لا الزاما مني لك وليس
بواجب عليك جعل ما زاد على الثمانية الاعوام الى تمام عشرة اعوام موكولا الى المروءة اي فهي من
عندك والظاهر انه استدعاء عقد بالاجل الاول نظرا الى شرعنا ويمكن كونه عقدا صحيحا
عندهم قاله الكرخي وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ بالزامك اتمام العشرة الاعوام ولا بالمناقشة
في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق اي شق ظنه نصفين فتارة
يقول اطيق وتارة يقول لا اطيق ثم رغبه في قبول الاجارة فقال سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
في حسن الصحبة ولطف المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد وقيل اراد الصلاح على العموم فيدخل
صلاح المعاملة في تلك الاجارة تحت الآية دخولا اوليا وقيد ذلك بالمشيئة تفويضا للامر الى توفيق
الله ومعونته وللتبرك به لا لتعليق صلاحه بمشيئته تعالى ثم لما فرغ شعيب من كلامه قرره موسى
وقَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ والاشارة الى ما تعاقدا عليه أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ شرطية وجوابها
فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ والمراد بالاجلين الثمانية الاعوام والعشرة الاعوام ومعنى قضيت وفيت به
واتممته ثم رغب منه والاجلين مخصوص باضافة اي اليه وما زائدة او نكرة والاجلين بدل منها
وقرأ ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت والمعنى لا ظلم علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين

أي كما لا طالب بالزيادة على الثمانية الأعوام لا طالب بالنقصان عن العشرة وقيل المعنى كما لا
طالب بالزيادة على العشرة الأعوام لا طالب بالزيادة على الثمانية الأعوام وهذا أظهر وأصل العدوان
تجاوز الحد في غير ما يجب قال المبرد وقد علم موسى أنه لا عدوان عليه إذا أتمهما ولكنه جمعهما ليجعل
الأول كالأتم في الوفاء وقرئ عدوان بضم العين وكسرها **والله على ما نقول** من هذه الشروط الجارية
بيننا **وكيل** أي شاهد وحفيظ فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عن شيء من ذلك قيل هو من قول
موسى وقيل من قول شعيب والأول أولى لوقوعه في جملة كلام موسى وتم العقد بذلك ولعل هذا كان
في شرعهما وإلا فهذه الصيغة لا تكفي عندنا في عقد النكاح لأن الواقع من شعيب وعد بالإنكاح
والواقع من موسى ليس فيه مادة التزويج ولا الإنكاح وأيضا الصداق ليس راجعا للمنكوحة بل لأبيها
هذا ما جرى عليه المحلي وقال غيره إنهما عقدا عقدا بغير الصورة المذكورة هنا منهما قال أبو السعود
ليس ما حكي عنهما في الآية تمام ما جرى بينهما من الكلام في إنشاء عقد النكاح وعقد الإجارة وإيقاعهما
بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على إيقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة إجمالا من غير
تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا وأخرج الطبراني وغيره عن عتبة السلمي
قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة طسم حتى إذا بلغ قصة موسى قال إن موسى آجر نفسه
ثماني سنين أو عشرا على عفة فرجه وطعام بطنه فلما وفى الأجل قيل يا رسول الله أي الأجلين
قضى موسى قال أبرهما وأوفاهما فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه
ما يعيشون به فأعطاها ما ولدت غنمه الحديث بطوله وفيه مسلمة الدمشقي ضعفه الأئمة
فلما قضى موسى الأجل الذي هو أكملهما وأوفاهما وهو العشرة الأعوام والفاء فصيحة عن ابن عباس
أنه سئل أي الأجلين قضى موسى قال أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل وصححه الحاكم
أقول في قوله إذا قال رسول الله فعل نظر فإن موسى لم يقل إنه سيقضي أكثر الأجلين بل قال أيما
الأجلين قضيت فلا عدوان علي وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى قضى أتم الأجلين
من طرق أخرج الخطيب في تاريخه عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئلت أي الأجلين
قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت
فقالت يا أبت استأجره وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل

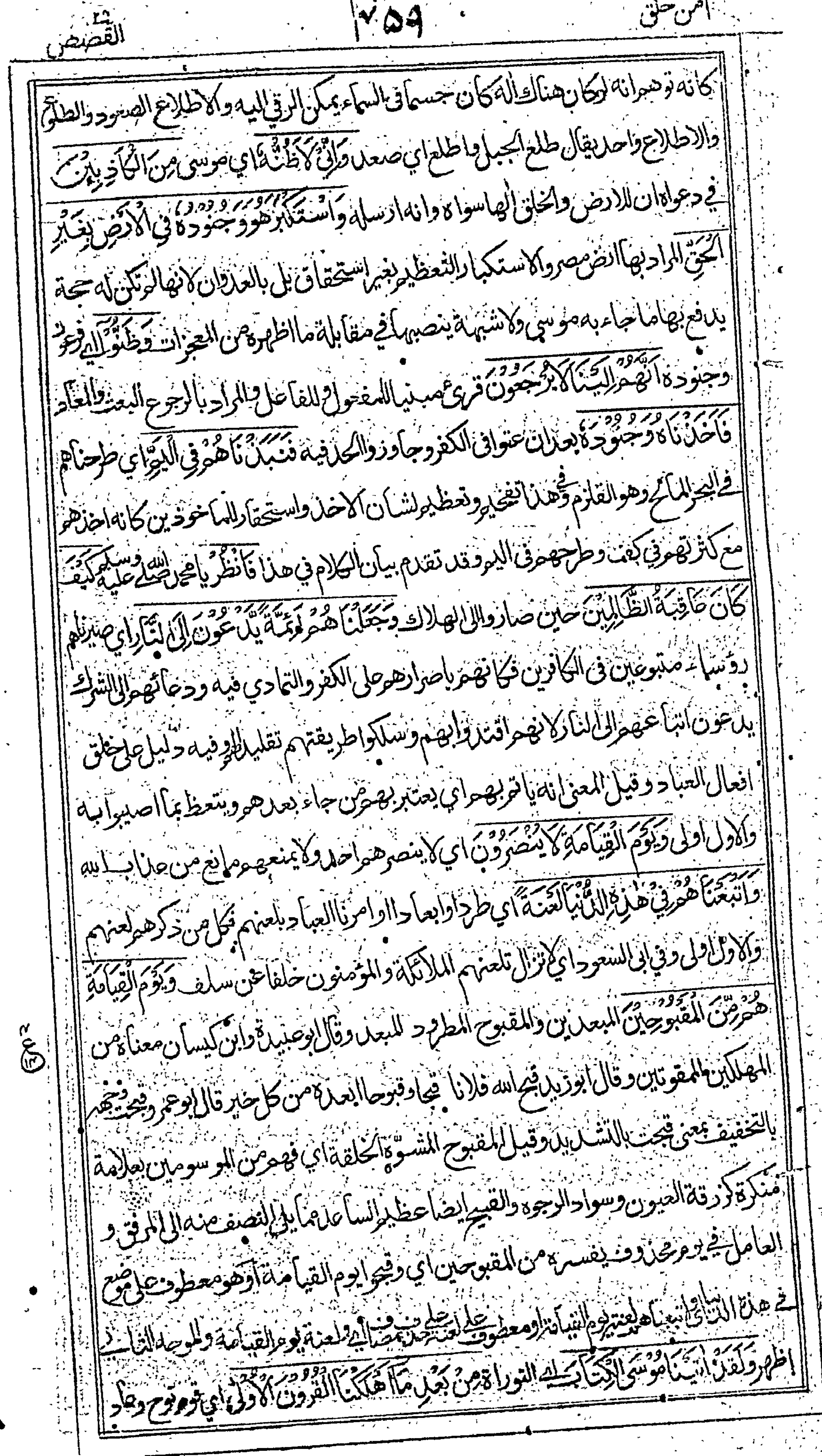
يا محمد ان سألك اليهود اي الاجلين قضى موسى فقل اوفاهما وان سألوك ايهما تزوج فقل الصغرى
منهما فروايات انه قضى اتم الاجلين لها طرق يقوي بعضها بعضا ولما اتم الاجل وحنى ايام الزلفة
وظهرت انوار النبوة سار باهله زوجته باذن ابيها الى مصر ليشتركوا معه في لطائف صنع ربه
وقيل لصلة رحمه وزيارة امه واخيه وهذا اولى وفيه دليل على ان الرجل يذهب باهله حيث
شاء انس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا وذلك انه كان في البرية في ليلة
مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلق وقد تقدم تفسير هذا في سورة طه مستوفى قال ابن
عباس لما قضى موسى الاجل سار باهله فضل الطريق وكان في الشتاء فرفعت له نار فلما رآها
ظن انها نار وكانت من نور الله قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي
لعلي اجد من يدلني على الطريق فان لم اجد خبرا اتيكم بشهاب قبس وهو المراد بقوله او جذوة
من النار وهذا تقدم تفسيره ايضا في سورة طه وفي سورة النمل وقرئ جذوة بكسر الجيم وبضمها
وبفتحها وهي لغات في العود الذي في راسه نار هذا هو المشهور وقيده بعضهم فقال نار من غير
لهب وقد ورد ما يقتضي وجود اللهب فيه قال الجوهري الجِذوة والجُذوة والجَذوة الجمرة والجمع
جِذى وجُذى وجذا قال مجاهد ان الجذوة قطعة من الجمر في لغة العرب قال ابو عبيدة
هي القطعة الغليظة من الخشب كان في طرفها نار اولم تكن وليس المراد هنا الا ما في راسه نار قاله السمين
لعلكم تصطلون من البرد اي تستدفئون بالنار فلما اتاها اي النار التي ابصرها وقيل اتى
الشجرة والاول اولى لعدم الذكر للشجرة نودي من لابتداء الغاية من شاطئ الوادي الايمن صفة للشاطئ
او للوادي وهو من اليمن وهو البركة او من جهة اليمين المقابل لليسار بالنسبة الى موسى اي الذي
يلي يمينه دون يساره وشاطئ الوادي طرفه وحافته وكذا الشط والسيف والساحل كلها
بمعنى قال الراغب وجمع الشاطئ اشطاء قال ابن عباس كان النداء من السماء الدنيا وظاهر القران يخالف
ما قاله رضي الله تعالى عنه في البقعة متعلق بنودي او بمحذوف على انه حال من الشاطئ
المباركة بتكليم الله تعالى فيها من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ الوادي لان الشجرة كانت نابتة
على الشاطئ وقال الجوهري شاطئ الاودية ولا يجمع قرأ الجمهور البقعة بضم الباء وقرئ بفتحها وهي
لغة حكاها ابو زيد عن ابن مسعود قال ذكر لي الشجرة التي اوى اليها موسى فسرت اليها يومي وليلتي

حتى صبحتها فاذا هي سمرة خضراء ترف فصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وسلمت فاهوى اليها بعيري
وهو جائع فاخذ منها ملأ فيه فلاكه فلم يستطع ان يسيغه فلفظه فصليت على النبي صلى الله عليه وسلم
وسلمت ثم انصرفت اخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وقيل الشجرة العناب
او العوسج وقيل كانت من العليق أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ان هي المفسرة او هي
المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وجملة النداء مفسرة له والاول اولى قرئ اني بكسر الهمزة على
اضمار القول او على تضمين النداء معناه والفتح قراءة ضعيفة قال جعفر ابصر نارا دلته على الانوار
لانه رأى النور في هيئة النار فلما دنى منها شملته انوار القدس واحاطت به جلابيب الانس فخوطب
بالطف خطاب واستدعي منه احسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا اعطي ما سأل وأمن مما خاف
قيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة
الا الله فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله خلق في نفس موسى علما ضروريا بان
المتكلم هو الله وان ذلك الكلام كلام الله وذهب جماعة من المتكلمين منهم الغزالي الى انه سمع كلامه
الازلي النفسي بلا صوت ولا حرف ولا دليل عليه وقيل غير ذلك مما لا فائدة في ذكره وقال في
سورة طه اني انا ربك وقال في النمل نودي ان بورك من في النار ومن حولها وهما مخالفان
لما هنا من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافق في المقصود وهو فتح باب الاستنباء وسوق الكلام
على وجه يؤدي اليه قال الامام لا منافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى في كل
سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء انتهى وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ وقد تقدم تفسير هذا وما بعده
في طه والنمل وفي الكلام حذف اي فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ اي تتحرك
كَأَنَّهَا جَانٌّ في سرعة حركتها مع عظم جسمها وَلَّىٰ مُدْبِرًا اي هاربا منهزما وَلَمْ يُعَقِّبْ اي لم يرجع
فنودي يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ من ان ينالك مكروه من الحية وقد تقدم
تفسير جميع ما ذكرها هنا مستوفى فلا نعيده وكذلك قوله اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ والسلك
بالفتح والسلوك كل منهما مصدر لسلك الشيء في الشيء انفذه فيه فانه من باب قعد ونصر
تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فادخلها فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس من غير مرض وَاضْمُمْ
إِلَيْكَ جَنَاحَكَ جناح الانسان عضده ويقال لليد كلها جناح اي اضمم اليك يديك المبسوطتين

لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع وقد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات الاولى اسلك يدك
في جيبك والثانية واضمم اليك جناحك والثالثة وادخل يدك في جيبك قال الزمخشري
جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه فالمراد بالجناح المضموم
اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ويجوز
ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا وقيل كل خائف نحو موسى اذا وضع يده
على صدره زال خوفه قال الفراء اراد بالجناح عصاه من الرهب اي من اجل الخوف وقرئ بفتح الراء
والهاء وباسكان الهاء وبضم الراء واسكان الهاء وقال بعض اهل المعاني الرهب الكم بلغة حمير و
بني حنيفة قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول لآخر اعطني ما في رهبك فسألته عن الرهب فقال الكم
فعلى هذا يكون معناه اضمم اليك يدك واخرجها من الكم فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ
بتخفيف النون وقيل بالتشديد لغة قريش وقرئ بياء تحتية بعد نون مكسورة وهي لغة هذيل
وقيل لغة تميم برهانان اي حجتان نيرتان ودليلان واضحان وآيتان بينتان وسميت الحجة
برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة من ربك اي كائنتان منه تعالى مرسلتان
او واصلتان الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين متجاوزين الحد في الظلم خارجين
عن الطاعة ابلغ خروج والجملة تعليل لما قبلها ولما سمع موسى قول الله سبحانه هذا طلب منه سبحانه
ان يقوي قلبه وقال رب اني قتلت منهم نفسا يعني القبطي الذي وكزه فقضى عليه فأخاف
ان يقتلون بها واخي هارون هو افصح مني لسانا اي كلاما لانه كان في لسان موسى حبسة
من وضع الجمر في فيه كما تقدم بيانه والفصاحة لغة الخلوص يقال فصح اللبن وافصح فهو فصيح
اي خلص من الرغوة ومنه فصح الرجل جادت لغته وافصح تكلم بالعربية وقيل الفصيح الذي
ينطق والاعجم الذي لا ينطق واما في اصطلاح اهل البيان ففصاحة الكلمة خلوصها عن تنافر
الحروف والغرابة ومخالفة القياس وفصاحة الكلام خلوصه من ضعف التاليف والتعقيد
فارسله معي ردءا النصب على الحال اي عونا والردء المعين من اردأته اذا اعنته يقال فلان ردء لفلان
اذا كان ينصره ويشد ظهره وقيل من قولهم اردى على المائة اذا زاد عليها فكان المعنى ارسله
معي زيادة في تصديقي يصدقني بالرفع على الاستئناف وبالجزم على جواب الامر وقرأ ابي يصدقوني

اي فرعون وملأه وقال ابن عباس كي يصدقني اي هارون ومعنى تصديقه موسى اعانته اياه
بزيادة البيان في مظان الجدال وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة وتلخيص الدلائل بلسانه
والجواب عن شبهات الكفار ببيانه ليثبت دعواه لا ان يقول له صدقت الا ترى الى قوله هو افصح
مني وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان
وهذا هو التصديق المفيد الجاري مجرى القول بالبرهان إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ اذ لم يكن معي
هارون لعدم انطلاق لساني بالمحاجة قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ هارون وكان اخ
ذلك بمصر اي نقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه
باليد وعن شدتها بشدة العضد فهو مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب
بمرتبتين فان شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص
في المرتبة الثانية قال الشهاب الشد التقوية فهو اما كناية تلويحية عن تقويته لان اليد
تشتد بشدة العضد والجملة تشتد بشدة اليد ولا مانع من الحقيقة كما توهم او استعارة تمثيلية
شبه حال موسى في تقويه بأخيه بحال اليد في تقويها بالعضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك
وفي ضده فت الله عضدك وقرأ الجمهور عضدك بفتح العين وضم الضاد وقرئ بضمها وسكون الضاد وبفتحهما وَنَجْعَلُ لَكُمَا
سُلْطَانًا اي حجة وبرهانا او تسلطا وغلبة وهيبة في قلوب الاعداء فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بالاذى والسوء
ولا يقدرون على غلبتكما بالحجة بِآيَاتِنَا اي تمتنعان منهم بآياتنا او اذهبا بآياتنا او قيل الباء للقسم
وجوابه فلا يصلون وما اضعف هذا القول وقال الاخفش وابن جرير في الكلام تقديم وتأخير
اي انتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا واولى هذه الوجوه اولها وفي قوله أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا
الْغَالِبُونَ تبشير لهما وتقوية لقلوبهما فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ واضحات الدلالة
وقد تقدم وجه اطلاق الآيات وهي جمع على العصا واليد في سورة طه وهي برهان في كل منهما
آيات عديدة قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى اي مختلق مكذوب اختلقته من قبل نفسك او سحر
موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله ولم تفعل قبل هذا الوقت مثله
او تعلمته ثم افتريته على الله وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا الذي جئت به من دعوى النبوة او ما سمعنا
بهذا السحر فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ اي كائنا او واقعا فيهم وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ

من عنده يريد نفسه ولذا جاء بهذه العبارة لئلا يصرح لهم بما يريده قيل ان يوحظهم
الجنة والله اعلم وقرئ وقال بالواو وبغيرها وكذلك هو في مصاحف اهل مكة ومن تكون له عاقبة
الدار بالفوقية وهي اوضح من قراءتها بالتحتية على ان اسم يكون عاقبة الدار والتذكير لوقوع الفصل ولانه تانيث
مجازي والمراد بالدار هنا الدنيا وعاقبتها هي الجنة والاضافة على معنى في والمعنى لمن تكون له العاقبة المحمودة لانها
عاقبة لان الدنيا خلقت مجازا وطريقا اليها او المراد بالعاقبة خاتمة الخير انه لا يفلح الظالمون اي ان الشان لا يفوزون بمطلب
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري تمسك اللعين بمجرد الدعوى الباطلة
مغالطة لقومه منه وقد كان يعلم ان ربه الله عز وجل والظاهر انه لا يريد بالالهية نفسه
كونه خالق السموات والارض وما بينهما فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على احد فالشك في
ذلك يقتضي زوال العقل بالكلية فالمخذول لعنه الله كانه يظن ان الافلاك والكواكب كافية في اختلاف
احوال هذا العالم السفلي فلا حاجة الى اثبات صانع قال القاضي نفى علمه باله غيره دون
وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح كما سياتي قال ابن عباس
لما قال فرعون هذا القول قال جبريل يا رب طغى عبدك فأذن لي في هلاكه فقال يا جبريل
هو عبدي ولن يسبقني له اجل يجيء ذلك الاجل فلما قال انا ربكم الاعلى قال الله يا جبريل
سبقت دعوتك في عبدي وقد جاء اوان هلاكه واخرج ابن مردويه عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان قالهما فرعون ما علمت لكم من اله غيري وقوله انا ربكم الاعلى
قال كان بينهما اربعون عاما فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ثم رجع الى تكبره وتجبره وايهام
قومه بكمال اقتداره فقال فاوقد لي يا هامان على الطين اي اطبخ لي الطين حتى يصير اجرا
اي بعد اتخاذه لبنا عن قتادة قال بلغني ان فرعون اول من طبخ الآجر وبنى به وعن ابن جريج
نحوه والنداء بياء في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر فاجعل لي من هذا الطين الذي
توقد عليه حتى يصير اجرا صرحا اي قصرا عاليا وقيل منارة روي ان هامان بنى صرحا لم
يبلغه بناء احد من الخلق واراد الله ان يفتنهم فيه فضرب الصرح جبريل بجناحه فقطعه
ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون وقطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد
من عماله الا هلك لعلي اطلع الى اله موسى اي اصعد اليه وانظر واقف على حاله



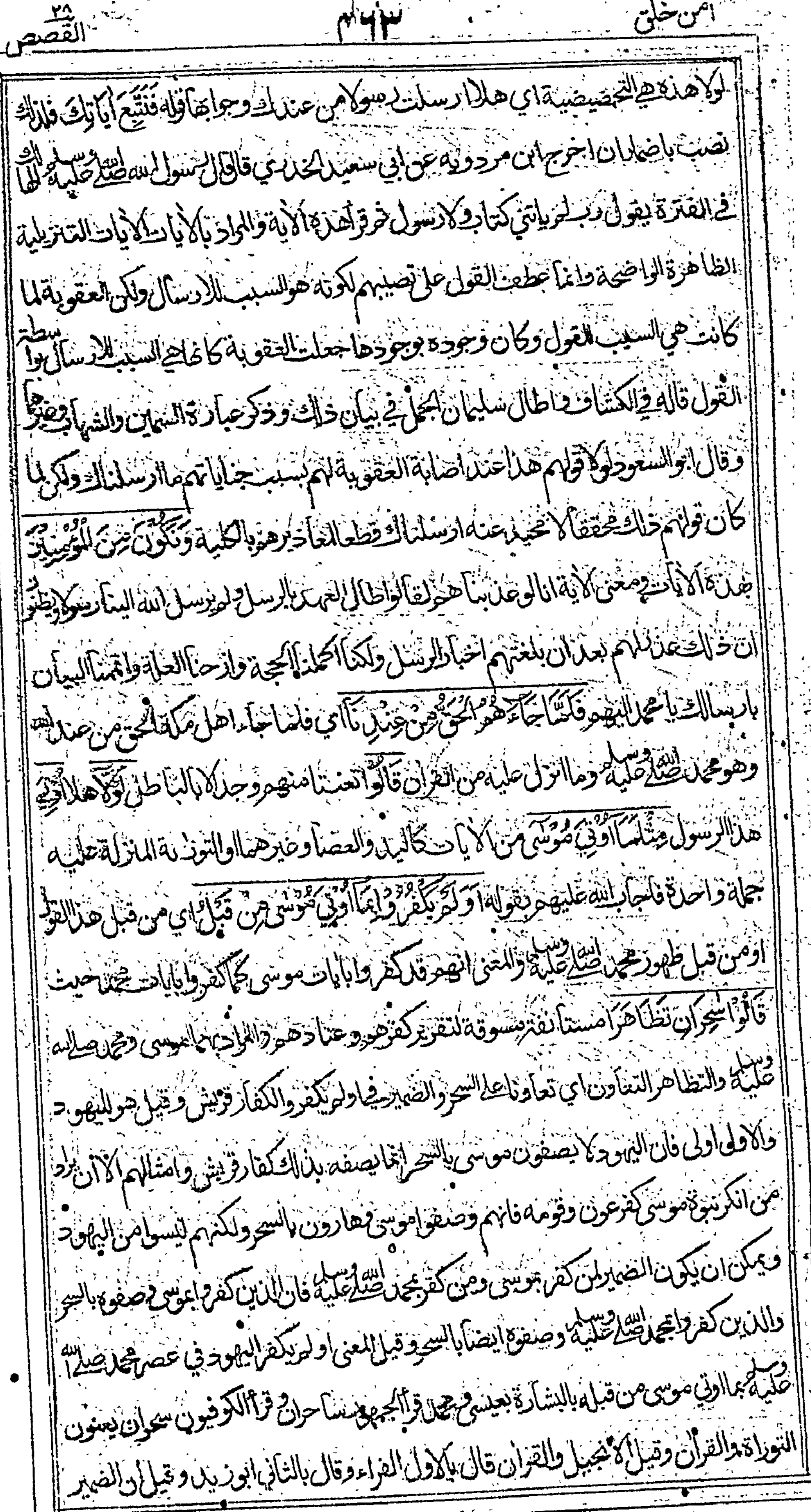
كأنه توهم أنه لو كان هناك إله كان جسماً في السماء يمكن الرقي إليه والاطلاع الصعود والطلوع
والاطلاع واحد يقال طلع الجبل واطلع أي صعد وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ أي موسى مِنَ الْكَاذِبِينَ
في دعواه أن للأرض والخلق إلهاً سواه وأنه أرسله وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ المراد بها أرض مصر والاستكبار التعظيم بغير استحقاق بل بالعدوان لأنها لم تكن له حجة
يدفع بها ما جاء به موسى ولا شبهة ينصبها في مقابلة ما أظهره من المعجزات وَظَنُّوا أي فرعون
وجنوده أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ قرئ مبنياً للمفعول وللفاعل والمراد بالرجوع البعث والمعاد
فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ بعد أن عتوا في الكفر وجاوزوا الحد فيه فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ أي طرحناهم
في البحر المالح وهو القلزم وفي هذا تفخيم وتعظيم لشأن الأخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم
مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم وقد تقدم بيان الكلام في هذا فَانْظُرْ يا محمد صلى الله عليه وسلم كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ حين صاروا إلى الهلاك وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ أي صيرناهم
رؤساء متبوعين في الكافرين فكأنهم بإصرارهم على الكفر والتمادي فيه ودعائهم إلى الشرك
يدعون أتباعهم إلى النار لأنهم اقتدوا بهم وسلكوا طريقتهم تقليداً لهم وفيه دليل على خلق
أفعال العباد وقيل المعنى أنه يأتم بهم أي يعتبر بهم من جاء بعدهم ويتعظ بما أصيبوا به
والأول أولى وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ أي لا ينصرهم أحد ولا يمنعهم مانع من عذاب الله
وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً أي طرداً وإبعاداً أو أمرنا العباد بلعنهم فكل من ذكرهم لعنهم
والأول أولى وفي أبي السعود أي لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون خلفاً عن سلف وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ المبعدين والمقبوح المطرود المبعد وقال أبو عبيدة وابن كيسان معناه من
المهلكين الممقوتين وقال أبو زيد قبح الله فلاناً قبحاً وقبوحاً أبعده من كل خير قال أبو عمرو وقبحت وجهه
بالتخفيف بمعنى قبّحت بالتشديد وقيل المقبوح المشوه الخلقة أي فهم من الموسومين بعلامة
منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه والقبيح أيضاً عظم الساعد مما يلي النصف منه إلى المرفق و
العامل في يوم محذوف يفسره من المقبوحين أي وقبحوا يوم القيامة أو هو معطوف على موضع
في هذه الدنيا أي وأتبعناهم لعنة يوم القيامة أو معطوف على لعنة على حذف مضاف أي ولعنة يوم القيامة والوجه الثاني
أظهر وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ يعني التوراة مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى أي قوم نوح وعاد



وثمود وغيرهم وقيل من بعد ما اهلكنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون والتعرض لكون ايتاء
التوراة بعد اهلاك الامم الماضية للاشعار بمسيس الحاجة الداعية اليها تمهيدا الى انزال القرآن
على رسول الله فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها
المؤديين الى اختلال نظام العالم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على ممر الدهور
وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة كانه قيل ولقد
آتينا موسى التوراة على حين حاجة اليها اخرج البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه
عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اهلك الله قوما ولا قرنا ولا امة ولا اهل قرية
بعذاب من السماء منذ انزل التوراة على وجه الارض غير القرية التي مسخت قردة الم تر الى قوله
ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وروي عنه موقوفا بصائر للناس اي آتيناه الكتاب لاجل ان يتبصر الناس به
او حال كونه بصائر لهم يبصرون به الحق والبصائر جمع بصيرة وهي نور القلب كما ان البصر نور العين وهدى يهتدون اليه وينتقلون به
من الضلالة بالاهتداء به ورحمة من الله رحمهم بها لعلهم يتذكرون هذه النعم فيشكرون الله ويؤمنون به ويجيبون داعيه الى ما فيه خيرهم و
يتعظون بما فيه من المواعظ وما كنت بجانب الغربي هذا شروع في بيان ان انزال القرآن واقع في بيان شدة الحاجة اليه والمعنى ما كنت يا محمد
بجانب الجبل الغربي وهو المكان الواقع في شق الغرب فيكون من باب حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه واختاره الزجاج وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي اي حيث ناجى موسى ربه
اذ قضينا الى موسى الامر اي عهدنا اليه وكلمناه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون
وقومه وما كنت من الشاهدين لذلك حتى تقف على حقيقته وتحكيه من جهة نفسك
وقيل معنى اذ قضينا الى موسى الامر اذ كلفناه والزمناه وقيل اخبرناه ان امة محمد صلى الله عليه وسلم
خير الامم ولا يستلزم نفي كونه بجانب الغربي نفي كونه من الشاهدين لانه يجوز ان يحضر ولا يشهد
قيل المراد بالشاهدين السبعون الذين اختارهم موسى للميقات واذا تقرر ان الوقوف على
تفاصيل تلك الاحوال لا يمكن ان يكون بالحضور عندها من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمشاهدة
لها منه وانتفى بالادلة الصحيحة انه لم يتلق ذلك من غيره من البشر ولا علمه معلم منهم كما قدمنا
تقريره تبين انه من عند الله سبحانه يوحي منه الى رسوله بواسطة الملك النازل بذلك فهذا
الكلام هو على طريقة وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم ولكنا انشأنا قرونا

أي خلقنا أمما بين زمانك يا محمد صلى الله عليه وسلم وزمان موسى فتطاول عليهم العمر أي طالت
عليهم المهلة وتمادى عليهم الأمد ففترت النبوة وكانت الأخبار تخفى فتغيرت الشرائع والأحكام
وتنوسيت الأديان واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها فتركوا أمر الله ونسوا عهده فاقتضت الحكمة التشريع الجديد فجئنا بك
رسولا وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ليكون معجزة لك وتذكيرا للقوم ومثله قوله سبحانه فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وقيل
استدل بهذا الكلام على أن الله سبحانه قد عهد إلى موسى عهودا في محمد صلى الله عليه وسلم وفي الإيمان به فلما طال عليهم العمر ومضت القرون بعد القرون
نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها وما كنت ثاويا في أهل مدين أي مقيما بينهم كما أقام موسى حتى تقرأ على أهل مكة
خبرهم وتقص عليهم من جهة نفسك يقال ثوى يثوي ثواء وثويا فهو ثاو ومن المعلوم
أن واقعة مدين كانت قبل واقعتي الطور فمقتضى الترتيب الوقوعي أن تقدم عليهما وإنما
وسطت بينهما للتنبيه على أن كلا منهما برهان مستقل على أن إخباره صلى الله عليه وسلم عن هذه
القصص بطريق الوحي الإلهي ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر
تتلو عليهم آياتنا أي تقرأ على أهل مدين آياتنا وتتعلم منهم وقيل تذكرهم بالوعد والوعيد
وقيل الضمير لأهل مكة والمعنى عليه واضح وأكثر المفسرين على الوجه الأول والجملة في محل نصب
على الحال أو خبر ثان ويجوز أن تكون هذه الجملة هي الخبر وثاويا حال وجعلها الفراء مستأنفة
كأنه قيل وها أنت تتلو على أمتك ولكنا كنا مرسلين أي أرسلناك إلى أهل مكة وأنزلنا
عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى أنك لم تشاهد قصص الأنبياء
ولا تليت عليك ولكنا أوحيناها إليك وقصصناها عليك وما كنت يا محمد بجانب الطور
أي بجانب الجبل المسمى بالطور إذ نادينا موسى لما أتى إلى الميقات مع السبعين أن خذ الكتاب
بقوة وبين الإرسال وإيتاء التوراة نحو من ثلاثين سنة وقيل المنادى هو أمة محمد صلى الله عليه وسلم
قال وهب وذلك أن موسى لما ذكر الله له فضل محمد صلى الله عليه وسلم وأمته قال يا رب أرنيهم فقال
الله إنك لن تدركهم وإن شئت ناديتهم فأسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله يا
أمة محمد فأجابوا من أصلاب آبائهم فيكون معنى الآية على هذا ما كنت يا محمد بجانب الطور
إذ كلمنا موسى فنادينا أمتك وسيأتي ما يدل على هذا ويقويه ويرجحه وعن أبي هريرة
في الآية قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني واستجبت لكم قبل أن تدعوني

وروي عن وجه آخر عنه مرفوعا واخرج ابن مردويه وابو نعيم في الدلائل وابو نصر
السجزي في الابانة والديلمي عن عمرو بن عبسة قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا ماكان النداء وما كانت الرحمة قال كتبه الله قبل ان يخلق خلقه
بالفي عام ثم وضعه على عرشه ثم نادى يا امة محمد سبقت رحمتي على غضبي اعطيتكم قبل ان
تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبدي ورسولي صادقا ادخلته الجنة واخرج ابن مردويه وابو نعيم عن حذيفة في الآية
قال نودوا يا امة محمد ما دعوتمونا اذا ستجبنا لكم ولا سألتمونا اذا اعطيناكم واخرج ابن مردويه
عن ابن عباس مرفوعا ان الله نادى يا امة محمد اجيبوا ربكم قال فاجابوا وهم في اصلاب
آبائهم وارحام امهاتهم الى يوم القيامة فقالوا لبيك انت ربنا حقا ونحن عبيدك حقا
قال صدقتم انا ربكم وانتم عبيدي حقا قد عفوت عنكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل
ان تسألوني فمن لقيني منكم بشهادة ان لا اله الا الله دخل الجنة (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) اي
ولكن فعلنا ذلك رحمة منا لكم وقيل ولكن ارسلنا بالقرآن رحمة لكم وقيل علمناك وقيل عرفناك
قال الاخفش ولكن رحمناك رحمة وقال الزجاج اي فعلنا ذلك بك لاجل الرحمة وقال الكسائي
ولكن كان ذلك رحمة وقرئ رحمة بالرفع ولكن انت رحمة (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ
قَبْلِكَ) والقوم هم اهل مكة فانه لم يأتهم نذير ينذرهم قبله صلى الله عليه وسلم في زمان الفترة
بينه وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة او بينه وبين اسمعيل بناء على ان دعوة
موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) اي يتعظون بانذارك (وَلَوْلَا أَنْ
تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) لولا هذه هي الامتناعية وان وما في حيزها في موضع
رفع بالابتداء اي ولولا اصابة المصيبة لهم وجوابها محذوف قال الزجاج تقديره ما ارسلنا
اليهم رسلا يعني ان الحامل على ارسال الرسل اليهم هو ازاحة عللهم فهو كقوله سبحانه لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وقدره ابن عطية لعاجلناهم بالعقوبة ووافقه على هذا
التقدير الواحدي فقال والمعنى لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة
بكفرهم قال السمين ولا معنى لهذا (فَيَقُولُوا) الفاء للسببية (رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا)



لولا هذه هي التحضيضية اي هلا ارسلت رسولا من عندك وجوابها قوله فنتبع آياتك فلذلك
نصب باضمار ان اخرج ابن مردويه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهالك
في الفترة يقول رب لم ياتني كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الآية والمراد بالآيات الآيات التنزيلية
الظاهرة الواضحة وانما عطف القول على تصيبهم لكونه هو السبب للارسال ولكن العقوبة لما
كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها هي السبب للارسال بواسطة
القول قاله في الكشاف واطال سليمان الجمل في بيان ذلك وذكر عبارة السمين والشهاب وغيرهما
وقال ابو السعود لولا قولهم هذا عند اصابة العقوبة لهم بسبب جناياتهم ما ارسلناك ولكن لما
كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية ونكون من المؤمنين
بهذه الآيات ومعنى الآية انا لو عذبناهم لقالوا طال العهد بالرسل ولم يرسل الله الينا رسولا ويظنون
ان ذلك عذر لهم بعد ان بلغتهم اخبار الرسل ولكنا اكملنا الحجة وازحنا العلة واتممنا البيان
بارسالك يا محمد اليهم فلما جاءهم الحق من عندنا اي فلما جاء اهل مكة الحق من عند الله
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه من القرآن قالوا تعنتا منهم وجدالا بالباطل لولا اي هلا اوتي
هذا الرسول مثل ما اوتي موسى من الآيات كاليد والعصا وغيرهما والتوراة المنزلة عليه
جملة واحدة فاجاب الله عليهم بقوله اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل اي من قبل هذا القول
او من قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم قد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد حيث
قالوا سحران تظاهرا مستأنفة مسوقة لتقرير كفرهم وعنادهم والمراد بهما موسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم والتظاهر التعاون اي تعاونا على السحر والضمير في اولم يكفروا للكفار قريش وقيل هو لليهود
والاول اولى فان اليهود لا يصفون موسى بالسحر انما يصفه بذلك كفار قريش وامثالهم الا ان يراد
من انكر نبوة موسى كفرعون وقومه فانهم وصفوا موسى وهارون بالسحر ولكنهم ليسوا من اليهود
ويمكن ان يكون الضمير لمن كفر بموسى ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فان الذين كفروا بموسى وصفوه بالسحر
والذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وصفوه ايضا بالسحر وقيل المعنى اولم يكفر اليهود في عصر محمد صلى الله
عليه وسلم بما اوتي موسى من قبله بالبشارة بعيسى ومحمد قرأ الجمهور ساحران وقرأ الكوفيون سحران يعنون
التوراة والقرآن وقيل الانجيل والقرآن قال بالاول الفراء وقال بالثاني ابو زيد وقيل ان الضمير

في أو لم يكفروا اليهود وانهم عنوا بقولهم ساحران عيسى ومحمدا عليهما الصلوة والسلام وقال ابن
عباس في الآية هم أهل الكتاب وقالوا إنا بكل كافرون يعني بكل من موسى ومحمد أو من موسى
وهارون أو من موسى وعيسى أو من عيسى ومحمد أو بكل من التوراة والانجيل والفرقان على اختلاف
الأقوال وفي هذه الجملة تقرير لما تقدم من وصف النبيين بالسحر أو من وصف الكتابين به تأكيد
لذلك ثم أمر الله سبحانه نبيه أن يقول لهم قولا يظهر به عجزهم فقال قل لهم يا محمد إذا لم تؤمنوا
بهذين الكتابين وقلتم فيهما ما قلتم فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أي من التوراة و
القرآن وأوضح وأبين في هداية الخلق أتبعه جواب الأمر وقد جزم به جمهور القراء لذلك وقرئ
بالرفع على الاستئناف أي فأنا أتبعه وقال الفراء انه على هذه القراءة صفة للكتاب وفي
هذا الكلام تهكم بهم وفيه أيضا دليل على أن قراءة الكوفيين أقوى من قراءة الجمهور لأنه رجع
الكلام إلى الكتابين لا إلى الرسولين إن كنتم صادقين فيما وصفتم به الرسولين أو الكتابين فإن
لم يستجيبوا لك أي لم يفعلوا ما كلفوا به من الإتيان بكتاب هو أهدى من الكتابين وهذا كقوله
فإن لم تفعلوا وقيل المعنى فإن لم يستجيبوا لك بالإيمان بما جئت به وتعدية يستجيبوا باللام هو أحد
الجائزين وجواب الشرط فاعلم أنما يتبعون أهواءهم أي آراءهم الزائغة واستحساناتهم الزائغة
بلا حجة ولا برهان وإنما أداة حصر أي أنهم ليس لهم مستند في ذلك ومتمسك يتمسكون به وإنما
لهم محض هواهم الفاسد ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله الاستفهام إنكاري
بمعنى النفي أي لا أحد أضل منه بل هو الفرد الكامل في الضلال إن الله لا يهدي القوم الظالمين
لأنفسهم بالكفر وتكذيب الأنبياء والإعراض عن آيات الله ولقد وصلنا لهم القول قرئ بتشديد
الصاد وتخفيفها ومعنى الآية أتبعنا بعضه بعضا في الإنزال ليتصل التذكير أو في النظم لتتقرر الدعوة
بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر وبعثنا رسولا بعد رسول وقال أبو عبيدة والأخفش معناه
أتممنا وقال ابن عيينة والسدي بينا وقال ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة حتى كأنهم
عاينوا الآخرة في الدنيا والأول أولى وهو مأخوذ من وصل الحبال بعضها ببعض وقال مجاهد جعلناه
أوصالا أي أنواعا من المعاني والضمير في لهم عائد إلى قريش وقيل إلى اليهود وقيل للجميع لعلهم يتذكرون
فيكون التذكير سببا لإيمانهم مخافة أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم الذين آتيناهم الكتاب من قبله

أي من قبل القرآن وقيل من قبل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هم به أي بالقرآن أو بمحمد صلى الله عليه وسلم
يؤمنون أخبر سبحانه أن طائفة من بني إسرائيل آمنوا بالقرآن كعبد الله بن سلام وسائر من أسلم
من أهل الكتاب قيل نزلت في ثمانين أربعين من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من
الشام وقال ابن عباس يعني من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والأول أولى وإذا يتلى أي القرآن
عليهم قالوا آمنا به أي صدقنا به إنه الحق الذي نعرفه المنزل من ربنا استئناف لبيان ما أوجب
إيمانهم به إنا كنا من قبله مسلمين أي مخلصين لله بالتوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما
جاء به لما نعلمه من ذكره في التوراة والإنجيل من التبشير به وأنه سيبعث آخر الزمان وينزل عليه
القرآن أولئك أي الموصوفون بتلك الصفات يؤتون أجرهم مرتين بإيمانهم بالكتابين منصوب
على المصدر قال ابن عباس نزلت في عشرة رهطا أنا أحدهم أخرج البخاري ومسلم وغيرهما
عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من
أهل الكتاب آمن بالكتاب الأول والآخر ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم
أعتقها وتزوجها وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده بما صبروا أي بسبب صبرهم
وثباتهم على الإيمان بالكتاب الأول والكتاب الآخر وبالنبي الأول والنبي الآخر وبالعمل بهما أو على
الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ومن عاداهم
من أهل دينهم ويدرءون بالحسنة السيئة الدرء الدفع أي يدفعون بالاحتمال والكلام
الحسن ما يلاقونه من الأذى وقيل يدفعون بالطاعة المعصية وقيل بالتوبة والاستغفار
الذنوب وقيل بالحلم الأذى وقيل بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك ومما رزقناهم ينفقون
أي ينفقون أموالهم في الطاعات وفيما أمر به الشرع ثم مدحهم سبحانه بإعراضهم عن اللغو
فقال وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه تكرما وتنزها وتأدبا بآداب الشرع ومثله قوله سبحانه
وإذا مروا باللغو مروا كراما واللغو هنا هو ما يسمعونه من المشركين من الشتم لهم ولدينهم و
الاستهزاء بهم وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا يلحقنا من ضرر كفركم شيء ولا يلحقكم من
نفع إيماننا شيء سلام عليكم ليس المراد بهذا السلام سلام التحية ولكن المراد به سلام المتاركة
والإعراض والفراق ومعناه أمنة لكم منا وسلامة لا نجاريكم ولا نجاوبكم فيما أنتم فيه ولا نقابل

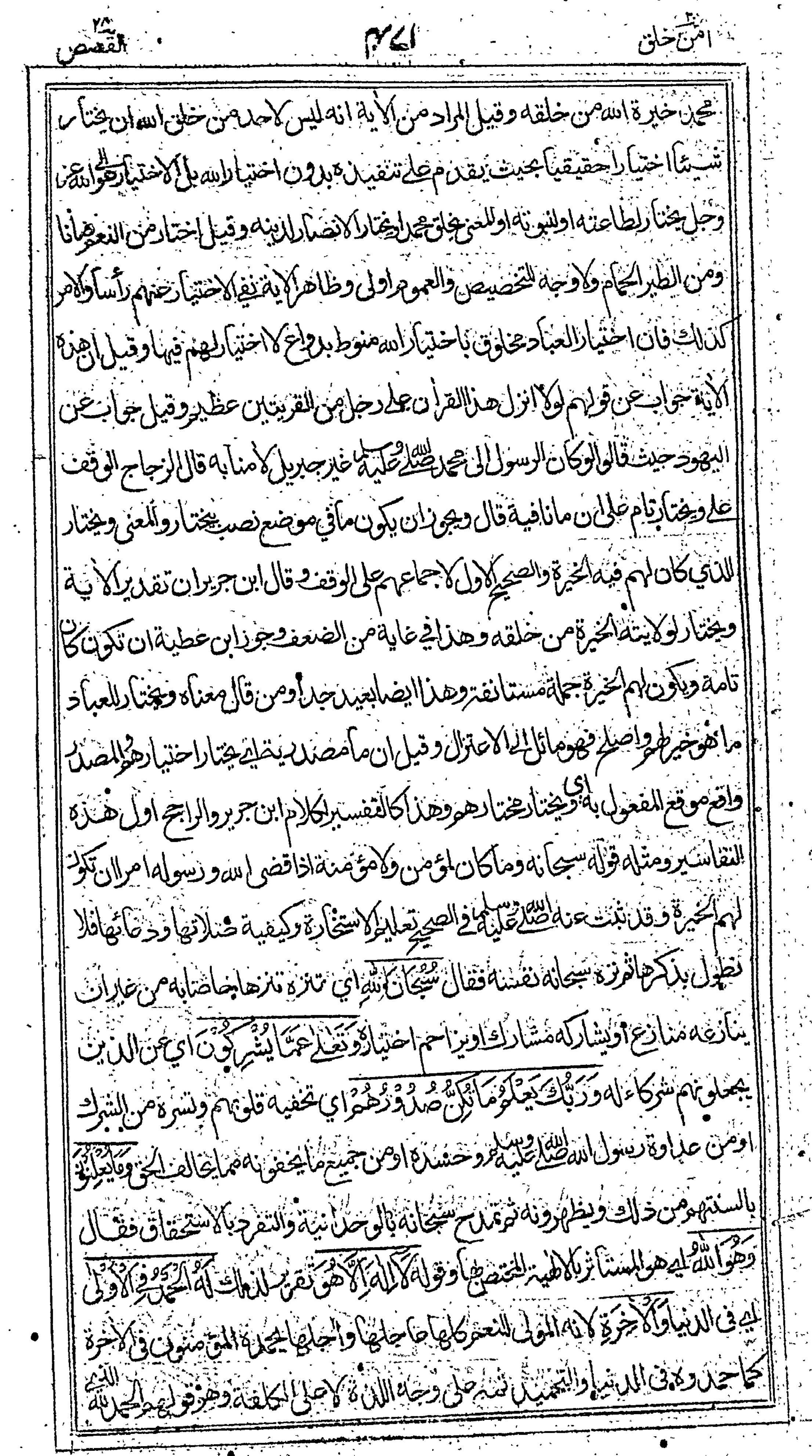
لغو كريمًا قال الزجاج وهذا قبل الأمر بالقتال لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ اي لا نطلب صحبتهم و
مخالطتهم وقال مقاتل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وقال الكلبي لا نحب دينكم الذي
انتم عليه إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ هدايته من الناس وليس ذلك اليك وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ هدايته وَهُوَ أَعْلَمُ اي عالم بِالْمُهْتَدِينَ اي القابلين للهداية المستعدين لها
اخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث المسيب ومسلم وغيره من حديث ابي هريرة ان هذه
الآية نزلت في ابي طالب لما امتنع من الاسلام وقد تقدم ذلك في براءة قال الزجاج اجمع المفسرون
على انها نزلت في ابي طالب وقد تقرر في الاصول ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل
في ذلك ابو طالب دخولا اوليا والآية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى
الناس اجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق
الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا
اي قال مشركو قريش ومن تابعهم ان ندخل في دينك ونعمل به يا محمد يتخطفنا العرب من مكة
وننتزع منها بسرعة ولا طاقة لنا بهم وهذا من جملة اعذارهم الباطلة وتعللاتهم العاطلة
والتخطف في الاصل هو الانتزاع بسرعة وقرئ نتخطف بالجزم على جواب الامر وبالرفع على الاستئناف
ثم رد الله ذلك عليهم ردا مصدرا باستفهام التوبيخ والتقريع والقمهم الحجر فقال أَوَلَمْ نُمَكِّنْ
لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا اي الم نجعل لهم حرما ذا امن او مؤمنا يؤمن من دخله قال ابو البقاء عداه
بنفسه لانه بمعنى جعل كما صرح بذلك في قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ومكن متعد
بنفسه من غير ان يضمن معنى جعل كقوله مكناهم فيما ان مكناكم فيه واسناد الامن الى اهل الحرم
حقيقة والى الحرم مجاز عقلي ومن المعروف انه كان تأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحداة
ثم وصف هذا الحرم بصفة اخرى دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة بقوله
يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ اي تجمع اليه الثمرات على اختلاف انواعها من الاراضي المختلفة
وتحمل اليه من الشام ومصر والعراق واليمن وتساق اليه فمعنى الكلية الكثرة على سبيل
المجاز كقوله واوتيت من كل شيء قرئ يجبى بالتحتية اعتبارا بتذكير كل شيء ووجود الحائل
بين الفعل وبين ثمرات وايضا ليس تأنيث ثمرات بحقيقي وبالفوقية اعتبارا بثمرات وقرئ ثمرات

بفتحتين وبضمتين جمع ثمر بضمتين وقرئ بفتح الثاء وسكون الميم رزقا من لدنا أي نسوقه
إليهم رزقا من عندنا أو رازقين ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما نقوله حق لفرط جهلهم
ومزيد غفلتهم وعدم تفكرهم في أمر معادهم ورشادهم لكونهم ممن طبع الله على قلبه
وجعل على بصره غشاوة وكم أهلكنا من قرية أي أهل قرية كانوا في خفض عيش ودعة
ورخاء رد لقولهم إن نتبع الهدى نتخطف الخ بين الله بهذا أن الأمر بالعكس وأنهم أحقاء بأن
يخافوا بأس الله ولا يغتروا بالأمن الحاصل لهم فكثير من أهل القرى كان حالهم كحال هؤلاء
في الأمن والخصب ثم بطرت أي طغت وتمردت وخسرت وأشرت معيشتها أي في
زمن حياتها وقال الكرخي كفرت نعمة معيشتها أي أيام حياتها وهي ما يعاش به من النبات
والحيوان وغيرهما يعني وقع منهم البطر فأهلكوا قال الزجاج البطر الطغيان عند النعمة وفي القاموس
البطر محركة النشاط والأشر وقلة احتمال النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهة الشيء
من غير أن يستحق الكراهة وفعل الكل كفرح وبطر الحق أي تكبر عنده فلا يقبله قال عطاء عاشوا
في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام وقال الزجاج والمازني معناها بطرت في معيشتها
فلما حذفت في تعدى الفعل كقوله واختار موسى قومه وقال الفراء هو منصوب على التفسير كما
تقول أبطرت مالك وبطرته ونظيره قوله تعالى إلا من سفه نفسه ونصب المعارف على التمييز
غير جائز عند البصريين لأن معنى التفسير أن تكون النكرة دالة على الجنس وقيل إن معيشتها منصوبة
ببطرت على تضمينه معنى جهلت فتلك مساكنهم أي منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار كبلاد
ثمود وقوم شعيب وغيرهم قد خربت بما ظلموا لم تسكن من بعدهم إلا قليلا أي لم يسكنها
أحد بعدهم إلا زمنا قليلا كالذي يمر بها مسافرا فإنه يلبث فيها يوما أو بعض يوم أو المعنى لم
يبق من يسكن فيها إلا أياما قليلة لشؤم ما وقع فيها من معاصيهم وقيل إن الاستثناء يرجع
إلى المساكن أي لم تسكن بعد هلاك أهلها إلا قليلا من المساكن وأكثرها خراب كذا قال الفراء وهو
قول ضعيف وكنا نحن الوارثين لها منهم لأنهم لم يتركوا وارثا يرث منازلهم وأموالهم ولم يخلفهم
أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وغيرها وما كان ربك بيان للعادة الربانية أي ما صح ولا استقام
وما كان وما ثبت في حكمه الماضي وقضائه السابق أن يكون مهلك القرى الكافر أهلها قبل الانذار

حتى يبعث ويرسل في أمّها اي اكبرها واعظمها رسولاً ينذرهم ويتلو عليهم آياتنا اي تاليا عليهم آيات الله الدالة الناطقة بما اوجبه الله عليهم وما اعده من الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وفيه ان العذاب سينزل بهم اذا لم يؤمنوا وخص الاعظم منها بالبعثة اليها لان فيها اشراف القوم واهل الفهم والرأي وفيها الملوك والاكابر فصارت بهذا الاعتبار كالام لما حولها من القرى وقال الحسن ام القرى اولها وقيل المراد بام القرى هنا مكة كما في قوله ان اول بيت وضع للناس الآية والالتفات الى نون العظمة للتربية المهابة والروعة وقد تقدم بيان ما تضمنته هذه الآية في آخر سورة يوسف ﴿وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون﴾ معطوفة على التي قبلها والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد ان نبعث الى امها رسولا يدعوهم الى الحق في حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين قد استحقوا الاهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وتاكيد الحجة عليهم كقوله سبحانه وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ﴿وما اوتيتم﴾ يا كفار مكة ﴿من شيء﴾ من الاشياء ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ اي فهو متاع الحياة الدنيا تتمتعون به مدة حياتكم او بعض حياتكم ثم تزولون عنه او يزول عنكم ﴿وزينتها﴾ تتزينون به ايام حياتكم ثم يفنى وعلى كل حال فذلك الى فناء وانقضاء ﴿وما عند الله﴾ من ثوابه وجزائه ﴿خير﴾ من ذلك الزائل الفاني لانه لذة خالصة عن شوب الكدر ﴿وابقى﴾ لانه يدوم ابدا وذلك ينقضي بسرعة ﴿افلا تعقلون﴾ ان الباقي افضل من الفاني وما فيه لذة خالصة غير مشوبة افضل من اللذات المشوبة بالكدر المنغصة بعوارض البدن والقلب قيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل قال الشافعي رحمه الله من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف الى المشتغلين بطاعة الله وقرئ يعقلون بالياء والتاء على الخطاب وهي ارجح لقوله وما اوتيتم واخرج مسلم والبيهقي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يا ابن آدم مرضت فلم تعدني الحديث بطوله واخرج عبد الله بن احمد في زوائد الزهد عن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا واعطش ما كانوا واعرى ما كانوا فمن اطعم لله عز وجل اطعمه الله ومن كسى لله عز وجل كساه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كان في رضا الله كان الله على رضاه ﴿افمن وعدناه وعدا حسنا﴾ بالجنة وما فيها من النعم التي لا تحصى ﴿فهو لاقيه﴾ اي مدركه ومصيبه

لا محالة فان الله لا يخلف الميعاد ولذلك جيء بالاسمية المفيدة لتحققه وعطف بفاء السببية
والفاء لترتيب انكار التساوي بين اهل الدنيا واهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت
بين متاعها وبين ما عند الله عز وجل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا المشوب بالاكدار المستتبع
للتحسر على الانقطاع فاعطي منها بعض ما اراد مع سرعة زواله وتنغيصه عن قريب ثم هو يوم
القيامة من المحضرين هذا معطوف على قوله متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار
التشابه ومقرر له والمعنى ثم هذا الذي متعناه هو يوم القيامة من المحضرين النار وتخصيص
المحضرين بالذين احضروا العذاب اقتضاه المقام وفيه من التهويل ما لا يخفى اي ليس حالهما
سواء فان الموعود بالجنة لا بد ان يظفر بما وعد به مع انه لا يفوته نصيبه من الدنيا وهذا
حال المؤمن واما حال الكافر فانه لم يكن معه الا مجرد التمتع بشيء من الدنيا يستوي فيه هو و
المؤمن وينال كل واحد منهما حظه منه وهو صائر الى النار فهل يستويان وثم للتراخي في الزمان
او في الرتبة قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل او في علي وحمزة وابي جهل او في المؤمن والكافر
او في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ويوم يناديهم اي اذكر يوم ينادي الله سبحانه هؤلاء
المشركين الذين عبدوا غير الله والقصد من هذا النداء توبيخهم وتقريعهم بان معبوداتهم
لا تنفعهم في هذا الوقت فيقول لهم اين شركائي الذين عبدتموهم من دوني واثبتم لهم شركة في استحقاق العبادة كنتم
تزعمون انهم ينصرونكم ويشفعون لكم قال الذين حق عليهم القول اي حقت عليهم كلمة
العذاب بدخول النار وهم رؤساء الضلال الذين اتخذوهم اربابا من دون الله كذا قال
الكلبي وقال قتادة هم الشياطين ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي دعوناهم الى الغواية يعنون
الاتباع في الكفر اغويناهم كما غوينا اي اضللناهم كما ضللنا واثروا الكفر على الايمان كما اثرناه
نحن وكنا السبب في كفرهم فقبلوا منا فلا فرق بيننا وبينهم وان كان تسويلنا لهم
داعيا الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله تعالى لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل
وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر
وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان تبرأنا اليك منهم من اطاعنا وهذا مقرر لما قبله
ولذلك لم يعطف قال الزجاج برئ بعضهم من بعض وصاروا اعداء كما قال تعالى الاخلاء يومئذ

بعضهم لبعض عدو وما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية
اي تبرأنا اليك من عبادتهم ايانا والاول اولى وقيل للكفار من بني ادم تهكما بهم وتبكيتا لهم
ادعوا شركاءكم اي استغيثوا بالهتكم التي كنتم تعبدونهم من دون الله في الدنيا
لينصروكم ويدفعوا عنكم فدعوهم عند ذلك فلم يستجيبوا لهم ولا نفعوهم بوجه من
وجوه النفع ورأوا اي التابع والمتبوع العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون
قال الزجاج جواب لو محذوف اي لانجاهم ذلك ولم يروا العذاب وقيل المعنى ما دعوهم وقيل لو كانوا يهتدون في الدنيا
لعلموا ان العذاب حق وقيل لو يهتدون بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وقيل
قد ان لهم ان يهتدوا لو كانوا يهتدون وقيل غير ذلك ويوم يناديهم عطف على ما قبله
فسئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك كما قال فيقول ما
ذا اجبتم المرسلين اي ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين لما بلغوا رسالاتي
فعميت عليهم الانباء يومئذ اي خفيت عليهم الحجج حتى صاروا كالعمي الذين لا يهتدون
والاصل فعموا عن الانباء ولكنه عكس الكلام للمبالغة والانباء الاخبار وانما سمي حججهم
اخبارا لانها لم تكن من الحجة في شيء وانما هي اقاصيص وحكايات وقرئ عميت بضم العين وتشديد
الميم فهم لا يتساءلون اي عن الجواب النافع وذلك لفرط الدهشة او لعلمهم بان الكل سواء
في الجهل وقيل لا يسأل بعضهم بعضا عن الانساب قاله مجاهد ولا ينطقون بحجة ولا يدرون
بما يجيبون لان الله قد اعذر اليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة فاما
من تاب من الشرك وامن وصدق بتوحيد الله وعمل صالحا اي ادى الفرائض فعسى
ان يكون من المفلحين اي الناجين بوعد الله الفائزين بمطالبهم من سعادة الدارين و
عسى وان كانت في الاصل للرجاء فهي من الله واجب على ما هو عادة الكرام وقيل ان الترجي
هو من قبل التائب المذكور لا من جهة الله سبحانه اي فليتوقع الفلاح وربك يخلق ما يشاء
ان يخلقه وفيه دلالة على خلق الافعال ويختار ما يشاء ان يختاره لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون وهذا متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم اي الاختيار الى الله
ما كان لهم الخيرة اي التخير وهي كالطيرة فانها التطير اسمان يستعملان استعمال المصدر ومعنى الخيرة

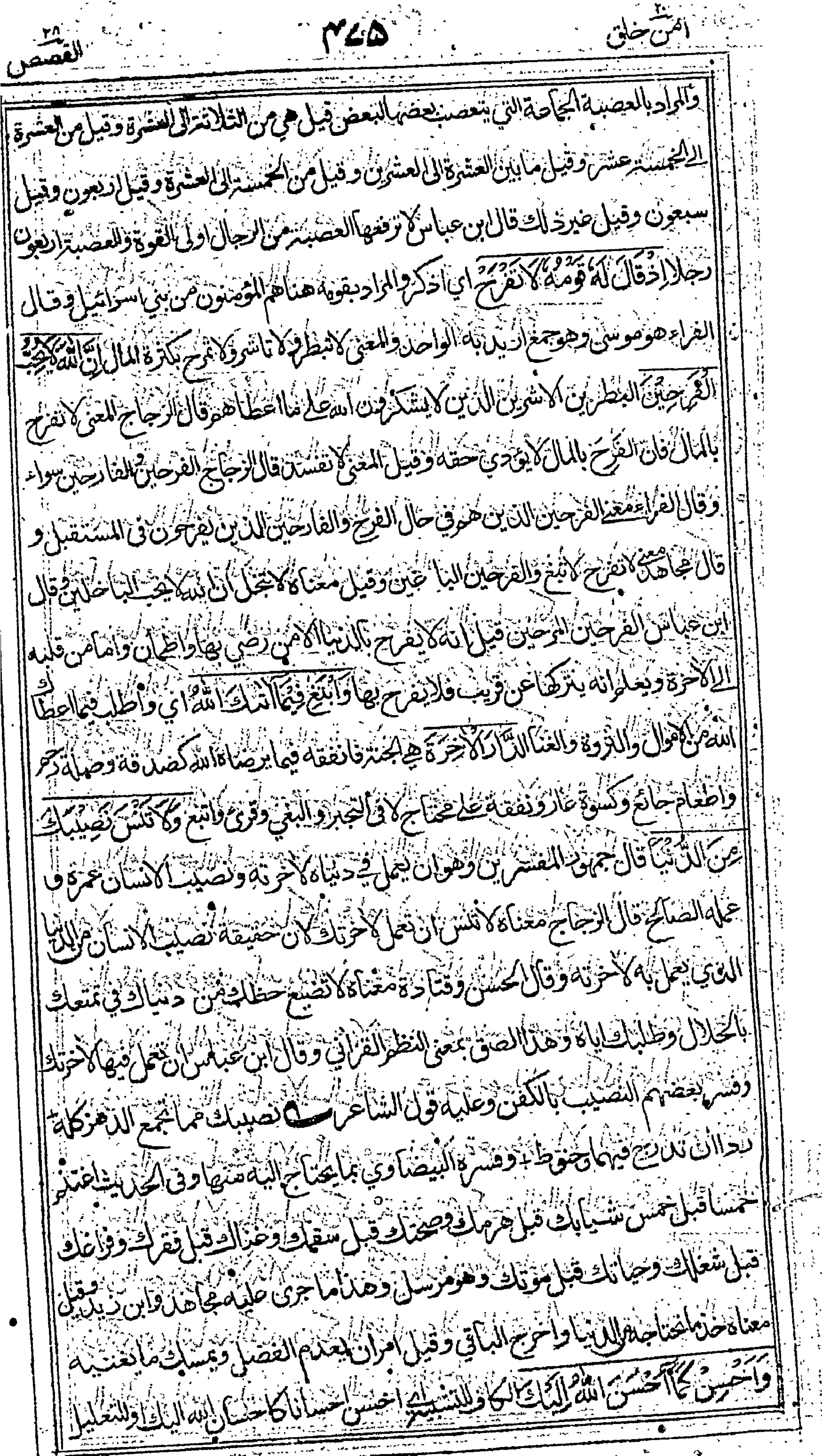


محمد خيرة الله من خلقه وقيل المراد من الآية انه ليس لاحد من خلق الله ان يختار
شيئا اختيارا حقيقيا بحيث يقدم على تنفيذه بدون اختيار الله بل الاختيار الحقيقي هو لله عز
وجل يختار لطاعته او للنبوة او للغنى يخلق محمد ويختار الانصار لدينه وقيل اختار من النعم ضأنا
ومن الطير الحمام ولا وجه للتخصيص والعموم اولى وظاهر الآية نفي الاختيار عنهم رأسا والامر
كذلك فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواعي الاختيار لهم فيها وقيل ان هذه
الآية جواب عن قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل جواب عن
اليهود حيث قالوا لو كان الرسول الى محمد صلى الله عليه وسلم غير جبريل لآمنا به قال الزجاج الوقف
على ويختار تام على ان ما نافية قال ويجوز ان يكون ما في موضع نصب بيختار والمعنى ويختار
للذي كان لهم فيه الخيرة والصحيح الاول لاجماعهم على الوقف وقال ابن جرير ان تقدير الآية
ويختار لولايته الخيرة من خلقه وهذا في غاية من الضعف وجوز ابن عطية ان تكون كان
تامة ويكون لهم الخيرة جملة مستانفة وهذا ايضا بعيد جدا ومن قال معناه ويختار للعباد
ما هو خير لهم واصلح فهو مائل الى الاعتزال وقيل ان ما مصدرية اي يختار اختيارهم والمصدر
واقع موقع المفعول به اي ويختار مختارهم وهذا كالتفسير لكلام ابن جرير والراجح اول هذه
التفاسير ومثله قوله سبحانه وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون
لهم الخيرة وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح تعليم الاستخارة وكيفية صلاتها ودعائها فلا
نطول بذكرها ثم نزه سبحانه نفسه فقال سبحان الله اي تنزه تنزها خاصا به من ان
ينازعه منازع او يشاركه مشارك او يزاحم اختياره وتعالى عما يشركون اي عن الذين
يجعلونهم شركاء له وربك يعلم ما تكن صدورهم اي تخفيه قلوبهم وتسره من الشرك
او من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده او من جميع ما يخفونه مما يخالف الحق وما يعلنون
بالسنتهم من ذلك ويظهرونه ثم تمدح سبحانه بالوحدانية والتفرد بالاستحقاق فقال
وهو الله اي هو المستأثر بالالهية المختص بها وقوله لا اله الا هو تقرير لذلك له الحمد في الاولى
اي في الدنيا والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة
كما حمدوه في الدنيا والتحميد ثمة على وجه اللذة لا على الكلفة ومنه قولهم الحمد لله الذي

اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين وَلَهُ الْحُكْمُ اي
القضاء النافذ في كل شيء فيقضي بين عباده بما شاء من غير مشارك وَإِلَيْهِ لا الى غيره تُرْجَعُونَ
بالبعث والنشور والخروج من القبور فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته قُلْ لاهل مكة
أَرَأَيْتُمْ اي اخبروني إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها
حول الافق الغائر والسرمد هو الدائم المستمر من السرد وهو المتابعة والاطراد فالميم زائدة كما
في دلامص من الدلاص ووزنه فعمل وقيل ان ميمه اصلية ووزنه فعلل لا فعمل وهو الظاهر
بين لهم سبحانه انه مهد لهم اسباب المعيشة ليقوموا بشكر النعمة فانه لو كان الدهر الذي يعيشون
فيه ليلا دائما الى يوم القيامة لم يتمكنوا من الحركة فيه وطلب ما لا بد لهم منه مما
يقوم به العيش من المطاعم والمشارب والملابس ثم امتن عليهم فقال مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ
اي هل لكم من اله بزعمكم من الالهة التي تعبدونها يقدر على ان يرفع هذه الظلمة الدائمة
عنكم بِضِيَاءٍ اي بنور تطلبون فيه المعيشة وتبصرون فيه ما تحتاجون اليه وتصلح ثماركم
وتنمو عنده زرائعكم وتعيش فيه دوابكم والجملة صفة اخرى لاله عليها يدور التبكيت و
الالزام أَفَلَا تَسْمَعُونَ هذا الكلام سماع فهم وقبول وتدبر وتفكر وهذا توبيخ لهم على ابلغ وجه
ثم لما فرغ الله من الامتنان عليهم بوجود النهار امتن عليهم بوجود الليل فقال قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا اي جعل جميع الدهر الذي تعيشون فيه نهارا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لا ليل معه باسكان الشمس في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ بزعمكم
يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ اي تستقرون فِيهِ من النصب والتعب وتستريحون مما تزاولون من طلب
المعاش والكسب أَفَلَا تُبْصِرُونَ هذه المنفعة العظيمة ابصار متعظ متيقظ حتى تنزجروا عما
انتم فيه من عبادة غير الله فاذا اقروا بانه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فقد لزمتهم الحجة
وبطل ما يتمسكون به من الشبهة الساقطة وانما قرن سبحانه بالضياء قوله افلا تسمعون
لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل قوله افلا
تبصرون لان البصر يدرك ما لا يدركه السمع من ذلك وَمِنْ رَحْمَتِهِ تعالى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ اي في الليل وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ اي في النهار بالسعي في المكاسب وفي مح

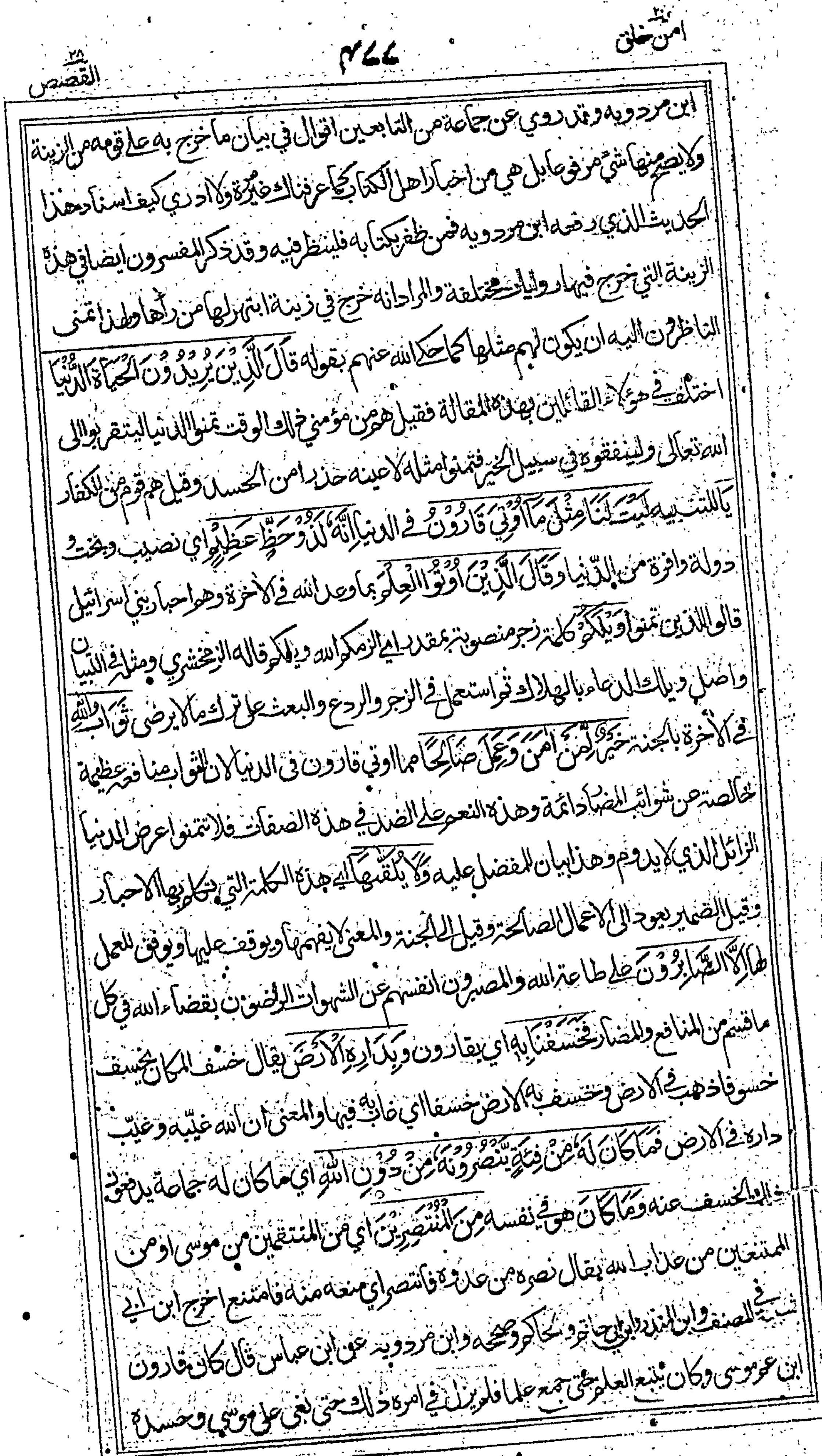
للسعي في طلب الرزق وهو لا ينافي التوكل ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اي لكي تشكروا نعمة الله عليكم
وهذه الآية من باب اللف والنشر واعلم انه وان كان السكون في النهار ممكنا وطلب الرزق في
الليل ممكنا وذلك عند طلوع القمر على الارض او عند الاستضاءة بشيء مماله نور كالسراج لكن
ذلك قليل نادر مخالف لما يالفه العباد فلا اعتبار به ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ
الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كرر سبحانه هذا لاختلاف الحالتين لانهم ينادون مرة فيدعون
الاصنام وينادون اخرى فيسكتون وفي هذا التكرار ايضا تقريع بعد تقريع وتوبيخ بعد
توبيخ وايذان بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده
او الاول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن مستند وانما هو محض تشه وهوى
﴿وَنَزَعْنَا﴾ جاء بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق اي اخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الامم ﴿شَهِيدًا﴾ يشهد
عليهم بما قالوا قال مجاهد هم الانبياء وقيل عدول كل امة والاول اولى ومثله قوله سبحانه فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ثم بين سبحانه ما يقوله لكل امة
من هذه الامم بقوله ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ اي حجتكم ودليلكم بان معي شركاء فعند ذلك
اعترفوا وخرسوا عن اقامة البرهان ولذا قال ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الالهية وانه وحده لا شريك له
﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ اي غاب عنهم غيبة الشيء الضائع وبطل وذهب ما كانوا يختلقون
من الكذب في الدنيا بان لله شركاء يستحقون العبادة ثم عقب سبحانه حديث اهل الضلال بقصة
قارون لما اشتملت عليه من بديع القدرة وعجيب الصنع فقال ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ﴾
قارون على وزن فاعول اسم اعجمي ممتنع للعجمة والعلمية وليس بعربي مشتق من قرنت قال الزجاج
لو كان قارون من قرنت الشيء لانصرف قال النخعي وقتادة وغيرهما كان ابن عم موسى وهو قارون
بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث وقال ابن اسحاق كان
عم موسى لاب وام فجعله اخا لعمران وهما ابنا قاهث وقيل هو ابن خالة موسى وكان يسمى المنور
لحسن صوته وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله قاله
الرازي ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ للتوراة منه فنافق كما نافق السامري وخرج عن طاعة موسى
وهو معنى قوله ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ اي جاوز الحد في التجبر والتكبر وطلب التفضيل عليهم وان يكونوا تحت امره

وحسد موسى على رسالته وهارون على امامته وكفر بالله بعدما امن بهما بسبب كثرة ماله
قال الضحاك بغيه على بني اسرائيل استخفافه بهم لكثرة ماله وولده وقال قتادة بغيه بنسبة ما
اتاه الله من المال الى نفسه لعلمه وحيلته وقيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فتعدى
عليهم وظلمهم وقيل كان بغيه بغير ذلك مما لايناسب معنى الاية وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ جمع
كنز وهو المال المدخر سميت امواله كنوزا لانه كان ممتنعا من اداء الزكوة قال عطاء اصاب كنزا
من كنوز يوسف وقيل كان يعمل الكيميا مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ما موصولة صلتها ان وما في حيزها
ولهذا كسرت ونقل الاخفش الصغير عن الكوفيين منع جعل المكسورة وما في حيزها صلة
الذي واستقبح ذلك منهم لوروده في الكتاب العزيز في هذا الموضع والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو
ما يفتح به وقيل المراد بالمفاتح الخزائن فيكون واحدها مفتح بفتح الميم وقال الواحدي ان المفاتح
الخزائن في قول اكثر المفسرين كقوله وعنده مفاتح الغيب قال هو اختيار الزجاج قال الاشبه
في التفسير ان مفاتحه خزائن ماله وقال اخرون هي جمع مفتاح وهو ما يفتح به الباب فهذا قول
قتادة ومجاهد وعن خيثمة قال كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود الابل كل مفتاح مثل الاصبع
كل مفتاح على خزانة على حدة فاذا ركب حملت المفاتيح على سبعين بغلا اغر محجل وعنه قال وجدت
في الانجيل ان بغال مفاتيح خزائن قارون غر محجلة ما يزيد كل مفتاح منها على اصبع لكل مفتاح كنز
قال الشوكاني لم اجد في الانجيل هذا الذي ذكره خيثمة لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ اي
لتثقل بالجماعة الاقوياء يقال ناء بحمله اذا نهض به متثقلا ويقال ناء بي الحمل اذا اثقلني والمعنى
يثقلهم حمل المفاتيح فلا يستطيعون حملها وقال الرازي فلا يستطيعون ضبطها لكثرتها انتهى
قال ابو عبيدة هذا من المقلوب والمعنى لتنوء بها العصبة اي تنهض بها قال ابو زيد ناءت
بالحمل اذا نهضت به وقال الفراء معنى تنوء بالعصبة تميلهم بثقلها كما يقال يذهب بالبوس
ويذهب البوس وذهبت به واذهبته وجئت به واجأته ونؤت به وانأته واختار هذا النحاس
وبه قال كثير من السلف وقيل هو ماخوذ من النأي وهو البعد وهو بعيد وقرئ لينوء بالتحتية
اي لينوء الواحد منها او المذكور فحمل على المعنى او التقدير حملها او ثقلها وقيل الضمير في مفاتحه
لقارون فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كقولهم ذهبت اهل اليمامة قاله الزمخشري



والمراد بالعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها البعض قيل هي من الثلاثة الى العشرة وقيل من العشرة الى الخمسة عشر وقيل ما بين العشرة الى العشرين وقيل من الخمسة الى العشرة وقيل اربعون وقيل سبعون وقيل غير ذلك قال ابن عباس لا ترفعها العصبة من الرجال اولى القوة والعصبة اربعون رجلا اذ قال له قومه لا تفرح اي اذكر والمراد بقومه هنا هم المؤمنون من بني اسرائيل وقال الفراء هو موسى وهو جمع اريد به الواحد والمعنى لا تبطر ولا تاشر ولا تمرح بكثرة المال ان الله لا يحب الفرحين البطرين الاشرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم قال الزجاج المعنى لا تفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يؤدي حقه وقيل المعنى لا تفسد قال الزجاج الفرحين والفارحين سواء وقال الفراء معنى الفرحين الذين هم في حال الفرح والفارحين الذين يفرحون في المستقبل و قال مجاهد معنى لا تفرح لا تبغ والفرحين الباغين وقيل معناه لا تبخل ان الله لا يحب الباخلين وقال ابن عباس الفرحين المرحين قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها وابتغ فيما آتاك الله اي واطلب فيما اعطاك الله من الاموال والثروة والغنا الدار الآخرة هي الجنة فانفقه فيما يرضاه الله كصدقة وصلة رحم واطعام جائع وكسوة عار ونفقة على محتاج لا في التجبر والبغي وقري واتبع ولا تنس نصيبك من الدنيا قال جمهور المفسرين وهو ان يعمل في دنياه لآخرته ونصيب الانسان عمره و عمله الصالح قال الزجاج معناه لا تنس ان تعمل لآخرتك لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته وقال الحسن وقتادة معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك اياه وهذا الصق بمعنى النظم القرآني وقال ابن عباس ان تعمل فيها لآخرتك وفسر بعضهم النصيب بالكفن وعليه قول الشاعر ؎ نصيبك مما تجمع الدهر كله رداآن تدرج فيهما وحنوط وفسره البيضاوي بما يحتاج اليه منها وفي الحديث اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وهو مرسل وهذا ما جرى عليه مجاهد وابن زيد وقيل معناه خذ ما كفاك من الدنيا واخرج الباقي وقيل امر ان يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه واحسن كما احسن الله اليك الكاف للتشبيه اي احسن احسانا كاحسان الله اليك والتعليل

اي احسن الى عباد الله بما انعم به عليك من نعم الدنيا لما امره بالاحسان بالمال امره ثانيا
بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وقيل اطع
الله واعبده كما انعم عليك ويؤيده ما ثبت في الصحيحين وغيرهما ان جبريل سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولا تبغ
الفساد في الارض اي لا تعمل فيها بمعاصي الله ان الله لا يحب المفسدين في الارض يعني انه
يعاقبهم قال انما اوتيته اي المال على علم عندي قال قارون هذه المقالة ردا على من
نصحه بما تقدم اي انما اعطيت ما اعطيت من المال لاجل علمي وليس تفضلا وهذا العلم الذي
جعله سببا لما ناله من الدنيا قيل هو علم التوراة وقيل علمه بوجوه المكاسب والزراعات وانواع
التجارات وقيل معرفة الكنوز والدفائن وقيل علم الكيميا وقيل المعنى ان الله اتاني هذه الكنوز على
علم منه باستحقاقي اياها لفضل علمه مني واختار هذا الزجاج وانكر ما عداه ثم رد الله عليه قوله
هذا فقال أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة و
اكثر جمعا للمال ولو كان المال او القوة يدلان على فضيلة لما اهلكهم الله وقيل القوة الآلات والجمع
الاعوان وهذا الكلام خارج مخرج التقريع والتوبيخ لقارون لانه قد قرأ التوراة وعلم علم القرون
واهلاك الله سبحانه لهم او سمعه من حفاظ التواريخ قاله الكرخي ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
اي لا يسألون سؤال استعتاب كما في قوله ولا هم يستعتبون وما هم من المعتبين وانما يسألون
سؤال تقريع وتوبيخ ويحاسبون ويشدد عليهم كما في قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وقال
مجاهد لا تسأل الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم فانهم يحشرون سود الوجوه
زرق العيون وقال قتادة لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها بل يدخلون النار
بغير سؤال وحساب وقيل لا يسأل مجرمو هذه الامة عن ذنوب الامم الخالية والمعنى يعترفون بها
بغير سؤال وقيل لا يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكميتها اذا اراد ان يعاقبهم قال ابن عادل
اليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب فخرج قارون وكان خروجه يوم السبت على قومه في
زينته اي باتباعه الكثيرين ركبانا متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية
قاله المحلي عن اوس بن اوس الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خرج على قومه في اربعة آلاف بغل اخرجه



ابن مردويه وقد روي عن جماعة من التابعين أقوال في بيان ما خرج به على قومه من الزينة
ولا يصح منها شيء مرفوعاً بل هي من أخبار أهل الكتاب كما عرفناك غير مرة ولا أدري كيف إسناد هذا
الحديث الذي رفعه ابن مردويه فمن ظفر بكتابه فلينظر فيه وقد ذكر المفسرون أيضاً في هذه
الزينة التي خرج فيها روايات مختلفة والمراد أنه خرج في زينة انبهر لها من رآها وهذا تمنى
الناظرون إليه أن يكون لهم مثلها كما حكى الله عنهم بقوله قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
اختلف في هؤلاء القائلين بهذه المقالة فقيل هم من مؤمني ذلك الوقت تمنوا الدنيا ليتقربوا إلى
الله تعالى ولينفقوه في سبيل الخير فتمنوا أمثاله لا عينه حذراً من الحسد وقيل هم قوم من الكفار
يا للتنبيه لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ في الدنيا إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ أي نصيب وبخت و
دولة وافرة من الدنيا وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بما وعد الله في الآخرة وهم أحبار بني إسرائيل
قالوا للذين تمنوا وَيْلَكُمْ كلمة زجر منصوبة بمقدر أي ألزمكم الله ويلكم قاله الزمخشري ومثله في التبيان
وأصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى ثَوَابُ اللَّهِ
في الآخرة بالجنة خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مما أوتي قارون في الدنيا لأن الثواب منافع عظيمة
خالصة عن شوائب المضار دائمة وهذه النعم على الضد في هذه الصفات فلا تتمنوا عرض الدنيا
الزائل الذي لا يدوم وهذا بيان للمفضل عليه وَلَا يُلَقَّاهَا أي هذه الكلمة التي تكلم بها الأحبار
وقيل الضمير يعود إلى الأعمال الصالحة وقيل إلى الجنة والمعنى لا يفهمها ويوقف عليها ويوفق للعمل
بها إِلَّا الصَّابِرُونَ على طاعة الله والمصبرون أنفسهم عن الشهوات الراضون بقضاء الله في كل
ما قسم من المنافع والمضار فَخَسَفْنَا بِهِ أي بقارون وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ يقال خسف المكان يخسف
خسوفاً ذهب في الأرض وخسف به الأرض خسفاً أي غاب به فيها والمعنى أن الله غيبه وغيب
داره في الأرض فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أي ما كان له جماعة يدفعون
عنه الخسف وَمَا كَانَ هو في نفسه مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ أي من المنتقمين من موسى أو من
الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع أخرج ابن أبي
شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال كان قارون
ابن عم موسى وكان يتبع العلم حتى جمع علماً فلم يزل في أمره ذلك حتى بغى على موسى وحسده

فقال له موسى ان الله امرني ان اخذ الزكوة فابى فقال ان موسى يريد ان ياكل اموالكم جاءكم
بالصلوة وجاءكم باشياء فاحتملتموها فتحملوه ان تعطوه اموالكم فقالوا لا نحتمل فما ترى فقال
لهم اري ان ارسل الى بغي من بغايا بني اسرائيل فنرسلها اليه فترميه بانه ارادها على نفسها
فارسلوا اليها فقالوا لها نعطيك حكمك على ان تشهدي على موسى انه فجر بك قالت نعم فجاء
قارون الى موسى فقال اجمع بني اسرائيل فاخبرهم بما امرك ربك قال نعم فجمعهم فقالوا له
ما امرك ربك قال امرني ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تصلوا الرحم وكذا وكذا وامرني
اذا زنى الرجل وقد احصن ان يرجم قالوا وان كنت انت قال نعم قالوا فانك قد زنيت قال
انا فارسلوا للمرأة فجاءت فقالوا ما تشهدين على موسى فقال لها موسى انشدك
بالله الا ما صدقت قالت اما اذ انشدتني بالله فانهم دعوني وجعلوا لي جعلا على ان اقذفك
بنفسي وانا اشهد انك بريء وانك رسول الله فخر موسى ساجدا يبكي فاوحى الله اليه ما
يبكيك قد سلطناك على الارض فمرها فتطيعك فرفع راسه فقال خذيهم فاخذتهم الى اعقابهم
فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى فقال خذيهم فاخذتهم الى ركبهم فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى
فقال خذيهم فاخذتهم الى اعناقهم فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى فقال خذيهم فاخذتهم
فغشيتهم فاوحى الله اليه يا موسى سألك عبادي وتضرعوا اليك فلم تجبهم وعزتي لو انهم
دعوني لاجبتهم قال ابن عباس وذلك قوله فخسفنا به وبداره الارض خسف به الى الارض
السفلى ذكره الخازن والقرطبي وغيرهما بالفاظ وعن النبي صلعم من لبس ثوبا جديدا فاختال
فيه خسف به من شفير جهنم فهو يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها لان قارون لبس جبة فاختال فيها
فخسف الله به الارض رواه الحارث بن اسحق من حديث ابن عباس وابي هريرة بسند ضعيف جدا
قال الحافظ في الفتح ان مقتضى هذا الحديث ان الارض لا تاكل جسده فيمكن ان يلغز ويقال لنا كافر
لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون ذكره ابن لقيمة والتجلجل السوخ في الارض والنزول فيها والتقصف
والجلجلة التحريك قيل اذا وصل قارون الى قرار الارض السابعة نفخ اسرافيل في الصور واصبح
اي صار الذين تمنوا مكانه اي منزلته ورتبته من الدنيا بالامس اي منذ زمان قريب ولم يرد
خصوص اليوم الذي قبل يومهم يقولون ويكان الله اي يقول كل واحد منهم متندما على ما

منه من التمني قال النحاس احسن ما قيل في هذا ما قاله الخليل وسيبويه ويونس والكسائي ان
القوم تنبهوا فقالوا وي والمتندم من العرب يقول في خلال ندمه وي قال الجوهري وي
كلمة تعجب ويقال ويك وقد تدخل وي على كأنّ المخففة والمشددة ويكأن الله قال الخليل
هي مفصولة القول وي ثم تبتدي فتقول كأنّ وقال الفراء هي كلمة تقريع كقولك اما ترى صنع
الله واحسانه وقيل هي كلمة تنبيه بمنزلة الا وقال قطرب انما هو ويلك فاسقطت لامه وقال
ابن الاعرابي والاخفش معنى ويك اعلم وقال القتيبي معناها بلغة حمير رحمة لك وقيل هي
بمعنى الم تر وروي عن الكسائي انه قال هي كلمة تفجع وقيل معناها اظن واقدر يبسط اي يوسع
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ويضيق على من يشاء والمعنى ليس الامر كما زعمنا من
ان البسط ينبئ عن الكرامة والقبض ينبئ عن الهوان بل كل منهما بمقتضى مشيته لولا ان منّ الله
علينا برحمته بعدم اعطاء ما تمنيناه وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي
لخسف بنا كما خسف به قرئ مبنيا للفاعل وللمفعول ويكأنه لا يفلح الكافرون اي لا يفوزون
بمطلب من مطالبهم تاكيد لما قبله تلك التي سمعت بخبرها وبلغك شأنها الدار الآخرة اي الجنة
والاشارة اليها لقصد التعظيم لها والتفخيم لشانها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
اي رفعة وتكبرا على المؤمنين وقيل ظلما وقيل استطالة على الناس وتهاونا بهم بالبغي ولا
فسادا اي عملا بمعاصي الله سبحانه فيها او قتل النفس والزنا والسرقة وشرب الخمر او دعاء الى عبادة غير
الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا
الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم
حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ
الفساد في الارض وذكر الفساد والعلو منكرين في حيز النفي يدل على شمولهما لكل ما يطلق
عليه انه فساد وانه علو من غير تخصيص بنوع خاص اما الفساد فظاهر انه لا يجوز شيء منه كائنا
ما كان واما العلو فالممنوع منه ما كان على طريقة التكبر على الغير والتطاول على الناس وليس منه
طلب العلو في الحق والرياسة في الدين ولا محبة اللباس الحسن والمركوب الحسن والمنزل الحسن عن
ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية قال التجبر في الارض والاخذ بغير الحق اخرجه المحاملي

والديلمي وروي مثله عن مسلم البطين وابن جرير وعكرمة وقال سعيد بن جبير بغيا او الاثم
وعن الحسن قال هو الشرف والعلو عند ذوي سلطانهم واقول ان كان ذلك للتقوي به على
الحق فهو من خصال الخير لا من خصال الشر وعن علي بن ابي طالب قال ان الرجل ليعجبه ان يكون
شسع نعله افضل من شسع نعل صاحبه فيدخل في هذه الاية قال ابن كثير في تفسيره
بعد ذكر هذه الرواية عن علي وهذا محمول على من احب ذلك لا لمجرد التجمل فهذا لا باس به فقد ثبت ان
رجلا قال يا رسول الله اني احب ان يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة افمن الكبر ذلك قال لا ان الله
جميل يحب الجمال وعن علي بن ابي طالب قال نزلت هذه الاية في اهل العدل والتواضع من الولاة
واهل القدرة من سائر الناس وعن ابن عباس مثله وعن عدي بن حاتم قال لما دخل
على النبي صلى الله عليه وسلم القى اليه وسادة فجلس على الارض فقال اشهد انك لا تبغي علوا في الارض
ولا فسادا فاسلم اخرجه ابن مردويه والعاقبة المحمودة للمتقين اي لمن اتقى عقاب الله باداء
اوامره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة من جاء يوم القيمة متصفا بالحسنة بان
كان من المؤمنين والحسنة ما يحمد فاعلها شرعا وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند
رؤيتها في القيامة والمراد الحسنة المقبولة الاصلية المعمولة للعبد او ما في حكمها كما لو تصدق عنه
غيره لا الماخوذة في نظير ظلامته كما لو ضرب زيد عمرا ضربة وكان لزيد حسنات موجودة فيوخذ
منها فيعطى لعمرو فهذه الحسنة لا تنسب لعمرو لا حقيقة ولا حكما فلا تضاعف له وخرج بالمعمولة
ما لو هم بحسنة فلم يعملها لمانع فانها تكتب له واحدة ويجازى عليها من غير تضعيف فله خير
منها وهو ان الله يجازيه بعشرة امثالها الى سبعمائة ضعف والتضعيف خاص بهذه الامة واما غير
هذه الامة من بقية الامم فلا تضعيف لهم والصواب دخول المضاعفة في حسنات العصاة ان
كانت على وجه صحيح اوله القبول بان يعملها على وجه لا رياء فيه ولا سمعة وعدم دخولها في اعمال الكفار
لانه لا يجتمع مع الكفر طاعة مقبولة ان لم يسلم والا فتكون كالمقبولة في الاسلام ولا تضاعف الحسنات
الحاصلة والتضعيف ومن جاء بالسيئة فلا يجزى معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات
موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة
الى قلوب السامعين والسيئة هي ما يذم فاعلها شرعا صغيرة كانت او كبيرة وسميت سيئة

لان فاعلها يساء بها عند المجازاة عليها الا مثل ما كانوا يعملون وحذف المثل واقيم مقامه
ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ومن فضله العظيم ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر
امثالها وبسبعمائة وقد تقدم بيان معنى هذه الاية في سورة النمل إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ
قال المفسرون اي انزل عليك وقال الزجاج فرض عليك العمل بما يوجبه القرآن وتقدير الكلام
فرض عليك احكام القرآن وفرائضه وقيل اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه عن علي
بن حسين بن واقد قال نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة حين خرج صلى الله
عليه وسلم مهاجرا الى المدينة فليست مكية ولا مدنية كما مر في اول السورة لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قال
جمهور المفسرين اي الى مكة وهذا اقرب التفاسير وبه قال ابن عباس كما اخرجه البخاري عنه وزاد
كما اخرجك منها قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وقال مجاهد وعكرمة و
الزهري والحسن ان المعنى لرادك الى يوم القيامة وهو اختيار الزجاج يقال بيني وبينك المعاد اي
يوم القيامة لان الناس يعودون فيه احياء وقال ابو مالك وابو صالح لرادك الى الجنة وبه قال ابو سعيد
الخدري وروي عن مجاهد وقيل الى معاد اي الى الموت قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وهو النبي
صلى الله عليه وسلم لانه الجائي به وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وهم المشركون وهذا جواب لكفار مكة لما
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك في ضلال والاولى حمل الاية على العموم وان الله سبحانه يعلم حال كل
طائفة من هاتين الطائفتين ويجازيها بما تستحقه من خير وشر وَمَا كُنْتَ قبل مجيء الرسالة اليك
تَرْجُو وتؤمل ان نرسلك الى العباد أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ فانزاله عليك لم يكن عن ميعاد ولا
عن طلب سابق منك وهذا تذكير له صلى الله عليه وسلم بالنعم والاستثناء في قوله إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ منقطع
اي لكن القاه عليك رحمة من ربك ويجوز ان يكون متصلا حملا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا لاجل الرحمة
من ربك والاول اولى وبه جزم الكسائي والفراء ثم امره الله بخمسة اشياء فقال فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ
اي عونا لهم وفيه تعريض بغيره من الامة وقيل المراد لا تكونن ظهيرا لهم بمداراتهم وَلَا يَصُدُّنَّكَ قرئ من
صده يصده ومن اصده بمعنى صده والمعنى لا يمنعنك يا محمد الكافرون واقوالهم وكذبهم واذاهم
عَنْ آيَاتِ اللَّهِ اي عن تلاوتها والعمل بها وتبليغها بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ اي بعد ان انزلها الله اليك
وفرضت عليك وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ اي الى الله والى توحيده والعمل بفرائضه واجتناب مناهيه

ولا تكونن من المشركين باعانتهم وفيه تعريض لغيره كما تقدم لانه صلى الله عليه وسلم لا يكون منهم
بحال من الاحوال ولكن اتى بقوله ولا تدع مع الله الها آخر فانه تعريض بغيره ثم وحد سبحانه
نفسه ووصفها بالبقاء والدوام فقال لا اله الا هو كل شيء من الاشياء كائنا ما كان هالك
في حد ذاته لان وجوده ليس ذاتيا بل لاستناده الى واجب الوجود فهي بالقوة وبالذات
معدوم حالا والمراد بالمعدوم ما ليس له وجود ذاتي لان وجوده كلا وجود واما حمل الهلاك
على المستقبل فكلام ظاهري قاله الشهاب الا وجهه اي الا ذاته قال الزجاج وجهه منصوب
على الاستثناء ولو كان في غير القرآن كان مرفوعا بمعنى كل شيء غير وجهه هالك وقضية
الاستثناء اطلاق الشيء على الله تعالى وهو الصحيح لان المستثنى داخل في المستثنى منه وانما عبر
على عادة العرب في التعبير بالاشرف عن الجملة ومن لم يطلقه عليه جعله متصلا ايضا وجعل
الوجه ما عمل لاجله سبحانه فان ثوابه باق قاله الكرخي واخرج ابن مردويه عن ابن عباس
قال لما نزلت كل من عليها فان قالت الملائكة هلك اهل الارض فلما نزلت كل نفس ذائقة الموت
قالت الملائكة هلك كل نفس فلما نزلت كل شيء هالك الا وجهه قالت الملائكة هلك اهل السماء
والارض وعنه قال الا ما اريد به وجهه والمستثنى من الهلاك والفناء ثمانية اشياء نظمها
السيوطي في قوله ثمانية حكم البقاء يعمها * من الخلق والباقون في حيز العدم * هي
العرش والكرسي ونار وجنة * وعجب وارواح كذا اللوح والقلم * له الحكم اي القضاء النافذ
يقضي بما شاء ويحكم بما اراد واليه اي الى جزائه لا الى غيره وحده ترجعون في جميع احوالكم
في الدنيا وعند البعث ليجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته لا الى غيره سبحانه وتعالى

سورة العنكبوت هي تسع وتسعون آية وهي مكية كلها

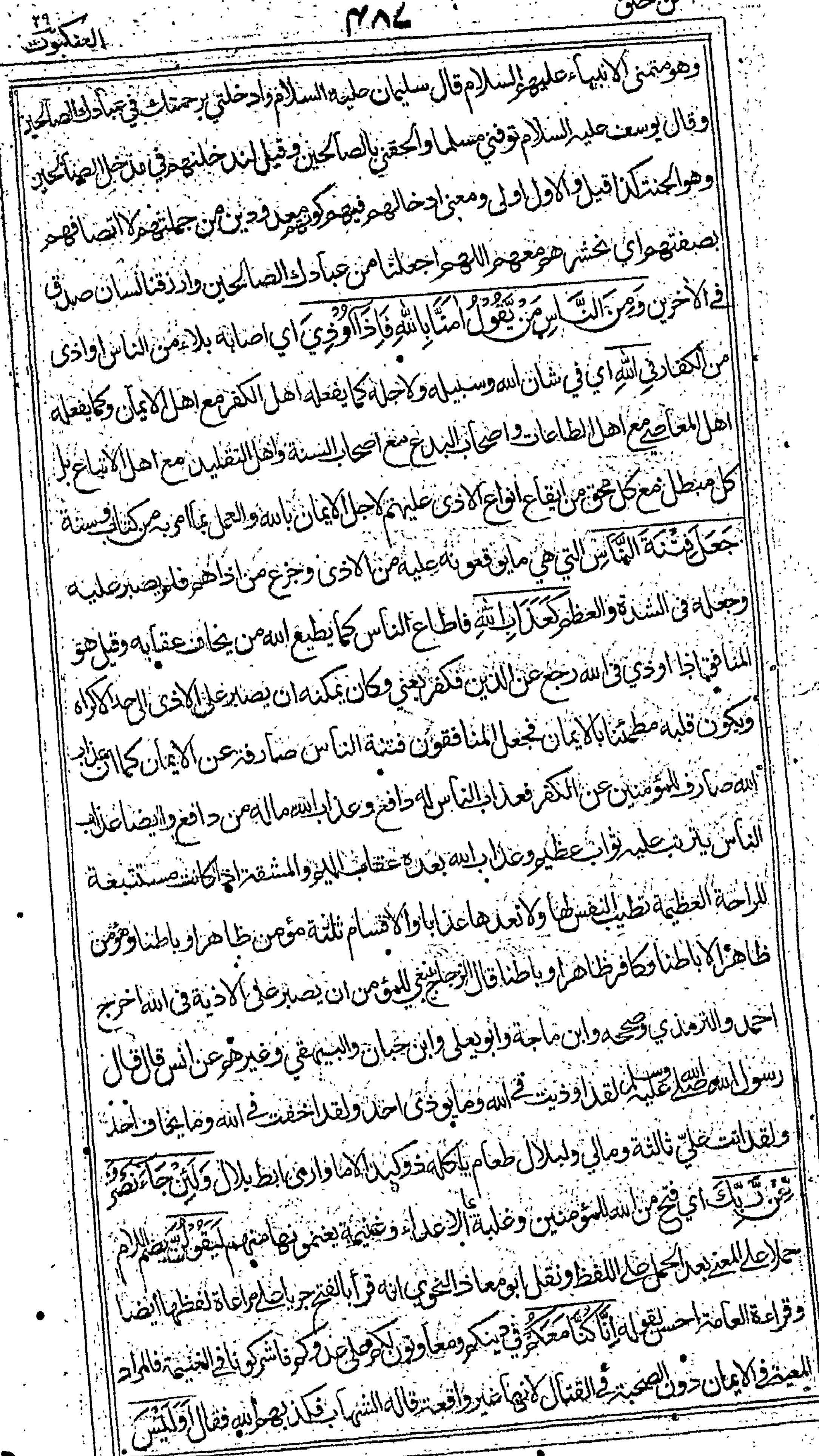
قال ابن عباس وابن الزبير والحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقيل انها مدنية كلها
وهو احد قولي ابن عباس وقتادة وهو قول يحيى بن سلام وعن علي بن ابي طالب انها
نزلت بين مكة والمدينة وهذا قول ثالث واخرج الدارقطني في السنن عن عائشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي في كسوف الشمس والقمر اربع ركعات واربع سجدات يقرأ في الركعة الاولى

العنكبوت في الروم وفي الثانية يس بسم الله الرحمن الرحيم الم الله اعلم بمراده به وقد تقدم
الكلام على فاتحة هذه السورة مستوفى في اول سورة البقرة أحسب الناس الاستفهام للتوبيخ
والتقريع او للتقرير والحسبان قوة احد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف
بينهما والعلم هو القطع على احدهما ولا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل أن
يتركوا ان يقولوا آمنا اي لان يقولوا او بان يقولوا او على ان يقولوا آمنا اي نطقوا بكلمة الشهادة
وهم لا يفتنون اي يتركون بغير اختبار ولا ابتلاء وليس الامر كما حسبوا بل لابد ان نختبرهم حتى يتبين
المخلص من المنافق والصادق من الكاذب والثابت في الدين من المضطرب فيه فالآية مسوقة
لانكار ذلك الحسبان واستبعاده وبيان انه لابد من الامتحان بانواع التكاليف وغيرها قال
الزجاج المعنى احسبوا ان نقنع منهم بان يقولوا انا مؤمنون فقط ولا يمتحنون بما يتبين به
حقيقة ايمانهم بل يمتحنون ليتميز الراسخ في الدين من غيره قال السدي وقتادة ومجاهد اي
لا يبتلون في اموالهم وانفسهم بالقتل والتعذيب وسيأتي في بيان سبب نزول هذه الآيات ما
يوضح معنى ما ذكرنا قال ابن عطية وهذه الآية وان كانت نازلة في سبب خاص فهي باقية في امة
محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقية الدهر وذلك ان الفتنة من الله باقية في ثغور المسلمين
بالاسر ونكاية العدو وغير ذلك والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان
والمهاجرة ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وانواع
المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم ليتبين لينالوا بالصبر عليها عوالي
الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب اخرج
عبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وغيرهم انها نزلت في ناس كانوا بمكة وقد اقروا بالاسلام فكتب
اليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لما نزلت آية الهجرة انه لا يقبل منكم اقرار ولا اسلام حتى
تهاجروا قال فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم فنزلت فيهم هذه الآية
فكتبوا اليهم انه قد انزل فيكم كذا وكذا فقالوا نخرج فان اتبعنا احد قاتلناه فخرجوا فاتبعهم المشركون
فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما
فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وعن قتادة نحوه باخصر منه

وقيل نزلت في عمار بن ياسر اذ كان يعذب في الله وعن ابن مسعود قال اول من اظهر الاسلام
سبعة رسول الله وابو بكر وسمية ام عمار وعمار وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله فمنعه الله
بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادرع الحديد
وصهروهم في الشمس فما منهم من احد الا وقد اتاهم على ما ارادوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه
في الله وهان على قومه فاخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول
احد احد ولقد فتنا الذين من قبلهم اي هذه سنة الله في عبادة قديمة جارية في الامم كلها
وانه يختبر مومني هذه الامة كما اختبر من قبلهم من الامم كما جاء به القرآن في غير موضع من
قصص الانبياء وما وقع لهم من قومهم من المحن وما اخبر الله به اتباعهم ومن امن بهم من تلك
الامور التي نزلت بهم فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل ومنهم من القي في النار ومنهم من مشط بامشاط الحديد ما يصرفه ذلك
عن دينه وابتلي بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب والمقصود التنبيه على
خطئهم في هذا الحسبان والمعنى احسبوا ذلك وقد علموا انه خلاف سنة الله ولن تجد لسنة
الله تحويلا فليعلمن الله الذين صدقوا في قولهم امنا علم مشاهدة وليعلمن الكاذبين منهم في
ذلك اي ليظهر الله الصادق والكاذب في قولهم ويميز بينهم والمعنى انه يعلم الطائفتين في الاخرة
بمنازلهم ويعلم الناس بصدق من صدق ويفضح الكاذبين بكذبهم او يضع لكل طائفة علامة
تشتهر بها وتتميز عن غيرها وقيل ان اثارا فعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع واتى
بصيغة الفعل في صدقوا وباسم الفاعل في الكاذبين لان اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر
في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه لان وقت نزول الاية كانت الحكاية عن قوم
قريبي العهد بالاسلام وعن قوم مستمرين على الكفر فعبر في حق الاولين بلفظ الفعل وفي حق
الاخرين بالصيغة الدالة على الثبات قاله زاده ام حسب الذين يعملون السيئات اي الشرك
والمعاصي ان يسبقونا اي ان يفوتونا فلا ننتقم منهم ويعجزونا قبل ان نؤاخذهم بما يعملون وام
هي المنقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه
لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه وقالوا الاول في المؤمنين وهذا في الكافرين
المشركين ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا وقال الزجاج ما في موضع نصب بمعنى

ساء شيئا او حكما يحكمون قال ويجوز ان تكون ما في موضع رفع بمعنى ساء الشيء او الحكم حكمهم وقال
ابن كيسان ساء حكما حكمهم من كان يرجو لقاء الله الرجاء بمعنى الطمع قاله سعيد بن جبير وقيل الرجاء
هنا بمعنى الخوف قال القرطبي واجمع اهل التفسير على ان المعنى من كان يخاف الموت وقيل البعث
والحساب قال الزجاج اي ثواب المصير اليه تعالى فالرجاء على هذا معناه الامل ومن موصولة او شرطية
والجزاء قوله فان اجل الله والراجح انه ليس بجزاء لان اجله جاء لا محالة من غير تقييد بشرط لانه
لو كان جواب الشرط لزم ان من لا يرجوه لا يكون اجل الله اتيا له بل الجواب محذوف اي فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والمعنى من كان يرجو ويطمع لقاء الله فان اجله المضروب للبعث و
الثواب والعقاب لآت اي لجاء لا محالة قال مقاتل يعني يوم القيامة وفي الاية من الوعد والوعيد
والترهيب والترغيب ما لا يخفى وهو السميع لاقوال عباده العليم بما يسرونه وما يعلنونه ومن
جاهد الكفار وجاهد نفسه بالصبر على الطاعات او جاهد الشيطان بدفع وساوسه فانما
يجاهد لنفسه اي ثواب ذلك له لا لغيره ولا يرجع الى الله سبحانه من نفع ذلك شيء وهذا بحكم
الوعد لا بحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى فالحصر اضافي فلا يقال كيف يستقيم الحصر مع
ان جهاد الشخص قد ينتفع به غيره كما ينتفع الاباء بصلاح الاولاد وينتفع من سن سنة حسنة
بفعل من استن بها وقيل المعنى ومن جاهد عدوه لنفسه لا يريد بذلك وجه الله فليس لله حاجة
بجهاده والاول اولى وفيه بشارة وتخويف ان الله لغني عن العالمين من الانس والجن والملائكة
فلا يحتاج الى طاعاتهم كما لا تضره معاصيهم وانما امر ونهى رحمة لعباده والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اي لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذهاب
السيئة بالحسنة والمراد بالسيئة الشرك والمعاصي وتكفيرها هو الايمان والتوبة والاية تستدعي
وجود السيئات حتى تكفر والوجه فيه انه ما من مكلف الا وله سيئة اما غير الانبياء فظاهر و
اما الانبياء فلان ترك الافضل منهم كالسيئة من غيرهم ولهذا قال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي باحسن جزاء اعمالهم وقيل جزاء احسن اعمالهم
وقيل بثواب احسن قيل المراد باحسن مجرد الوصف لا التفضيل لئلا يكون جزاؤهم بالحسن مسكوتا
عنه وهذا ليس بشيء لانه من باب الاولى فانه اذا جازاهم بالاحسن جازاهم بما دونه فهو من التنبيه على الادنى

بالاعلى وقيل معناه نعطيهم اكثر مما عملوا واحسن منه كما في قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي ايصاء حسنا على المبالغة قاله الكواشي او ذا حسن وهو
مذهب البصريين او ان يفعل حسنا قاله الكوفيون قال الزجاج ان يفعل بوالديه ما يحسن وقيل
وصيناه امرا ذا حسن وقيل الزمناه حسنا وقيل وصيناه بحسن وقيل يحسن حسنا ومعنى
الآية التوصية للانسان بوالديه بالبر بهما والعطف عليهما والاحسان اليهما بكل ما يمكنه من وجوه
الاحسان فيشمل ذلك اعطاء المال والخدمة ولين القول وعدم المخالفة لهما وغير ذلك قرئ
حسنا بضم الحاء واسكان السين وبفتحهما وقرئ احسانا وكذا في مصحف ابي وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم اي ان طلبا منك والزماك ان تشرك بي الها ليس لك علم بكونه الها
وفي سورة لقمان على ان تشرك بي لان ما هنا وافق ما قبله لفظا وهو من جاهد فانما يجاهد لنفسه وما
هناك محمول على المعنى لان التقدير وان حملاك على ان تشرك قاله الكرماني فلا تطعهما في الاشراك
وعبر بنفي العلم عن نفي الاله لان ما لم يعلم صحته لا يجوز اتباعه فكيف بما علم بطلانه واذا لم تجز طاعة
الابوين في هذا المطلب مع المجاهدة منهما له فعدم جوازها مع مجرد الطلب بدون مجاهدة منهما اولى
ويلحق بطلب الشرك منهما سائر معاصي الله سبحانه فلا طاعة لهما فيما هو معصية الله كما صح ذلك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن سعد بن ابي وقاص قال قالت امي لا آكل
طعاما ولا اشرب شرابا حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يشجرون
فاها بالعصي فنزلت هذه الآية الى قوله فلا تطعهما واخرجه ايضا الترمذي من حديثه وقال
نزلت في اربع آيات وذكر نحو هذه القصة وقال حسن صحيح وقد اخرج هذا الحديث احمد ومسلم
وابو داود والنسائي ايضا قال القرطبي فلم يطعها سعد وقال لها والله لو كان لك مائة نفس
فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم فان شئت فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما رأت ذلك اكلت
قال الكرخي هذا وما في لقمان والاحقاف نزل في سعد بن ابي وقاص الي مرجعكم فانبئكم بما
كنتم تعملون اي اخبركم بصالح اعمالكم وطالحها فاجازي كلا منكم بما يستحقه وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير
من متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح وهو من ابلغ صفات المؤمنين



وهو منتهى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين وقيل لندخلنهم في مدخل الصالحين
وهو الجنة كذا قيل والاول اولى ومعنى ادخالهم فيهم كونهم معدودين من جملتهم لاتصافهم
بصفتهم اي نحشرهم معهم اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين وارزقنا لسان صدق
في الآخرين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي اي اصابه بلاء من الناس او اذى
من الكفار في الله اي في شان الله وسبيله ولاجله كما يفعله اهل الكفر مع اهل الايمان وكما يفعله
اهل المعاصي مع اهل الطاعات واصحاب البدع مع اصحاب السنة واهل التقليد مع اهل الاتباع بل
كل مبطل مع كل محق من ايقاع انواع الاذى عليهم لاجل الايمان بالله والعمل بما امر به من كتاب وسنة
جعل فتنة الناس التي هي ما يوقعونه عليه من الاذى وجزع من اذاهم فلم يصبر عليه
وجعله في الشدة والعظم كعذاب الله فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عقابه وقيل هو
المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين فكفر يعني وكان يمكنه ان يصابر على الاذى الى حد الاكراه
ويكون قلبه مطمئنا بالايمان فجعل المنافقون فتنة الناس صارفة عن الايمان كما ان عذاب
الله صارف للمؤمنين عن الكفر فعذاب الناس له دافع وعذاب الله ما له من دافع وايضا عذاب
الناس يترتب عليه ثواب عظيم وعذاب الله بعده عقاب اليم والمشقة اذا كانت مستتبعة
للراحة العظيمة تطيب النفس بها ولا تعدها عذابا والاقسام ثلاثة مؤمن ظاهرا وباطنا ومؤمن
ظاهرا لا باطنا وكافر ظاهرا وباطنا قال الزجاج ينبغي للمؤمن ان يصبر على الاذية في الله اخرج
احمد والترمذي وصححه وابن ماجة وابو يعلى وابن حبان والبيهقي وغيرهم عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوذيت في الله وما يؤذى احد ولقد اخفت في الله وما يخاف احد
ولقد اتت علي ثالثة ومالي ولبلال طعام ياكله ذو كبد الا ما وارى ابط بلال ولئن جاء نصر
من ربك اي فتح من الله للمؤمنين وغلبة على الاعداء وغنيمة يغنمونها منهم ليقولن بضم اللام
حملا على المعنى بعد الحمل على اللفظ ونقل ابو معاذ النحوي انه قرأ بالفتح جريا على مراعاة لفظها ايضا
وقراءة العامة احسن لقوله انا كنا معكم في دينكم ومعاونين لكم على عدوكم فاشركونا في الغنيمة فالمراد
المعية في الايمان دون الصحبة في القتال لانها غير واقعة قاله الشهاب فكذبهم الله فقال اوليس

الله باعلم بما في صدور العالمين من الايمان والنفاق اي هو سبحانه اعلم بما فيها من خير وشر
كيف يدعون هذه الدعاوى الكاذبة وهؤلاء هم قوم ممن كان في ايمانهم ضعف كانوا اذا
مسهم الاذى من الكفار وافقوهم واذا ظهرت قوة الاسلام ونصر الله المؤمنين في موطن من
المواطن قالوا انا كنا معكم وقيل المراد بهذا وما قبله المنافقون قال مجاهد نزلت في ناس كانوا
يؤمنون بالله بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الله او مصيبة في انفسهم افتتنوا وقال الضحاك نزلت
في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك وقيل نزلت في الذين اخرجهم
المشركون معهم الى بدر والظاهر ان هذا النظم من قوله ومن الناس من يقول الى قوله وقال الذين
كفروا نازل في المنافقين لما يظهر من السياق ولقوله وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم اي
صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلاء وليعلمن المنافقين بترك الايمان عند البلاء فانه
لتقرير ما قبله وتاكيده واللام في الفعلين لام قسم اي والله ليميزن الله بين الطائفتين ويظهر
اخلاص المخلصين ونفاق المنافقين فيجازي الفريقين فالمخلص الذي لا يتزلزل بما يصيبه من الاذى
ويصبر في الله حق الصبر ولا يجعل فتنة الناس كعذاب الله والمنافق الذي يميل هكذا وهكذا فان
اصابه اذى من الكافرين وافقهم وتابعهم وكفر بالله عز وجل وان خفقت ريح الاسلام وطلع
نصره ولاح فتحه رجع الى الاسلام وزعم انه من المسلمين وتغيير الاسلوب حيث عبر في الاول بالفعل
وفي الثاني باسم الفاعل تفنن لرعاية الفاصلة قيل هذه الآيات العشر من اول السورة الى ههنا
مدنية وباقي السورة مكي قاله يحيى بن سلام وقال الذين كفروا من اهل مكة كابي سفيان
واتباعه للذين آمنوا اللام لام التبليغ اي قالوا مخاطبين لهم كما سبق بيانه في غير موضع اي
قالوا لهم اتبعوا سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا وادخلوا في ديننا ولنحمل خطاياكم اي ان كان اتباع
سبيلنا خطيئة تؤاخذون بها عند البعث والنشور كما يقولون فلنحمل ذلك عنكم فنؤاخذ بها دونكم
قال مقاتل يعني قولهم نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله واللام في لنحمل لام الامر كانهم امروا
انفسهم بذلك وقال الزمخشري الامر بمعنى الخبر وقرئ بكسر اللام وهو لغة الحجاز ثم رد عليهم بقوله
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء من الاولى بيانية والثانية مزيدة للاستغراق اي وما
هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا بها وضمنوا لهم حملها ثم وصفهم الله سبحانه بالكذب

في هذا التحمل فقال إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما ضمنوا به من حمل خطاياهم قال المهدوي هذا التكذيب
لهم من الله عز وجل حمل على المعنى لأن المعنى إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فلما كان الأمر يرجع في
المعنى إلى الخبر أوقع عليه التكذيب كما يوقع على الخبر وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ أي أوزارهم التي عملوها و
التعبير عنها بالأثقال للإيذان بأنها ذنوب عظيمة وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ أي أوزاراً مع أوزارهم
وهي أوزار من أضلوهم وأخرجوهم عن الهدى إلى الضلالة ومثله قوله سبحانه ليحملوا أوزارهم
كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ومثله قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة
سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها كما في حديث أبي هريرة الثابت في صحيح مسلم وغيره
وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سؤال تقريع وتوبيخ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ أي يختلقونه من الأكاذيب
والأباطيل التي كانوا يأتون بها في الدنيا وأضلوهم بها ومن جملتها هذا الوعد وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
إِلَى قَوْمِهِ وعمره أربعون سنة أو أكثر وبينه وبين آدم ألف سنة أجمل سبحانه قصة نوح تصديقاً
لقوله في أول السورة ولقد فتنا الذين من قبلهم فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فيه
تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم كأنه قيل له إن نوحاً لبث هذه المدة والعدد الكثير يدعو قومه ولم يؤمن
منهم إلا قليل فصبر وما ضجر فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك قيل ووقع
في النظم إلا خمسين عاماً ولم يقل تسعمائة سنة وخمسين لأن في الاستثناء تحقيق العدد
بخلاف الثاني فقد يطلق على ما يقرب منه وذكر الألف لتفخيم وأوصل إلى الغرض وجيء بالمميز أولاً بالسنة
ثم بالعام لأن تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في المبالغة ثم إنه خص لفظ العام بالخمسين
إيذاناً بأن نبي الله لما استراح منهم بقي في زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب
بالسنة وقد اختلف في مقدار عمر نوح عليه السلام وليس في الآية إلا أنه لبث فيهم هذه المدة وهي
لا تدل على أنها جميع عمره فقد تلبث في غيرهم قبل اللبث فيهم وقد تلبث في الأرض من بعد
هلاكهم بالطوفان فقال ابن عباس بعث الله نوحاً وهو ابن أربعين سنة ولبث في قومه ألف
سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس و
فشوا وعن عكرمة قال كان عمر نوح قبل أن يبعث إلى قومه وبعد ما بعث ألفاً وسبعمائة سنة
وعن عوف بن شداد قال أن الله أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فلبث فيهم

ع ١٣

الف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة وقال ابو السعود عاش
نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين وعن انس بن مالك
قال جاء ملك الموت الى نوح فقال يا اطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل
بيتا له بابان فقال في وسط البيت هنيهة ثم خرج من الباب الاخر فاخذهم الطوفان اي الماء الكثير
طاف بهم وعلاهم فغرقوا وارتفع على اعلى جبل اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر حتى غرق كل شيء
غير من في السفينة والفاء للتعقيب اي اخذهم عقب تمام المدة المذكورة والطوفان يقال لكل شيء كثير
مطيف بجمع محيط بهم من مطر او قتل او موت قال النحاس وقال سعيد بن جبير وقتادة والسدي هو
المطر وقال الضحاك الغرق وقيل الموت قال الشهاب ولكنه غلب في الماء كما هو المراد هنا وهم ظالمون
اي مستمرون على الظلم والشرك ولم ينجع فيهم ما وعظهم به نوح وذكرهم هذه المدة بطولها فانجيناه
واصحاب السفينة اي انجينا نوحا وانجينا من معه في السفينة من اولاده واتباعه واختلف
في عددهم على اقوال قيل كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وجعلناها اي السفينة اية للعالمين اي عبرة عظيمة لهم
ولمن بعدهم من الناس ان عصوا رسولهم وفي كونها اية وجوه احدها انها كانت باقية على الجودي
مدة مديدة كذا قال قتادة وثانيها ان الله سلم السفينة بان الله جعلها اية وقيل ان الضمير راجع
في جعلناها الى الواقعة او القصة او الحادثة او الى النجاة او الى العقوبة بالغرق وابراهيم انتصابه
بالعطف على نوحا وقال الكسائي هو معطوف على الهاء في جعلناها وقيل منصوب بمقدر اي واذكر و
قرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة رضي الله تعالى عنهما وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم اذ قال منصوب على الظرفية
اي وارسلنا ابراهيم وقت قوله او وجعلنا ابراهيم اية وقت قوله او واذكر ابراهيم وقت قوله
لقومه اعبدوا الله اي اطيعوه وافردوه بالعبادة وخصوه بها ووحدوه وفيه اشارة الى اثبات
الالهية واتقوه ان تشركوا به شيئا وفيه اشارة الى نفي الغير لان من يشرك مع الملك غيره في ملكه
فقد اتى باعظم الجرائم وقيل اعبدوا الله اشارة الى الاتيان بالواجبات وقوله اتقوه اشارة الى الامتناع
من المحرمات ويدخل في الاول الاعتراف بالله وفي الثاني الامتناع من الشرك ذلكم اي عبادة الله
وتقواه خير لكم من الشرك ولا خير في الشرك ابدا ولكنه خاطبهم باعتبار اعتقادهم وقيل خير



وهو الحشر وهذه الاصول الثلثة لا ينفك بعضها عن بعض في الذكر الالهي فقال أَوَلَمْ يَرَوْا

كَيْفَ يُبْدِئُ اللّٰهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قرئ بالتحتية على الخبر قال ابو عبيد كانه قال اولم ير الامم وقرئ

بالفوقية على الخطاب من ابراهيم لقومه وقيل هو خطاب من الله لقريش وقرئ يبدئ من ابدى

يبدي ومن بدى يبدئ وقرئ كيف بدأ والمعنى الم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة ثم علقة

ثم مضغة ثم ينفخ فيهم الروح ثم يخرجهم الى الدنيا ثم يتوفاهم بعد ذلك ثم هو يعيدهم كما بدأهم

وكذلك سائر الحيوانات وسائر النباتات فاذا رأيتم قدرة الله سبحانه على الابتداء والايجاد فهو

القادر على الاعادة والهمزة لانكار عدم رؤيتهم والواو للعطف على مقدر والمراد بالرؤية العلم

الواضح الذي هو كالرؤية والعاقل يعلم ان البدأ من الله لان الخلق الاول لا يكون من مخلوق والا

لما كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله إِنَّ ذٰلِكَ اي الخلق الاول والثاني عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ لانه

اذا اراد امرا قال له كن فيكون فكيف ينكرون الثاني ثم امر سبحانه ابراهيم ان يأمر قومه بالسير في الارض

ليتفكروا ويعتبروا فقال قُلْ لمنكري البعث سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ على

كثرتهم واختلاف الوانهم وطبائعهم والسنتهم وانظروا الى مساكن القرون الماضية والامم الخالية

وآثارهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله فان من قدر على انشائها بدأ يقدر على اعادتها وقيل ان

المعنى قل لهم يا محمد سيروا ومعنى قوله ثُمَّ اللّٰهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ان الله الذي بدأ النشأة

الاولى وخلقها على تلك الكيفية ينشئها نشأة ثانية عند البعث اي فكما لم يتعذر عليه احداثهم

مبديا كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا وهذا دليل على انهما نشأتان وان

كل واحد منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير ان الآخرة انشاء

بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والجملة عطف على جملة سيروا في الارض داخلة معها في

حيز القول قال ابن عباس النشأة الآخرة هي الحيوة بعد الموت وهو النشور وقرئ النشأة بالقصر

وسكون الشين وبالمد وفتح الشين وهما لغتان كالرأفة والرآفة وهي منتصبة على المصدرية بحذف

الزوائد والاصل الانشاءة او على حذف العامل اي ينشئ فتنشأون النشأة إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

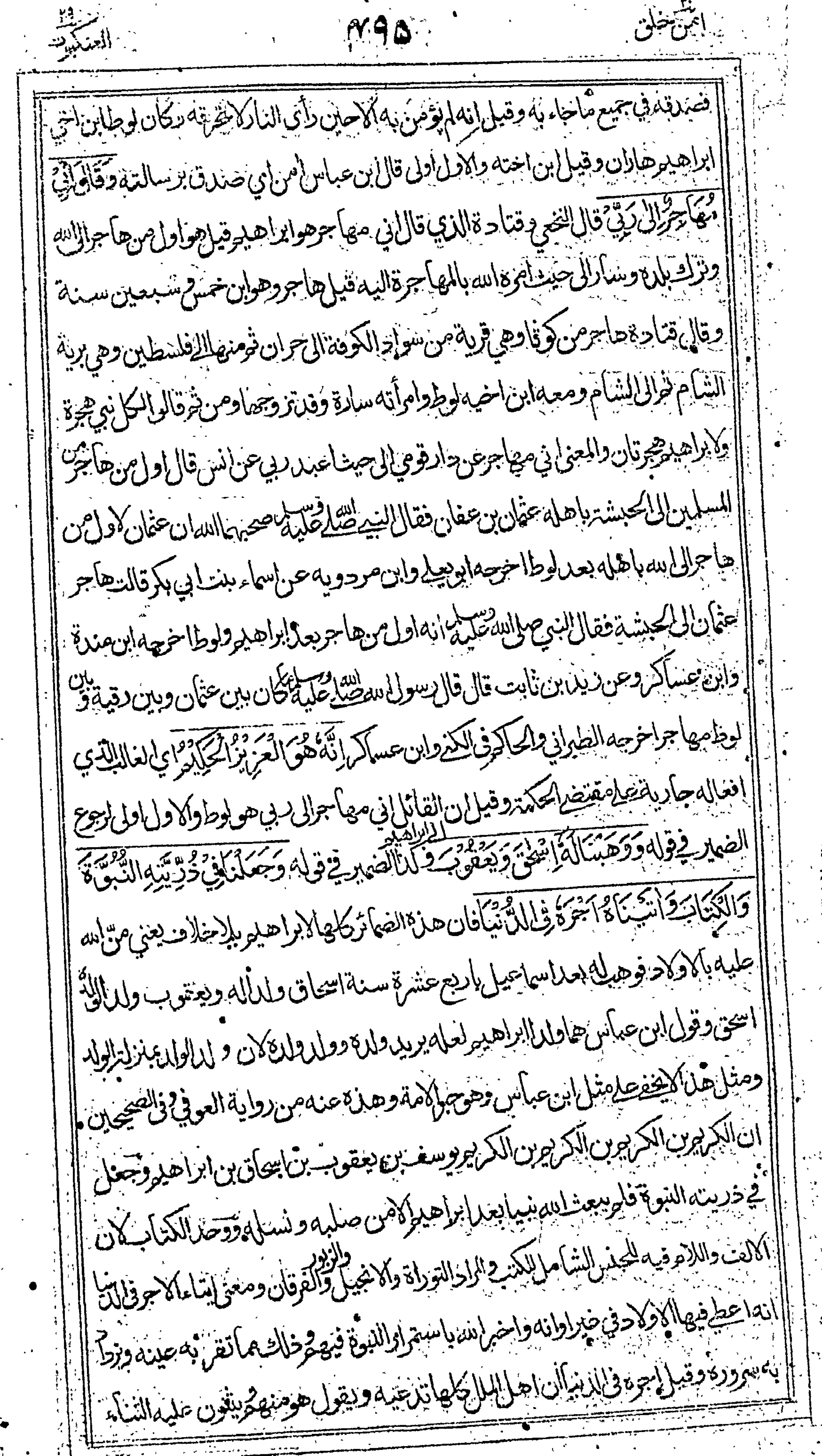
من البداءة والاعادة قَدِيرٌ والجملة تعليل لما قبلها يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ تعذيبه بعد النشأة

الآخرة بالخذلان وهم الكفار والعصاة وَيَرْحَمُ بالهداية مَنْ يَشَاءُ رحمته وهم المؤمنون به

المصدقون لرسله العاملون بأوامره ونواهيه أو المعنى يعذب بالحرص ويرحم بالقناعة أو
بسوء الخلق وحسنه أو بالإعراض عن الله والإقبال عليه أو بمتابعة البدع وبملازمة السنة وقدم
التعذيب في الذكر على الرحمة مع أن رحمته سابقة لأن السابق ذكر الكفار فذكر العذاب أولا لسبق
ذكر مستحقيه (وإليه) لا إلى غيره (تقلبون) أي ترجعون وتردون (وما أنتم) الخطاب لبني آدم من أهل
الأرض وليس في وسعهم الهرب في السماء (بمعجزين) ربكم عن إدراككم (في الأرض) الفسيحة (ولا في السماء)
التي هي أفسح منها قال الفراء ولا من في السماء بمعجزين الله فيها قال وهو كما في قول حسان ~ فمن يهجو رسول
الله منكم + ويمدحه وينصره سواء + أي ومن يمدحه وينصره سواء ومثله قوله تعالى وما منا إلا
له مقام معلوم أي إلا من له مقام معلوم والمعنى أنه لا يعجزه سبحانه أهل الأرض في الأرض ولا أهل
السماء في السماء إن عصوه وقال قطرب إن معنى الآية ولا في السماء لو كنتم فيها كما تقول لا يفوتني
فلان ههنا ولا بالبصرة يعني ولا بالبصرة لو صار إليها وقال المبرد المعنى ولا من في السماء على أن من
ليست موصولة بل نكرة وفي السماء صفة لها فأقيمت مقام الموصوف ورده الأخفش ورجح ما
قاله قطرب في المقصود بيان امتناع الفوات على جميع التقادير ممكنا كان أو مستحيلا وهذا إن حملت
الأرض والسماء على المشهور من معناهما ويجوز أن يراد بهما جهة السفل وجهة العلو وقال
هنا في الأرض ولا في السماء واقتصر في شورى على الأرض لأن ما هنا خطاب لقوم فيهم النمرود الذي
حاول الصعود إلى السماء وقد حذفا معا للاختصار في قوله في الزمر وما هم بمعجزين (وما لكم من
دون الله) أي غيره (من ولي ولا نصير) من مزيدة للتأكيد أي ليس له ولي يواليه ولا نصير ينصره
ويدفع عنه عذاب الله (والذين كفروا بآيات الله) أي التنزيلية أو التكوينية أو جميعهما
(ولقائه) أي أنكروا البعث وما بعده ولم يعملوا بما أخبرتهم به رسل الله سبحانه والإشارة بقوله
(أولئك) إلى الكافرين بالآيات واللقاء (يئسوا من رحمتي) في الدنيا ولم ينجع فيهم ما نزل من كتب الله
ولا ما أخبرتهم به رسله وقيل المعنى أنهم يائسون يوم القيامة من رحمة الله وهي الجنة وصيغة
الماضي للدلالة على تحقق وقوعه وإضافة الرحمة إلى نفسه ولم يضف العذاب إليها لسبق رحمته
وإعلاما لعباده بعموم مكارمه (وأولئك لهم عذاب أليم) تكرير الإشارة للتأكيد ووصف العذاب
بكونه أليما للدلالة على أنه في غاية الشدة وهذه الآيات في تذكير أهل مكة (فما كان

ع ٩

جواب قومه الا ان قالوا ارجع الى خطاب ابراهيم بعد الاعتراض عما تقدم من خطاب محمد
صلى الله عليه وسلم على قول من قال ان قوله قل سيروا في الارض خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم واما على قول
من قال انه خطاب لابراهيم عليه السلام فالكلام في سياقه سابقا ولاحقا اي قال بعضهم لبعض
عند المشاورة بينهم لا تجيبوا عن براهينه الثلاثة الدالة على الاصول وهي التوحيد والنبوة
والحشر وافعلوا بابراهيم احد الامرين اقتلوه بالسيف او نحوه فتستريحوا منه عاجلا او حرقوه
بالنار فاما ان يرجع الى دينكم اذا اوجعته النار واما ان يموت بها اذا اصر على قوله ودينه وانما
اجابوا بذلك لعدم قدرتهم على الجواب الصحيح ثم اتفقوا على تحريقه فقذفوه في النار فانجاه الله
من النار بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار وذلك لذهاب
حرها ان في ذلك اي في انجاء الله لابراهيم بعد القائه في النار لآيات اي دلالات واضحة وعلامات
ظاهرة على عظيم قدرة الله وبديع صنعه حيث اضرموا تلك النار العظيمة والقوه فيها ولم تحرقه
ولا اثرت فيه اثرا بل صارت الى حالة مخالفة لما هو شان عنصرها من الحرارة والاحراق قال
المحلي هي عدم تاثيرها فيه واخمادها وانشاء روض مكانها في زمن يسير انتهى اي مقدار طرفة
عين بحيث انها لم توجد ولكن احرقت وثاقه لينحل لقوم يؤمنون اي يصدقون بتوحيد الله و
قدرته وانما خص المؤمنين لانهم الذين يعتبرون بآيات الله سبحانه وينتفعون بها واما
من عداهم فهم عن ذلك غافلون وقال ابراهيم لقومه بعد الانجاء من النار ولم يحصل له منهم
رعب ولا مهابة انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم اي للتودد بينكم والتواصل
لاجتماعكم على عبادتها او للخشية من ذهاب المودة فيما بينكم ان تركتم عبادتها قرئ برفع مودة و
اضافتها الى بينكم وبالنصب منونة ونصب بينكم على الظرفية في الحيوة الدنيا اي ثم تنقطع ولا
تنفع في الآخرة ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض اي يكفر بعض هؤلاء المتخذين الاوثان
العابدين لها بالبعض الآخر منهم فيتبرأ القادة من الاتباع والاتباع من القادة وقيل المعنى
يتبرأ العابدون للاوثان من الاوثان والاوثان من العابدين لها يقولون لا نعرفكم ويلعن
بعضكم بعضا اي كل فريق الآخر على التفسيرين المذكورين ومأويكم النار اي ماوى الكفار جميعا
وقيل يدخل في ذلك الاوثان وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها بنصرهم لكم فآمن له اي لابراهيم لوط



فصدقه في جميع ما جاء به وقيل انه لم يؤمن به الا حين رأى النار لا تحرقه وكان لوط ابن اخي
ابراهيم هاران وقيل ابن اخته والاول اولى قال ابن عباس آمن اي صدق برسالته وقال اني
مهاجر الى ربي قال النخعي وقتادة الذي قال اني مهاجر هو ابراهيم قيل هو اول من هاجر الى الله
وترك بلده وسار الى حيث امره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة
وقال قتادة هاجر من كوثا وهي قرية من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهي برية
الشام ثم الى الشام ومعه ابن اخيه لوط وامرأته سارة وقد تزوجها ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة
ولابراهيم هجرتان والمعنى اني مهاجر عن دار قومي الى حيث اعبد ربي عن انس قال اول من هاجر من
المسلمين الى الحبشة باهله عثمان بن عفان فقال النبي صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لاول من
هاجر الى الله باهله بعد لوط اخرجه ابو يعلى وابن مردويه عن اسماء بنت ابي بكر قالت هاجر
عثمان الى الحبشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه اول من هاجر بعد ابراهيم ولوط اخرجه ابن منده
وابن عساكر وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين عثمان وبين رقية وبين
لوط مهاجر اخرجه الطبراني والحاكم في الكنى وابن عساكر انه هو العزيز الحكيم اي الغالب الذي
افعاله جارية على مقتضى الحكمة وقيل ان القائل اني مهاجر الى ربي هو لوط والاول اولى لرجوع
الضمير في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وكذا الضمير الى ابراهيم في قوله وجعلنا في ذريته النبوة
والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا فان هذه الضمائر كلها لابراهيم بلا خلاف يعني من الله
عليه بالاولاد فوهب له بعد اسماعيل باربع عشرة سنة اسحاق ولد له ويعقوب ولد الى اللّه
اسحق وقول ابن عباس هما ولدا ابراهيم لعله يريد ولده وولد ولده لان ولد الولد بمنزلة الولد
ومثل هذا لا يخفى على مثل ابن عباس وهو حبر الامة وهذه عنه من رواية العوفي وفي الصحيحين
ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وجعل
في ذريته النبوة فلم يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الا من صلبه ونسله ووحد الكتاب لان
الالف واللام فيه للجنس الشامل للكتب والمراد التوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعنى ايتاء الاجر في الدنيا
انه اعطى فيها الاولاد في خير اوانه واخبر الله باستمرار النبوة فيهم وذلك مما تقر به عينه ويزداد
به سروره وقيل اجره في الدنيا ان اهل الملل كلها تدعيه ويقول هو منهم ويثنون عليه الثناء

الحسن ويذكره أهل الإسلام في آخر كل تشهد إلى آخر الدهر وقيل عطاه في الدنيا عملا صالحا
وعاقبة حسنة وفيه دليل على أن الله تعالى قد يعطي الأجر في الدنيا وعن ابن عباس قال إن
الله وصى أهل الأديان بدينه فليس من أهل الأديان دين إلا وهم يقولون إبراهيم ويرضون به
وقال أجر الدنيا الذكر الحسن وقال أيضا الولد الصالح والثناء **وإنه في الآخرة لمن الصالحين** أي
الكاملين في الصلاح المستحقين لتوفير الأجرة وكثرة العطاء والفوز بالدرجات العلى من الرب
سبحانه **و**اذكر **لوطا** وقال الكسائي المعنى وأنجينا لوطا أو أرسلنا لوطا **إذ قال لقومه إنكم
لتأتون الفاحشة** أي الخصلة المتناهية في القبح وهي اللواطة قرئ بالاستفهام وبغيره **ما
سبقكم بها من أحد من العالمين** الإنس والجن مستأنفة مقررة لكمال قبح هذه الخصلة وأنهم
منفردون بذلك لم يسبق إلى عملها أحد من الناس على اختلاف أجناسهم قيل لم ينز ذكر على
ذكر قبل قوم لوط من حيث إنها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى قدموا عليها
لخبث طينتهم وهذه الآية دالة على وجوب الحد في اللواطة لأنها اشتركت مع الزنا في كونها فاحشة
وقد قال تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وهذا وإن كان قياسا إلا أن الجامع مستفاد من
الآية قاله الرازي ثم بين سبحانه هذه الفاحشة فقال **أئنكم لتأتون الرجال** أي تلوطون بهم
وتقطعون السبيل قيل إنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فلما فعلوا
ذلك ترك الناس المرور بهم فقطعوا السبيل بهذا السبب قال الفراء كانوا يعترضون الناس في الطرق
بعملهم الخبيث وقيل كانوا يقطعون الطريق على المارة بقتلهم ونهبهم والظاهر أنهم كانوا يفعلون
ما يكون سببا لقطع الطريق من غير تقييد بسبب خاص وقيل إن معنى قطع الطريق قطع النسل
بالعدول عن النساء إلى الرجال **وتأتون في ناديكم المنكر** النادي والندي والمنتدى مجلس
القوم ومتحدثهم ولا يقال للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله واختلف في المنكر الذي كانوا يأتونه فيه
فقيل كانوا يحذفون الناس بالحصباء ويستخفون بالغريب وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قال كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناء السبيل ويسخرون منهم
أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وقال لا نعرفه إلا من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك
وأخرج ابن مردويه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف وهو قول الله سبحانه وتأتون في ناديكم المنكر

وعن ابن عمر قال في الآية هو الحذف وعن ابن عباس مثله وقيل كانوا يتضارطون في مجالسهم
قالته عائشة وقيل كانوا يأتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وقيل كانوا يلعبون
بالحمام وقيل كانوا يناقرون بين الديكة ويناطحون بين الكباش وقيل يبزق بعضهم على بعض
ويلعبون بالنرد والشطرنج ويلبسون المصبغات وكان من أخلاقهم مضغ العلك وتطريف
الأصابع بالحناء وحل الأزرار والصفير ولا مانع من أنهم كانوا يفعلون جميع هذه المنكرات قال
الزجاج في هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المنكر وأن لا يجتمعوا على الهزء والمناهي
ولما أنكر لوط عليهم ما كانوا يفعلون أجابوا بما حكى الله عنهم بقوله فما كان جواب قومه
إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين أي فما أجابوا بشيء إلا بهذا القول
رجوعا منهم إلى التكذيب واللجاج والعناد وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقد تقدم في سورة
النمل فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم وتقدم في الأعراف فما كان جواب
قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم وقد جمع بين هذه الثلاثة المواضع بأن لوطا كان ثابتا
على الإرشاد ومكررا للنهي لهم والوعيد عليهم فقالوا له أولا ائتنا بعذاب الله كما في هذه الآية فلما
كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا أخرجوهم كما في الأعراف والنمل وقيل إنهم قالوا أولا أخرجوهم من
قريتكم ثم قالوا ثانيا ائتنا بعذاب الله ثم إن لوطا لما يئس منهم طلب النصرة عليهم من الله سبحانه و
قال رب انصرني على القوم المفسدين بإنزال عذابك عليهم وتحقيق قولي إن العذاب نازل
بهم وإفسادهم بما سبق من إتيان الرجال وعمل المنكر في ناديهم فاستجاب الله سبحانه دعاءه و
بعث لعذابهم ملائكة وأمرهم بتبشير إبراهيم قبل عذابهم ولهذا قال ولما جاءت رسلنا
إبراهيم بالبشرى أي بالبشارة بالولد وهو إسحق وبولد الولد وهو يعقوب قالوا لإبراهيم إنا
مهلكوا أهل هذه القرية وهي سدوم التي كان فيها قوم لوط قيل كانت على مسيرة يوم وليلة
من موضع إبراهيم عليه السلام إن أهلها كانوا ظالمين تعليل للإهلاك أي أهلكناهم بهذا
السبب قال لهم إبراهيم إن فيها أي في هذه القرية لوطا وهو غير ظالم فكيف تهلكونها قالوا نحن
أعلم بمن فيها من الأخيار والأشرار ونحن أعلم من غيرنا بمكان لوط لننجينه وأهله من العذاب
وقرئ لننجينه بالتخفيف والتشديد وهما قراءتان سبعيتان إلا امرأته كانت في علم الله وحكمه الأزلي

من الغابرين اي الباقين في العذاب المنغمسين فيه الذين لم يخلصوا منه بسبب ان الدال على الشر له نصيب كفاعله كما ان الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيفان لوط فصارت واحدة منهم بسبب الدلالة وقيل المعنى من الباقين في القرية التي سينزل بها العذاب فتعذب من جملتهم ولا تنجو فيمن نجى والغابر لفظ مشترك بين الماضي والباقي وقد تقدم تحقيقه ولما ان جاءت رسلنا لوطا بعد مفارقتهم ابراهيم وان زائدة وهو مطرد سيء بهم اي جاءه ما ساءه واخافه لانه ظنهم من البشر فخاف عليهم من قومه لكونهم في احسن صورة من الصور البشرية وضاق بهم ذرعا اي عجز عن تدبيرهم وحزن وضاق صدره وضيق الذراع كناية عن العجز وفقد الطاقة كما يقال في الكناية عن الفقر ضاقت يده ومقابله رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقد تقدم تفسير هذا مستوفى في هود ولما شاهدت الملائكة ما حل به من الحزن والتضجر قالوا لا تخف علينا من قومه ولا تحزن فانهم لا يقدرون علينا انا منجوك واهلك من العذاب الذي امرنا الله بان ننزله بهم قرئ منجوك بالتخفيف والتشديد قال المبرد التقدير ونجي اهلك الا امراتك كانت من الغابرين في العذاب انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء مستانفة لبيان هلاكهم المفهوم من تخصيص التنجية به وباهله والرجز العذاب اي عذابا من السماء وهو الرمي بالحجارة وقيل احراقهم بنار نازلة من السماء وقيل هو الخسف والحصب كما في غير هذا الموضع ومعنى كون الخسف من السماء ان الامر به نزل من السماء وسمي العذاب بالرجز لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب قرا ابن عباس منزلون بالتشديد وقرئ بالتخفيف بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة اي ابقينا من القرية علامة ودلالة بينة وهي الاثار التي بها من الحجارة التي رجموا بها حتى ادركها اوائل هذه الامة وخراب الديار واثارها منازلهم الخربة وقال مجاهد هو الماء الاسود الباقي على وجه ارضهم ولا مانع من حمل الاية على جميع ما ذكر لقوم متعلق بتركنا او باية او ببينة وهو الظاهر يعقلون اي يتدبرون الايات تدبر ذوي العقول وخص من يعقل لانه الذي يفهم ان تلك الاثار عبرة يعتبر بها من يراها والى مدين هو اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى الاول المعنى وارسلنا الى مدين واولاده

وعلى الثاني ارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا قد تقدم ذكره وذكر نسبه وذكر قومه
في سورة الاعراف وسورة هود واضيف شعيب هنا اليهم بخلافه في قصة نوح وابراهيم ولوط
حيث ذكر قوم مؤخرا عنهم معرفا بالاضافة الى ضمير كل واحد منهم لان الاصل في جميع المواضع
ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الله لا يبعث رسولا الى غير معين غير ان قوم نوح وابراهيم
ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بالاضافة لنبيهم فقيل
قوم نوح وقوم لوط وقوم ابراهيم واما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا
به عند الناس فجرى الكلام على اصله فقال والى مدين اخاهم شعيبا والى عاد اخاهم هودا ذكره
الرازي فقال يا قوم اعبدوا الله اي افردوه بالعبادة وخصوه بها لم يذكر عن لوط انه امر قومه
بالعبادة والتوحيد وذكر عن غيره ذلك لان لوطا كان في زمن ابراهيم وابراهيم سبقه بذلك
حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق وانما ذكروا عنه ما اختص به من النهي عن الفاحشة واما غيره
فجاء في زمن غير مشتهر بالتوحيد فامروا به وارجوا اليوم الآخر اي توقعوه وافعلوا اليوم من الاعمال
ما يدفع عذابه عنكم قال يونس النحوي معناه اخشوا الآخرة التي فيها الجزاء على الاعمال وخافوه
ولا تعثوا في الارض مفسدين حال مؤكدة لعاملها والعثو والعثي اشد الفساد وقد تقدم تفسيره فكذبوه
والتكذيب راجع الى الاخبارات الضمنية كانه قال الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد
محرم فلا تقربوه فلا يقال انه لا يكذب الآمر والناهي وانما يكذب المخبر فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
الشديدة وكذا في الاعراف وقال في سورة هود الصيحة والقصة واحدة قال ابن عباس اي صيحة
جبريل وهي سبب الرجفة ورجفت الارض من صيحته والقلوب رجفت بها والاضافة الى السبب لا
تنافي الاضافة الى سبب السبب فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم وارضهم ومنازلهم جاثمين
اي باركين على الركب ميتين وعادا وثمود بالصرف وتركه بمعنى الحي والقبيلة قال الكسائي
قال بعضهم هو راجع الى اول السورة اي ولقد فتنا الذين من قبلهم وفتنا عادا وثمود قال واحب
الي ان يكون معطوفا على فاخذتهم الرجفة اي واخذت عادا وثمود وقال الزجاج التقدير واهلكنا
عادا وثمود وقيل المعنى اذكر عادا وثمود اذ ارسلنا اليهم هودا وصالحا وقد تبين اي ظهر لكم
يا معشر الكفار ويا اهل مكة من مساكنهم اي منازلهم الكائنة بالحجر والاحقاف واليمن آيات

بينات تتعظون بها وتتفكرون فيها وكانوا يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين
لهم الشيطان اعمالهم التي يعملونها من الكفر ومعاصي الله فصدهم بهذا التزيين عن
السبيل اي الطريق الواضح الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين بواسطة الرسل يعني لم يكن
لهم في ذلك عذر لان الرسل اوضحوا السبيل قاله الرازي وقيل مستبصرين في الضلالة قاله
ابن عباس اي اهل بصائر يتمكنون بها من معرفة الحق بالاستدلال لكنهم لم يفعلوا وقال الفراء
كانوا عقلاء البآء ذوي بصائر في امور الدنيا فلم ينفعهم بصائرهم وقيل المعنى كانوا مستبصرين
في كفرهم وضلالتهم معجبين بها يحسبون انهم على هدى ويرون ان امرهم حق فوصفهم بالاستبصار على هذا لما عندهم
او متبينين ان العذاب لاحقهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان قال الكسائي ان
شئت كان محمولا على عاد وكان فيه ما فيه وان شئت كان على فصدهم عن السبيل اي وصد قارون [illegible] واهلكنا هؤلاء
بعد ان جاءتهم الرسل وقدم قارون على فرعون لشرف نسبه بقرابته من موسى لكونه ابن عمه [illegible]
هو وزير فرعون ولقد جاءهم موسى بالبينات اي بالحجج الظاهرات والدلالات الواضحات [illegible]
فاستكبروا في الارض عن عبادة الله وما كانوا سابقين اي فائتين عذابنا فارين منه
يقال سبق طالبه اذا فاته وقيل سابقين في الكفر بل قد سبقهم اليه قرون كثيرة فكلا من
المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبنا بسبب كفره وتكذيبه قال الكسائي اي فاخذنا كلا بذنبه
وفيه رد على من جوز العقوبة بغير ذنب فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا تاتي بالحصباء
وهي الحصى الصغار فترجمهم بها وهم قوم لوط قاله ابن عباس ومنهم من اخذته الصيحة
وهم ثمود واهل مدين قاله ابن عباس ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون واصحابه
قاله ابن عباس ومنهم من اغرقنا وهم قوم نوح وفرعون قاله ابن عباس وما كان
الله ليظلمهم بما فعل بهم فيعذبهم بغير ذنب لانه قد ارسل اليهم رسله وانزل اليهم كتبه
ولكن كانوا انفسهم يظلمون باستمرارهم على الكفر وتكذيبهم للرسل وعملهم بمعاصي الله و
ارتكابهم الذنوب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء اي اولياء يتوكلون عليهم في
حاجاتهم من دون الله سواء كانوا من الجماد والحيوان ومن الاحياء او من الاموات كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تاوي اليه وان بيتها في غاية الضعف والوهي لا يغني عنها شيئا

لا في حر ولا قر ولا مطر كذلك ما اتخذوه وليا من دون الله فانه لا ينفعهم بوجه من وجوه
النفع ولا يغني عنهم شيئا شبه حال من اتخذ الاصنام والاوثان والاحبار والرهبان اولياء
وعبدها واعتمد عليها راجيا نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي تتخذ بيتا لا يغني عنها
في مطر ولا اذى قال الفراء هو مثل ضربه الله لمن اتخذ من دونه الهة لا تنفعه ولا تضره كما ان بيت
العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا قال ولا يحسن الوقف على العنكبوت لانه لما قصد بالتشبيه لبيتها
الذي لا يقيها من شي شبهت الالهة التي لا تنفع ولا تضر به وقد جوز الوقف على العنكبوت
الاخفش وغلطه ابن الانباري قال لان اتخذت صلة للعنكبوت كانه قال كمثل العنكبوت
التي اتخذت بيتا فلا يحسن الوقف على الصلة دون الموصول والعنكبوت تقع على الواحد و
الجمع المذكر والمؤنث ونونه اصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل قولهم في الجمع عناكيب وفي التصغير
عنيكيب وهذا مطرد في اسماء الاجناس ويجمع على عكاب وعكبة واعكاب وعناكب وعنكبوتات ايضا
وهي الدويبة الصغيرة التي تنسج نسجا رقيقا وقد يقال لها عنكبات والغالب في استعماله التانيث
وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لا بيت اضعف عنه مما يتخذه الهوام بيتا ولا يدانيه
في الوهي والوهن شي من ذلك فان الريح اذا هبت عليه او لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا
اثر فكما ان اوهن البيوت بيته كذلك اضعف الاديان دين عبدة الاوثان ومن يعبد غير الله
او يتخذه وليا وارباب من دونه كمقتدي الاحبار والرهبان ومقلديهم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
ان اتخاذهم الاولياء من دون الله كاتخاذ العنكبوت بيتا وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من
الوهن ما عبدوها ولو كانوا يعلمون شيئا من العلم لعلموا بهذا قال ابن عباس في الاية ذلك
مثل ضربه الله لمن عبد غيره ان مثله كمثل بيت العنكبوت واخرج ابو داود في مراسيله عن يزيد
بن مرثد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العنكبوت شيطان مسخه الله فمن وجدها فليقتلها وعن
يزيد بن ميسرة قال العنكبوت شيطان واخرج الخطيب عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخلت انا وابو بكر الغار فاجتمعت العنكبوت فنسجت بالباب فلا تقتلوهن وروى القرطبي في
تفسيره عن علي انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث الفقر وعن
عطاء الخراساني قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داؤد عليه السلام ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم

إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ما استفهامية او نافية او موصولة ومن للتبعيض او مزيدة للتاكيد وقيل التقدير قل للكافرين ان الله يعلم اي شيء تدعون من دونه من انس وجن وملك وحجر وراهب وغير ذلك وجزم ابو علي الفارسي بانها استفهامية وعلى تقدير النفي كانه قيل يعلم انكم لا تدعون من دونه من شيء يعني ما تدعونه ليس بشيء وهذا تاكيد للمثل وزيادة عليه وعلى تقدير الموصولة ان الله يعلم الذين تدعونهم من دونه وهذا اظهر الاوجه فيها كما قال الكرخي ويجوز ان تكون ما مصدرية ومن شيء عبارة عن المصدر وقرئ يدعون بالتحتية لذكر الامم قبل هذه الآية وقرئ بالفوقية على الخطاب وهو العزيز الحكيم الغالب المصدر افعاله على غاية الاحكام والاتقان وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا وحيوانا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء الا بحكمة وتدبير وتلك الامثال اي هذا المثل وغيره من الامثال التي في القرآن نضربها للناس تنبيها لهم وتقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها اي ما يفهم صحتها وحسنها وفائدتها او يتعقل الامر الذي ضربناها لاجله الا العالمون بالله وباسمائه وصفاته الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه بين حال المشرك وحال الموحد ودلت الآية على فضل العلم على العقل خلق الله السموات والارض بالحق هذا شروع في تسلية المؤمنين بعد ان امر الخلق جميعا بالايمان فلم يأت الكفار بما امرهم به من الايمان وحصل الياس منه اي خلقهما متلبسا بالعدل والقسط مراعيا في خلقهما مصالح عباده غير قاصد به باطلا وقيل المراد بالحق كلامه وقدرته والاول اولى لان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار له بقوله إن في ذلك لآية للمؤمنين اي دلالة عظيمة وعلامة ظاهرة على قدرته وتفرده بالالهية وخص المؤمنين لانهم الذين ينتفعون بذلك بخلاف الكافرين اي فان لم يؤمنوا فلا يضر ذلك في يقينكم وايمانكم

اُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ

اي القرآن وفيه الامر بالتلاوة للقرآن والمحافظة على قراءته تقربا اليه مع التدبر لآياته
والتفكر في معانيه من الاوامر والنواهي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ اي دم على اقامتها وجملة إِنَّ الصَّلَاةَ
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ تعليل لما قبلها كانه قيل صل بهم ان الصلوة الخ والفحشاء ما قبح
من العمل كالزنا مثلا والمنكر ما لا يعرف في الشريعة اي تمنعه عن معاصي الله وتبعده منها
ومعنى نهيها عن ذلك ان فعلها يكون سببا للانتهاء عنهما والمراد هنا الصلوات المفروضة
المكتوبة المؤداة بالجماعة قال ابن عباس وابن مسعود في الصلوة منتهى ومزدجر عن المعاصي
اخرج ابن مردويه وابن ابي حاتم عن عمران بن حصين قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله هذا
فقال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلوة له واخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله
الا بعدا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلوة
له اخرجه عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي واخرج الخطيب عن ابن عمر مرفوعا نحوه واخرج عبد
بن حميد وغيره عن ابن مسعود مرفوعا نحوه قال السيوطي وسنده ضعيف قال ابن كثير في
تفسيره والاصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والاعمش
وغيرهم وقيل من داوم على الصلوة جره ذلك الى ترك المعاصي والسيئات كما روي عن
انس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش
شيئا الا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما فلم يلبث ان تاب
وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله
ان في الصلوة لشغلا وقيل تنهى عنهما مطلقا في سائر الاوقات لان الصلوة تشغل جميع بدن
المصلي فاذا دخل في المحراب خشع واخبت لربه وتذكر انه واقف بين يدي مولاه وانه تعالى مطلع
عليه ويراه فيصلح لذلك نفسه وتذلل وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه
هيبتها ولو بعد خروجه منها ولم يكد يفتر عن ذلك حتى تظله صلوة اخرى يرجع بها الى افضل

فهذا معنى هذه الآية لأن صلوة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون لا سيما وإن أشعر نفسه أن هذا
ربما يكون آخر عمله فهو أبلغ في المقصود وأتم في المراد فإن الموت ليس له سن محدود ولا زمن مخصوص
ولا مرض معلوم وهذا مما لا خلاف فيه وروي عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلوة ارتعد
واصفر لونه فكلم في ذلك فقال إني واقف بين يدي الله وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف
مع ملك الملوك فهذه صلوة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر ومن صلاته قاصرة على الاجزاء أي
إسقاط الطلب عن المكلف ولا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل كصلاتنا فتلك تنزل صاحبها
عن منزلته حيث كان فإن كان مرتكبا للمعاصي قد يبعد من الله لسببها فتلك الصلوة تتركه
يتمادى على بعده وقيل لابن مسعود إن فلانا كثير الصلوة فقال إنها لا تنفع إلا من أطاعها ذكره القرطبي
وقيل أراد بالصلوة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن والأول أولى وعلى كل حال فإن المراعي للصلوة
لا بد وأن يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها ولذكر الله بسائر أنواعه من تحميد وتهليل
وتسبيح وغير ذلك أكبر من كل شيء أي أفضل من العبادات كلها بغير ذكر وقد نقل القرطبي هذا
التفسير عن ابن زيد وقتادة قال ابن عطية وعندي أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق
أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذي منه في الصلوة يفعل ذلك وكذلك يفعل
ما لم يكن منه في الصلوة لأن الانتهاء لا يكون إلا ممن ذكر الله مراقبا له وقيل ذكر الله أكبر من الصلوة
في النهي عن الفحشاء والمنكر مع المداومة عليه قال الفراء وابن قتيبة المراد بالذكر هنا الصلوة
والصلوة أكبر من سائر الطاعات وعبر عنها بالذكر كما في قوله فاسعوا إلى ذكر الله للدلالة على أن ما
فيها من الذكر هو العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات وكونها ناهية عن السيئات وقيل المعنى
ولذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم منه أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم واختار هذا
ابن جرير ويؤيده حديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ
خير منهم وقال ابن عباس يقول ولذكر الله لعباده إذا ذكروه أكبر من ذكرهم إياه وعن عبد الله
بن ربيعة قال سألني ابن عباس عن قول الله ولذكر الله أكبر فقلت ذكر الله بالتسبيح والتهليل و
التكبير قال ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه ثم قال اذكروني أذكركم وعن ابن مسعود قال
ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لله وعن ابن عمر نحوه وعن ابن عباس أيضا قال لها وجهان

ذكر الله اكبر مما سواه وفي لفظ ذكر الله عند ما حرمه وذكر الله اياكم اعظم من ذكركم اياه وعن
معاذ بن جبل قال ما عمل آدمي عملا انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله
قال ولا الا ان يضرب بسيفه حتى ينقطع لان الله يقول في كتابه العزيز ولذكر الله اكبر وعن عنترة قال
قلت اي العمل افضل قال ذكر الله وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير
اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم
من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله اخرجه
الترمذي وله عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي العباد افضل درجة
عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو
ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة
واخرج مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول
الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات واخرج البخاري عن ابي هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم
السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل قال تفارق الدنيا
ولسانك رطب بذكر الله وفي الباب احاديث كثيرة لا نطول بذكرها وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل
كانه قال والصلوة اكبر لانها ذكر الله قال ابن عطاء اكبر اي لن تبقى معه معصية وقيل ذكر الله
اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وقيل لان ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والاماني
ولان ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى او ذكره اكبر من ان تحويه افهامكم وعقولكم والذكر النافع هو الذي
يكون مع العلم واقبال القلب وتفرغه عما سوى الله تعالى اما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة اخرى
والله يعلم ما تصنعون من الذكر ومن سائر الطاعات لا يخفى عليه من خافية فهو مجازيكم
بالخير خيرا وبالشر شرا ثم شرع سبحانه في بيان ارشاد اهل الكتاب بعد بيان ارشاد اهل الشرك فقال
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن للثواب وذلك
على سبيل الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء اجابتهم الى الاسلام
لا على طريق الاغلاظ والمخاشنة وعن ابن عباس قال بالتي هي احسن بلا اله الا الله الا الذين

ظلموا منهم بان افرطوا في المجادلة ولم يتادبوا مع المسلمين فلا باس بالاغلاظ عليهم والتخشين
في مجادلتهم هكذا فسر الآية اكثر المفسرين بان المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى وقيل
معنى الآية لا تجادلوا من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسائر من آمن
منهم الا بالتي هي احسن يعني بالموافقة فيما حدثوكم به من اخبار اهل الكتاب ويكون المراد بالذين
ظلموا على هذا القول هم الباقون على كفرهم قال مجاهد هذه الآية محكمة فيجوز مجادلتهم بها و
وقيل هي منسوخة باية القتال وبذلك قال قتادة ومقاتل قال النحاس وغيره من قال هي منسوخة
احتج بان الآية مكية ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك وقول
مجاهد حسن لان احكام الله عز وجل لا يقال فيها انها منسوخة الا بخبر يقطع العذر او حجة من
معقول واختار هذا القول ابن العربي قال سعيد بن جبير ومجاهد المراد بالذين ظلموا منهم
الذين نصبوا القتال للمسلمين وآذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجدالهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية
وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك فيدخل فيه اهل الشرك وعبدة الاوثان والآية تدل على
جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي به تتحقق المجادلة الحقة بالتي هي
احسن قال السمين الاستثناء متصل وفيه معنيان احدهما الا الظلمة فلا تجادلوهم البتة بل جادلوهم
بالسيف والثاني جادلوهم بغير التي هي احسن اي اغلظوا لهم كما اغلظوا عليكم وقرأ ابن عباس الا حرف
تنبيه اي فجادلوهم وقولوا هذا تبيين لمجادلتهم بالتي هي احسن آمنا بالذي انزل الينا من القرآن
وانزل اليكم من التوراة والانجيل اي بانهما منزلان من عند الله وانهما شريعة ثابتة الى قيام الشريعة
الاسلامية والبعثة المحمدية ولا يدخل في ذلك ما حرفوه وبدلوه واخرج البخاري والنسائي وابن جرير
والبيهقي وغيرهم عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية
لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا
بالذي انزل الينا واليكم واخرج البيهقي وابو نصر السجزي في الابانة عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان
تصدقوا بباطل او تكذبوا بحق والله لو كان موسى حيا بين اظهركم ما حل له الا ان يتبعني وعن ابن
مسعود قال لا تسألوا اهل الكتاب وذكر نحو حديث جابر ثم قال فان كنتم سائليهم لا محالة

فانظروا اما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه وهذه الآية من جنس المجادلة بالتي هي احسن
والهنا والهكم واحد لا شريك له ولا ند ولا ضد ونحن له مسلمون اي ونحن معاشر امة محمد
صلى الله عليه وسلم مطيعون له خاصة لم نقل عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا اتخذنا احبارنا ورهباننا
اربابا من دون الله ويحتمل ان يراد ونحن جميعا منقادون له ولا يقدح في هذا الوجه كون
انقياد المسلمين اتم من انقياد اهل الكتاب وطاعتهم ابلغ من طاعتهم وكذلك انزلنا هذا
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاشارة الى مصدر الفعل كما بيناه في مواضع كثيرة اي ومثل
ذلك الانزال البديع انزلنا اليك الكتاب وهو القرآن وقيل المعنى كما انزلنا الكتاب عليهم انزلنا
عليك القرآن فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به يعني مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وغيره وخصهم بايتائهم الكتاب لكونهم العاملين به وكان غيرهم لم يؤتوه لعدم عملهم بما فيه
وبجحدهم لصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورة فيه وكان اسلامهم بالمدينة والسورة مكية
فهذا من قبيل الاخبار بالغيب اخبره تعالى بحالهم قبل وقوعه ومن هؤلاء اشارة الى اهل مكة والمراد
انما منهم وهو من قد اسلم من يؤمن به اي بالقرآن وقيل اشارة الى جميع العرب وما يجحد بآياتنا
اي آيات القرآن والجحد انما يكون بعد المعرفة وعبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها
على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية التشنيع
على من يجحد بها الا الكافرون المصممون على كفرهم المتوغلون فيه من المشركين من اهل الكتاب
ككعب بن الاشرف واضرابه فان ذلك يصدهم عن التامل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها
وما كنت يا محمد تتلو من قبله من كتاب اي من قبل القرآن كتابا ولا تقدر على ذلك لانك
امي لا تقرأ ولا تكتب ومن زائدة ولا تخطه بيمينك اي ولا تكتبه لانك لا تقدر على الكتابة وخص
اليمين لان الكتابة غالبا تكون باليمين اي ولا كنت كاتبا قال مجاهد كان اهل الكتاب
يجدون في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية قال النحاس وذلك دليل
على نبوته لانه لا يكتب ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن بمكة اهل الكتاب فجاءهم باخبار الانبياء
والامم قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ولا يكتب وكان اميا
قال الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي قال البغوي في التهذيب هل كان

النبي صلى الله عليه وسلم يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله اولا والاصح انه كان لا يحسنهما و
لكن كان يميز بين ردي الشعر وجيده ذكره الشهاب وما احسن ما قال الآزاد رحمه ... ما كان يعرف
الواحا ولا اقلاما وكان يعرف ما في اللوح والقلم وهذا شروع في الدليل على كون القرآن معجزا
اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا لعله وجد ما يتلوه علينا
من كتب الله السابقة من الكتب المدونة في اخبار الامم فلما كنت اميا لا تقرأ ولا تكتب لم يكن
هناك موضع للريبة ولا محل للشك ابدا بل انكار من انكر وكفر من كفر مجرد عناد وجحود بلا شبهة وسماهم
المبطلين لان ارتيابهم على تقدير انه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ظلم منهم لظهور نزاهته ووضوح
معجزاته وفي التوراة انه امي لا يقرأ ولا يكتب بل هو اي القرآن الذي جئت به آيات
بينات وقال قتادة ومقاتل ان الضمير يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم اي بل محمد آيات اي ذو آيات
وقرأ ابن مسعود بل هي آيات بينات قال الفراء معنى هذه القراءة بل آيات القرآن آيات بينات
واختار ابن جرير ما قاله قتادة ومقاتل وقد استدل لما قالاه بقراءة ابن السميفع بل هذا آيات
بينات ولا دليل في هذه على ذلك لان الاشارة يجوز ان تكون الى القرآن كما جاز ان تكون
الى النبي صلى الله عليه وسلم بل رجوعها الى القرآن اظهر لعدم احتياج ذلك الى التاويل وهو اضراب
عن ارتيابهم اي ليس القرآن مما يرتاب فيه لكونه محفوظا في صدور الذين اوتوا العلم
يعني العلماء المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم وحفظوه بعده عن ظهر قلب
وهذا من خصائص القرآن بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ الا من المصاحف
ولذا جاء في وصف هذه الامة صدورهم اناجيلهم ولذلك لا يقدرون على تحريفه ولا تغييره
والمراد انهم يحفظونه تلقيا منك وبعضهم من بعض وانت تلقيته عن جبريل عن اللوح المحفوظ
فلم تاخذه من كتاب بطريق تلقيه منه وما يجحد بآياتنا اي القرآن الكريم الا الظالمون اي المجاوزون
للحد والمتوغلون في الظلم وقالوا اي المشركون لولا انزل عليه آيات من ربه المعنى هلا انزلت عليه
آيات كآيات الانبياء وذلك كآيات موسى وناقة صالح واحياء المسيح للموتى ثم امر الله سبحانه ان
يجيب عليهم فقال قل انما الآيات عند الله ينزلها على من يشاء من عباده ولا قدرة لاحد
على ذلك وانما انا نذير مبين انذركم عما امرت وابين لكم كما ينبغي ليس في قدرتي غير ذلك

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ مستانفة للرد على اقتراحهم وبيان بطلانه
اي اولم يكف المشركين من الآيات التي اقترحوها هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم بان ياتوا
بمثله او بسورة منه فعجزوا ولو اتيتهم بآيات موسى او بآيات غيره من الانبياء لقالوا سحر ونحن لا
نعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة ولما امنوا كما لم يؤمنوا بالقرآن الذي
يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها او
تكون في مكان دون مكان والمعنى ان القرآن معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبياء ومغنية
عن سائر الآيات لان معجزة القرآن تدوم على مر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كغيرها من الآيات
إِنَّ فِي ذَلِكَ الكتاب الموجود في كل مكان وزمان الى آخر الدهر الموصوف بما ذكر لَرَحْمَةً عظيمة في
الدنيا والآخرة وَذِكْرَى في الدنيا يتذكرون بها ويرشدهم الى الحق لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اي لقوم يصدقون
بما جئت به من عند الله فانهم هم الذين ينتفعون بذلك اخرج الدارمي وابو داود في مراسيله
وغيرهما عن يحيى بن جعدة قال جاء اناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سمعوه من
اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بقوم حمقا او ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به
غيره الى غيرهم فنزلت اولم يكفهم الآية وعن الزهري ان حفصة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم
بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرؤه والنبي صلى الله عليه وسلم يتلون وجهه فقال والذي
نفسي بيده لو اتاكم يوسف وانا بينكم فاتبعتموه وتركتموني ضللتم وعن عبد الله بن الحارث الانصاري
قال دخل عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال هذه اصبتها مع رجل
من اهل الكتاب اعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيرا شديدا لم ار مثله قط فقال
عبد الله بن الحارث لعمر اما ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم انا حظكم
من النبيين وانتم حظي من الامم اخرجه عبد الرزاق وابن سعد وابن الضريس واخرج البيهقي
وضعفه عن عمر بن الخطاب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعلم التوراة فقال لا تتعلمها وآمن
بها وتعلموا ما انزل اليكم وآمنوا به قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا اي قل للمكذبين كفى بالله
شهيدا بما وقع بيني وبينكم وقال ابن عباس معناه يشهد لي اني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم

ع ٥

بالتلاوة يثبت شهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه والقرآن وحده كاف واف لا حاجة
معه الى غيره من الكتب لمن آمن به وعمل صالحا يعلم ما في السموات والارض لا تخفى عليه من ذلك
خافية ومن جملته ما صدر بينكم وبين رسوله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا بالباطل اي
بما يعبدونه من دون الله قال ابن عباس بالباطل اي بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل
بما سوى الله والمعاني متقاربة ثم ذكر الكفر بعد الباطل لبيان قبح الاول فقال وكفروا بالله واياته
والجملة مؤكدة لما قبلها اولئك هم الخاسرون الجامعون بين خسران الدنيا والآخرة في
صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب استهزاء وتكذيبا منهم
بذلك كقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ولولا اجل مسمى قد جعله
الله لعذابهم وعينه وهو القيامة وقال الضحاك الاجل مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا
الى العذاب وقيل المراد بالاجل المسمى النفخة الاولى وقيل الوقت الذي قدره الله لعذابهم في الدنيا
بالقتل والاسر يوم بدر والحاصل ان لكل عذاب اجلا لا يتقدم عليه ولا يتاخر عنه كما في قوله
سبحانه لكل نبأ مستقر لجاءهم العذاب اي لولا ذلك الاجل المضروب لجاءهم العذاب الذي
يستحقونه بذنوبهم عاجلا وليأتينهم بغتة اي فجاءة كوقعة بدر فانها اتتهم بغتة والجملة
مستانفة مبينة لمجيء العذاب المذكور قبلها وهم لا يشعرون اي حال كونهم لا يعلمون باتيانه
على ما تشهد له كتب السير ثم ذكر سبحانه ان موعد عذابهم النار فقال يستعجلونك بالعذاب
اي يطلبون منك تعجيل عذابهم في الدنيا ذكر هذا للتعجب لان من توعد بامر فيه ضرر يسير
كلطمة او لكمة فقد يؤذي من نفسه الجلد ويقول باسم الله هات واما من توعد باغراق او احراق
ويقطع بان المتوعد قادر لا يخلف الميعاد فلا يخطر بباله ان يقول هات ما توعدتني به فقوله يستعجلونك
بالعذاب اولا اخبار عنهم وقوله ثانيا يستعجلونك بالعذاب تعجب منهم وقيل التكرير للتاكيد
وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي والحال ان مكان العذاب محيط بهم اي سيحيط بهم عن قرب
فان ما هو آت قريب فعبر عن الاستقبال بالحال للدلالة على التحقق والمبالغة او يراد بجهنم اسبابها
الموصلة اليها فلا تاويل في قوله محيطة والاول اظهر والمراد بالكافرين جنسهم فيدخل فيه
هؤلاء المستعجلون دخولا اوليا والمعنى ان جهنم جامعة لهم لا يبقى منهم احد الا دخلها قال ابن عباس

جهنم هو هذا البحر الاخضر تنتثر الكواكب فيه وتكون فيه الشمس والقمر ثم يستوقد فيكون
هو جهنم وفي هذا نكارة شديدة فان الاحاديث الكثيرة الصحيحة ناطقة بان جهنم موجودة مخلوقة
على الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ثم ذكر سبحانه كيفية احاطة العذاب بهم فقال
يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ اي من جميع جهاتهم لقوله تعالى
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فاذا غشيهم العذاب على هذه الصفة فقد احاطت
بهم جهنم قيل خص الجانبين ولم يذكر اليمين والشمال ولا الخلف والامام لان المقصود ذكر
ما تميز به نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الاربع فان من دخلها تكون الشعلة
قدامه وخلفه ويمينه وشماله واما النار من فوق فلا تنزل وانما تصعد من اسفل في العادة
وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة التي تحت القدم بل تطفأ ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفئ بالدوس
عليها بوضع القدم ذكره الرازي وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ والقائل هو الله سبحانه او
بعض ملائكته بامره في ذلك اليوم اي ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي قرأ نافع و
قرئ نقول بالنون وبالتحتية لقوله قل كفى بالله وقرئ ويقال ذوقوا ولما ذكر سبحانه حال
الكفرة من اهل الكتاب ومن المشركين وجمعهم في الانذار وجعلهم من اهل النار اشتد
عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايذاء المسلمين بكل وجه فقال الله سبحانه يَا عِبَادِيَ
الَّذِينَ آمَنُوا اضافهم اليه بعد خطابه لهم تشريفا وتكريما والموصول صفة موضحة
او مميزة إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ قيل نزلت في ضعفاء مسلمي اهل مكة يقول الله ان كنتم في
ضيق في مكة من اظهار الايمان وفي مكابدة الكفار فاخرجوا منها لتتيسر لكم عبادتي وحدي
وتسهل عليكم وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق
المعيشة فانزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج قال الزجاج امروا بالهجرة من الموضع
الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه
تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يتهيأ له ان يعبد الله حق عبادته وقال مطرف بن الشخير المعنى
ان رحمتي واسعة ورزقي لكم واسع فابتغوه في الارض قيل البلاد والبقاع تتفاوت في ذلك
تفاوتا كثيرا قال علي القاري رح واما اليوم فانا بحمد الله لم نجد اعون على قهر النفس واجمع للقلب

واحث على القناعة واطرح للشيطان وابعد من الفتن واربط للامر الديني واظهر له من
مكة حرسها الله تعالى افضل لولا ما فيها الآن من استطالة اهل البدع على اهل السنة وايثار التنظيمات
السلطانية على الاحكام الرحمانية وظلم اهل المكس على الحجاج وعدم الانتصاف من اهل
الاحتساب والحجر على العمل بالسنة والتمسك بالحق والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال سهل
اذا ظهرت المعاصي والبدع في ارض فاخرجوا منها الى ارض المطيعين قلت واني لنا هذا اليوم
ولو علمنا ارضا طاهرة على وجه البسيطة على حسب ما نطق به الكتاب والسنة او ما ذهب اليه
فقهاء الامة لخرجنا اليها ان شاء الله تعالى ولكن كم من امنية ضاعت فانا لله وانا اليه راجعون
وروي مرفوعا من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة ولينظر
في سنده وتخريجه وقيل المعنى ان ارضي التي هي ارض الجنة واسعة فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ حتى
اورثكموها وانتصب اياي بفعل مضمر اي فاعبدوا اياي ثم لما صعب على المؤمنين ترك الاوطان
ومفارقة الاخوان خوفهم سبحانه بالموت ليهون عليهم امر الهجرة وشجع المهاجرين لئلا يقيموا
بدار الشرك خوفا من الموت فقال كُلُّ نَفْسٍ من النفوس ذَائِقَةُ الْمَوْتِ اي واجدة مرارة الموت
وكربه ومشاقه لا محالة كما يجد الذائق طعم المذوق فلا يصعب عليكم ترك الاوطان ومفارقة
الاخوان وهجر الخلان بل الاولى ان يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فلا تخافوا من بعد
الشقة ومقاسات المشقة ثُمَّ إِلَيْنَا لا الى غيرنا تُرْجَعُونَ بالموت والبعث الينا فكل حي في سفر
الى دار القرار وان طال لبثه في هذه الدار عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت انك
ميت وانهم ميتون قلت يا رب ايموت الخلائق كلهم ويبقى الانبياء فنزلت كل نفس ذائقة
الموت الآية اخرجه ابن مردويه وينظر كيف صحته فان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان يسمع قول الله سبحانه
انك ميت وانهم ميتون يعلم انه ميت وقد علم ان من قبله من الانبياء قد ماتوا وانه خاتم الانبياء
فكيف ينشأ عن هذه الآية ما نقل عنه علي رضي الله عنه من قوله ايموت الخلائق ويبقى الانبياء
فلعل هذه الرواية لا تصح مرفوعة ولا موقوفة وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ في هذا ترغيب الى
الهجرة وان جزاء من هاجر ان يكون في غرف الجنة كما قال لَنُبَوِّئَنَّهُمْ اي لننزلنهم وهو ماخوذ من
المباءة وهي الانزال وقرئ لنثوينهم بالثاء والمعنى لنعطينهم غرفا يثوون فيها من الثوى وهو الاقامة

قال الزجاج يقال ثوى الرجل اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه قال الاخفش لا تعجبني هذه
القراءة لانك لا تقول اثويته الدار بل تقول في الدار وليس في الآية حرف جر في المفعول الثاني
من الجنة غرفا اي غرف الجنة وهي علاليها جمع علية ثم وصف سبحانه تلك الغرف فقال
تجري من تحتها الانهار اي من تحت الغرف خالدين فيها اي مقدرين الخلود في الغرف لا يموتون
ابدا او في الجنة والاول اولى نعم اجر العاملين للاعمال الصالحة اجرهم بين في هذه الآية ان
للمؤمنين الجنات في مقابلة ان للكافرين النيران وان فيها غرفا تحتها الانهار في مقابلة ان
تحت الكافرين النار وبين ان ذلك اجر عملهم بقوله نعم اجر العاملين في مقابلة ما تقدم للكفار
بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون ولم يذكر ما فوق المؤمنين لانهم في اعلى عليين فلم يذكر فوقهم شيئا للتنبيه
الى علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم ولم يجعل الماء من تحت اقدامهم بل من تحت غرفهم لان الماء يكون
ملتذا به في اي جهة كان وعلى اي بعد كان اذا كان تحت الغرفة ذكره الرازي ثم وصف هؤلاء العاملين
بقوله الذين صبروا على مشاق التكاليف وعلى اذية المشركين لهم والهجرة لاظهار الدين وعلى الطاعة
وعن المعاصي ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون امورهم اليه
في كل اقدام واحجام ثم ذكر سبحانه ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر في حال الدواب فقال
وكاين قد تقدم الكلام فيها وانها ان دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم كما صرح به
الخليل وسيبويه وتقديرها عندهما كشيء كثير من العدد من دابة وقيل المعنى وكم من دابة
ذات حاجة الى غذاء لا تحمل رزقها اي لا تطيق حمله لضعفها ولا تدخره لغد ولا ترفعه معها
مثل البهائم والطير الله يرزقها واياكم اي انما يرزقها الله من فضله ويرزقكم فكيف لا تتوكلون
على الله مع قوتكم وقدرتكم على اسباب العيش كتوكلها على الله مع ضعفها وعجزها قال الحسن تاكل
لوقتها لا تدخر شيئا وقال مجاهد يعني الطير والبهائم تاكل بافواهها ولا تحمل شيئا وعن عمر بن
الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن والمعنى انها تذهب اول النهار
جياعا ضامرة البطون وتروح آخر النهار الى وكارها شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيئا قال
سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبا الا الانسان والفارة والنملة وهو سبحانه وتعالى

في هذه الآية بين الحريص والمتوكل في الرزق وبين الراغب والقانع وبين الجلد والعاجز يعني
ان الجلد لا يتصور انه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز انه ممنوع من الرزق بعجزه وهو السميع
الذي يسمع كل مسموع العليم بكل معلوم اخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه و
البيهقي وابن عساكر قال السيوطي بسند ضعيف عن ابن عمر قال خرجت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط التمر ويأكل فقال لي مالك لا تاكل قلت لا اشتهيه
يا رسول الله قال لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو شئت لدعوت
ربي فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبؤن رزق سنتهم
ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات الا واني لا اكنز دينارا ولا
درهما ولا اخبأ رزقا لغد وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته ما كان عليه النبي صلى الله
عليه وسلم فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة وفي اسناده ابو
العطوف الجزري وهو ضعيف ثم انه سبحانه ذكر حال المشركين من اهل مكة وغيرهم وعجب السامع
من كونهم يقرون بانه خالقهم ورازقهم ولا يوحدونه ولا يتركون عبادة غيره فقال ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض اي بشيئين احدهما يتعلق بالذوات وهو هذا والثاني
يتعلق بالصفات وهو قوله وسخر الشمس والقمر ليقولن الله خلقهما لا يقدرون على
انكار ذلك ولا يتمكنون من جحوده فانى يؤفكون اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده بالالهية
وانه وحده لا شريك له والاستفهام للانكار والاستبعاد ذكر في السموات والارض الخلق وفي
الشمس والقمر التسخير لان مجرد خلقهما ليس حكمة فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع
واحد لا تتحرك ما حصل الليل والنهار ولا الصيف ولا الشتاء فالحكمة انما هي في تحريكهما وتسخيرهما
ولما قال المشركون لبعض المؤمنين لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء دفع الله سبحانه ذلك بقوله
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له اي التوسيع في الرزق والتقتير له هو من الله الباسط
القابض يبسطه لمن يشاء ويضيقه على من يشاء على حسب ما تقتضيه حكمته وما يليق باحوال
عباده من القبض والبسط ولهذا قال ان الله بكل شيء عليم يعلم ما فيه صلاح عباده و

فساد هو ومنه البسط والتضييق ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض
بعد موتها اي جدبها وقحط اهلها ليقولن الله اي يعترفون بذلك لا يجدون الى انكاره
سبيلا فكيف يشركون به بعد هذا الاقرار ثم لما اعترفوا هذا الاعتراف في هذه الآيات وهو
يقتضي بطلان ما هم عليه من الشرك وعدم افراد الله سبحانه بالعبادة امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يحمد الله على اقرارهم بذلك وعدم جحودهم مع تصلبهم في العناد وتشددهم في رد
كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوحيد فقال قل الحمد لله اي احمد الله على ان جعل الحق
معك واظهر حجتك عليهم وقيل على انزال الماء واحياء الارض بالنبات والاول اولى ثم ذمهم
فقال بل اكثرهم لا يعقلون الاشياء التي يتعقلها العقلاء فلذلك لا يعملون بمقتضى
ما اعترفوا به مما يستلزم بطلان ما هم عليه عند كل عاقل ثم اشار سبحانه الى تحقير الدنيا
وتصغيرها وانها من جنس اللعب واللهو وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة وان الدار على
الحقيقة هي الدار الآخرة فقال وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اي من جنس ما يلهو به
الصبيان ويلعبون به واما القرب كالصلوة والصوم والحج والاستغفار والتسبيح فمن امور
الآخرة لظهور ثمرتها فيها واللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه و
ما لا يهمه واللعب هو العبث وقيل اللهو هو الاعراض عن الحق بالكلية واللعب الاقبال على الباطل
قاله الرازي وفي هذا تصغير الدنيا وازدراء بها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها
وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون وان الدار الآخرة لهي الحيوان
اي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها قال ابو عبيدة وابن قتيبة ان الحيوان الحياة قال
الواحدي وهو قول جميع المفسرين ذهبوا الى ان معنى الحيوان ههنا الحياة وانه مصدر بمنزلة
الحياة فيكون كالنزوان والغليان وواو الحيوان مقلوبة عن ياء عند سيبويه واتباعه
وقال ابدلت شذوذا وكذا في حيوة علما وقال ابو البقاء لئلا يلتبس بالتثنية وغير سيبويه
حمل ذلك على ظاهره فالحياة عنده لامها واو ولا دليل لسيبويه في حي لان الواو متى انكسر
ما قبلها قلبت ياء نحو عري ورعي ورضي والتقدير لهي دار الحيوان او ذات الحيوان اي دار الحياة
الباقية التي لا تزول ولا ينغصها موت ولا مرض ولا هم ولا غم وجوز ابو البقاء ان حياة للدار وذلك لبسطا

ع ٢

وقف لازم

المبتدأ والخبر والمبالغة احسن قال ابن عباس هي الحيوان اي باقية وعن ابي جعفر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور اخرجه ابن ابي الدنيا
والبيهقي في الشعب وهو مرسل لو كانوا يعلمون ان الحياة هي حياة الآخرة او يعلمون شيئا
من العلم لما آثروا عليها الدار الفانية المنغصة على الآخرة الباقية ثم بين سبحانه انه ليس المانع
لهم من الايمان الا مجرد ايثار الحياة فقال فاذا ركبوا في الفلك اي اذا انقطع رجاؤهم من
الحياة وخافوا الغرق رجعوا الى الفطرة والركوب هو الاستعلاء وهو متعد بنفسه وانما عدي
بكلمة في للاشعار بان المركوب في نفسه من قبيل الامكنة دعوا الله وحده مخلصين له الدين
بصدق نياتهم وتركهم عند ذلك لدعاء الاصنام لعلمهم انه لا يكشف هذه الشدة العظيمة
النازلة بهم غير الله سبحانه فلما نجاهم الى البر وامنوا اذا هم يشركون اي فاجؤا المعاودة
الى الشرك ودعوا غير الله سبحانه وعادوا الى ما كانوا عليه من العناد وقيل كان اهل الجاهلية
اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب ليكفروا بما آتيناهم
من نعمة الانجاء وليتمتعوا اي فاجؤا الشرك بالله ليكفروا او يجحدوا بنعمة الله وليتمتعوا بها
واللام في الفعلين لام كي وفيه شيء لانه ليس الحامل لهم على الاشراك قصد الكفر والظاهر
انها لام العاقبة والمآل كما اشار له الشهاب وقيل اللام للتعليل وقيل هما لام الامر وهذا تهديد ووعيد
اي اكفروا بما اعطيناكم من النعمة وتمتعوا ويدل على هذا المعنى قراءة ابي وتمتعوا وهذا الاحتمال اللام
انما هو على قراءة ابي عمرو وورش بكسر اللام واما على قراءة الجمهور بسكونها فلا خلاف انها لام الامر
والمعنى لا فائدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة فسوف
يعلمون عاقبة ذلك الامر وما فيه من الوبال عليهم وفيه تهديد لهم عظيم اولم يروا اي الم
ينظر كفار قريش انا جعلنا حرمهم اي بلدهم مكة حرما آمنا يأمن فيه ساكنه من الغارة
والقتل والسبي والنهب فصاروا في سلامة وعافية مما صار فيه غيرهم من العرب فانهم
في كل حين تطرقهم الغارات وتجتاح اموالهم الغزاة وتسفك دماءهم الجنود وتستبيح حرمهم وأموالهم
شطار العرب وشياطينها ويتخطف الناس اي وهم يختلسون من حولهم بالقتل والسبي والنهب
والخطف الاخذ بسرعة وقد مضى تحقيق معناه في سورة القصص والجملة حالية افبالباطل يؤمنون

وهو الشرك والاصنام والشيطان بعد ظهور حجة الله عليهم واقرارهم بما يوجب التوحيد
وبنعمة الله يكفرون اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام ويجعلون كفرها مكان شكرها وفي هذا
الاستفهام من التقريع والتوبيخ ما لا يقادر قدره ومن اي لا احد اظلم ممن افترى على الله
كذبا وهو من زعم ان لله شريكا او كذب بالحق لما جاءه اي كذب بالرسول الذي ارسل
اليه او الكتاب الذي انزله على رسوله وقال السدي بالتوحيد والظاهر شموله لما يصدق
عليه انه حق ثم هدد المكذبين وتوعدهم فقال أليس في جهنم مثوى للكافرين اي مكان
يستقرون فيه والاستفهام للتقرير والمعنى أليس يستحقون الاستقرار فيها وقد فعلوا ما
فعلوا لان همزة الانكار اذا دخلت على النفي صار ايجابا فيرجع الى معنى التقرير او الم يصح عندهم
ان جهنم مثوى لهم حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة ثم لما ذكر حال المشركين الجاحدين التوحيد
الكافرين بنعم الله اردفه بحال عباده الصالحين فقال والذين جاهدوا اي اوقعوا الجهاد
بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة فينا اي في شان الله لطلب مرضاته ورجاء ما
عنده من الخير وقيل في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا ومراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات
من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدة والرخاء ومخالفة
الهوى عند هجوم الفتن وشدائد المحن مستحضرين لعظمتنا لنهدينهم سبلنا الى سبل السير
والطريق الموصل الينا وقيل لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا وعن ابن عطاء جاهدوا
في رضانا لنهدينهم الى الوصول الى محل الرضوان وعن الجنيد جاهدوا في التوبة لنهدينهم
سبل الاخلاص وجاهدوا في خدمتنا لنفتح عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا قال ابن عطية
هي مكية نزلت قبل فرض الجهاد العرفي وانما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته وقيل الآية
هذه نزلت في العباد قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان
الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا الخ وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات والمخالفة للهوى وقال
الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فينا في طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به
وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة واماتة البدعة لنهدينهم سبل الجنة
وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وقال ابو سليمان الداراني

الذين جاهدوا فينا بما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما علم وفق لعلم
ما لم يعلم وقال ابراهيم بن ادهم هي في الذين يعملون بما يعلمون وقال الداراني ايضا ليس الجهاد
في الاية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين واعظمه الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله قال ابن عيينة مثل السنة في الدنيا
كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم فكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم وظاهر
الاية العموم فيدخل تحته كل ذلك قال النسفي اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول
كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان واعداء الدين وان الله لمع المحسنين بالنصر والعون
في دنياهم والمغفرة في عقباهم وثوابهم الجنة في الاخرة ومن كان الله معه لا يخذل ابدا ودخلت
لام التوكيد على مع بتأويل كونها اسما او على انها حرف ودخلت عليها لافادة معنى الاستقرار كما
تقول ان زيدا لفي الدار والبحث مقرر في علم النحو وفيه اقامة الظاهر مقام المضمر اظهارا لشرفهم بوصف الاحسان

سورة الروم هي ستون او تسع وخمسون اية

قال القرطبي كلها مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقال
البيضاوي الا قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون والاول اولى واخرج عبد الرزاق
واحمد قال السيوطي بسند حسن عن رجل من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح
فقرأ فيها سورة الروم واخرج البزار عن الاغر المزني مثله وعن عبد الملك بن عمير ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ في الفجر يوم الجمعة بسورة الروم واخرج ابن ابي شيبة في المصنف واحمد وابن قانع من طريق ابن عمير
مثل حديث الرجل الذي من الصحابة وزاد فتردد فيها فلما انصرف قال انما يلبس علينا في صلاتنا
قوم يحضرون الصلوة بغير طهور من شهد الصلوة فليحسن الطهور

بسم الله الرحمن الرحيم

الم قد تقدم الكلام على فاتحة هذه السورة في فاتحة سورة البقرة والله اعلم بمراده بذلك
غلبت الروم قرئ مبنيا للمفعول وللفاعل قال النحاس قراءة الناس بضم الغين وكسر اللام

قال اهل التفسير غلبت فارس الروم ففرح بذلك كفار مكة وقالوا للذين ليس لهم كتاب غلبنا
الذين لهم كتاب وافتخروا على المسلمين فقالوا نحن ايضا نغلبكم كما غلبت فارس الروم وكان المسلمون
يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب اي نصارى فهم اقرب الى الاسلام والفرس مجوس فهم اقرب
الى كفار قريش والفارس اسم عجمي علم على تلك القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث بل العجمة
وعن ابي سعيد قال لما كان يوم بدر ظهر الروم على فارس فاعجب ذلك المؤمنين فنزلت الم غلبت
الروم وقرأها على البناء للفاعل ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس وعن ابي الدرداء قال
سيجئ اقوام يقرؤن الم غلبت يعني بالفتح وانما هي غلبت يعني بالضم والروم اسم قبيلة سميت باسم جدها
وهو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم قاله ابن جزي في تفسيره وسمي عيصو لانه كان مع يعقوب
في بطن فعند خروجهما تزاحما واراد كل ان يخرج قبل صاحبه فقال عيصو ليعقوب ان لم تخرج
قبلك والا خرجت من جنبها فتاخر يعقوب شفقة منه فلذا كان ابا الانبياء وعيصو ابا الجبابرة
كذا قيل والله اعلم قيل وكان هذا الحرب بين اذرعات وبصرى والملك بفارس يومئذ كسرى ابرويز
في ادنى الارض متعلق بغلبت اي اقرب الارض من ارض العرب او في اقرب ارض العرب منهم قيل هي
ارض الجزيرة وقيل اذرعات وقيل كسكر وقيل الاردن وقيل فلسطين وهذه المواضع هي اقرب
الى بلاد العرب من غيرها وانما حملت الارض على ارض العرب لانها المعهود في السنتهم اذا اطلقوا
الارض ارادوا بها جزيرة عرب وقيل ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه والتقدير في ادنى
ارضهم فيعود الضمير الى الروم ويكون المعنى في اقرب ارض الروم من العرب الى فارس والمراد
بالجزيرة ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ما روي عن الاصمعي انها
من اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها
جزيرة احاطة البحار والانهار العظيمة بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات وقال ابن جزي
في تفسيره الجزيرة بين الشام والعراق وهي اول الروم الى فارس قال ابن عطية ان كانت الوقعة
باذرعات فهي من ادنى الارض بالقياس الى مكة وان كانت الوقعة بالجزيرة فهي ادنى بالقياس الى ارض
كسرى وان كانت بالاردن فهي ادنى الى ارض الروم وعن ابن عباس قال كان المشركون يحبون ان
يظهر فارس على الروم لانهم كانوا اصحاب اوثان وكان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس

لانهم اصحاب كتاب فذكروه لابي بكر فذكره ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما انهم سيغلبون فذكره ابو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك اجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا
وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل بينهما اجلا خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك ابو بكر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال الا جعلته اراه قال دون العشرة فظهرت الروم بعد ذلك فذلك قوله الم غلبت الروم
فغلبت ثم غلبت بعد قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر وعن البراء بن عازب نحوه
وزاد انه لما مضى الاجل ولم تغلب الروم فارسا ساء النبي صلى الله عليه وسلم ما جعله ابو بكر من المدة
وكرهه وقال ما دعاك الى هذا قال تصديقا لله ولرسوله فقال تعرض لهم واعظم الخطر واجعله
الى بضع سنين فاتاهم ابو بكر فقال هل لكم في العود فان العود احمد قالوا نعم فلم تمض تلك السنون
حتى غلبت الروم فارسا وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا رومية فقمر ابو بكر فجاء به ابو بكر يحمله الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا السحت تصدق به ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد ان
العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا
على صحة ذلك بهذه القصة والقصة حجة عليهما لا لهما لانها كانت قبل تحريم القمار وفيه
هذا السحت تصدق به وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ اي والروم من بعد غلب فارس اياهم سَيَغْلِبُونَ
اهل فارس والغلب والغلبة لغتان فِي بِضْعِ سِنِينَ قد تقدم تفسير البضع واشتقاقه
في سورة يوسف والمراد به هنا ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسع وقيل الى السبع وقيل
ما دون العشرة وانما ابهم البضع ولم يبينه وان كان معلوما لنبيه صلى الله عليه وسلم لادخال الرعب و
الخوف عليهم في كل وقت كما يوخذ ذلك من تفسير الفخر الرازي اخرج الترمذي وصححه و
الدارقطني في الافراد والطبراني وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل والبيهقي في الشعب عن نيار
بن مكرم الاسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم الاية كانت فارس يوم نزلت هذه الاية قاهرين
الروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل الكتاب وفي ذلك
يقول الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الخ وكانت قريش تحب ظهور فارس لانهم واياهم
ليسوا اهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل الله هذه الاية خرج ابو بكر يصيح في نواحي مكة الم
غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فقال ناس من قريش

لابي بكر ذلك بيننا وبينكم يزعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين افلا نراهنك
على ذلك فقال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا
لابي بكر لم تجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي اليه قال
فسموا بينهم ست سنين فمضت الست قبل ان يظهروا فاخذ المشركون رهن ابي بكر فلما
دخلت السنة السابعة ظهرت الروم فعاب المسلمون على ابي بكر تسميته ست سنين لان
الله قال في بضع سنين فاسلم عند ذلك ناس كثير واخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الا احتطت يا ابا بكر فان البضع ما بين ثلاث الى تسع واخرج
البخاري عنه في تاريخه نحوه وفي الباب روايات وما ذكرنا يغني عما سواه لله الامر اي هو المتفرد
بالقدرة وانفاذ الاحكام من قبل ومن بعد اي من وقت المغلوبية ووقت الغالبية فهو لف
ونشر مرتب على الآية وقال ابو السعود اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين
يغلبون والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه
وتلك الايام نداولها بين الناس انتهى قرئ بضم الظرفين لكونهما مقطوعين عن الاضافة
اي من قبل الغلب ومن بعده او من قبل كل امر وبعده قال الزجاج معنى الآية من متقدم
ومن متاخر وحكى الكسائي من قبل ومن بعد بكسر الاول منونا وضم الثاني بلا تنوين
وحكى الفراء بكسرهما من غير تنوين وغلطه النحاس وقال انما يجوز مكسورا منونا قلت وقد
قرئ بذلك ووجهه انه لم ينو اضافتهما فاعربهما وقال شهاب الدين وقد قرئ بكسرهما منونين
ويومئذ اي ويوم ان تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم يفرح المؤمنون
بنصر الله للروم على فارس لكونهم اهل كتاب كما ان المسلمين اهل كتاب بخلاف فارس فانهم
لا كتاب لهم ولهذا سر المسلمون بنصرهم على الروم وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين
فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس والاول اولى قال الزجاج هذه الآية من الآيات
التي تدل على ان القرآن من عند الله لانه انبأ بما سيكون وهذا لا يعلمه الا الله سبحانه ينصر
من يشاء ان ينصره وهو العزيز الغالب القاهر الرحيم الكثير الرحمة لعباده المؤمنين
وقيل المراد بالرحمة هنا الدنيوية وهي شاملة للمسلم والكافر وعد الله لا يخلف الله وعده

اي وعد الله وعدا لا يخلفه وهو ظهور الروم على فارس ولكن اكثر الناس لا يعلمون
بجهلهم وعدم تفكرهم ان الله لا يخلف وعده وهم الكفار وقيل كفار مكة على الخصوص
نفى عنهم العلم النافع للآخرة وقد اثبت لهم العلم باحوال الدنيا فقال يعلمون بدل من
لا يعلمون وهذا احسن من قول الحوفي انها مستانفة من حيث المعنى الا ان الصناعة لا
تساعد عليه لان بدل فعل مثبت من فعل منفي لا يصح والضمير للاكثر وكذا يقال فيما بعده
وفيه بيان انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز
عن تحصيل الدنيا ظاهرا من الحيوة الدنيا اي ظاهر ما يشاهدونه من زخارف
الدنيا وملاذها وامر معاشهم واسباب تحصيل فوائدهم الدنيوية وقيل هو ما تلقيه
الشياطين اليهم من امور الدنيا عند استراقهم السمع وقيل الظاهر والباطل وقيل يعني
معايشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ومتى يزرعون ومتى يحصدون قال
الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلي وقيل
يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون
ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وافادت
الآية الكريمة ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها
والتنعم بملاذها وباطنها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة وبالاعمال الصالحة
وتنكير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم عن الآخرة
التي هي النعمة الدائمة واللذة الخالصة هم غافلون لا يلتفتون اليها ولا يعدون لها ما يحتاج
اليه او غافلون عن الايمان بها والتصديق بمجيئها وفيه انهم معدن الغفلة عن الآخرة
ومقرها واعادة لفظ هم الثانية لتاكيد اولم يتفكروا الهمزة للانكار عليهم والواو للعطف
على مقدر كما في نظائره في انفسهم ظرف للتفكر وليس مفعولا للتفكر والمعنى ان اسباب
التفكر حاصلة لهم وهي انفسهم لو تفكروا فيها كما ينبغي لعلموا وحدانيته تعالى وصدق
انبيائه وقيل انها مفعول التفكر والمعنى اولم يتفكروا في خلق الله اياهم ولم يكونوا شيئا و
الاول اولى لان المعنى اولم يتفكروا في قلوبهم الفارغة من الفكر التي هي اقرب اليهم من غيرها من

المخلوقات وهو اعلم باحوالها منهم باحوال ما عدلها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا
من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من الانتهاء الى وقت يجازي
فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق
امرها جار على الحكمة في التدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت ما خلق الله السموت
والارض وما بينهما متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل
معناه فيعلموا الآن في الكلام دليلا عليه وما في ما خلق نافية اي لم يخلقها الا بالحق الثابت
الذي يحق ثبوته او بما خلق الله ويضعف ان تكون استفهامية بمعنى النفي والباء السببية او
هي ومجرورها في محل النصب على الحال اي متلبسة بالحق قال الفراء معناه الا للحق اي للثواب والعقاب
وقيل الحق بالعدل وقيل بالحكمة وقيل انه هو الحق وللحق خلقها واجل مسمى للسموات والارض
وما بينهما تنتهي اليه وهو يوم القيامة وفي هذا تنبيه على الفناء وان لكل مخلوق اجلا لا
يجاوزه وقيل معناه انه خلق ما خلق في وقت سماه لخلق ذلك الشيء وان كثيرا من الناس
بلقاء ربهم اي بالبعث بعد الموت لكافرون واللام هي المؤكدة والمراد بهؤلاء الكفار على الاطلاق
او كفار مكة اولم يسيروا في الارض فينظروا الاستفهام للتقريع والتوبيخ لعدم تفكرهم في
الآثار وتاملهم لمواقع الاعتبار والمعنى انهم قد ساروا وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من طوائف الكفار والامم الذين اهلكوا بسبب كفرهم بالله وجحودهم للحق وتكذيبهم
للرسل كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود والجملة مبينة للكيفية التي كانوا عليها وانهم قد
من كفار مكة ومن تابعهم على الامور الدنيوية وقال ابن عمر كان الرجل ممن كان قبلكم بين منكبيه
ميل اخرجه ابن مردويه واثاروا الارض اي حرثوها وقلبوها للزراعة وزاولوا اسباب ذلك ولم
يكن اهل مكة اهل حرث وعمروها اكثر مما عمروها لان اولئك كانوا اطول منهم اعمارا
واقوى اجساما واكثر تحصيلا لاسباب المعاش فعمروا الارض بالابنية والزراعة والغرس
وجاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات والحجج الظاهرات وقيل بالاحكام الشرعية فما
كان الله ليظلمهم بتعذيبهم على غير ذنب واهلاكهم بغير جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالكفر والتكذيب للرسل ثم كان عاقبة الذين اساؤا اي عملوا السيئات من الشرك والمعاصي

السُّوٓأىٰ هي فعلى من السوء تأنيث الاسوء وهو الاقبح اي كان عاقبتهم العقوبة التي هي اسوء العقوبات وقيل هي اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة او مصدر كالبشرى والذكرى وصف به العقوبة مبالغة اي الفعلة او الخصلة او العقوبة السوئى ومن القائلين بان السوئى جهنم الفراء والزجاج وابن قتيبة واكثر المفسرين وسميت سوئى لانها تسوء صاحبها اَنْ كَذَّبُوا اي لان كذبوا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ التي انزلها على رسوله او بان كذبوا قال الزجاج المعنى ثم كان عاقبة الذين اشركوا النار بتكذيبهم ايات الله واستهزائهم بها وَكَانُوْا بِهَا يَسْتَهْزِءُوْنَ عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية او في حكم الاسمية لكان او الخبرية لها اَللّٰهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهٗ اي يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت احياء كما كانوا ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ اي الى موقف الحساب فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته وافرد الضمير في يعيده باعتبار لفظ الخلق وجمعه في ترجعون باعتبار معناه وقرئ يرجعون بالتحتية والفوقية على الخطاب والالتفات المؤذن بالمبالغة وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُوْنَ قرئ يبلس على البناء للفاعل يقال ابلس الرجل اذا سكت وانقطعت حجته فهو قاصر لا يتعدى قال الفراء والزجاج المبلس الساكت المنقطع في حجته الذي ايس ان يهتدي اليها وقرئ مبنيا للمفعول وفيه بعد لان ابلس لا يتعدى وقال الكلبي اي ييأس المشركون من كل خير حين عاينوا العذاب وقد مر تفسير الابلاس عند قوله فاذا هم مبلسون وقال ابن عباس يبلس يبتئس وعنه يكتئب وعنه الابلاس الفضيحة وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ اي لا يكون للمشركين يوم تقوم الساعة مِّنْ شُرَكَآئِهِمْ الذين عبدوهم من دون الله واشركوهم وهم الاصنام ليشفعوا لهم شُفَعٰٓؤُا يجيرونهم من عذاب الله وَكَانُوْا في ذلك الوقت بِشُرَكَآئِهِمْ اي بآلهتهم الذين جعلوهم شركاء لله كٰفِرِيْنَ اي جاحدين لكونهم آلهة لانهم علموا اذ ذاك انهم لا ينفعون ولا يضرون وقيل ان معنى الاية كانوا كافرين في الدنيا بسبب عبادتهم والاول اولى وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَّتَفَرَّقُوْنَ اي يتفرق جميع الخلق المدلول عليهم بقوله الله يبدؤ الخلق والمراد بالتفرق ان كل طائفة تنفرد فالمؤمنون يصيرون الى الجنة والكافرون الى النار وليس المراد تفرق كل فرد منهم عن الآخر ومثله قوله فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب فلا يجتمعون ابدا ثم بين سبحانه

كيفية تفرقهم فقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال النحاس سمعت الزجاج يقول
معنى اما دع ما كنا فيه وخذ في غيره وكذا قال سيبويه ان معناها مهما يكن من شيء فخذ في
غير ما كنا فيه فهم في روضة الروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة
وقيل البستان الذي هو في غاية النضارة قال المفسرون والمراد بها هنا الجنة والتنكير لابهام
امرها وتفخيم شأنها قال ابو عبيد الروضة ما كان في سفل فاذا كان مرتفعا فهو ترعة
وقال غيره احسن ما تكون الروضة اذا كانت في مكان مرتفع يحبرون الحبور والحبرة السرور
اي فهم في رياض الجنة ينعمون وقال ابن عباس يحبرون يكرمون وقال النحاس حكى الكسائي
حبرته اي اكرمته ونعمته وقيل يحلون والاولى تفسير يحبرون بالسرور كما هو المعنى العربي
ونفس دخول الجنة يستلزم الاكرام والنعيم وفي السرور زيادة على ذلك وقيل التحبير التحسين
فمعنى يحبرون يحسن اليهم وقيل هو السماع الذي يسمعون في الجنة وقيل غير ذلك والوجه
ما ذكرناه واخرج الديلمي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة قال
الله اين الذين كانوا ينزهون اسماعهم وابصارهم عن مزامير الشيطان ميزوهم فيميزون
في كثب المسك والعنبر ثم يقول للملائكة اسمعوهم من تسبيحي وتحميدي وتهليلي قال فيسبحون باصوات
لم يسمع السامعون بمثلها قط وعن مجاهد قال ينادي مناد يوم القيامة فذكر نحوه وعن ابن عباس
قال السيوطي بسند صحيح في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام فيخرج
اهل الجنة اهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله
ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا وعن ابي هريرة مرفوعا نحوه اخرجه الحكيم
الترمذي في النوادر واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا اي القرآن ولقاء الآخرة اي
البعث والجنة والنار فاولئك المتصفون بهذه الصفات في العذاب محضرون اي مقيمون
فيه لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها وقيل مجموعون وقيل نازلون
وقيل معذبون والمعاني متقاربة والمراد دوام حضورهم ثم لما بين عاقبة طائفة المؤمنين
وطائفة الكافرين ارشد المؤمنين الى ما فيه الاجر الوافر والخير العام فقال فسبحان الله الفاء
للترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فاذا علمتم ذلك فسبحوا الله اي نزهوه عما لا يليق به وصفوه بصفات

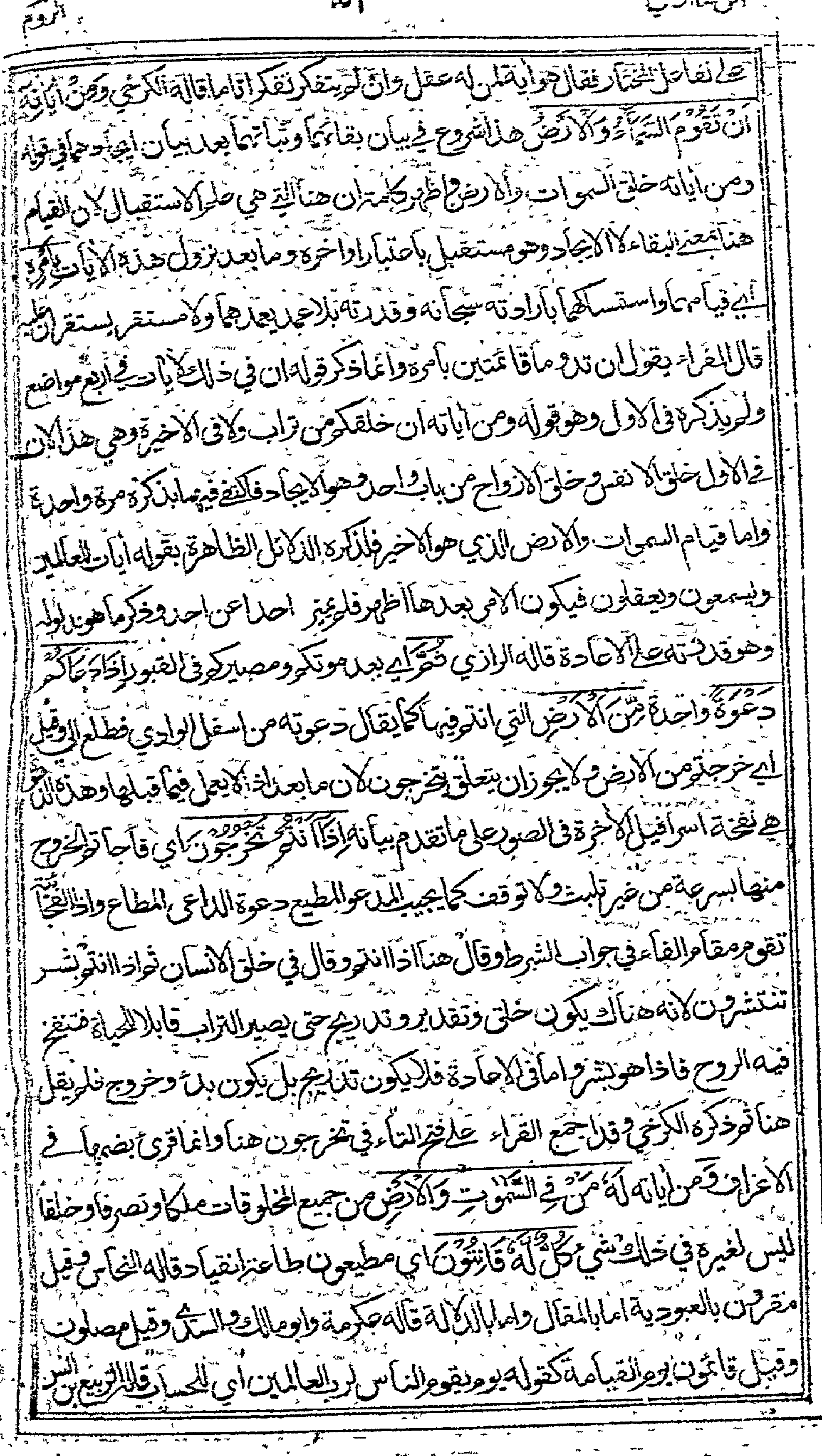
الكمال وهذا اولى وقيل صلوا كما سيأتي حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ اي في وقت الصباح
والمساء وفي العشي وفي وقت الظهيرة وعلى ان المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس فقوله حين تمسون
صلوة المغرب والعشاء وقوله حين تصبحون صلوة الفجر وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ معترضة
مسوقة للارشاد الى الحمد والايذان بمشروعية الجمع بينه وبين التسبيح كما في قوله سبحانه فسبح بحمد ربك
وقوله ونحن نسبح بحمدك وقيل معنى وله الحمد الاختصاص له بالصلوة التي يقرأ فيها الحمد والاول
اولى وَعَشِيًّا عطف على حين وفيه صلوة العصر والعشي من صلوة المغرب الى العتمة قاله
الجوهري وقال قوم هو من زوال الشمس الى طلوع الفجر اي الحمد له يكون في السموات والارض
وَحِينَ تُظْهِرُونَ اي تصلون صلوة الظهر كذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وغيرهما قال الواحدي قال
المفسرون ان معنى فسبحان الله فصلوا لله قال النحاس اهل التفسير على ان هذه الاية في
الصلوات الخمس قال وسمعت محمد بن يزيد يقول حقيقته عندي فسبحوا الله في الصلوات
لان التسبيح يكون في الصلوة وقال ابن عباس كل تسبيح في القران فهو صلوة وعنه قال
جمعت هذه الاية مواقيت الصلوة فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون
الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وقد وردت احاديث صحاح في فضل التسبيح
وثواب المسبح واخرج احمد وابن السني والطبراني وغيرهم عن معاذ بن انس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذي وفى لانه كان يقول كلما اصبح وامسى سبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد الاية وفي اسناده ابن لهيعة واخرج ابو داود و
الطبراني وابن السني وغيرهم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح سبحان
الله الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته
في ليلته واسناده ضعيف يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ كالانسان من النطفة والطير من البيضة
والمؤمن من الكافر وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ كالنطفة والبيضة من الانسان والطير والكافر
من المؤمن وقد سبق بيان هذا في سورة آل عمران قيل ووجه تعلق هذه الاية بالتي
قبلها ان الانسان عند الصباح يخرج من شبه الموت وهو النوم الى شبه الوجود وهو
اليقظة وعند العشاء يخرج من اليقظة الى النوم وَيُحْيِ الْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا باليباس



وهو شبيه باخراج الحي من الميت وكذلك الاخراج تُخرجون من قبوركم قرئ على البناء للمفعول
وعلى الفاعل فاسند الخروج اليهم كقوله يخرجون من الاجداث والمعنى ان الابداء والاعادة
يتساويان في قدرة من هو قادر على اخراج الميت من الحي وعكسه ومن اياته الباهرة الدالة
على البعث وذكر لفظ من اياته ست مرات تنتهي عند قوله اذا انتم تخرجون ذكر فيها بدأ خلق
الانسان اية ايتان حين بعثه من القبور وختم هذه الايات بقيام السموات والارض لكونه من العوارض
اللازمة لان كلا من السماء والارض لا يخرج عن مكانه فيتعجب من وقوف الارض وعدم زوالها
ومن علو السماء وثباتها بغير عمد ثم اتبع ذلك بالنشأة الاخرة وهي الخروج من الارض وذكر
من الانفس امرين خلقكم وخلق لكم من انفسكم وذكر من الافاق السماء والارض وذكر من لوازم
الانسان اختلاف الالسنة واختلاف اللون وذكر من عوارضه المنام والابتغاء ومن
عوارض الافاق البرق والمطر ومن لوازمها قيام السماء وقيام الارض كذا في النهر فجملة ما يتعلق
بالنوع الانساني ستة اشياء اثنان اصول واثنان لوازم واثنان عوارض وستة متعلقة
بالافاق اثنان اصول واثنان لوازم واثنان عوارض ان خلقكم اي خلق اباكم ادم من تراب
وخلقكم في ضمن خلقه لان الفرع مستمد من الاصل وماخوذ منه وقد مضى تفسير هذا في
الانعام ثم اذا انتم بشر والترتيب والمهلة هنا ظاهران فانهم انما يصيرون بشرا بعد اطوار
كثيرة واذا هي الفجائية وان كانت اكثر ما يقع بعد الفاء لكنها وقعت هنا بعد ثم بالنسبة الى
ما يليق بهذه الحالة الخاصة وهي اطوار الانسان كما حكاه الله في مواضع من كونه نطفة
ثم علقة ثم مضغة ثم عظما مكسوا لحما فاجأ البشرية والانتشار تنتشرون اي تتصرفون
فيما هو قوام معايشكم وتنبسطون في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم اي
من جنسكم في البشرية والانسانية ازواجا وقيل المراد حواء فانه خلقها من ضلع ادم
والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال ونطف النساء لتسكنوا اليها اي تالفوها وتميلوا اليها
اي الى الازواج فان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الاخر ولا يميل قلبه اليه وجعل
بينكم مودة ورحمة اي وداداً وتراحماً بسبب عصمة النكاح يعطف به بعضكم على بعض
من غير ان يكون بينكم من قبل ذلك معرفة فضلاً عن مودة ورحمة وقال مجاهد المودة الجماع

والرحمة الولد وبه قال الحسن و ابن عباس وقال السدي المودة المحبة والرحمة الشفقة
وقيل المودة حب الرجل امرأته والرحمة رحمته اياها من ان يصيبها بسوء وقيل المودة للشابة
والرحمة للعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان اي بغض المرأة زوجها
وبغض الزوج المرأة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور سابقا ﴿لَآيَاتٍ﴾ عظيمة الشان بديعة البيان واضحة
البرهان على قدرته سبحانه على البعث والنشور ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ان قوام الدنيا بوجود
التناسل لانهم الذين يقتدرون على الاستدلال لكون التفكر مادة له يتحصل عنه اولان الفكر
يؤدي الى الوقوف على المعاني المطلوبة من التانس والتجانس بين الاشياء كالزوجين واما الغافلون
عن التفكر فما هم الا كالانعام ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على امر البعث وما يتلوه من الجزاء ﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ فان من خلق هذه الاجرام العظيمة بلا مادة مساعدة لها وجعلها باقية ما دامت
هذه الدار وخلق فيها من عجائب الصنع وغرائب التكوين ما هو عبرة للمعتبرين قادر على ان
يخلقكم بعد موتكم وينشركم من قبوركم وقدم السماء على الارض لان السماء كالذكر فنزول المطر
من السماء على الارض كنزول المني من الذكر في المرأة لان الارض تنبت وتخضر بالمطر ﴿وَاخْتِلَافُ
أَلْسِنَتِكُمْ﴾ اي لغاتكم من عرب وعجم وترك وروم وغير ذلك بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها
واقدره عليها او اجناس النطق واشكاله فانك لا تكاد تسمع متكلمين متساويين في الكيفية
من كل وجه ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ من البياض والسواد والحمرة والصفرة والشقرة والزرقة والخضرة مع كونكم
اولاد رجل واحد وام واحدة ويجمعكم نوع واحد وهو الانسانية وفصل واحد وهو الناطقية
حتى صرتم متميزين في ذات بينكم لا يلتبس هذا بهذا بل في كل فرد من افرادكم ما يميزه عن
غيره من الافراد حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق في
شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وفي هذا من بديع القدرة ما لا يعقله الا العالمون
ولا يفهمه الا المتفكرون ولو اتفقت الاصوات والصور وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل
والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة ولم يعرف العدو من الصديق ولا القريب من البعيد فسبحان من
خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض
مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله

والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لدلالات على قدرته تعالى
لِّلْعَالِمِينَ لعموم العلم فيهم قرئ بكسر اللام وبفتحها وهما سبعيتان وقال الفراء للكسرة وجه
جيد لانه قد قال لايات لقوم يعقلون لايات لاولي الالباب وما يعقلها الا العالمون وَمِنْ
آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ قيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير
ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار وقيل المعنى صحيح من دون تقديم وتاخير
اي ومن آياته العظيمة انكم تنامون بالليل وتنامون بالنهار في بعض الاحوال للاستراحة
كوقت القيلولة والنوم بالنهار مما كانت العرب تعده نعمة من الله ولا سيما في البلاد الحارة
وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كل واحد منهما يقع فيه ذلك وان كان ابتغاء الفضل في
النهار اكثر والاول هو المناسب لسائر الآيات الواردة في هذا المعنى والآخر هو المناسب للنظم القرآني
ههنا ووجه ذكر النوم والابتغاء ههنا وجعلهما من جملة الادلة على البعث ان النوم شبيه
بالموت والتصرف في الحاجات والسعي في المكاسب شبيه بالحياة بعد الموت إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ الآيات والمواعظ سماع متفكر متدبر باذان واعية فيستدلون بذلك على
البعث وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ المعنى ان يريكم ومنه المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من
ان تراه وقيل ويريكم البرق من آياته وقيل من آياته آية يريكم بها وفيها البرق وقيل التقدير
ومن آياته يريكم البرق خَوْفًا وَطَمَعًا من آياته قال قتادة خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقال
الضحاك خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث وقال يحيى بن سلام خوفا ان يكون البرق برقا
خلبا لا يمطر وطمعا ان يكون ممطرا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
باليباس بان تنبت إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فان من له نصيب من العقل يعلم
ان تلك الآية يستدل بها على القدرة الباهرة لان العقل ملاك الامر وهو المودي الى العلم فيما
ذكر وغيره وانما قال هنا يعقلون وفيما تقدم يتفكرون لانه لما كان حدوث الولد من الوالدين
امرا عاديا مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام القاصرة ان ذلك بالطبيعة لان المطرد
اقرب الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس امرا مطردا غير مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة
دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة



على تفاصيل المختار فقال هو آية لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما قاله الكرخي ومن آياته
ان تقوم السماء والارض هذا شروع في بيان بقائهما وثباتهما بعد بيان ايجادهما في قوله
ومن آياته خلق السموات والارض واظهر كلمة ان هنا التي هي علم الاستقبال لان القيام
هنا بمعنى البقاء لا الايجاد وهو مستقبل باعتبار اواخره وما بعد نزول هذه الآيات بامره
اي قيامهما واستمساكهما بارادته سبحانه وقدرته بلا عمد يعمدهما ولا مستقر يستقران عليه
قال الفراء يقول ان تدوما قائمتين بامره وانما ذكر قوله ان في ذلك لآيات في اربع مواضع
ولم يذكره في الاول وهو قوله ومن آياته ان خلقكم من تراب ولا في الاخيرة وهي هذه لان
في الاول خلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد وهو الايجاد فاكتفى فيهما بذكره مرة واحدة
واما قيام السموات والارض الذي هو الاخير فلذكره الدلائل الظاهرة بقوله آيات للعالمين
ويسمعون ويعقلون فيكون الامر بعدها اظهر فلم يعتبر احدا عن احد وذكر ما هو نتيجة
وهو قدرته على الاعادة قاله الرازي ثم اي بعد موتكم ومصيركم في القبور اذا دعاكم
دعوة واحدة من الارض التي انتم فيها كما يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي وقيل
اي خرجتم من الارض ولا يجوز ان يتعلق بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وهذه الدعوة
هي نفخة اسرافيل الآخرة في الصور على ما تقدم بيانه اذا انتم تخرجون اي فاجأتم الخروج
منها بسرعة من غير تلبث ولا توقف كما يجيب المدعو المطيع دعوة الداعي المطاع واذا الفجائية
تقوم مقام الفاء في جواب الشرط وقال هنا اذا انتم وقال في خلق الانسان ثم اذا انتم بشر
تنتشرون لانه هناك يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة فتنفخ
فيه الروح فاذا هو بشر واما في الاعادة فلا يكون تدريج بل يكون بدء وخروج فلم يقل
هنا ثم ذكره الكرخي وقد اجمع القراء على فتح التاء في تخرجون هنا وانما قرئ بضمها في
الاعراف وله من في السموات والارض من جميع المخلوقات ملكا وتصرفا وخلقا
ليس لغيره في ذلك شيء كل له قانتون اي مطيعون طاعة انقياد قاله النحاس وقيل
مقرون بالعبودية اما بالمقال واما بالدلالة قاله عكرمة وابو مالك والسدي وقيل مصلون
وقيل قائمون يوم القيامة كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين اي للحساب قال الربيع بن انس

وقيل بالشهادة أظهر عبادة قاله الحسن وقيل مطيعون لأفعاله لا يمتنع عليه شيء يريد
فعله بهم من حيوة وموت ومرض وصحة فهي طاعة الإرادة لا طاعة العبادة وقيل مخلصون
قاله سعيد بن جبير وقال ابن عباس مطيعون في الحيوة والنشور والموت وهم له عاصون
فيما سوى ذلك من العبادة **وهو الذي يبدؤا الخلق** للناس **ثم يعيده** بعد الموت فيحييه
الحياة الدائمة **وهو** أي البعث والإعادة نظرا إلى المعنى دون اللفظ وهو رجعه أو ردّه أو تذكيره
باعتبار الخبر **أهون عليه** أي هين لا يستصعبه أو أهون عليه بالنسبة إلى قدرتكم وعلى
ما يقوله بعضكم لبعض وإلا فلا شيء في قدرته بعضه أهون من بعض بل كل الأشياء مستو
وجدها بقوله كن فيكون قال أبو عبيد من جعل أهون عبارة عن تفضيل شيء على شيء فقوله
مردود بقوله وكان ذلك على الله يسيرا وبقوله ولا يؤده حفظهما والعرب تحمل أفعل على فاعل
كثيرا كما في قول الفرزدق شعر إن الذي سمك السماء بنى لنا + بيتا دعائمه أعز وأطول + أي
عزيزة طويلة وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب على ذلك شعر تمنى رجال أن أموت وإن أمت +
فتلك سبيل لست فيها بأوحد أي بواحد وكقولهم الله أكبر أي كبير وهي رواية العوفي عن ابن
عباس وقرأ ابن مسعود وهو عليه هين وقال مجاهد وعكرمة والضحاك إن الإعادة أهون
على الله من البداية أي أيسر وإن كان جميعه هينا وقيل المراد أن الإعادة فيما بين الخلق أهون
من البداية وقيل الضمير في عليه للخلق أي والعود أهون على الخلق أي أسرع وأقصر عليه وأيسر
أقل انتقالا من طور إلى طور لأنه يصاح بهم صيحة واحدة فيقومون ويقال لهم كونوا فيكونون
فذلك أهون عليهم من أن يكونوا نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر النشأة وقال ابن عباس
الإعادة أهون على المخلوق لأنه يقول له يوم القيامة كن فيكون وابتداء الخلقة من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة **وله المثل الأعلى** أي الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة
والحكمة التامة وسائر صفات الكمال والجلال والجمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما
يساويها وقال الخليل المثل الصفة أي وله الوصف الأعلى قول لا إله إلا الله أي الوحدانية
وبه قال قتادة وقال الزجاج وله المثل الأعلى **في السموات والأرض** مرتبط بما قبله وهو قوله وهو
أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل وقيل مرتبط بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم

وقيل المثل الأعلى هو أنه ليس كمثله شيء قاله ابن عباس وقيل هو أن ما أراده كان بقول
كن والمعنى أنه سبحانه عرف بالمثل الأعلى ووصف به في السموات والأرض أي في هاتين
الجهتين وقيل غير ذلك وهو العزيز في ملكه القادر الذي لا يغالب الحكيم في أفعاله و
أقواله ضرب لكم أيها المشركون مثلا قد تقدم تحقيق معنى المثل من أنفسكم من لابتداء
الغاية أي مثلا منتزعا كائنا ومأخوذا من أنفسكم فإنها أقرب شيء منكم وأبين من غيرها
عندكم فإذا ضرب لكم المثل بها في بطلان الشرك كان أظهر دلالة وأعظم وضوحا ثم بين المثل
المذكور فقال هل لكم مما ملكت أيمانكم من للتبعيض أي من مماليككم وفي قوله من
شركاء زائدة للتأكيد والمعنى هل لكم شركاء فيما رزقناكم من الأموال وغيرها كائنون
من النوع الذي ملكت أيمانكم وهم العبيد والإماء والاستفهام للإنكار قال ابن عباس في
الآية كان يلبي أهل الشرك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك فأنزل الله
هذه الآية فأنتم وهم فيه سواء أي مستوون في التصرف فيه على عادة الشركاء وهذا
جواب للاستفهام الذي بمعنى النفي ومحقق لمعنى الشركة بينهم وبين العبيد والإماء المملو
كين لهم في أموالهم والمعنى هل ترضون لأنفسكم والحال أن عبيدكم وإماءكم أمثالكم في البشرية
أن يساووكم في التصرف بما رزقناكم من الأموال ويشاركوكم فيها من غير فرق بينكم وبينهم
تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي تخافون الأحرار المشابهين لكم في الحرية وملك الأموال
وجواز التصرف والمراد نفي الأشياء الثلاثة الشركة بينهم وبين المملوكين والاستواء معهم
وخوفهم إياهم وليس المراد ثبوت الشركة ونفي الاستواء والخوف كما قيل في قولهم ما تأتينا
فتحدثنا والمراد إقامة الحجة على المشركين فإنهم لا بد أن يقولوا لا نرضى بذلك فيقال لهم فكيف
تنزهون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم في البشرية وتجعلون عبيد الله شركاء
له فإذا بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه والخلق كلهم عبيد الله تعالى لم يبق إلا
أنه الرب وحده لا شريك له قرئ أنفسكم بالنصب على أنه معمول المصدر المضاف إلى فاعله
وبالرفع على إضافة المصدر إلى مفعوله كذلك نفصل الآيات تفصيلا واضحا وبيانا جليا
لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون لأنهم الذين ينتفعون بالآيات التنزيلية

والتكوينية باستعمال عقولهم في تدبرها والتفكر فيها ثم اضرب سبحانه عن مخاطبة المشركين
وارشادهم الى الحق بما ضربه لهم من المثل فقال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك وفيه الاضراب
مع الالتفات واقيم الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليهم بوصف الظلم اهواءهم بغير علم
اي لم يعقلوا الآيات بل اتبعوا اهواءهم الزائغة وآراءهم الفاسدة الزائفة والمعنى جاهلين
بانهم على ضلالة فمن يهدي من اضل الله اي لا احد يقدر على هدايته لان الرشاد
والهداية بتقدير الله وارادته وما لهم اي ما لهؤلاء الذين اضلهم الله والجمع باعتبار
معنى من من ناصرين ينصرونهم ويحولون بينهم وبين عذاب الله سبحانه ثم امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بتوحيده وعبادته كما امره فقال فاقم وجهك للدين حنيفا شبه الاقبال على
الدين بتقويم وجهه اليه واقباله عليه اي مائلا اليه مستقيما عليه غير ملتفت الى غيره
من الاديان الباطلة فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه
مقبلا عليه فطرت الله التي فطر الناس عليها الفطرة في الاصل الخلقة والمراد بها هنا الملة
وهي الاسلام والتوحيد قال الواحدي هذا قول المفسرين في الفطرة وقيل المراد بها قابلية الدين
والتهيؤ له وترسم الفطرت بالتاء المجرورة وليس في القرآن غيرها والمراد بالناس هنا الذين فطرهم
الله على الاسلام لان المشرك لم يفطر على الاسلام وهذا الخطاب وان كان خاصا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فامته داخلة معه فيه قال القرطبي باتفاق من اهل التاويل والاولى حمل الناس
على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم وانهم جميعا مفطورون على ذلك لولا عوارض
تعرض لهم فيبقون بسببها على الكفر كما في حديث ابي هريرة الثابت في الصحيح قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة ولكن ابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول
ابو هريرة واقرؤا ان شئتم فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي رواية حتى
تكونوا انتم تجدعونها اخرج احمد والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن الاسود بن سريع ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث سرية الى خيبر فقاتلوا المشركين فانتهى بهم القتل الى الذرية فلما جاؤا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما
حملكم على قتل الذرية قالوا يا رسول الله انما كانوا اولاد المشركين قال وهل خياركم الا اولاد

المشركين والذي نفسي بيده ما من نسمة تولد الا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها واخرج
احمد من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة حتى يعبر عنه لسانه فاذا عبر عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا وروى الامام احمد
في المسند عن عياض بن حمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال في خطبته حاكيا
عن الله سبحانه واني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاضلتهم عن
دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم الحديث وهذا معاضد لحديث ابي هريرة المتقدم
فكل فرد من افراد الناس مفطور اي مخلوق على ملة الاسلام ولكن لا اعتبار بالايمان والاسلام
الفطريين وانما يعتبر الايمان والاسلام الشرعيان وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم
وقول جماعة من المفسرين وهو الحق والقول بان المراد بالفطرة هنا الاسلام هو مذهب جمهور
السلف وقال آخرون هي البداءة التي ابتدأهم عليها فانه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة
والشقاوة والفاطر في كلام العرب هو المبتدي وهذا مصير من القائلين به الى معنى الفطرة
لغة واهمال معناها شرعا والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي باتفاق اهل الشرع ولا ينافي
ذلك ورود الفطرة في الكتاب او السنة في بعض المواضع مرادا بها المعنى اللغوي كقوله تعالى
الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبتديهما وكقوله ومالي لا اعبد الذي فطرني
اذ لا نزاع في ان المعنى اللغوي هو هذا ولكن النزاع في المعنى الشرعي للفطرة وهو ما ذكره
الاولون كما بيناه وانتصاب فطرة على انها مصدر مؤكد للجملة التي قبلها وقال الزجاج منصوب
بمعنى اتبع فطرة الله قال لان معنى فاقم وجهك للدين اتبع الدين واتبع فطرة الله وقال ابن جرير
هي مصدر من معنى فاقم وجهك لان معنى ذلك فطر الله الناس على الدين وقيل هي منصوبة
على الاغراء اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله ورد هذا الوجه ابو حيان وقال ان كلمة
الاغراء لا تضمر اذ هي عوض عن الفعل فلو حذفها لزم حذف العوض والمعوض عنه وهو اجحاف
واجيب بان هذا راي البصريين واما الكسائي واتباعه فيجيزون ذلك لا تبديل لخلق الله
اي لما جبلكم وطبعكم عليه من قبول الحق وهذا تعليل لما قبله من الامر بلزوم الفطرة اي هذه
الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لها من جهة الخالق سبحانه او تعليل لوجوب الامتثال له

اي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى
وقبول وسوسة الشياطين وقيل لا يقدر احد ان يغيره فلا بد من حمل التبديل على تبديل
نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه
ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل من جهة ان سلامة
الفطرة متحققة في كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال به
بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذكره ابو السعود وقيل هو نفي معناه النهي اي
لا تبدلوا خلق الله قال مجاهد وابراهيم النخعي معناه لا تبديل لدين الله قال قتادة وابن جبير
والضحاك وابن زيد هذا في المعتقدات وقال عكرمة ان المعنى لا تغيير لخلق الله في البهائم بان
تخصى فحولها وقيل لا تبدلوا التوحيد بالشرك والسنة بالبدعة وقيل لا تبديل لما جبل عليه
الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا ذلك الدين
المامور باقامة الوجه له هو الدين القيم او لزوم الفطرة هو الدين القيم المستقيم وقال
ابن عباس الدين القضاء ولكن اكثر الناس اي كفار مكة لا يعلمون ذلك حتى يفعلوه ويعملوا به
منيبين اليه اي راجعين اليه بالتوبة والاخلاص ومطيعين له في اوامره ونواهيه قال الجوهري
اناب الى الله اقبل وتاب قال الفراء فاقم وجهك ومن معك منيبين وكذا قال الزجاج وقال
تقديره فاقم وجهك وامتك فالحال من الجميع وقيل كونوا منيبين اليه لدلالة ولا تكونوا
من المشركين على ذلك ثم امرهم سبحانه بالتقوى بعد امرهم بالانابة فقال واتقوه اي خافوه
باجتناب معاصيه واقيموا الصلاة التي امرتم بها ولا تكونوا من المشركين بالله اي ممن يشرك
به غيره في العبادة وقوله من الذين فرقوا دينهم باختلافهم فيما يعبدونه وهو بدل مما
قبله باعادة الجار وكانوا شيعا الشيع الفرق اي لا تكونوا من الذين تفرقوا فرقا في الدين
يشايع بعضهم بعضا من اهل البدع والاهواء وقيل المراد بهم اليهود والنصارى وقرئ
فارقوا دينهم اي الذي يجب اتباعه وهو التوحيد ومعنى شيعا وقد تقدم تفسير هذه
الاية في اخر سورة الانعام كل حزب بما لديهم اي كل فريق منهم بما لديهم من الدين المبني على غير
الصواب فرحون اي مسرورون مبتهجون يظنون انهم على الحق وليس بايديهم منه شيء والجملة اعتراضية

مقررة لما قبلها من تفريقهم دينهم وكونهم شيعاً وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ اي كفار مكة وغيرهم ضُرٌّ
اي قحط وشدة او مرض دَعَوْا رَبَّهُمْ ان يرفع ذلك عنهم واستغاثوا به مُنِيبِينَ
اليه راجعين منقطعين اليه لا يعولون على غيره وقيل مقبلين عليه بكل قلوبهم ثُمَّ إِذَا
أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً باجابة دعائهم ورفع تلك الشدائد عنهم إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ اذا هي الفجائية وقعت جواب الشرط لانها كالفاء في افادة التعقيب اي فاجأ فريق
منهم الاشراك وهم الذين دعوه فخلصهم مما كانوا فيه وهذا الكلام مسوق للتعجيب
من احوالهم وما صاروا عليه من الاعتراف بوحدانية الله سبحانه عند نزول الشدائد
والرجوع الى الشرك عند رفع ذلك عنهم وفيه مراعاة معنى لفظ الفريق وكذا في قوله لِيَكْفُرُوا
بِمَا آتَيْنَاهُمْ اي بنعمة الله عليهم واللام لام كي وقيل لام الامر لقصد الوعيد والتهديد
وقيل هي لام العاقبة التي تقتضي المهلة سميت لام المآل والشرك والكفران متقاربان لا مهلة
بينهما ثم خاطب سبحانه هؤلاء الذين وقع منهم ما وقع فقال فَتَمَتَّعُوا اريد به التهديد ايضا
وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب لاجل المبالغة في زجرهم وقرئ فتمتعوا على الخطاب و
بالتحتية على البناء للمفعول وفي مصحف ابن مسعود فليتمتعوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ما يتعقب
هذا التمتع الزائل من العذاب الاليم أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ام هي المنقطعة والاستفهام
للانكار على مذهب الكوفيين ومذهب البصريين انها بمعنى بل والهمزة والسلطان الحجة الظاهرة
وفيه التفات عن الخطاب الى الغيبة للايذان بالاعراض عنهم وبعدهم عن ساحة الخطاب
قال الفراء ان العرب تؤنث السلطان يقولون قضت به عليك السلطان فاما البصريون
فالتذكير عندهم افصح وبه جاء القرآن والتأنيث عندهم جائز لانه بمعنى الحجة وقيل المراد
بالسلطان هنا الملك فَهُوَ يَتَكَلَّمُ اي يدل كما في قوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وهو
في حيز النفي المستفاد من ام بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ اي ينطق باشراكهم بالله سبحانه او المعنى بالامر
الذي كانوا بسببه يشركون وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ اي كفار مكة وغيرهم رَحْمَةً اي خصبا ومطرا
ونعمة وسعة وصحة وعافية فَرِحُوا بِهَا فرح بطر واشر لا فرح شكر بها وابتهاج بوصولها اليهم
كما دل عليه قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ثم قال سبحانه وَإِنْ تُصِبْهُمْ

سيئة أي بلاء من جدب وضيق أو مرض أو شدة على أي صفة بما قدمت أيديهم أي
بسبب شؤم ذنوبهم إذا هم يقنطون القنوط الإياس من الرحمة كذا قال الجمهور وقال الحسن
القنوط ترك فرائض الله سبحانه وقرئ يقنطون بفتح النون وبكسرها وهما سبعيتان وبابه ضرب
وتعب والمعنى إذا هم ييئسون وهذا خلاف وصف المؤمنين فإن من شأنهم أن يشكروا عند
النعمة ويرجوا ربهم عند الشدة أو يقال الدعاء اللساني بناء على مجرى العادة لا ينافي القنوط القلبي
وقد يشاهد مثل ذلك في كثير من الناس فلا يخالف هذا قوله دعوا ربهم منيبين إليه أو المراد
يفعلون فعل القانطين كالاهتمام بجمع الذخائر أيام الغلاء قاله الكرخي أولم يروا أي فما بالهم لم
يشكروا في السراء والضراء كالمؤمنين ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق أي يوسعه لمن يشاء
من عباده امتحانا هل يشكر أم يطغى فيكفر ويقدر أي يضيق على من يشاء ابتلاء هل يصبر
أم يضيق ذرعا فيكفر إن في ذلك البسط والقبض لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها
على الحق لدلالتها على كمال القدرة وبديع الصنع وغريب الخلق والحكمة ولما بين سبحانه كيفية
التعظيم لأمر الله أشار إلى ما ينبغي من مواساة القرابة وأهل الحاجات ممن بسط الله له في
رزقه فقال فآت ذا القربى حقه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته أسوته أو لكل مكلف
له مال وسع الله به عليه وقدم الإحسان إلى القرابة لأن خير الصدقة ما كان على قريب
فهو صدقة مضاعفة وصلة رحم مرغب فيها والمراد الإحسان إليهم بالصدقة والصلة والبر
سواء كانوا في مخمصة أو لم يكونوا وقيل فيه دليل على وجوب النفقة للمحارم وبه قالت الحنفية
وعدم ذكر بقية الأصناف المستحقين للزكوة يدل على أن ذلك في صدقة التطوع وقاس
الشافعي سائر الأقارب ما عدا الفروع والأصول على ابن العم لأنه لا ولادة بينهم ولا يصح حمل
الصدقة على الواجبة وهي الزكوة لأن السورة مكية والزكوة ما فرضت إلا في السنة الثانية
من الهجرة بالمدينة وللقريب الفقير في مال قريبه الغني حق واجب به قال مجاهد وقتادة قال مجاهد
لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاج وقيل المراد بالقربى قرابة النبي صلى الله عليه وسلم قال القرطبي
والأول أصح فإن حقهم مبين في كتاب الله عز وجل في قوله فأن لله خمسه وللرسول ولذي
القربى وقال الحسن إن الأمر في إيتاء ذي القربى للندب والمسكين وابن السبيل أي أعطهما

حقهما الذي يستحقانه ووجه تخصيص الاصناف الثلاثة بالذكر انهم اولى من سائر
الاصناف بالاحسان ولكون ذلك واجبا لهم على كل من له مال فاضل عن كفايته وكفاية
من يعول سواء كان زكويا او لم يكن وسواء كان قبل الحول او بعده لان المقصود هنا
الشفقة العامة وهؤلاء الثلاثة يجب الاحسان اليهم وان لم يكن للانسان مال زائد والفقير
داخل في المسكين لان من اوصى للمساكين بشيء يصرف الى الفقراء ايضا واذا نظرت الى الباقين
من الاصناف رايتهم لا يجب صرف المال اليهم الا على الذين وجبت الزكوة عليهم واما المسكين
فحاجته ليست مختصة بموضع فقدم على من حاجته مختصة بموضع دون موضع قال مقاتل
حق المسكين ان يتصدق عليه وحق ابن السبيل الضيافة وقد اختلف في هذه الاية
هل هي محكمة او منسوخة باية المواريث وقيل محكمة ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ
اي ذلك الايتاء افضل من الامساك لمن يريد التقرب الى الله سبحانه ويقصد بمعروفه اياه
خالصا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اي الفائزون بمطلوبهم حيث انفقوا لوجه الله امتثالا لامره
وَمَا آتَيْتُم بالمد بمعنى اعطيتم وقرئ بالقصر بمعنى ما فعلتم وهما سبعيتان وقيل بالقصر معنى
جئتم به من اعطاء ربا وهو يؤل من حيث المعنى الى القراءة المشهورة لانه يقال اتى معروفا واتى
قبيحا اذا فعلهما مِّن رِّبًا واجمعوا على الاولى في قوله وما آتيتم من زكوة اصل الربا الزيادة و
المعنى ما اعطيتم من زيادة خالية عن العوض بان تعطوا شيئا هبة او هدية لِّيَرْبُوَ فِي
أَمْوَالِ النَّاسِ اي ليزيد ويزكو في اموالهم فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ قرئ بالتحتية على ان الفعل
مسند الى ضمير الربا وقرئ بالفوقية مضمومة خطابا للجماعة بمعنى لتكونوا ذوي زيادات
وقرئ لتربوها ومعنى الاية انه لا يزكو عند الله ولا يثيب عليه لانه لا يقبل الا ما اريد به
وجهه خالصا قال السدي الربا في هذا الموضع الهدية يهديها الرجل لاخيه يطلب
المكافاة فان ذلك لا يربو عند الله اي لا يوجر عليه صاحبه ولا اثم عليه وهكذا قال قتادة
والضحاك قال الواحدي وهذا قول جماعة المفسرين قال الزجاج يعني دفع الرجل الشيء ليعوض
اكثر منه وذلك ليس بحرام ولكنه لا ثواب فيه لان الذي يهبه يستدعي به ما هو اكثر منه وقال
الشعبي معنى الاية ان ما خدم به الانسان احدا لينتفع به في دنياه فان ذلك النفع الذي

يجزي به الخدمة لا يربو عند الله وقيل هذا كان حراما على النبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص
لقوله سبحانه ولا تمنن تستكثر ومعناها ان تعطي فتاخذ اكثر منه عوضا عنه وحرم عليه
تشريفا له وقيل ان هذه الآية نزلت في هبة الثواب وبه قال ابن عباس وابن جبير وطاؤس
ومجاهد قال ابن عطية وما يجري مجراه مما يصنعه الانسان ليجازي عليه كالسلام وغيره
وهو وان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله قال عكرمة الربا ربا ان فربا حلال
وربا حرام فاما الربا الحلال فهو الذي يهدي يلتمس ما هو افضل منه يعني كما في هذه الآية
وقيل ان هذا الذي في هذه الآية هو الربا المحرم فمعنى لا يربو عند الله على هذا القول لا يحكم
به بل هو للماخوذ منه قال المهلب اختلف العلماء فيمن وهب هبة يطلب بها الثواب فقال مالك ينظر
فيه فان كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له فله مثل ذلك مثل هبة الفقير للغني وهبة
الخادم للمخدوم وهبة الرجل لاميره وهو احد قولي الشافعي وقال ابو حنيفة رح لا يكون له ثواب
اذا لم يشترط وهو قول الشافعي الآخر وعن علي قال المواهب ثلاثة موهبة يراد بها وجه الله
وموهبة يراد بها ثناء الناس وموهبة يراد بها الثواب فموهبة الثواب يرجع فيها صاحبها
اذا لم يثب عليها بخلاف القسمين الآخرين فلا يرجع فيهما صاحبهما قال ابن عباس في الآية الربا
ربا ان ربا لا باس به وربا لا يصلح فاما الربا الذي لا باس به فهدية الرجل الى الرجل يريد
فضلها واضعافها وعنه قال هذا هو الربا الحلال ان يهدي يريد اكثر منه وليس له اجر ولا وزر
ونهي النبي صلى الله عليه وسلم خاصة فقال ولا تمنن تستكثر وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله
اي وما اعطيتم من صدقة تطوع لا تطلبون بها المكافاة وانما تقصدون بها ما عند الله
فاولئك هم المضعفون اي ذوو الاضعاف من الحسنات الذين يعطون بالحسنة عشرة امثالها
الى سبعمائة ضعف قال الفراء هو نحو قولهم مسمن ومعطش ومضعف اذا كانت له ابل سمان او عطاش
وضعيفة وقرئ بفتح العين اسم مفعول وفيه التفات حسن عن الخطاب لانه يفيد التعظيم كانه
خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم فهو امدح لهم من ان يقول وانتم المضعفون
والتعميم بغير المخاطبين كانه قال من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين وكان مقتضى ظاهر
المقابلة ان يقال فيربوا عند الله فغير عبارة الربا الى الاضعاف وغير نظم الفعلية الى الاسمية الدالة

على الدوام التسمية على ضمير الفصل المفيد للحصر والمعنى المضعفون به لانه لا بد له من ضمير
يرجع الى ما الموصولة الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم عاد سبحانه الى
الاحتجاج على المشركين وانه الخالق الرازق المميت المحيي اي المختص بالخلق والرزق والاماتة والاحياء
ثم قال على جهة الاستفهام هل من شركائكم اي اصنامكم التي زعمتم انهم شركاء
واضاف الشركاء اليهم لانهم كانوا يسمونهم الهة ويجعلون لهم نصيبا من اموالهم من يفعل من ذلكم اي الخلق
والرزق والاماتة والاحياء من شيء اي شيئا من هذه الافعال ومعلوم انهم يقولون ليس فيهم
من يفعل شيئا من ذلك فتقوم عليهم الحجة ومن الاولى والثانية لبيان شروع الحكم في جنس
الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفي ثم نزه سبحانه نفسه فقال سبحانه وتعالى عما
يشركون اي نزهوه تنزيها وهو متعال عن ان يجوز عليه شيء من ذلك ظهر الفساد بين
سبحانه ان الشرك والمعاصي سبب لظهور الفساد في البر والبحر اي العالم والفساد من فسد
كنصر وكرم فسادا ضد صلح فهو فاسد والفساد اخذ المال ظلما والجدب والمفسدة ضد المصلحة
واختلف في معنى ظهور الفساد المذكور فقيل هو القحط وعدم النبات ونقصان الرزق وكثرة
الخوف ونحو ذلك وقال مجاهد وعكرمة فساد البر قتل ابن ادم اخاه يعني قتل قابيل لهابيل و
فساد البحر الملك الذي ياخذ كل سفينة غصبا وليت شعري اي دليل دلهما على هذا التخصيص
البعيد والتعيين الغريب فان الاية نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم والتعريف في الفساد يدل على
الجنس فيعم كل فساد واقع في حيزي البر والبحر وقال السدي الفساد الشرك وهو اعظم الفساد و
يمكن ان يقال ان الشرك وان كان الفرد الكامل في انواع المعاصي ولكن لا دليل على انه المراد
بخصوصه وقيل الفساد كساد الاسعار وقلة المعاش وقيل قطع السبل والظلم وقيل نقصان
البركة باعمال العباد كي يتوبوا قال النحاس وهو احسن ما قيل في الاية وعنه ان الفساد في
البحر انقطاع صيده بذنوب بني ادم قال ابن عطية فاذا قل المطر قل الغوص فيه وعميت دواب
البحر وقيل غير ذلك مما هو تخصيص لا دليل عليه والظاهر من الاية ظهور ما يصح اطلاق اسم
الفساد عليه سواء كان راجعا الى افعال بني ادم من معاصيهم واقترافهم السيئات وتقاطعهم
وتظالمهم وتقاتلهم او راجعا الى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب ذنوبهم كالقحط وكثرة الخوف

والموتان ونقصان الزرائع والثمار وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شيء والبر والبحر هما المعروفان المشهوران وقيل البر الفيافي والبحر القرى التي على ماء قاله عكرمة والعرب تسمي الامصار البحار قال مجاهد البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر والبحر ما كان على شط نهر وعن ابن عباس نحوه والاول اولى ويكون معنى البر مدن البر ومعنى البحر مدن البحر وما يتصل بالمدن من مزارعها ومراعيها بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ من المعاصي والذنوب والباء للسببية وما موصولة او مصدرية لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا اللام للعلة اي ليذيقهم عقاب بعض عملهم او جزاء بعض عملهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الاخرة وقيل للصيرورة وقرئ بالياء ونون العظمة لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عما هم فيه من المعاصي ويتوبون الى الله قال ابن عباس يرجعون من الذنوب ولما بين سبحانه ظهور الفساد فيهما بما كسبت ايدي المشركين العصاة بين لهم ضلال امثالهم من اهل الزمن الاول فقال قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ امرهم بان يسيروا لينظروا آثارهم ويشاهدوا كيف كانت عاقبتهم فان منازلهم خاوية واراضيهم مقفرة موحشة كعاد وثمود ونحوهم من طوائف الكفار كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ مستانفة لبيان الحالة التي كانوا عليها وايضاح السبب الذي صارت عاقبتهم به الى ما صارت اليه وهو فشو الشرك والعصيان فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فَأَقِمْ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته اسوته فيه كان المعنى اذا قد ظهر الفساد بالسبب المتقدم فاقم وَجْهَكَ يا محمد لِلدِّينِ الْقَيِّمِ قال الزجاج اجعل جهتك اتباع الدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى فيه عوج وهو الاسلام وقيل المعنى اوضح الحق وبالغ في الاعذار واشتغل بما انت فيه ولا تحزن عليهم قاله القرطبي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ يعني يوم القيامة لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ المرد مصدر رد اي لا يقدر احد على ان يرده كقوله لا يستطيعون ردها

——— فلا بد من وقوعه وقيل المعنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه قاله ابو السعود وفيه من الضعف وسوء الادب مع الله ما لا يخفى يَوْمَئِذٍ اي يوم اذ ياتي هذا اليوم يَصَّدَّعُونَ اصله يتصدعون والتصدع التفرق يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه قول الشاعر ☼ وكنا كندماني جذيمة حقبة ☼ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا ☼ وفي المصباح

صدعته صدعًا من باب نفع شققته فانصدع وصدعت القوم صدعًا فتصدعوا اي فرقتهم
فتفرقوا وقوله فاصدع بما تؤمر قيل ماخوذ من هذا اي شق جماعاتهم بالتوحيد وقيل افرق
بذلك بين الحق والباطل وقيل اظهر ذلك وصدعت بالحق تكلمت به جهارًا وصدعت الفلاة
قطعتها والمراد يتفرقون فيصيران اهل الجنة يصيرون الى الجنة واهل النار الى النار ثم فصل سبحانه
المتصدعين بقوله مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ اي جزاء كفره ووباله وهو النار وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ اي يوطئون لانفسهم منازل في الجنة بالعمل الصالح والمهاد الفراش وقد
تقول مهدت الفراش مهدًا اذا بسطته ووطأته فجعل الاعمال الصالحة التي هي سبب للنزول
الجنة كبناء المنازل في الجنة وفرشها وقيل المعنى فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق
ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص وقال مجاهد فلانفسهم
يمهدون في القبر اي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ والكافرين بعدله اي يتفرقون ليجزي الله المؤمنين بما يستحقونه
على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تجاوزه
او يمهدون لانفسهم بالاعمال الصالحة ليجزيهم وقال ابن عطية تقديره ذلك ليجزي وتكون
الاشارة الى ما تقدم من قوله من كفر ومن عمل قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابًا اكثر من اعمالهم
وجعل ابو حيان قسيم قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات محذوفًا لدلالة قوله إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ عليه لانه كناية عن بغضه لهم الموجب لغضبه سبحانه وغضبه يستتبع عقوبته
وقيل تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس وفيه تهديد ووعيد لهم وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ
الرِّيَاحَ اي ومن دلالات بديع قدرته تعالى ارسال الرياح اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح
الرحمة واما الدبور فهي ريح العذاب ومنه قوله صلعم اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا وقرئ الريح
بالجمع والافراد على قصد الجنس لاجل قوله مُبَشِّرَاتٍ بالمطر لانها تتقدمه كما في قوله سبحانه بشرًا
بين يدي رحمته وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ اي يرسلها ليذيقكم بها الغيث والخصب ونعمته
من المياه العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وما يتبع ذلك من امور لا يحصيها الا الله
وقيل اللام متعلقة بمحذوف اي وليذيقكم ارسلها وقيل الواو مزيدة على راي من يجوز ذلك

فتتعلق اللام بيرسل ومن تبعيضية ويرسل الرياح لتجري الفلك في البحر عند هبوبها ولما
اسند الجري الى الفلك عقبه بقوله بامره اي بتدبيره او بتكوينه كقوله انما امره اذا اراد شيئا
الآية ولتبتغوا الرزق من فضله بالتجارة التي تحملها السفن ولعلكم تشكرون هذه النعم
فتفردون الله بالعبادة وتستكثرون من الطاعة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى
قومهم كما ارسلناك الى قومك وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو اعتراض بين
الكلامين المتصلين معنى اي قوله ومن آياته ان يرسل الرياح وقوله الله الذي يرسل الرياح
وقال ابو حيان جاء تانيسا له صلى الله عليه وآله وسلم ووعدا بالنصر ووعيدا لاهل الكفر وحقية نصر
المؤمنين على الله لا تختص بالدنيا بل تعم الآخرة ايضا فما في الآخرة من متناولات الآية فجاؤهم
بالبينات اي بالمعجزات الواضحات والحجج النيرات على صدقهم في رسالتهم اليهم فآمن بهم قوم
وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله فانتقمنا بالاهلاك في الدنيا من الذين اجرموا
اي فعلوا الاجرام وهي الآثام وكان حقا علينا نصر المؤمنين على الكافرين باهلاكهم وانجاء
المؤمنين هذا اخبار من الله سبحانه بان نصره لعباده المؤمنين حق عليه وهو صادق الوعد
لا يخلف الميعاد وفيه تشريف للمؤمنين ومزيد تكرمة لعباده الصالحين اخرج الطبراني
وابن ابي حاتم وابن مردويه والترمذي عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله و
سلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم
القيامة ثم تلى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهو من طريق شهر بن حوشب عن ام الدرداء
عن ابي الدرداء الله الذي يرسل الرياح قرئ بالجمع والافراد قال ابو عمرو كل ما كان بمعنى
الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى العذاب فهو موحد وهي مسوقة لبيان ما سبق من احوال
الرياح فتثير سحابا اي تزعجه وتهيجه وتحركه فيبسطه اي ينشره متصلا بعضه ببعض
بنشره كمال الانتشار والاصل لا انتشار موجود في السحاب كائنا في السماء اي في سمت السماء
وجهتها وشقها كقوله وفرعها في السماء اي في جهة العلو وليس المراد حقيقة السماء المعروفة
كيف يشاء تارة سائرا وتارة واقفا وتارة مطبقا وتارة غير مطبق وتارة الى مسافة
بعيدة وتارة الى مسافة قريبة وتارة من ناحية الشمال وتارة من ناحية الجنوب والدبور

الصبا وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة وفي سورة النور ويجعله كسفاً تارة اخرى اي
يجعله بعد بسطه قطعاً متفرقة بعضها فوق بعض والكسف جمع كسفة بالكسر
وهي القطعة من الشيء اي السحاب والمسكن مخفف من المحرك بمعنى والقراءتان سبعيتان والجمع
اكساف وكسوف وكسفته يكسفه قطعه فترى الودق اي المطر يخرج في التارتين جميعاً من
خلاله اي من بينه ووسطه فاذا اصاب به اي بالودق من يشاء من عباده اي بلادهم
وارضهم اذا هم يستبشرون اذا هي الفجائية اي فاجئوا الاستبشار بمجيء المطر والخصب و
الاستبشار الفرح وإن اي وان الشأن وفسر المحلى ان بقد تبعاً للبغوي والاول اولى ويدل له اللام
في لمبلسين فانها اللام الفارقة كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد
قاله الاخفش واكثر النحويين كما حكاه عنهم النحاس كقوله فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين
فيها ومعنى التوكيد فيها على ما قاله الزمخشري الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم يأسهم
وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قال السمين وهو كلام حسن
وقال ابن عطية وفائدة هذا التاكيد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار
وذلك ان قوله من قبل ان ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان اي من قبل ان ينزل بكثير كالايام
فجاء قوله من قبله بمعنى ان ذلك متصل بالمطر فهو تاكيد مفيد وقال قطرب ان الضمير في قبله
راجع الى المطر اي وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر وقيل المعنى من قبل تنزيل الغيث عليهم من
قبل الزرع والمطر وقيل من قبل ان ينزل عليهم من قبل السحاب اي من قبل رؤيته واختار هذا النحاس
وقيل الضمير عائد الى الكسف وقيل الى الارسال وقيل الى الاستبشار والراجح الوجه الاول و
ما بعده من هذه الوجوه كلها في غاية التكلف والتعسف لمبلسين اي آيسين او بائسين
يقال ابلس الرجل ابلاساً سكت وابلس آيس وقد تقدم تحقيق الكلام في هذا فانظر الى آثار
رحمت الله الناشئة عن انزال المطر من النبات والثمار والزرائع التي بها يكون الخصب ورخاء
العيش اي انظر نظر اعتبار واستبصار لتستدل بذلك على توحيد الله وتفرده بهذا الصنع
العجيب والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وآثار بالجمع سبعية كيف
يحيي الارض بعد موتها فاعل الاحياء ضمير يعود الى الله سبحانه وقيل ضمير يعود الى الاثر

انظر الى كيفية هذا الاحياء البديع للارض بعد موتها والمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته
وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لامر البعث وقرئ تحيي بالفوقية على ان فاعله ضمير يعود
الى الرحمة او الى الآثار إِنَّ ذَٰلِكَ اي ان الله العظيم الشان المخترع لهذه الاشياء المذكورة لَمُحْيِي
الْمَوْتَىٰ اي لقادر على احيائهم في الآخرة وبعثهم ومجازاتهم كما احيى الارض الميتة بالمطر وهذا
استدلال باحياء الموات على احياء الاموات وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اي عظيم القدرة كثيرها
وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا مضرة وهي الريح الدبور التي
اهلكت بها عاد فَرَأَوْهُ اي الزرع والنبات الذي كان من اثر رحمة الله مُصْفَرًّا من البرد الناشئ
عن الريح التي ارسلها الله بعد اخضراره وقيل الضمير راجع الى الريح وهو يجوز تذكيره وتانيثه
وقيل راجع الى الاثر المدلول عليه بالآثار وقيل راجع الى السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر والاول
اولى واللام هي الموطئة وجواب القسم قوله تعالى لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ وهو يسد مسد جواب الشرط
لانه اجتمع هنا شرط وقسم والشرط مؤخر فحذف جوابه دلالة عليه بجواب القسم على القاعدة
والمعنى والله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفرة لظلوا من بعد ذلك
يَكْفُرُونَ بالله ويجحدون نعمه والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو ارسلت عذابا على زرعهم
لجحدوا سالف نعمتي وفي هذا دليل على سرعة تقلبهم وعدم صبرهم وضعف قلوبهم وليس
كذا حال اهل الايمان ثم شبههم بالموتى وبالصم فقال فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ اي موتى القلوب
اذا دعوتهم فكذا هؤلاء لعدم فهمهم للحقائق ومعرفتهم للصواب وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ
اذا دعوتهم الى الحق ووعظتهم بمواعظ الله وذكرتهم الآخرة وما فيها إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ
بيان لاعراضهم عن الحق بعد بيان كونهم كالاموات وكونهم صم الآذان وقد تقدم تفسير
هذا في سورة النمل فان قلت الاصم لا يسمع مقبلا او مدبرا فما فائدة هذا التخصيص قلت هو
اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالاشارة. عن ابن عباس قال
نزلت هذه الآية في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاهل بدر والاسناد ضعيف والمشهور في الصحيحين
وغيرهما ان عائشة استدلت بهذه الآية على رد رواية من روى من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
نادى اهل قليب بدر وهو من الاستدلال بالعام على رد الخاص فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لما قيل له انك تنادي اجسادا بالية ما انتم باسمع لما اقول منهم وفي مسلم من حديث
انس ان عمر بن الخطاب لما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يناديهم فقال يا رسول الله تناديهم بعد
ثلاث وهل يسمعون يقول الله انك لا تسمع الموتى فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم
ولكنهم لا يطيقون ان يجيبوا ثم وصفهم بالعمى فقال وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ
لفقدهم للانتفاع بالابصار كما ينبغي او لفقدهم للبصائر إِنْ اي ما تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا
لكونهم اهل التفكر والتدبر والاستدلال بالآثار على المؤثر فَهُمْ مُسْلِمُونَ اي منقادون للحق
متبعون له وفيه مراعاة معنى من اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ذكر سبحانه استدلالا آخر على كمال قدرته
وهو خلق الانسان نفسه على اطوار مختلفة كما قال مِنْ ضَعْفٍ اي بدأكم وانشأكم على ضعف
وهو مصدر ضد القوة قال الواحدي قال المفسرون من نطفة كقوله من ماء مهين اي ذي ضعف
وقيل المراد حال الطفولية والصغر فهذه احوال غاية الضعف قرئ ضعف بضم الضاد
في هذه المواضع وبفتحها وهما سبعيتان قال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم قال الجوهري
الضُعف والضَعف خلاف القوة والصحة وقيل هو بالفتح في الرأي وبالضم في الجسم واجاز الكوفيون
ضعف بفتحتين ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً وهي قوة الشباب وبلوغ الاشد فانه اذ ذاك
تستحكم القوة وتشتد الخلقة الى بلوغ النهاية ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا اي عند الكبر
والهرم وَشَيْبَةً هي تمام الضعف ونهاية الكبر و بياض الشعر الاسود ويحصل اوله في الغالب
في السنة الثالثة والاربعين وهو اول سن الاكتهال والاخذ في النقص بالفعل بعد الخمسين الى
ان يزيد النقص في الثالثة والستين وهو اول سن الشيخوخة ويقوى الضعف الى ما شاء الله تعالى
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ من جميع الاشياء ومن جملتها القوة والضعف والشباب والشيبة في بني آدم
وَهُوَ الْعَلِيمُ بتدبيره واحوالهم الْقَدِيرُ على خلق ما يريده وتغييرهم وهذا الترديد في
الاحوال ابين دليل على الصانع القادر وَيَوْمَ تَقُومُ اي توجد وتحصل السَّاعَةُ اي القيامة
وهي النفخة الثانية وسميت ساعة لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع
بغتة يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ اي يحلف المشركون والكافرون المنكرون للبعث بانهم مَا لَبِثُوا في الدنيا
قاله الخطيب والكشاف والقاضي او في قبورهم قاله مقاتل والكلبي غَيْرَ سَاعَةٍ فيمكن ان يكونوا



استقلوا مدة لبثهم واستقر ذلك في اذهانهم فحلفوا عليه وهم يظنون ان حلفهم مطابق
للواقع وقال ابن قتيبة انهم كذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل وهذا هو الظاهر
لانهم ارادوا لبثهم في الدنيا فقد علم كل واحد منهم مقداره وان ارادوا لبثهم في القبور
فقد حلفوا على جهالة ان كانوا لا يعرفون الاوقات في البرزخ كذلك الصرف كانوا يؤفكون
اي يصرفون ويقولون ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين يقال افك الرجل اذا صرف عن الصدق
والحق وقيل المراد يصرفون عن الحق وقيل عن الخير والاول اولى وهو دليل على ان حلفهم كذب
وقال الذين اوتوا العلم والايمان اختلف في تعيين هؤلاء فقيل الملائكة وقيل الانبياء
وقيل علماء الامم وقيل مؤمنوا هذه الامة ولا مانع من الحمل على الجميع قالوا ردا على هؤلاء
الكفرة وتكذيبا لهم لقد لبثتم في كتاب الله اي في سابق علمه وسالف قضائه الى يوم
البعث قال الزجاج في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ قال الواحدي المفسرون حملوا هذا على
التقديم والتاخير على تقدير وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله وكان رد الذين اوتوا العلم
عليهم باليمين للتاكيد وللمقابلة لليمين باليمين ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم
على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث فنبهوهم على طريقة التبكيت بقولهم
فهذا الوقت الذي صاروا فيه هو يوم البعث الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وقيل الفاء
جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان
انكاركم ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق وقوعه في الدنيا بل كنتم تستعجلونه تكذيبا واستهزاء
فيومئذ الفاء تفصيل لما يفهم مما قبلها من انه لا يفيدهم تقليل مدة اللبث ولا النسيان
او هو جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي لا ينفعهم الاعتذار يومئذ
ولا يفيدهم علمهم بالقيامة كما توهموا ان التقليل ونحوه عذر في عدم طاعتهم كقوله اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وقيل لما رد عليهم المؤمنون سألوا الرجوع الى الدنيا واعتذروا
فلم يعذروا وقرئ لا ينفع بالتحتية وبالفوقية وهما سبعيتان ولا هم يستعتبون اي لا يطلب
منهم العتبى وهو الرجوع الى ما يرضي الله من التوبة والعمل الصالح وذلك لانقطاع التكليف في
ذلك اليوم يقال استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني وذلك اذا كنت جانيا عليه

وحقيقة اعتبته ازلت عتبه والمعنى انهم لا يدعون الى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما
دعوا الى ذلك في الدنيا ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي وصفنا لهم
كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين
يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من
استعتابهم وقد ضربنا لهم من كل مثل من الامثال التي تدلهم على توحيد الله وصدق رسله
واحتججنا عليهم بكل حجة تدل على بطلان الشرك وفيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما
فوق الكفاية من الانذار ولئن جئتهم باية من ايات القرآن الناطقة بذلك او لئن جئتهم
باية كالعصى واليد او جئتهم بكل اية جاءت به الرسل ليقولن الذين كفروا منهم
ان انتم الا مبطلون اي ما انت يا محمد واصحابك الا اصحاب اباطيل تتبعون السحر وما هو
مشاكل له في البطلان او انكر كلكم ايها الرسل مبطلون واللام موكدة واقعة في جواب القسم
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اي الفاقدين للعلم النافع الذي
يهتدون به الى الحق والتوحيد وينجون به من الباطل والشرك والمصرين على خرافات اعتقدوها
فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم
بالصبر معللا لذلك بحقية وعده سبحانه وعدم الخلف فيه فقال فاصبر على ما تسمعه منهم
من الاذى وتنظره من الافعال الكفرية والفاء فصيحة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصر
عليهم واعلاء حجتك واظهار دعوتك ووعده حق لا خلف فيه ولا يستخفنك اي لا يحملنك
يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخفة والجهل والطيش بترك الصبر ولا يستفزنك عن دينك وما انت
عليه يقال استخف فلان فلانا اي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي وقرئ من الاستحقاق والنهي في
الاية من باب لا اريناك ههنا الذين لا يوقنون بالله ولا يصدقون انبياءه ولا يؤمنون بكتبه ولا بالبعث والحساب

سورة لقمان آياتها ثلاث او اربع وثلاثون آية وهي مكية

الا ثلاث آيات وهي قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى تمام الآيات الثلاث قاله ابن
عباس وعنه انها مكية ولم يستثن وعن قتادة انها مكية الا آيتين فمدنيتان واخرج

النسائي وابن ماجة عن البراء قال كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظهر نسمع منه
الآية بعد الآية من سورة لقمان والذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله اعلم بمراده به وقد تقدم الكلام على مثل فاتحة هذه السورة فلا نعيده تلك آيات الكتاب
الحكيم وقد تقدم ايضا بيان مرجع الاشارة مرارا في نظائرها والحكيم اما ان يكون بمعنى مفعل
او بمعنى فاعل او بمعنى ذي الحكمة والحكيم قائله والاضافة بمعنى من هدى ورحمة قال الزجاج
المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة وقرئ بالرفع اي هو هدى ورحمة للمحسنين
المحسن العامل للحسنات او من يعبد الله كانه يراه كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح لما سأله
جبريل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ثم وصفهم بقوله
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون وخص هذه العبادات
الثلاث لانها عمدتها اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون قد تقدم تفسير
هذا في اوائل سورة البقرة والمعنى هنا ان اولئك المتصفين بالاحسان وفعل تلك الطاعات
التي هي امهات العبادات هم على طريقة الهدى وهم الفائزون بمطالبهم الظافرون بخيري
الدارين ومن الناس من يشتري من اما موصولة او موصوفة ومفرد لفظا جمع معنى و
روعي لفظها اولا في ثلاثة ضمائر يشتري ويضل ويتخذ وروعي معناها ثانيا في موضعين
وهما اولئك لهم ثم رجع الى مراعاة اللفظ في خمسة ضمائر وهي واذا تتلى عليه الخ لهو الحديث وهو
كل باطل يلهي ويشغل عن الخير من الغناء والملاهي والاحاديث المكذوبة والاضاحيك والسمر بالاساطير
التي لا اصل لها والخرافات والقصص المختلقة والمعازف والمزامير وكل ما هو منكر والاضافة بيانية
اي اللهو من الحديث لان اللهو يكون حديثا وغيره فهو كثوب خز وهذا ابلغ من حذف المضاف
وقيل المراد شراء القينات المغنيات والمغنيين فيكون التقدير من يشتري اهل لهو الحديث
قال الحسن لهو الحديث المعازف والغناء وروي عنه انه قال هو الكفر والشرك وفيه بعد والمراد بالحديث
الحديث المنكر والمعنى يختارون حديث الباطل على حديث الحق قال القرطبي ان اولى ما قيل في

هذا الباب هو تفسير لهو الحديث بالغنا قال وهو قول الصحابة والتابعين قال ابن عباس لهو
الحديث باطله وهو النضر بن الحارث بن علقمة اشترى احاديث الاعاجم واخبار الاكاسرة
وصنيعهم في دهرهم وكان يكتب الكتب من الحيرة الى الشام ويحدث بها قريشا ويكذب القران
وعنه قال هو الغنا واشباهه اخرجه البخاري في الادب المفرد وعنه قال الجواري الضاربات
وعن ابن مسعود قال هو والله الغنا وفي لفظ قال هو الغنا والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث
مرات وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغنا والاية نزلت
فيه وقيل هو كل لهو ولعب والمعنى يستبدل ويختار الغنا والمزامير والمعازف على القران واخرج
احمد والترمذي وابن ماجة والطبراني والبيهقي وغيرهم عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا
انزلت هذه الاية وفي اسناده عبيد بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم بن عبد الرحمن وفيهم ضعف
واخرج ابن ابي الدنيا في ذم الملاهي وابن مردويه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع اليها ثم قرء ومن الناس من يشتري
لهو الحديث واخرج البيهقي في السنن وابن ابي الدنيا وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنا ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل ورويناه عنه موقوفا واخرج ابن
ابي الدنيا وابن مردويه عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رفع احد صوته بغنا
الا بعث الله اليه شيطانين يجلسان على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك و
اخرج الترمذي عنه مرفوعا نحوه وفي الباب احاديث في كل حديث منها مقال وقال ابن
مسعود لهو الحديث الرجل يشتري جارية تغنيه ليلا ونهارا وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في لهو الحديث انما ذلك شراء الرجل اللعب والباطل اخرجه ابن مردويه وعن نافع قال كنت
اسير مع عبد الله بن عمر في طريق فسمع زمارة فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل
يقول يا نافع اتسمع قلت لا فاخرج اصبعيه من اذنيه وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
صنع وعن ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما نهيت عن صوتين احمقين فاجرين صوت
عند نغمة لهو ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان

ليضل عن سبيل الله اللام للتعليل قرئ بضم الياء اي ليضل غيره عن طريق الهدى ومنهج
الحق وقرئ بفتح الياء اي ليضل هو في نفسه ويدوم ويستمر ويثبت على الضلال وهما سبعيتان
قال الزجاج من قرأ بضم الياء فمعناه ليضل غيره فاذا اضل غيره فقد ضل هو ومن قرأ بالفتح فمعناه
ليصير امره الى الضلال وهو ان لم يكن يشتري الضلالة فانه امره الى ذلك فافاد هذا التعليل
انه انما يستحق الذم من اشترى لهو الحديث لهذا المقصد ويؤيد هذا سبب النزول قال ابن
عباس سبيل الله قراءة القران وذكر الله نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية قال
الطبري قد اجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه وانما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد
وعبد الله العنبري قال القاضي ابو بكر العربي يجوز للرجل ان يسمع غناء جاريته اذ ليس شيء منها عليه
حراما لا من ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها وقال في نيل الاوطار بعد
ذكر الاختلاف فيه مع الادلة لا يخفى على الناظر ان محل النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج
عن دائرة الاشتباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها
فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتملا على ذكر
القدود والخدود والجمال والدلال والهجر والوصال ومعاقرة العقار وخلع العذار والوقار فان سامع
ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف وكم لهذه
الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطلول واسير بهموم غرامه وهيامه مكبول نسأل الله السداد
والثبات قلت وقد جمع الشوكاني رسالة مشتملة على اقوال اهل العلم في الغناء وما استدل المحللون له
والمحرمون له وحقق هذا المقام بما لا يحتاج من نظر فيها وتدبر معانيها الى النظر في غيرها وسماها
ابطال دعوى الاجماع على تحريم مطلق السماع ولنا ايضا بحمد الله عز وجل جواب بسيط في جواز الغناء
وعدم جوازه بالفارسية ذكرناه في كتابنا هداية السائل فمن احب تحقيق المقام كما ينبغي فليرجع
الى ذلك بغير علم اي حال كونه غير عالم بحال ما يشتريه او بحال ما ينفع من التجارة وما يضر
فلهذا استبدل بالخير ما هو شر محض او يفعله عن جهل او جهلا منه بما عليه من الوزر ونحوه
قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي لصواب التجارة ويتخذها هزوا قرأ حمزة والكسائي
والاعمش بالنصب عطفا على يضل والضمير المنصوب راجع الى السبيل فيكون المعنى على هذه

القراءة من جملة التعليل للتحريم والمعنى انه يشتري لهو الحديث للاضلال عن سبيل الله و
اتخاذ السبيل هزوا اي مهزوا به والسبيل يذكر ويؤنث وقرأ الجمهور بالرفع عطفا على يشتري فهو
من جملة الصلة وقيل الرفع على الاستيناف والضمير المنصوب يعود الى الآيات المتقدم ذكرها والاول
اولى اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها لهم
عذاب مهين هو الشديد الذي يصير به من وقع عليه مهينا واذا تتلى عليه اي على هذا
المستهزئ آياتنا ولى مستكبرا اي اعرض عنها حال كونه مبالغا في التكبر رافعا نفسه عن الاصغاء
الى القرآن كأن لم يسمعها اي كان ذلك المعرض المستكبر لم يسمعها مع انه قد سمعها ولكن اشبهت
حاله حال من لم يسمع كأن في اذنيه وقرا ولا وقر فيهما والوقر الثقل وهو حال من لم يسمعها وقد
تقدم بيانه وفيه مبالغة في اعراض ذلك المعرض فبشره بعذاب اليم اي اخبره بان له العذاب
البليغ في الالم وذكر البشارة تهكم به ثم لما بين سبحانه حال من يعرض عن الآيات بين حال من
يقبل عليها فقال ان الذين آمنوا بالله وبآياته ولم يعرضوا عنها بل قبلوها وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم اي نعيم الجنات فعكسه للمبالغة جعل لهم جنات النعيم كما جعل للفريق الاول
العذاب المهين خالدين فيها حال من الضمير في لهم اي مقدرا خلودهم فيها اذا دخلوها
وعد الله حقا هما مصدران الاول مؤكد لنفسه اي وعد الله وعدا والثاني مؤكد لغيره وهو مضمون
الجملة الاولى وتقديره حق ذلك حقا والمعنى ان وعده بان لهم جنات النعيم كائن لا محالة ولا خلف فيه
وهو العزيز الذي لا يغلبه غالب الحكيم في كل افعاله واقواله ثم بين سبحانه عزته وحكمته بقوله
خلق السموات بغير عمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط
اذا دعمته والدعامة بالكسر ما يسند به الحائط اذا مال يمنعه السقوط ودعمت الحائط دعما من باب نفع
وقد تقدم الكلام فيه في سورة الرعد قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحيفة مستوية وهو قول
المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس ذلك الا
بقدرة قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد ترونها اي ليس لها شيء يمنعها الزوال من موضعها
وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرة الله تعالى وفيه وجهان احدهما انه راجع الى السموات
اي ليست هي بعمد وانتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد

مرئية فيمكن ان تكون ثم عمد ولكن لا ترى وقيل ولا عمد البتة قال علي بن سليمان الاولى
ان يكون مستأنفا اي ولا عمد ثم وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ اي جبالا مرتفعة ثوابت شوامخ
من اوتاد الارض وهي سبعة عشر جبلا منها قاف وابو قبيس والجودي ولبنان وطور
سينين وطور سينا اخرجه ابن جرير ولكن لا وجه للتخصيص والاولى العموم والجبال على
الارض اكثر من ذلك والكل يصلح للرسو يقال رسا الشيء ثبت وبابه عدا وسما والرواسي الرواسخ
واحدها راسية أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ اي كراهة ان تميد بكم وقيل لئلا تميد والمعنى انه خلقها
وجعلها مستقرة ثابتة لا تتحرك بجبال جعلها عليها وارساها على ظهرها وَبَثَّ اي نشر
وفرق فِيهَا اي في الارض مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ اي من كل نوع من انواع الدواب ومن زائدة وَأَنْزَلْنَا
فيه التفات عن الغيبة مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مطرا وهو من انعام الله على عباده وفضله
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا اي في الارض بسبب انزال الماء مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ اي من كل صنف حسن
ووصفه بكونه كريما لحسن لونه وكثرة منافعه وقيل ان المراد بذلك الناس فالكريم منهم من
يصير الى الجنة واللئيم من يصير الى النار قاله الشعبي وغيره والاول اولى هَذَا اي ما ذكر
من خلق السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة خَلْقُ اللَّهِ اي مخلوقه تعالى
فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ اي من آلهتكم التي تعبدونها من دون الله والاستفهام
للتقريع والتوبيخ والمعنى فاروني اي شيء خلقوا مما يحاكي خلق الله او يقاربه حتى استوجبوا عندكم
العبادة وهذا الامر لهم لقصد التعجيز والتبكيت ثم اضرب عن تبكيتهم بما ذكر الى الحكم عليهم
بالضلال الظاهر والاعلام ببطلان ما هم عليه فقال بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ع
فقرر ظلمهم اولا وضلالهم ثانيا ووصفه بالوضوح والظهور ومن كان هكذا فلا يعقل الحجة
ولا يهتدي الى الحق وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ كلام مستأنف لبيان بطلان الشرك و
اختلف في لقمان هل هو عربي ام اعجمي مشتق من اللقم فمن قال انه اعجمي منعه للتعريف والعجمة
ومن قال انه عربي منعه للتعريف ولزيادة الالف والنون قال الحفناوي والاول اظهر و
اختلفوا ايضا هل هو نبي ام رجل صالح فذهب اكثر اهل العلم الى انه ليس بنبي وحكى الواحدي
عن عكرمة والسدي والشعبي انه كان نبيا والاول ارجح لما سيأتي وقيل لم يقل بنبوته الا عكرمة

ع ١١

فقط مع ان الراوي الثالث عنه جابر الجعفي وهو ضعيف جدا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار
الحكمة وهو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر ابو ابراهيم وقيل هو لقمان بن عنقاء بن
مرون وكان نوبيا من اهل ايلة ذكره السهيلي قال وهب هو ابن اخت ايوب وقال مقاتل هو ابن خالته
عاش الف سنة واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث داود قطع الفتوى
فقيل له فقال الا اكتفي اذ كفيت قيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقال الواقدي كان
قاضيا في بني اسرائيل وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما كان لقمان قالوا
الله ورسوله اعلم قال كان حبشيا اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال كان عبدا حبشيا
نجارا وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم سادات اهل
الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن اخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء قال الطبراني اراد
الحبشة والحكمة التي آتاه الله هي الفقه والعقل والاصابة في القول وفسر الحكمة من قال بنبوته
بالنبوة وقال ابن عباس يعني العقل والفهم والفطنة في غير نبوة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئا حفظه وقد ذكر جماعة من اهل الحديث
روايات عن جماعة من الصحابة والتابعين تتضمن كلمات من مواعظ لقمان وحكمه ولم يصح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء ولا ثبت اسناد صحيح الى لقمان بشيء منها حتى نقبله وقد حكى الله سبحانه
من مواعظه لابنه ما حكاه في هذا الموضع وفيه كفاية وما عدا ذلك مما لم يصح فليس في ذكره
الا شغلة للحيز وقطيعة للوقت ولم يكن نبيا حتى يكون ما نقل عنه من شرع من قبلنا ولا صح اسناد
ما روي عنه من الكلمات حتى يكون ذكر ذلك من تدوين كلام الحكمة التي هي ضالة المؤمن ان اشكر
لله ان هي المفسرة لان في الايتاء معنى القول لانه تعليم او وحي وقيل التقدير قلنا له ان اشكر لله هذا
القول وقال الزجاج التقدير لان اشكر وقيل بان اشكر فشكر فكان حكيما بشكره والشكر لله الثناء
عليه في مقابلة النعمة وطاعته فيما امر به وقيل الشكر ان لا تعصي الله بنعمه وقيل ان لا ترى
معه شريكا له في نعمه وقيل هو الاقرار بالعجز ورؤية العجز في الكل وقيل قبول الكل من غير منة
ان الشكر لا ينتفع به الا الشاكر فقال ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفع ذلك وثوابه راجع اليه
وفائدته حاصلة له اذ به تستبقى النعمة وبسببه يستجلب المزيد لها من الله سبحانه والجملة مستانفة

مقررة لمضمون ما قبلها موجبة لامتثال الامر ومن كفر اي من جعل كفر النعمة مكان شكرها
فان الله غني عن شكره غير محتاج اليه حميد مستحق للحمد من خلقه لانعامه عليهم بنعمه التي
لا يحاط بقدرها ولا يحصر عددها وان لم يحمده احد فان كل موجود ناطق بحمده بلسان الحال
قال يحيى بن سلام غني عن خلقه حميد في فعله واذكر اذ قال لقمان لابنه قال السهيلي واسمه
ثاران في قول ابن جرير والقتيبي وقال الكلبي مشكم وقال النقاش انعم وقيل ماتان قال
القشيري كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى اسلما ويدل على هذا قوله لا تشرك بالله ان
الشرك لظلم عظيم والتقدير آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه وحين جعلناه
واعظا لغيره وهو يعظه اي والحال انه يخاطبه بالموعظة التي ترغبه في التوحيد وتصده
عن الشرك وذلك لان اعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وبدأ بالاقرب
اليه وهو ابنه فقال يا بني تصغير اشفاق ومحبة لا تشرك بالله وهذا يدل على انه كان كافرا
كما تقدم قال الخطيب والخازن فرجع اليه واسلم وقيل كان مسلما ونهاه ان يقع منه اشراك في
المستقبل ان الشرك لظلم عظيم تعليل لما قبله لانه تسوية بين من لا نعمة الا وهي منه
وبين من لا نعمة له اصلا وبدأ في وعظه بنهيه عن الشرك لانه اهم من غيره وقد
اختلف في هذه الجملة فقيل هي من كلام لقمان وقيل هي من كلام الله فتكون منقطعة عما
قبلها ويؤيد هذا ما ثبت في الحديث الصحيح انها لما نزلت ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك
على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فانزل الله ان الشرك لظلم عظيم فطابت انفسهم
ووصينا الانسان بوالديه اي امرناه ان يبرهما وهذه الوصية بالوالدين وما بعدها
الى قوله وما كنتم تعملون اعتراض بين كلام لقمان على نهج الاستطراد لقصد التأكيد لما قبلها
من النهي عن الشرك بالله وتفسير التوصية هو قوله ان اشكر لي ولوالديك وما بينهما اعتراض
بين المفسر والمفسر وفي جعل الشكر لهما مقرونا بالشكر لله دلالة على ان حقهما من اعظم الحقوق
على الولد واكبرها واشدها وجوبا حملته امه وهنا على وهن قرئ بسكون الهاء وفتحها
في الموضعين وهما لغتان اي انها حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف فانها
لا تزال يتضاعف ضعفها والوهن الضعف والمشقة وقد وهن من باب وعد ووهنه غيره

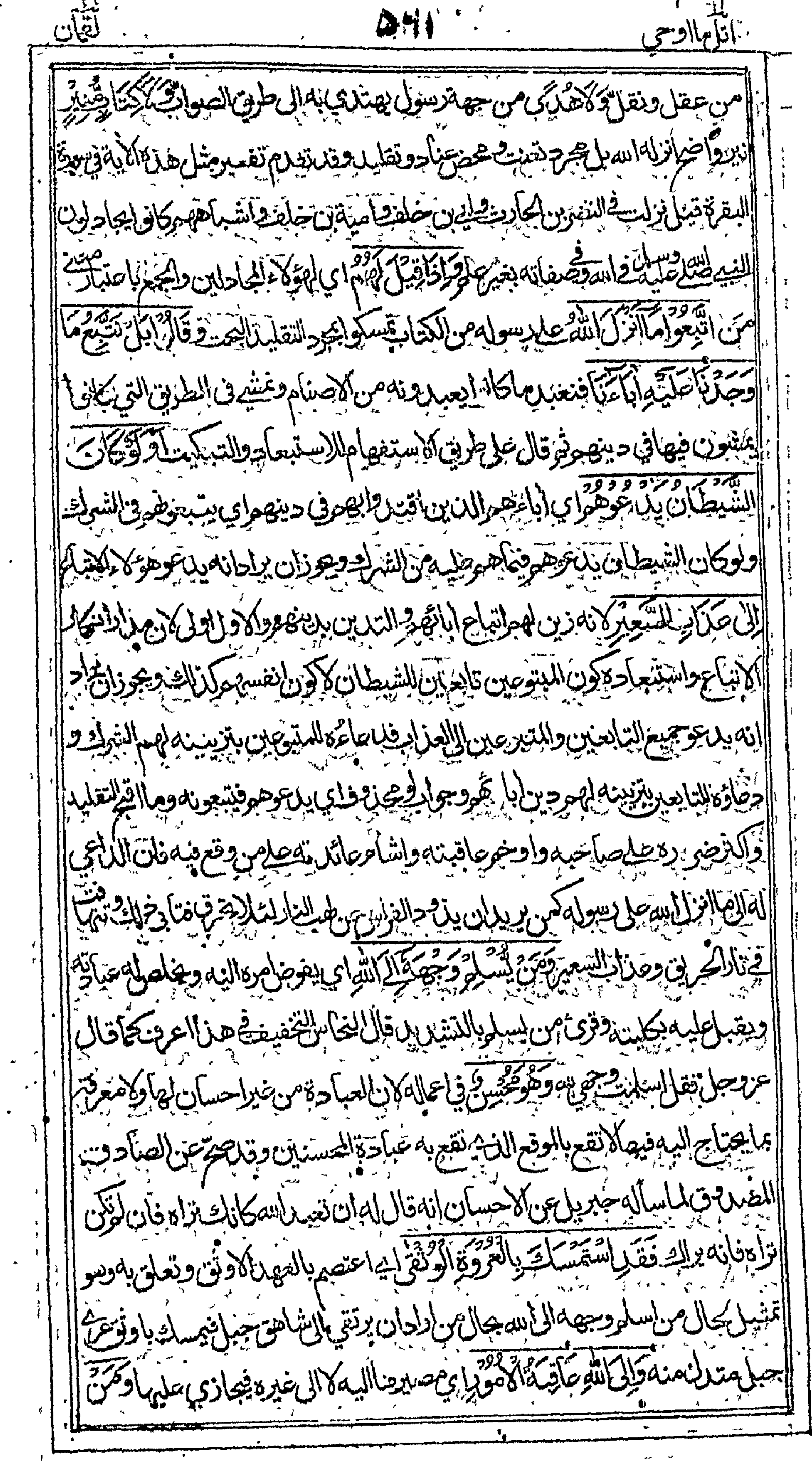
حتى اسلموا فهو لا يقدم على سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر ثم الي لا الى غيري مرجعكم جميعا المؤمن
والكافر ومن اناب الي فانبئكم اخبركم عند رجوعكم الي بما كنتم تعملون من خير او شر فاجازي
كل عامل بعمله قيل ان هذا السياق من قوله ووصينا الانسان الى هنا من كلام لقمان فلا
يكون اعتراضا وفيه بعد ثم شرع سبحانه في حكاية بقية كلام لقمان في وعظه لابنه فقال
يا بني انها الضمير عائد الى الخطيئة لما روي ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة
حيث لا يراني احد هل يعلمها الله فقال انها اي الخطيئة ان تك بالفوقية على معنى ان تك
الخطيئة او المسألة او الخصلة او القصة مثقال قرئ بالنصب على انه خبر كان واسمها هو احد
تلك المقدرات وقرئ بالرفع على انه اسم كان وهي تامة وانث الفعل في هذه القراءة لاضافة مثقال
الى المؤنث اي زنة حبة من خردل والجملة الشرطية مفسرة قال الزجاج التقدير ان التي
سألتني عنها ان تك مثقال حبة من جنس الخردل وعبر بالخردلة لانها اصغر الحبوب ولا
يدرك ثقلها بالحس ولا ترجح ميزانا ثم زاد في بيان خفاء الحبة مع خفتها وصغرها فقال
فتكن في صخرة فان كونها في الصخرة قد صارت في اخفى مكان واحرزه قرئ فتكن بضم الكاف
ومن الكن الذي هو الشيء المغطى قال السدي هذه الصخرة هي صخرة ليست في السموات و
الارض وقال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهي التي تكتب فيها اعمال الفجار وهي
السجين وخضرة السماء منها وقيل غير ذلك او في السموات او في الارض اي حيث كانت من
بقاع السموات او بقاع الارض اي في اخفى مكان من ذلك فلا اخفى من الصخرة كان تكون في
صخرة تحت الارضين السبع ولا اخفى من السموات كان تكون في اعلاها ولا اخفى من الارض كان
تكون في اسفلها يأت بها الله اي يحضرها يوم القيامة ويحاسب فاعلها عليها ان الله لطيف
باستخراجها لا تخفى عليه خافية بل يصل علمه الى كل خفي خبير بمكانها وبكل شيء لا يغيب
عنه شيء ومعنى الآية الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها يا بني اقم الصلوة وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك من الاذى في ذات الله اذا امرت
بالمعروف ونهيت عن المنكر او اصبر على ما اصابك من المحن فانها تورث المنز حكى سبحانه عن لقمان
انه امر ابنه بهذه الامور ووجه تخصيص هذه الطاعات انها امهات العبادات وعماد الخير كله

إِنَّ ذَٰلِكَ الطاعات المذكورة التي أوصاه بها مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ أي مما جعله الله عزيمة وأوجبه
على عباده وحتمه على المكلفين ولم يرخص في تركه وقيل المعنى من حق الأمور التي أمر الله بها
والعزم يجوز أن يكون بمعنى المعزوم أي من معزومات الأمور وبمعنى العازم كقوله فإذا عزم
الأمر قال المبرد إن العين تبدل حاء فيقال عزم وحزم وقال ابن جريج ويحتمل أن يريد أن
ذلك من مكارم أهل الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة وصوب هذا القرطبي
وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورا بها في سائر الأمم وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
وقرئ تصاعر والمعنى متقارب وشكل منهما في خط المصحف الإمام بلا ألف والصعر الميل يقال صعر
خده وصاعر خده إذا أمال وجهه وأعرض تكبرا والمعنى لا تعرض عن الناس تكبرا
عليهم وبه قال الهروي يقال أصاب البعير صعر إذا أصابه داء يلوي عنقه وقيل المعنى
ولا تلو شدقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره وقال ابن خويزمنداد كأنه نهي أن
يذل الإنسان نفسه من غير حاجة ولعله فهم من التصعير التذلل وعن أبي أيوب
الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله ولا تصعر خدك فقال لي الشدق
أخرجه الطبراني وابن عدي وابن مردويه وقال ابن عباس لا تتكبر فتحتقر عباد الله و
تعرض عنهم إذا كلموك وعنه قال هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه كالمستكبر و
المعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون
بل يكون الفقير والغني عندك سواء وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا أي خيلاء وفرحا والمراد
النهي عن التكبر والتجبر والمختال يمرح في مشيه وقد تقدم تحقيقه إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخْتَالٍ فَخُورٍ تعليل للنهي المذكور لأن الاختيال هو المرح والفخور هو الذي يفتخر على الناس
بما له من المال والشرف أو القوة أو يعدد مناقبه تطاولا أو غير ذلك ويظن أن إسباغ النعم
الدنيوية عليه عن محبة الله له وذلك من جهله فإن الله أسبغ نعمه على الكافر الجاحد
فينبغي للعارف أن لا يتكبر على عباده وليس منه التحديث بنعم الله فإن الله يقول وأما
بنعمة ربك فحدث وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ أي توسط فيه والقصد ما بين الإسراع و
البطوء يقال قصد فلان في مشيته إذا مشى مستويا لا يدب دبيب المتماوتين ولا يثب وثوب

الشياطين وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى اسرع فلا بد ان يحمل القصد
هنا على ما جاوز الحد في السرعة وقال مقاتل معناه لا تختل في مشيتك وقال ابن مسعود
كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل انظر موضع قدميك
متواضعا والمعنى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا دبيب فيه ولا اسراع وقال عطاء امش
بالسكينة والوقار كقوله يمشون على الارض هونا واغضض من صوتك اي انقص منه واخفضه
ولا تتكلف رفعه فان الجهر باكثر من الحاجة يؤذي السامع ومن تبعيضية وعند الاخفش
مزيدة ويؤيده قوله ان الذين يغضون اصواتهم والمعنى شيئا من صوتك وكانت الجاهلية
يتمدحون برفع الصوت ان انكر الاصوات اي اوحشها واقبحها لصوت الحمير تعليل للامر بالغض
من الصوت على ابلغ وجه وآكده قال قتادة اقبح الاصوات صوت الحمير اوله زفير اي صوت قوي و
آخره شهيق اي صوت ضعيف وهما صوتا اهل النار وانكر قيل مبني من الفعل المبني للمفعول نحو
اشغل من ذات النحيين وهو مختلف فيه قال المبرد تاويله ان الجهر بالصوت ليس بمحمود وانه داخل
في باب الصوت المنكر واللام للتاكيد ووحد الصوت مع كونه مضافا الى الجمع لانه مصدر وهو
يدل على الكثرة وهو مصدر صات يصوت صوتا فهو صائت وقيل انما وحده ولم يجمع لانه لم يرد
ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت
وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده وعن الثوري في الآية قال
صياح كل شيء تسبيح الا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة والاول اولى وفي تشبيه
الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق تنبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة
ولما فرغ سبحانه من قصة لقمان رجع الى توبيخ المشركين وتبكيتهم واقامة الحجج عليهم فقال
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض قال الزجاج معنى تسخيرها للآدميين
الانتفاع بها انتهى فمن مخلوقات السموات المسخرة لبني آدم بامر الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم والسحاب
وغير ذلك ومن مخلوقات الارض المسخرة الاشجار والمعادن والتراب والزرع والشجر والثمر والجماد
والانهار والحيوانات والدواب التي ينتفعون بها والعشب الذي يرعون فيه دوابهم وغير ذلك
مما لا يحصى كثرة فالمراد بالتسخير جعل المسخر بحيث ينتفع به المسخر له سواء كان منقادا له وداخلا

ع ٨

تحت تصرفه امره **واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** اي اتم واكمل عليكم نعمه يقال
سبغت النعمة اذا تمت وكملت وقرئ اصبغ بابدال السين صادا وهي لغة كلب يفعلون
ذلك مع الغين والخاء والقاف كصخر وصقر والنعم جمع نعمة وقرئ نعمة على الافراد والتنوين اسم جنس يراد
به الجمع ويدل به على الكثرة كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والنعمة كل نفع قصد به
الاحسان والمراد بالنعم الظاهرة ما يدرك بالعقل والحس ويعرفه من يتعرفه وبالباطنة
ما لا يدرك للناس ويخفى عليهم وقيل الظاهرة الصحة وكمال الخلق والبصر والسمع واللسان وسائر
الجوارح الظاهرة والباطنة المعرفة والعقل والقلب والفهم وما اشبه ذلك وقيل الظاهرة
ما يرى بالابصار من المال والجاه والجمال وفعل الطاعات والباطنة ما يجده المرء في نفسه
من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفعه الله عن العبد من الآفات وقد سرد الماوردي
في هذا اقوالا تسعة كلها ترجع الى هذا وقيل الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الآخرة وقيل
الظاهرة الاسلام والقرآن والجمال والباطن ما ستره الله على العبد من الاعمال السيئة وقيل
الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق
والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور
الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم والباطنة محبته واللفظ اعم من ذلك وعن عطاء قال سألت ابن عباس عن هذا
فقال هذه من كنوز علمي سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الظاهرة فما سوى من خلقك
واما الباطنة فما ستر من عورتك ولو ابداها لقلاك اهلك فمن سواهم اخرجه البيهقي وعنه
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله واسبغ عليكم نعمه الخ فقال اما الظاهرة فالاسلام
وما سوى من خلقك وما اسبغ عليك من رزقه واما الباطنة فما ستر من مساوي عملك
اخرجه ابن النجار والديلمي والبيهقي وعنه قال النعمة الظاهرة الاسلام والنعمة الباطنة
كل ما ستر عليكم من الذنوب والعيوب والحدود اخرجه ابن مردويه وعنه انه قال في تفسير
الآية هي لا اله الا الله **ومن الناس من يجادل في الله** اي في شأن الله سبحانه في توحيده
وصفاته مكابرة وعنادا بعد ظهور الحق له وقيام الحجة عليه ولهذا قال **بغير علم** مستفاد



من عقل ونقل ﴿ولا هدى﴾ من جهة رسول يهتدي به الى طريق الصواب ﴿ولا كتاب منير﴾
اي بين واضح انزله الله بل بمجرد التعنت ومحض العناد والتقليد وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة
البقرة قيل نزلت في النضر بن الحارث وابي بن خلف وامية بن خلف واشباههم كانوا يجادلون
النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم ﴿واذا قيل لهم﴾ اي لهؤلاء المجادلين والجمع باعتبار معنى
من ﴿اتبعوا ما انزل الله﴾ على رسوله من الكتاب تمسكوا بمجرد التقليد البحت و﴿قالوا بل نتبع ما
وجدنا عليه آباءنا﴾ فنعبد ما كانوا يعبدونه من الاصنام ونمشي في الطريق التي كانوا
يمشون فيها في دينهم ثم قال على طريق الاستفهام للاستبعاد والتبكيت ﴿او لو كان
الشيطان يدعوهم﴾ اي آباءهم الذين اقتدوا بهم في دينهم اي يتبعونهم في الشرك
ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك ويجوز ان يراد انه يدعو هؤلاء الاتباع
﴿الى عذاب السعير﴾ لانه زين لهم اتباع آبائهم والتدين بدينهم والاول اولى لان مراد الانكار
على الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك ويجوز ان يراد
انه يدعو جميع التابعين والمتبوعين الى العذاب فدعاؤه للمتبوعين بتزيينه لهم الشرك و
دعاؤه للتابعين بتزيينه لهم دين آبائهم وجواب لو محذوف اي يدعوهم فيتبعونه وما اقبح التقليد
واكثر ضرره على صاحبه واوخم عاقبته واشأم عائدته على من وقع فيه فان الداعي
له الى ما انزل الله على رسوله كمن يريد ان يذود الفراش عن لهب النار لئلا تحترق فيأبى ذلك ويتهافت
في نار الحريق وعذاب السعير ﴿ومن يسلم وجهه الى الله﴾ اي يفوض امره اليه ويخلص له عبادته
ويقبل عليه بكليته وقرئ ومن يسلم بالتشديد قال النحاس والتخفيف في هذا اعرف كما قال
عز وجل فقل اسلمت وجهي لله ﴿وهو محسن﴾ في اعماله لان العبادة من غير احسان لها ولا معرفة
بما يحتاج اليه فيها لا تقع بالموقع الذي تقع به عبادة المحسنين وقد صح عن الصادق
المصدوق لما ساله جبريل عن الاحسان انه قال له ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ اي اعتصم بالعهد الاوثق وتعلق به وهو
تمثيل لحال من اسلم وجهه الى الله بحال من اراد ان يرتقي الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى
حبل متدل منه ﴿والى الله عاقبة الامور﴾ اي مصيرها اليه لا الى غيره فيجازي عليها ﴿ومن

كفر فلا يحزنك كفره اي لا تحزن لذلك فان كفره لا يضرك وقرئ بفتح الياء وضم الزاي وبضم
الياء وكسر الزاي سبعيتان بين سبحانه حال الكافرين بعد فراغه من بيان حال المؤمنين ثم
توعدهم بقوله إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا اي نخبرهم بقبائح اعمالهم ونجازيهم عليها
إن الله عليم بذات الصدور اي بما تسره صدورهم لا يخفى عليه من ذلك خافية فالسر
عنده كالعلانية نمتعهم تمتيعا او زمانا قليلا اي نبقيهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها
الى انقضاء آجالهم فان النعيم الزائل هو اقل قليل بالنسبة الى النعيم الدائم ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ اي نلجئهم ونردهم الى عذاب النار في الآخرة لا يجدون عنها محيصا والمراد
الشدة والثقل على المعذب فانه لا اثقل منه على من وقع فيه واصيب به فلهذا استعير
له الغلظ ولئن لام قسم سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اي يعترفون بان
الله خالق ذلك لوضوح الامر فيه عندهم وهذا اعتراف منهم بما يدل على التوحيد و
بطلان الشرك والزام لهم على اقرارهم ولهذا قال قل يا محمد الحمد لله على اعترافكم فكيف تعبدون
غيره وتجعلونه شريكا له او المعنى فقل الحمد لله على ما هدانا له من دينه ولا حمد لغيره او على
ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ويجحدها الجاحدون ثم اضرب عن ذلك فقال
بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا وقيل لا ينظرون ولا يتدبرون
حتى يعلموا ان خالق هذه الاشياء هو الذي تجب له العبادة دون غيره لله ما في السموات و
الارض ملكا وخلقا وعبيدا فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن غيره الحميد
اي المستحق للحمد وان لم يحمدوه او المحمود من عباده بلسان المقال او بلسان الحال ثم لما ذكر سبحانه ان له ما في
السموات والارض اتبعه بما يدل على ان له وراء ذلك ما لا يحيط به عد ولا يحصر بحد فقال
ولو أن جميع ما في الارض من شجرة اقلام ووحد الشجرة لما تقرر في علم المعاني ان استغراق المفرد
اشمل فكأنه قال كل شجرة شجرة حتى لا تبقى من جنس الشجر واحدة الا وقد بريت اقلاما ولو لم يفرد
لم يفد هذا المعنى اذ الجمع يتحقق بما فوق الثلاثة الا ان تدخل عليه لام الاستغراق هكذا قرر
قال الشهاب وفيه بحث فان افادة المفرد التفصيل بدون تكرار او الاستغراق بدون نفي محل
نظر لانه انما عهد ذلك في نحو جاءني رجل رجلا او ما عندي تمرة قال ابو حيان وهو من وقوع

للمفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة كقوله ما ننسخ من آية وجمع الاقلام لقصد التكثير اي ولو ان
بعدد كل شجرة من الشجر اقلاما ثم قال سبحانه والبحر اي المحيط لانه المتبادر من التعريف
اذ هو الفرد الكامل قرئ البحر بالرفع على انه مبتدأ وخبره يمده من بعده اي بعد نفاده
سبعة أبحر اي والحال ان البحر المحيط مع سعته يمده السبعة الابحر مدا لا ينقطع كذا قال سيبويه
وقال المبرد ان البحر مرتفع بفعل مقدر تقديره ولو ثبت البحر حال كونه تمده من بعده سبعة
ابحر وقرئ يمده من امد وقرئ والبحر مداده وجواب لو ما نفدت كلمات الله التي هي عبارة
عن معلوماته لانها لا نهاية لها قال ابو علي الفارسي المراد بالكلمات والله اعلم ما في المقدور
الامكان دون ما خرج منه الى الوجود والزمان ووافقه القفال فقال المعنى ان الاشجار لو كانت
اقلاما والبحار مدادا فكتب بها عجائب صنع الله تعالى الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفد
تلك العجائب قال القشيري رد القفال معنى الكلمات الى المقدورات وحمل الآية على الكلام القديم
اولى والمخلوق لا بد له من نهاية واذا نفيت النهاية فهي نفي النهاية عما يقدر في المستقبل على
ايجاده فاما ما حصره الوجود وعده فلا بد من تناهيه والقديم لا نهاية له على التحقيق قال
النحاس قد تبين ان الكلمات ههنا يراد بها العلم وحقائق الاشياء لانه جل وعلا علم قبل ان
يخلق الخلق ما هو خالق في السموات والارض من شيء وعلم ما فيه من مثاقيل الذر وعلم الاجناس
كلها وما فيها من شعرة وعضو وما في الشجرة من ورق وما فيها من ضروب الخلق وقيل ان قريشا
قالت ما اكثر كلام محمد فنزلت قاله السدي وعن ابن مسعود قال ان احبار اليهود قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة يا محمد ارأيت قولك وما اوتيتم من العلم الا قليلا ايانا تريد ام قومك فقال
كلا فقالوا الست تتلو فيما جاءك انا قد اوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء فقال انها في علم الله
قليل وانزل الله ولو ان ما في الارض الآية اخرجه ابن اسحاق وابن جرير وابن ابي حاتم قال ابو عبيدة المراد بالبحر هنا
الماء العذب الذي ينبت الاقلام واما المالح فلا ينبتها قال الشوكاني ما اسقط هذا الكلام واقل جدواه ان الله عزيز
حكيم اي غالب لا يعجزه شيء ولا يخرج عن حكمته وعلمه فرد من افراد مخلوقاته ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة اي كخلق نفس واحدة وبعثها لانه بكلمة كن فيكون قال النحاس هكذا قدره
النحويون بمعنى الا كخلق نفس كقوله واسأل القرية قال الزجاج اي قدرة الله على بعث الخلق كلهم



وعلى جمعهم كما يقدر على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة اي سواء في قدرته القليل والكثير
فلا يشغله شان عن شان إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لكل ما يسمع بَصِيرٌ لكل ما يبصر أَلَمْ تَرَ الخطاب لكل من
يصلح لذلك او للرسول صلى الله عليه وسلم أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ اي يدخل
كل واحد منهما في الآخر فيزيد كل منهما بما انتقص من الآخر وقد تقدم تفسيره في سورة الحج
والانعام وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ اي ذللهما وجعلهما منقادين بالطلوع والافول تقديرا للآجال
وتتميما للمنافع والاختلاف بينهما في الصيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد في كل حين
واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما التعدد والتجدد في آثاره كُلٌّ منهما يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى قيل هو يوم القيامة وقيل وقت الطلوع ووقت الافول وقيل الشمس الى آخر السنة والقمر
الى آخر الشهر والاول اولى وقال هنا بلفظ الى وفي فاطر والزمر بلفظ اللام لان ما هنا وقع بين
آيتين دالتين على غاية ما ينتهي اليه الخلق وهما قوله ما خلقكم الآية وقوله اتقوا ربكم واخشوا
يوما الآية فناسب ذكر الى الدالة على الانتهاء وما في فاطر والزمر خال عن ذلك اذ ما في فاطر لم
يذكر مع ابتداء خلق ولا انتهائه وما في الزمر ذكر مع ابتدائه فناسب ذكر اللام والمعنى يجري لكل
كما ذكر لبلوغ اجل قاله الكرخي وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لا يخفى عليه خافية لان من قدر
على مثل هذه الامور العظيمة فقدرته على العلم بما يعملونه بالاولى وهو عطف على ان الله يولج
الخ داخل معه في حيز الرؤية ذَلِكَ اي ما تقدم ذكره من الآيات الكريمة المشتملة على سعة العلم
وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بِأَنَّ اللَّهَ اي بسبب انه سبحانه هُوَ الْحَقُّ
الثابت الوهيته او فعل ذلك ليعلموا انه الحق وهو المستحق للعبادة وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ الْبَاطِلُ لا يستحق العبادة قال مجاهد الذي يدعون من دونه هو الشيطان وقيل ما اشركوا
به من صنم او غيره وهذا اولى وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ اي ان ذلك الصنع البديع الذي وصف
في الآيات المتقدمة للاستدلال به على حقية الله وبطلان ما سواه وعلوه وكبريائه على الخلق
له الصفات العليا والاسماء الحسنى وهو علي الذات سني الصفات كبير الشان جليل القدر رفيع الذكر
مطاع الامر جلي البرهان ثم ذكر من عجيب صنعه وبديع قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه نوعا
آخر فقال أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ اي السفن والمراكب تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ اي بلطفه بكم وبرحمته لكم

او بالريح لانها من نعم الله تعالى وذلك من اعظم نعمه عليكم لانها تخلصكم من الغرق عند اسفاركم
في البحر لطلب الرزق وقرئ بنعمات الله جمع نعمة والباء للصلة او للحال ليريكم من اياته من
للتبعيض اي بعض اياته قال يحيى بن سلام وهو جري السفن في البحر بالريح وقال ابن شجرة المراد
بقوله من اياته ما يشاهدونه من قدرة الله تعالى قال النقاش ما يرزقهم الله من البحر ان في
ذلك لآيات لكل صبار شكور هذه الجملة تعليل لما قبلها اي ان فيما ذكر لآيات عظيمة وعبرا
فخيمة لكل من له صبر بليغ وشكر كثير يصبر عن معاصي الله ويشكر نعمه وهما صفتا المؤمن
فالايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن حيث
يبعث نفسه في التفكر في عدم غرقه وفي تسيره الى البلاد الشاسعة والاقطار البعيدة وفي
كون سيره ذهابا وايابا بريحين وتارة بريح واحدة وفي نجاة ابيه نوح عليه السلام ومن اراد الله تعالى
من خلقه واغراق غيرهم من جميع اهل الارض وفي غير ذلك من شئونه واموره وافعاله وصنائعه
واذا غشيهم موج كالظلل اي كالجبال التي تظل من تحتها شبه الموج لكبره بما يظل الانسان
من جبل او سحاب او غيرهما وانما شبه الموج وهو واحد بالظلل وهي جمع لان الموج ياتي شيئا
بعد شيء ويركب بعضه بعضا وقيل ان الموج في معنى الجمع لانه مصدر واصل الموج الحركة
والازدحام ومنه يقال ماج البحر وماج الناس وقرئ كالظلال جمع ظل دعوا الله مخلصين
له الدين اي لا يعولون على غيره في خلاصهم لانهم يعلمون انه لا يضر ولا ينفع سواه ولكنه تغلب
على طبائعهم العادات وتقليد الاموات فاذا وقعوا في مثل هذه الحالة اعترفوا بوحدانية الله
تعالى واخلصوا دينهم له طلبا للخلاص والسلامة مما وقعوا فيه لزوال ما ينازع الفطرة الايمانية
من الهوى والتقليد بما دهاهم من الشدائد فلما نجاهم الى البر صاروا قسمين فمنهم مقتصد
اي فقسم مقتصد اي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من اخلاص الدين له باق على
ذلك بعد ان نجاه الله من هول البحر واخرجه الى البر سالما قال الحسن معنى مقتصد مؤمن متمسك
بالتوحيد والطاعة وقال مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر وقال الرازي المقتصد المتوسط
بين السابق بالخيرات والظالم لنفسه وهو الذي تساوت سيئاته وحسناته وقيل متوسط بين الكفر والايمان لانه
انزجر بعض الانزجار ومنهم باق على كفره لان بعضهم كان اشد قولا واعلى في الافتراء من بعض

والاولى ما ذكرناه وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح
عاصف فقال عكرمة لئن نجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يدي في يديه
فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وحسن اسلامه وفي الكلام حذف والتقدير فمنهم مقتصد
ومنهم كافر لربه جاحد ويدل على هذا المحذوف قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور
لانه نقض العهد الفطري ورفض ما كان عليه في البحر وهذا في مقابلة صبار كما ان كفور في مقابلة
شكور والختر اسوء الغدر واقبحه قال الجوهري الختر الغدر يقال ختره فهو ختار اي غدار قال
الماوردي وهذا قول الجمهور وقال ابن عطية انه الجاحد وجحد الآيات انكارها والكفور عظيم
الكفر بنعم الله سبحانه قال ابن عباس ختار جحاد يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما
لا يجزي اي لا يغني ولا يقضي والد عن ولده شيئا ولا ينفعه بوجه من وجوه النفع لاشتغاله
بنفسه وقد تقدم بيان معناه في البقرة ولا مولود هو مبتدأ وان خبره جاز عن والده شيئا
والجملة خبر مولود وجاز الابتداء به وهو نكرة لانه في سياق النفي وارد على طريق من التوكيد لم
يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله
مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين فاريد حسم اطماعهم ان ينفعوا آباءهم بالشفاعة
في الآخرة ومعنى التأكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل
شفاعته فضلا ان يشفع لاجداده اذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن
ولد منك كذا في الكشاف وبالجملة فقد ذكر سبحانه هنا فردين من القرابات وهما الوالد والولد
وهما الغاية في الحنو والمحبة والشفقة على بعضهم لبعض فما عداهما من القرابات لا يجزي
بالاولى فكيف بالاجانب ونبه ايضا بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده
في الدنيا لكمال شفقته عليه والولد يجزي عن والده لما له عليه من حق التربية وغيرها فاذا كان
يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد وقال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه
اللهم اجعلنا ممن لا يرجو سواك ولا يعول على غيرك ان وعد الله حق بالبعث لا يتخلف فما وعد
به من الخير واوعد به من الشر فهو كائن لا محالة فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وزخارفها عن الاسلام
فانها زائلة ذاهبة فانية ولا يغرنكم بالله في حلمه وامهاله الغرور بفتح الغين اي الشيطان والامل

بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي وقال ابن عباس الغرور هو الشيطان وكذا قال
مجاهد وعكرمة وقتادة لان من شانه ان يغر الخلق ويمنيهم الاماني الباطلة ويلهيهم عن الآخرة
ويصدهم عن طريق الحق وقال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة وقرئ بضم الغين
مصدر غر يغر غرورا ويجوز ان يكون مصدرا واقعا وصفا للشيطان على المبالغة إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
عِلْمُ السَّاعَةِ اي علم وقتها الذي تقوم فيه قال الفراء ان معنى هذا الكلام النفي اي ما يعلمه
الا الله عز وجل قال النحاس وانما صار فيه معنى النفي لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله و
عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا الله انها هذه اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما في غد الا الله ولا متى تقوم الساعة
الا الله ولا ما في الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدري نفس باي ارض تموت الا الله
وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة في حديث سؤاله عن الساعة وجوابه باشراطها ثم
قال في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا هذه الآية اي لا يدري احد متى تقوم الساعة في اي سنة
واي شهر واي يوم واي ساعة ليلا او نهارا وفي الباب احاديث وعن مجاهد قال جاء رجل
من اهل البادية فقال ان امرأتي حبلى فاخبرني ما تلد وبلادنا مجدبة فاخبرني متى ينزل
الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت فانزل الله ان الله عنده علم الساعة الآية
وعن عكرمة نحوه وزاد وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا اكسب غدا وزاد ايضا انه سأل عن قيام
الساعة وقيل نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة من اهل البادية وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ في الاوقات
والامكنة التي جعلها معينة لانزاله ولا يعلم ذلك غيره قرئ من التنزيل والانزال وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ من الذكور والاناث والصلاح والفساد وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ من النفوس كائنة ما كانت
من غير فرق بين الملائكة والانبياء والجن والانس مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا من كسب دين او كسب دنيا
خيرا او شرا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وقرئ باية ارض وجوز ذلك الفراء وهي لغة
ضعيفة قال الاخفش يجوز ان يقال مررت بجارية ايّ جارية والمعنى ولا تعلم نفس باي مكان
يقضي الله عليها بالموت من الارض في بر او بحر في سهل او جبل وربما اقامت بارض وضربت اوتادها
وقالت لا ابرحها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها [illegible]

ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت
قال كانه يريدني وسأل سليمان عليه السلام ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم
قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو
عندك ذكره النسفي في المدارك ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره
فاشار باصابعه الخمس فعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمس اشهر وبخمسة ايام فقال ابو حنيفة
هو اشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله قال الكرخي اضاف في الآية
العلم الى نفسه في الثلاثة من الخمسة المذكورة ونفى العلم عن العباد في الاخيرتين منها مع ان
الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها وانتفاء علم العباد بها لان الثلاثة الاولى امرها
اعظم وافخم فخصت بالاضافة اليه تعالى والاخيرتان من صفات العباد فخصتا بالاضافة اليهم
مع انه اذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علم ما عداهما من الخمسة اولى ان الله عليم بهذه
الاشياء وبغيرها من الغيوب خبير بما كان وبما يكون وبواطن الاشياء كظاهرها ليس علمه
محيطا بالظاهر فقط قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل
فمن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فانه كفر بالقران وعن الزهري اكثروا قراءة سورة لقمان فان
فيها اعاجيب والله اعلم وفيه رد على المنجم والكاهن الذين يخبران بوقت الغيث والموت وغيرها

سورة السجدة آياتها تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية

بناء على الاختلاف في ان آخر الآية لفي خلق جديد او هو كافرون فعلى الاول تكون ثلاثين
وعلى الثاني تكون تسعا وعشرين وهي مكية قاله ابن عباس وابن الزبير واخرج البخاري
عنه هي مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة افمن كان مؤمنا الى تمام الآيات الثلاث وكذا قال الكلبي
ومقاتل وقيل الاخمس آيات من قوله تتجافى جنوبهم الى قوله الذي كنتم به تكذبون وقد ثبت عند مسلم
واهل السنن من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلوة الفجر يوم الجمعة بالم تنزيل السجدة
وهل اتى على الانسان واخرج احمد والدارمي والترمذي والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن جابر قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وقد وردت في فضائلها احاديث السابقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم قد قدمنا الكلام على فاتحة هذه السورة في البقرة وفي مواضع كثيرة من فواتح السور والله اعلم
بمراده به تنزيل الكتاب فيه اوجه خمسة ذكرها السمين لا ريب فيه اي لا شك في انه
من رب العالمين وانه ليس بكذب ولا سحر ولا كهانة ولا اساطير الاولين ام يقولون ام هي المنقطعة
التي بمعنى بل والهمزة اي بل يقولون فاضرب عن الكلام الاول الى ما هو معتقد الكفار مع الاستفهام
المتضمن للتقريع والتوبيخ افتراه اي افتعله واختلقه من تلقاء نفسه ثم اضرب عن معتقدهم
هذا الى بيان ما هو الحق في شان الكتاب فقال بل اضراب ابطال لنفس افتراه وحده وعلى هذا اكثر
ما في القران اضراب فهو انتقال لا هذا فانه يجوز ان يكون ابطالا لانه ابطال لقولهم اي ليس هو
كما قالوا بل هو الحق من ربك فكذبهم سبحانه في دعوى الافتراء ثم بين العلة التي كان التنزيل لاجلها
فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وهم العرب وكانوا امة امية لم ياتهم رسول
وقيل قريش خاصة والتقدير لتنذر قوما العقاب وجوز ابو حيان ان تكون ما موصولة اي العقاب
الذي اتاهم وهو ضعيف جدا قال المبرد تعليل الانزال بالانذار لقوم لم ياتهم نذير قبله لا تعليله بانذار
لقوم قد انذروا ايما انذرهم به وقيل المراد بالقوم اهل الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لعلهم
يهتدون اي كي يهتدوا او رجاء ان يهتدوا والترجي معتبر من جهته صلى الله عليه وسلم الله الذي
خلق اي اوجد وابدع السموات والارض وما بينهما في ستة ايام على التوزيع كما ياتي في سورة
فصلت وقد تقدم تفسير هذه الاية في الاعراف وغيرها والمراد من ذكرها هنا تعريفهم كمال قدرته
وعظيم صنعه ليسمعوا القران ويتاملوه قال الحسن الايام هنا هي من ايام الدنيا وقيل مقدار اليوم
الف سنة من سني الدنيا قاله الضحاك فعلى هذا المراد بالايام هنا هي من ايام الاخرة لا من ايام الدنيا
وليست ثم للترتيب في قوله ثم استوى على العرش بل بمعنى الواو والعرش في اللغة سرير الملك و
المراد به هنا الجسم النوراني المحيط بالعالم كله وهذا الاستواء في سبع مواضع من القران الكريم
والاصل الراجح ان يعتقد ما ورد به القران ولا يؤوله ولا يصرفه عن وجهه وهو نص او ظاهر
في ان الله تعالى فوق العرش بائن من خلقه بالمعنى الذي يليق بجنابه الاقدس الاعلى وتاويله اخراج

النص او الظاهر عن معناه وهذا لا يجوز قطعا الا عند وجود ما يساويه او يتقدم عليه ويعارضه
ودونه خرط القتاد وقد اختلف الناس في هذا على اربعة عشر قولا واولاها بالصواب مذهب سلف
الامة وائمتها انه استوى عليه بلا كيف مع تنزيهه عما لا يجوز عليه والآيات الصريحة والاحاديث
الصحيحة في هذا الباب كثيرة جدا وهي تغني عن غيرها وقد ردت الجهمية هذه الصفة الثابتة له
سبحانه وتبعها المعتزلة ورد عليهم الحافظ ابن القيم في اعلام الموقعين بثمانية عشر وجها طول
ذكرها وقد اجمع اهل العلم فيما سيما اهل القرآن واصحاب الحديث مباحث بل رسائل بل كتبا
طولوها بذكر الادلة النقلية بل العقلية والمسئلة اوضح من ان تلتبس على عارف وابين من ان
يحتاج فيها الى التطويل ولكن لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل بين بعض الطوائف الاسلامية
لحق الضرار فيها واطال سيما الحنابلة واهل الحديث فلهم في ذلك الفتن الكبرى والملاحم
العظمى وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر الى يومنا هذا والحق ما عرفناك من مذهب السلف الصالح
فالاستواء على العرش وكونه تعالى فوق الخلق عاليا عليهم قد نطق به القرآن الكريم في مواطن يكثر
حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث بل هذا مما يجده كل فرد
من افراد الناس في نفسه ويحسه في فطرته وتجذبه اليه طبيعته كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه
والتجأ اليه ووجه دعاءه الى جنابه الرفيع وعزه المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه او يومي بطرفه ويستوي
في ذلك عند عروض اسباب الادعية وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الانزعاج وظهور
دواعي الالتجاء عالم الناس وجاهلهم وباديهم وحاضرهم والماشي على طريقة السلف والمقتدي باهل
التأويل من الخلف فالسلامة والنجاة في امرار ذلك على الظاهر والاذعان بان الاستواء والاستقرار
والكون في الفوق ثابتة على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل
والمؤول غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ولا معصوم عن الخطأ ولا سالك في جادة السلامة
والاستقامة قال في حجة الله البالغة واستطال هؤلاء الخائضون على معشر اهل الحديث وسموهم
مجسمة مشبهة وقالوا هم المستترون بالبلكفة وقد وضح علي وضوحا بينا ان استطالتهم هذا
ليست بشيء وانهم مخطئون في مقالتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم ائمة الهدى انتهى
ما لكم من دونه اي ليس لكم من دون الله او من دون عذابه من ولي يواليكم ويرد عنكم عذابه

ولا شفيع يشفع لكم عنده أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ تذكر تدبر وتفكر وتسمعون هذه المواعظ سماع من يفهم ويعقل حتى تنتفعوا بها وتؤمنوا ولما بين سبحانه خلق السموات والارض وما بينهما بين تدبيره لامرها فقال يُدَبِّرُ اي يحكم الْأَمْرَ بقضائه وقدره مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الى ان تقوم الساعة والمعنى ينزل امره من اعلى السموات الى اقصى تخوم الارض السابعة كما قال سبحانه الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن ومسافة ما بين سماء الدنيا والارض التي تحتها نزولا وطلوعا الف سنة من ايام الدنيا وقيل المراد بالامر المامور به من الاعمال اي ينزله مدبرا من السماء الى الارض وقيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة احكامها وآثارها الى الارض وقيل ينزل الوحي مع جبريل وقيل العرش موضع التدبير كما ان ما دون العرش موضع التفصيل كما في قوله ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل الآيات وما دون السموات موضع التصرف قال تعالى ولقد صرفناه بينهم ليذكروا وقال ابن عباس يدبر الامر هذا في الدنيا اي شانها وحالها والامور التي تقع فيها والمراد بتدبير امرها القضاء السابق الذي هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص ثم لما ذكر سبحانه تدبير الامر قال ثُمَّ يَعْرُجُ قرأ الجمهور على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول والاصل يعرج به اي يرجع ذلك الامر ويعود ذلك التدبير والتصرف في المخلوقات بالحشر والحساب ووزن الاعمال والتعذيب والتنعيم وغير ذلك مما يقع في ذلك اليوم إِلَيْهِ سبحانه فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الغيبة اي تعدونه من ايام الدنيا وذلك باعتبار مسافة النزول من السماء والطلوع من الارض كما قدمنا وقيل ان المراد يعرج اليه في يوم القيامة الذي مقداره كذا من ايام الدنيا وذلك حين ينقطع امر الدنيا ويموت من فيها وقيل هي اخبار اهل الارض تصعد اليه مع من يرسله اليها من الملائكة والمعنى انه يثبت ذلك عنده ويكتب في صحف ملائكته ما عمله اهل الارض في كل وقت من الاوقات الى ان تبلغ مدة الدنيا آخرها وقيل المعنى يثبت في علمه موجودا بالفعل في برهة من الزمان هي مقدار الف سنة والمراد طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة

من ايام الدنيا وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملائكة ثم يعرج بعد الالف لالف آخر
وقيل المراد ان الاعمال التي هي طاعات يدبرها الله سبحانه وينزل بها ملائكته ثم لا يعرج منها
اليه الا الخالص بعد مدة متطاولة لقلة المخلصين من عباده وقيل الضمير في يعرج يعود الى الملك
وان لم يجر له ذكر لانه مفهوم من السياق وقد جاء صريحا في قوله تعرج الملائكة والروح اليه و
الضمير في اليه راجع الى السماء على لغة من يذكرها او الى مكان الملك الذي يرجع اليه وهو الذي
اقره الله فيه وقيل المعنى يدبر امر الشمس في الطلوع والغروب ورجوعها الى موضعها من الطلوع
من يوم كان مقداره في المسافة الف سنة وقيل المعنى ان الملك يعرج الى الله في يوم كان مقداره
لو ساره غير الملك الف سنة فان ما بين السماء والارض مسافة خمسمائة عام فمسافة النزول من
السماء الى الارض والرجوع من الارض الى السماء الف عام وقد رجح هذا جماعة من المفسرين منهم
ابن جرير وقيل مسافة النزول الف سنة ومسافة الطلوع الف سنة روي ذلك عن الضحاك
وهذا اليوم هو عبارة عن زمان يتقدر بالف سنة وليس المراد به مسمى اليوم الذي هو مدة النهار
بين ليلتين والعرب قد تعبر عن المدة باليوم كما قال الشاعر يومان يوم مقامات واندية + ويوم سير
الى الاعداء تاديب فان الشاعر لم يرد يومين مخصوصين وانما اراد ان زمانهم ينقسم شطرين فعبر
عن كل واحد من الشطرين بيوم وعن ابن عباس في الآية قال من الايام الستة التي خلق الله فيها
السموات والارض وعنه قال لا ينتصف النهار في مقدار يوم من ايام الدنيا في ذلك اليوم حتى
يقضي بين العباد فينزل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولو كان الى غيره لم يفرغ في خمسين
الف سنة وعنه قال في يوم من ايامكم هذه ومسيرة ما بين السماء والارض خمسمائة عام وقد
استشكل جماعة الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة فقيل في الجواب ان يوم القيامة مقداره الف سنة من ايام الدنيا ولكنه باعتبار
صعوبته وشدة اهواله على الكفار كخمسين الف سنة والعرب تصف كثيرا يوم الكريهة بالطول كما
تصف يوم السرور بالقصر وقيل ان يوم القيامة فيه ايام فمنها ما مقداره الف سنة ومنها
ما مقداره خمسون الف سنة وقيل هي اوقات مختلفة يعذب الكافر بنوع من انواع العذاب
الف سنة ثم ينتقل الى نوع آخر فيعذب بخمسين الف سنة وقيل مواقف القيامة خمسون موقفا

كل موقف الف سنة فيكون معنى يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة انه يعرج اليه في وقت من تلك الاوقات وموقف من تلك المواقف وعن مجاهد وقتادة والضحاك انه اراد سبحانه في قوله تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة المسافة من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل والمراد انه يسير جبريل ومن معه من الملائكة في ذلك المقام الى الارض مسيرة خمسين الف سنة في مقدار يوم واحد من ايام الدنيا واراد بقوله في يوم كان مقداره الف سنة المسافة التي بين الارض وبين السماء الدنيا هبوطا وصعودا فانها مقدار الف سنة من ايام الدنيا وقيل ان ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك لان من نفذ امره غاية النفاذ في يوم او يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ امره في سنين متطاولة فقوله في يوم كان مقداره الف سنة يعني يدبر الامر في زمان يوم منه الف سنة فكم يكون الشهر منه وكم تكون السنة منه وعلى هذا فلا فرق بين الف سنة وبين خمسين الف سنة وقيل غير ذلك وقد وقف حبر الامة ابن عباس لما سئل عن الآيتين وقال هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله اعلم بهما واكره ان اقول في كتاب الله ما لا اعلم وقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس قد ابى ان يقول فيهما وهو اعلم مني والاشارة بقوله ذلك الى الله سبحانه باعتبار اتصافه بتلك الاوصاف اي ذلك الخالق المدبر عالم الغيب والشهادة اي العالم بما غاب عن الخلق وما حضرهم وفي هذا معنى التهديد لانه سبحانه اذا علم بما يغيب وما يحضر فهو مجاز لكل عامل بعمله او فهو يدبر الامر بما تقتضيه حكمته العزيز القاهر الغالب الرحيم بعباده الذي احسن كل شيء خلقه قرئ بفتح اللام وباسكانها فعلى الاولى خلقه فعل ماض نعتا للشيء وعلى الثانية ففي نصبه اوجه الاول ان يكون بدلا من كل شيء بدل اشتمال والضمير عائد الى كل شيء وهذا هو الوجه المشهور عند النحاة الثاني انه بدل كل من كل والضمير راجع الى الله سبحانه ومعنى احسن حسن لانه ما من شيء الا وهو مخلوق على ما تقتضيه الحكمة فكل المخلوقات حسنة الثالث ان يكون كل شيء هو المفعول الاول وخلقه هو المفعول الثاني على تضمين احسن معنى اعطى والمعنى اعطى كل شيء خلقه الذي خصه به وقيل على تضمينه معنى الهم قال الفراء الهم خلقه كل شيء يحتاجون اليه الرابع انه منصوب على المصدر المؤكد

المضمون الجملة اي خلقه خلقا كقوله صنع الله وهذا قول سيبويه والضمير يعود الى الله سبحانه
والثاني انه منصوب بنزع الخافض والمعنى احسن كل شيء في خلقه ومعنى الآية انه اتقن و
احكم خلق مخلوقاته فبعض المخلوقات وان لم تكن حسنة في نفسها فهي متقنة محكمة فيكون
هذه الآية معناها معنى اعطى كل شيء خلقه اي لم يخلق الانسان على خلق البهيمة ولا خلق البهيمة
على خلق الانسان وقيل هو عموم في اللفظ خصوص في المعنى اي احسن خلق كل شيء حسن وقال
ابن عباس اما رايت القردة ليست بحسنة ولكنه احكم خلقها وعنه في الآية قال اما ان است
القردة ليست بحسنة ولكنه احكم خلقها وقال خلقه صورته وقال احسن كل شيء القبيح و
الحسن والعقارب والحيات وكل شيء مما خلق وغيره لا يحسن شيئا من ذلك واخرج الطبراني
عن ابي امامة قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لقينا عمرو بن زرارة الانصاري في حلة
قد اسبل فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بناحية ثوبه فقال يا رسول الله اني احمش الساقين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمرو بن زرارة ان الله عز وجل قد احسن كل شيء يا عمرو ان الله لا يحب
المسبلين واخرج احمد والطبراني عن الشريد بن سويد قال ابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا قد اسبل
ازاره فقال ارفع ازارك فقال يا رسول الله اني احنف تصطك ركبتاي فقال ارفع ازارك
كل خلق الله حسن وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ يعني آدم خلقه مِن طِينٍ فصار على صورة بديعة
وشكل بديع حسن ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ اي ذريته مِن سُلَالَةٍ اي نطفة سميت الذرية سلالة
لانها تنسل من الاصل وتنفصل عنه وقد تقدم تفسيرها في سورة المؤمنين والمذكور هنا
صفة ذرية آدم والمذكور ثم صفة آدم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ اي ممتهن لا خطر له عند الناس وهو المني
وقال الزجاج من ماء ضعيف ثُمَّ سَوَّاهُ اي الانسان الذي بدء خلقه من طين وهو آدم
او جميع النوع والمراد انه عدل خلقه وسوى شكله وقومه وناسب بين اعضائه على ما ينبغي كقوله
في احسن تقويم وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ اي جعله حيا حساسا بعد ان كان جمادا والاضافة
للتشريف والتكريم وهذه الاضافة تقوي ان الكلام في آدم لا في ذريته وان امكن توجيهه
بالنسبة الى الجميع وقيل للتخصيص اي نفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبعلمه والاول اولى
ثم خاطب جميع النوع فقال وَجَعَلَ لَكُمُ وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك

لان الخطاب انما يكون مع الحي ثم لما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه بعد ذلك فقال وجعل
لكم السمع اي الاسماع والابصار والافئدة اي القلوب تكميلا لنعمته عليكم وتتميما للتسوية لخلقكم
حتى تجتمع لكم هذه النعم فتسمعون كل مسموع وتبصرون كل مبصر وتعقلون كل متعقل وتفهمون
كل ما يفهم وافرد السمع لكونه مصدرا يشمل القليل والكثير وخص السمع بذكر المصدر دون
البصر والفؤاد فذكرهما بالاسم ولهذا جمعا لان السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الاذن
ولا اختيار لها فيه فان الصوت يصل اليها ولا تقدر على رده ولا على تخصيص السمع ببعض المسموعات
دون بعض بخلاف الابصار فمحلها العين وله فيه اختيار فانها تتحرك الى جانب المرئي دون غيره
وتطبق اجفانها اذا لم ترد الرؤية لشيء وكذلك الفؤاد له نوع اختيار في ادراكه فيتعقل هذا
دون هذا ويفهم هذا دون هذا قليلا ما تشكرون اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي
هذا بيان لكفرهم لنعم الله وتركهم لشكرها الا فيما ندر من الاحوال وقالوا كلام مستانف مسوق لبيان
اباطيلهم بطريق الالتفات عن الخطاب الى الغيبة ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم
لتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم ءاذا ضللنا في الارض
الضلال الغيبوبة يقال ضل الميت في التراب اذا غاب وبطل والعرب تقول للشيء اذا غلب عليه غيره
حتى خفي اثره قد ضل قال قطرب المعنى غبنا في الارض قرئ ضللنا بفتح ضاد معجمة ولام مفتوحة
بمعنى ذهبنا وضعنا وصرنا ترابا وغبنا عن الاعين بالدفن فيها وقرئ ضللنا بكسر اللام وهي لغة
العالية من نجد قال الجوهري واهل العالية يقولون ضللت بالكسر قال واضله اي اضاعه و
اهلكه يقال اضل الميت اذا دفن وقرئ صللنا بصاد مهملة ولام مفتوحة اي انتنا وبها قرأ
علي والحسن والاعمش وابان بن سعيد قال النحاس ولا يعرف في اللغة صللنا ولكن يقال صل اللحم
اذا انتن قال الجوهري صل اللحم يصل بالكسر صلولا اذا انتن مطبوخا كان او نيئا والعامل في
اذا محذوف تقديره نبعث او نخرج لدلالة قوله ءانا لفي خلق جديد عليه اي نبعث ونصير
احياء والهمزة للاستنكار وهذا قول منكري البعث من الكفار فاضرب الله سبحانه من بيان
كفرهم بانكار البعث الى بيان ما هو ابلغ منه وهو كفرهم بلقاء الله فقال بل هم بلقاء ربهم كافرون
اي جاحدون له مكابرة وعنادا فان اعترافهم بانه المبدئ للخلق يستلزم اعترافهم بانه قادر

على الاعادة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبين لهم الحق ويرد عليهم ما زعموه من
الباطل فقال قل يتوفاكم ملك الموت يقال توفاه الله واستوفى روحه اذا قبضه كله وملك الموت
هو عزرائيل وقال ههنا وقال في الانعام توفته رسلنا وفي الزمر الله يتوفى الانفس حين موتها
ولا منافاة لان الله تعالى هو المتوفي حقيقة بخلق الموت وامر الوسائط بنزع الروح وهم غير ملك الموت
اعوان له ينزعونها من الاظافر الى الحلقوم فصحت الاضافات كلها والتفعيل والاستفعال
يلتقيان في مواضع مثل تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته الذي وكل بكم اي بقبض
ارواحكم عند حضور آجالكم قيل ان ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها والله
تعالى هو الآمر لذلك وهذا وجه الجمع بين الآيات كما تقدم ثم الى ربكم ترجعون اي تصيرون اليه
تعالى احياء بالبعث والنشور لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر ولو ترى لو امتناعية
وجوابه محذوف اي لرأيت امرا فظيعا وهولا هائلا لا يقادر قدره والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال الزجاج والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة لامته والمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة
لرأيت العجب او الخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها
من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستعظامها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور
البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من تتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها ويجوز
ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
المراد بهم هم القائلون ائذا ضللنا في الارض ويجوز ان يراد بالمجرمين كل مجرم ويدخل فيه اولئك
القائلون دخولا اوليا والمعنى مطأطئوها وخافضوها حياء وندما على ما فرط منهم في الدنيا
من الشرك بالله والعصيان له عند ربهم اي عند محاسبته لهم ربنا اي يقولون
ربنا ابصرنا الآن ما كنا نكذب به وسمعنا ما كنا ننكره وقيل
ابصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك فهؤلاء ابصروا حين لم
ينفعهم البصر وسمعوا حين لم ينفعهم السمع فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا كما امرتنا
حسبما تقتضيه تلك الآيات انا موقنون اي مصدقون وقيل مصدقون بالذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وصفوا
انفسهم بالايقان الآن طمعا فيما طلبوه من ارجاعهم الى الدنيا وانى لهم ذلك فقد حقت عليهم كلمة الله

فانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقيل هذا ادعاء منهم لصحة الافئدة
والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة صفتي البصر والسمع
كانهم قالوا ايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا
لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما
سألوه من الرجعة وقيل معنى انا موقنون انها قد زالت عنهم الشكوك التي كانت تخالطهم في الدنيا
لما رأوا ما رأوا وسمعوا ما سمعوا والمعنى صرنا نسمع ونبصر فلا يحتاج الى تقدير مفعول ثم رد
الله عليهم لما طلبوا الرجعة بقوله ولو شئنا لآتينا اعطينا كل نفس هداها اي رشدها
وتوفيقها الى الايمان يعني ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا
جميعا فلم يكفر منهم احد ولكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر و
ايثاره وهو حجة على المعتزلة فانهم اولوا الآية بمشية الجبر وهو تاويل فاسد قال النحاس في
معنى هذا قولان احدهما انه في الدنيا والآخر انه في الآخرة ولكن حق القول مني اي نفذ قضائي
ووجب قولي وسبقت كلمتي وثبت وعيدي لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
هذا هو القول الذي وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاؤه فكان مقتضى هذا القول
انه لا يعطي كل نفس هداها وانما قضى عليهم بهذا لانه سبحانه قد علم انهم من اهل الشقاوة وانهم
ممن يختار الضلالة على الهدى وقدم الجن لان المقام مقام تحقير ولان الجهنميين منهم اكثر فيما قيل
ولا يلزم من قوله اجمعين دخول جميع الانس والجن فيها لانها تفيد عموم الانواع لا الافراد قاله بعض
المحققين ورد بانه لو قصد ما ذكر كان المناسب التثنية دون الجمع بان يقول كليهما فالظاهر
انها لعموم الافراد والتعريف فيهما للعهد والمراد عصاتهما ويؤيده قوله في آية اخرى خطابا لابليس
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قاله الشهاب وفي تخصيص الانس والجن اشارة الى
انه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم فذوقوا اي العذاب والفاء لترتيب الامر بالذوق
على ما قبله اي فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا قاله مقاتل واستعار الذوق للاحساس
وقد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس وان لم يكن مطعوما لاحساسها به كاحساسها بذوق المطعوم بما
نسيتم لقاء يومكم هذا الباء السببية وفيه اشعار بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق القول المتقدم

بل بذلك واختلف في النسيان المذكور ههنا فقيل هو النسيان الحقيقي وهو الذي يزول
عنده الذكر وقيل هو الترك قاله الضحاك ويحيى بن سلام والمعنى على الاول انهم لم يعملوا لذلك
اليوم فكانوا كالناسين له وعلى الثاني لا بد من تقدير مضاف قبل لقاء اي فذوقوا بسبب
ترككم لما امرتكم به ورجح الثاني المبرد قال الرازي في تفسيره ان اسم الاشارة في قوله هذا يحتمل
ثلاثة اوجه ان يكون اشارة الى اللقاء وان يكون الى اليوم وان يكون الى العذاب انا نسيناكم
اي تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل الناسي قطعا لرجائكم قال يحيى المعنى نسيناكم
بما تركتم الايمان بالبعث وهذا اليوم تركناكم من الخير وكذا قال السدي وقال مجاهد تركناكم في
العذاب وذوقوا تكرير لهذا التاكيد والتشديد ولتبيين المفعول المطوي للذوق وللاشعار
بان سببه ليس مجرد النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين
عليها في الدنيا عذاب الخلد اي الدائم الذي لا انقطاع له بما كنتم تعملون في الدنيا من
الكفر والمعاصي والتكذيب انما يؤمن باياتنا مستانفة لبيان من يستحق الهداية الى الايمان و
من لا يستحقها والمعنى انما يصدق باياتنا وينتفع بها الذين اذا ذكروا بها لا غيرهم ممن ذكر
بها اي وعظ بها ولا يتذكر ولا يؤمن بها خروا سجدا اي سقطوا على وجوههم ساجدين
تعظيما لايات الله وخوفا من سطوته وعذابه وتواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من
الاسلام وسبحوا بحمد ربهم اي نزهوه عن كل ما لا يليق به متلبسين بحمده على نعمه التي جلها
واكملها الهداية الى الايمان بالايات قال ابن عباس نزلت هذه الاية في شان الصلوات
الخمس ومعنى الاية قالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده او سبحان ربي الاعلى وبحمده وقال سفيان
المعنى صلوا حمدا لربهم وهم لا يستكبرون عن الايمان به والسجود له كما استكبر اهل مكة عن
السجود اي حال كونهم خاضعين لله متذللين له غير مستكبرين عليه وقال ابن عباس لا
يستكبرون عن اتيان الصلوة في الجماعات قيل هذه من عزائم سجود القران للقاري والمستمع
قال سليمان الجمل والمراد بالايات في هذه الاية ان كان مطلق القران وان لم تكن فيه اية
سجدة اشكل قوله خروا سجدا فان السجود لا يشرع لتلاوة القران الا اذا كان فيه اية سجدة
من ايات السجود المعروفة وان كان المراد بها خصوص ايات السجدات اشكل قوله اذا ذكروا

بها مع تفسير التذكير بالوعظ كما ذكروه وجه الاشكال ان اكثر آيات السجدات ليس فيها وعظ اي تخويف وتذكير
بالعواقب فهذه حقيقة الوعظ بل غالبها المدح الساجدين تصريحا وذم غيرهم تلويحا كهذه الآية وقد يكون بعكس ذلك اي
ذم غير الساجدين تصريحا ومدح الساجدين تلويحا كآية الانشقاق فليتامل فلم نر من المفسرين من نبه على هذا ولا من تعرض له

تتجافى جنوبهم عن المضاجع استيناف او حال اي ترتفع وتنبو وتتنحى يقال جفى الشيء عن الشيء
وتجافى عنه اذا لم يلزمه ونبا عنه وتنحى قال الزجاج والرماني التجافي التنحي الى جهة فوق وكذلك
هو في الصفح عن المخطي في سب ونحوه والجنوب جمع جنب اي متجافية جنوبهم عن مضاجعهم
والمضاجع جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع فيه وهم المتهجدون في الليل الذين يقومون للصلوة
عن الفراش وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء والجمهور والمراد بالصلوة صلوة التنفل بالليل
من غير تقييد وقال قتادة وعكرمة هو التنفل ما بين المغرب والعشاء وبه قال ابو حازم
ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلوة الاوابين وقيل صلوة العشاء فقط وهو رواية عن الحسن
وعطاء وقال الضحاك صلوة العشاء والصبح في جماعة وقيل هم الذين يقومون لذكر
الله سواء كان في صلوة او غيرها عن انس بن مالك ان هذه الآية نزلت في انتظار الصلوة
التي تدعى العتمة وعنه قال نزلت في صلوة العشاء وعنه قال كانوا لا ينامون حتى يصلوا
العشاء وعنه قال كنا نجتنب الفرش قبل صلوة العشاء وعنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم راقدا قط قبل صلوة العشاء ولا متحدثا بعدها فان هذه الآية نزلت في ذلك وعن ابن
عباس في الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الذين لا ينامون قبل صلوة العشاء فاثنى عليهم
فلما ذكر ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة ان تغلبه عينه فوقتها قبل ان ينام الصغير
ويكسل الكبير اخرجه ابن مردويه وعن بلال قال كنا نجلس في المسجد وناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب الى العشاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع وعن انس
نحوه وعنه قال كانوا ينتظرون ما بين المغرب والعشاء يصلون وعن معاذ بن جبل
قال قيام العبد من الليل وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا وارشد فيه الى انواع
من الطاعات وقال فيه وصلوة الرجل في جوف الليل ثم قرأ هذه الآية اخرجه احمد
والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وعن ابي هريرة



مرفوعا في حديث قال فيه وصلوة المرء في جوف الليل ثم تلى هذه الآية اخرجه ابن مردويه
وعن انس في الآية قال كان لا تمر عليهم ليلة الا اخذوا منها واشهر الاقاويل ان المراد منه
صلوة الليل وبه قال جماعة من اهل العلم وقد ورد في فضل قيام الليل والحث عليه
من الاحاديث الصحيحة ما هو مذكور في كتب السنة وعن كعب قال اذا حشر الناس نادى
مناد هذا يوم الفصل اين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع الحديث رواه احمد وعن
ابن عباس يقول كلما استيقظوا ذكروا الله اما في الصلوة واما في القيام او قعودا او على جنوبهم
لا يزالون يذكرون الله يدعون اي تتجافى جنوبهم حال كونهم داعين ربهم خوفا من عذابه
وطمعا في رحمته قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة وفيه دليل على صحة العبادة
والدعاء بالخوف والطمع وقد حققنا ذلك في هداية السائل فليرجع اليها ومما رزقناهم
اي من الذي رزقناهم او من رزقهم ينفقون وذلك الصدقة الواجبة وقيل صدقة
النفل والاولى الحمل على العموم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين النكرة في سياق
النفي تفيد العموم اي لا تعلم نفس من النفوس اي نفس كانت ما اخفاه الله سبحانه لاولئك الذين
تقدم ذكرهم مما تقر به اعينهم قال ابو السعود اي لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم وقيل
المراد لا تعلم نفس ما اخفي لهم علما تفصيليا والا فنحن نعلم ما اعد للمؤمنين من النعيم اجمالا من حيث انه غرف في الجنة
وقصور واشجار وانهار وملابس ومآكل وغير ذلك قرئ قرة بالافراد وقرات بالجمع وقرئ ما اخفي بسكون الياء
على انه فعل مضارع مسند الى الله سبحانه وقرئ بفتحها فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وما
نخفي بالنون مضمومة ويخفي بالتحتية قال ابن عباس كان عرش الله على الماء فاتخذ جنة لنفسه
ثم اتخذ دونها اخرى ثم اطبقهما بلؤلؤة واحدة ثم قال ومن دونهما جنتان لم يعلم الخلق
ما فيهما وهي التي قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين تأتيهم منها كل يوم تحفة
وعنه قال هذا مما لا تفسير له وعن ابن مسعود قال انه لمكتوب في التوراة لقد اعد الله
للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلمه ملك
مقرب ولا نبي مرسل وانه لفي القرآن فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واخرج البخاري
ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله اعددت لعبادي الصالحين

ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ابو هريرة واقرؤا ان شئتم فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الباب احاديث عن جماعة من الصحابة وهي معروفة
فلا نطول بذكرها وقيل اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم وفيه دليل على ان المراد الصلوٰة
في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين سبحانه ان ذلك بسبب اعمالهم الصالحة فقال
جزاء بما كانوا يعملون اي لاجل الجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الطاعات او جوزوا
جزاء بذلك أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الاستفهام للانكار اي ليس المؤمن
كالفاسق فقد ظهر ما بينهما من التفاوت والتباين ولهذا قال لا يستوون ففيه زيادة
تصريح لما افاده الانكار الذي افاده الاستفهام على ابلغ وجه وآكده ليبنى عليه التفصيل
الآتي قال الزجاج جعل الاثنين جماعة حيث قال لا يستوون لاجل معنى من وقيل لكون
الاثنين اقل الجمع وقيل اراد الجنس منهما ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا وهذا
اولى لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في السمين انه صلعم كان يتعمد الوقف على
فاسقا ويبتدي بقوله لا يستوون اي في المآل والمستقر او في الشرف والمثوبة والضمير فيه لمن
الواقعة على الفريقين وفيه مراعاة معناها بعد مراعاة لفظها والمراد بالفسق الكامل بقرينة
المقابلة للمؤمنين والا فالمؤمن قد يكون فاسقا ونظيره افنجعل المسلمين كالمجرمين وقوله
ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية اذ ليس كل مجرم ومسيء كافرا وعن ابن عباس قال قال
الوليد بن عقبة لعلي بن ابي طالب انا احد منك سنانا واشجع جنانا وابسط منك لسانا واملأ
حشوا للكتيبة منك فقال له علي اسكت فانما انت فاسق فنزلت هذه الآية يعني بالمؤمن عليا
وبالفاسق الوليد وروي نحو هذا عن عطاء بن يسار والسدي وعبد الرحمن بن ابي ليلى
ثم بين سبحانه عاقبة حال الطائفتين وبدأ بالمؤمنين فقال اما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات المأوى قرئ بالجمع وبالافراد والمأوى هو الذي يأوون اليه واضاف
الجنات اليه لكونه المأوى الحقيقي وقيل المأوى جنة من الجنات تأوي اليها ارواح الشهداء
وقيل هي عن يمين الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقد تقدم الكلام على هذا
نزلا اي انها معدة لهم عند نزولهم وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب اكراما له

كما بيناه في آل عمران وقرئ نزلاً بسكون الزاي بما كانوا يعملون أي بسبب ما كانوا يعملونه
وليس المراد السبب الحقيقي حتى ينافي حديث لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله بل ما يفضي إلى الجنة بمقتضى
وعد الله تعالى ثم ذكر الفريق الآخر فقال وأما الذين فسقوا أي خرجوا عن طاعة الله وتمردوا
عليه وعلى رسله بالكفر والتكذيب وقد علم أن العمل الصالح له مع الإيمان تأثير فلذلك قال
آمنوا وعملوا الصالحات وأما الكفر فلا التفات إلى الأعمال معه فلهذا لم يقل وعملوا السيئات
لأن المراد من قوله فسقوا كفروا ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن أن مجرد الكفر لا عقاب
عليه فمأواهم النار أي منزلهم الذي يصيرون إليه ويستقرون فيه هو النار كلما أرادوا
أن يخرجوا منها أعيدوا فيها أي إذا أرادوا الخروج منها أعيدوا إليها راغمين مكرهين
وقيل إذا دفعهم اللهب إلى أعلاها ردوا إلى مواضعهم وكلمة في للدلالة على أنهم مستقرون
فيها وإنما الإعادة من بعض طبقاتها إلى بعض وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون والقائل لهم هذه المقالة هم خزنة جهنم من الملائكة أو القائل لهم هو الله
عز وجل وفي هذا القول لهم حال كونهم قد صاروا في النار من الإغاظة لهم ما لا يخفى وفيه
دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان ولنذيقنهم من العذاب
الأدنى وهو عذاب الدنيا قال الحسن وأبو العالية والضحاك والنخعي هو مصائب الدنيا وأسقامها
وقيل الحدود وقيل القتل بالسيف يوم بدر وقيل سنين الجوع بمكة سبع سنين حتى
أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب وقيل عذاب القبر ولا مانع من الحمل على الجميع والذوق
حسي معنوي دون العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة لعلهم يرجعون مما هم فيه
من الشرك والمعاصي بسبب ما ينزل بهم من العذاب إلى الإيمان والطاعة ويتوبون عما كانوا
فيه وفي هذا التعليل دليل على ضعف قول من قال إن العذاب الأدنى هو عذاب القبر
قال ابن مسعود العذاب الأدنى يوم بدر والعذاب الأكبر يوم القيامة لعل من بقي منهم أن
يتوب فيرجع وعنه قال العذاب الأدنى سنون أصابتهم لعلهم يتوبون وقال أبي بن كعب
العذاب الأدنى مصائب الدنيا والروم والبطشة والدخان وعنه قال يوم بدر وقال ابن عباس
الحدود وفي هذا الترجي وجهان أحدهما معناه لنذيقنهم إذاقة الراجين كقوله إنا نسيناكم

يعني تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت اليه اصلا فكذلك ههنا والثاني نذيقهم العذاب
اذاقة يقول القائل اذا رأهم لعلهم يرجعون بسببه قاله الكرخي ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه ثم اعرض عنها اي لا احد اظلم منه لكونه سمع من آيات الله ما يوجب
الاقبال على الايمان والطاعة فجعل الاعراض مكان ذلك والمجيء بثم للدلالة على استبعاد
ذلك وانه مما ينبغي ان لا يكون والاستفهام انكاري انا من المجرمين منتقمون اي من
اهل الاجرام على العموم فيدخل فيه من اعرض عن آيات الله دخولا اوليا قال ابو السعود
اي كل من اتفق منه اجرام وان هانت جريمته فكيف بمن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من
كل مجرم اخرج ابن منيع وابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني وغيرهم قال السيوطي بسند ضعيف
عن معاذ بن جبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد اجرم من عقد
لواء في غير حق او عق والديه او مشى مع ظالم لينصره فقد اجرم يقول الله انا من المجرمين
منتقمون قال ابن كثير بعد اخراجه هذا حديث غريب ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة
وانما ذكر موسى لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم ووجود من كان على دينه الزاما لهم وانما لم يختر
عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته واما النصارى
فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك بالمجمع عليه فلا تكن يا محمد في مرية اي شك
وريبة من لقائه قال الواحدي قال المفسرون وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيلقى موسى
قبل ان يموت ثم لقيه في السماء او في بيت المقدس حين اسري به وهذا قول مجاهد والكلبي والسدي
وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها وقيل فلا تكن في شك من
لقاء موسى للكتاب قاله الزجاج وقال الحسن ان معناه ولقد آتينا موسى الكتاب فكذب
واوذي فلا تكن في شك من انه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والاذى فيكون الضمير
في لقائه على هذا الى محذوف والمعنى من لقائه ما لاقى موسى قال النحاس وهذا قول غريب
وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في
مرية من لقائه فجاء معترضا بين ولقد آتينا موسى الكتاب وبين قوله الآتي وجعلناه
هدى لبني اسرائيل وقيل الضمير راجع الى الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن

والمعنى انا قد اتينا موسى مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا
تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وما بعد هذا ولعل الحامل لقائله عليه قوله
وجعلناه هدى لبني اسرائيل فان الضمير راجع الى الكتاب وقيل ان الضمير في لقائه عائد
الى الرجوع المفهوم من قوله ثم الى ربكم ترجعون اي لاتكن في مرية من لقاء الرجوع وهذا
بعيد جدا قال السمين وهذه اقوال بعيدة ذكرت للتنبيه على ضعفها واظهرها ان الضمير
اما لموسى واما للكتاب اي لاترتب في ان موسى لقي الكتاب وانزل عليه وقد اخرج البخاري ومسلم
وغيرهما من حديث ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي موسى بن عمران
رجلا طويلا جعدا كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق الى الحمرة والبياض
سبط الراس ورايت مالكا خازن جهنم والدجال في آيات اراهن الله اياه قال فلا تكن في
مرية من لقائه فكان قتادة يفسرها ان النبي صلى الله عليه وسلم قد لقي موسى واخرج الطبراني وابن
مردويه والضياء في المختارة بسند قال السيوطي صحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تكن
في مرية من لقائه قال من لقاء موسى قيل اولقي موسى قال نعم الا ترى الى قوله واسئل من
ارسلنا من قبلك من رسلنا وروى البخاري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى
ليلة المعراج عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره وصح في حديث المعراج ايضا انه رآه في
السماء السادسة فلعل كانت رويته في قبره قبل صعوده الى السماء ثم صعد اليها فوجده هناك
قد سبقه لما يريده الله وهذا اوجه الجمع بين هذين الحديثين على ما ذكره الخازن واختلف
في الضمير في قوله وجعلناه فقيل راجع الى الكتاب اي جعلنا التوراة هدى لبني اسرائيل
قاله الحسن وغيره وقال قتادة انه راجع الى موسى اي وجعلنا موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا
منهم ائمة قال قتادة يقتدون بهم في دينهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم
اتباع الانبياء وقيل العلماء قاله قتادة وقرئ ائمة قال النحاس وهو لحن عند جميع النحويين
لانه جمع بين همزتين في كلمة واحدة يهدون اي يدعونهم الى الهداية بما يلقونه اليهم من احكام
التوراة ومواعظها بامرنا لهم بذلك او لاجل امرنا لما صبروا اي حين صبروا والضمير للائمة
وفي لما معنى الجزاء والتقدير لما صبروا جعلناهم ائمة اي لصبرهم وهذا الصبر هو صبرهم على

مشاق التكليف والهداية للناس وقيل صبروا عن الدنيا وفيه دليل على ان الصبر ثمرته
امامة الناس وكانوا بآياتنا التنزيلية التي في تضاعيف الكتاب يوقنون اي يصدقونها
ويعلمون انها حق وانها من عند الله لمزيد تفكرهم وكثرة تدبرهم ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيامة اي يقضي بينهم ويحكم بين المؤمنين والكفار وقيل يقضي بين الانبياء واممهم
حكاه النقاش فيما كانوا فيه يختلفون فيظهر المحق من المبطل أولم يهد لهم اي ولم
يتبين لاهل مكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا ولم يتبين
لهم وقرئ يهد بالتحتية وبالنون وهي اوضح والفاعل ما دل عليه قوله كم اهلكنا اي كثرة اهلاكنا
وقال المبرد ان الفاعل الهدى المدلول عليه بيهد اي اولم يهد لهم الهدى من قبلهم حال
من قوله من القرون كعاد وثمود وقوم لوط ونحوهم يمشون في مساكنهم اي والحال انهم يمشون
في مساكن المهلكين ويشاهدونها وينظرون ما فيها من العبر وآثار العذاب ولا يعتبرون بذلك
وقيل الضمير يعود الى المهلكين والمعنى اهلكناهم حال كونهم ماشين في مساكنهم والاول اولى
وقيل جملة مستانفة لبيان وجه هدايتهم والمعنى يمرون في اسفارهم الى التجارة على ديارهم
وبلادهم ان في ذلك المذكور من كثرة اهلاكنا الامم الخالية لآيات عظيمة افلا يسمعون ويتعظون
بها اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي اولم يعلموا بسوقنا الماء الى الارض التي
لا تنبت الا بسوق الماء اليها وقيل هي اليابسة واصله من الجرز وهو القطع اي التي تقطع نباتها
لعدم الماء وازيل بالمرة ولا يقال للتي لا تنبت اصلا كالسباخ جرز لقوله الآتي فنخرج به زرعا
قال ابن عباس الجرز التي لا تمطر الا مطرا لا يغني عنها شيئا الا ما يأتيها من السيول وعنه قال
هي ارض باليمن وقيل ابين قال القرطبي في تفسيره والاسناد عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه
وقيل ارض عدن قال الضحاك هي الارض العطشى وقال الفراء هي الارض التي لا نبات فيها
وقال الاصمعي هي الارض التي لا تنبت شيئا قال المبرد يبعد ان يكون لارض بعينها لدخول
الالف واللام وقيل هي مشتقة من قولهم رجل جروز اذا كان لا يبقي شيئا الا اكله وكذلك ناقة
جروز اذا كانت تاكل كل شيء تجده وقال مجاهد انها ارض النيل لان الماء انما يأتيها في كل
عام فنخرج به اي بالماء زرعا تاكل منه انعامهم اي من الزرع كالتبن والقصل والورق

وبعض الحبوب المخصوصة بها ونحوها مما لا يأكله الناس وأنفسهم اي يأكلون من الحبوب
والثمار والاقوات الخارجة من الزرع مما يقتاتونه وقدم الانعام لان انتفاعها مقصور على
النبات ولان اكلها منه مقدم لانها تأكله قبل ان يثمر ويخرج سنبله افلا يبصرون هذه النعم
ويشكرون المنعم ويوحدونه لكونه المتفرد بايجاد ذلك وجعلت الفاصلة يبصرون لان الزرع
مرئي وفيما قبله يسمعون لان ما قبله مسموع او ترقيا الى الاعلى في الاتعاظ مبالغة في التذكير ودفع العذر
ويقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء والقائلون هم الكفار على العموم او كفار مكة على
الخصوص متى هذا الفتح الذي تعدنا به يعنون بالفتح القضاء والفصل بين العباد وهو
يوم البعث الذي يقضي الله فيه بين العباد قاله مجاهد وغيره وقال الفراء والقتيبي هو فتح مكة وقال
قتادة قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم الله بيننا وبينكم
يعنون يوم القيامة فقال الكفار متى هذا الفتح وقال السدي هو يوم بدر لان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم وعن ابن عباس قال يوم بدر فتح للنبي صلى الله عليه وسلم
فلم ينفع الذين كفروا ايمانهم بعد الموت ان كنتم صادقين فيما تدعونه من نصر المؤمنين واظهارهم
على الكفار ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيب عليهم فقال قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
وفي هذا دليل على ان يوم الفتح هو يوم القيامة الذي هو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم
لان يوم فتح مكة ويوم بدر كليهما مما ينفع فيه الايمان وقد اسلم اهل مكة يوم الفتح وقبل منهم
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا يقبل منهم الايمان والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم
للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسئل عنه لكونه امرا بينا وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ايمانهم
في ذلك اليوم كأنه قيل لا تستعجلوا فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا والآية
ان عمت غير المستهزئين فهي تعميم بعد تخصيص وان خصت بهم فهو اظهار في مقام الاضمار
تسجيلا عليهم بالكفر وبيانا للعلة عدم النفع وعلة عدم امهالهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ولا
يؤخرون بتأخير العذاب عنهم ليتوبوا ويعتذروا ولما فتحت مكة هربت قوم من بني كنانة فلحقهم
خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبله منهم خالد وقتلهم فاعرض عنهم اي عن سفههم
وتكذيبهم ولا تجبهم الا بما امرت به وانتظر يوم الفتح وهو يوم القيامة او يوم هلاكهم بالقتل

وموعدي لك بالنصر عليهم إنهم منتظرون لاهلاككم وانتظر عذابنا اياهم فهم منتظرون
ذلك والآية منسوخة بآية السيف وكذلك قوله لا ينفع الخ قاله ابن عباس وقيل غير منسوخة
اذ يقع الاعراض مع الامر بالقتال وقرئ منتظرون بفتح الظاء مبنيا للمفعول قال الفراء لا يصح
هذا الا باضمار اي انهم منتظر بهم قال ابو حاتم الصحيح الكسر اي انتظر عذابهم انهم منتظرون هلاكك

سورة الاحزاب هي ثلاث وسبعون اية ٣٣

قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن زر قال قال لي ابي بن كعب كاين تقرء
سورة الاحزاب او كاين تعدها قلت ثلاثا وسبعين اية فقال اقط لقد رايتها وانها لتعادل
سورة البقرة او اكثر من سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة
نكالا من الله والله عزيز حكيم فرفع فيما رفع قال ابن كثير واسناده حسن واخرج البخاري
ومسلم وغيرهما عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد يا ايها الناس
ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه اية الرجم فقرأناها ووعيناها
الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان
يطول بالناس زمان ان يقول قائل لا نجد اية في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله و
قد روي عنه نحو هذا من طرق وعن عايشة قالت كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمان النبي صلى الله
عليه وسلم مائتي اية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها الا على ما هو الان قال النسفي واما ما يحكى
ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عايشة فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اي يا ايها المخبر عنا المامون على اسرارنا المبلغ خطابنا واتما لم يقل يا محمد كما قال
يا آدم يا موسى تشريفا له وتنويها بفضله وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم
الناس بانه رسول الله ليلقبوه بذلك ويدعوه به اتق الله اي دم على ذلك وازدد منه فهو باب
واسع وعرض عريض لا يدرك مداه ولا ينال منتهاه ولا تطع الكافرين من اهل مكة ومن هو على

مثل كفرهم والمنافقين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر قال الواحدي انه اراد
بهم بالكافرين ابا سفيان وعكرمة وابا الاعور السلمي وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارفض
ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة لمن عبدها قال والمنافقين عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد بن
ابي سرح إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا اي كثير العلم والحكمة بليغهما قال النحاس ودل بقوله هذا على
انه كان يميل اليهم يعني النبي صلى الله عليه وسلم استدعاءهم الى الاسلام والمعنى ان الله عز وجل لو
علم ان ميلك اليهم فيه منفعة لما نهاك عنهم لانه حكيم ولا يخفى بعد هذه الدلالة التي زعمها
ولكن هذه الجملة تعليل لجملة الامر بالتقوى والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين والمعنى
انه لا يامرك ولا ينهاك الا بما علم فيه صلاحا او فسادا لكثرة علمه وسعة حكمته وَاتَّبِعْ في جميع امورك
مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ من القرآن ولا تتبع شيئا مما عداه من مشورات الكافرين والمنافقين
ولا من الرأي البحت فان فيما اوحي اليك ما يغنيك عن ذلك إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا
تعليل لامره باتباع ما اوحي اليه وتاكيد لموجبه والامر له صلى الله عليه وسلم امر لامته فهم مامورون
باتباع القرآن كما هو مامور باتباعه ولهذا جاء بخطابه وخطابهم في قوله بما تعملون على
قراءة الجمهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية والواو ضمير الكفرة والمنافقين اي انه خبير
بمكائدهم فيدفعها عنك وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ اي اعتمد عليه وفوض امورك اليه وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا اي حافظا
يحفظ من توكل عليه وقيل كفيلا برزقك وقال الزجاج لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف
بالله وكيلا ثم ذكر سبحانه مثلا توطئة وتمهيدا لما يتعقبه من الاحكام القرآنية التي هي من الوحي
الذي امره الله باتباعه فقال مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وقيل هي مثل ضربه الله
للمظاهر اي كما لا يكون للرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر امه حتى تكون له امان
وكذلك لا يكون الدعي ابن الرجل وقيل كان الواحد من المنافقين يقول لي قلب يامرني بكذا
وقلب بكذا فنزلت الآية برد النفاق وبيان انه لا يجتمع مع الاسلام كما لا يجتمع قلبان
والقلب بضعة صغيرة على هيئة الصنوبرة خلقها الله وجعلها محلا للعلم ومن زائدة وقال
في جوفه لانه معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني ومنبع القوى باسرها فيمتنع تعدده
لانه يؤدي الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لها وعن ابن عباس

قال قام النبي صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى
ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فنزل ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وعنه بلفظ
صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلوة فسهى فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون فقالوا ان له قلبين
فنزلت وعنه ايضا قال كان رجل من قريش يسمى من دهائه ذا القلبين فانزل الله هذا
في شانه وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ قرئ اللائي بياء ساكنة
بعد همزة وبياء ساكنة بعد الف محضة قال ابو عمرو بن العلاء انها لغة قريش التي امر الناس
ان يقرؤا بها وتظاهرون مضارع ظاهر وقرئ مضارع تظاهر والاصل تتظاهرون
وقرئ تظهرون والاصل تتظهرون واخذ ذلك من لفظ الظهر كاخذ لبى من التلبية وانما عدي
بمن لانه ضمن معنى التباعد كانه قيل متباعدين من نسائكم بسبب الظهار كما تقدم في تعدية
الايلاء بمن في البقرة والظهار اصله ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي والمعنى ما جعل
الله نساءكم اللاتي تقولون لهن هذا القول كامهاتكم في التحريم ولكنه منكر من القول وزور
وانما تجب به الكفارة بشرطه وهو العود كما ذكر في سورة المجادلة بقوله والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي فيه بان يخالفوه بامساك المظاهر منها زمنا يمكنه
ان يفارقها فيه ولا يفارقها لان مقصود المظاهر وصف المرأة بالتحريم وامساكها يخالفه
قاله الكرخي وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ اي وكذلك ما جعل الادعياء الذين تدعون انهم ابناؤكم
أَبْنَاءَكُمْ والادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ابنا لغير ابيه فهو فعيل بمعنى مفعول ولكن
جمعه على ادعياء غير مقيس لان افعلاء انما يكون جمعا لفعيل المعتل اللام اذا كان بمعنى فاعل
نحو تقي واتقياء وغني واغنياء وهذا وان كان فعيلا معتل اللام لان اصله دعيو فادغم الا
انه بمعنى مفعول فكان القياس جمعه على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ومريض ومرضى ونظير
هذا في الشذوذ قولهم اسير واسارى والقياس اسرى وقد سمع فيه الاصل قاله السمين ذَلِكُمْ
اي ما تقدم من ذكر الظهار والادعاء قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ اي ليس ذلك الا مجرد قول بالافواه ولا
تاثير له في الخارج فلا تصير المرأة به اما ولا ابن الغير به ابنا ولا يترتب على ذلك شيء من احكام
الامومة والبنوة وقيل الاشارة راجعة الى الادعاء اي ادعاؤكم ان ابناء الغير ابناؤكم لا حقيقة له

بل هو مجرد قول بالفم اذ الابن لا يكون الا بالولادة وفيه نسخ التبني وذلك ان الرجل كان في الجاهلية
يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اعتق زيد بن حارثة الكلبي وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة فلما تزوج زينب
وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك
فانزل الله هذه الآية ونسخ بها التبني قال النحاس وهذا من نسخ السنة بالقران قال القرطبي
اجمع اهل التفسير على ان هذا القول نزل في زيد بن حارثة وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ الذي يجب
اتباعه لكونه حقا في نفسه لا باطلا فيدخل تحته دعاء الابناء لآبائهم وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ
اي يدل على الطريق الموصلة الى الحق وفي هذا ارشاد للعباد الى قول الحق وترك قول الباطل
والزور ثم صرح سبحانه بما يجب على العباد من دعاء الابناء للآباء فقال ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ
للصلب وانسبوهم اليهم ولا تدعوهم الى غيرهم اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر ان
زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القران ادعوهم
لآبائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت زيد بن حارثة بن شراحيل هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ تعليل
للامر بدعاء الابناء للآباء والضمير راجع الى مصدر ادعوهم ومعنى اقسط اعدل اي اعدل كل
كلام يتعلق بذلك فترك الاضافة للعموم كقوله الله اكبر او اعدل من قولكم هو ابن فلان ولم يكن
ابنه لصلبه واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل وانظر
الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينها ثم فصل
الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية ثم تمم الارشاد للعباد فقال فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
آبَاءَهُمْ تنسبوهم اليهم فَإِخْوَانُكُمْ اي فهم اخوانكم فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ فقولوا اخي ومولاي
ولا تقولوا ابن فلان حيث لم تعلموا آباءهم على الحقيقة قال الزجاج مواليكم اي اولياؤكم في
الدين وقيل المعنى فان كانوا محررين ولم يكونوا احرارا فقولوا موالي فلان وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ اي لا اثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد قبل النهي فنسبتموه
الى غير ابيه وَلَكِنْ الاثم مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وهو ما قلتموه على طريقة العمد من نسبة الابناء
الى غير آبائهم مع علمكم بذلك قال قتادة لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت ترى انه ابوه

لم يكن عليك بأس بخلاف الحال في زيد فانه لا يجوز ان يقال فيه زيد بن محمد فان قاله
احد متعمدا عصى لقوله هذا عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى
الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام اخرجه البخاري ومسلم وكان الله غفورا
رحيما يغفر للمخطئ ويرحمه ويتجاوز عنه او غفورا للذنوب رحيما بالعباد ومن جملة من يغفر له
ويرحمه من دعى رجلا لغير ابيه خطأ او قبل النهي عن ذلك او على سبق اللسان ثم ذكر
سبحانه لرسوله مزية عظيمة وخصوصية جليلة لا يشاركه فيها احد من العباد فقال النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم اي هو احق بهم وارأف واشفق في كل ما دعاهم اليه من امور
الدين والدنيا فان نفوسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم وهو يدعوهم الى ما فيه نجاتهم فيجب
عليهم ان يؤثروه بما اراده من اموالهم وان كانوا محتاجين اليها ويجب عليهم ان يحبوه زيادة
على حبهم انفسهم ويجب عليهم ان يقدموا حكمه عليهم على حكمهم لانفسهم وبالجملة فاذا دعاهم
النبي صلى الله عليه وسلم لشيء ودعتهم انفسهم الى غيره وجب عليهم ان يقدموا ما دعاهم اليه ويؤخروا
ما دعتهم انفسهم اليه ويجب عليهم ان يطيعوه فوق طاعتهم لانفسهم ويقدموا طاعته
على ما تميل اليه انفسهم وتطلبه خواطرهم وقيل المراد بانفسهم في الآية بعضهم فيكون
المعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اولى بالمؤمنين من بعضهم ببعض وقيل هي خاصة بالقضاء اي
هو اولى بهم من انفسهم فيما قضى بينهم وقيل اولى بهم في الجهاد بين
يديه وبذل النفس دونه وقيل اولى بهم اي ارأف بهم واعطف عليهم
وانفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤف رحيم وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم
في الدين والاول اولى وقد اخرج البخاري وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا
اولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن
ترك مالا فلترثه عصبته من كانوا فان ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه وقد ثبت في الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده
والناس اجمعين واخرج ابن ابي شيبة واحمد والنسائي عن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه

جفوة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عليا فتنقصته فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تغير وقال يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كنت مولاه فعلي مولاه **وأزواجه** صلى الله عليه وسلم سواء دخل بهن أولا وسواء مات عنهن أو طلقهن
أمهاتهم أي مثل أمهاتهم في الحكم بالتحريم ومنزلات منزلتهن في استحقاق التعظيم فلا
يحل لأحد أن يتزوج بواحدة منهن كما لا يحل له أن يتزوج بأمه فهذه الأمومة مختصة
بتحريم النكاح لهن تحريما مؤبدا وبالتعظيم لجنابهن لا في النظر إليهن والخلوة بهن فإنه حرام
في حقهن كما في حق سائر الأجانب وفي تخصيص المؤمنين يدل على أنهن لسن أمهات نساء
المؤمنين ولا بناتهن أخوات للمؤمنين ولا إخوتهن أخوال المؤمنين وقال القرطبي الذي
يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء تعظيما لحقهن على الرجال والنساء كما يدل عليه قوله
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة وقال ثم إن في
مصحف أبي بن كعب وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وقرأ ابن عباس بعد لفظ أنفسهم
وهو أب وأزواجه أمهاتهم عن عائشة أن امرأة قالت لها يا أمه فقالت أنا أم رجالكم و
لست أم نسائكم وعن أم سلمة قالت أنا أم الرجال منكم والنساء وعن بجالة قال مر عمر بن
الخطاب بغلام وهو يقرأ في المصحف وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم فقال يا غلام حكها فقال
هذا مصحف أبي فذهب إليه فسأله فقال إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق في الأسواق
وهن فيما وراء ذلك كالإرث ونحوه كالأجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم إلى بناتهن ثم بين سبحانه
أن القرابة أولى ببعضهم البعض فقال **وأولوا الأرحام** جمع رحم وهو القرابة **بعضهم أولى**
أي أحق **ببعض** في الميراث وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة الأنفال وهي ناسخة
لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاة قال قتادة لما نزل قوله سبحانه
في سورة الأنفال والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فتوارث
المسلمون بالهجرة ثم نسخ ذلك بهذه الآية وكذا قال غيره ويحتمل أن يكون النسخ بآية الأنفال وهو
قوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله قال الشهاب وهذا الاحتمال أولى لأن سورة
الأنفال متقدمة نزولا على هذه السورة فنسبة النسخ إليها أولى وتكون هذه الآية مؤكدة لتلك

وقيل ان هذه الآية ناسخة للتوارث بالحلف والمواخاة في الدين وقيل معنى الآية لا توارث
بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر في كتاب الله اي هذه الاولوية وهذا
الاستحقاق كائن وثابت فيه والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ او القرآن او آية المواريث من
المؤمنين والمهاجرين المعنى ان ذوي القرابات من المؤمنين والمهاجرين بعضهم اولى
ببعض او واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين الذين هم اجانب وقيل ان
معنى الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الا ما يجوز لازواج النبي صلى الله عليه وسلم من كونهن كالامهات
في تحريم النكاح وفي هذا من الضعف ما لا يخفى الا الاستثناء اما متصل من اعم العام والتقدير
اولى ببعض في كل شيء من الارث وغيره الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا من صلة او وصية
فان ذلك جائز قاله قتادة والحسن وعطاء ومحمد بن الحنفية قال ابن الحنفية نزلت في
اجازة الوصية لليهودي والنصراني فالكافر ولي في النسب لا في الدين فيجوز الوصية له قال الخازن
ان الله لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والهجرة اباح ان يوصي الرجل لمن تولاه بما احب من ثلث ماله
ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا والمعنى لكن فعل المعروف للاولياء لا باس به وضمن تفعلوا
معنى توصلوا او تسدوا فعدي بالى قال مجاهد اراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة بحق الايمان
والهجرة كان ذلك اي نسخ الميراث بالهجرة والمحالفة والمعاقدة ورده الى ذوي الارحام من القرابات
في الكتاب اي اللوح المحفوظ او في التوراة او في القرآن مسطورا مكتوبا واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم كانه قال يا ايها النبي اتق الله واذكر ان الله اخذ ميثاق الانبياء او التقدير كان
هذا الحكم مكتوبا في الكتاب وقت اخذنا قاله السمين قال قتادة اخذ الله الميثاق على النبيين
خصوصا على ان يصدق بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا وان ينصحوا لقومهم وان يعبدوا الله ويدعوا
الناس الى عبادته والى الدين القيم وان يبلغوا رسالات ربهم وذلك حين اخرجوا من صلب
آدم كالذر وهو جمع ذرة وهي اصغر النمل وهي صغيرة جدا بحيث ان نحو الاربعين منها اصغر
من جناح بعوضة والميثاق هو اليمين وقيل هو الاقرار بالله والوصية والامر والاول اولى وقد
سبق تحقيقه ثم خصص سبحانه بعض النبيين بالذكر بعد التعميم الشامل لهم ولغيرهم فقال
ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ووجه تخصيصهم بالذكر

الاعلام بان لهم مزيد شرف وفضل لكونهم اصحاب الشرائع المشهورة والكتب المذكورة ومن
اولي العزم من الرسل وتقديم ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم مع تاخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم
ما لا يخفى وتقديم نوح في آية شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لانها سيقت لوصف ما
بعث به نوح من العهد القديم وما بعث به نبينا صلى الله عليه وسلم من العهد الحديث وما بعث به
من توسطهما من الانبياء المشاهير فكان تقديم نوح فيها اشد مناسبة للمقصود من بيان
اصالة الدين وقدمه قاله الكرخي ثم اكد ما اخذه على النبيين من الميثاق بتكريره ووصفه
بالغلظ فقال وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا اي عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا وما اخذه
الله عليهم من عبادته والدعاء اليها ويجوز ان يكون قد اخذ الله عليهم الميثاق مرتين
فاخذه عليهم في المرة الاولى مجرد الميثاق بدون تغليظ ولا تشديد ثم اخذه عليهم ثانيا
مغلظا شديدا ومثل هذه الآية قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه اخرج الطبراني وابن مردويه وابو نعيم
في الدلائل عن ابي مريم الغساني ان اعرابيا قال يا رسول الله اي شئ كان اول نبوتك قال اخذ الله
مني الميثاق كما اخذ من النبيين ميثاقهم ثم تلا هذه الآية الى قوله ميثاقا غليظا ودعوة ابراهيم
قال وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى بن مريم ورأت ام رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامها انه
خرج من بين رجليها سراج اضاءت له قصور الشام وعن ابن عباس قال قيل يا رسول الله متى اخذ
ميثاقك قال وآدم بين الروح والجسد وعنه قال قيل يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين
الروح والجسد اخرجه البزار والطبراني وفي الباب احاديث قد صحح بعضها وعن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال في الآية كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم اخرجه ابن
عساكر وابن مردويه وابو نعيم وعن ابن عباس قال ميثاقهم عهدهم وعنه قال انما اخذ الله
ميثاق النبيين على قومهم لِيَسْأَلَ اي لكي يسأل الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ في تبليغ الرسالة الى
قومهم تبكيتا للكافرين بهم وفي هذا وعيد لغيرهم لانهم اذا كانوا يسألون عن ذلك فكيف غيرهم
وقيل ليسأل الانبياء عما اجابهم به قومهم كما في قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن
المرسلين وقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وقيل فعل ذلك ليسأل وقيل عن صدقهم

عن عملهم الله عزوجل وقيل ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم والكافرين
عن تكذيبهم فاستغنى عن الثاني بذكر مسببه وهو قوله وأعد للكافرين وقيل التقدير أثاب
الصادقين وأعد للكافرين وقيل المعنى أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه ليثيب المؤمنين
وأعد للكافرين عذابا أليما قاله السمين وقيل الكلام قد تم عند قوله عن صدقهم وجملة و
أعد مستأنفة لبيان ما أعده للكفار يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله الكائنة
عليكم هذا تحقيق لما سبق من الأمر بالتقوى بحيث لا يبقى معه خوف من أحد إذ
جاءتكم جنود والمراد بها جنود الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزوه إلى
المدينة وهي الغزوة المسماة غزوة الخندق وكانت بعد حرب أحد بسنة وهم أبو سفيان
بن حرب بقريش ومن معهم من الأحابيش وعيينة بن حصن الفزاري ومن معه من قومه
غطفان وبنو قريظة والنضير فضايقوا المسلمين مضايقة شديدة كما وصف الله سبحانه في هذه
الآيات وكانت هذه الغزوة في شوال سنة خمس من الهجرة قاله ابن إسحاق وقال ابن وهب وابن
القاسم عن مالك كانت في سنة أربع وقد بسط أهل السير في هذه الوقعة ما هو معروف فلا
نطيل بذكرها أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن
عساكر من طرق عن حذيفة قال لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود وأبو سفيان
ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا
ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى
أحد منا إصبعه فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله ويقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة
فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له فيتسللون ونحن ثلثمائة أو نحو ذلك إذ استقبلنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى مر علي وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي
ما يجاوز ركبتي فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة قال حذيفة فتقاصرت
إلى الأرض فقلت بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم قال قم فقمت فقال إنه كان في القوم خبر فأتني
بخبر القوم قال وأنا من أشد القوم فزعا وأشدهم قرا فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق

الله فزعا ولا تراني جوفي الاخرج من جوفي فما اجد منه شيئا فلما وليت قال يا حذيفة لا تحدثن
في القوم شيئا حتى تاتيني فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد واذا
رجل ادهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ويقول الرحيل الرحيل ثم دخلت العسكر فاذا
ادنى الناس مني بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم واذا الريح في عسكرهم
ما تجاوز شبرا فوالله اني لاسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم ثم خرجت نحو النبي صلى الله
عليه وسلم فلما انتصفت في الطريق او نحو ذلك اذا انا بنحو من عشرين فارسا معتمين فقالوا اخبر صاحبك
ان الله كفاه القوم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته وهو مشتمل في شملة يصلي وكان اذا
حزبه امر صلى فاخبرته خبر القوم اني تركتهم يترحلون وانزل الله يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود الآية وعن ابن عباس في قوله اذ جاءتكم جنود قال كان يوم
ابي سفيان يوم الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا قال مجاهد هي ريح الصبا ارسلت على الاحزاب
يوم الخندق حتى القت قدورهم ونزعت فساطيطهم وهي ريح تهب من الشرق وكانت باردة
شديدة جدا ومع هذا لم تجاوزهم ويدل على هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس وعنه قال لما كان
ليلة الاحزاب جاءت الشمال الى الجنوب فقالت انطلقي فانصري الله ورسوله فقالت الجنوب ان الحرة
لا تسري بالليل فغضب الله عليها وجعلها عقيما فارسل الله عليهم الصبا فاطفأت نيرانهم وقطعت اطنابهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور فذلك قوله فارسلنا عليهم ريحا
الآية وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ذهب حزنه وللشعراء تفنن بها كثير
يعرفه كل من له المام بدواوينهم وجنودا لم تروها وهي الملائكة وكانوا الفا ولم يقاتلوا وانما
القوا الرعب في قلوب الاحزاب قال المفسرون بعث الله عليهم الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت
اطناب الفساطيط واطفأت النيران واكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وارسل
الله عليهم الرعب وكثر تكبيرهم في جوانب العسكر حتى كان سيد كل قوم يقول لقومه يا بني
فلان هلم الي فاذا اجتمعوا قال لهم النجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون
ايها المسلمون من ترتيب الحرب وحفر الخندق واستنصاركم به وتوكلكم عليه بصيرا او [illegible]

يجهلون بالتحية اي بما يحمله الكفار من العناد لله ولرسوله والتحزب على المسلمين واجتماعهم عليهم
من كل جهة إذ جاؤكم من فوقكم اي اذكروا اذ جاؤكم من اعلى الوادي وهو من جهة المشرق
والذين جاؤا من هذه الجهة هم غطفان وسيدهم عيينة بن حصن وهوازن وسيدهم
عوف بن مالك واهل نجد وسيدهم طليحة بن خويلد الاسدي وانضم اليهم عوف بن مالك
وبنو النضير وعن عائشة في الآية قالت كان ذلك يوم الخندق ومن اسفل منكم اي من
اسفل الوادي من جهة المغرب من ناحية مكة وهم قريش ومن معهم من الاحابيش وسيدهم
ابو سفيان بن حرب وجاء ابو الاعور السلمي ومعهم حيي بن اخطب اليهودي في يهود بني قريظة من وجه
الخندق ومعهم عامر بن الطفيل واذ معطوف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير زاغت
الابصار اي مالت وعدلت عن كل شيء فلم تنظر الا الى عدوها مقبلا من كل جانب وقيل شخصت دهشا
من فرط الهول والحيرة وبلغت القلوب الحناجر جمع حنجرة وهي جوف الحلقوم وقيل راس الغلصمة و
الغلصمة راس الحلقوم وقيل هي منتهى الحلقوم والحلقوم مجرى الطعام والشراب وقيل مجرى النفس
والمري مجرى الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم وقال الراغب راس الغلصمة من خارج والمعنى ارتفعت
القلوب عن مكانها ووصلت من الفزع والخوف الى الحناجر فلولا انه ضاق الحلقوم عنها وهو الذي
نهايته الحنجرة لخرجت كذا قال قتادة وقيل هو على طريق المبالغة المعهودة في كلام العرب وان لم ترتفع
القلوب الى ذلك المكان ولا خرجت عن موضعها ولكنه مثل في اضطرابها وجبنها قال الفراء
والمعنى انهم جبنوا وجزع اكثرهم وسبيل الجبان اذا اشتد الخوف ان ينتفخ ريته فاذا انتفخت الرية
ارتفع القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره وتظنون بالله الظنونا المختلفة فبعضهم ظن
النصر ورجى الظفر وبعضهم ظن خلاف ذلك وقال الحسن ظن المنافقون انه يستاصل محمد و
اصحابه وظن المؤمنون انه ينصر وقيل الآية خطاب للمنافقين والاولى ما قاله الحسن فيكون
الخطاب لمن اظهر الاسلام على الاطلاق اعم من ان يكون مؤمنا في الواقع او منافقا واختلف القراء
في الالف في الظنونا فاثبتها وصلا ووقفا جماعة وتمسكوا بخط المصحف العثماني في جميع المصاحف
في البلدان فان الالف فيها كلها ثابتة وتمسكوا ايضا بما في اشعار العرب من مثل هذا وايضا
ان هذه الالف تشبه هاء السكت لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقفا للحاجة اليها وقد تثبت وصلا

اجراء للوصل مجرى الوقف وقرئ بحذفها في الوصل والوقف معاً لانها لا اصل لها وقالوا
هي من زيادات الخط فكتبت كذلك ولا ينبغي النطق بها واما الشعر فهو يجوز فيه للضرورة ما
لا يجوز في غيره وقولهم اجريت الفواصل مجرى القوافي غير معتد به لان القوافي يلزم الوقف عليها
غالبا والفواصل لا يلزم ذلك فيها فلا تشبه بها وقرئ باثباتها وقفا وحذفها وصلا اجراء
للفواصل مجرى القوافي في ثبوت الف الاطلاق ولانها كهاء السكت وهي تثبت وقفا وتحذف
وصلا قاله السمين وهذه القراءة راجحة باعتبار اللغة العربية وهذه الالف هي التي تسميها
النحاة الف الاطلاق والكلام فيها معروف في علم النحو وهكذا اختلف القراء في الالف التي في قوله
الرسولا والسبيلا كما ياتي في اخر هذه السورة هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ظرف مكان يقال للمكان
البعيد هنالك كما يقال للقريب هنا وللمتوسط هناك اي في ذلك المكان الدحض وهو الخندق
وقد يكون ظرف زمان اي عند ذلك الوقت ابتلوا وهو منصوب بابتلي وقيل بتظنون واستضعفه
ابن عطية والمعنى ان في ذلك المكان او الزمان اختبر المؤمنون بالخوف والقتال والجوع والحصر
ونحوها ليتبين المؤمن من المنافق وامتحنوا بالصبر على الايمان وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا قرأ الجمهور
زلزلوا بضم الزاي الاولى وكسر الثانية على ما هو الاصل في المبني للمفعول وروي عن ابي عمرو انه قرأ بكسر الاولى
وروى الزمخشري عنه انه قرأ باشمامها كسرا وقرأ الجمهور زلزالا بكسر الزاي الاولى وقرأ عاصم والجحدري
وعيسى بن عمر بفتحها وهما لغتان قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعلال يجوز فيه الكسر
والفتح نحو قلقلته قلقالا وزلزلوا زلزالا والكسر اجود وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صلصال
بمعنى مصلصل وزلزال بمعنى مزلزل قال ابن سلام معنى زلزلوا حركوا بالخوف تحريكا شديدا بليغا
وقال الضحاك هو ازاحتهم عن اماكنهم حتى لم يكن لهم الا موضع الخندق وقيل المعنى انهم اضطربوا
اضطرابا مختلفا فمنهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ
يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن ابي واصحابه وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ هو الشك
والريبة اي اهل الشك في الاضطراب قيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون
يستميلونهم بادخال الشبهة عليهم مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ من النصر والظفر وفتح فارس
والروم إِلَّا غُرُورًا اي باطلا من القول وكان القائلون بهذه المقالة نحو سبعين رجلا

من اهل النفاق والشك وهذا القول المحكي عن هؤلاء كالتفسير للظنون المذكورة اي كان
ظن هؤلاء هذا الظن كما كان ظن المؤمنين النصر واعلاء كلمة الله ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾
قال مقاتل هم بنو سالم من المنافقين وقال السدي هم عبد الله بن ابي واصحابه وقيل هم اوس
بن قيظي واصحابه والطائفة تقع على الواحد فما فوقه والقول الذي قالته هذه الطائفة هو قوله
﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ اي لا موضع ولا امكان اقامة لكم ولا اقامة لكم ههنا في العسكر
قرئ مقام بفتح الميم وبضمها على انه مصدر من اقام يقيم وعلى الاولى هو اسم مكان وهما سبعيتان
قال ابو عبيدة يثرب اسم الارض ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم في ناحية منها قال السهيلي وسميت يثرب
لان الذي نزلها من العمالقة اسمه يثرب بن عميل وقيل يثرب اسم لنفس المدينة ولم تصرف للعلمية
ووزن الفعل فانها على وزن يضرب وفي اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد
واخرج احمد وابن ابي حاتم وابن مردويه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة
يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة ولفظ احمد انما هي طابة واسناده ضعيف وكان
صلى الله عليه وسلم كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ ﴿فَارْجِعُوا﴾ امروهم بالهرب
من عسكر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم
الى سلع والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون ليس ههنا موضع اقامة وامروا
الناس بالرجوع الى منازلهم بالمدينة وسلع جبل خارج المدينة قريب منها بينها وبين الخندق وقيل
المعنى ارجعوا عن الايمان الى الكفر وقيل عن القتال والاول اولى ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾
في الرجوع الى منازلهم وهم بنو حارثة وبنو سلمة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ اي ضائعة سائبة
ليست بحصينة ولا ممتنعة من العدو وقال ابن عباس مخلية نخشى عليها السرق وعن جابر نحوه
قال الزجاج يقال عور المكان يعور عورا وعورة وبيوت عورة وعورة وهي مصدر قال مجاهد ومقاتل
والحسن قالوا بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق وقال قتادة قالوا بيوتنا مما يلي العدو ولا نامن على
اهلنا قال الهروي كل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة والعورة في الاصل الخلل في البناء ونحوه
بحيث يمكن دخول السارق فيها فاطلقت على المختل والمراد ذوات عورة وقرئ عورة بكسر الواو

أي قصيرة الجدران قال الجوهري العورة كل حال يتخوف منه في ثغر أو حرب قال النحاس يقال أعور
المكان إذا تبينت فيه عورة وأعور الفارس إذا تبين منه موضع الخلل ثم رد الله سبحانه
عليهم بقوله وما هي بعورة فكذبهم الله سبحانه فيما ذكروه ثم بين سبب استئذانهم وما
يريدونه فقال إن يريدون إلا فرارا أي ما يريدون إلا الهرب من القتال وقيل المراد ما
يريدون إلا الفرار من الدين ولو دخلت عليهم من أقطارها يعني بيوتهم أو المدينة
والأقطار النواحي جمع قطر وهو الجانب والناحية والمعنى لو دخلت عليهم بيوتهم أو المدينة
من جوانبها جميعا لا من بعضها هذه العساكر المتحزبة ونزلت بهم هذه النازلة الشديدة و
استبيحت ديارهم وهتكت حرمهم ومنازلهم ثم سئلوا الفتنة من جهة أخرى عند نزول
هذه النازلة الشديدة بهم لآتوها أخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال جاء تأويل
هذه الآية على رأس ستين سنة يعني إدخال بني حارثة أهل الشام على المدينة ومعنى الفتنة
هنا إما القتال في العصبية كما قال الضحاك أو الشرك بالله أو الرجعة إلى الكفر الذي يبطنونه ويظهرون
خلافه كما قال الحسن وقرئ لأتوها بالمد أي لأعطوها من أنفسهم وبالقصر أي لجاؤوها وفعلوها
وهما سبعيتان وما تلبثوا بها أي بالمدينة بعد أن أتوا الفتنة إلا تلبثا يسيرا حتى يهلكوا كذا
قال الحسن والسدي والفراء والقتيبي وقال أكثر المفسرين إن المعنى وما احتبسوا عن فتنة الشرك
إلا قليلا بل هم مسرعون إليها راغبون فيها لا يقفون عنها إلا مجرد وقوع السؤال لهم ولا يتعللون
عن الإجابة بأن بيوتهم في هذه الحالة عورة مع أنها قد صارت عورة على الحقيقة كما تعللوا
عن إجابة الرسول والقتال معه بأنها عورة ولم تكن إذ ذاك عورة ثم حكى الله سبحانه عنهم ما قد
كان وقع منهم من قبل من المعاهدة لله ولرسوله بالثبات في الحرب وعدم الفرار عنه فقال ولقد
كانوا عاهدوا الله من قبل أي حلفوا من قبل غزوة الخندق ومن بعد بدر أن لا يولوا ظهورهم
فرارا من العدو بل يثبتوا على القتال حتى يموتوا شهداء وهم قوم لم يحضروا وقعة بدر قال
قتادة وذلك أنهم غابوا عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر فقالوا لئن أشهدنا الله
قتالا لنقاتلن لا يولون الأدبار أي لا ينهزمون وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ الغيبة ولو جاء على حكاية
المعنى لقيل لا نولي وكان عهد الله مسئولا عنه ومطلوبا صاحبه بالوفاء به ومجازى على ترك الوفاء به

قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل لأنه لابد لكل انسان من الموت إما حتف
نفسه أو بقتل بالسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى به القلم فمن حضر أجله مات
أو قتل فرّ أو لم يفر وإذا لا تمتعون أي وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع
إلا تمتعا أو زمانا قليلا بعد فراركم إلى أن تنقضي آجالكم وكل آت قريب وفي تمتعون بالفوقية والتحتية و
بحذف النون قل من ذا الذي يعصمكم أي يجيركم من الله إن أراد بكم سوءا أي هلاكا أو هزيمة
أو نقصا في الأموال وجدبا ومرضا أو يصيبكم بسوء إن أراد الله بكم رحمة يرحمكم بها من خصب
ونصر وعافية وإطالة عمر وهذا على حد قوله علفتها تبنا وماء باردا وليس معمولا للسابق وهو
يعصمكم لعدم صحة المعنى عليه وفي السمين قال الزمخشري فإن قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء
في العصمة ولا عصمة إلا من الشر قلت معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام
وأجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع قال
الشيخ أما الوجه الأول ففيه حذف جملة لا ضرورة تدعو إلى حذفها والثاني هو الوجه لا سيما
إذا قدر مضاف محذوف أي يمنعكم من مراد الله قلت فما بين الثاني من الأول ولو كان معه
حذف جمل انتهى ولا يجدون لهم من دون الله أي غيره وليا يواليهم وينفعهم ويدفع
الضر عنهم ولا نصيرا ينصرهم من عذاب الله قد يعلم الله المعوقين منكم يقال عاقه
واعتاقه وعوقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده والقائلين لإخوانهم هلم إلينا قال
الواحدي قال المفسرون هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
أنهم قالوا لهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتقمهم أبو سفيان وحزبه فخلوهم
وتعالوا إلينا وقيل إن القائل لهذه المقالة اليهود ومعنى هلم أقبل واحضر اسم فعل أمر وأهل
الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة والمذكر والمؤنث وعند غيرهم من العرب كبني تميم فعل
أمر يقولون هلم للواحد المذكر وهلمي للمؤنث وهلما للاثنين وهلموا للجماعة وقد مر الكلام
على هذا في سورة الأنعام والمعنى ارجعوا إلينا واتركوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف
عليكم الهلاك وقيل تعالوا إلينا لنستريح يعني أن يهود المدينة طلبوا المنافقين ليستريحوا وخوفوا
المؤمنين ليرجعوا وهلم هنا لازم وفي الأنعام متعد لنصبه مفعوله وهو شهداءكم بمعنى احضروهم

وههنا بمعنى احضروا وتعالوا وكلام الزمخشري هنا مؤذن بانه متعد ايضا وحذف مفعوله
فانه قال هلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا ولا يأتون البأس اي الحرب والقتال الا اتيانا
قليلا خوفا من الموت يخرجون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون وقيل المعنى لا يحضرون
القتال الا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا أشحة عليكم اي بخلاء
عليكم لا يعاونونكم بحفر الخندق ولا بالنفقة في سبيل الله قاله مجاهد وقتادة وقيل اشحة
بالقتال معكم وقيل بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم وقيل اشحة بالغنائم اذا اصابوها قاله السدي
العامة على نصب اشحة وفيه وجهان احدهما انه منصوب على الذم والثاني على الحال من ضمير
يأتون قاله الزجاج او هلم الينا قاله الطبري وقرئ بالرفع اي هم اشحة وهو جمع شحيح وهو جمع لا ينقاس
عليه اذ قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه من واد واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل
واخلاء وظنين واظناء وضنين واضناء وقد سمع اشحاء وهو القياس والشح البخل وتقدم في
آل عمران قاله السمين فاذا جاء الخوف من قبل العدو قاله السدي او منه صلى الله عليه وسلم قاله ابن
شجرة رأيتهم اي ابصرتهم ينظرون اليك في تلك الحالة خوفا من القتال على القول الاول ومن
النبي صلى الله عليه وسلم على الثاني تدور اعينهم يمينا وشمالا لذهول عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهة
وقيل لشدة خوفهم حذرا ان يأتيهم القتل من كل جهة وذلك سبيل الجبان اذا شاهد ما
يخافه كالذي يغشى عليه من الموت اي كدوران عين الذي قرب من الموت وهو الذي نزل به
الموت وغشيته اسبابه فيذهل لبه ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء
تشخص ابصارهم لما يلحقهم من الخوف ويقال للميت اذا شخص بصره دارت عيناه ودارت حماليق
عينيه فاذا ذهب الخوف سلقوكم اي استقبلوكم بالسنة حداد اي ذربة تفعل كفعل الحديد
يقال سلق فلان فلانا بلسانه اذا اغلظ له في القول مجاهرا قال الفراء اي آذوكم بالكلام في الامر
بالسنة سليطة ذربة ويقال خطيب مسلاق ومصلاق اذا كان بليغا قال القتيبي المعنى آذوكم بالكلام
الشديد والسلق الاذى قال ابن عباس معناه عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة قال قتادة
بسطوا السنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا قد شهدنا معكم فعند الغنيمة
اشح قوم وابسطهم لسانا ووقت البأس اجبن قوم واخوفهم قال النحاس هذا قول حسن اشحة على الخير

اي على الغنيمة يشاحون المسلمين عند القسمة قاله يحيى بن سلام وقيل على المال ان ينفقوه
في سبيل الله قاله السدي ويمكن ان يقال معناه انهم قليلوا الخير من غير تقييد بنوع من
انواعه اُولٰٓئِكَ الموصوفون بتلك الصفات لَمْ يُؤْمِنُوْا ايمانا خالصا بل هم المنافقون يظهرون
الايمان ويبطنون الكفر فَاَحْبَطَ اللّٰهُ اَعْمَالَهُمْ اي ابطلها بمعنى اظهر بطلانها لانها لم تكن
اعمالا صحيحة تقتضي الثواب حتى يبطلها الله وتحبط قال مقاتل ابطل جهادهم لانه لم يكن في ايمان
او المراد ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا وَكَانَ ذٰلِكَ الاحباط
لاعمالهم او كان نفاقهم عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا هينا بارادته يَحْسَبُوْنَ الْاَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوْا
اي يحسب هؤلاء المنافقون لجبنهم ان الاحزاب اي قريشا وغطفان واليهود باقون في
معسكرهم لم يذهبوا الى ديارهم ولم ينهزموا وقد انصرفوا عنهم وفروا الى داخل المدينة وذلك
لما نزل بهم من الفشل والروع والفرق والجبن وَاِنْ يَّاْتِ الْاَحْزَابُ مرة اخرى بعد هذه
المرة والذهاب يَوَدُّوْا لَوْ اَنَّهُمْ بَادُوْنَ فِي الْاَعْرَابِ اي يتمنون لو انهم كانوا في بادية لما حل
بهم من الرهبة والبادي خلاف الحاضر يقال بدا يبدو وبداوة اذا خرج الى البادية وسكنها
يَسْاَلُوْنَ عَنْ اَنْۢبَآئِكُمْ واخباركم ومآل اليه امركم وما جرى لكم كل قادم عليهم من جهتكم
او يسأل بعضهم بعضا عن الاخبار التي بلغته من اخبار الاحزاب ورسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى انهم يتمنون انهم بعيد عنكم يسألون عن اخباركم من غير مشاهدة للقتال لفرط جبنهم
وضعف نياتهم وَلَوْ كَانُوْا فِيْكُمْ اي معكم في هذه الغزوة مشاهدين للقتال مَّا قٰتَلُوْٓا معكم
اِلَّا قَلِيْلًا خوفا من العار وحمية على الديار او رياء من غير احتساب لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ
اللّٰهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ اي قدوة صالحة يقال لي في فلان اسوة اي لي به اقتداء والاسوة من الائتساء
كالقدوة من الاقتداء اسم يوضع موضع المصدر يقال ائتسى فلان بفلان اي اقتدى به قال
الجوهري الاُسوة والاِسوة بالضم والكسر والجمع اُسى واِسى وقد قرئ بهما وهما سبعيتان وهما ايضا
لغتان كما قال الفراء وغيره وفي هذه الاية عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي لقد كان لكم في رسول الله حيث بذل نفسه للقتال وخرج الى الخندق لنصرة دين الله اسوة
والمعنى اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه

ع ٢ ١٢

وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ كسرت رباعيته وجرح وشج وجهه وجاع بطنه وقتل
عمه حمزة واوذي بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا
واستنوا بسنته وهذه الآية وان كان سببها خاصا فهي عامة في كل شيء ومثلها وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
عن ابن عمر قال في الآية هذا في جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استدل بهذه الآية جماعة
من الصحابة في مسائل كثيرة اشتملت عليها كتب السنة وهي خارجة عما نحن بصدده نعم فيه
دلالة على لزوم الاتباع وترك التقليد الحادث الذي اصيب به الاسلام اي مصيبة وهل
هذه الاسوة على الايجاب او على الاستحباب فيه قولان قال القرطبي يحتمل ان تحمل على الايجاب في امور الدين وعلى
الاستحباب في امور الدنيا لمن كان يرجو الله اي حسنة كائنة لمن يرجو الله والمراد انهم الذين
يرجون الله ويخافون عذابه يعني يرجون ثوابه ولقاءه واليوم الآخر اي انهم يرجون رحمة الله فيه او
يصدقون بحصوله وانه كائن لا محالة وهذه الجملة تخصيص بعد التعميم بالجملة الاولى وذكر
الله اي لمن ذكر الله في جميع احواله ذكرا كثيرا وجمع بين الرجاء لله والذكر له فان بذلك تتحقق
الاسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بين سبحانه ما وقع من المؤمنين المخلصين عند
رؤيتهم للاحزاب ومشاهدتهم لتلك الجيوش التي احاطت بهم كالبحر العباب فقال ولما
رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الاشارة بهذا الى ما رأوه من الجيوش
او الى الخطب الذي نزل والبلاء الذي دهم وهذا القول منهم قالوه استبشارا بحصول ما وعدهم الله
ورسوله من مجيء هذه الجنود وان يتعقب مجيئهم اليهم نزول النصر والظفر من عند الله وما في
ما وعدنا هي الموصولة او المصدرية ثم اردفوا ما قالوه بقولهم وصدق الله ورسوله اي ظهر
صدق خبرهما ووجه اظهار الاسم الشريف والرسول بعد قوله ما وعدنا الله ورسوله هو قصد
التعظيم وايضا لو اضمرهما لجمع بين ضميري الله ورسوله في لفظ واحد وقال صدقا وقد ورد
النهي عن جمعهما كما في حديث بئس خطيب القوم انت لمن قال ومن يعصهما فقد غوى واما قوله صلعم
من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما فالجواب انه صلعم اعرف بقدر الله منا فليس لنا ان نقول
كما يقول قال السمين وما زادهم ما رأوه من اجتماع الاحزاب عليهم ومجيئهم الا ايمانا بالله وتسليما

لامره قال الفراء ما زادهم النظر الى الاحزاب الا ذلك قال علي بن سليمان رأى يدل على الرؤية
وتأنيث الرؤية غير حقيقي والمعنى ما زادهم الرؤية الا ايمانا بالرب وتسليما للقضاء ولو قال ما زادوهم
لجاز وعن ابن عباس قال في الآية ان الله قال لهم في سورة البقرة ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء فلما مسهم البلاء حيث رابطوا
الاحزاب في الخندق قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله فتأول المؤمنون ذلك فلم يزدهم الا ايمانا
وتسليما من المؤمنين المخلصين رجال صدقوا اي اتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق
ما عاهدوا الله عليه اي وفوا بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة من الثبات معه
والمقاتلة لمن قاتله بخلاف من كذب في عهده وخان الله ورسوله وهم المنافقون وقيل هم الذين
نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا له ولم يفروا اخرج البخاري وغيره عن
انس قال نرى هذه الآية نزلت في انس بن النضر واخرج ابن سعد واحمد ومسلم والترمذي
والنسائي والبغوي في معجمه وابن جرير وابن ابي حاتم وابو نعيم والبيهقي عن انس قال غاب عمي
انس بن النضر عن بدر فشق عليه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن اراني
الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع فشهد يوم احد فاستقبله سعد
بن معاذ قال يا ابا عمرو اين قال واها لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في
جسده بضع وثمانون من بين طعنة وضربة ورمية ونزلت هذه الآية وكانوا يرون انها نزلت فيه
وفي اصحابه وقد روي عنه نحو هذا من طريق اخرى عند الترمذي وصححه والنسائي وغيرهما واخرج الحاكم
وصححه والبيهقي في الدلائل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد مر على
مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ثم قال اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله فأتوهم وزوروهم والذي نفسي بيده لا يسلم
عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقد تعقب الحاكم تصحيحه الذهبي كما ذكر ذلك السيوطي
ولكنه قد اخرج الحاكم حديثا آخر وصححه واخرجه ايضا البيهقي في الدلائل عن ابي ذر قال لما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد مر على مصعب بن عمير مقتولا على طريقه فقرأ من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الآية واخرج ابن مردويه من حديث خباب مثله وهما يشهدان لحديث ابي هريرة

ثم فصل سبحانه حال الصادقين بما وعدوا الله ورسوله وقسمهم الى قسمين فقال فمنهم
من قضى نحبه اي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقال ابن
عمر انه مات على ماهو عليه من التصديق والايمان والنحب ما التزمه الانسان واعتقد الوفاء
به واوجبه على نفسه والقتل والموت قال ابن قتيبة قضى نحبه اي قتل واصل النحب النذر
كانوا يوم بدر نذروا ان لقوا العدو ان يقاتلوا حتى يقتلوا او يفتح الله لهم فقتلوا فقيل فلان
قضى نحبه اي قتل والنحب ايضا الحاجة وادراك الامنية يقول قائلهم مالي عندهم نحب والنحب
العهد ومعنى الآية ان من المؤمنين رجالا ادركوا امنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم
فقاتلوا حتى قتلوا وذلك يوم احد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر اخرج الترمذي وحسنه
وابو يعلى وابن جرير وابن مردويه عن طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل
سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترون على مسئلته يوقرونه ويهابونه فساله الاعرابي فاعرض
عنه ثم ساله فاعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد فقال اين السائل عمن قضى نحبه
قال الاعرابي انا قال هذا ممن قضى نحبه واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه
من حديثه نحوه واخرج الترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه عن معاوية قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره
ان ينظر الى رجل يمشي على الارض قد قضى نحبه فلينظر الى طلحة اخرجه سعيد بن منصور وابو يعلى
وابو نعيم وابن المنذر وغيرهم واخرج ابن مردويه من حديث جابر مثله واخرج ابن منده
وابن عساكر من حديث اسماء بنت ابي بكر نحوه واخرج ابو الشيخ وابن عساكر عن علي ان هذه
الآية نزلت في طلحة واخرج احمد والبخاري وابن مردويه عن سليمان بن صرد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزونا ومنهم من ينتظر قضاء نحبه حتى يحضر اجله
كعثمان بن عفان وطلحة والزبير وامثالهم فانهم مستمرون على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من
الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقتال لعدوه ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول امنيتهم
بالقتل وادراك فضل الشهادة وما بدلوا تبديلا اي ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله
ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم بل ثبتوا عليه ثبوتا مستمرا اما الذين قضوا نحبهم فظاهر

وأما الذين ينتظرون قضاء نحبهم فقد استمروا على ذلك حتى فارقوا الدنيا ولم يغيروا ولا بدلوا
ليجزي الله اللام يجوز ان يتعلق بصدقوا او بزادهم او بما بدلوا او بمحذوف كانه قيل وقع
جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي بوفائهم بالعهد ويعذب المنافقين
ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم بما صدر عنهم من التغيير والتبديل بل ان تابوا جعل
المنافقين كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بسبب تبديلهم وتغييرهم كما قصد
الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم فكل من الفريقين مسوق الى عاقبة من الثواب والعقاب
فكانما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ومفعول ان شاء وجوابها محذوفان اي ان شاء
تعذيبهم عذبهم وذلك اذا اقاموا على النفاق ولم يتركوه ولم يتوبوا عنه ان الله كان
غفورا لمن تاب منهم بقبول التوبة رحيما بمن اقلع عما كان عليه من النفاق بعفو الحوبة ثم
رجع سبحانه الى حكاية بقية القصة وما امتن به على رسوله والمؤمنين من النعمة فقال
ورد الله الذين كفروا وهم الاحزاب كانه قيل وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الذين
كفروا بغيظهم الباء للسببية لم ينالوا خيرا المعنى ان الله ردهم بغيظهم لم يشف صدورهم
ولا نالوا خيرا في اعتقادهم وهو الظفر بالمسلمين او لم ينالوا خيرا اي خير بل رجعوا خاسرين لم
يربحوا الا عناء السفر وغرم النفقة وكفى الله المؤمنين القتال بما ارسله من الريح والجنود
من الملائكة وكان الله قويا على كل ما يريده اذا قال له كن فيكون عزيزا قاهرا غالبا
لا يغالبه احد من خلقه ولا يعارضه معارض في سلطانه وجبروته روى البخاري عن سليمان
بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اجلى الاحزاب يقول الآن نغزوهم ولا يغزونا
نحن نسير اليهم وانزل الذين ظاهروهم اي عاضدوهم وجاءوهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اهل الكتاب وهم بنو قريظة فانهم عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان ونقضوا
العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاروا يدا واحدة مع الاحزاب
وكانت في اخر ذي القعدة سنة خمس وقيل سنة اربع من صياصيهم جمع صيصية
وهي الحصون وكل شيء يتحصن به فهو صيصية ومنه صيصية الديك وهي الشوكة
التي في رجله وصياصي البقر والظباء قرونها لانها تمتنع بها ويقال لشوكة الحائك التي يسوي بها

السداة واللحمة صيصية واخرج احمد وابن مردويه وابن ابي شيبة عن عائشة خرجت يوم
الخندق اقفو الناس فاذا انا بسعد بن معاذ رماه رجل من قريش يقال له ابن العرقة
بسهم فاصاب الحله فقطعه فدعى الله سعد فقال اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة
فبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال ولحق ابو سفيان ومن معه بتهامة
ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم ورجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامر بقبة من ادم فضربت على سعد في المسجد قالت فجاء جبريل وان على
ثناياه لوقع الغبار فقال اوقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج
الى بني قريظة فقاتلهم فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته واذن في الناس بالرحيل ان يخرجوا
فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء عليهم قيل لهم انزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سعد بن معاذ فاتي به على حمار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم قال فاني احكم فيهم ان
تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم اموالهم فقال لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ اي الخوف الشديد حتى سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساءهم
السبي وهي معنى قوله فَرِيقًا تَقْتُلُونَ منهم وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا قرئ الفعلان بالتحتية وبالفوقية
فيهما على الخطاب وبالفوقية في الاول وبالتحتية في الثاني فالفريق الاول هو الرجال والفريق الثاني
هم النساء والذرية والجملة مبينة ومقررة لقذف الرعب في قلوبهم ووجه تقديم المفعول
في الاول وتاخيره في الثاني ان الرجال لما كانوا اهل الشوكة وكان الوارد عليهم اشد الامرين
وهو القتل كان الاهتمام بتقديم ذكرهم انسب بالمقام وقد اختلف في عدد المقتولين والماسورين
فقيل كان المقتولون من ستمائة الى سبعمائة وقيل ستمائة وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة
وقيل تسعمائة وكان الماسورون سبعمائة وقيل سبعمائة وخمسين وقيل تسعمائة وَأَوْرَثَكُمْ
أَرْضَهُمْ اي عقارهم ونخيلهم وَدِيَارَهُمْ اي منازلهم وحصونهم وَأَمْوَالَهُمْ اي الحلي والاثاث
والمواشي والسلاح والدراهم والدنانير والنقود والامتعة وَاورثكم أَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا بعد
لقصد القتال واختلف المفسرون في تعيين هذه الارض المذكورة فقال يزيد بن رومان

وابن زيد ومقاتل انها خيبر ولم يكونوا اخذ ذلك قد نالوها فوعدهم الله بها قال سليمان الجمل
واخذت بعد قريظة بسنتين او ثلاث لان خيبر كانت في السابعة في المحرم وهي مدينة
كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة اربع مراحل
انتهى ملخصا وتمام هذه القصة في سيرة الحلبي وقال قتادة كنا نحدث انها مكة وقال الحسن فارس والروم
وقال عكرمة هي كل ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة والمضي لتحقق وقوعه وكان الله على
كل شيء قديرا اي هو سبحانه قدير على كل ما اراده من خير وشر ونعمة ونقمة وعلى انجاز ما وعد
من الفتح للمسلمين يا ايها النبي قل لازواجك قيل هذه الآية متصلة بمعنى ما تقدمها
من المنع من ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد تأذى ببعض الزوجات قال الواحدي قال المفسرون ان ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم سألنه شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه الزيادة في النفقة وآذينه بغيرة
بعضهن على بعض فآلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهن شهرا وانزل الله آية التخيير هذه وكن يومئذ
تسعا عايشة وحفصة وام سلمة وام حبيبة وسودة وهؤلاء من نساء قريش وصفية
الخيبرية وميمونة الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية
واختلف في عدة ازواجه صلى الله عليه وسلم وترتيبهن وعدة من مات منهن قبله ومن مات عنهن
ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه والمتفق
على دخوله بهن احدى عشرة امرأة كذا في المواهب وقد بسط الكلام عليهن في المقصد الثاني
منه جدا فارجع اليه ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها اي سعتها ونضارتها
ورفاهيتها وكثرة الاموال والتنعم فيها فتعالين اي اقبلن الي بارادتكن واختياركن لاحد
الامرين امتعكن اي اعطيكن المتعة واسرحكن اي اطلقكن قرأ الجمهور في الفعلين بالجزم
جوابا للامر وقيل ان جزمهما على انهما جواب الشرط وعلى هذا يكون قوله فتعالين اعتراضا
بين الشرط والجزاء وقرئ بالرفع فيهما على الاستئناف سراحا جميلا المراد به هو الواقع من غير
ضرار على مقتضى السنة وان كنتن تردن الله ورسوله اي تردن رسوله وذكر الله للايذان
بجلالة محمد صلعم عنده تعالى والدار الآخرة اي الجنة ونعيمها فان الله اعد للمحسنات منكن اي اللاتي
عملن عملا صالحا اجرا عظيما لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره وذلك بسبب احسانهن وبمقابلة صالح عملهن

وقد اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وسلم ازواجه على قولين الاول انه خيرهن
باذن الله في البقاء على الزوجية او الطلاق فاخترن البقاء وبهذا قالت عائشة ومجاهد
وعكرمة والشعبي والزهري وربيعة والثاني انه انما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن وبين
الاخرة فيمسكهن ولم يخيرهن في الطلاق وبهذا قال علي والحسن وقتادة والراجح الاول
واختلفوا ايضا في المخيرة اذا اختارت زوجها هل يحسب مجرد ذلك التخيير على الزوج طلقة
ام لا فذهب الجمهور من السلف والخلف الى انه لا يكون التخيير مع اختيار المرأة لزوجها طلاقا
لا واحدة ولا اكثر وقال علي وزيد بن ثابت ان اختارت زوجها فواحدة بائنة وبه قال
الحسن والليث وحكاه الخطابي والنقاش عن مالك والراجح الاول لحديث عائشة الثابت
في الصحيحين قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعده طلاقا ولا وجه لجعل مجرد
التخيير طلاقا ودعوى انه كناية من كنايات الطلاق مدفوعة بان المخير لم يرد الفرقة بمجرد
التخيير بل اراد تفويض المرأة وجعل امرها بيدها فان اختارت البقاء بقيت على ما كانت
عليه من الزوجية وان اختارت الفرقة صارت مطلقة واختلفوا في اختيارها لنفسها
هل يكون ذلك طلقة رجعية او بائنة فقال بالاول عمر وابن مسعود وابن عباس وابن
ابي ليلى والثوري والشافعي وقال بالثاني علي وابو حنيفة واصحابه وروي عن مالك والراجح
الاول لانه يبعد كل البعد ان يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه على خلاف ما امره الله به وقد
امره بقوله اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروي عن زيد بن ثابت انها اذا اختارت
نفسها فثلاث طلقات وليس لهذا القول وجه وقد روي عن علي انها اذا اختارت نفسها فليس
بشيء واذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وقد اخرج احمد ومسلم والنسائي وابن مردويه عن جابر
قال اقبل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ببابه جلوس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس
فلم يؤذن له ثم اقبل عمر فاستاذن فلم يؤذن له ثم اذن لابي بكر وعمر فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم
جالس وحوله نساؤه وهو ساكت فقال عمر لاكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال عمر يا رسول
الله لو رايت ابنة زيد امرأة عمر سالتني النفقة آنفا فوجأت في عنقها فضحك رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال هن حولي يسألنني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة ليضربها

ثم قام إلى حفصة كلاهما يقول لا تسألان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلنا والله لا نسأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلن نساؤه والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده
وأنزل الله الخيار فبدأ بعائشة فقال إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري
أبويك قالت ما هو فتلا عليها يا أيها النبي قل لأزواجك الآية قالت عائشة أفيك أستأمر أبوي
بل أختار الله ورسوله وأسألك أن لا تذكر لنسائك ما اخترت فقال إن الله لم يبعثني متعنتاً
ولكن بعثني معلماً ميسراً لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها وأخرج البخاري ومسلم
وغيرهما عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه قالت
فبدأ بي فقال إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك وقد علم أن أبوي
لم يكونا يأمراني بفراقه فقال إن الله قال يا أيها النبي قل لأزواجك إلى تمام الآيتين فقلت ففي
أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
مثل ما فعلت ثم لما اختار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه أنزل فيهن هذه الآيات تكرمة لهن وتعظيماً
لحقهن فقال يا نساء النبي من يأت منكن من بيانية لأنهن كلهن محصنات بفاحشة
أي معصية مبينة أي ظاهرة القبح واضحة الفحش وقد عصمهن الله عن ذلك وبرأهن وطهرهن
فهو كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وقيل المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق وقال
قوم الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط وإذا وردت منكرة فهي سائر المعاصي وإذا
وردت منعوتة فهي عقوق الزوج وفساد عشرته وقالت فرقة قوله هذا يعم جميع المعاصي
وكذلك الفاحشة كيف وردت يضاعف لها العذاب ضعفين أي يعذبهن الله مثلي
عذاب غيرهن من النساء إذا أتين بمثل تلك الفاحشة وذلك لشرفهن وعلو درجتهن و
ارتفاع منزلتهن ولأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من
النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل
لأن المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الأحرار على العبيد وقد ثبت في هذه الشريعة في
غير موضع أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات
وقرئ يضعف على البناء للمفعول وفرق أبو عمرو وأبو عبيد بين يضاعف ويضعف فقالا يكون

يضاعف ثلاثة عذابات ويضعف عذابين قال النحاس هذه التفرقة التي جاء بها الاثرها
احد من اهل اللغة والمعنى في يضاعف ويضعف واحد اي يجعل ضعفين وهكذا ضعف
ما قاله ابن جرير قال قوم لو قدر الله الزنا من واحدة وقد اعاذهن الله عن ذلك لكانت تحد
حدين لعظم قدرها كما يزاد حد الحرة على الامة والعذاب بمعنى الحد قال تعالى وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين او المرتين وقال مقاتل هذا التضعيف
في العذاب انما هو في الآخرة كما ان ايتاء الاجر مرتين في الآخرة وهذا حسن لان نساء النبي صلى
لم ياتين بفاحشة توجب حدا وقد قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وانما خانتا في الايمان والطاعة
وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعدن به ضعفين هو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وكذلك
الاجر قال ابن عطية وهذا ضعيف اللهم الا ان تكون ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لا ترفع عنهن حدود
الدنيا عذاب الآخرة على ما هو حال الناس عليه بحكم حديث عبادة بن الصامت وهذا امر
لم يرد في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا حفظ تقرره وَكَانَ ذَٰلِكَ اي تضعيف العذاب عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا هينا لا يتعاظمه ولا يصعب عليه فليس كونكن تحت النبي صلى الله عليه وسلم وكونكن جليلات
شريفات مما يدفع العذاب عنكن وليس امر الله كامر الخلق حتى يتعذر عليه تعذيب الاعزة
بسبب كثرة اوليائهن واعوانهن او شفعائهن واخوانهن

وَمَن يَقْنُتْ

قرئ بالتحتية وكذا ايات منكن حملا على لفظ من في الموضعين وقرئ بالفوقية حملا على
المعنى والقنوت الطاعة اي من يطع مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ
يعني انه يكون لهن من الاجر على الطاعة مثلا ما يستحقه غيرهن من النساء اذا فعلن تلك
الطاعة وفي هذا دليل قوي على ان معنى يضاعف لها العذاب ضعفين انه يكون العذاب مرتين
لا ثلاثا لان المراد اظهار شرفهن ومرتبتهن في الطاعة والمعصية بكون حسنتهن كحسنتين
وسيئتهن كسيئتين ولو كانت كثلاث سيئات لم يناسب ذلك كون حسنتهن كحسنتين
فان الله اعدل من ان يضاعف العقوبة عليهن مضاعفة تزيد على مضاعفة

الحسنة بعشر من حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن اشرف
نساء العالمين وأعتدنا لها زيادة على الاجر مرتين رزقا كريما جليل القدر قال المفسرون
هو نعيم الجنة حكى ذلك عنهم النحاس ثم اظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النساء تصريحا فقال
يا نساء النبي لستن كأحد من النساء قال الزجاج لم يقل كواحدة من النساء لان احد
نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة وقد يقال على ما ليس بآدمي كما يقال ليس فيها احد
لا شاة ولا بعير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف وقال
ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم
علي وثوابكن اعظم لدي ثم قيد هذا الشرف العظيم بقيد فقال ان اتقيتن الله فاطعنه
فان الاكرم عند الله هو الاتقى فبين سبحانه ان هذه الفضيلة لهن انما تكون بملازمتهن
للتقوى لا لمجرد اتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد وقعت منهن ولله الحمد التقوى البينة
والايمان الخالص والمشي على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته وجواب الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان اتقيتن فلستن كاحد من النساء وقيل ان جوابه قوله
فلا تخضعن بالقول والاول اولى والمعنى لا تلن القول عند مخاطبة الناس كما تفعله المريبات
من النساء ولا ترقق الكلام قال ابن عباس يقول لا ترخصن بالقول ولا تخضعن بالكلام وعنه
قال مقارنة الرجال بالقول فانه يتسبب عن ذلك مفسدة عظيمة وهي قوله فيطمع الذي
في قلبه مرض اي فجور وشهوة اوشك وريبة او نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر
به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع
الاطماع فيهن وقلن قولا معروفا عند الناس اي حسنا مع كونه خشنا بعيدا من
الريبة على سنن الشرع لا ينكر منه سامعه شيئا ولا يطمع فيهن اهل الفسق والفجور
بسببه او قولا يوجبه الاسلام والدين عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول
المعروف ذكر الله تعالى والاول اولى وقرن في بيوتكن قرأ الجمهور بكسر القاف من وقر يقر
وقارا اي سكن والامر منه قر بكسر القاف وللنساء قرن مثل عدن وزن وقال المبرد هو من
القرار لا من الوقار تقول قررت بالمكان بفتح الراء والاصل اقررن بكسر الراء فحذفت الراء الاولى تخفيفا

كما قالوا في ظللت ظلت ونقلوا حركتها الى القاف واستغني عن الف الاصل بتحريك القاف
وقال ابو علي الفارسي ابدلت الراء الاولى ياء كراهة التضعيف كما ابدلت في قيراط ودينار وصار
للياء حركة الحرف الذي ابدلت منه والتقدير اقيرن ثم تلقى حركة الياء على القاف كراهة
تحريك الياء بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسقط همزة الوصل لتحريك ما بعدها
فيصير قرن وقرئ بفتح القاف واصله قررت بالمكان اذا اقمت فيه بكسر الراء اقر بفتح القاف كحمد
يحمد وهي لغة اهل الحجاز ذكر ذلك ابو عبيد عن الكسائي وذكرها الزجاج وغيره قال الفراء هو
كما تقول هل حست صاحبك اي هل احسسته قال ابو عبيد كان اشياخنا من اهل
العربية ينكرون القراءة بفتح القاف وذلك لان قررت بالمكان اقر لا يجوزه كثير من اهل العربية والصحيح
قررت اقر بالكسر ومعنى الآية الامر لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وان لا يخرجن وهذا يخالف
ما ذكرناه هنا عنه عن الكسائي وهو من اجل مشائخه وقد وافقه على الانكار لهذه القراءة
ابو حاتم فقال ان قرن بفتح القاف لا مذهب له في كلام العرب قال النحاس قد خولف ابو حاتم
في قوله انه لا مذهب له في كلام العرب بل فيه مذهبان احدهما حكاه الكسائي والآخر عن علي
بن سليمان فاما المذهب الذي حكاه الكسائي فهو ما قدمناه من رواية ابي عبيد عنه واما
المذهب الذي حكاه علي بن سليمان فقال انه من قررت به عينا اقر وقيل المعنى واقررن به
عينا في بيوتكن قال النحاس وهو وجه حسن واقول ليس بحسن ولا هو معنى الآية فان المراد بها
امرهن بالسكون والاستقرار في بيوتهن وليس من قرة العين اي الزمن بيوتكن عن محمد بن سيرين
قال نبئت انه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما لك لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل اخواتك فقالت
قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي فوالله لا اخرج من بيتي حتى اموت قال فوالله ما
خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت بجنازتها ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى التبرج ان
تبدي المراة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجل وقد
تقدم معنى التبرج في سورة النور قال المبرد هو ماخوذ من السعة يقال في اسنانه برج اذا
كانت متفرقة والمعنى اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال وقيل التبرج هو التغنج والتبختر والتكسر
في المشي وهذا ضعيف جدا والاول اولى وقد اختلف في المراد بالجاهلية الاولى فقيل ما بين

آدم ونوح او زمن داود وسليمان وقيل ما بين نوح وادريس قاله ابن عباس وكانت
الف سنة وقيل ما بين نوح وابراهيم وقيل ما بين موسى وعيسى او ما بين عيسى ومحمد قاله
ابن عباس وقيل ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان
او الاولى جاهلية الكفر والاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام وقد بين حكمها في
قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الخ وقيل تذكر الاولى وان لم تكن لها اخرى وقال المبرد الجاهلية
الاولى كما تقول الجاهلية الجهلاء قال وكان نساء الجاهلية يظهرن ما يقبح اظهاره حتى كانت
المرأة تجلس مع زوجها وخليلها فينفرد خليلها بما فوق الازار الى اعلى وينفرد زوجها بما
دون الازار الى اسفل وربما سأل احدهما صاحبه البدل قال ابن عطية والذي يظهر لي
انه اشار الى الجاهلية التي لحقنها وادركنها فامرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل
الشرع من سيرة الكفرة لانهم كانوا لا غيرة عندهم فكان امر النساء دون حجبة وجعلها
اولى بالنسبة الى ما كن عليه وليس المعنى ان ثم جاهلية اخرى كذا قال وهو قول حسن ويمكن
ان يراد بالجاهلية الاخرى ما يقع في الاسلام من التشبه باهل الجاهلية بقول او فعل فيكون
المعنى ولا تبرجن ايها المسلمات بعد اسلامكن تبرجا مثل تبرج اهل الجاهلية التي كنتن عليها
وكان عليها من قبلكن اي لا تحدثن بافعالكن واقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التي
كانت من قبل وعن عايشة قالت الجاهلية الاولى كانت على عهد ابراهيم كانت المرأة تلبس الدرع
من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وكانت عايشة اذا قرأت هذه الآية
تبكي حتى يبتل خمارها ذكره مسروق ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ﴾ الواجبة ﴿وَآتِينَ الزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَطِعْنَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما امر وفيما نهى وخص الصلوة والزكوة لانهما اصل الطاعات البدنية والمالية
ثم عمم فامرهن بالطاعة لله ولرسوله في كل ما هو شرع لان من واظب عليهما جرتاه الى ما وراءهما
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ اي انما اوصاكن الله بما اوصاكن من التقوى وان لا تخضعن بالقول ومن قول المعروف
والسكون في البيوت وعدم التبرج واقامة الصلوة وايتاء الزكوة والطاعة ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ
الرِّجْسَ﴾ والمراد بالرجس الاثم والذنب المدنسان للاعراض الحاصلان بسبب ترك ما امر الله به و
فعل ما نهى عنه فيدخل في ذلك كل ما ليس فيه رضى الله وقيل الرجس الشك وقيل السوء

وقيل على الشيطان والعموم اولى أَهْلَ الْبَيْتِ نصبه على النداء او المدح وَيُطَهِّرَكُمْ من الارجاس
والادناس تَطْهِيرًا كاملا وفي استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفير عنها
بليغ وزجر لفاعلها شديد وقد اختلف اهل العلم في اهل البيت المذكورين في الاية فقال
ابن عباس وعكرمة وعطاء والكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير ان اهل البيت المذكورين في
الاية هن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خاصة قالوا والمراد بالبيت بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومساكن زوجاته
لقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن وايضا السياق في الزوجات من قوله يا ايها النبي قل لازواجك
الى قوله لطيفا خبيرا وقال ابو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وروي عن الكلبي ان اهل البيت
المذكورين في الاية هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ومن حججهم الخطاب في الاية بما
يصلح للذكور لا للاناث وهو قوله عنكم وليطهركم ولو كان للنساء خاصة لقال عنكن وليطهركن
واجاب الاولون عن هذا بان التذكير باعتبار لفظ الاهل كما قال سبحانه اتعجبين من امر الله
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت وكما يقول الرجل لصاحبه كيف اهلك يريد زوجته
او زوجاته فيقول هم بخير ولنذكر هنا ما تمسك به كل فريق اما الاولون فتمسكوا بالسياق
فانه في الزوجات كما ذكرنا وبما اخرجه ابن ابي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس
في الاية قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت في
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وروي هذا عنه بطرق واما ما تمسك به الاخرون فاخرج الترمذي وصححه
ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن ام سلمة قالت
في بيتي نزلت انما يريد الله الاية وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ام سلمة ايضا ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان في بيتها على منامة له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك وابنيك حسنا وحسينا فدعتهم فبينما هم يأكلون
اذ نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بفضلة كسائه فغشاهم اياها ثم اخرج يده من الكساء والوى بها الى السماء

ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالها ثلاث
مرات قالت ام سلمة فادخلت راسي في الستر فقلت يا رسول الله وانا معكم فقال انك الى خير
مرتين واخرجه احمد ايضا من حديثها وفي اسناده مجهول وهو شيخ عطاء وبقية رجاله
ثقات وقد اخرجه الطبراني عنها من طريقين بنحوه وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لحديث
ام سلمة طرقا كثيرة في مسند احمد وغيره واخرج ابن مردويه والخطيب من حديث
ابي سعيد الخدري نحوه واخرج الترمذي وابن جرير والطبراني وابن مردويه عن عمر بن ابي سلمة
ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر نحو حديث ام سلمة
واخرج ابن ابي شيبة واحمد ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم عن عائشة قالت خرج
النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن والحسين فادخلهما
معه ثم جاءت فاطمة فادخلها معه ثم جاء علي فادخله معه ثم قال انما يريد الله الآية واخرج
ابن ابي شيبة واحمد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي
في سننه عن واثلة بن الاسقع قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فاطمة ومعه علي وحسن
وحسين حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا
كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه وانا مستدبرهم ثم تلا هذه الآية وقال اللهم
هؤلاء اهل بيتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وانا من
اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة انه لارجى ما ارجوه وله طرق في مسند احمد واخرج
ابن ابي شيبة واحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه
وابن مردويه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى صلوة الفجر يقول
الصلوة يا اهل البيت الصلوة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا واخرج مسلم
عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذكركم الله في اهل بيتي فقيل لزيد ومن اهل
بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليهم الصدقة
بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس واخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه و
البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني

في خيرهما قسما فذلك قوله وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب
اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله وأصحاب الميمنة وأصحاب
المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث
قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند
الله أتقاكم وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها
بيتا فذلك قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأنا وأهل بيتي
مطهرون من الذنوب وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء قال رابطت المدينة سبعة
أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب
علي وفاطمة فقال الصلاة الصلاة إنما يريد الله الآية وفي إسناده أبو داود الأعمى وهو وضاع
كذاب وفي الباب أحاديث وآثار وقد ذكرنا ههنا ما يصلح للتمسك دون ما لا يصلح وقد توسطت
طائفة ثالثة بين الطائفتين فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن
والحسين أما الزوجات فلكونهن المرادات في سياق هذه الآيات كما قدمنا ولكونهن الساكنات
في بيوته صلى الله عليه وسلم النازلات في منازله ويعضد ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره وأما دخول
علي وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم قرابته وأهل بيته في النسب ويؤيد ذلك ما ذكرناه من
الأحاديث المصرحة بأنهم سبب النزول فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين أعمل بعض ما
يجب إعماله وأهمل ما لا يجوز إهماله وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير
وغيرهما وقال جماعة هم بنو هاشم واستدلوا بما تقدم من حديث ابن عباس وبقول زيد بن أرقم
المتقدم حيث قال ولكن آله من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس
فهؤلاء ذهبوا إلى أن المراد بالبيت بيت النسب وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ
أي اذكرن موضع النعمة إذ صيركن الله في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة أو اذكرنها وتفكرن
فيها لتتعظن بمواعظ الله أو اذكرنها للناس ليتعظوا بها ويهتدوا بهداها أو اذكرنها بالتلاوة لها
لتحفظنها ولا تتركن الاستكثار من التلاوة قال القرطبي قال أهل التأويل آيات الله هي القرآن و
الحكمة السنة وقال مقاتل المراد بالآيات والحكمة أمره ونهيه في القرآن وقيل إن القرآن جامع بين كونه آيات

بينات دالة على التوحيد وصدق النبوة وبين كونه حكمة مشتملة على فنون من العلوم والشرائع
وقال قتادة في الآية القرآن والسنة يمتن بذلك عليهن وأخرج ابن سعد عن أبي امامة
بن سهل في الآية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في بيوت ازواجه النوافل بالليل والنهار
إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا بأوليائه خَبِيرًا بجميع خلقه وجميع ما يصدر منهم من خير وشر وطاعة
ومعصية فهو يجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ بدأ سبحانه
بذكر الاسلام الذي هو مجرد الدخول في الدين والانقياد له مع العمل كما ثبت في الحديث الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عن الاسلام قال هو ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم
الصلوة وتؤتي الزكوة وتحج البيت وتصوم رمضان ثم عطف على المسلمين المسلمات تشريفا
لهن بالذكر وهكذا فيما بعد وإن كن داخلات في لفظ المسلمين والمؤمنين ونحو ذلك
والتذكير انما هو لتغليب الذكور على الاناث كما في جميع ما ورد في الكتاب العزيز من ذلك
ثم ذكر وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وهم من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره
وشره كما ثبت ذلك في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ القانت المطيع
العابد وكذا القانتة وقيل المداومين على العبادة والطاعة وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
هم من يتكلم بالصدق ويتجنب الكذب ويفي بما عوهد عليه وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ هم من
يصبر عن الشهوات وعلى مشاق التكليف وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ أي المتواضعين لله الخائفين
منه الخاضعين في عباداتهم لله وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ هم من تصدق من ماله
بما أوجبه الله عليه وقيل ذلك أعم من صدقة الفرض والنفل وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ
قيل ذلك مختص بالفرض وقيل هو أعم وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ فروجهن عن
الحرام بالتعفف والتنزه والاقتصار على الحلال وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ الله كثيرا
هم من يذكر الله على جميع أحواله وفي ذكر الكثرة دليل على مشروعية الاستكثار من ذكر الله سبحانه
بالقلب واللسان والخبر لجميع ما تقدم هو قوله أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً لذنوبهم التي أذنبوها وَأَجْرًا
عَظِيمًا على طاعاتهم التي فعلوها من الاسلام والايمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع
والتصدق والصوم والعفاف والذكر ووصف الأجر بالعظم للدلالة على أنه بالغ غاية المبالغ

ولا شيء أعظم من أجرها الجنة ونعيمها الدائم الذي لا ينقطع ولا ينفد اللهم اغفر ذنوبنا وأعظم
أجورنا. وقد أخرج أحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة
قالت قلت يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما تذكر الرجال فلم يرعني منه ذات يوم إلا نداؤه
على المنبر وهو يقول إن الله يقول إن المسلمين والمسلمات الآية. وأخرج عبد بن حميد والترمذي
وحسنه والطبراني عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما أرى كل شيء إلا للرجال
وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت هذه الآية. وعن ابن عباس قال قالت النساء يا رسول الله
ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فنزلت هذه الآية أخرجه الطبراني وابن جرير وابن مردويه
بإسناد قال السيوطي حسن. ﴿وَمَا كَانَ﴾ أي ما صح ولا استقام ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ
رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قال القرطبي لفظ ما كان وما ينبغي ونحوهما
معناها الحظر والمنع من الشيء والإخبار بأنه لا يحل شرعاً أن يكون وقد يكون لما يمتنع عقلاً كقوله
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ومعنى الآية أنه لا يحل لمن يؤمن بالله إذا قضى الله أمراً أن يختار
من أمر نفسه ما شاء بل يجب عليه أن يذعن للقضاء ويوقف نفسه تحت ما قضاه الله عليه
واختاره له ويجعل رأيه تبعاً لرأيه وجمع الضمير في لهم ومن أمرهم لأن مؤمناً ومؤمنة وقعا في سياق
النفي فهما يعمان كل مؤمن ومؤمنة قرئ أن يكون بالتحتية لأنه قد فرق بين الفعل وفاعله المؤنث
بقوله لهم مع كون التأنيث غير حقيقي وقرئ بالفوقية لكونه مسنداً إلى الخيرة وهي مؤنثة لفظاً
والخيرة مصدر بمعنى الاختيار ودل ذلك على أن الأمر للوجوب وقرئ بسكون التحتية وتحريكها
ثم توعد سبحانه من لم يذعن لقضاء الله وقدره فقال ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أمر من الأمور
ومن ذلك عدم الرضاء بالقضاء ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ أي ضل عن طريق الحق ضلالاً
ظاهراً واضحاً لا يخفى فإن كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر و
إن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق. عن ابن عباس
قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش
الأسدية فخطبها فقالت لست بناكحته قال بلى فانكحيه قالت يا رسول الله أوامر في نفسي فبينما هما
يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله قالت قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً قال نعم قالت إذن

لا اعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انكحته نفسي اخرجه ابن جرير وابن مردويه وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب اني اريد ان ازوجك زيد بن حارثة فاني قد رضيته لك قالت يا
رسول الله لكني لا ارضاه لنفسي وانا ايم قومي وبنت عمتك فلم اكن لافعل فنزلت هذه الآية وما كان
لمؤمن يعني زيدا ولا مؤمنة يعني زينب اذا قضى الله ورسوله امرا يعني النكاح في هذا الموضع ان
تكون لهم الخيرة من امرهم يقول ليس لهم الخيرة من امرهم خلاف ما امر الله به قالت قد اطعتك
فاصنع ما شئت فزوجها زيدا ودخل عليها اخرجه ابن مردويه وعن ابن زيد قال نزلت في
ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت اول امرأة هاجرت فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها
زيد بن حارثة فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده وكان
تزوج زيد بزينب قبل الهجرة بنحو ثمان سنين وبعد ما طلق زيد زينب زوجه صلى الله عليه وسلم ام كلثوم
بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد وكان زوجه
قبلها ام ايمن وولدت له اسامة وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس وفي شرح
المواهب ان ام ايمن هي بركة الحبشية بنت ثعلبة اعتقها عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
بل اعتقها هو صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لامه اسلمت قديما وهاجرت الهجرتين وماتت بعده صلى الله عليه وسلم
بخمسة اشهر وقيل بسنة ودلت الآية على لزوم اتباع قضاء الكتاب والسنة وذم التقليد
والرأي وعدم خيرة الامر في مقابلة النص من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وان كان السبب خاصا فان
الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة بزينب بنت
جحش كما مر انزل الله سبحانه وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ
زَوْجَكَ هو زيد بن حارثة انعم الله عليه بالاسلام وانعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بان اعتقه
من الرق وكان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية واعتقه وتبناه
وسياتي في سبب نزول الآية ما يوضح المراد منها قال القرطبي وقد اختلف في تاويل هذه الآية
فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم ابن جرير الطبري وغيره الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حريصا على ان يطلقها زيد
فيتزوجها هو ثم ان زيدا لما اخبره بانه يريد فراقها وشكى منها غلظة القول وعصيان الامر

والاذى باللسان والتعظم بالشرف قال له اتق الله فيما تقول عنها وامسك عليك زوجك زينب وهذا
يخفى الحرص على طلاق زيد اياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه فعل ما يجب عليه من الامر
بالمعروف قال علماؤنا رحمهم الله وهذا القول احسن ما قيل في هذه الآية وهو الذي عليه اهل
التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي ابي بكر بن العلاء القشيري والقاضي
ابي بكر بن العربي وغيرهم انتهى ما قاله القرطبي ملخصا واتق الله في امرها ولا تعجل بطلاقها وتخفي
الواو للحال اي والحال انك تخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها زيد وقيل حبها
وتخشى الناس اي تستحييهم او تخاف من تعييرهم ان يقولوا امر مولاه بطلاق امرأته ثم تزوجها
والله احق ان تخشاه في كل حال وتخاف منه وتستحييه ولا تامر زيدا بامساك زوجته بعد
ان اعلمك الله انها تكون زوجتك فعاتبه الله على هذا قال بعضهم وما ذكروه في تفسير هذه
الآية من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم وارادته طلاق زيد لها فيه اعظم الحرج وما لا يليق
بمنصبه صلى الله عليه وسلم واقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كانت النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم
وهو زوجها لزيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها قال واصح ما في هذا الباب ما قال علي بن الحسين ان الله قد اعلمه انها ستكون من ازواجه
وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك
وقد اعلمتك انها ستكون زوجتك قال الخطيب وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو
مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى
زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك
لانه لا يجوز ان يخبر الله انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله من
انها ستكون زوجته وانما اخفى ذلك استحياء ان يخبر زيدا ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون
زوجتي قال الكرخي وهذا القول هو المنصور المعول عليه عند الجمهور وقال البغوي وهذا هو
الاولى وان كان الآخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبياء لان العبد
غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس

من طبع البشر انتهى ولهذا قال ابن عباس كان في قلبه حبها وقال قتادة ودّ انه لو طلقها
زيد قال الخازن وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس
عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول
في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين وهو انما جعل طلاق زيد لها
وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال تعالى لكيلا يكون على
المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم فلما قضى زيد منها وطرا اقضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى
ما في النفس من الشيء يقال قضى وطرا منه اذا بلغ ما اراد من حاجته فيه والمراد هنا انه قضى وطره
منها بنكاحها والدخول بها بحيث لم يبق له فيها حاجة وتقاصرت عنه همته وطابت عنها
نفسه وقيل المراد به الطلاق لان الرجل انما يطلق امرأته اذا لم يبق له فيها حاجة وقال المبرد
الوطر الشهوة والمحبة وقال ابو عبيدة الوطر الارب والحاجة قال الامام ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي
كان يقال زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم فقال انا زيد بن حارثة وحرم عليه انا زيد بن محمد
فلما نزع هذا الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يخص
بها احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه سماه في القرآن اي في هذه الآية فذكره الله تعالى باسمه
في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآنا يتلى في المحاريب ونوّه به غاية التنويه فكان في هذا تأنيس له
وعوض من الفخر بابوة محمد صلى الله عليه وسلم له الا ترى الى قول ابي بن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله امرني
ان اقرأ عليك سورة كذا فبكى وقال اذكرت هنالك وكان بكاؤه من الفرح حيث ان الله تعالى
ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى مخلدا لا يبلى يتلوه اهل الدنيا اذا قرأوا القرآن واهل الجنة كذلك
ابدا لا يزال على السنة المؤمنين كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند رب العالمين اذ القرآن
كلام الله القديم وهو باق لا يبيد فاسم زيد في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة يذكره في تلاوتهم
السفرة الكرام البررة وليس ذلك لاسم من اسماء المؤمنين الا لنبي من الانبياء ولزيد بن حارثة
تعويضا من الله له مما نزع منه وزاد في الآية ان قال واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بالايمان
فدل على انه من اهل الجنة علم ذلك قبل ان يموت وهذه فضيلة اخرى رضي الله تعالى عنه انتهى
زوّجناكها اقوى زوجتكها بعني ولم يحوجك الى ولي من الخلق تعقد لك عليها تشريفا لك ولها

فلما اعلمه الله بذلك دخل عليها بغير اذن ولا عقد ولا تقدير صداق ولا شيء مما هو معتبر
في النكاح في حق امته وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها احد باجماع المسلمين
وكان تزوجه بزينب سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي اول من مات بعده من زوجاته
الشريفات المطهرات ماتت بعده بعشر سنين عن ثلاث وخمسين سنة وقيل المراد به الامر له
بان يتزوجها والاول اولى وبه جاءت الاخبار الصحيحة وقد اخرج احمد والبخاري والترمذي
وغيرهم عن انس قال جاء زيد بن حارثة يشكو زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اتق الله وامسك عليك زوجك فنزلت وتخفي في نفسك ما الله مبديه فتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اولم على امرأة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس خبزا ولحما
حتى تركوه فكانت تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع
سموات وكانت تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم جدي وجدك واحد وليس من نسائك من هي
كذلك غيري وقد انكحنيك الله والسفير في ذلك جبريل قاله الخازن وقال عمر وابن مسعود ما
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية وقال انس فلو كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا لكتم هذه الاية وكذا روي عن عايشة لكيلا يكون على المؤمنين حرج
اي ضيق ومشقة علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل
في ازواج ادعيائهم اي في التزوج بازواج من يجعلونه ابنا كما كانت تفعله العرب فانهم
كانوا يتبنون من يريدون وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة وكان يقال له زيد
بن محمد حتى نزل قوله سبحانه ادعوهم لابائهم وكانت العرب تعتقد انه يحرم عليهم نساء من
تبنوه كما يحرم عليهم نساء ابنائهم حقيقة والادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ابنا من غير
ان يكون ابنا على الحقيقة فاخبرهم الله ان نساء الادعياء حلال لهم اذا قضوا منهن وطرا
بخلاف ابن الصلب فان امرأته تحرم على ابيه بنفس العقد عليها وكان امر الله مفعولا اي قضاء
في امر زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء ماضيا موجودا في الخارج لا محالة وعن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قالوا تزوج حليلة ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو صغير فلبث حتى

صار رجلا يقال له زيد بن محمد فانزل الله ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله يعني اعدل
أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وغيرهم واخرج احمد ومسلم والنسائي
وغيرهم عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها
علي فانطلق فلما رأيتها عظمت في صدري فقلت يا زينب ابشري ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها بغير اذن ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطعمنا الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقولون يا رسول الله كيف وجدت اهلك
فما ادري انا اخبرته ان القوم قد خرجوا او اخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه
فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم الآية ثم بين سبحانه انه لم يكن على رسول الله صلى الله عليه وسلم حرج في هذا النكاح فقال ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له اي فيما احل الله له وقدره وقضاه يقال فرض له كذا اي
قدر له سنة الله اي سن الله ذلك سنة او اسم وضع موضع المصدر قاله الزمخشري او مصدر
كصنع الله ووعد الله في الذين خلوا من قبل اي ان هذا هو السنن الاقدم في الانبياء و
الامم الماضية ان ينالوا ما احله الله لهم من امر النكاح وغيره توسعة عليهم فكان لهم الحرائر
والسراري عن كعب القرظي قال يعني يتزوج من النساء ما شاء هذا فريضة وكان من قبل من
الانبياء هذا سنتهم قد كان لسليمان بن داود الف امرأة منها ثلثمائة سرية وكان لداود
مائة امرأة وقال ابن جريج الذين خلوا هم داود والمرأة التي نكحها وزوجها واسمها اليسبية
فذلك سنة في محمد وزينب وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا وهو
كظل ظليل وليل اليل وروض اريض في قصد التأكيد والقضاء الارادة الازلية المتعلقة
بالاشياء على ما هي عليه والقدر عبارة عن ايجاده اياها على قدر مخصوص معين لكن كل منهما
يستعمل بمعنى الآخر فالمراد ايجاد ما تعلقت به الارادة قاله الشهاب ثم ذكر سبحانه الانبياء الماضين
واثنى عليهم فقال الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه مدحهم سبحانه بتبليغ ما ارسلوا به

الى عبادته وخشيته في كل فعل وقول ولا يخشون احدا الا الله اي سواه ولا يبالون بقول الناس
ولا بتعييرهم فيما احل الله لهم بل خشيتهم مقصورة على الله سبحانه وكفى بالله حسيبا
حاضرا في كل مكان حافظا لاعمال خلقه يكفي عباده كل ما يخافونه او محاسبا لهم في كل شيء
ولما تزوج صلى الله عليه وسلم زينب قال الناس تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم
اي ليس هو صلى الله عليه وسلم بأب لزيد بن حارثة على الحقيقة حتى تحرم عليه زوجته ولا هو اب لاحد لم يلده
قال الواحدي قال المفسرون لم يكن ابا احد لم يلده وقد ولد له من الذكور ابراهيم والقاسم والطيب والمطهر
قال القرطبي ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلا قال واما الحسن والحسين فكانا طفلين ولم يكونا
رجلين معاصرين له قال النسفي وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له
عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الاباء والابناء وزيد
واحد من رجالكم الذين ليسوا اولاده حقيقة فكان حكمه كحكمهم والتبني من باب
الاختصاص والتقريب لا غير ولكن رسول الله قال الاخفش والفراء ولكن كان رسول الله واجازا
الرفع وكذا قرأ ابن ابي عبلة بالرفع في رسول وفي خاتم على معنى ولكن هو رسول الله وخاتم النبيين
وقرأ الجمهور بتخفيف لكن ونصب رسول وخاتم ووجه النصب على خبرية كان المقدرة كما تقدم ويجوز
ان يكون بالعطف على ابا احد وقرئ بتشديد لكن ونصب رسول على انه اسمها وخبرها
محذوف اي ولكن رسول الله هو وقرأ الجمهور خاتم بكسر التاء وقرئ بفتحها ومعنى الاولى انه ختمهم
اي جاء آخرهم ومعنى الثانية انه صار كالخاتم لهم الذي يختمون به ويتزينون بكونه منهم وقيل
كسر التاء وفتحها لغتان قال ابو عبيدة الوجه الكسر لان التاويل انه ختمهم فهو خاتمهم وانه قال انا خاتم النبيين
وخاتم الشيء آخره ومنه قولهم خاتمة المسك وقال الحسن الخاتم هو الذي ختم به والمعنى ختم
الله به النبوة فلا نبوة بعده ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا
يكون بعده نبيا وعنه ان الله لما حكم ان لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وعيسى ممن نبئ
قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كانه بعض امته وكان الله بكل شيء
عليما قد احاط علمه بكل شيء ومن جملة معلوماته هذه الاحكام التي ذكرت هنا اخرج احمد و
مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا

فانتهى الى لبنة واحدة فجئت انا فاتممت تلك اللبنة واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاكملها واحسنها الا موضع
لبنة فكان من دخلها فنظر اليها قال ما احسنها الا موضع اللبنة فانا موضع اللبنة ختم بي
الانبياء واخرج الشيخان من حديث ابي هريرة نحوه واخرج احمد والترمذي وصححه من حديث
ابي بن كعب نحوه ايضا يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا امر سبحانه عباده بان يستكثروا
من ذكره بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير وكل ما هو ذكر لله تعالى قال مجاهد هو ان لا ينساه
ابدا وقال الكلبي ويقال ذكرا كثيرا بالصلوات الخمس وقال مقاتل هو التسبيح والتحميد والتهليل و
التكبير على كل حال وقال ابن عباس في الآية لم يفرض على عباده فريضة الا جعل لها اجلا معلوما
ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فان الله لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في
تركه الا مغلوبا على عقله فقال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر
وفي السفر والحضر في الغنى والفقر في الصحة والسقم في السر والعلانية وعلى كل حال وقد ورد
في فضل الذكر والاستكثار منه احاديث كثيرة وقد صنف في الاذكار المتعلقة بالليل والنهار
جماعة من الائمة كالنسائي والنووي والجزري وغيرهم وقد نطقت الآيات القرآنية بفضل الذكر
وفضيلة الذاكر ولذكر الله اكبر وقد ورد انه افضل من الجهاد كما في حديث ابي سعيد الخدري
عند احمد والترمذي والبيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي العباد افضل درجة عند الله
يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله ومن الغازين في سبيل الله قال لو ضرب
بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر وينخضب دما لكان الذاكرون افضل منه درجة واخرج
احمد عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم
وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا
اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل واخرجه ايضا الترمذي
وابن ماجه وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون
قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات واخرج احمد وابو يعلى وابن حبان
والحاكم وصححه والبيهقي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا ذكر الله حتى

يقولوا مجنون وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقول
المنافقون انكم مراؤن وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا اي نزهوه عما لا يليق به في وقت البكرة ووقت
الاصيل وهما اول النهار وآخره وتخصيصهما بالذكر لمزيد ثواب التسبيح فيهما وخص التسبيح بالذكر بعد
دخوله تحت عموم قوله اذكروا الله تنبيها على مزيد شرفه وانافة ثوابه على غيره من الاذكار و
قيل المراد بالتسبيح بكرة صلوة الفجر وبالتسبيح اصيلا صلوة المغرب وقال قتادة وابن جرير المراد صلوة
الغداة وصلوة العصر وقال الكلبي اما بكرة فصلوة الفجر واما اصيلا فصلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء
قال المبرد والاصيل العشي وجمعه اصايل وقد ورد في فضل التسبيح بخصوصه احاديث ثابتة في
الصحيحين وغيرهما فمن ذلك حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في يوم مائة
مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر واخرج احمد ومسلم والترمذي
وغيرهم عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا ايعجز احدكم ان يكتسب
كل يوم الف حسنة فقال رجل كيف يكتسب احدنا الف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له
الف حسنة ويحط عنه الف خطية وقيل معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات
يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ الصلوة من الله على
العباد رحمة لهم وبركته عليهم ومن الملائكة الدعاء لهم والاستغفار كما قال ويستغفرون للذين
امنوا قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان المعنى ويامر ملائكته بالاستغفار لكم والجملة مستانفة
كالتعليل لما قبلها من الامر بالذكر والتسبيح وقيل الصلوة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل
في عباده وقيل الثناء عليه وعطف ملائكته على الضمير المستكن في يصلي لوقوع الفصل بقوله عليكم
فاغنى ذلك عن التاكيد بالضمير المنفصل والمراد بالصلوة هنا معنى مجازي يعم صلوة الله بمعنى الرحمة
وصلوة الملائكة بمعنى الدعا لئلا يجمع بين حقيقة ومجاز في كلمة واحدة واللام في قوله لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ متعلق بيصلي اي يعتني بامور كم هو وملائكته ليخرجكم من ظلمات المعاصي الى نور
الطاعات ومن ظلمة الضلالة الى نور الهداية ومعنى الآية تثبيت المؤمنين على الهداية ودوامهم
عليها لانهم كانوا وقت الخطاب على الهداية قال الحفناوي جمع الاول لتعدد انواع الكفر وافرد الثاني

لان الايمان شيء واحد لا تعدد فيه ثم اخبر سبحانه برحمته للمؤمنين تأنيسا لهم وتثبيتا فقال
وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا وفي هذه الجملة تقرير لمضمون ما تقدمها ثم بين سبحانه ان هذه الرحمة
منه لا تخص السامعين وقت الخطاب بل هي عامة لهم ولمن بعدهم وفي الدار الآخرة فقال تَحِيَّتُهُمْ
يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ اي تحية المؤمنين من الله سبحانه يوم لقائهم له عند الموت او عند البعث او عند
دخول الجنة هي التسليم عليهم منه عز وجل يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم وقيل
المراد تحية بعضهم لبعض يوم يلقون ربهم سلام وذلك لانه كان بالمؤمنين رحيما فلما شملتهم
رحمته وامنوا من عقابه حيي بعضهم بعضا سرورا واستبشارا والمعنى سلامة لنا من عذاب
النار قال الزجاج المعنى فيسلمهم الله من الآفات ويبشرهم بالامن من المخافات يوم يلقونه وقيل الضمير
في يلقونه راجع الى ملك الموت وهو الذي يحييهم كما ورد انه لا يقبض روح مؤمن الا سلم عليه
قاله البراء بن عازب وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك
يقرئك السلام وقال مقاتل هو تسليم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب كما في قوله والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا اي الجنة او اعد لهم في الجنة
رزقا حسنا ما تشتهيه انفسهم وتلذ اعينهم وهذا بيان لآثار رحمته تعالى الفائضة عليهم
بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ثم ذكر سبحانه صفات رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي ارسله لها فقال يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا اي على امته يشهد لمن
صدقه وآمن به وعلى من كذبه وكفر به قال مجاهد شاهدا على امته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ
انبيائهم اليهم وَمُبَشِّرًا المؤمنين برحمة الله وبالجنة وبما اعد لهم من جزيل الثواب وعظيم
الاجر وَنَذِيرًا للكافرين والعصاة بالنار وبما اعد الله لهم من اليم العقاب وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يدعو عباد
الله الى التوحيد والايمان بما جاء به والعمل بما شرعه لهم ومعنى بِإِذْنِهِ بامره بذلك وتقديره
وقيل بتيسيره قاله الكرخي وغيره وَسِرَاجًا مُنِيرًا يستضاء به في ظلم الضلالة كما يستضاء بالمصباح
في الظلمة قال الزجاج وسراجا اي وذا سراج منير اي كتاب نير وهو القرآن وانما شبه الله نبيه صلى الله
عليه وسلم بالسراج دون الشمس مع انها اتم لان المراد بالسراج هنا الشمس كما قال تعالى وجعل الشمس سراجا او
شبهه بالسراج لانه تفرع منه بهدايته جميع العلماء كما يتفرع من السراج سرج لا تحصى بخلاف الشمس

وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين
من أمتك بأن لهم من الله فضلا كبيرا على مؤمني سائر الأمم في الرتبة والشرف وزيادة
على أجور أعمالهم بطريق التفضل والاحسان وقد بين ذلك سبحانه بقوله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير
عن ابن عباس قال لما نزلت يا أيها النبي الآية وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر عليا ومعاذا أن يسيرا إلى اليمن
فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فإنها قد أنزلت علي يا أيها النبي إنا أرسلناك الآية
وأخرج أحمد والبخاري وغيرهما عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت
أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض
صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح وزاد أحمد ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح
بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وقد ذكر البخاري في صحيحه في البيوع هذا الحديث فقال
وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام ولم يقل عبد الله بن عمرو وهذا
أولى فعبد الله بن سلام هو الذي كان يسأل عن التوراة فيخبر بما فيها ثم نهاه سبحانه عن طاعة
أعداء الدين فقال ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يشيرون به عليك من المداهنة
في الدين والمداراة في أمر الدعوة ومن استعمال لين الجانب في التبليغ وفي الآية تعريض لغيره
من أمته لأنه صلى الله عليه وسلم معصوم عن طاعتهم في شيء مما يريدونه ويشيرون به عليه وقد تقدم
تفسير هذه الآية في أول السورة ودع أذاهم أي لا تبال بما يصدر منهم إليك من الأذى
بسبب تصلبك في دين الله وشدتك على أعدائه أو دع أن تؤذيهم أنت مجازاة لهم على
ما يفعلونه من الأذى إليك فالمصدر على الأول مضاف إلى الفاعل وعلى الثاني مضاف
إلى المفعول قيل هي منسوخة بآية السيف وتوكل على الله في كل شئونك وكفى بالله
وكيلا توكل إليه الأمور وتفوض إليه الشئون فمن فوض إليه أموره كفاه ومن وكل إليه
أحواله لم يحتج فيها إلى سواه ولما ذكر سبحانه قصة زيد وطلاقه لزينب وكان قد دخل بها

وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها كما تقدم خاطب المؤمنين مبينا لهم حكم الزوجة
اذا طلقها زوجها قبل الدخول فقال يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات اي عقدتم
بهن عقد النكاح او بالكتابيات وانما خص المؤمنات بالذكر للتنبيه على ان من شان المؤمن
ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا للنطفة وقد اختلف في لفظ النكاح هل هو حقيقة في الوطي او في العقد
او فيهما على طريقة الاشتراك وكلام صاحب الكشاف في هذا الموضع يشعر بانه حقيقة في الوطي
فانه قال النكاح الوطي وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسمية
الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد كما قاله صاحب الكشاف والقرطبي وغيرهما
ثم التراخي ليس قيدا وفائدة التعبير بثم ازالة ما عسى ان يتوهم من ان تراخي الطلاق بقدر امكان
الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة طلقتموهن من قبل أن تمسوهن اي تجامعوهن فكنى
عن ذلك بلفظ المس ومن آداب القرآن الكناية عن الوطي بلفظ الملامسة والمماسة والقربان
والتغشي والاتيان وقد استدل بهذه الآية القائلون بانه لا طلاق قبل النكاح وهم الجمهور وروي
قال علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد
بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة
واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي وذهب ابن مسعود ومالك وابو حنيفة الى صحة الطلاق قبل
النكاح اذا قال اذا تزوجت فلانة فهي طالق فتطلق اذا تزوجها وبه قال النخعي واصحاب الرأي وقال
ربيعة والاوزاعي ان عين امرأة وقع وان عمم فلا يقع وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك اخرجه
ابو داود والترمذي بمعناه وعن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه البخاري
فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تحصونها بالاقراء والاشهر اجمع العلماء على انه اذا كان
الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب احمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق وقد حكى ذلك
الاجماع القرطبي وابن كثير والمعنى تستوفون عددها من عددت الدراهم فانا اعتدها واسناد ذلك
الى الرجال للدلالة على ان العدة حق لهم كما يفيده قوله فما لكم وقرئ تعتدونها بتشديد الدال
وبتخفيفها وفي هذه وجهان احدهما ان يكون بمعنى الاولى ماخوذ من الاعتداد اي يستوفون عددها

ولكنهم تركوا التضعيف لقصد التخفيف قال الرازي ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم لضعف
لان الاعتداء يتعدى بعلى وقيل من الاعتداء بحذف حرف الجر اي تعتدون عليها اي على العدة
مجازا والوجه الثاني ان يكون المعنى تعتدونها والمراد بالاعتداء هذا هو ما في قوله ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا فيكون معنى الآية على القراءة الاخرى فما لكم عليهن من عدة تعتدون عليهن فيها
بالمضارة وقد انكر ابن عطية صحة هذه القراءة عن ابن كثير وقال ان البزي غلط عليه وهذه
الآية مخصصة لعموم قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولقوله واللائي يئسن من
المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فمتعوهن اي اعطوهن ما يستمتعن به
والمتعة المذكورة هنا قد تقدم الكلام عليها في البقرة وقال سعيد بن جبير هذه المتعة
المذكورة هنا منسوخة بالآية التي في البقرة وهي قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقيل المتعة هنا هي اعم من ان تكون نصف الصداق
او المتعة خاصة ان لم يكن قد سمى لها فمع التسمية للصداق تستحق نصف المسمى عملا بقوله فنصف
ما فرضتم ومع عدم التسمية تستحق المتعة عملا بهذه الآية ويؤيد ذلك قوله تعالى ولا جناح
عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره
وعلى المقتر قدره وهذا الجمع لا بد منه وهو مقدم على الترجيح وعلى دعوى النسخ ويخصص من هذه
الآية من توفي عنها زوجها فانه اذا مات بعد العقد عليها وقبل الدخول بها كان الموت كالدخول
فتعتد اربعة اشهر وعشرا قال ابن كثير بالاجماع فيكون المخصص هو الاجماع وسرحوهن
سراحا جميلا اي اخرجوهن من غير اضرار ولا منع حق من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة
والسراح الجميل الذي لا ضرار فيه وقيل هو ان لا يطالبها بما كان قد اعطاها وقيل هو هنا
كناية عن الطلاق وهو بعيد لانه قد تقدم ذكر الطلاق ورتب عليه التمتع وعطف عليه السراح
الجميل فلا بد ان يراد به معنى غير الطلاق وعن ابن عباس في الآية قال هذا في الرجل يتزوج المرأة
ثم يطلقها من قبل ان يمسها فاذا طلقها واحدة بانت منه ولا عدة عليها تتزوج من شاءت
ثم قال فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يقول ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا النصف
وان لم يكن سمى لها صداقا متعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل وعن ابن عمر قال انه الحكم

المؤمنات ثم طلقتموهن منسوخة نسختها التي في البقرة فنصف ما فرضتم وعن سعيد بن
المسيب نحوه وعن الحسن وأبي العالية قالا ليست بمنسوخة لها نصف الصداق ولها المتاع
وعن ابن جريج قال بلغ ابن عباس ان ابن مسعود يقول ان طلق ما لم ينكح فهو جائز فقال ابن عباس
اخطأ في هذا ان الله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ولم يقل اذا طلقتم
المؤمنات ثم نكحتموهن وعن ابن عباس انه تلى هذه الآية وقال لا يكون طلاق حتى يكون نكاح
وقد وردت احاديث فيها انه لا طلاق الا بعد نكاح وهي معروفة يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ
أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ذكر سبحانه في هذه الآية انواع الانكحة التي احلها لرسوله وبدأ
بازواجه اللاتي قد اعطاهن اجورهن اي مهورهن فان المهور اجور الابضاع وهذا قال الكرخي
ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقال اهل الرأي التأبيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط
الاجارة وبينهما منافاة وايتاء الاجور اما تسليمها معجلة او فرضها او تسميتها في العقد وقد
اختلف في معنى الآية فقال ابن زيد والضحاك ان الله احل له ان يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها
فتكون الآية مبيحة لجميع النساء ما عدا ذوات المحارم وقال الجمهور المراد احللنا لك ازواجك
الكائنات عندك لانهن قد اخترنك على الدنيا وزينتها وهذا هو الظاهر لان قوله احللنا
وآتيت ماضيان وتقييد الاحلال بايتاء الاجور ليس لتوقف الحل عليه لانه يصح العقد بلا
تسمية ويجب مهر المثل مع الوطء والمتعة مع عدمه فكأنه لقصد الارشاد الى ما هو افضل
وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ اي السراري اللاتي دخلن في ملكك بالغنيمة
والمعنى مما رد الله عليك من الكفار بالغنيمة من نسائهم المأخوذات على وجه القهر والغلبة
مثل صفية وجويرية فاعتقهما وتزوجهما وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم
وليس المراد بهذا القيد اخراج ما ملكه بغير الغنيمة فانها تحل السرية المشتراة والموهوبة ونحوهما
ولكنه خرج مخرج الغالب واشارة الى ما هو الافضل كالقيد الاول المصرح بايتاء الاجور
وهكذا قيد المهاجرة في قوله وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ اي نساء قريش وَبَنَاتِ خَالِكَ
وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اي نساء بني زهرة اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ فانه للاشارة الى ما هو الافضل
وللايذان بشرف الهجرة وشرف من هاجر اي احللنا لك ذلك زائدا على الازواج اللاتي آتيت اجورهن

على قول الجمهور ولانه لو اراد احللنا لك كل امرأة تزوجت واتيت اجرها لما قال بعد ذلك
وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم والاول اولى والمراد بالمعية هنا
الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة فيها قال النسفي وليس مع للقران بل لوجودها فحسب كقوله و
اسلمت مع سليمان وقيل ان هذا القيد اعني المهاجرة معتبر وانها لا تحل له من لم تهاجر
من هؤلاء كما في قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
ويؤيد هذا حديث ام هانئ وسيأتي ووجه افراد العم والخال وجمع العمة والخالة ما ذكره
القرطبي قال ان العم والخال في الاطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز وليس كذلك العمة والخالة
وهذا عرف لغوي فجاء الكلام عليه بغاية البيان وحكاه عن ابن العربي وقال ابن كثير
انه وحد لفظ الذكر لشرفه وجمع الانثى كقوله عن اليمين وعن الشمائل وقوله يخرجهم من
الظلمات الى النور وجعل الظلمات والنور وله نظائر كثيرة انتهى وقال النيسابوري وانما
لم يجمع العم والخال اكتفاء بجنسيتهما مع ان لجمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع
اختين تحت واحد ولم يحسن هذا الاختصار في العمة والخالة لامكان سبق الوهم الى
التاء فيهما للوحدة انتهى وكل وجه من هذه الوجوه يحتمل المناقشة بالنقض والمعارضة
واحسنها تعليل جمع العمة والخالة بسبق الوهم الى ان التاء للوحدة وليس في العم والخال
ما يسبق الوهم اليه بانه اريد به الواحد الا مجرد صيغة الافراد وهي لا تقتضي ذلك بعد
اضافتها لما تقرر من عموم اسماء الاجناس المضافة على ان هذا الوجه الاحسن لا يصفو عن
شوب المناقشة ايضا قال الشهاب وقد سئل كثير عن حكمة افراد العم والخال دون العمة
والخالة حتى ان السبكي صنف جزءا فيه سماه بذل الهمة في افراد العم وجمع العمة وقد رأيت
لهم فيه كلمات كلها ضعيفة كقول الرازي ان العم والخال على زنة المصدر ويستوي فيه المفرد
والجمع بخلاف العمة والخالة وقيل انهما يعمان اذا اضيفا والعمة والخالة لا يعمان لتاء الوحدة
انتهى اخرج الترمذي وحسنه وابن جرير والطبراني وغيرهم عن ام هانئ بنت ابي طالب قالت
خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني فانزل الله يا ايها النبي انا احللنا لك
ازواجك الى قوله هاجرن معك قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء

واخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه من وجه اخر عنها قالت نزلت في هذه الآية وبنات
عماتك التي هاجرن معك اراد النبي ان يتزوجني فنهي عني اذ لم اهاجر وعن ابن عباس
في قوله انا احللنا لك ازواجك الى قوله خالصة لك قال فحرم الله عليه سوى ذلك من النساء
وكان قبل ذلك ينكح في اي النساء شاء لم يحرم ذلك عليه وكان نساؤه يجدن من ذلك
وجدا شديدا ان ينكح في اي النساء احب فلما انزل اني حرمت عليك من النساء سوى ما قصصت
عليك اعجب ذلك نساءه وامرأة مؤمنة اي واحللنا لك امرأة مصدقة بالتوحيد وهذا
يدل على ان الكافرة لا تحل له قال امام الحرمين وقد اختلف في تحريم الحرة الكافرة عليه
قال ابن العربي والصحيح عندي تحريمها وبهذا يتميز علينا فانه ما كان في جانب الفضائل و
الكرامات فحظه فيه اكثر وما كان من جانب النقائص فجانبه عنها اطهر فجوز لنا نكاح الحرائر
الكتابيات وقصر هو صلى الله عليه وسلم على المؤمنات ولهذا كان لا تحل له الكتابية الكافرة لنقصانها
بالكفر انتهى واما تسريه بالامة الكتابية فالاصح فيه الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع بامته
ريحانة قبل ان تسلم كذا في المواهب وكانت يهودية من سبي قريظة ومما خص به ايضا انه
يحرم عليه نكاح الامة ولو مسلمة لان نكاحها معتبر بخوف العنت وهو معصوم وبفقدان
مهر الحرة ونكاحه غني عن المهر ابتداء وانتهاء وبرق الولد ومنصبه صلى الله عليه وسلم منزه عنه كذا
في الروض وشرحه ان وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بغير
صداق واما من لم تكن مؤمنة فلا تحل لك بمجرد هبتها نفسها لك ولكن ليس ذلك بواجب
عليك بحيث يلزمك قبول ذلك بل مقيدا بارادتك في جملة شرطية لا تستلزم الوقوع ولهذا
قال ان اراد النبي ان يستنكحها يقال نكح واستنكح مثل عجل واستعجل وعجب واستعجب ويجوز ان
يراد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح او طلب الوطي قاله القرطبي اي يصيرها منكوحة له ويتملك
بضعها بتلك الهبة بلا مهر وذلك جار منه مجرى القبول وحيث لم تكن الآية نصا في كون تمليكها
بلفظ الهبة لم تصلح ان تكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة وايراده في الموضعين بعنوان
النبوة بطريق الالتفات عن الخطاب للايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به كما ينطق به قوله
الاتي خالصة لك وقد قيل انه لم ينكح النبي من الواهبات انفسهن احدا ولم يكن عنده منهن شيء

وقال قتادة كانت عنده ميمونة بنت الحارث قال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية
ام المساكين وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر الاسدية وقال
عروة بن الزبير وهي ام حكيم بنت الاوقص السلمية اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي
في السنن عن عايشة قالت التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم واخرج البخاري
وغيره عن عروة ان خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة امرأة
ست من قريش خديجة وعايشة وحفصة وسودة وام سلمة وثلاث من بني عامر بن صعصعة
وامرأتان من بني هلال بن عامر ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
وزينب ام المساكين والعامرية وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التي استعاذت
منه وزينب بنت جحش الاسدية والسبيتين صفية بنت حيي وجويرية بنت الحارث الخزاعية
واخرج البخاري وابن مردويه عن انس قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
هل لك بي حاجة فقالت ابنة انس ما كان اقل حياءها فقال هي خير منك رغبت في النبي صلى الله
عليه وسلم فعرضت نفسها عليه واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد الساعدي ان
امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها له فقصت الحديث بطوله وكان من خصائصه
صلى الله عليه وسلم ان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر والزيادة على
اربع ووجوب تخيير النساء وعليه جماعة واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة
فذهب اكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ النكاح والتزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري
ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي واهل الكوفة ينعقد بلفظ
التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه
كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة وذهب قوم آخرون الى انه لا ينعقد كما في حق سائر
الامة وكان اختصاصه في ترك المهر وعدم لزومه له لا في لفظ النكاح واختلفوا في ان العقد
بلفظ الهبة هل وقع له بالفعل ام لا فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح
او ملك يمين وقال آخرون وقع واختلفوا فيها كما تقدم وقال الزمخشري قيل الموهوبة اربع

ميمونة وزينب وام شريك وخولة وفي السمين هذا من اعتراض الشرط على الشرط والثاني قيد في الاول ولذلك اعربوه
حالا لان الحال قيد ولهذا اشترط الفقهاء ان يتقدم الثاني على الاول في الوجود فلو قال ان اكلت ان ركبت فانت
طالق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل وانه يشترط ان لا يكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثاني على الاول كقولك ان
تزوجتك ان طلقتك فعبدي حر فانه لا يتصور هنا تقدم الطلاق على التزويج الا انه عرض لي اشكال على ما قاله الفقهاء في هذه
الآية وذلك ان الشرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة الى الحكم الخاص بالنبي صلى الله
عليه وسلم لانه لا يمكن عقلا وذلك ان المفسرين فسروا قوله تعالى ان اراد بمعنى قبل الهبة لانه
بالقبول منه يتم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متاخر وايضا فالقصة
كانت على ما ذكرته من تاخر ارادته عن هبتها وهو مذكور في التفسير وقد عرضت هذا الاشكال
على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنه جواب الا ما قدمته من ان ثم قرينة مانعة
من ذلك كما مثلت لك انتهى وقد بين الله سبحانه ان هذا النوع من النكاح خاص برسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يحل لغيره من امته فقال خالصة لك من دون المؤمنين لفظ خالصة اما حال من
امرأة قاله الزجاج او حال من فاعل وهبت اي حال كونها خالصة لك دون غيرك او مصدر
مؤكد كوعد الله اي خلص لك خلوصا او نعت مصدر مقدر اي هبة خالصة فنصبها بوهبت
وقد اجمع العلماء على ان هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه لا يجوز لغيره ولا ينعقد النكاح بهبة
المرأة نفسها الا ما روي عن ابي حنيفة وصاحبيه انه يصح النكاح اذا وهبت واشهد هو على نفسه
بمهر واما بدون مهر فلا خلاف في ان ذلك خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال قد علمنا ما
فرضنا عليهم في ازواجهم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من خلوص الاحلال له اي ما فرضه
الله سبحانه على المؤمنين في حق ازواجهم من شرائط العقد وحقوقه فان ذلك حق عليهم مفروض
لا يحل لهم الاخلال به ولا الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما خصه الله به توسعة عليه وتكريما له
فلا يتزوجوا الا اربعا بمهر وبينة وولي وعن ابن عمر في الآية قال فرض الله عليهم انه لا نكاح الا
بولي وشاهدين وعن ابن عباس مثله وزاد ومهر وما ملكت ايمانهم اي وعلمنا ما فرضنا
عليهم فيما ملكت ايمانهم من كونهم ممن يجوز سبيه وحربه لا من كان لا يجوز سبيه او كان
له عهد من المسلمين الى ان تكون الامة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وان تستبرأ قبل الوطء

لكيلا يكون عليك حرج قال المفسرون هذا يرجع الى اول الآية اي احللنا لك ازواجك
وما ملكت يمينك والموهوبة نفسها لك لكيلا يكون عليك حرج فتكون اللام متعلقة باحللنا
وقيل هي متعلقة بخالصة قاله البيضاوي وابو السعود والتعلق باعتبار ما فيه من معنى ثبوت
الاحلال وحصوله له صلى الله عليه وسلم والاول اولى والحرج الضيق اي وسعنا عليك في التحليل لك
لئلا يضيق صدرك فتظن انك قد اثمت في بعض المنكوحات وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنب
فيما يعسر التحرز عنه ويرحم العباد بالتوسعة في ذلك ولذلك وسع الامر ولم يضيقه ترجي
من تشاء منهن قرئ ترجي مهموزا وغير مهموز وهما لغتان والارجاء التاخير يقال ارجأت الامر
وارجيته اذا اخرته وتؤوي اليك من تشاء اي تضم اليك يقال آواه اليه بالمد ضمه اليه
واوى مقصورا اي يضم اليه والمعنى ان الله وسع على رسوله صلى الله عليه وسلم وجعل الخيار اليه في
نسائه فيؤخر من شاء منهن ويؤخر نوبتها ويتركها ولا ياتيها من غير طلاق ويضم اليه من
شاء منهن ويضاجعها ويبيت عندها وقد كان القسم واجبا عليه حتى نزلت هذه الآية فارتفع
الوجوب وصار الخيار اليه وكان ممن اوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب وممن ارجى
سودة وجويرية وام حبيبة وميمونة وصفية فكان صلى الله عليه وسلم يسوي بين من اوى في القسم وكان
يقسم لمن ارجاه ما شاء هذا قول جمهور المفسرين في معنى الآية وهو الذي يناسب ما مضى وقد دلت
عليه الادلة الثابتة في الصحيح وغيره قال ابن العربي هذا الذي ثبت في الصحيح هو الذي ينبغي ان يعول
عليه لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون فرض عليه تطييبا لنفوسهن وصونا لهن عن اقوال
الغيرة التي تؤدي الى ما لا ينبغي وقيل هذه الآية في الواهبات انفسهن لا في غيرهن من الزوجات
قاله الشعبي وغيره وقيل معنى الآية في الطلاق اي تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء
وقال الحسن ان المعنى تنكح من شئت من نساء امتك وتترك نكاح من شئت منهن وقد قيل
ان هذه الآية ناسخة لقوله لا يحل لك النساء من بعد وقيل كان القسم واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم نسخ الوجوب عنه بهذه الآية وعن ابن عباس ترجي اي تؤخر وعنه قال من شئت خليت سبيلها
منهن ومن احببت امسكت منهن واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت كنت اغار
من اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول اتهب المرأة نفسها فلما انزل الله ترجي

من تشاء منهن الآية قلت ما ارى ربك الا يسارع في هواك وعن ابي رزين قال هم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يطلق من نسائه فلما رأين ذلك أتينه فقلن لا تخل سبيلنا وانت في حل فيما بيننا
وبينك افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت فانزل الله ترجي من تشاء منهن يقول تعزل من
تشاء فارجى منهن نسوة واوى نسوة وكان ممن ارجى ميمونة وجويرية وام حبيبة وصفية وسودة
وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ما شاء وكان ممن اوى عايشة وحفصة وام سلمة وزينب
فكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد ان انزلت هذه الآية ترجي من تشاء منهن فقلت
لها ما كنت تقولين قالت كنت اقول ان كان ذلك الي فاني لا اريد ان اوثر عليك احدا ومن ابتغيت
ممن عزلت الابتغاء الطلب والعزل الازالة والمعنى ان اردت ان تؤوي اليك امرأة ممن قد
عزلتهن من القسمة وتضمها اليك فلا جناح عليك في ذلك والحاصل ان الله سبحانه فوض
الامر الى رسوله يصنع في زوجاته ما شاء من تقديم وتاخير وعزل وامساك وضم من ارجى و
ارجاء من ضم اليه وما شاء في امرهن فعل توسعة عليه ونفيا للحرج عنه واصل الجناح الميل
يقال جنحت السفينة اذا مالت والمعنى لا ميل عليك بلوم ولا عتب فيما فعلت ذلك اي ما تقدم
من التفويض الى مشيئته وهو مبتدأ وخبره قوله ادنى ان تقر اعينهن اي ذلك التخيير والتفويض
الذي فوضناك اقرب الى رضاهن واطيب لانفسهن اذ كان من عندنا لانهن اذا علمن انه من الله قرت
اعينهن واطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضاء قرئ تقر على البناء للفاعل مسندا الى اعينهن
وقرئ بضم التاء من اقر وفاعله ضمير المخاطب وقرئ على البناء للمفعول وقد تقدم بيان معنى قرة
العين في سورة مريم ولا يحزن اي لا يحصل معهن حزن بتاثيرك بعضهن دون بعض ويرضين
بما آتيتهن كلهن اي بما اعطيتهن من تقريب وارجاء وعزل وايواء وكان يقسم بينهن في القسمة
حتى مات ولم يستعمل شيئا مما ابيح له ضبطا لنفسه واخذا بالافضل غير سودة فانها وهبت ليلتها لعايشة
رضي الله عنهما والله يعلم ما في قلوبكم من كل ما تضمرونه ومن ذلك ما تضمرونه من امور النساء
والميل الى بعضهن وكان الله عليما بكل شيء وبما في ضمائركم لا يخفى عليه خافية حليما عنكم لا
يعاجل العصاة بالعقوبة فينبغي ان تتقى محارمه لان انتقام الحليم وغضبه امر عظيم لا يحل لك

لك النساء من بعد اي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترنك واجتمعن في عصمتك وهن
التسع اللاتي توفي عنهن وهن عايشة بنت ابي بكر الصديق وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت
ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية
وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية
قاله ابو السعود وقد اختلف اهل العلم في تفسير هذه الاية على اقوال الاول انها محكمة وانه حرم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوج على نسائه مكافاة لهن بما فعلن من اختيار الله ورسوله
والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر الله له بذلك وهذا قول ابن عباس ومجاهد
والضحاك وقتادة والحسن وابن سيرين وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابن
زيد وابن جرير وقال ابو امامة بن سهل بن حنيف لما حرم الله عليهن ان يتزوجن من بعده حرم
عليه ان يتزوج غيرهن وقال ابي بن كعب وعكرمة وابو رزين ان المعنى لا يحل لك النساء من بعد
الاصناف التي سماها الله قال القرطبي وهو اختيار ابن جرير وقيل لا يحل لك اليهوديات ولا
النصرانيات لانهن لا يصح ان يتصفن بامهات المؤمنين وهذا القول فيه بعد لانه يكون التقدير
لا يحل لك النساء من بعد المسلمات ولم يجر للمسلمات ذكر وقيل هذه الاية منسوخة بالسنة
وبقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وبهذا قالت ام سلمة وعايشة وعلي بن
ابي طالب وعلي بن الحسين وغيرهم وهذا هو الراجح وسياتي ما يدل عليه من الادلة عن زياد رجل
من الانصار قال قلت لابي بن كعب ارأيت لو ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم متن اما كان يحل له ان يتزوج
قال وما يمنعه من ذلك قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد قال انما احل له ضربا من النساء
ووصف له صفة فقال يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله وامرأة مؤمنة ثم قال لا يحل
لك النساء من بعد هذه الصفة وعن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصناف النساء
الا ما كان من المؤمنات المهاجرات قال لا يحل لك النساء من بعد الاية فاحل له الفتيات المؤمنات
وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الاسلام وقال يا ايها النبي انا
احللنا لك ازواجك الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين وحرم ما سوى ذلك من اصناف
النساء وعنه قال نهي النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزوج بعد نسائه الاول شيئا وعنه في الاية قال حبسه الله عليهن

كما حبسهن عليه وعن انس قال لما خيرهن فاخترن الله ورسوله قصره عليهن فقال لا
يحل لك النساء من بعد وعن ام سلمة قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له ان يتزوج
من النساء ما شاء الا ذات محرم وذلك قول الله ترجي من تشاء منهن الاية واخرج احمد وابو داود
في ناسخه والترمذي وصححه والنسائي والحاكم وصححه عن عايشة قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له ان
يتزوج من النساء ما شاء الا ذات محرم لقوله ترجي من تشاء منهن الاية وعن ابن عباس
مثله وعن ابي رزين لا يحل لك النساء من بعد قال من المشركات الا ما سبيت فملكت يمينك
ولا ان تبدل بهن من ازواج اي ليس لك ان تطلق واحدة منهن او اكثر وتتزوج بدل
من طلقت منهن اي من المسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون ام المؤمنين يهودية
ولا نصرانية ومن مزيدة لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقال ابن زيد
هذا شيء كانت العرب تفعله تقول خذ زوجتي واعطني زوجتك وقد انكر ابن جرير والنحاس
ما ذكره ابن زيد قال ابن جرير ما فعلت العرب هذا قط ويدفع هذا الانكار منهما ما اخرجه الدارقطني
عن ابي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امراتك وانزل
لك عن امراتي فانزل الله عز وجل ولا ان تبدل بهن واخرجه ايضا عنه البزار وابن مردويه
واخرجا عن ابي هريرة قال كان البدال في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل بادلني امراتك
وابادلك امراتي اي تنزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله هذه الاية قال
فدخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة فدخل بغير اذن فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل من الانصار منذ
ادركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عايشة ام المؤمنين
قال افلا انزل لك عن احسن خلق الله قال يا عيينة ان الله حرم ذلك فلما ان خرج قالت عايشة
من هذا قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه ولو اعجبك حسنهن وهل كقولك
اعطوا السائل ولو على فرس اي في كل حال ولو على هذه الحالة المنافية للاعطاء وقيل تقديره
مفروضا اعجابك بهن اي لا يحل لك التبدل بازواجك ولو اعجبك حسن غيرهن وجمالها ممن اردت ان
تجعلها بدلا من احداهن وهذا التبدل ايضا من جملة ما نسخه الله في حق رسوله على القول الراجح ونسخها

اما بالسنة او بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف قال ابن عباس
يعني اسماء بنت عميس امرأة جعفر بن ابي طالب لما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها
فنهي عن ذلك إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ استثناء من النساء لانه يتناول الحرائر والاماء وقيل منقطع و
المعنى تحل لك الاماء وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية القبطية اهداها له المقوقس ملك القبط
وهو اهل مصر والاسكندرية وولدت له ابراهيم في ذي الحجة سنة ثمان ومات في حياة ابيه وله
سبعون يوما وقيل سنة وعشرة اشهر وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لم يصل عليه بنفسه بل امرهم فصلوا
قاله ابن حجر في شرح الهمزية وقد اختلف العلماء في تحليل الامة الكافرة على قولين الاول انها
تحل للنبي صلى الله عليه وسلم لعموم هذه الآية وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن والثاني
انها لا تحل للنبي صلى الله عليه وسلم تنزيها لقدره عن مباشرة الكافرة ويترجح القول الاول بعموم هذه الآية
وتعليل المنع بالتنزه ضعيف فلا تنزه عما احله الله فهو طيب لا خبيث باعتبار ما يتعلق بامور النكاح
لا باعتبار غير ذلك فالمشركون نجس بنص القرآن ويمكن ترجيح القول الثاني بقوله سبحانه ولا تمسكوا
بعصم الكوافر فانه نهي عام وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا اي مراقبا حافظا وفي الآية دليل على جواز
النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب
احدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة
ان رجلا اراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار
شيئا قال الحميدي يعني هو الصغر وعن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم
هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى ان يدوم بينكما اخرجه الترمذي وقال حسن
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شروع في بيان ما يجب رعايته على الناس من حقوق نساء النبي اثر بيان ما يجب
مراعاته عليه من حقوقهن لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ هذا نهي عام لكل مؤمن ان يدخل بيوت رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا باذن منه وسبب النزول ما وقع من بعض الصحابة في وليمة زينب وقد اخرج البخاري
ومسلم عن انس قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن
فانزل الله آية الحجاب وفي لفظ انه قال عمر يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين
بالحجاب فانزل الله آية الحجاب واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب بنت جحش دعى القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما
رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس
ثم إنهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت
أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وأخرج ابن
جرير عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد
أفيح وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
ذلك فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى
قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب قال يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الآية وأخرج ابن سعد عن أنس قال نزل الحجاب مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش و
ذلك سنة خمس من الهجرة وحجب نساءه من يومئذ وأنا ابن خمس عشرة سنة وكذا أخرج ابن سعد عن صالح
بن كيسان وقال نزل الحجاب على نسائه في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة وبه قال قتادة والواقدي
وزعم أبو عبيدة وخليفة بن خياط أن ذلك كان في سنة ثلاث وفي الآية دليل على أن البيت للرجل
ويحكم له به فإن الله أضافه إليه إضافة ملك وأما إضافته إلى الأزواج في قوله ما يتلى في بيوتكن فهي إضافة
محل بدليل أنه جعل فيها الإذن إلى النبي صلى الله عليه وسلم والإذن إنما يكون من المالك واختلف العلماء في
بيوت النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يسكن فيها نساؤه بعد موته هل هي ملك لهن أو لا على قولين فقالت طائفة
كانت ملكا لهن بدليل أنهن سكن فيها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاتهن وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
وهب لهن ذلك في حياته الثاني أن ذلك كان إسكانا كما يسكن الرجل أهله ولم يكن هبة وامتدت
سكناهن بها إلى الموت وهذا هو الصحيح وهو الذي ارتضاه أبو عمر بن عبد البر وابن العربي وغيرهما فإن
ذلك من مؤنتهن التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استثناها لهن كما استثنى لهن نفقاتهن حين
قال لا تقسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة أهلي ومؤنة عاملي فهو صدقة هكذا قال أهل
العلم قالوا ويدل على ذلك أن مساكنهن لم ترثها عنهن ورثتهن قالوا وفي ترك ورثتهن ذلك دليل
على أنها لم تكن لهن ملكا وإنما كان لهن سكنى حياتهن فلما توفين جعل ذلك زيادة في المسجد الحرام الذي يعم
المسلمين نفعه كما جعل ذلك الذي كان لهن من النفقات في تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مضين إلى سبيلهن

فزيد الى اصل المال فصرف لمنافع المسلمين مما بهم نفعه الجميع والله الموفق كذا قاله القرطبي واعلم
ان قالون همز النبي حيث وقع الا في موضعين من هذه السورة احدهما هذه الاية والثاني قوله ان وهبت
نفسها للنبي فابدلها ياء في الوصل وهمزها في الوقف كما ذكره الشاطبي ولم يسهلها كما سهل غيرها لانه رأى الابدال
هنا جاريا على القياس فيه ووجهه لموافقته لغيره ولانه افصح من التسهيل ولذلك انكر على من قال يا نبئ الله
بالهمز وهذا مما لا غبار عليه فلله در التنزيل وما فيه من دقائق التاويل الا ان يؤذن لكم استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا في حال كونكم ماذونا لكم اي الا مصحوبين
بالاذن او الا بان يؤذن لكم او الا وقت ان يؤذن لكم وقوله الى طعام متعلق بيؤذن على تضمينه
معنى الدعاء اي الا ان يؤذن لكم مدعوين الى طعام غير ناظرين اناه انتصاب غير على الحال والعامل
فيه يؤذن او مقدر اي ادخلوا غير ناظرين ومعنى ناظرين منتظرين واناه نضجه وادراكه يقال انى
يانى انا اذا حان وادرك قال الرازي في الاية اما ان يكون فيه تقديم وتاخير تقديره ولا تدخلوا
الى طعام الا ان يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول في غير وقت الطعام بغير اذن واما ان لا يكون
فيه تقديم وتاخير فيكون معناه لا تدخلوا الا ان يؤذن لكم الى طعام فيكون الاذن مشروطا بكونه
الى طعام فان لم يؤذن الى طعام فلا يجوز الدخول فلو اذن لواحد في الدخول لاستماع كلام لا لاكل
طعام فلا يجوز فنقول المراد هو الثاني ليعم النهي عن الدخول واما كونه لا يجوز الا باذن الى طعام فلما
هو مذكور في سبب النزول ان الخطاب مع قوم كانوا يتحينون حين الطعام ويدخلون من غير اذن
فمنعوا من الدخول في وقتهم بغير اذن وقال ابن عادل الاولى ان يقال المراد هو الثاني لان التقديم
والتاخير خلاف الاصل وقوله الى طعام بدل من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه
لا سيما اذا علم مثله فان من جاز دخول بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله باذنه الى غير الطعام
انتهى والاولى في التعبير عن هذا المعنى الذي اراده ان يقال قد دلت الادلة على جواز دخول بيوته
صلى الله عليه وسلم باذنه لغير الطعام وذلك معلوم لا شك فيه فقد كان الصحابة وغيرهم يستاذنون عليه
لغير الطعام فياذن لهم وذلك يوجب قصر هذه الاية على السبب الذي نزل فيه وهو القوم الذين كانوا
يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه وامثالهم فلا تدل على
المنع من الدخول مع الاذن لغير ذلك والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته باذنه لغير الطعام

والإلزام باطل فالملزوم مثله قال ابن عطية وكانت سيرة القوم اذا كان لهم طعام وليمة
او نحوه ان يبكر من شاء الى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه وكذلك اذا فرغوا منه جلسوا
كذلك فنهى الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في النهي سائر المؤمنين و
التزم الناس ادب الله لهم في ذلك فمنعهم من الدخول الا باذن عند الاكل لا قبله لانتظار نضج
الطعام ثم بين سبحانه ما ينبغي في ذلك فقال **ولكن اذا دعيتم** واذن لكم فادخلوا وفيه
تاكيد بليغ للمنع وبيان الوقت الذي يكون فيه الدخول وهو عند الاذن وقال ابن العربي
وتقدير الكلام ولكن اذا دعيتم واذن لكم **فادخلوا** والا فنفس الدعوة لا يكون اذنا كافيا في الدخول
وقيل ان فيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه قال الرازي فيه
لطيفة وهي ان في العادة اذا قيل لمن يعتاد دخول دار من غير اذن لا تدخلها الا باذن يتاذى
وينقطع بحيث لا يدخلها اصلا ولا بالدعاء فقال لا تفعلوا مثل ما يفعله المستنكفون بل
كونوا طائعين اذا قيل لكم لا تدخلوا فلا تدخلوا واذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا وقوله الا ان
يؤذن لكم يفيد الجواز وقوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا يفيد الوجوب فليس تاكيدا بل هو مفيد
فائدة جديدة **فاذا طعمتم** اي اكلتم الطعام يقال طعم بكسر العين يطعم بفتحها طعما كفهم
طعما كقفل وفي الخطيب اذا اكلتم طعاما او شربتم شرابا **فانتشروا** اي اذهبوا حيث شئتم في
الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب والمراد الالزام بالخروج من المنزل الذي وقعت الدعوة اليه
عند انقضاء المقصود من الاكل ولا تدخلوا ساعين **ولا** تمكثوا **مستانسين لحديث** يستانس
بعضكم ببعض لاجل حديث يحدثه به يقال انست به انسا من باب علم وفي لغة من باب ضرب
والانس بالضم اسم منه واستانست به وتانست به اذا سكن القلب ولم ينفر **ان ذلكم** اي
الانتظار والمكث والاستيناس للحديث واشير اليهما بما يشار به الى الواحد بتاويلهما بالمذكور كما
في قوله تعالى عوان بين ذلك اي ان ذلك المذكور من الامرين **كان** في علم الله **يؤذي النبي** لانهم كانوا
يضيقون عليه المنزل وعلى اهله ويتحدثون بما لا يريده قال الزجاج كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل
اطالتهم كرما منه فيصبر على الاذى في ذلك فعلم الله من يحضره الادب فصار ادبا لهم ولمن بعدهم
فيستحيي منكم اي يستحيي ان يقول لكم قوموا واخرجوا **والله لا يستحيي من الحق** اي لا يترك ان يبين لكم

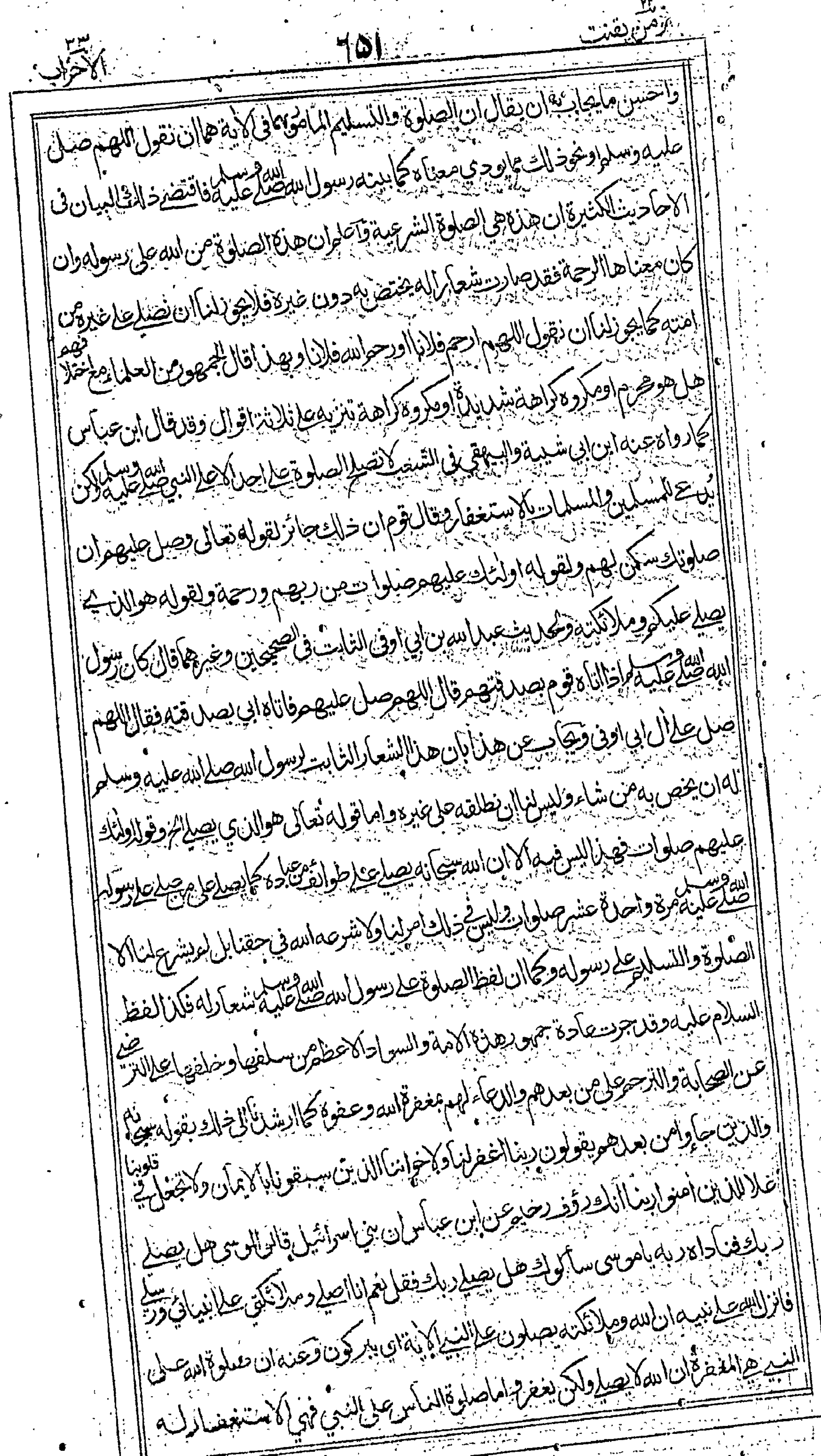
ما هو الحق ولا يمتنع من بيانه وإظهاره والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرأ الجمهور
يستحيي بيائين وروي عن ابن كثير انه قرأ بياء واحدة وهي لغة تميم يقولون استحى يستحي مثل استقى
يستقي وهذا ادب ادّب الله به الثقلاء وعن عائشة حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم
وقال اذا طعمتم فانتشروا ثم ذكر سبحانه ادبا آخر متعلقا بنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقال وإذا سألتموهن
اي ازواج النبي صلى الله عليه وسلم متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره والمتاع يطلق على كل ما
يتمتع به فلا وجه لما قيل من ان المراد به العارية او الفتوى او المصحف فاسألوهن المتاع من وراء
حجاب اي من وراء ستر بينكم وبينهن فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من
نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت او غير متنقبة ذلكم اي سؤال المتاع من وراء الحجاب
وقيل الاشارة الى جميع ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول
وسؤال المتاع والاول اولى واسم الاشارة مبتدء وخبره قوله أطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر
تطهيرا لها من الريبة وخواطر السوء التي تعرض للرجال في امر النساء وللنساء في امر الرجال وابعد
للتهمة واقوى في الحماية وفي هذا ادب لكل مؤمن وتحذير له من ان يثق بنفسه في الخلوة مع من
لا تحل له والمكالمة من دون حجاب لمن تحرم عليه فان مجانبة ذلك احسن بحاله واحصن لنفسه
واتم لعصمته وما كان اي ما صح ولا استقام لكم ان تؤذوا رسول الله بشيء من الاشياء كائنا
ما كان ومن جملة ذلك دخول بيوته بغير اذن منه واللبث فيها على غير الوجه الذي يريده و
تكليم نسائه من دون حجاب ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي ولا كان لكم ذلك بعد
وفاته او فراقه لانهن امهات المؤمنين ولا يحل للاولاد نكاح الامهات قال ابن عباس في الاية نزلت في
رجل هم ان يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته قال سفيان وذكروا انها عائشة
وعن السدي قال بلغنا ان طلحة بن عبيد الله قال أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من
بعدنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده فنزلت هذه الاية وعن قتادة قال
قال طلحة بن عبيد الله لو قبض النبي صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة فنزلت وعن ابي بكر محمد بن عمرو بن
حزم قال نزلت في طلحة لانه قال اذا توفي النبي صلى الله عليه وسلم تزوجت عائشة قال ابن عطية وهذا عندي
لا يصح على طلحة قال القرطبي قال شيخنا الامام ابو العباس وقد حكي هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة

وحاشاهم عن مثله وانما الكذب في نقله وانما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال وعن
ابن عباس قال قال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عائشة
وام سلمة فانزل الله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الآية وعنه ان رجلا اتى بعض ازواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكلمها وهو ابن عمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقومن هذا المقام بعد يومك هذا
فقال يا رسول الله انها ابنة عمي والله ما قلت لها منكرا ولا قالت لي قال النبي صلى الله عليه وسلم قد عرفت
ذلك انه ليس احد اغير من الله وانه ليس احد اغير مني فمضى ثم قال يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجنها
من بعده فانزل الله هذه الآية فاعتق ذلك الرجل رقبة وحمل على عشرة ابعرة في سبيل الله وحج
ماشيا توبة من كلمته وعن اسماء بنت عميس قالت خطبني علي فبلغ ذلك فاطمة فاتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت ان اسماء متزوجة عليا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما كان لها ان تؤذي الله ورسوله والذي
جرى عليه الرملي في شرح المنهاج ان من عقد عليها النبي صلى الله عليه وسلم تحرم على غيره سواء دخل
بها صلى الله عليه وسلم اولا واما حكم امائه فمن دخل بها منهن حرمت على غيره والا فلا ان ذلكم اي
نكاح ازواجه من بعده كان عند الله عظيما اي ذنبا عظيما وخطبا هائلا شديدا وهذا
من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه
وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله
لئلا تنكح بعده ان تبدوا شيئا اي تظهروه على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله
كان بكل شيء عليما يعلم كل شيء من الاشياء ومن جملة ذلك ما تظهرونه في شان ازواج رسول الله
وما تكتمونه في صدوركم وفي هذا وعيد شديد لان احاطته بالمعلومات تستلزم المجازاة على
خيرها وشرها قال ابو امامة بن سهل في الآية ان تكلموا به فتقولون نتزوج فلانة لبعض
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم او تخفوا ذلك في انفسكم فلا تنطقوا به يعلمه الله ثم بين سبحانه من
لا يلزم الحجاب منه فقال لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا
ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن فهؤلاء لا يجب على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على
غيرهن من النساء الاحتجاب منهم في رؤية وكلام ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى
الوالدين وقال الزجاج العم والخال ربما يصفان المرأة لولديهما فان المرأة تحل لابن العم وابن الخال

يذكر بعينها الرؤية وقد [illegible] من غيرها ثم يجوز
له النظر اليها لا سيما ابناء الاخوة وابناء الاخوات واللازم باطل فالملزوم مثله وهكذا يستلزم
ان لا يجوز للنساء الاجنبيات ان ينظرن اليها لانهن يصفنها واللازم باطل فالملزوم مثله فهكذا
لا وجه لما قاله الشعبي وعكرمة من انه يكره للمرأة ان تضع خمارها عند عمها او خالها والاولى ان يقال
انه سبحانه اقتصر ها هنا على بعض من ذكره من المحارم في سورة النور اكتفاء بما تقدم ولا نسائهن
هذه الاضافة تقتضي ان يكون المراد بالنساء المؤمنات لان الكافرات غير مأمونات على العورات
والنساء كلهن عورة فيجب على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم الاحتجاب عنهن كما يجب على سائر المسلمات اي ما عدا
ما يبدو عند المهنة اما هو فلا يجب على المسلمات حجبه وستره عن الكافرات ولهذا قيل هو خاص اي
لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام في المسلمات والكتابيات
ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء ان يروهن ويكلموهن من غير حجاب وقيل الاماء خاصة
ومن لم يبلغ من العبيد والخلاف في ذلك معروف وقد تقدم في سورة النور ما فيه كفاية
ثم امر سبحانه بالتقوى التي هي ملاك الامر كله ونقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل
فضل تشديد كانه قيل واتقين الله في كل الامور التي من جملتها ما هو مذكور هنا من الاحتجاب
اي ان يراكن احد غير هؤلاء قال ابن عباس في الاية انزلت هذه في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
ان الله كان على كل شيء من اعمال العباد شهيدا لم يغب عنه شيء من الاشياء كائنا ما كان فهو مجاز
للمحسن باحسانه وللمسيء باساءته والشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح
ان الله وملائكته يصلون على النبي هذه الاية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وموته
واظهر بها منزلته عنده تعالى والضمير في يصلون راجع الى الله والى الملائكة وفيه تشريف للملائكة
عظيم حيث جعل الضمير لهم ولله سبحانه واحدا فلا يرد الاعتراض بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم لما سمع
الخطيب يقول من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال بئس خطيب القوم
انت قل ومن يعص الله ورسوله ووجه ذلك انه ليس لاحد ان يجمع ذكر الله سبحانه مع غيره في ضمير واحد
وهذا الحديث ثابت في الصحيح وثبت ايضا في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مناديا ينادي يوم خيبر
ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الاهلية ولاهل العلم ابحاث في الجمع بين الحديثين ليس هذا

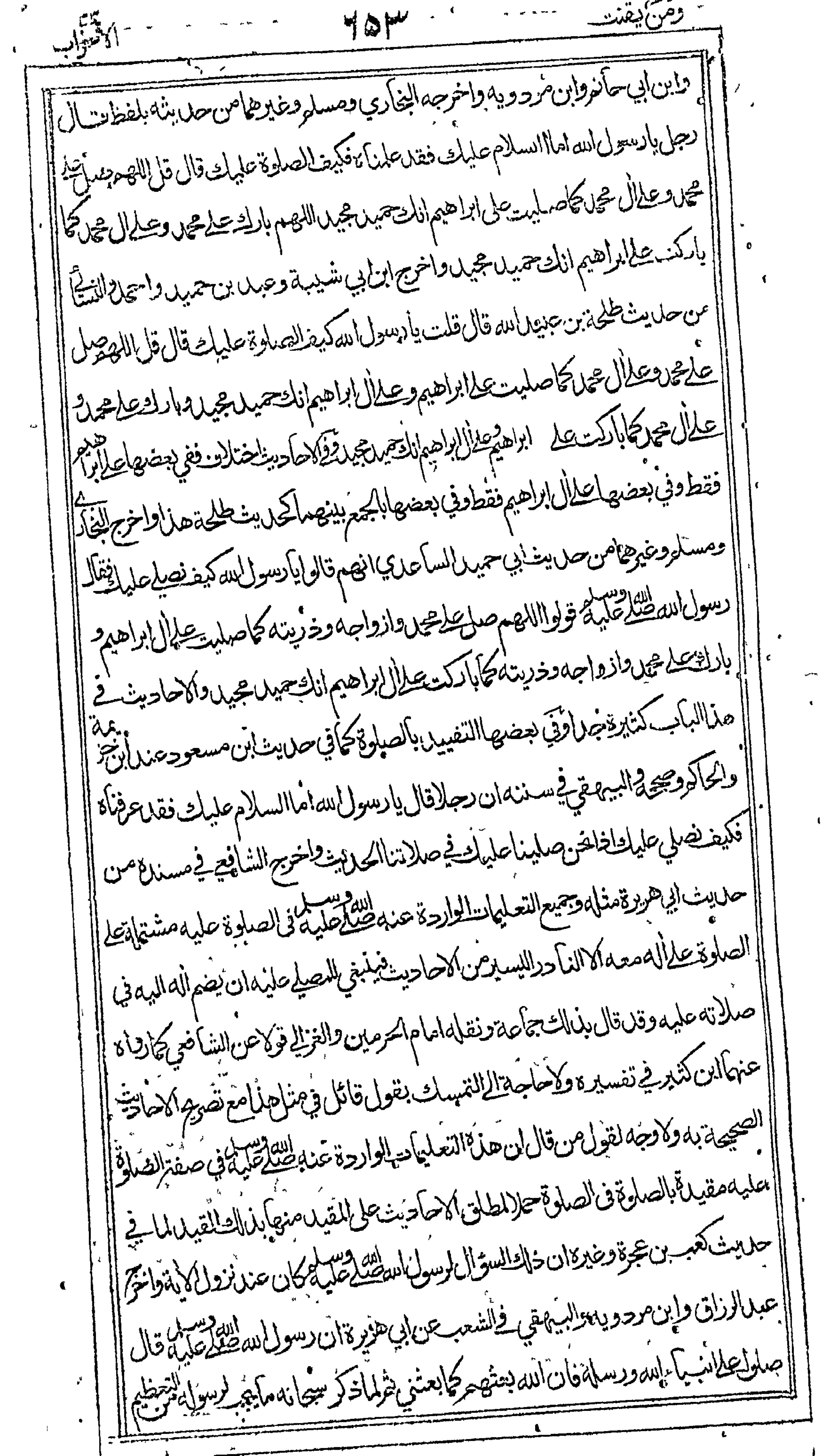
موضع ذكرها والآية مؤيدة للجواز لجعل الضمير فيها لله والملائكة واحداً والتعليل بالتشريف للملائكة
يقال مثله في رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحمل الذم لذلك الخطيب الجامع بينهما على أنه صلى الله عليه وسلم
فهم منه إرادة التسوية بين الله سبحانه وبين رسوله فيختص المنع بمثل ذلك وهذا أحسن
ما قيل في الجمع وقالت طائفة في هذه الآية حذف والتقدير إن الله يصلي وملائكته يصلون على
هذا القول فلا تكون الآية مما جمع فيه بين ذكر الله وذكر غيره في ضمير واحد ولا يرد أيضاً ما قيل
أن الصلاة من الله الرحمة ومن ملائكته الدعاء فكيف يجمع بين هذين المعنيين المختلفين في
لفظ يصلون ويقال على القول الأول أنه أريد بيصلون معنى مجازي يعم المعنيين وذلك بأن
يراد بقوله يصلون يهتمون بإظهار شرفه أو يعظمون شأنه أو يعتنون بأمره وحكى البخاري
عن أبي العالية أن صلاة الله سبحانه ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء وروى
الترمذي في سننه عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم أنهم قالوا صلاة الرب
الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار وقال عطاء بن أبي رباح صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس
سبقت رحمتي غضبي والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الأعلى
بأنه يثني عليه عند ملائكته وأن الملائكة تصلي عليه وأمر عباده بأن يقتدوا بذلك ويصلوا
عليه وقد اختلف أهل العلم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل هي واجبة أو مستحبة بعد
اتفاقهم على أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة وقد حكى هذا الإجماع القرطبي في تفسيره فقال قوم
من أهل العلم إنها واجبة عند ذكره وقال قوم تجب في كل مجلس مرة وقد وردت أحاديث مصرحة
بذم من سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصل عليه واختلف العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في
تشهد الصلاة المفروضة هل هي واجبة أم لا فذهب الجمهور إلى أنها فيها سنة مؤكدة غير واجبة
قال ابن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك
تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب
الرأي وغيرهم وهو قول جمهور أهل العلم قال وشذ الشافعي فأوجب على تاركها الإعادة مع
تعمد تركها دون النسيان وهذا القول عن الشافعي لم يروه عنه إلا حرملة بن يحيى ولا يوجد
عن الشافعي إلا من روايته قال الطحاوي لم يقل به أحد من أهل العلم غير الشافعي وقال الخطابي

وهو من الشافعية انها ليست بواجبة في الصلوة قال وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي
ولا اعلم له في ذلك قدوة انتهى وقد قال بقول الشافعي جماعة من اهل العلم منهم الشعبي و
الباقر ومقاتل بن حيان واليه ذهب احمد بن حنبل اخيرا كما حكاه ابو زرعة الدمشقي وبه
قال ابن راهويه وابن المواز من المالكية وقد جمع الشوكاني رحـ في هذه المسئلة رسالة مستقلة
ذكر فيها ما احتج به الموجبون لها وما اجاب به الجمهور وفي شرحه على المنتقى ورسالتي هداية
السائل الى ادلة المسائل ما يشفي ويكفي واشف ما يستدل به على الوجوب الحديث الثابت بلفظ
ان الله امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك في صلاتنا قال قولوا الحديث فان هذا الامر
يصلح للاستدلال به على الوجوب واما على بطلان الصلوة بالترك ووجوب الاعادة لها فلان
الواجبات لا يستلزم عدمها العدم كما يستلزم ذلك الشروط والاركان واعلم انه قد ورد في فضل الصلوة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة لو جمعت لجاءت في مصنف مستقل ولو لم يكن منها
الا الاحاديث الثابتة في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشرا فناهيك
بهذه الفضيلة الجليلة والمكرمة النبيلة واما صفة الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فقد وردت
فيها صفات كثيرة باحاديث ثابتة في الصحيحين وغيرهما منها ما هو مقيد بصفة الصلوة عليه
في الصلوة ومنها ما هو مطلق وهي معروفة في كتب الحديث فلا نطيل بذكرها والذي يحصل
به الامتثال لمطلق الامر في هذه الاية هو ان يقول القائل اللهم صل وسلم على رسولك او على محمد
او على النبي او اللهم صل على محمد وسلم ومن اراد ان يصلي ويسلم عليه بصفة من الصفات التي
ورد التعليم بها والارشاد اليها فذلك اكمل وهي صفات كثيرة قد اشتملت عليها كتب السنة المطهرة
وسيأتي بعضها وسيأتي الكلام في الصلوة على الال وكان ظاهر هذا الامر بالصلوة والتسليم
في الاية ان يقول القائل صليت عليه وسلمت عليه او الصلوة عليه والسلام عليه او عليه
الصلوة والتسليم لان الله سبحانه امرنا بايقاع الصلوة عليه والتسليم منا فالامتثال هو ان يكون
ذلك على ما ذكرنا فكيف كان الامتثال لامر الله لنا بذلك ان نقول اللهم صل عليه وسلم بمقابلة
امر الله لنا بامرنا له بان يصلي عليه ويسلم عليه وقد اجيب عن هذا بان هذه الصلوة والتسليم لما كانا شعارا
عظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتشريفا كريما وكلنا ذلك الى الله عز وجل وارجعناه اليه وهذا الجواب ضعيف



واحسن ما يجاب به ان يقال ان الصلوة والتسليم المامور بهما في الآية هما ان نقول اللهم صل
عليه وسلم او نحو ذلك مما يؤدي معناه كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتضى ذلك البيان في
الاحاديث الكثيرة ان هذه هي الصلوة الشرعية واعلم ان هذه الصلوة من الله على رسوله وان
كان معناها الرحمة فقد صارت شعارا له يختص به دون غيره فلا يجوز لنا ان نصلي على غيره من
امته كما يجوز لنا ان نقول اللهم ارحم فلانا او رحم الله فلانا وبهذا قال الجمهور من العلماء مع اختلافهم
هل هو محرم او مكروه كراهة شديدة او مكروه كراهة تنزيه على ثلاثة اقوال وقد قال ابن عباس
كما رواه عنه ابن ابي شيبة والبيهقي في الشعب لا تصلح الصلوة على احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن
يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار وقال قوم ان ذلك جائز لقوله تعالى وصل عليهم ان
صلوتك سكن لهم ولقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولقوله هو الذي
يصلي عليكم وملائكته وبحديث عبد الله بن ابي اوفى الثابت في الصحيحين وغيرهما قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم
صل على آل ابي اوفى ويجاب عن هذا بان هذا الشعار الثابت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
له ان يخص به من شاء وليس لنا ان نطلقه على غيره واما قوله تعالى هو الذي يصلي الخ وقوله اولئك
عليهم صلوات فهذا ليس فيه الا ان الله سبحانه يصلي على طوائف من عباده كما يصلي على من صلى على رسوله
صلى الله عليه وسلم مرة واحدة عشر صلوات وليس في ذلك امر لنا ولا شرعه الله في حقنا بل لم يشرع لنا الا
الصلوة والسلام على رسوله وكما ان لفظ الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار له فكذا لفظ
السلام عليه وقد جرت عادة جمهور هذه الامة والسواد الاعظم من سلفها وخلفها على الترضي
عن الصحابة والترحم على من بعدهم والدعاء لهم بمغفرة الله وعفوه كما ارشدنا الى ذلك بقوله سبحانه
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وعن ابن عباس ان بني اسرائيل قالوا لموسى هل يصلي
ربك فناداه ربه يا موسى سألوك هل يصلي ربك فقل نعم انا اصلي وملائكتي على انبيائي ورسلي
فانزل الله على نبيه ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية اي يبركون وعنه ان صلوة الله على
النبي هي المغفرة ان الله لا يصلي ولكن يغفر واما صلوة الناس على النبي فهي الاستغفار له

يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا له بالرحمة وقولوا اللهم صل على محمد او الصلوة على محمد
فاذكروا في بذلك وعن ابن عباس انه قرأ صلوا عليه كما صلى الله عليه وسلموا تسليما اي حيوه
بتحية السلام وقولوا اللهم سلم على محمد او انقادوا لامره انقيادا والاول اولى ثم هي واجبة
مرة عند الطحاوي وكلما ذكر اسمه عند الكرخي وهو الاحتياط وعليه الجمهور قال ابو السعود
وهذه الاية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا اي من غير تعرض لوجوب التكرار
وقال القسطلاني قيل هي مستحبة وقيل واجبة في التشهد الاخير من كل صلوة وعليه الشافعي وهو رواية
عن احمد وقيل تجب في الصلوة من غير تعيين المحل منها وقيل تجب في خارج الصلوة
وقيل كلما ذكر وقيل في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره فيه وقيل تجب في العمر مرة واحدة
وقيل تجب في الجملة من غير حصر وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد وتسليما مصدر
مؤكد قال الاعلام ولم تؤكد الصلوة لانها مؤكدة بقوله ان الله وملائكته الخ وقيل انه من
الاحتباك فحذف عليه من احدهما والمصدر من الاخر وقال بعض الفضلاء انه سئل في مدة لم
لم خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة ولم يذكر له جوابا قلت وقد لاح لي فيه نكتة سرية
اي شريفة وهي ان السلام تسليمه عما يؤذيه فلما جاءت هذه الاية عقيب ذكر ما يؤذي النبي
والاذية انما هي من البشر فناسب التخصيص بهم والتاكيد واليه الاشارة بما ذكر بعده قال الشهاب
واقول هذه الاية من باب الاكتفاء على حد قوله سرابيل تقيكم الحر والمعنى ان الله وملائكته يصلون
على النبي ويسلمون وقال في المواهب لم ينقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم ان يصلوا على
انبيائهم انتهى وقال في الانموذج ومن خواصه صلى الله عليه وسلم انه ليس في القران ولا غيره صلوة من
الله تعالى على غيره صلى الله عليه وسلم فهي خصيصة اختصه الله بها دون سائر الانبياء انتهى وقد ثبت
بالادلة الصحيحة القرانية وغيرها تسليم الله تعالى على غيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء والصلحاء والملائكة
التي ذكرها الشهاب لا تخلو عن تكلف وبعد تامل وعن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله و
ملائكته الاية قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال
محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد



وابن أبي حاتم وابن مردويه وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديثه بلفظ قال
رجل يا رسول الله أما السلام عليك فقد علمناه فكيف الصلوة عليك قال قل اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأحمد والنسائي
عن حديث طلحة بن عبيد الله قال قلت يا رسول الله كيف الصلوة عليك قال قل اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد و
على آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي الاحاديث اختلاف ففي بعضها على ابراهيم
فقط وفي بعضها على آل ابراهيم فقط وفي بعضها بالجمع بينهما كحديث طلحة هذا وأخرج البخاري
ومسلم وغيرهما من حديث أبي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم
وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد والاحاديث في
هذا الباب كثيرة جدا وفي بعضها التقييد بالصلوة كما في حديث ابن مسعود عند ابن خزيمة
والحاكم وصححه والبيهقي في سننه ان رجلا قال يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه
فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا الحديث وأخرج الشافعي في مسنده من
حديث أبي هريرة مثله وجميع التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في الصلوة عليه مشتملة على
الصلوة على آله معه الا النادر اليسير من الاحاديث فينبغي للمصلي عليه ان يضم آله اليه في
صلاته عليه وقد قال بذلك جماعة ونقله امام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي كما رواه
عنهما ابن كثير في تفسيره ولا حاجة الى التمسك بقول قائل في مثل هذا مع تصريح الاحاديث
الصحيحة به ولا وجه لقول من قال ان هذه التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في صفة الصلوة
عليه مقيدة بالصلوة في الصلوة حملا لمطلق الاحاديث على المقيد منها بذلك القيد لما في
حديث كعب بن عجرة وغيره ان ذلك السؤال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند نزول الآية وأخرج
عبد الرزاق وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني ثم لما ذكر سبحانه ما يجب لرسوله من التعظيم

ذكر الوعيد الشديد للذين يؤذونه فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله قيل المراد
بالاذى هنا هو فعل ما يكرهانه من المعاصي ليعم هذا القدر الايذاء الحقيقي في حق الرسول
والمجازي في حقه تعالى لاستحالة حقيقة التأذي عليه سبحانه قال الواحدي قال المفسرون هم
المشركون واليهود والنصارى وصفوا الله بالولد فقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات
الله وكذبوا رسول الله وشجوا وجهه وكسروا رباعيته وقالوا مجنون شاعر كذاب ساحر وبه قال
ابن عباس قال القرطبي وبهذا قال جمهور العلماء وقال عكرمة الاذية لله سبحانه بالتصوير والتعرض
لفعل ما لا يفعله الا الله بنحت الصور وغيرها وقال جماعة ان الآية على حذف مضاف و
التقدير ان الذين يؤذون اولياء الله وقيل معنى الاذية الالحاد في اسمائه وصفاته واما اذية
رسوله فهي كل ما يؤذيه من الاقوال والافعال ومنه ترك الاتباع وفعل التقليد لآراء الرجال
وإيثاره عليه لعنهم الله ومعنى اللعنة الطرد والابعاد من رحمته وجعل ذلك في الدنيا
والآخرة لتشملهم اللعنة فيهما بحيث لا يبقى وقت من اوقات محياهم ومماتهم الا واللعنة واقعة
عليهم مصاحبة لهم واعد لهم مع ذلك اللعن عذابا مهينا يصيرون به في الاهانة في
الدار الآخرة لما يفيده معنى الاعداد من كونه في الدار الآخرة عن ابن عباس في الآية قال نزلت في
الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيي وروي عنه انها نزلت في الذين قذفوا
عايشة ثم لما فرغ من الذم لمن آذى الله ورسوله ذكر الاذية لصالحي عباده فقال والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بوجه من وجوه الاذى من قول او فعل ومعنى قوله بغير ما اكتسبوا
انه لم يكن ذلك بسبب فعلوه يوجب عليهم الاذية ويستحقونها به وقيل يقعون فيهم ويرمونهم
بغير جرم فاما الاذية للمؤمن والمؤمنة بما كسبه مما يوجب عليه حدا او تعزيرا او نحوهما فذلك
حق اثبته الشرع وامر امرنا الله به وندبنا اليه وهكذا اذا وقع من المؤمنين والمؤمنات الابتداء
بشتم لمؤمن او مؤمنة او ضرب فان القصاص من الفاعل ليس من الاذية المحرمة على اي وجه
كان ما لم يجاوز ما شرعه الله ثم اخبر عما لهؤلاء الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
فقال فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا واضحا لا شك في كونه من البهتان والاثم وقد
تقدم بيان حقيقة البهتان وحقيقة الاثم وقيل انها نزلت في علي بن ابي طالب كانوا يؤذونه

وقيل نزلت في شان عايشة وقيل نزلت في الزناة كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء
وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف ايذاء
المؤمنين والمؤمنات ولما فرغ سبحانه من الزجر لمن يؤذي رسوله والمؤمنين والمؤمنات من عباده
امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يامر بعض من ناله الاذى ببعض ما يدفع ما يقع عليه منه فقال يا أيها
النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن جمع جلباب
وهو ثوب اكبر من الخمار وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار قال الجوهري الجلباب
الملحفة وقال الشهاب ازار واسع يلتحف به وقيل القناع وقيل هو كل ثوب يستر جميع بدن
المرأة من كساء وغيره كما ثبت في الصحيح من حديث ام عطية انها قالت يا رسول الله احدانا لا يكون
لها جلباب فقال لتلبسها اختها من جلبابها قال الواحدي قال المفسرون يغطين وجوههن
ورؤسهن الا عينا واحدة فيعلم انهن حرائر فلا يعرض لهن باذى وبه قال ابن عباس وقال
الحسن تغطي نصف وجهها وقال قتادة تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان
ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه وقال المبرد يرخينها عليهن ويغطين
بها وجوههن واعطافهن ومن للتبعيض اي ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها
تتقنع حتى تتميز عن الامة ذلك اي ادناء الجلابيب وهو مبتدأ وخبره أدنى اقرب أن
يعرفن فيتميزن عن الاماء ويظهر للناس انهن حرائر فلا يؤذين من جهة اهل الريبة
بالتعرض لهن مراقبة لهن ولاهلهن وليس المراد بقوله ذلك أدنى ان تعرف الواحدة منهن
من هي بل المراد ان يعرفن انهن حرائر لا اماء لانهن قد لبسن لبسة تختص بالحرائر قال
السبكي في الطبقات الكبرى ان من ائمة الشافعية احمد بن عيسى شارح التنبيه استنبط
من هذه الآية ان ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الاكمام والعمة ولبس
الطيلسان حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزا لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى
فتاواهم واقوالهم انتهى ومنه يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة امر مشروع ايضا انتهى اقول
ما ابرد هذا الاستنباط وما اقل نفعه لا سيما بعد ما ورد في السنة المطهرة من النهي عن الاسراف
في اللباس واطالته وقد منع عن ذلك سلف الامة وائمتها فاين هذا من ذلك وانما هو بدعة

حدثتها علماء السوء ومشائخ الدنيا وكذا قال علي القاري في شرح الشمائل لهم عمائم كالأبراج
وكمائم كالأخراج وأنكر عليهم ذلك أشد الإنكار وما ذكره من أن زي العلماء والأشراف
سنة رده ابن الحاج في المدخل بأنه مخالف لزيهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء
الراشدين ومن بعدهم من خير القرون فإن قيل إنهم به يعرفون قيل إنهم لو بقوا على
الزي الأول عرفوا به أيضا لمخالفته لما عليه غيرهم الآن وأطال في إنكار ما قالوه وقد بسطنا
القول على ذلك في حجج الكرامة بالفارسية أيضا فراجعه وكان الله غفورا لما سلف من ترك
إدناء الجلابيب رحيما بهن أو غفور الذنوب المذنبين رحيما بهم فيدخلن في ذلك دخولا
أوليا وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب
لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر فقال يا سودة أما والله ما
تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنه
ليتعشى وفي يده عرق فدخلت وقالت يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا
فأوحي إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن
وعن أبي مالك قال كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن بالليل لحاجتهن وكان ناس من المنافقين
يتعرضون لهن فيؤذين فقيل ذلك للمنافقين فقالوا إنما نفعله بالإماء فنزلت هذه الآية
يا أيها النبي قل لأزواجك الآية وعن محمد بن كعب القرظي قال كان رجل من المنافقين يتعرض
للنساء المؤمنين يؤذيهن فإذا قيل له قال كنت أحسبها أمة فأمرهن الله أن يخالفن زي الإماء
ويدنين عليهن من جلابيبهن تخمر وجهها إلا إحدى عينيها ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين
يقول ذلك أحرى أن يعرفن وعن ابن عباس في هذه الآية قال أمر الله نساء المؤمنات إذا
خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا
واحدة وعن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نساء
الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها هكذا في الرواية
بلفظ من السكينة وليس لها معنى فإن المراد تشبيه الأكسية السود بالغربان لا أن المراد وصفهن
بالسكينة كما يقال كأن على رؤوسهم الطير وعن عائشة قالت رحم الله نساء الأنصار لما نزلت

يا ايها النبي قل لازواجك الاية يشققن مروطهن فاعتجرن بها فصلين خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان على رؤسهن الغربان وعن ابن عباس في الاية قال كانت الحرة تلبس لباس
الامة فامر الله نساء المؤمنات ان يدنين عليهن من جلابيبهن وادناء الجلباب ان تقنع و
تشده على جبينها قال انس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال يالكاع
اتتشبهين بالحرائر القي القناع قلت ولكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل
والقليل العقل مثل قولك يا خسيس وذلك ان النساء في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية
متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان يتعرضون اذا
خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بحسبان الامة
فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع
فيهن طامع ثم توعد سبحانه اهل النفاق والارجاف فقال لئن لم ينته المنافقون عما
هم عليه من النفاق والذين في قلوبهم مرض اي شك وريبة عما هم عليه من الاضطراب
والمرجفون في المدينة عما يصدر منهم من الارجاف بذكر الاخبار الكاذبة المتضمنة
لتوهين جانب المسلمين وظهور المشركين عليهم قال القرطبي اهل التفسير على ان الاوصاف الثلاثة
لشيء واحد والمعنى ان المنافقين قد جمعوا بين النفاق ومرض القلوب والارجاف على المسلمين
فهو على هذا من باب قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم والواو مقحمة و
قيل الوصف متغاير ومتعدد فكان من المنافقين قوم يرجفون وقوم يتبعون النساء للريبة
وقال عكرمة وشهر بن حوشب الذين في قلوبهم مرض هم الزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه
مرض والمرض هو الزنا والارجاف في اللغة اشاعة الكذب والباطل يقال ارجف بكذا اذا اخبر به
على غير حقيقته لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة يقال رجفت الارض اي
تحركت وتزلزلت ترجف رجفا والرجفان الاضطراب الشديد وسمي البحر رجافا لاضطرابه والاراجيف
واحد الاراجيف وارجفوا في الشيء خاضوا فيه وذلك بان ناسا من المرجفين كانوا يخبرون عن
سرايا المسلمين بانهم هزموا وتارة بانهم قتلوا وتارة بانهم غلبوا ونحو ذلك مما تنكسر له قلوب
المسلمين من الاخبار فتوعدهم الله سبحانه بقوله لنغرينك بهم اي لنحرشنك فيهم ولنسلطنك عليهم

فتسلطنك عليهم بالقتل والتشريد بامرنا لك بذلك قال المبرد قد اغراه الله بهم في قوله الآتي
ملعونين اينما ثقفوا الخ فهذا فيه معنى الامر بقتلهم واخذهم اي هذا حكمهم اذا كانوا
مقيمين على النفاق والارجاف قال النحاس وهذا من احسن ما قيل في الآية واقول ليس هذا
بحسن ولا احسن فان قوله ملعونين الخ انما هو لمجرد الدعاء عليهم لانه امر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتالهم ولا تسليط له عليهم وقد قيل انهم انتهوا بعد نزول هذه الآية عن
الارجاف فلم يغره الله بهم وجملة لنغرينك بهم جواب القسم ثم لا يجاورونك فيها الا
قليلا وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم من جميع ما اصيبوا به
فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه يعني انها للتفاوت الرتبي والدلالة على ان ما بعدها
ابعد مما قبلها واعظم واشد عندهم والمعنى لا يساكنونك في المدينة الا جوارا قليلا حتى يخرجوا
او يهلكوا ملعونين اينما ثقفوا اي مطرودين اينما وجدوا وادركوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا دعاء عليهم بان يوخذوا او يقتلوا والتشديد يدل على التكثير وقيل ان هذا هو
الحكم فيهم ليس بدعاء عليهم والاول اولى وقيل معنى الآية انهم ان اصروا على النفاق لم يكن
لهم مقام بالمدينة الا وهم مطرودون ملعونون وقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم هذا فانه لما نزلت
سورة براءة جمعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقام
اخوانهم من المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد سنة الله في الذين خلوا من قبل اي
سن الله ذلك في الامم الماضية وهو لعن المنافقين واخذهم وتقتيلهم وكذا حكم المرجفين
وهو منتصب على المصدر قال الزجاج سن الله في الذين ينافقون الانبياء ويرجفون بهم ان
يقتلوا حيثما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تحويلا وتغييرا بل هي ثابتة دائمة في
امثال هؤلاء في الخلف والسلف يجريها الله مجرى واحدا في الامم لابتنائها على اساس الحكمة
التي عليها يدور فلك التشريع وقال الخطيب اي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ
فان النسخ يكون في الاقوال اما الافعال اذا وقعت والاخبار فلا تنسخ يسئلك الناس عن الساعة
اي عن وقت حصولها ووجودها وقيامها قيل السائلون عنها هم اولئك المنافقون والمرجفون
والمشركون واليهود لما توعدوا بالعذاب سألوا عن الساعة استبعادا وتكذيبا او امتحانا لان الله تعالى

عمى وقتها في التوراة وسائر الكتب قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ يعني انه سبحانه قد استأثر به ولم
يطلع عليه نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا وَمَا يُدْرِيكَ اي ما يعلمك ويخبرك يا محمد لَعَلَّ السَّاعَةَ
تَكُونُ قَرِيبًا اي في زمان قريب انتصاب قريبا على الظرفية والتذكير لكون الساعة في معنى
اليوم او الوقت مع كون التانيث ليس بحقيقي والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبيان انها اذا
كانت محجوبة عنه لا يعلم وقتها وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بغيره من الناس وفي هذا تهديد
عظيم للمستعجلين واسكات للممتحنين والمشركين ولمن يثبت علم المغيبات للانبياء والصلحاء
وغيرهم من الخلق إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ اي طردهم وابعدهم من رحمته وَأَعَدَّ لَهُمْ
في الاخرة مع ذلك اللعن منه لهم في الدنيا سَعِيرًا اي نارا شديدة التسعر خَالِدِينَ
فِيهَا اي في السعير لانها مؤنثة او لانه في معنى جهنم أَبَدًا اي بلا انقطاع وهذا تاكيد لما استفيد
من خالدين لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا يواليهم ويحفظهم من عذابها وَلَا نَصِيرًا ينصرهم ويخلصهم منها يَوْمَ
تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ اي اذكر قرئ تقلب مبنيا للمفعول وللفاعل وهو الله سبحانه و
بضم التاء وكسر اللام على معنى تقلب السعير وجوههم وقرئ بفتح التاء واللام على معنى تتقلب ومعنى هذا التقلب المذكور في الاية
هو تقلبها تارة على جهة منها وتارة على جهة اخرى ظهرا لبطن او تغير الوانهم بلفح النار
فتسود تارة وتخضر اخرى او تبديل جلودهم بجلود اخرى وخصت الوجوه لان الوجه اكرم
موضع على الانسان من جسده او يكون الوجه عبارة عن الجملة يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا
اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا الجملة مستانفة كانه قيل فما حالهم فقيل يقولون متحسرين على
ما فاتهم او حال من ضمير وجوههم او من نفس الوجوه تمنوا انهم اطاعوا الله والرسول و
امنوا بما جاء به لينجوا مما هم فيه من العذاب كما نجي المؤمنون والعدول الى الماضي للاشعار
بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اضطرار اداهم اليه ضربا من التشفي
بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وهذه الالف في الرسولا والتي تاتي في
السبيلا هي الالف التي تقع في الفواصل وتسميها النحاة الف الاطلاق لاطلاق الصوت
كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف وقد سبق بيان
هذا في اول هذه السورة وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا وقرئ ساداتنا بكسر التاء

جمع سادة فهو جمع الجمع وسادة جمع على غير قياس سواء جعل جمعا لسيد أو سائد والجملة
معطوفة على الجملة الأولى والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمتثلون
أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم وقال مقاتل هم المطعمون في غزوة بدر والأول أولى ولا وجه للتخصيص
بطائفة معينة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار وإلا فهم في مقام
التحقير والاهانة وفي هذا زجر عن التقليد شديد وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا
والتحذير منه والتنفير عنه ولكن لمن يفهم معنى كلام الله ويقتدي به وينصف من نفسه لا
لمن هو من جنس الأنعام في سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب فأضلونا السبيلا
أي عن السبيل بما زينوا لنا من الكفر بالله وبرسوله والسبيل هو التوحيد ثم دعوا عليهم في
ذلك الموقف فقالوا ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي مثلي عذابنا مرتين الضلال و
الاضلال وقال قتادة عذاب الدنيا والآخرة وقيل عذاب الكفر وعذاب الاضلال والعنهم
لعنا كبيرا أي كبيرا في نفسه شديدا عليهم ثقيل الموقع وقرئ بالمثلثة أي كثير العدد عظيم
القدر شديد الموقع يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى بقولهم انه أدر
أو برصا أو عيبا وسيأتي بيان ذلك وفيه تأديب للمؤمنين وزجر لهم من أن يدخلوا في شيء من
الأمور التي تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل وعظ الله المؤمنين أن لا يؤذوا محمدا
صلى الله عليه وسلم كما آذى بنو اسرائيل موسى وقد وقع الخلاف فيما أوذي به نبينا صلى الله عليه وسلم حتى
نزلت هذه الآية فحكى النقاش أن أذيتهم محمدا صلى الله عليه وسلم قولهم زيد بن محمد وقال أبو وائل
صلى الله عليه وسلم أقسم قسما فقال رجل من الأنصار ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وعن ابن مسعود مثله فذكر
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال رحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر أخرجه
البخاري ومسلم وغيرهما وقيل نزلت في زيد بن ثابت وزينب بنت جحش وما سمع فيهما من قالة الناس
فبرأه أي طهره الله مما قالوا وأظهر براءته لهم وما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد
البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الأمر المعيب وأذى موسى هو حديث المومسة التي أرادها
قارون على قذفه بنفسها وقد أخرج البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من

بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا الستر الا من عيب بجلده اما برص واما أدرة واما آفة وان الله
عز وجل اراد ان يبرئ موسى مما قالوا فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل
الى ثيابه لياخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه فطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر
ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن ما خلق الله وابرأه مما يقولون وقام
الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا فوالله ان بالحجر لندبا من ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا
واخرج نحوه البزار وابن الانباري وابن مردويه من حديث انس وقال ابن عباس قال له
قومه انه آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه فخرج موسى
يتبعها عريانا حتى انتهت به الى مجالس بني اسرائيل فرأوه وليس بآدر فذلك قوله فبرأه الله مما
قالوا الاية واخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود وناس من الصحابة ان الله اوحى الى موسى اني
متوف هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلقا نحو الجبل فاذا هم بشجرة وبيت فيه سرير
عليه فرش وريح طيب فلما نظر هارون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه اعجبه قال يا موسى
اني احب ان انام على هذا السرير قال نم عليه قال نم معي فلما اخذ هارون الموت قبض
رفع ذلك البيت وذهبت الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا قتلت
هارون وحسدته حب بني اسرائيل وكان هارون آلف بهم والين لهم وكان في موسى
بعض الغلاظة عليهم فلما بلغه ذلك قال ويحكم انه كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا
عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه
وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا اي عظيما ذا وجاهة والوجيه العظيم القدر الرفيع المنزلة يقال وجه الرجل
يوجه وجاهة فهو وجيه وقيل مستجاب الدعوة وقيل الوجاهة انه كلمه تكليما وقرئ عبد الله
بالموحدة من العبودية وهي حسنة قاله الكرخي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ في كل امر من
الامور وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا اي صوابا وحقا قال قتادة ومقاتل يعني في شان زيد وزينب ولا تنسبوا
النبي صلى الله عليه وسلم الى ما لا يحل وقال عكرمة ان القول السديد لا اله الا الله وقيل هو الذي يوافق
ظاهره باطنه وقيل هو ما اريد به وجه الله دون غيره وقيل هو الاصلاح بين الناس
والسديد ماخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض والظاهر من الاية انه امرهم

بان يقولوا قولا سديدا في جميع ما يأتونه ويذرونه فلا يخص ذلك نوعا دون نوع وان لم
يكن في اللفظ ما يقتضي العموم فالمقام يفيد هذا المعنى لانه ارشاد سبحانه عباده الى ان يقولوا
قولا لا يشابه قول اهل الاذى واخرج احمد وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابي موسى
الاشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر ثم قال على مكانكم اثبتوا ثم اتى الرجال
فقال ان الله امرني ان آمركم ان تتقوا الله وان تقولوا قولا سديدا ثم اتى النساء فقال ان الله
امرني ان آمركن ان تتقين الله وان تقلن قولا سديدا ثم ذكر سبحانه ما لهؤلاء الذين امتثلوا
الامر بالتقوى والقول السديد من الاجر فقال يصلح لكم اعمالكم اي يجعلها صالحة لا فاسدة
بما يهديكم اليه ويوفقكم فيه او يتقبلها ويغفر لكم ذنوبكم اي يجعلها مكفرة مغفورة ومن
يطع الله ورسوله في فعل ما هو طاعة واجتناب ما هو معصية فقد فاز فوزا عظيما اي
ظفر بالخير ظفرا عظيما ونال خير الدنيا والآخرة وهذه الجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما
قبلها ثم لما فرغ سبحانه من بيان ما هو لاهل الطاعة من الخير بعد بيان ما لاهل المعصية من
العذاب بين عظم شأن التكاليف الشرعية وصعوبة امرها فقال انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها اي خفن من الامانة ان
لا يؤدينها فيلحقهن العقاب او خفن من الخيانة فيها واختلف في تفسير هذه الآية المذكورة هنا
فقال الواحدي معنى الامانة ههنا في قول جميع المفسرين الطاعة والفرائض التي يتعلق بادائها
الثواب وبتضييعها العقاب قال القرطبي الامانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الاقوال
وهو قول الجمهور وقد اختلف في تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هي في امانة الاموال كالودائع
وغيرها وروي عنه انها في كل الفرائض واشدها امانة المال وقال ابي بن كعب من الامانة
ان اؤتمنت المرأة على فرجها وقال ابو الدرداء غسل الجنابة امانة وان الله لم يأمن ابن آدم على
شيء من دينه غيرها وقال ابن عمر اول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها
فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واللسان
امانة والبطن امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقال السدي هي ائتمان
آدم ابنه قابيل على ولده هابيل وخيانته اياه في قتله وما ابعد هذا القول وليت شعري ما هو

الذي سوغ للسدي تفسير هذه الآية بهذا فان كان ذلك لدليل دله على ذلك فلا دليل
وليست هذه الآية حكاية عن الماضين من العباد حتى يكون له في ذلك متمسك ابعد من كل
بعيد واوهن من بيت العنكبوت وان كان تفسيره هذا عملا بما تقتضيه اللغة العربية فليس
في لغة العرب ما يقتضي هذا ويوجب حمل هذه الامانة المطلقة على شيء كان في اول هذا العالم
وان كان هذا تفسيرا منه بمحض الرأي فليس الكتاب العزيز عرضة لتلاعب آراء الرجال به ولهذا
ورد الوعيد على من فسر القرآن برأيه فاحذر ايها الطالب للحق عن قبول مثل هذه التفاسير
واشدد يديك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة العربية فهو قرآن عربي كما وصفه الله
فان جاءك التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تلتفت الى غيره واذا جاء نهر الله بطل نهر
معقل وكذلك ما جاء عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم فانهم من جملة العرب ومن اهل اللغة
وممن جمع الى اللغة العربية العلم بالاصطلاحات الشرعية ولكن اذا كان معنى اللفظ اوسع مما
فسروه به في لغة العرب فعليك ان تضم الى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب واسرارها
فخذ هذه كلية تنتفع بها وقد ذكرنا في خطبة هذا التفسير ما يرشدك الى هذا قال الحسن ان
الامانة عرضت على السموات والارض والجبال فقالت وما فيها فقال لها ان احسنت اجرتك
وان اسأت عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقيل له ذلك فقال
قد تحملتها وروي نحو هذا عن غير الحسن ومجاهد قال النحاس وهذا القول هو الذي عليه اهل التفسير
وقيل هذه الامانة هي ما اودعه الله في السموات والارض والجبال وسائر المخلوقات من الدلائل
على ربوبيته ان يظهروها فاظهروها الا الانسان فانه كتمها وجحدها كذا قال بعض المتكلمين مفسرا
للقرآن برأيه الزائف فيكون على هذا معنى عرضنا اظهرنا قال جماعة من العلماء ومن المعلوم
ان الجماد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير الحياة فيها وهذا العرض في الآية هو عرض تخيير لا عرض
الزام ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة
له وقيل المراد بالعرض هو العرض على اهلها من الملائكة دون اعيانها وقال القفال وغيره العرض في هذه
الآية ضرب مثل اي ان السموات والارض والجبال على كبر اجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها
تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب اي ان التكليف امر عظيم حقه ان تعجز عنه السموات والارض والجبال

وقد كلفه الانسان وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل
وقيل ان عرضنا بمعنى عارضنا اي عارضنا الامانة بالسموات والارض والجبال فضعفت
هذه الاشياء عن الامانة ورجحت الامانة بثقلها عليها وقيل ان عرض الامانة على السموات
والارض والجبال انما كان من آدم عليه السلام وان الله امره ان يعرض ذلك عليها وهذا
ايضا تحريف لا تفسير وقد قيل ان المراد بالامانة العقل والراجح ما قدمنا عن الجمهور وما اورد
فلا يخلو عن ضعف لعدم وروده على المعنى العربي ولا انطباقه على ما يقتضيه الشرع ولا موافقته
لما يقتضيه التعريف للامانة عن ابن عباس في الآية قال الامانة الفرائض عرضها الله على السموات و
الارض والجبال ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية
ولكن تعظيما لدين الله ان لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وعنه في الآية قال
عرضت على آدم فقيل خذها بما فيها فان اطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال
قبلتها بما فيها فما كان الا ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى اصاب الذنب وعنه هي الامانات
الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا كثير
فعرض الله هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين
واكثر السلف وانما اتى في قوله فابين بضمير كضمير الاناث لان جمع التكسير غير العاقل يجوز فيه
ذلك وان كان مذكرا وانما ذكرناه لئلا يتوهم انه قد غلب المؤنث وهو السموات على المذكر
وهو الجبال وحملها الانسان اي التزم بحقها وهو آدم بعد عرضها عليه قيل انه كلف الانسان
حملها بلغ من عظمه وثقل حمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده
ان يحمله ويشتغل به فابى حمله واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وضعف قوته قال
الزجاج معنى حملها خان فيها وجعل الآية في الكفار والفساق والعصاة وقيل معنى حملها كلفها
والزمها او صار مستعدا لها بالفطرة او حملها عند عرضها عليه في عالم الذر عند خروج ذرية آدم
من ظهره واخذ الميثاق عليهم انه كان ظلوما جهولا اي وهو في ذلك الحمل ظلوم لنفسه بحمله
لما يلزمه او جهول لقدر ما دخل فيه كما قال سعيد بن جبير او جهول بربه كما قال الحسن
وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث

حمل الامانة ولم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب
وما جاء القرآن الا على اساليبهم في تفسير الاية اقوال اخر والاول اولى وهو قول السلف
ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات متعلق بحملها اي حملها الانسان
ليعذب الله العاصي ويثيب المطيع وعلى هذا فجملة انه كان ظلوما جهولا معترضة بين الجملة وغايتها
للايذان بعدم وفائه بما تحمله قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان ليعذبهم بما خانوا من
الامانة وكذبوا من الرسل ونقضوا من الميثاق الذي اقروا به حين اخرجوا من ظهر آدم وقال
الحسن وقتادة هؤلاء المعذبون هم الذين خانوها وهؤلاء الذين يتوب الله عليهم هم الذين
ادوها والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موضع الاضمار
وثانيا في قوله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية
لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله اعلم اي يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة قال
ابن قتيبة اي عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن
فيعود عليه بالمغفرة والرحمة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات ولذلك ذكر بلفظ
التوبة فدل على ان المؤمن العاصي خارج من العذاب وكان الله غفورا اي كثير المغفرة للمؤمنين
التائبين من عباده اذا قصروا في شيء مما يجب عليهم من الامانة وغيرها حيث عفا عن فرطاتهم
رحيما بهم حيث اثابهم بالعفو على طاعتهم مكرما لهم بانواع الكرم وقد وردت احاديث كثيرة
في الحث على الامانة وذكر رفعها عن القلوب عند قرب الساعة فلا نطول بذكرها

سورة سبأ هي اربع وخمسون آية وهي مكية

قال القرطبي في قول الجميع الا آية واحدة اختلف فيها وهي قوله ويرى الذين اوتوا العلم
الذي انزل اليك فقالت فرقة هي مكية وقالت فرقة هي مدنية وسيأتي الخلاف في معنى هذه
الاية ان شاء الله تعالى وفيمن نزلت وعن ابن عباس قال نزلت سورة سبأ بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله التعريف ان اجري على المعهود فهو ما حمد به نفسه محمود وان اجري على الاستغراق
فالتعريف مشعر باستحقاق جميع افراد الحمد لله سبحانه على ما تقدم تحقيقه في فاتحة الكتاب
وقيل معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه واللام لام التمليك لانه
خالق ناطق الحمد اصلا فكان بملكه مالك الحمد للتحميد اهلا وقيل هي لام التخصيص والمعنى متقارب
لي وله بكل المحامد الاختصاص الذي له ما في السموات وما في الارض معناه ان جميع
ما هو فيهما في ملكه وتحت تصرفه يفعل به ما يشاء ويحكم فيه بما يريد فكل نعمة واصلة
الى العبد فهي مما خلقه له ومنّ به عليه فحمده على ما في السموات والارض هو حمد له على النعم
التي انعم بها على خلقه مما خلقه لهم ولما بين ان الحمد الدنيوي من عباده الحامدين له مختص به
بيّن ان الحمد الاخروي مختص به كذلك ايضا فقال وله الحمد في الآخرة كما له في الدنيا لان النعم
في الدارين كلها منه وقيل ان له على الاختصاص حمد عباده الذي يحمدونه في الدار الآخرة
اذا دخلوا الجنة كما في قوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقوله الحمد لله الذي هدانا
لهذا او قوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقوله الحمد لله الذي احلنا دار المقامة من فضله
وقوله اخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فهو سبحانه المحمود في الآخرة كما انه المحمود في الدنيا
وهو المالك للآخرة كما انه المالك للدنيا غير ان الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثمّ لا
التكليف وانما يحمد اهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر العظيم كما ورد انهم يلهمون التسبيح
والحمد كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امر الدارين الخبير بامر خلقه فيهما وبضماير
من يحمده ليوم الجزاء والعرض ثم ذكر سبحانه بعض ما يحيط به علمه من امور السموات والارض التي نيطت
بها مصالحهم الدينية والدنيوية فقال يعلم ما يلج في الارض اي ما يدخل ويوضع فيها من مطر
او كنز او دفين او اموات وما يخرج منها من زرع ونبات وحيوان وشجر وعيون ومعادن واموات
اذا بعثوا وما ينزل من السماء من الامطار والسروج والثلج والبرد والصواعق وانواع البركات
ومن ذلك ما ينزل منها من ملائكته وكتبه الى انبيائه وقرئ ينزل مسندا الى ما ونزل مشددا
مسندا الى الله سبحانه وما يعرج فيها اي في السماء من الملائكة واعمال العباد والدعوات وضمن
العروج معنى الاستقرار فعداه بفي دون الى والسماء جهة العلو مطلقا وهو الرحيم بعباده

الغفور لذنوبهم وتفريطهم في اداء ما وجب عليهم من شكر نعمه وقال الذين كفروا
لا تأتينا الساعة المراد بهؤلاء القائلين جنس الكفرة على الاطلاق او كفار مكة على الخصوص
والاول اولى والمعنى لا تأتي بحال من الاحوال انكارا منهم لوجودها بالكلية لا لمجرد اتيانها في حال
تكلمهم او في حال حياتهم مع تحقق وجودها فيما بعد وانما عبروا عنها بذلك لانهم كانوا يوعدون
باتيانها فرد الله عليهم كلامهم واثبت ما نفوه وامر رسوله ان يقول لهم قل بلى على معنى ليس
الامر الا اتيانها وربي لتأتينكم وهذا القسم لتاكيد الاتيان على اتم الوجوه واكملها قرئ لتأتينكم
بالفوقية اي الساعة وبالتحتية على تاويل الساعة باليوم او الوقت كانه قال ليأتينكم البعث او امره
كما قال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك عالم الغيب تقوية للتاكيد لان
تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به يوذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة اثباته وصحته لما
ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر لا يعزب عنه لا يغيب عنه ولا يستتر عليه ولا يبعد عنه من عزب
يعزب بكسر الزاي اذا غاب وبعد وخفي وقرئ بضم الزاي قال الفراء والكسر احب الي وهما لغتان
مثقال ذرة اي مقدار اصغر نملة ووزن ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك
اي من مثقال ذرة وفيه اشارة الى ان مثقال لم يذكر للتحديد بل الاصغر منه لا يعزب ايضا ولم يقتصر
على الاصغر لتوهم متوهم انه يثبت الصغائر لكونها محل النسيان واما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى
اثباته فقال ولا اكبر منه الا في كتاب مبين اي الا هو مثبت في اللوح المحفوظ الذي اشتمل على
معلومات الله سبحانه ومكتوب فيه فهو مؤكد لنفي العزوب ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات اللام للتعليل لقوله لتأتينكم اي اتيان الساعة فائدته جزاء المؤمنين بالثواب
اولئك اي الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم اي حسن
هو الجنة بسبب ايمانهم وعملهم الصالح مع التفضل عليهم من الله سبحانه ثم ذكر فريق الكافرين
الذين يعاقبون عند اتيان الساعة فقال والذين سعوا في ابطال آياتنا المنزلة على الرسل
وقدحوا فيها وصدوا الناس عنها وجاهدوا في ردها بالطعن فيها ونسبتها الى السحر والشعر و
غير ذلك لان المكذب بآية يسعى باخفاء آيات بينات فيحتاج الى السعي العظيم والجد البليغ ليروج كذبه لعله
يعجز المتمسك به معاجزين مقدرين عجزنا ومسابقين لنا يحسبون انهم يفوتوننا ولا يدركون

فذلك باعتقادهم انهم لا يبعثون يقال اعجزه وعاجزه اذا غالبه وسبقه قرئ معاجزين
ومعجزين اي مثبطين الناس عن الايمان بالآيات اُولٰئِكَ الَّذِينَ سعوا لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ
الرجز هو العذاب فمن للبيان وقيل الرجز هو اسوء العذاب واشده والاول اولى ومن ذلك
قوله فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء اَلِيْمٌ اي الشديد الالم ولما ذكر الذين سعوا
في ابطال آيات الله ذكر الذين يؤمنون بها فقال وَيَرَى اي يعلم الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ وهم
الصحابة قاله قتادة وقال مقاتل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل جميع المسلمين والاولى انه
كلام مستانف لدفع ما يقوله الذين سعوا في الآيات اي ان ذلك السعي منهم يدل على
جهلهم لانهم مخالفون لما يعلمه اهل العلم في شان الكتاب الَّذِي اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
هُوَ الْحَقَّ اي الصدق يعني انه من عند الله وَيَهْدِي اي القرآن اِلٰى صِرَاطِ معطوف على الحق عطف فعل
على اسم لانه في تاويله كما في قوله صافات ويقبضن اي وقابضات كانه قيل وهاديا و
قيل انه مستانف وفاعله ضمير يرجع الى فاعل انزل وهو القرآن والصراط الطريق اي يهدي
الى طريق الْعَزِيزِ في ملكه الْحَمِيدِ عند خلقه والمراد انه يهدي الى دين الله الاسلام وهو التوحيد
ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من كلام منكري البعث فقال وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بعضهم لبعض هَلْ
نَدُلُّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ اي نرشدكم الى رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم والتعبير برجل المنكر من باب التجاهل
كانهم لم يعرفوا منه الا انه رجل وهو عندهم اشهر من الشمس قاله الشهاب وقال القرطبي
كانوا يقصدون بذلك السخرية والهزية يُنَبِّئُكُمْ يخبركم بامر عجيب ونبأ غريب هو انكم اِذَا مُزِّقْتُمْ
كُلَّ مُمَزَّقٍ اي فرقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع وصرتم بعد موتكم رفاتا وترابا وقال الكرخي
في كل مكان تفريق من القبور وبطون الوحش والطير اِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ اي تخلقون وتنشرون
خلقا جديدا وتبعثون من قبوركم احياء وتعودون الى الصور التي كنتم عليها بعد ان تمزقت
اجسادكم كل تمزيق قال هذا القول بعضهم لبعض استهزاء بما وعدهم الله على لسان رسوله
من البعث واخرجوا الكلام مخرج التلهي به والتضاحك مما يقوله من ذلك قال الزجاج التقدير
اذا مزقتم كل ممزق بعثتم او ينبئكم بانكم تبعثون اذا مزقتم واصل المزق خرق الاشياء يقال
ثوب مزيق وممزق ومتمزق ومزوق وعن قتادة في الآية قال قال ذلك مشركوا قريش ان الكلتم

الارض وصرتم رفاتا وعظاما وتقطعتكم السباع والطير انكم ستحيون وتبعثون قالوا تكذيبا
له وجديد عند البصريين بمعنى فاعل يقال جدّ الشيء فهو جاد وعند الكوفيين بمعنى مفعول
من جدّته اي قطعته ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم ردّوا ما وعدهم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من البعث بين امرين فقالوا أفترى على الله كذبا أم به جنة اي اهو كاذب فيما قاله ام
به جنون بحيث لا يعقل ما يقوله قال قتادة اما ان يكون يكذب على الله واما ان يكون مجنونا والهمزة
في افترى همزة الاستفهام وحذفت لاجلها همزة الوصل كما تقدم في قوله اطلع الغيب ثم ردّ
عليهم سبحانه ما قالوه في رسوله فقال بل الذين لا يؤمنون بالآخرة اي ليس الامر كما زعموا
بل هم الذين ضلوا عن الفهم وادراك الحقائق فكفروا بالآخرة ولم يؤمنوا بما جاءهم به فصاروا
بسبب ذلك في العذاب الدائم في الآخرة وهم اليوم في الضلال البعيد عن الحق غاية البعد ثم
وبّخهم سبحانه بما اجترؤوا عليه من التكذيب مبينا لهم ان ذلك لم يصدر منهم الا لعدم التفكر
والتدبر في خلق السماء والارض وان من قدر على هذا الخلق العظيم لا يعجزه ان يبعث مخلوقاته
ما هو دون ذلك ويعيده الى ما كان عليه من الذات والصفات أفلم يروا الى ما بين
أيديهم وما خلفهم من السماء والارض فيه الرأيان المشهوران فقدره الزمخشري اعموا فلم
يروا وغيره يدعي ان الهمزة مقدمة على حرف العطف ومن المعلوم ان ما بين يدي الانسان
هو كل ما يقع نظره عليه من غير ان يحوّل وجهه اليه وخلفه هو كل ما لا يقع نظره عليه
حتى يحوّل نظره اليه فيعم الجهات كلها اي انهم اذا نظروا رأوا السماء قدامهم وخلفهم وكذلك
اذا نظروا الى الارض رأوها خلفهم وقدامهم فالسماء والارض محيطتان بهم فهو القادر
على ان ينزل بهم ما شاء من العذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسوله وانكارهم البعث
فهذه الآية اشتملت على امرين احدهما ان هذا الخلق الذي خلقه الله من السماء والارض
يدل على كمال القدرة على ما هو دونه من البعث كما في قوله أوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم والامر الآخر التهديد لهم بان من خلق السموات والارض
على هذه الهيئة التي قد احاطت بجميع المخلوقات فيهما قادر على تعجيل العذاب لهم كما قال
إن نشأ نخسف بهم الأرض كما خسفنا بمن كان قبلهم كقارون أو نسقط عليهم كسفا

أي قطعاً من السماء أي أسقطها على أصحاب الأيكة فكيف يأمنون ذلك وقال قتادة إن نشأ
أن يعذب بسمائه فعل وإن يشأ أن يعذب بأرضه فعل وكل خلقه له جند قرئ بالنون
وبالتحتية في الأفعال الثلاثة إن في ذلك المذكور الذي من خلق السماء والأرض من حيث
إحاطتهما بالناظرين من جميع الجوانب لآية واضحة ودلالة بينة لكل عبد منيب أي راجع
إلى ربه بالتوبة والإخلاص وخص المنيب لأنه المنتفع بالتفكر وقال قتادة منيب أي تائب مقبل
إلى الله وقال هنا الآية بالتوحيد وفيما بعد ذلك لآيات بجمعها لأن ما هنا إشارة إلى إحياء الموتى
فناسب التوحيد وما بعد إشارة إلى سبأ قبيلة تفرقت في البلاد فصاروا أفرقاناً فناسب الجمع ثم ذكر
سبحانه من عباده المنيبين إليه داود وسليمان كما قال في داود فاستغفر ربه وخر راكعا
وأناب وقال في سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب فقال ولقد آتينا داود منا
فضلاً أي آتيناه بسبب إنابته فضلاً منا على سائر الأنبياء واختلف في هذا الفضل على أقوال
فقيل النبوة وقيل الزبور وقيل العلم وقيل القوة كما في قوله واذكر عبدنا داود ذا الأيد
وقيل تسخير الجبال كما في قوله يا جبال أوبي معه وقيل التوبة وقيل الحكم بالعدل كما في قوله يا
داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق وقيل هو إلانة الحديد كما
في قوله وألنا له الحديد وقيل حسن الصوت والأولى أن يقال إن هذا الفضل المذكور هو
ما ذكره الله بعده من قوله يا جبال إلى آخر الآية أي قلنا يا جبال أوبي معه التأويب التسبيح
كما في قوله إنا سخرنا الجبال معه يسبحن قال أبو ميسرة هو التسبيح بلسان الحبشة وقال ابن عباس
أوبي سبحي وروي مثله عن مجاهد وعكرمة وابن زيد وكان إذا سبح داود سبحت الجبال معه
ومعنى تسبيحها أن الله يجعلها قادرة على ذلك أو يخلق فيها التسبيح معجزة لداود وقيل معنى أوبي
سيري معه من التأويب الذي هو سير النهار أجمع قرأ العامة أوبي على صيغة الأمر من التأويب
وهو الترجيع أو التسبيح أو السير أو النوح وقرئ أوبي بضم الهمزة أمراً من آب يؤوب إذا رجع أي ارجعي
معه وسخرنا له الطير لأن إيتاءه إياها تسخيرها له أو نادينا الجبال والطير وقال سيبويه وأبو عمرو
بن العلاء وسخرنا له الطير وقال الزجاج والنحاس يجوز أن يكون مفعولاً معه كما تقول استوى
الماء والخشبة وقال الكسائي أي آتيناه فضلاً وتسبيح الطير وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى

وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ اي جعلناه لينا له ليعمل به ما شاء قال ابن عباس كالعجين وقال الحسن كالشمع يعمله من غير نار وقال السدي كان الحديد في يده كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وكذا قال مقاتل وكان يفرغ من عمل الدرع في بعض يوم أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ اي بان اعمل او لان اعمل او ان مفسرة لقوله والنا قاله الحوفي وفيه نظر لانها لا تكون الا بعد القول او ما هو في معناه وقيل التقدير امرناه ان اعمل ولا ضرورة تدعو الى ذلك والمعنى دروعا سابغات والسوابغ الكوامل الواسعات يقال سبغ الدرع والثوب وغيرهما اذا غطى كل ما هو عليه وفضل منه فضلة وقرئ صابغات بالصاد لاجل الغين وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ السرد نسج الدروع ويقال السرد والزرد كما يقال السراد والزراد لصانع الدروع والسرد ايضا الخرز يقال سرد يسرد اذا خرز ومنه سرد الكلام اذا جاء به متواليا ومنه حديث عائشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم قال سيبويه ومنه سريد اي جري ومعنى سرد الدروع احكامها وان يكون نظام حلقها ولاء غير مختلف قال قتادة كانت الدروع قبل داود ثقالا فلذا امر هو بالتقدير فيما يجمع الخفة والحصانة اي قدر ما تاخذ من هذين المعنيين بقسطه فلا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة وقال ابن زيد التقدير الذي امر به في قدر الحلقة اي لا تعملها صغيرة فتضعف ولا يقوى الدرع على الدفاع ولا تعملها كبيرة فتثقل على لابسها وقيل ان التقدير في المسمار اي لا تجعل مسمار الدرع رقيقا فيقلق ولا غليظا فيفصم الحلق وقال ابن عباس قدر في السرد اي في حلق الحديد وعنه قال لا تدق المسامير وتوسع الحلق فتسلس ولا تغلظ المسامير وتضيق الحلق فتفصم واجعله قدرا وقال البقاعي انه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة اليها بسبب الانة الحديد والا لم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للالانة كبير فائدة وقد اخبر بعض من رأى ما تنسب اليه بغير مسامير وقال الرازي معناه انك غير مأمور به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الايام والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل فيه القوت فحسب ثم خاطب داود واهله فقال وَاعْمَلُوا صَالِحًا كما في قوله اعملوا آل داود شكرا اي وحل الامر بالعمل الصالح بقوله إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اي لا يخفى علي شيء من ذلك فاجازيكم فيه

ولسليمان الريح اي سخرنا له الريح كما قال الزجاج قرأ عاصم بالرفع على الابتداء والخبر اي و
لسليمان الريح ثابتة او مسخرة وقرئ الريح والرياح بالافراد والجمع غدوها شهر اي سيرها من
الغدو وهو بمعنى الصباح الى الزوال اي جريها من اول النهار الى الزوال شهر ورواحها اي سيرها
من الزوال الى الغروب شهر والجملة مستأنفة لبيان تسخير الريح او حالية من الريح
والمعنى انها كانت تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق
فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للمسرع ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل او ببابل
وبينهما مسيرة شهر وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند واسلنا له عين القطر
اي النحاس الذائب قال الواحدي قال المفسرون اجريت له عين الصفر ثلاثة ايام بلياليهن
كجري الماء وكان بارض اليمن وانما يعمل الناس اليوم بما اعطي سليمان ولولاها ما لان النحاس
اصلا لانه قبل سليمان لم يكن يلين اصلا لا بنار ولا بغيرها والمعنى اسلنا له عين النحاس كما النا
الحديد لداود وقال قتادة اسال الله له عينا يستعملها فيما يريد قال ابن عباس القطر
النحاس لم يقدر عليها احد بعد سليمان وانما يعمل الناس بعد فيما كان اعطي سليمان وقال
مجاهد القطر الصفر والمعنى جعلنا النحاس لسليمان في معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة
على نبوته اي كالعين النابعة من الارض ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه الاذن
مصدر مضاف الى فاعله اي مسخرا وميسرا بامر ربه ومن يزغ منهم اي ومن يعدل من
الجن عن امرنا الذي امرناه به وهو طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير قال اكثر
المفسرين وذلك في الآخرة وقيل في الدنيا قال السدي وكل الله بالجن ملكا بيده سوط من
نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة فتحرقه ثم ذكر سبحانه ما يعمله الجن
لسليمان فقال يعملون له ما يشاء من محاريب من البنيان والمحاريب في اللغة كل موضع
مرتفع وهي الابنية الرفيعة والقصور العالية والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال و
المساكن قال المبرد لا يكون المحراب الا ان يرتقى اليه بدرج ومنه قيل للذي يصلى فيه محراب
لانه يرفع ويعظم وقال مجاهد المحاريب دون القصور وقال ابو عبيدة المحراب اشرف بيوت الدار
وقال الضحاك وقتادة المراد بالمحاريب هنا المساجد وكان مما عملوا له بيت المقدس وتماثيل

جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء اي صورته بصورته من نحاس او زجاج او رخام او غير
ذلك قيل كانت هذه التماثيل صور الانبياء والملائكة والعلماء والصلحاء كانوا يصورونها
في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا وفي الحديث ان اولئك كان اذا مات
فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة ليذكروا عبادته فيجتهدوا
في العبادة وقيل هي تماثيل اشياء ليست من الحيوان وقيل صور السباع والطيور وقد استدل
بهذا على ان التصوير كان مباحا في شرع سليمان ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس قال اتخذ سليمان تماثيل من نحاس فقال يا رب انفخ فيها الروح فانها اقوى على الخدمة
فنفخ الله فيها الروح فكانت تخدمه وكان اسفنديار من بقاياهم فقيل لداود وسليمان
اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور وجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة
كالجواب جمع جابية وهي حفيرة كالحوض وقيل هي الحوض الكبير يجبى الماء اي يجمعه قال
الواحدي قال المفسرون يعني قصاعا في العظم كحياض الابل يجتمع على القصعة الواحدة الف رجل
يأكلون منها قال النحاس الاولى اثبات الياء في الجوابي ومن حذف الياء قال سبيل الالف واللام
ان يدخل على النكرة فلا يغيرها عن حالها فلما كان يقال جواب ودخلت الالف واللام اقر على
حاله فحذف الياء قال الكسائي يقال جبوت الماء وجبيته في الحوض اي جمعته والجابية
الحوض الذي يجبى فيه الماء للابل وقال النحاس والجابية القدر العظيمة والحوض العظيم الكبير
الذي يجبى فيه الشيء اي يجمع ومنه جبيت الخراج وجبيت الجراد جمعته في الكساء وقال
ابن عباس كالجوبة من الارض وقدور راسيات قال ابن عباس اثافيها منها وقال قتادة هي
قدور النحاس تكون بفارس وقال النحاس هي قدور نحتت من الجبال الصم عملتها له الشياطين
ومعنى راسيات ثابتات لا تحمل ولا تحرك لعظمها وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن
قيل انها باقية بها الى الآن ثم امرهم سبحانه بالعمل الصالح على العموم سليمان واهله فقال
اعملوا آل داود شكرا اي وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما اتاكم او
اعملوا عملا شكرا على انه صفة مصدر محذوف او اعملوا للشكر على انه مفعول له او حال
اي شاكرين او مفعول به وسميت الطاعة شكرا لانها من جملة انواعه او منصوب على المصدرية

بفعل مقدر من جنسه اي اشكروا شكرا وقيل المراد بال داود نفسه وقيل داود وسليمان
واهل بيته وقيل المعنى ارحموا اهل البلاء واسألوا ربكم العافية وسئل الجنيد عن الشكر
فقال بذل المجهود بين يدي المعبود ثم بين بعد امرهم بالشكر ان الشاكرين له من عباده ليسوا
بكثير فقال وقليل من عبادي الشكور اي العامل بطاعتي الشاكر لنعمتي قليل وقال ابن عباس
يقول قليل من عبادي الموحدين توحيدهم والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه
قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وعن ابن عباس من يشكر على
احواله كلها وقيل من يشكر على الشكر ومن يرى عجزه عن الشكر وعن داود عليه السلام انه جزأ
ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من ال داود قائم
يصلي فلما قضينا عليه الموت اي حكمنا على سليمان به والزمناه اياه ما دلهم اي الجن على
موته الا دابة الارض يعني حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وهي دويبة يقال لها سرفة و
الارض بفتح الراء اي الاكل يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة تأكل منسأته قال
البخاري يعني عصاه اي عصاته التي كان متكئا عليها والمنسأة العصى بلغة الحبشة او هي
ماخوذة من نسأت الغنم اي زجرتها قال الزجاج المنسأة التي ينسأ بها اي يطرد قرء الجمهور
منسأته بهمزة مفتوحة وقرئ بهمزة ساكنة وبالف محضة قال المبرد بعض العرب تبدل
من همزتها الفا فلما اكلتها الارضة شكرتها الجن واحبوها فهم ياتونها بالماء والطين في خروق
الخشب وزاد السدي وقالوا لها لو كنت تاكلين الطعام والشراب لاتيناك بهما فلما خر اي سقط
سليمان تبينت الجن اي ظهر لهم وانكشف من تبينت الشيء اذا علمته اي علمت الجن ان لو
كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي لو صح ما زعموه من انهم يعلمون الغيب لعلموا
بموته ولم يلبثوا بعد موته مدة طويلة في العذاب اي العمل الذي امرهم به والطاعة له وهو
اذ ذاك ميت قال مقاتل العذاب المهين الشقاء والنصب في العمل قال الواحدي قال المفسرون
كانت الناس في زمان سليمان يقولون ان الجن تعلم الغيب فلما مكث سليمان قائما على عصاه
حولا ميتا والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بموته حتى
اكلت الارضة عصاه فخر ميتا فعلموا بموته وعلم الناس ان الجن لا تعلم الغيب ويجوز ان يكون تبينت من تبين

الشيء لأمر تبينت أي ظهر وتجلى أن وما في حيزها بدل اشتمال مع تقدير محذوف أي ظهر أمر
الجن للناس أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قرأ الجمهور تبينت على البناء للفاعل
مسنداً إلى الجن وقرأ ابن عباس وغيره على البناء للمفعول ومعنى القراءتين يعرف مما قدمنا قال
ابن عباس لبث سليمان على عصاه حولاً بعد ما مات ثم خر على رأس الحول فأخذت الجن عصى مثل عصاه
ودابة مثل دابته فأرسلوها عليها فأكلتها في سنة وكان ابن عباس يقرأ فلما خر تبينت
الإنس قال سفيان وفي قراءة ابن مسعود وهم يدأبون له حولاً وأخرج البزار وابن جرير وابن
المنذر والطبراني وابن السني وغيرهم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان سليمان
إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لما أنت فتقول
لكذا وكذا فإن كانت لغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت فصلى ذات يوم فإذا شجرة نابتة
بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لأي شيء أنت قالت لخراب هذا البيت فقال
سليمان اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب فهيأ عصى فتوكأ عليها
وقبضه الله وهو متكئ عليها فمكث حولاً ميتاً والجن تعمل فأكلتها الأرضة فسقطت فعلموا عند
ذلك بموته فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وكان ابن
عباس يقرؤها كذلك فشكرت الجن للأرضة فأين ما كانت يأتونها بالماء أخرجه الحاكم و
صححه عن ابن عباس موقوفاً وأخرج الديلمي عن زيد بن أرقم مرفوعاً يقول الله إني تفضلت على
عبادي بثلاث ألقيت الدابة على الحبة ولولا ذلك لكنزها الملوك كما يكنزون الذهب والفضة
وألقيت النتن على الجسد ولولا ذلك لم يدفن حبيب حبيبه واستلبت الحزن ولولا ذلك
لذهب النسل ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك
مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن
ثلاث وخمسين سنة وقيل إن داود أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فمات
قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ربه أن
يعمي عليهم موته حتى يفرغوا عنه ولتبطل دعواهم علم الغيب روي أن افريدون جاء ليصعد
كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه ولما ذكر

سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين لها والمقصود من ذكر هذه
القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم يذكرها لقومه لعلهم يتعظون وينزجرون ويعتبرون بها فقال **لقد كان**
لسبإ المراد بها القبيلة التي هي من أولاد سبأ وهو سبأ بن يشجب بضم الجيم بن يعرب بن قحطان بن هود
قرأ الجمهور لسبإ بالتنوين على أنه اسم حي أي الحي الذين هم أولاد سبأ وقرئ لسبأ ممنوع الصرف
بتأويل القبيلة ويقوي القراءة الأولى قوله **في مسكنهم** ولو كان على تأويل القبيلة لقال في
مسكنها وقرأ الجمهور على الجمع واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم ووجه الاختيار أنها
كانت لهم منازل كثيرة ومساكن متعددة وقرئ بالإفراد ووجه الإفراد أنه مصدر يشمل
القليل والكثير أو اسم مكان وأريد به معنى الجمع وهذه المساكن التي كانت لهم هي التي يقال
لها الآن مأرب وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال وكانت أخصب البلاد وقد أخرج أحمد
والبخاري والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وغيرهم عن فروة بن مسيك المرادي قال أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم فأذن لي في قتالهم وأمرني
فلما خرجت من عنده أرسل في أثري فردني فقال ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه ومن لم
يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك وأنزل في سبأ ما أنزل فقال رجل يا رسول الله وما سبأ أرض أم
امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم
منهم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون
وحمير وكندة ومذحج وأنمار فقال رجل يا رسول الله وما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة وأخرج
أحمد وعبد بن حميد والطبراني وابن عدي والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس نحوه
بأخصر منه **آية** أي علامة دالة على كمال قدرة الله وبديع صنعه بملاحظة أحوالها السابقة
وهي نضارتها وخصبها وثمارها واللاحقة كتبديلها وعدم ثمرها ثم بين هذه الآية فقال
جنتان أي جماعتان من البساتين **عن يمين وشمال** أي هاتان الجنتان كانتا عن يمين واديهم
وشماله قد أحاطتا به من جهتيه وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وكانت مساكنهم في الوادي
والآية هي الجنتان كانت المرأة تمشي فيهما وعلى رأسها المكتل فيمتلئ من أنواع الفواكه التي يتساقط
من غير أن تمسها بيدها وقال عبد الرحمن بن زيد إن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم

انهم لم يروا فيها بعوضة ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا ولا حية ولا غير ذلك من الهوام
واذا جاء هو الركب في ثيابهم القمل ماتت عند رؤيتهم بيوتهم قال القشيري ولم يرد جنتين اثنتين
بل اراد من الجهتين يمنة ويسرة في كل جهة بساتين كثيرة واشجار وثمار تستر الناس بظلالها
وكل طائفة من تلك الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة قاله ابو السعود
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ اي قيل لهم ذلك وهذا الامر للاذن والاباحة وقيل لم يكن ثم امر ولكن
المراد تمكينهم من تلك النعم والاول اظهر وقيل انها قالت لهم الملائكة وقيل انهم خوطبوا
بذلك على لسان نبيهم والمراد بالرزق هو ثمار الجنتين وَاشْكُرُوا لَهُ على ما رزقكم من هذه
النعم واعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ مستانفة لبيان موجب الشكر والمعنى
هذه بلدة طيبة فكثيرة اشجارها وطيبة ثمارها وقيل معنى كونها طيبة انها غير سبخة وقيل
ليس فيها هوام لطيب هوائها قال مجاهد هي صنعاء وقيل كانت على ثلاثة فراسخ من صنعاء
وفي المصباح يطلق البلد والبلدة على كل موضع من الارض عامرا كان او خلاء وَرَبٌّ غَفُورٌ
اي المنعم بها عليهم رب غفور لذنوبهم فجمع لهم بين المغفرة وطيب البلدة ولم يجمع ذلك
لجميع خلقه ثم قال مقاتل المعنى وربكم ان شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب وقيل انما جمع
لهم بين طيب البلدة والمغفرة للاشارة الى ان الرزق قد يكون فيه حرام وقيل اسكنوا
بلدة واشكروا ربا ثم ذكر سبحانه ما كان منهم بعد هذه النعمة التي انعم بها عليهم فقال فَأَعْرَضُوا
عن الشكر وكفروا بالله وكذبوا انبياءهم قال السدي بعث الله الى اهل سبا ثلاثة عشر نبيا
فكذبوهم وكذا قال وهب وزاد وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة
عنا ان استطاع فذلك اعراضهم ثم لما وقع منهم الاعراض عن شكر النعمة ارسل الله عليهم
نقمة سلب بها ما انعم به عليهم كما قال فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وذلك ان الماء كان
ياتي ارض سبا من اودية اليمن فردموا ردما بين جبلين وحبسوا الماء وجعلوا في ذلك الردم
ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض وكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث
فاخصبوا وكثرت اموالهم فلما كذبوا رسلهم بعث الله جرذا فنقبت ذلك الردم حتى انتقض
فدخل الماء جنتيهم فغرقها ودفن السيل بيوتهم فهذا هو سيل العرم وهو جمع عرمة وهي السكر

التي تحبس الماء وكذا قال قتادة وغيره وقال السدي العرم اسم للسد والمعنى ارسلنا عليهم
سيل السد العرم وقال عطاء العرم اسم الوادي وقال الزجاج العرم اسم الجرذ الذي نقب
السد عليهم وهو الذي يقال له الخلد فنسب السيل اليه لكونه سبب جريانه قال ابن الاعرابي
العرم من اسماء الفار وقال مجاهد وابن ابي نجيح العرم ماء احمر ارسله الله في السد فشقه وهدمه و
قيل ان العرم اسم المطر الشديد وقيل اسم للسيل الشديد والعرامة في الاصل الشدة والشراسة
والصعوبة يقال عرم فلان اذا تشدد وتصعب وروي عن ابن الاعرابي انه قال العرم السيل
الذي لا يطاق وقال المبرد العرم كل شيء حاجز بين شيئين وعن ابن عباس قال العرم الشديد
وعنه قال واد كان باليمن كان يسيل الى مكة وبدلناهم بجنتيهم جنتين اي اهلكنا جنتيهم
اللتين كانتا مشتملتين على تلك الفواكه الطيبة والانواع الحسنة واعطيناهم بدلهما جنتين
لا خير فيهما ولا فائدة لهم فيما هو نابت فيهما وتسميتهما جنتين تهكم بهم على طريق المشاكلة ولهذا
قال ذواتي تثنية ذوات مفرد على الاصل لان اصله ذوية فالواو عين الكلمة والياء لامها
لانه مؤنث ذو وذو اصله ذوي فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفا فصار ذوات ثم حذفت
الواو تخفيفا وفي تثنيته وجهان تارة ينظر للفظه الآن فيقال ذاتان وتارة ينظر له قبل
حذف الواو فيقال ذواتان وقال السمين في تثنية ذات لغتان احدهما الرد الى الاصل فان
اصله ذوية فالعين واو واللام ياء لانها مؤنثة والثانية تثنيته على اللفظ فيقال ذاتان
اكل خمط قرئ بتنوين اكل وعدم اضافته الى خمط وقرئ بالاضافة والاولى اولى قال الخليل
الخمط ضرب من الاراك له حمل يوكل وبه قال ابن عباس وكذا قال كثير من المفسرين وقال ابو عبيدة
الخمط كل شجرة مرة ذات شوك وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك
ولا ينتفع به وقال الزجاج كل نبت فيه مرارة لا يمكن اكله وقال المبرد كل شيء يتغير الى ما لا يشتهى
يقال له خمط ومنه اللبن اذا تغير والخمط اسم للمر الحامض من كل شيء والخمط نعت لاكل او بدل
منه لان الاكل هو الخمط بعينه وقال الاخفش الاضافة احسن في كلام العرب مثل ثوب خز
ودار آجر والاولى تفسير الخمط بما ذكره الخليل ومن معه قال الجوهري الخمط ضرب من الاراك
له حمل يوكل واثل هو الشجر المعروف الشبيه بالطرفاء كذا قال الفراء وغيره قال الا انه اعظم من الطرفاء

طولا وورقه كورق الطرفاء ومنه اتخذ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الواحدة اثلة والجمع اثلات
وقال الحسن الاثل الخشب وقال ابو عبيدة هو شجر النضار والاول اولى ولا ثمر للاثل وشيء من سدر
قليل السدر شجر معروف قال الفراء هو السمر وقال الازهري السدر من الشجر سدران بري لا ينتفع به
ولا يصلح للغسول وله ثمر عفص لا يؤكل وهو الذي يسمى الضال والثاني سدر ينبت على الماء وثمره
النبق وورقه غسول يشبه شجر العناب قيل ووصف السدر بالقلة لان منه نوعا يطيب اكله
وهو النوع الثاني الذي ذكره الازهري ولذا يغرس في البساتين قال قتادة بينما شجرهم من خير
شجر اذ صيره الله من شر الشجر باعمالهم فاهلك اشجارهم المثمرة وانبت بدلها الاراك والطرفاء
والسدر ويحتمل ان يرجع قوله قليل الى جميع ما ذكر من الخمط والاثل والسدر والاشارة بقوله ذلك
الى ما تقدم من التبديل او الى مصدر جزيناهم بما كفروا اي ذلك التبديل او ذلك الجزاء
بسبب كفرهم للنعمة باعراضهم عن شكرها وهل نجازي الا الكفور اي وما نجازي هذا الجزاء
بسلب النعمة ونزول النقمة الا الشديد الكفر المتتابع قرأ الجمهور يجازى بضم التحتية وفتح الزاي على البناء للمفعول
وقرئ بالنون وكسر الزاي مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه والكفور على الاولى مرفوع وعلى الثانية منصوب
وظاهر الآية انه لا يجازى الا الكفور مع كون اهل المعاصي يجازون وقد قال قوم ان معنى الآية
انه لا يجازى هذا الجزاء وهو الاصطلام والاهلاك الا من كفر وقال مجاهد ان المؤمن تكفر عنه
سيئاته والكافر يجازى بكل عمل عمله وقال طاوس هو المناقشة في الحساب واما المؤمن فلا يناقش
وقال الحسن ان المعنى انه يجازى الكافر مثلا بمثل ورجح هذا الجواب النحاس وجعلنا بينهم اي
وكان من قصتهم انا جعلنا بين مساكنهم قبل ارسال السيل عليهم وبين القرى التي باركنا
فيها بالماء والشجر وهي قرى الشام يعني الارض المقدسة قاله ابن عباس قرى ظاهرة اي
متواصلة عامرة مخصبة وكان متجرهم من ارضهم التي هي مأرب الى الشام وكانوا يبيتون بقرية
ويقيلون باخرى حتى يرجعوا وكانوا لا يحتاجون الى زاد يحملونه من ارضهم الى الشام فهذا من
جملة الحكاية لما انعم الله به عليهم قال الحسن ان هذه القرى هي بين اليمن والشام قيل انها كانت
اربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام وقيل هي بين المدينة والشام قال المبرد
القرى الظاهرة هي المعروفة وانما قيل لها ظاهرة لظهورها اذا خرجت من هذه ظهرت لك الاخرى

فكانت قرى ظاهرة اي معروفة يقال هذا امر ظاهر اي معروف وقيل ظاهرة لاعين الناظرين
او ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اي جعلنا السير
من القرية الى القرية ومن المنزل الى المنزل مقدرا معينا واحدا وذلك نصف يوم في الغدو والرواح
فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك
كما قال المفسرون قال الفراء اي جعلنا بين كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقيل في قرية و
المبيت في اخرى الى ان يصل الى الشام وانما يبالغ الانسان في السير لعدم الزاد والماء ولخوف الطريق
فاذا وجد الزاد والامن لم يحمل نفسه المشقة بل ينزل اينما اراد والحاصل ان الله سبحانه عدد
عليهم النعم ثم ذكر ما نزل بهم من النقم ثم عاد لتعديد بقية ما انعم به عليهم مما هو خارج عن
بلدهم من اتصال القرى بينهم وبين ما يريدون السفر اليه ثم ذكر بعد ذلك تبديله بالمفاوز
والبراري كما سيأتي سيروا فيها اي قلنا لهم سيروا في تلك القرى المتصلة فهو امر تمكين اي
ومكناهم من السير فيها متى شاؤوا وفي لفظ في اشعار بشدة القرب حتى كانهم لم يخرجوا من
نفس القرى قال ابن عباس اي اذا ظعنوا من منازلهم الى ارض الشام من المقدسة ليالي و
اياما آمنين مما تخافونه وقال قتادة كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظماء كانوا يسيرون
مسيرة اربعة اشهر في امان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل ابيه لم يحركه واتى بلفظ
النكرة تنبيها على قصر اسفارهم اي كانوا لا يحتاجون الى طول السفر لوجود ما يحتاجون اليه
ثم ذكر سبحانه انهم لم يشكروا النعمة بل طلبوا التعب والكد فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وكان
هذا القول منهم بطرا وطغيانا لما سئموا النعمة ولم يصبروا على العافية فتمنوا طول الاسفار والتباعد
بين الديار وسألوا الله تعالى ان يجعل بينهم وبين الشام مكان تلك القرى المتواصلة الكثيرة الماء
والشجر والامن المفاوز والقفار والبراري المتباعدة الاقطار فاجابهم الله الى ذلك وخرب تلك
القرى المتواصلة وذهب بما فيها من الخير والماء والشجر فكانت دعوتهم هذه كدعوة بني اسرائيل
حيث قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها الآية مكان المن والسلوى وكقول
النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية قرأ
الجمهور ربنا بالنصب على انه منادى مضاف وقرأوا ايضا باعد وقرئ بعد بتشديد العين وقرأ ابن السميفع

بضم العين فعلا ماضيا فيكون معنى هذه القراءة الشكوى من بعد الاسفار وقرئ ربنا بالرفع
وباعد بفتح العين على انه فعل ماض على الابتداء والخبر والمعنى لقد باعد بيننا بين اسفارنا وروي
هذه القراءة عن ابن عباس واختارها ابو حاتم وقال لانهم ما طلبوا التبعيد انما طلبوا اقرب من ذلك
القرب الذي كان بينهم وبين الشام بالقرى المتواصلة بطرا واشرا وكفرا للنعمة وقرئ ربنا بالرفع و
بعد بفتح العين مشددة والمعنى على هذه القراءة الشكوى بان ربهم بعد بين اسفارهم مع
كونها قريبة متصلة بالقرى والشجر والماء فيكون هذا من جملة بطرهم وقرأ ابو الحسن البصري
كقراءة ابن السميفع السابقة مع رفع بين على انه الفاعل كما قيل في قوله لقد تقطع بينكم وروى
الفراء والزجاج قراءة مثل هذه القراءة لكن مع نصب بين على انه ظرف والتقدير بعد سيرنا
بين اسفارنا قال النحاس وهذه القراءات اذا اختلفت معانيها لم يجز ان يقال احدها اجود من
الاخرى كما لا يقال ذلك في اخبار الآحاد اذا اختلفت معانيها ولكن اخبر عنهم بانهم دعوا ربهم
ان يبعد بين اسفارهم فلما فعل ذلك شكوا وتضرروا ولهذا قال سبحانه وظلموا انفسهم حيث
كفروا بالله وطغوا وبطروا نعمته وتعرضوا النقمته فجعلناهم احاديث يتحدث الناس باخبارهم
وعبرة لمن بعدهم والاحاديث جمع حديث بمعنى الخبر كما في القاموس والمعنى جعلناهم ذوي احاديث
يتحدث بها من بعدهم تعجبا من فعلهم وامرهم وشانهم واعتبارا بحالهم وعاقبتهم ومزقناهم
كل ممزق اي فرقناهم كل وجه من البلاد كل التفريق بحيث لا يتوقع بعده عود اتصال وهذه الجملة مبينة لجعلهم احاديث وذلك
ان الله سبحانه لما اغرق مكانهم اذهب جنتهم تفرقوا في البلاد فصارت العرب تضرب بهم الامثال فتقول تفرقوا
ايدي سبا وذهبوا ايادي سبا والايدي هنا بمعنى الاولاد لانه يتعضد بهم وفي المفصل الايدي
الانفس كناية او مجاز قال في الكشف وهو احسن قال الشعبي فلحقت الانصار يعني الاوس والخزرج
بيثرب وغسان بالشام والازد بعمان وخزاعة بتهامة وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو
بن عامر وهو جد الانصار ولحق آل خزيمة بالعراق ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وما فعل
الله بهم لآيات بينات وعبرا ظاهرات ودلالات واضحات لكل صبار شكور اي لكل من هو كثير
الصبر عن المعاصي والشكر لله على نعمه وخص الصبار والشكور لانهما المنتفعان بالمواعظ والآيات
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه اي ظنا ظنه او صدق في ظنه والمعنى انه ظن بهم

لانه اغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك وقال ابو علي الفارسي اي صدق الظن الذي ظنه
قال مجاهد ظن ظنا فصدق فكان كما ظن وقيل ان ابليس سول له نفسه شيئا فيهم فصدق
ظنه فكانه قال ولقد صدق عليهم ظن ابليس قيل وهذه الاية خاصة باهل سبا والمعنى
انهم غيروا وبدلوا بعد ان كانوا قد امنوا بما جاءت به رسلهم وقيل هي عامة اي صدق
ابليس ظنه على الناس كلهم الا من اطاع الله قاله مجاهد والحسن قال الكلبي انه ظن انه ان
اغواهم اجابوه وان اضلهم اطاعوه فصدق ظنه فاتبعوه قال الحسن ما ضربهم بسوط ولا
بعصى وانما ظن ظنا فكان كما ظن بوسوسته وعن ابن عباس في الاية قال قال ابليس ان ادم خلق
من تراب ومن طين ومن حما مسنون خلقا ضعيفا واني خلقت من نار والنار تحرق كل شيء
لاحتنكن ذريته الا قليلا قال فصدق ظنه عليهم وانتصاب الا فريقا من المؤمنين على
الاستثناء وفيه وجهان احدهما ان يراد به بعض المؤمنين لان كثيرا من المؤمنين يذنب وينقاد
لابليس في بعض المعاصي ولم يسلم منه الا فريق وهم الذين قال الله فيهم ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان وقيل المراد به المؤمنون كلهم لانهم لم يتبعوه في اصل الدين على ان تكون من بيانية
وما كان له عليهم من سلطان اي من تسلط عليهم اي لم يكرههم على الكفر وانما كان منه
الدعاء والوسوسة والتزيين وقيل الضمير في عليهم يعود على من صدق عليهم ظن ابليس وهي
الفريق المؤمنين وقيل السلطان القوة وقيل الحجة والاستثناء في قوله الا لنعلم منقطع و
المعنى لا سلطان له عليهم ولكن ابتليناهم بوسوسته لنعلم وقال الفراء المعنى الا لنعلم ذلك عندكم
وقيل الا لتعلموا انتم وقيل ليعلم اولياؤنا والملائكة وقرئ ليعلم على البناء للمفعول والاولى حمل
العلم هنا على التمييز والاظهار كما ذكرنا وقيل الا لنعلم موجودا ما علمناه معدوما والتغير على المعلوم
لا على العلم وقيل هو متصل مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان له تسلط عليهم بحال من الاحوال
ولا لعلة من العلل الا ليتميز من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك لانه سبحانه قد علم ذلك
علما ازليا وربك على كل شيء حفيظ اي محافظ عليه فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة
اذ الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز قال مقاتل علم كل شيء من الايمان والشك قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله قرئ قل بكسر اللام على اصل التخلص من التقاء الساكنين وبضمها

اتباعا لضمة العين والدال بينهما حاجز غير حصين لسكونها وهما قراءتان سبعيتان وهذا
امر للنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول لكفار قريش او للكفار على الاطلاق هذا القول ومفعولا زعمتم محذوفان
اي زعمتموهم الهة لدلالة السياق عليهما قال مقاتل يقول ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في
سني الجوع ثم اجاب سبحانه عنهم فقال لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْاَرْضِ اي ليس لهم قدرة على
خير ولا شر ولا على جلب نفع ولا دفع ضر في امر من الامور وذكر السموات والارض لقصد التعميم لكونهما ظرف الموجودات
الخارجية وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ اي ليس للالهة في السموات والارض مشاركة لا بالخلق ولا بالملك ولا بالتصرف
وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ اي وما لله سبحانه من تلك الالهة من معين يعينه على شيء من امور
السموات والارض ومن فيهما بل هو المتفرد بالايجاد فهو الذي يعبد وعبادة غيره محال
وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ اِلَّا لِمَنْ اَذِنَ لَهُ استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع
الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له ان يشفع من الملائكة والنبيين ونحوهم
من اهل العلم والعمل ومعلوم ان هؤلاء لا يشفعون الا لمن يستحق الشفاعة لا للكافرين و
يجوز ان يكون المعنى لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المتاهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة
لمن اذن له اي لاجله وفي شانه من المستحقين للشفاعة لهم لا من عداهم من غير المستحقين لها
قيل والمراد بقوله لا تنفع الشفاعة انها لا توجد اصلا الا لمن اذن له وانما علق النفي بنفعها
لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها قرأ الجمهور اذن بفتح الهمزة اي اذن له الله سبحانه
لان اسمه سبحانه مذكور قبل هذا وقرئ على البناء للمفعول والاذن هو الله سبحانه ومثل هذه
الاية قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذا ا
تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ثم اخبر الله سبحانه عن خوف هؤلاء الشفعاء والمشفوع
لهم فقال حَتّٰى اِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قرئ مبنيا للمفعول والفاعل هو الله سبحانه وقرئ مبنيا
للفاعل وفاعله ضمير يرجع الى الله سبحانه وكلا القراءتين بتشديد الزاي ومعناه السلب
فالمفزع ازالة الفزع وقرئ مخففا قال قطرب معنى فزع اخرج ما فيها من الفزع وهو الخوف وقال
مجاهد كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة وقال ابن عباس فرج جلي وقرئ فرغ بالراء المهملة
من الفراغ والمعنى فرغ الله قلوبهم اي كشف عنها الخوف وقرأ ابن مسعود افرنقع من الافرنقاع

هو التفرق والمعنى ان الشفاعة لا تكون من احد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام كائنا من كان الا ان باذن الله سبحانه للملائكة والانبياء ونحوهم في الشفاعة لمن يستحقها وهم على غاية الفزع من الله كما قال تعالى وهم من خشيته مشفقون فاذا اذن لهم في الشفاعة فزعوا لما يقترن بتلك الحالة من الامر الهائل والخوف الشديد من ان يقع في تنفيذ ما اذن لهم فيه تقصير او يحدث شيء من اقدار الله فاذا سُرّي عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالاذن ماذا قال ربكم اي ماذا امر الله به قالوا اي فيقولون لهم قال القول الحق وهو قبول شفاعتكم للمستحقين لها دون غيرهم وهو العلي الكبير فله ان يحكم في عباده بما يشاء ويفعل ما يريد ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى وقيل هذا الفزع يكون للملائكة في كل امر يامر به الرب والمعنى لا تنفع الشفاعة الا من الملائكة الذين هم فزعون اليوم مطيعون لله دون الجمادات والشياطين وقيل ان الذين يقولون ماذا قال ربكم هم المشفوع لهم والذين اجابوهم هم الشفعاء من الملائكة والانبياء وقال الحسن وابن زيد ومجاهد معنى الآية حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين في الآخرة قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة وقيل كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال لما اوحى الجبار الى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله فقالوا الحق وقد علموا ان الله لا يقول الا حقا قال ابن عباس وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوا خروا سجدا فلما رفعوا رؤسهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير واخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم ايضا عنه قال ينزل الامر الى السماء الدنيا له وقعة كوقعة السلسلة على الصخرة فيفزع له جميع اهل السموات فيقولون ماذا قال ربكم ثم يرجعون الى انفسهم فيقولون الحق وهو العلي الكبير واخرج البخاري وابو داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير الحديث

وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابن مسعود قال اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات
صلصلة كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء
فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق اخرجه ابو داود والصلصلة صوت
الاجراس الصلبة بعضها على بعض وفي معناه احاديث ثم امر الله سبحانه رسوله ان يبكت المشركين
ويوبخهم فقال قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ اي من ينعم عليكم بهذه الارزاق التي
تتمتعون بها فان آلهتكم لا يملكون مثقال ذرة في الرزق من السماء هو المطر وما ينتفع به منها من
الشمس والقمر والنجوم والرزق من الارض هو النبات والمعادن ونحو ذلك ولما كان الكفار لا يقدرون
على جواب هذا الاستفهام ولا يقبل عقولهم نسبة هذا الرزق الى آلهتهم وربما يتوقفون في
نسبته الى الله مخافة ان تقوم عليهم الحجة امر الله رسوله بان يجيب عن ذلك فقال قُلِ اللّٰهُ اي
هو الذي يرزقكم من السموات والارض ثم امره الله سبحانه ان يخبرهم بانهم على ضلالة لكن على
وجه الانصاف في الحجة بعد ما سبق تقرير من هو على الهدى ومن هو على الضلالة فقال وَإِنَّا
أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلٰى هُدًى أَوْ فِي ضَلٰلٍ مُبِينٍ والمعنى ان احد الفريقين من الذين يوحدون الله
الخالق الرازق ويخصونه بالعبادة والذين يعبدون الجمادات التي لا تقدر على خلق ولا رزق
ولا نفع ولا ضر لعلى احد الامرين من الهدى والضلالة ومعلوم لكل عاقل ان من عبد الذي
يخلق ويرزق وينفع ويضر هو الذي على الهدى ومن عبد الذي لا يقدر على خلق ولا رزق ولا
نفع ولا ضر هو الذي على الضلالة فقد تضمن هذا الكلام بيان فريق الهدى وهم المسلمون وفريق
الضلالة وهم المشركون على وجه ابلغ من التصريح وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه
من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك قال المبرد ومعنى هذا الكلام معنى قول
المتبصر في الحجة لصاحبه احدنا كاذب وقد عرف انه الصادق المصيب وصاحبه الكاذب المخطئ انتهى
وخولف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال لان صاحب الهدى كأنه مستعل على فرس
جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه ينغمس في ظلام لا يرى اين يتوجه قال المبرد او عند البصريين
على بابها وليست للشك لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا اذا لم يرد المخبر ان يبين وهو عالم بالمعنى
وقال ابو عبيدة والفراء هي بمعنى الواو وتقديره وانا على هدى واياكم لفي ضلال مبين اي انا لعلى هدى او في

ضلال مبين وانكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز العكس وهو كون المذكور خبر الثاني وخبر الأول
محذوف كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه ثم اراد سبحانه هذا الكلام المنصف بكلام
ابلغ منه في الانصاف وادخل فيه وابعد من الجدل والمشاغبة فقال قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا
أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ اي انا ادعوكم الى ما فيه خير لكم ونفع ولا ينالني من كفركم وترككم
لاجابتي ضرر وهذا كقوله سبحانه لكم دينكم ولي دين وفي اسناد الجرم الى المسلمين ونسبة
مطلق العمل الى المخاطبين مع كون اعمال المسلمين من البر الخالص والطاعة المحضة واعمال الكفار
من المعصية البينة والاثم الواضح من الانصاف ما لا يقادر قدره والمقصود المهادنة والمتاركة
وقد قيل نسخت هذه الآية وامثالها بآية السيف ثم امره سبحانه بان يهددهم بعذاب الآخرة
لكن على وجه لا تصريح فيه فقال قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا اي يوم القيامة ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
اي يحكم ويقضي بيننا فيثيب المطيع ويعاقب العاصي وَهُوَ الْفَتَّاحُ اي الحاكم بالحق القاضي
بالصواب الْعَلِيمُ بما يتعلق بحكمه وقضائه من المصالح قيل وهذه ايضا منسوخة بآية السيف
ثم امر الله سبحانه ان يورد عليهم حجة اخرى ليظهر بها ما هم عليه من الخطأ فقال قُلْ أَرُونِيَ
الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ اي الحقتموهم بالله شركاء له وهذه الرؤية هي القلبية فيكون شركاء
هو المفعول الثالث ويجوز ان تكون هي البصرية ويكون شركاء منتصبا على الحال واراد
بامرهم باراءته الاصنام مع كونها بمرأى منه صلى الله عليه وسلم اظهار خطئهم واطلاعهم على بطلان
رأيهم اي اورنيها لانظر اي صفة فيها اقتضت الحاقها بالله تعالى في استحقاق العبادة وفيه
مزيد تبكيت لهم بعد الزامهم الحجة ثم رد عليهم ما يدعونه من الشركاء وابطل ذلك فقال كَلَّا
بَلْ اي ارتدعوا عن دعوى المشاركة بل المتفرد بالالهية هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ بالقهر والغلبة الْحَكِيمُ
بالحكمة الباهرة وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ في انتصاب كافة وجوه فقيل انه منتصب على الحال
من الكاف في ارسلناك قال الزجاج اي وما ارسلناك الا جامعا للناس بالانذار والابلاغ والكافة
بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كعلامة قال ابو حيان ان اللغة لا تساعد عليه لان كف ليس
معناه جمع بل معناه منع يقال كف يكف اي منع يمنع والمعنى الا مانعا لهم من الكفر ومنه الكف لانه
يمنع من خروج ما فيه وقيل انه منتصب على المصدرية والهاء للمبالغة كالعاقبة والعافية والمراد

انها صفة مصدر محذوف اي الا رسالة كافة وقيل انه حال من الناس والتقدير وما
ارسلناك الا للناس كافة ورد بانه لا يتقدم الحال من المجرور عليه كما هو مقرر في علم الاعراب واجيب
عنه بانه قد جوز ذلك ابو علي الفارسي وابن كيسان وابن برهان وابن ملكون وممن رجح كونها
حالا من المجرور بعدها ابن عطية وقال قدمت للاهتمام والتقوي ورده الزمخشري وقال خطأ
وقال المحلي بل هو الصحيح وقيل المعنى الا ذا كافة اي ذا منع فحذف المضاف وقيل اللام في للناس بمعنى الى
اي ما ارسلناك الى الناس الا جامعا لهم بالانذار والابلاغ او مانعا لهم من الكفر والمعاصي وعن
قتادة قال ارسل الله محمدا الى العرب والعجم فاكرمهم على الله اطوعهم له وعن جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل
لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة اخرجه
البخاري ومسلم وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وهذه درجة خص
بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم افضل الصلوة والسلام بشيرا ونذيرا حال اي مبشرا لهم
بالجنة او بالفضل لمن اقر ومنذرا لهم من النار او بالعدل لمن اصر ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ما عند الله وما لهم من النفع في ارسال الرسل فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون متى يكون
هذا الوعد الذي تعدونا به وهو قيام الساعة اخبرونا به ان كنتم صادقين قالوا هذا
على طريقة الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين فامر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يجيب عنهم فقال قل لكم ميعاد يوم اي ميقات يوم وهو يوم البعث وقيل وقت حضور الموت
وقيل اراد يوم بدر لانه كان يوم عذابهم في الدنيا وعلى كل تقدير فهذه الاضافة للبيان والميعاد
مصدر بمعنى الوعد او اسم زمان قال ابو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعنى لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون اي هذا الميعاد المضروب لكم لا تتأخرون عنه بالاستمهال
ولا تتقدمون عليه بالاستعجال بل يكون لا محالة في الوقت الذي قد قدر الله وقوعه فيه وهذا
جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار ثم ذكر سبحانه طرفا من قبائح
الكفار ونوعا من انواع كفرهم فقال وقال الذين كفروا يعني مشركي العرب لن نؤمن بهذا القرآن

النصف

ولا بالذي بين يديه اي بالدار الآخرة او ما نزل قبل القرآن من كتب الله تعالى كالتوراة والانجيل
او القيامة او الجنة والنار يعني انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله وان يكون لما دل عليه
من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر سبحانه عن حالهم في الآخرة فقال ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له والمعنى محبوسون في موقف الحساب
وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا عجيبا وحالا فظيعا يرجع بعضهم الى بعض القول اي فيما
بينهم باللوم والعتاب بعد ان كانوا في الدنيا متعاضدين متناصرين متحابين ثم بين سبحانه
تلك المراجعة فقال يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا وهم الرؤساء
المتبوعون لولا انتم صددتمونا عن الايمان بالله والاتباع لرسوله لكنا مؤمنين بالله
مصدقين لرسوله وكتابه وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا مجيبين عليهم
مستنكرين لما قالوه انحن صددناكم عن الهدى اي امنعناكم عن الايمان بعد اذ جاءكم
الهدى قالوا هذا منكرين لما ادعوه عليهم من الصد لهم وجاحدين لما نسبوه اليهم من ذلك
ثم بينوا انهم الصادون لانفسهم الممتنعون من الهدى بعد اذ جاءكم فقالوا بل كنتم
مجرمين اي مصرين على الكفر كثيري الاجرام عظيمي الآثام وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا ردا لما اجابوا به عليهم ودفعا لما نسبوه اليهم من صدهم لانفسهم بل مكر
الليل والنهار اي ابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا بل من جهة مكركم بنا ليلا ونهارا
واصل المكر في كلام العرب الخديعة والحيلة يقال مكر به اذا خدعه واحتال عليه قيل هو
طول السلامة في الدنيا وطول الامل فيها وقال الاخفش هذا مكر الليل والنهار قال النحاس
والمعنى والله اعلم بل مكركم في الليل والنهار ودعاؤكم لنا الى الكفر هو الذي حملنا على هذا وقال
سفيان الثوري بل عملكم في الليل والنهار ويجوز ان يجعل الليل والنهار ماكرين على الاسناد المجازي
كما تقرر في علم المعاني قال المبرد كما تقول العرب نهاره صائم وليله قائم وعلى الاتساع في الظرف
وهذا احسن من قول من قال ان الاضافة بمعنى في اي في الليل لان ذلك لم يثبت في غير
محل النزاع وقال قتادة مكركم في الليل والنهار وقرئ مضافا بمعنى الكرور من كر يكر اذا جاء
وذهب اي مكر الليل والنهار صدنا او صدنا مكرهما وقيل بل يكرون الاغواء مكرا دائما لا يفترون عنه

إِذْ تَأْمُرُونَنَا أي بل مكركم بنا وقت أمركم لنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا أي أشباها
وأمثالا قال المبرد يقال ند فلان فلان أي مثله وهذا قول القادة للأتباع إن ديننا الحق
وإن محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب
عداوتهم في الآخرة وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ الضمير راجع إلى الفريقين أي أضمر
الفريقان الندامة على ما فعلوا من الكفر وأخفوها عن غيرهم أو أخفاها كل منهم عن الآخر مخافة
الشماتة وقيل المراد بأسروا هنا أظهروا لأنه من الأضداد يكون تارة بمعنى الإخفاء وتارة بمعنى
الإظهار وقيل المعنى تبينت الندامة في أسرة وجوههم والجملة مستأنفة أو حال من الذين
استضعفوا والذين استكبروا وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا الأغلال جمع غل
يقال في رقبته غل من حديد أي جعلت الأغلال من الحديد في أعناق هؤلاء في النار والمراد
بالذين كفروا هم المذكورون سابقا والإظهار لمزيد الذم أو للكفار على العموم فيدخل هؤلاء
فيهم دخولا أوليا هَلْ أي ما يُجْزَوْنَ إِلَّا جزاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ في الدنيا من الشرك والكفر بالله
والمعاصي أو إلا بما كانوا يعملون على حذف الخافض ولما قص سبحانه حال من تقدم من الكفار
أتبعه بما فيه التسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وبيان أن كفر الأمم السابقة بمن أرسل إليهم من
الرسل هو كائن مستمر في الأعصار الأول فقال وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ من القرى مِنْ نَذِيرٍ ينذرهم
ويحذرهم عقاب الله إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا حال من قرية وإن كانت نكرة لوقوعها في سياق النفي والمعنى
قال متنعموها ورؤساؤها وأغنياؤها وجبابرتها وقادة الشر لرسلهم إِنَّا بِمَا أي بالذي أُرْسِلْتُمْ
بِهِ من الإيمان والتوحيد كَافِرُونَ عن أبي رزين قال كان رجلان شريكين خرج أحدهما
إلى الساحل وبقي الآخر فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل فكتب إليه
أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال
دلني عليه وكان يقرأ الكتب فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إلى ما تدعو قال إلى كذا وكذا فقال
أشهد أنك رسول الله قال وما علمك بذلك قال إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس
ومساكينهم فنزلت هذه الآية فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد أنزل تصديق ما
قلت ثم ذكر سبحانه ما افتخروا به من الأموال والأولاد وما قاسوا أحوالهم في الدار الآخرة

على الصرف هذه الدار على تقدير صحة ما انتم به الرسل فقال وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
والمعنى ان الله فضلنا عليكم بالاموال والاولاد في الدنيا وذلك يدل على انه قد رضي ما نحن عليه
من الدين وما نحن بمعذبين في الآخرة بعد احسانه الينا في الدنيا ورضاه عنا ارادوا انهم
اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وظنوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله
ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم وامر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم
ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين فقال قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر اي يضيق على من يشاء ان يضيقه عليه فهو سبحانه
قد يرزق الكافر والعاصي استدراجا له وقد يمتحن المؤمن المطيع بالتقتير توفيرا لاجره وليس مجرد
بسط الرزق لمن يبسطه له يدل على انه قد رضي عنه ورضي عمله ولا قبضه عمن قبضه عنه يدل على
انه لم يرضه ولا رضي عمله بل كل ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فقياس الدار
الآخرة على الدار الاولى في مثل هذا من الغلط البين والمغالطة الواضحة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك ومن جملة هؤلاء الاكثر من قاس امر الآخرة على الاولى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى كلام مستانف من جهته تعالى خوطب الناس بطريق التلوين والالتفات
مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق والمعنى ليسوا بالخصلة التي تقربكم عندنا قربى قال مجاهد
الزلفى القربى والزلفة القربة قال الاخفش زلفى اسم مصدر كانه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبا
قال الفراء ان التي تكون للاموال والاولاد جميعا وهو الصحيح وقيل المعنى وما جماعة اموالكم
ولا جماعة اولادكم بالتي وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التانيث
وقال الزجاج ان المعنى وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم
حذف الخبر الاول لدلالة الثاني عليه ويجوز في غير القرآن باللتين وباللاتي وباللواتي وبالذي
للاولاد خاصة اي لا تزيدكم الاموال والاولاد عندنا درجة ورفعة ولا تقربكم تقريبا الا من آمن
هو استثناء منقطع اي لكن من آمن وعمل صالحا وقيل انه متصل على ان يجعل الخطاب
عاما للكفرة والمؤمنين او على انه ابتداء كلام لا مقول لهم فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار
معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها لهم جزاء الضعف اي جزاء الزيادة وهي المراد

بقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهو من اضافة المصدر الى المفعول اي جزاء التضعيف
للحسنات في قيل لهم جزاء الاضعاف لان الضعف في معنى الجمع او من اضافة الموصوف الى صفته
اي لهم الجزاء المضاعف قال مجاهد اي تضعيف الحسنة وعن محمد بن كعب قال اذا كان الرجل
غنيا تقيا آتاه الله اجره مرتين وتلا هذه الآية وقال تضعيف الحسنة بما عملوا الباء للسببية
وهم في الغرفات اي غرفات الجنة قرئ بالجمع لقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا وفي قراءة سبعية
بالافراد بمعنى الجمع حملا لال على انها جنسية لقوله اولئك يجزون الغرفة آمنون من كل هائل
وشاغل وسائر المكاره ومن جميع ما يكرهون ثم لما ذكر سبحانه حال المؤمنين ذكر حال الكافرين
فقال والذين يسعون في آياتنا بالرد لها وابطالها والطعن فيها حال كونهم معاجزين
مسابقين لنا زاعمين انهم يفوتوننا بانفسهم او معاندين لنا بكفرهم اولئك في العذاب
اي عذاب جهنم محضرون تحضرهم الزبانية اليها لا يجدون عنها محيصا ثم كرر سبحانه ما تقدم
لقصد التاكيد للحجة والدفع لما قاله الكفرة فقال قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له اي يوسعه لمن يشاء ويضيقه على من يشاء ليس في ذلك دلالة على سعادة ولا
شقاوة وفي القاري هذا في شخص واحد باعتبار وقتين اما في المؤمن وما سبق في شخصين
او في الكافر فلا تكرار ونحوه في البيضاوي قال الشهاب بل فيه تقرير لان التوسيع والتقتير ليسا
لكرامة ولا هوان فانه لو كان كذلك لم يتصف بهما شخص واحد وما انفقتم من شيء على
انفسكم وعيالكم وقيل ما تصدقتم فهو يخلفه عليكم اي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف
يقال اخلف له واخلف عليه اذا اعطاه عوضه وبدله وذلك البدل اما في الدنيا واما في
الآخرة او فيهما معا اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب في الآخرة
الذي كل خلف دونه وقال مجاهد هذا في الآخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله اخرجه
مسلم وقال ابن عباس في الآية يعني في غير اسراف ولا تقتير وعن مجاهد والحسن مثله وعن جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلما انفق العبد من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا الا نفقة في بنيان
او معصية اخرجه الدارقطني والبيهقي واخرج نحوه ابن عدي في الكامل والبيهقي من وجه آخر

عنه مرفوعاً بأطول منه وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله عز وجل انفق يا ابن آدم انفق عليك وثبت في الصحيح من حديثه أيضاً قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقاً
خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً وعن علي بن أبي طالب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان لكل يوم نحساً فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة ثم قال اقرؤا مواضع الخلف فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما انفقتم من شيء فهو يخلفه اذا لم ينفقوا كيف يخلف اخرجه
ابن مردويه وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المعونة تنزل من السماء على قدر
المؤنة وهو خير الرازقين فان رزق العباد لبعضهم البعض انما هو بتيسير الله وتقديره و
ليسوا برازقين على الحقيقة بل على طريق المجاز كما يقال في الرجل انه يرزق عياله وفي الامير
انه يرزق جنده والرازق للامير والمأمور والكبير والصغير هو الخالق لهم ومن اخرج من العباد الى غيره شيئاً
فهو مما رزقه الله واجراه على يده قال بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم
من مشتهٍ لا يجد وكم من واجد لا يشتهي وإذ كر يوم يحشرهم جميعاً هو متصل بقوله ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون أي ولو تراهم أيضاً يوم يحشرهم الله جميعاً للحساب العابد والمعبود والمستكبر
والمستضعف ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون أي يقول تقريعاً للمشركين
وتوبيخاً لمن عبد غير الله عز وجل كما في قوله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من
دون الله وانما خصص الملائكة بالذكر مع ان بعض الكفار قد عبد غيرهم من الشياطين والاصنام
لانهم اشرف معبودات المشركين قال النحاس والمعنى ان الملائكة اذا كذبتهم كان في ذلك تبكيت
للمشركين وتقريع للكافرين وارداً على المثل السائر اياك اعني فاسمعي يا جارة قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم مستأنفة أي تنزيهاً لك أنت الذي نتولاه ونطيعه ونعبده من دونهم
ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم وليس لنا غيرك ولياً ثم صرحوا بما كان المشركون يعبدونه
فقالوا بل كانوا يعبدون الجن أي الشياطين وهم ابليس وجنوده ويزعمون انهم يرونهم انهم
ملائكة وانهم بنات الله وقيل كانوا يدخلون اجواف الاصنام ويخاطبونهم منها أكثرهم بهم
مؤمنون أي أكثر المشركين بالجن مؤمنون مصدقون لهم فيما يقولون لهم قيل والأكثر في معنى الكل

فاليوم لا يملك بعضكم وهم المعبودون لبعض وهم العابدون نفعا اي شفاعة ونجاة
ولا ضرا اي عذابا وهلاكا وانما قيل لهم هذا القول اظهارا لعجزهم وقصورهم وتبكيتا لعابديهم
وقوله ولا ضرا هو على حذف مضاف اي لا يملكون لهم دفع ضر والفاء لترتيب الاخبار به عليه لا لترتيب
ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا ونقول للذين ظلموا انفسهم
بعبادة غير الله ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا ثم ذكر سبحانه نوعا
آخر من انواع كفرهم فقال واذا تتلى عليهم آياتنا القرآنية حال كونها بينات واضحات
الدلالات ظاهرات المعاني على التوحيد قالوا ما هذا يعنون التالي لها وهو النبي صلى الله عليه وسلم
الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم اي اسلافكم من الاصنام التي كانوا
يعبدونها وقالوا ثانيا ما هذا يعنون القرآن الكريم الا افك مفترى اي كذب في حد
ذاته غير مطابق للواقع مختلق على الله من حيث نسبته اليه فمفترى تاسيس لا تاكيد وقال
الذين كفروا ثالثا للحق لما جاءهم اي لامر الدين الذي جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا
الا سحر مبين وفي تكرير الفعل والتصريح بالفاعل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وهذا الانكار
منهم خاص بالتوحيد واما انكار القرآن والمعجزة فكان متفقا عليه بين اهل الكتاب والمشركين
وقيل اريد بالاول وهو قولهم الا افك مفترى معناه وبالثاني وهو قولهم ان هذا الا سحر
مبين نظمه المعجز وقيل ان طائفة منهم قالوا انه افك وطائفة قالوا انه سحر وقيل انهم
جميعا قالوا تارة انه افك وتارة انه سحر والاول اولى وما آتيناهم من كتب يدرسونها
اي ما انزلنا على العرب كتبا سماوية دالة على صحة الاشراك يدرسون فيها ويقرؤنها وما
ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم الى الاشراك او الى الحق وينذرهم بالعذاب فليس
لتكذيبهم بالقرآن وبالرسول وجه ولا شبهة يتشبثون بها قال قتادة ما انزل الله على العرب
كتابا قبل القرآن ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم قال الفراء اي من اين كذبوك ولم ياتهم
كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه ثم خوفهم سبحانه واخبر عن عاقبتهم وعاقبة من كان
قبلهم فقال وكذب الذين من قبلهم اي من كفار القرون الخالية وما بلغوا معشار ما
آتيناهم اي ما بلغ اهل مكة من مشركي قريش وغيرهم من العرب عشر ما آتينا من قبلهم

من القوة والنعمة وكثرة المال والاولاد وطول الاعمار فاهلكهم الله كعاد وثمود وامثالهم ولم
تنفعهم قوتهم شيئا في دفع الهلاك عنهم حين كذبوا رسلهم فهؤلاء اولى بان يحل بهم العذاب
لتكذيبهم رسولهم والمعشار لغة في العشر قال الجوهري معشار الشيء عشره وفي البحر المعشار
مفعال من العشر ولم يبن على هذا الوزن من الفاظ العدد غيره وغير المرباع ومعناهما
العشر والربع وقيل المعشار عشر العشر والاول اولى وقيل ان المعنى ما بلغ من قبلهم معشار ما
آتينا هؤلاء من البينات والهدى وقيل ما بلغ من قبلهم معشار شكر ما اعطيناهم وقيل
ما اعطى الله من قبلهم معشار ما اعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان والاول اولى
وقيل المعشار عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من الف جزء قال الماوردي
وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل قلت مراعاة المبالغة في التقليل لا يسوغ لاجلها
الخروج عن المعنى العربي وقال ابن عباس في الآية يقول من القوة في الدنيا وعن ابن جريج نحوه
فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين من قبلهم على طريقة التفسير كقوله كذبت قوم
نوح فكذبوا عبدنا الآية والاولى ان يكون من عطف الخاص على العام لان التكذيب الاول لما حذف
منه المتعلق للتكذيب افاد العموم فمعناه كذبوا الكتب المنزلة والرسل المرسلة والمعجزات الواضحة
وتكذيب الرسل اخص منه وان كان مستلزما له فقد روعيت الدلالة اللفظية لا الدلالة الالتزامية
وما بينهما حال او اعتراض وقال البيضاوي لا تكرير لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب ونحوه في الكشاف
وبمثله قال الكرخي فكيف كان نكير اي فكيف كان انكاري لهم بالعذاب والعقوبة فليحذر هؤلاء
من مثل ذلك قيل وفي التقدير فاهلكناهم فكيف نكيري والنكير اسم بمعنى الانكار ثم امر الله سبحانه رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يقيم عليهم حجة ينقطعون عندها فقال قل انما اعظكم بواحدة اي احذركم
وانذركم سوء عاقبة ما انتم فيه واوصيكم بخصلة واحدة وهي ان تقوموا لله مثنى وفرادى
فهذا تفسير للخصلة الواحدة او بدل منها اي هي قيامكم وتشميركم في طلب الحق بالفكرة الصادقة
متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا لان الاجتماع يشوش الفكر ويعمي البصر ويمنع من الروية
ويقل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب وليس المراد القيام
على الرجلين ولا النهوض والانتصاب على القدمين بل المراد القيام بطلب الحق والاصغاء والاستماع الى الذي واصدق الفكر

فيه كما يقال قام فلان بأمر كذا وقيل المراد بواحدة هي لا إله إلا الله كذا قال مجاهد والسدي وقيل
القرآن لأنه يجمع المواعظ كلها والأولى ما ذكرناه وقال الزجاج المعنى لأن تقوموا وقال السدي
معنى مثنى وفرادى منفردا برأيه ومشاورا لغيره وقال القتيبي مناظرا مع عشيرته ومتفكرا في نفسه
وقيل المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل قاله الماوردي وما أبرد هذا القول وأقل جدواه وأبعده
على الحال وقدم المثنى لأن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحد فإن انقدح
الحق بين الاثنين فكر كل واحد منهما بعد ذلك فيزداد بصيرة قال الشاعر: إذا اجتمعوا جاؤوا
بكل غريبة * فيزداد بعض القوم من بعضهم علما * ثم تتفكروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به
من الكتاب فإنكم عند ذلك تعلمون أن ما بصاحبكم من جنة وذلك لأنهم كانوا يقولون إن
محمدا مجنون فقال الله سبحانه قل إنما أعظكم بواحدة وهي أن تقوموا لله وفي ذاته مجتمعين
فيقول الرجل لصاحبه هلم فلنتصادق هل رأينا بهذا الرجل من جنة أي جنون وجربنا عليه كذبا
ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيتفكر وينظر فإن في ذلك ما يدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق
وأنه رسول من عند الله وأنه ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون قال محمد بن كعب في الآية يقوم
الرجل مع الرجل أو وحده فيفكر ما بصاحبه من جنة وقال قتادة يقول إنه ليس بمجنون وقيل
مستأنفة من جهة الله سبحانه مسوقة على طريقة النظر والتأمل بأن هذا الأمر العظيم والدعوى
الكبيرة لا يعرض نفسه له إلا مجنون لا يبالي بما يقال فيه وما ينسب إليه من الكذب وقد علموا
أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا
وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فوجب أن يصدقوه في دعواه لا سيما مع انضمام المعجزة
الواضحة وإجماعهم على أنه لم يكن ممن يفتري الكذب ولا قد جربوا عليه كذبا مدة عمره وعمرهم
وقيل ثم تتفكروا أي شيء به من آثار الجنون واختار أبو حاتم وابن الأنباري الوقف على قوله ثم
تتفكروا وعلى هذا تكون جملة ما بصاحبكم من جنة مستأنفة كما قدمنا وقيل ليس بوقف لأن المعنى
ثم تتفكروا هل جربتم عليه كذبا أو رأيتم منه جنة أو في أحواله من فساد **إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ
بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** أي ما هو إلا نذير لكم بين يدي الساعة أي قدامها وهو عذاب الآخرة
وهو كقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بين يدي الساعة ثم أمره سبحانه أن يخبرهم أنه لم يكن له غرض في الدنيا

ولا رغبة فيها حتى تنقطع عندهم الشكوك ويرتفع الريب فقال قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ
اي من جعل فَهُوَ لَكُمْ يقول لم اسألكم على الاسلام جعلا اي ما طلبت منكم من جعل تجعلونه
لي على مقابل الرسالة فهو لكم وان سألتكموه والمراد نفي السؤال بالكلية كما يقول القائل ما املكه
في هذا فقد وهبته لك يريد انه لا ملك له فيه اصلا ومثل هذه الآية قوله قل لا اسألكم عليه
اجرا الا المودة في القربى وقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ثم
بين لهم ان اجره عند الله سبحانه فقال إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ لا على غيره وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ اي مطلع لا يغيب عنه منه شيء فيعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ القذف في الاصل الرمي بالسهم والحصى والكلام قال الكلبي يرمي على معنى
ياتي به وقال مقاتل يتكلم بِالْحَقِّ وهو القرآن والوحي اي يلقيه الى انبيائه وقال قتادة بالحق
اي بالوحي والمعنى انه يبين الحجة ويظهرها للناس على السن رسله وقيل يرمي الباطل بالحق
فيدمغه عَلَّامُ الْغُيُوبِ قرئ برفع علام وبنصبه قال الفراء والرفع في مثل هذا اكثر كقوله ان
ذلك لحق تخاصم اهل النار وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث في الغين وهو جمع غيب والغيب هو
الامر الذي غاب وخفي جدا قُلْ جَاءَ الْحَقُّ اي الاسلام والتوحيد وقال قتادة القرآن وقال
النحاس التقدير صاحب الحق اي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج واقول لا وجه لتقدير المضاف
فان القرآن قد جاء كما جاء صاحبه وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ اي ذهب الباطل ذهابا لم يبق
له اقبال ولا ادبار ولا ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة والابداء فعل الشيء ابتداء و
الاعادة فعله على طريق الاعادة ولما كان الانسان ما دام حيا لا يخلو عن ذلك كنى به عن حياته
وبنفيه عن هلاكه ثم شاع ذلك في كل ما ذهب ولم يبق له اثر وان لم يكن ذا روح فهو كناية
ايضا او مجاز متفرع على الكناية وقيل يجوز ان تكون ما استفهامية اي اي شيء يبدئه واي شيء
يعيده وعن قتادة قال الشيطان لا يبدئ ولا يعيد اذا هلك وعنه قال ما يخلق ابليس شيئا ابتداء
ولا يبعثه وبه قال مقاتل والكلبي وقيل الباطل الاصنام والاول اولى قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ عن الطريق
الحقة الواضحة وقرئ بفتح اللام وهذه لغة نجد وهي الفصيحة وبكسرها وهي لغة اهل العالية
فَإِنَّمَا أَضِلُّ اي اثم ضلالي يكون عَلَى نَفْسِي وقال عمر بن سعد اي اثما وخزي جنايتي في ذلك ان الكفار قالوا له

تركت دين آبائك فضللت فأمره الله أن يقول لهم هذا القول وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي
من الحكمة والموعظة والبيان بالقرآن وما مصدرية أو موصولة والتقابل هنا من جهة
المعنى دون اللفظ إنه سميع قريب مني ومنكم يعلم الهدى والضلالة وإن بولغ في إخفائهما وهذا
حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة
محله وسداد طريقته كان غيره أولى به ثم ذكر سبحانه حالاً من أحوال الكفار فقال ولو ترى إذ
فزعوا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له قيل المراد فزعهم عند نزول الموت بهم
أو غيره من بأس الله تعالى وقال الحسن هو فزعهم في القبور من الصيحة وقال قتادة هو فزعهم إذا
خرجوا من قبورهم وقال السدي هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة فلم
يستطيعوا فراراً ولا رجوعاً إلى التوبة وقال ابن معقل هو فزعهم إذا عاينوا عقاب الله يوم القيامة
وقال سعيد بن جبير هو الخسف الذي يخسف بهم في البيداء فيبقى رجل منهم فيخبر الناس
بما لقي أصحابه فيفزعون وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً عظيماً وحالاً هائلة فلا فوت أي فلا يفوتني
أحد منهم ولا ينجو منهم ناج قال مجاهد فلا مهرب وقال ابن عباس فلا نجاة وأخذوا من مكان
قريب من ظهر الأرض أو من القبور وهي قريبة من مساكنهم في الدنيا كما قاله أبو حيان أو قريب
من موقف الحساب وقيل أي قبضت أرواحهم في أماكنها فلم يمكنهم الفرار من الموت وهذا على قول
من يقول هذا الفزع عند النزع وقيل أخذوا من جهنم فألقوا فيها وقيل من حيث كانوا فهم
من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه وقال ابن عباس من تحت أقدامهم وعنه قال نزلت
في ثمانين ألفاً يغزون في آخر الزمان الكعبة ليخربوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الأخذ
من مكان قريب ذكره القرطبي وقد ثبت في الصحيح أنه يخسف بجيش في البيداء من حديث حفصة
وعائشة وخارج الصحيح من حديث أم سلمة وصفية وأبي هريرة وابن مسعود وليس في شيء منها
أن ذلك سبب نزول هذه الآية ولكنه أخرج ابن جرير من حديث حذيفة بن اليمان قصة
الخسف هذه مرفوعة وقال في آخرها فذلك قوله عز وجل في سورة سبأ ولو ترى إذ فزعوا فلا
فوت الآية وقيل يجوز أن يكون هذا الفزع هو الفزع الذي بمعنى الإجابة يقال فزع الرجل إذا أجاب
الصارخ الذي يستغيث به كفزعهم إلى الحرب يوم بدر وقالوا وقت النزع وهو وقت نزول العذاب

بهم عند الموت كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده او عند البعث فان
الكفار كلهم يؤمنون ثم آمنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم قاله قتادة او بالقرآن وقال مجاهد بالله
عز وجل وقال الحسن بالبعث ثم نفى الله عنهم نفع الايمان بقوله وأنى اي من اين لهم
التناوش اي التناول وهو تفاعل من التناوش الذي هو التناول والمعنى كيف لهم ان يتناولوا
الايمان من بعيد يعني في الآخرة وقد تركوه في الدنيا وهو معنى قوله من مكان بعيد وهو تمثيل
حالهم في طلب الخلاص بعد ما فات عنهم قال ابن السكيت يقال للرجل اذا تناول رجلا ليأخذ
برأسه او بلحيته ناشه ينوشه نوشا ومنه المناوشة في القتال وذلك اذا تدانى الفريقان
وقيل التناول الرجعة اي وأنى لهم الرجعة الى الدنيا ليؤمنوا وقال ابن عباس قال يسألون
الرد الى الدنيا وليس حين رد فقال التناوش تناول الشيء وليس حين ذلك وقال السدي هي التوبة
اي طلبوها وقد بعدت لانه انما تقبل في الدنيا وقرئ التناؤش بالواو وبالهمز واستبعد الثانية
ابو عبيد والنحاس ولا وجه للاستبعاد فقد ثبت ذلك في لغة العرب واشعارها قال الفراء
الهمزة وتركها متقارب وقد كفروا به من قبل اي والحال ان قد كفروا بما آمنوا به من قبل هذا
الوقت وذلك حال كونهم في الدنيا قيل بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب
واهوال القيامة ويقذفون بالغيب اي يرمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول من
المطاعن او في العذاب من البت على نفيه فيقولون لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار من مكان بعيد
اي من جهة بعيدة ليس فيها مستند لظنهم الباطل وهو الشبه التي تمحلوها في امر الرسول و
حال الآخرة كما حكاه من قبل وقيل المعنى يقولون في القرآن اقوالا باطلة انه سحر وشعر واساطير
الاولين وقيل يقولون في محمد صلى الله عليه وسلم انه ساحر شاعر كاهن مجنون قرئ يقذفون مبنيا للمفعول
اي يرجمون بما يسوءهم من جزاء اعمالهم من حيث لا يحتسبون وفيه تمثيل لحالهم بحال من يرمي شيئا
لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وهذا استعارة تمثيلية والجملة اما معطوفة على وقد كفروا
به على انها حكاية للحال الماضية واستحضارها لصورتها او مستأنفة لبيان تمثيل حالهم وحيل
بينهم فعل مبني للمفعول واذا بني للفاعل يقال فيه حال وهو فعل لا يتعدى ونائب الفاعل ضمير المصدر المفهوم من الفعل
كأنه قيل وحيل هو اي الحول وجعل بعضهم نائب الفاعل الظرف وهو بينهم وبين ما يشتهون من النجاة من العذاب

ومنعوا من ذلك وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من اموالهم واهليهم
او حيل بينهم وبين ما يشتهون من الرجوع الى الدنيا كما فعل باشياعهم من قبل اي بامثالهم ونظرائهم
من كفار الامم الماضية الذين كانوا قبلهم في الدنيا سابقين عليهم في الزمان والاشياع
جمع شيع وشيع جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه وانصاره وكل قوم امرهم واحد يتبع بعضهم
رأي بعض فهم شيع فالاشياع جمع الجمع انهم كانوا في شك مريب تعليل لما قبله
اي في شك موقع في الريبة او ذي ريبة من امر الرسل والبعث والجنة والنار او في التوحيد
وما جاءتهم به الرسل من الدين يقال اراب الرجل اذا صار ذا ريبة فهو مريب وقيل هو من الريب الذي
هو الشك والتهمة فهو كما يقال عجب عجيب وشعر شاعر وهذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله اعلم

سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة وهي خمس واربعون آية وهي مكية

قال القرطبي في قول الجميع واخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال نزلت سورة فاطر بمكة وهذه
السورة ختام السور المفتتحة بالحمد التي فصلت فيها النعم الاربع التي هي امهات النعم المجموعة في الفاتحة
وهي الايجاد الاول ثم الابقاء الاول ثم الايجاد الثاني المشار اليه بسورة سبأ ثم الابقاء الثاني
الذي هو اتمها واحكمها وهو الختام المشار اليه بهذه السورة المفتتحة بالابتداء قاله الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وعلى غير مادة
كذا قال المفسرون والظاهر ان هذا ليس من معنى الفطر لغة وانما اخذوه من المعنى وسياق
الكلام واصل الفطر في اللغة الشق عن الشيء يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير
اذا طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشيء تشقق وقيل الشق طولا فكأنه يشق العدم باخراجهما منه
وبابه نصر كما في المختار والفطر ايضا الابتداء والاختراع وهو المراد هنا عن ابن عباس قال كنت
لا ادري ما فاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها يقول انا ابتدأتها وعنه
الفاطر البديع والمعنى الحمد لله مبدع السموات والارض بغير مثال والمقصود من هذا ان من قدر على ابتداء

هذا الخلق العظيم فهو قادر على الاعادة وانما حمد سبحانه وتعالى نفسه بذلك تعظيماً له وتعليماً
لعباده كيفية الثناء عليه تعالى قرئ فاطر على صيغة اسم الفاعل وفطر على صيغة الفعل الماضي
جاعل الملائكة رسلاً الى عباده يجوز فيه الوجهان كما تقدم والرسل من الملائكة هم جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل فالمراد بالملائكة بعضهم اذ ليس كلهم رسلاً كما هو معلوم صرح الطيبي بأن
جاعل هنا للاستمرار فباعتبار انه يدل على المضي يصلح كونه صفة للمعرفة وباعتبار انه يدل على
الحال والاستقبال يصلح للعمل وقرئ رسلاً بسكون السين وهي لغة تميم قال يحيى بن سلام يرسلهم
الله الى الانبياء يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة وقال السدي الى العباد
بنعمة او نقمة او يوصلون اليهم آثار صنعه أولي اي ذوي اسم جمع لذو أجنحة جمع جناح نعت
لرسلاً وهو جيد لفظاً للتوافقهما تنكيراً او للملائكة وهو جيد معنى اذ كل الملائكة لها اجنحة ففي
صفة كاشفة والمسوغ للتخلف في التعريف جعل أل جنسية مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة
والقصد بها التكثير واختلافهم في عدد الاجنحة لا الحصر اي ان بعضهم له ستمائة وغير ذلك
وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل
عمر عن عامر وعن تكرير الى غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه وقد تقدم الكلام عليها في النساء قال
قتادة بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين
يمدهما بقوة وبعضهم له اربعة ينزلون بها من السماء الى الارض ويعرجون بها من الارض الى السماء
اقول الاصل جناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران و
اعون عليه يزيد في الخلق ما يشاء مستأنفة مقررة لما قبلها من تفاوت احوال الملائكة والمعنى انه يزيد
في خلق الملائكة والاجنحة ما يشاء وهو قول اكثر المفسرين واختاره الفراء والزجاج قال ابن مسعود رأى
النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته له ستمائة جناح وقيل ان هذه الزيادة في الخلق غير خاصة
بالملائكة فقال الزهري وابن جريج انها حسن الصوت وقال قتادة الملاحة في العينين والحسن في الانف
والحلاوة في الفم وقيل الوجه الحسن وقيل الخط الحسن وقيل الشعر الجعد وقيل العقل والتمييز وقيل
العلوم والصنائع وقيل الصوت الحسن وجودة العقل ومتانته ولا وجه لقصر ذلك على نوع خاص
بل يتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش

وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس ولباقة في التكلم وحسن
تأتٍ في مزاولة الامور وملاحة في اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما اشبه ذلك مما لا يحيط
به الوصف وبه قال الزمخشري إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تعليل لما قبله من انه يزيد في الخلق
ما يشاء مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا اي ليس لك من الامر شيء فيما يأتيهم الله
به من مطر ورزق ونعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به لا يقدر احد
ان يمسكه وقال ابن عباس ما يفتح الله للناس من باب توبة فلا ممسك لها هم يتوبون ان
شاؤا وان ابوا وما امسك من باب توبة فلا مرسل له من بعده وهم لا يتوبون واستعير الفتح
للاطلاق والارسال ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا
وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قيل اي رحمة كانت سماوية او ارضية والعموم مفهوم
من اسم الشرط ومن رحمة بيان لذلك العام من اي صنف هو وهو مما اجتزئ فيه بالنكرة المفردة
عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات ومن في موضع الحال وقيل
المعنى ان الرسل بعثوا رحمة للناس فلا يقدر على ارسالهم غير الله وقيل هو الدعاء وقيل التوبة
وقيل التوفيق والهداية ولا وجه لهذا التخصيص بل المعنى كل ما يفتحه الله للناس من خزائن رحمته
فيشمل كل نعمة ينعم الله بها على خلقه وَمَا يُمْسِكْ من ذلك فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ اي لا يقدر
احد ان يرسله من بعد امساكه والامساك يتناول كل شيء يمنعه الله من نعمه فهو سبحانه المعطي
المانع القابض الباسط لا معطي سواه ولا مانع غيره وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فيما امسك وفيما ارسل
على مقتضى حكمته ثم امر الله سبحانه عباده ان يتذكروا نعمه الفائضة عليهم التي لا تعد ولا تحصى
كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ قيل الخطاب
لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم وقيل هي التي تقدمت من
بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وارسال الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزلفة لديه
والزيادة في الخلق وفتح ابواب الرزق ومعنى هذا الذكر هو ارشادهم الى الشكر لاستدامتها وطلب
المزيد منها وليس المراد ذكرها باللسان فقط ولكن المراد ذكرها بالقلب لا تنسوها والنعمة هنا بمعنى
الانعام وعليه جرى الجلال وقيل انها بمعنى المنعم به ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله

هل من خالق غير الله من زائدة مؤكدة اي لا خالق الا الله سبحانه وهو استفهام تقرير وانكار
وتوبيخ يرزقكم من السماء والارض مستانفة او صفة اخرى لخالق وخبره محذوف والرزق من السماء
بالمطر ومن الارض بالنبات وغير ذلك لا اله الا هو مستانفة مسوقة لتقرير النفي المستفاد من الاستفهام
فانى تؤفكون اي فكيف تصرفون وهو ماخوذ من الافك بالفتح وهو الصرف يقال ما افكك عن
كذا اي ما صرفك عنه وقيل هو ماخوذ من الافك بالكسر وهو الكذب لانه مصروف عن الصدق
قال الزجاج اي من اين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله والبعث وانتم مقرون بان الله خلقكم
ورزقكم ثم عزى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ليتاسى
بمن قبله من الانبياء ويتسلى عن تكذيب كفار العرب له ولهذا انكر رسلا اي رسل ذوو عدد كثير
واولو ايات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم لانه اسلى له وجواب الشرط محذوف اي
فاصبر كما صبروا ودل عليه قوله فقد كذبت الخ والى الله لا الى غيره ترجع الامور فيجازي
كلا بما يستحقه قرئ ترجع بفتح التاء على البناء للفاعل وبضمها على البناء للمفعول يا ايها الناس
ان وعد الله بالبعث والنشور والحساب والعقاب والجنة والنار حق كما اشير اليه بقوله والى
الله ترجع الامور فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بزخرفها ونعيمها والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه
النهي صورة اليها كما في قولهم لا ارينك ههنا قال سعيد بن جبير غرور الحيوة الدنيا ان
يشتغل الانسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الاخرة حتى يقول يا ليتني قدمت لحياتي والمعنى لا تخدعنكم
الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله تعالى ولا
يغرنكم بالله في حلمه وامهاله الغرور بفتح الغين اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان قاله ابن السكيت
وابو حاتم ويجوز ان يكون مصدرا واستبعده الزجاج لان غررته متعد ومصدر المتعدي انما هو على
فعل نحو ضربته ضربا الا في اشياء يسيرة معروفة لا يقاس عليها ومعنى الاية لا يغرنكم الشيطان
بالله فيقول لكم ان الله يتجاوز عنكم ويغفر لكم لفضلكم او لسعة رحمته لكم وقرئ بضم الغين
وهو الباطل قال ابن السكيت والغرور بالضم ما يغر من متاع الدنيا وقال الزجاج يجوز ان يكون
الغرور بالضم جمع غار مثل قاعد وقعود قيل ويجوز ان يكون مصدر غره كاللزوم والنهوك وفيه
ما تقدم عن الزجاج من الاستبعاد ثم حذر سبحانه عباده من الشيطان فقال ان الشيطان لكم عدو

ظاهر العداوة فعل بابيكم ما فعل وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له باحواله والتنكير للتعظيم اي
عدو عظيم لان عداوته عامة قديمة والعموم يفهم من قوله لكم حيث لم يخص بعضا دون بعض
والقدم من الجملة الاسمية الدالة على الاستمرار فاتخذوه عدوا اي فعادوه بطاعة الله ولا تطيعوه
في معاصي الله وكونوا على حذر منه في جميع احوالكم وافعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم واذا فعلتم فعلا
فتفطنوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الريا ويزين لكم القبائح قال القشيري ولا يتقوى على عداوته
الا بدوام الاستعانة بالرب فانه لا يغفل عن عداوتكم فلا تغفلوا انتم عن مولاكم لحظة ذكره الخطيب
ثم بين الله سبحانه لعباده كيفية عداوة الشيطان لهم وحذرهم عن طاعته فقال انما يدعو حزبه
ليكونوا من اصحاب السعير اي انما يدعو اشياعه واتباعه والمطيعين له الى معاصي الله سبحانه لاجل
ان يكونوا من اهل النار واللام للتعليل الذين كفروا لهم عذاب شديد الرفع على الابتداء
اقوى الوجوه لانه سبحانه بعد ذكر عداوة الشيطان ودعائه لحزبه ذكر حال الفريقين من المطيعين له
والعاصين عليه فالفريق الاول قال لهم عذاب شديد والفريق الثاني قال فيه والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير اي يغفر الله لهم بسبب الايمان والعمل الصالح
ويعطيهم اجرا كبيرا وهو الجنة قال ابن جريج كل شئ في القرآن لهم مغفرة واجر كبير ورزق كريم
فهو الجنة افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا هذه الجملة مستانفة لتقرير ما سبق من ذكر التفاوت
بين عاقبتي الفريقين ومن في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف قال الكسائي والتقدير ذهبت
نفسك عليهم حسرات قال ويدل عليه قوله فلا تذهب الخ قال وهذا كلام عربي ظريف لا يعرفه
الا القليل فقال الزجاج تقديره كمن هداه وقدره غيرهما كمن لم يزين له وهذا اولى لموافقته لفظا
ومعنى وقد وهم صاحب الكشاف فحكى عن الزجاج ما قاله الكسائي قال النحاس والذي قاله الكسائي
احسن ما قيل في الآية لما ذكره من الدلالة المحذوف والمعنى ان الله عز وجل نهى نبيه صلى الله عليه وسلم
عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم كما قال فلعلك باخع نفسك وهذه الآية ترد على القدرية
قولهم لان ذلك الى الله لا الى الرسول والذي اليه هو التبليغ قال قتادة والحسن الشيطان زين لهم هي والله
الضلالات وقيل نفسه الامارة وهواه القبيح وهو من اضافة الصفة للموصوف اي عمله السيء
قال ابن عباس نزلت في ابي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في اصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين

يستحلون دماء المسلمين واموالهم وليس اصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم يعتقدون
تحريمها مع ارتكابهم اياها فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مقررة لما قبلها و
محققة للحق ببيان ان الكل بمشيئته اي يضل من يشاء ان يضله ويهدي من يشاء ان يهديه
فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ اي لا تحزن عليهم قرئ بفتح الفوقية والهاء مسند الى
النفس فيكون من باب لا اريتك ههنا اي لا تتعاط اسباب ذلك وقرئ بضم التاء وكسر الهاء ونصب
نفسك اي فلا تهلكها عليهم اي على عدم ايمانهم وقوله حسرات مفعول لاجله والجمع للدلالة
على تضاعف اغتمامه على كثرة قبائحهم الموجبة للتاسف والتحسر عليهم ويجوز ان ينتصب حسرات
على الحال كانها صارت كلها حسرات لفرط التحسر كما روي عن سيبويه وقال المبرد انها تمييز و
عليهم صلة لتذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا والحسرة شدة الحزن وهم النفس
على ما فات من الامر واشد التلهف على الشيء الفائت تقول حسر على الشيء من باب طرب وحسرة ايضا
فهو حسير إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ لا يخفى عليه من افعالهم واقوالهم خافية والجملة تعليل
لما قبلها مع ما تضمنته من الوعيد الشديد ثم اخبر سبحانه عن نوع من انواع بديع صنعه و
عظيم قدرته ليتفكروا في ذلك وليعتبروا به فقال وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ قرأ الجمهور
بالجمع وقرئ الريح بالافراد وهي سبعية عن ابن مسعود قال يقوم ملك بالصور بين السماء والارض
فينفخ فيه فلا يبقى خلق لله في السموات والارض الا من شاء الله الا مات ثم يرسل الله من تحت العرش
منيا كمني الرجال فتنبت اجسامهم ولحومهم من ذلك الماء كما تنبت الارض من الثرى ثم قرأ هذه
الاية فَتُثِيرُ سَحَابًا جاء بالمضارع بعد الماضي استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على
كمال القدرة والحكمة لان ذلك ادخل في اعتبار المعتبرين والمعنى انها تزعجه وتحركه من
حيث هو فَسُقْنَاهُ فيه التفات عن الغيبة وقال ابو عبيدة سبيله فتسوقه لانه قال فتثير سحابا
قيل النكتة في التعبير بالماضيين بعد المضارع الدلالة على التحقق إِلَى بَلَدٍ هو يذكر ويؤنث والبلدة
البلد مَيِّتٍ اي ارض ليس بها نبات ولا مرعى قال المبرد ميت وميّت واحد وقال هذا قول البصريين
فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ اي احيينا بالمطر النازل منه الارض بانبات النبات فيها وان لم يتقدم
ذكر المطر فالسحاب تدل عليه او احيينا بالسحاب لانه سبب المطر بَعْدَ مَوْتِهَا اي بعد يبسها استعا

الاحياء النبات والموت اليبس كذلك النشور اي كذلك يحيي الله العباد بعد موتهم كما احيى الارض
بعد موتها والنشور البعث من نشر الانسان نشوراً اي مثل احياء موات الارض في صحة المقدورية
وسهولة التأتي احياء الاموات اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك
لا مدخل له فيها فكيف تنكرونه وقد شاهدتم غير مرة ما هو مثله وشبيه به عن ابي رزين
العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى قال اما مررت بارض مجدبة ثم مررت بها مخصبة
تهتز خضراء قلت بلى قال كذلك يحيي الله الموتى وكذلك النشور اخرجه احمد والبيهقي والطيالسي
وغيرهم من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً فليطلبها منه لا من غيره قال الفراء معناه
من كان يريد ان يعلم لمن العزة فانها لله جميعاً وقال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز
بطاعة الله فجعل معنى فلله العزة الدعاء الى طاعة من له العزة كما يقال من اراد المال فالمال
لفلان اي فليطلبه من عنده وقال الزجاج تقديره من كان يريد بعبادة الله العزة والعزة له
سبحانه فان الله عز وجل يعزه في الدنيا والآخرة وقيل المراد به المشركون فانهم كانوا يتعززون
بعبادة الاصنام كقوله واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزاً وقيل المراد الذين كانوا يتعززون
بهم من الذين آمنوا بالسنتهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون
عندهم العزة والظاهر في معنى الآية ان من كان يريد العزة ويطلبها فليطلبها من الله عز وجل
فلله العزة جميعاً ليس لغيره منها شيء فتشمل الآية كل من طلب العزة ويكون المقصود بها التنبيه
لذوي الاقدار والهمم من اين تنال العزة وتستحق ومن اي جهة تطلب فتكون الالف واللام
للاستغراق وهو المفهوم من آيات هذه السورة اليه تعالى لا الى غيره يصعد الكلم الطيب الصعود
هو الحركة الى فوق وهو العروج ايضاً وموضع الثواب فوق وموضع العذاب اسفل ومعنى صعوده اليه
قبوله له وصعود الكتبة من الملائكة بما يكتبونه من الصحف وخص الكلم الطيب بالذكر لبيان الثواب
عليه وهو يتناول كل كلام يتصف بكونه طيباً من ذكر الله وامر بمعروف ونهي عن منكر
وتلاوة وغير ذلك فلا وجه لتخصيصه بكلمة التوحيد او بالتحميد والتمجيد وقيل المراد بصعوده
صعوده الى سماء الدنيا وقيل يصعد الى سمائه والمحل الذي لا يجري فيه لاحد غيره حكم وفيه دليل
على علوه تعالى فوق الخلق وكونه بائناً عنه بذاته الكريمة كما يدل له الآيات الاخرى الصريحة والاحاديث المستفيضة الصحيحة

وقيل المراد بصعوده علم الله به والاولى ماذكرناه انفا والعمل الصالح يرفعه اي يرفع الكلم
الطيب كما قال الحسن وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وابو العالية والضحاك
ووجهه انه لا يقبل الكلم الطيب الا مع العمل الصالح وقيل ان فاعل يرفعه هو الكلم الطيب ومفعوله
العمل الصالح ووجهه ان العمل الصالح لا يقبل الا مع التوحيد والايمان وقيل ان فاعل يرفعه
ضمير يعود الى الله عز وجل والمعنى ان الله يرفع العمل الصالح على الكلم الطيب لان العمل يحقق الكلام
وقيل العمل الصالح يرفع صاحبه وهو الذي اراد العزة وقال قتادة المعنى ان الله يرفع العمل الصالح
لصاحبه اي يقبله فيكون قوله والعمل الصالح مبتدء وخبره يرفعه وكذا على قول من قال يرفع
صاحبه قرأ الجمهور يصعد من صعد الثلاثي والكلم بالرفع على الفاعلية وقرأ علي وابن مسعود
يُصعد بضم حرف المضارعة من اصعد والكلم بالنصب على المفعولية وقرأ الضحاك على البناء للمفعول
وقرأ الجمهور والكلم وقرأ ابو عبد الرحمن الكلام وقرأوا العمل بالرفع على العطف او على الابتداء وقرأ ابن ابي
عبلة وعيسى بن عمر بالنصب على الاشتغال عن ابن مسعود في الاية قال اذا حدثناكم بحديث
بتصديق ذلك من كتاب الله سبحانه ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه ثم يصعد بهن الى
السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن ثم قرأ
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال اداء الفرائض فمن ذكر الله في اداء فرائضه
حمل عمله ذكر الله فصعد به الى الله ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وكان عمله
اولى به اخرجه الطبراني والبيهقي والحاكم وصححه وغيرهم والذين يمكرون السيئات ليس
مفعولا به لان مكر لازم فانتصابه على انه صفة لمصدر محذوف اي يمكرون المكرات السيئات
ويجوز ان يضمن يمكرون معنى يكسبون فيكون السيئات مفعولا به قال مجاهد وقتادة هم اهل
الرياء وقال ابو العالية هم الذين مكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم لما اجتمعوا في دار الندوة وقال الكلبي هم
الذين يعملون السيئات في الدنيا وقال مقاتل هم المشركون لهم عذاب شديد اي بالغ الغاية في
الشدة ومكر اولئك هو يبور اي يهلك ويفسد ويبطل ومنه وكنتم قوما بورا وقد اباد هم الله بعد
بسبب مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي

اكتفوا في حقه بواحدة منها والمكر في الاصل الخديعة والاحتيال والاشارة بقوله اولئك
الى الذين مكروا السيئات على اختلاف الاقوال في تفسير مكرهم وجملة هو يبور خبر مكر اولئك
ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم عليه من الشر والفساد
عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك ثم ذكر سبحانه دليلا اخر على صحة البعث والنشور
فقال والله خلقكم ابتداء في ضمن خلق ابيكم ادم من تراب وقال قتادة يعني ادم والتقدير
على هذا خلق اباكم الاول واصلكم الذي ترجعون اليه من تراب ثم من نطفة اخرجها من ظهر
ابيكم ثم جعلكم ازواجا اي زوج بعضكم ببعض فالذكر زوج الانثى وجعلكم اصنافا
ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي لا يكون حمل ولا وضع الا والله عالم به
فلا يخرج شيء من علمه وتدبيره ومن زائدة وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب
قرئ ينقص مبنيا للمفعول وللفاعل ومن عمره بضم الميم وبسكونها والمعنى ما يطول عمر احد ولا
ينقص من عمره الا في اللوح المحفوظ قال الفراء يريد اخر غير الاول فكنى عنه بالضمير كانه الاول لان
لفظ الثاني لو ظهر كان كالاول كانه قال ولا ينقص من عمر معمر فالكناية في عمره ترجع الى اخر غير الاول
ومثله قولك عندي درهم ونصفه اي نصف اخر قيل انما سمي معمرا باعتبار مصيره اليه والمعنى
ما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمر احد لكن لا على معنى لا ينقص من عمره بعد كونه زائدا بل
على معنى انه لا يجعل من الابتداء ناقصا الا وهو في كتاب قال سعيد بن جبير وما يعمر من معمر
الا كتب عمره كم هو سنة كم هو شهرا كم هو يوما كم هو ساعة ثم يكتب في كتاب اخر نقص من عمره
ساعة نقص من عمره يوم نقص من عمره شهر نقص من عمره سنة حتى يستوفي اجله فما مضى من اجله
فهو النقصان وما يستقبل فهو الذي يعمره قال النسفي هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله
بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر
في عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق او تاويل الاية انه يكتب
في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على اخره فذلك
نقصان عمره انتهى وقال قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين
وقيل المعنى ان الله كتب عمر الانسان كذا ان اطاع ودونه ان عصى فايهما بلغ فهو في كتاب.

والضمير على هذا يرجع الى معمر وقيل المعنى وما يعمر من معمر الى الهرم ولا ينقص آخر من عمر الهرم الا في
كتاب اي بقضاء الله قاله الضحاك واختاره النحاس قال وهو اشبهها بظاهر التنزيل انتهى والاولى
ان يقال ظاهر النظم القرآني ان تطويل العمر وتقصيره هما بقضاء الله وقدره لاسباب تقتضي
التطويل واسباب تقتضي التقصير فمن اسباب التطويل ما ورد في صلة الرحم عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثل قوله من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره اي يؤخر في عمره فليصل رحمه ونحو ذلك
ومن اسباب التقصير الاستكثار من معاصي الله سبحانه فاذا كان العمر المضروب للرجل مثلا سبعين
سنة فقد يزيد الله له عليها اذا فعل اسباب الزيادة وقد ينقصه منها اذا فعل اسباب النقصان
والكل في كتاب مبين فلا تخالف بين هذه الآية وبين قوله سبحانه فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ويؤيد هذا قوله سبحانه يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقد
قدمنا في تفسير هذه الآية ما يزيد ما ذكرناه هنا وضوحا وبيانا قال ابن عباس في الآية يقول ليس احد
قضيت له طول العمر والحياة الا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت له ذلك فانما ينتهي
الى الكتاب الذي قدرت له لا يزاد عليه وليس احد قضيت عليه انه قصير العمر والحياة ببالغ
العمر ولكن ينتهي الى الكتاب الذي كتب له فذلك قوله ولا ينقص من عمره الا في كتاب يقول كل
ذلك في كتاب عنده واخرج احمد ومسلم وابو عوانة وابن حبان والطبراني وابن المنذر وابن ابي حاتم
عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الملك على النطفة بعد ما
تستقر في الرحم باربعين او خمسة واربعين ليلة فيقول اي رب اشقي ام سعيد اذكر ام انثى
فيقول الله ويكتبان ثم يكتب عمله ورزقه واجله واثره ومصيبته ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها
ولا ينقص منها واخرج ابن ابي شيبة ومسلم والنسائي وابو الشيخ عن ابن مسعود قال قالت ام حبيبة
اللهم امتعني بزوجي النبي وبابي ابي سفيان وباخي معاوية فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك سألت الله
لآجال مضروبة وايام معدودة وارزاق مقسومة ولن يعجل الله شيئا قبل حله او يؤخر شيئا ولو
كنت سألت الله ان يعيذك من عذاب في النار او عذاب في القبر كان خيرا وافضل وهذه
الاحاديث مخصصة بما ورد من قبول الدعاء وانه يعتلج هو والقضاء وبما ورد في صلة الرحم
انها تزيد في العمر فلا معارضة بين الادلة كما قدمنا ان ذلك اي ما سبق من الخلق وما بعده

على الله يسير لا يصعب عليه منه شيء ولا يعزب عنه كثير ولا قليل ولا كبير ولا صغير ثم ذكر سبحانه
نوعا آخر من بديع صنعه وعجيب قدرته فقال وما يستوي البحران هذا اي احدهما عذب فرات
شديد العذوبة سائغ شرابه مريء يسهل انحداره في الحلق لعذوبته وهذا ملح اجاج شديد
الملوحة وقيل هو الذي يحرق الحلق بملوحته فالمراد بالبحرين العذب والمالح فالعذب الفرات الحلو
والاجاج المر وقرئ سيغ مشددا وقرئ ملح بفتح الميم ومن كل منهما تاكلون لحما طريا وهو ما يصاد منهما
من حيواناتهما التي توكل وهذا وما بعد ذلك اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم
والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما
متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته
لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو
الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللائق دون الآخر او تفضيل
للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من النافع بالكلية على طريقة
قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة الخ قاله ابو السعود وتستخرجون
حلية وهي اللؤلؤ والمرجان وهو صغار اللؤلؤ وقال الطرطوشي هو عروق حمر
تطلع من البحر كاصابع الكف وهكذا شاهدناه بمغارب الارض كثيرا انتهى والظاهر ان المعنى وتستخرجون
منهما حلية وقال المبرد انما تستخرج الحلية من الملح وروي عن الزجاج انه قال انما تستخرج الحلية
منهما اذا اختلطا لا من كل واحد منهما على انفراده ورجح النحاس قول المبرد ومعنى تلبسونها
تلبسون كل شيء منها بحسبه كالخاتم في الاصبع والسوار في الذراع والقلادة في العنق والخلخال
في الرجل ومما يلبس حلية السلاح الذي يحمل كالسيف والدرع ونحوهما وترى الفلك فيه اي في
كل واحد من البحرين وقال النحاس الضمير يعود الى الملح خاصة ولولا ذلك لقال فيهما مواخر يقال
مخرت السفينة تمخر اذا شقت الماء بجريها فيه فالمعنى وترى السفن في البحرين شواق للماء
بعضها مقبلة وبعضها مدبرة بريح واحدة وقد تقدم الكلام على هذا في سورة النحل لتبتغوا من
فضله اي فعل ذلك لتبتغوا قال مجاهد ابتغاء الفضل هو التجارة في البحر الى البلدان البعيدة في المدة
القريبة كما تقدم في البقرة ولعلكم تشكرون الله على ما انعم به عليكم من ذلك يولج الليل

في النهار ويولج النهار في الليل اي يضيف بعض اجزائهما الى الآخر فيزيد في احدهما بالنقص في
الآخر وقد تقدم تفسيره في آل عمران وفي مواضع من الكتاب العزيز وسخر الشمس والقمر عطف على
يولج واختلاف الصيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد
المتجدد آثاره كل منهما يجري في فلكه لاجل مسمى قدره الله لجريانهما وهو يوم القيامة وقيل هو المدة التي
يقطعان في مثلها الفلك وهو سنة للشمس وشهر للقمر وقيل المراد به جري الشمس في اليوم والقمر في
الليلة وقد تقدم تفسير هذا مستوفى في سورة لقمان ذلكم اي الفاعل لهذه الافعال المتقدمة
من اول السورة الى هنا وهو مبتدأ وخبره الله ربكم له الملك اي هذا الذي من صنعته ما
تقدم هو الخالق المقدر والقادر المقتدر المالك للعالم والمتصرف فيه وهي جملة مستأنفة في مقابلة
قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير اي لا يقدرون عليه ولا على خلقه والقطمير
القشرة الرقيقة التي تكون بين التمرة والنواة وتصير على النواة كاللفافة لها وقال المبرد هو شق
النواة وقال قتادة هو القمع الذي على راس النواة قال الجوهري ويقال هي النكتة البيضاء التي في
ظهر النواة تنبت منها النخلة وقال ابن عباس القطمير القشر وفي لفظ الجلد الذي يكون على ظهر
النواة ومعلوم ان في النواة اربعة اشياء يضرب بها المثل في القلة الفتيل وهو ما في شق النواة والقطمير
وهو اللفافة والثفروق وهو ما بين القمع والنواة والنقير وهو ما في ظهرها ثم بين سبحانه حال هؤلاء
الذين يدعونهم من دون الله بانهم لا ينفعون ولا يضرون فقال ان تدعوهم اي تستغيثوا
بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم لكونها جمادات لا تدرك شيئا من المدركات ولو سمعوا
فرضا وتقديرا ما استجابوا لكم لعجزهم عن ذلك قال قتادة المعنى ولو سمعوا لم ينفعوكم وقيل
المعنى لو جعلنا لهم سماعا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا اطوع لله منكم ولم يستجيبوا لكم الى ما دعوتموهم
اليه من الكفر ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يتبرؤن من عبادتكم لهم ويقولون ما
كنتم ايانا تعبدون ويجوز ان يرجع والذين يدعون من دونه وما بعده الى من يعقل ممن عبدهم
الكفار وهم الملائكة والجن والشياطين والمعنى انهم يجحدون ان يكون ما فعلتموه حقا وينكرون
انهم امروكم بعبادتهم كما اخبر الله عن عيسى بقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق قال القرطبي و
يجوز ان يندرج فيه الاصنام ايضا اي يحييها الله حتى تخبر بانها ليست اهلا للعبادة

ولا ينبئك مثل خبير اي لايخبرك ايها المفتون باسباب الغرور مثل من هو خبير بالاشياء
عالم بخبايا الامور وهو الله سبحانه فانه لا احد اخبر بخلقه واقوالهم وافعالهم منه سبحانه وهو الخبير
بكنه الامور وحقائقها ثم ذكر سبحانه افتقار خلقه اليه ومزيد حاجتهم الى فضله فقال يا ايها
الناس انتم الفقراء المحتاجون الى الله في جميع امور الدين والدنيا فهم الفقراء اليه على الاطلاق
في انفسهم وفيما يعرض لهم من سائر الامور وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة
افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به
ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء
ولهذا وصف نفسه بالغنى الذي هو مطمع الاغنياء فقال والله هو الغني على الاطلاق الحميد
المستحق للحمد من عباده باحسانه اليهم ثم ذكر سبحانه نوعا اخر من الانواع التي يتحقق عندها
افتقارهم اليه واستغناؤه عنهم فقال ان يشأ يذهبكم كلكم الى العدم ويفنيكم فيه بالغة
كاملة اي ليس اذهابكم موقوفا الا على مشيئته ثم زاد على بيان الاستغناء بقوله ويأت بدلكم
بخلق جديد يطيعونه ولا يعصونه او يأت بنوع من انواع الخلق وعالم من العوالم غير ما تعرفون
وما ذلك الاذهاب بكم والاتيان باخرين على الله بعزيز اي بممتنع ولا متعسر وقد مضى تفسير هذا
في سورة ابراهيم ولا تزر اي لا تحمل نفس وازرة آثمة وزر اثم نفس اخرى فحذف الموصوف للعلم به
بل كل نفس تحمل وزرها ولا تخالف هذه الاية قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم لانهم انما حملوا
اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم والكل من اوزارهم لا من اوزار غيرهم ومثل هذا حديث
من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان الذي سن السنة
السيئة انما حمل وزر سنته السيئة وقد تقدم الكلام على هذه الاية مستوفى وقد اخرج احمد
والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة عن عمرو بن الاحوص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة
الوداع الا لا يجني جان الا على نفسه لا يجني والد على ولده ولا مولود على والده واخرج ابو داود والترمذي
والنسائي والبيهقي وغيرهم عن ابي رمثة قال انطلقت مع ابي نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأيته
قال لابي ابنك هذا قال اي ورب الكعبة قال اما انه لا يجني عليك ولا تجني عليه ثم قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الاية قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيقولان له يا بني احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لا استطيع حسبي ما علي

وإن تدع مثقلة إلى حملها قال الفراء أي نفس مثقلة بالذنوب قال وهذا يقع للمذكر والمؤنث
قال الأخفش أي وإن تدع مثقلة إنسانا إلى حملها وهو ذنوبها والحمل بالكسر ما يحمل على الظهر ونحوه
والجمع أحمال وحمول وحملت المتاع حملا من باب ضرب فأنا حامل والأنثى حاملة بالتاء لأنها
صفة مشتركة والحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة والحمل بالكسر ما كان على ظهر
أو رأس قال الأزهري وهذا هو الصواب وهو قول الأصمعي وقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت
حبلى لا يحمل منه شيء أي من حملها شيء قال ابن عباس يكون عليه وزر لا يجد أحدا يحمل عنه من وزره
شيئا ولو كان ذا قربى أي ولو كان الذي تدعوه ذا قرابة لها لم يحمل من حملها شيئا ومعنى الآية
وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا أخرى إلى حمل شيء من ذنوبها معها لم تحمل تلك المدعوة
من تلك الذنوب شيئا ولو كانت قريبة لها من النسب كالأب والأم والابن والأخ فكيف بغيرها
ممن لا قرابة بينها وبين الداعية لها وقرئ ذو قربى على أن كان تامة كقوله وإن كان ذو عسرة
قال الزمخشري ونظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لأن المعنى على أن المثقلة إذا دعت أحدا
إلى حملها لا يحمل منه ولو كان مدعوها ذا قربى وهو ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لخرج
عن التئامه انتهى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب مستأنفة مسوقة لبيان من يتعظ بالإنذار
أي إنهم يخشونه حال كونهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم ويخشونه في
الخلوات عن الناس قال الزجاج تأويله أن إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم
دون غيرهم ممن لا ينفعهم الإنذار كقوله إنما أنت منذر من يخشاها وقوله إنما تنذر من اتبع
الذكر وخشي الرحمن بالغيب وأقاموا الصلاة أي احتفلوا بأمرها ولم يشتغلوا عنها بشيء مما يلهيهم
وأداموها ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى لنفسه التزكي التطهر من أدناس
الشرك والفواحش والمعنى أن من تطهر بترك المعاصي واستكثر من العمل الصالح فإنما يتطهر لنفسه
لأن نفع ذلك مختص به كما أن وزر من تدنس لا يكون إلا عليه لا على غيره وإلى الله المصير لا إلى
غيره ذكر سبحانه أولا أنه لا يحمل أحد ذنب أحد ثم ذكر ثانيا أن المذنب إن دعا غيره وإن كان من
قرابته إلى حمل شيء من ذنوبه لا يحمله ثم ذكر ثالثا أن ثواب الطاعة مختص بفاعلها ليس لغيره منه شيء
ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر فقدم بيان التنافي أولا بين ذاتيهما وثانيا بين صفتيهما وثالثا

بين مستقر فيها وداريها في الآخرة فقال وما يستوي الأعمى أي المسلوب حاسة البصر واستوى
من الافعال التي لا يكتفى فيها بواحد فلو قلت استوى زيد لم يصح فمن ثم لزم العطف على الفاعل أو تعدده
والبصير الذي له ملكة البصر فشبه الكافر بالاعمى وشبه المؤمن بالبصير وقيل مثل الجاهل و
العالم ولا يستوي الظلمات ولا النور فشبه الباطل بالظلمات وشبه الحق بالنور قيل انما جمع
الظلمات وافرد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور بالفتح شدة
حر الشمس وهو خلاف البرد يقال حر اليوم والطعام يحر من باب تعب وحر حرا وحرورا من بابي
ضرب وقعد لغة والاسم الحرارة فهو حار وحرت النار تحر من باب تعب توقدت واستعرت والحرة بالفتح
ارض ذات حجارة سود والجمع حرار مثل كلبة وكلاب والحرور وزان رسول الريح الحارة قال الاخفش
لا يكون الحرور الا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل وقيل عكسه وقال رؤبة بن العجاج الحرور
يكون بالليل خاصة والسموم يكون بالنهار خاصة وقال الفراء السموم لا يكون الا بالنهار والحرور
يكون فيهما قال النحاس وهذا اصح وقال قطرب الحرور الحر والظل البرد والمعنى انه لا يستوي
الظل الذي لا حر فيه ولا اذى والحر الذي يؤذي قيل اراد الثواب والعقاب وسمي الحر حرورا
مبالغة في شدة الحر لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وقال الكلبي اراد بالظل الجنة وبالحرور
النار وقال عطاء يعني ظل الليل وشمس النهار ثم ذكر سبحانه تمثيلا آخر للمؤمن والكافر وهو
ابلغ من الاول فقال وما يستوي الاحياء ولا الاموات فشبه المؤمنين بالاحياء وشبه الكافرين
بالاموات لكمال التنافي بين الحي والميت ولذلك اعيد الفعل واما التنافي بين الاعمى والبصير
فليس تاما لامكان اشتراكهما في كثير من الادراكات وقال ابن قتيبة الاحياء العقلاء والاموات
الجهال قال قتادة هذه كلها امثال اي كما لا يستوي هذه الاشياء كذلك لا يستوي الكافر و
المؤمن ولا في المواضع الثلاثة زائدة وقد زيدت في هذه الثلاثة خمس مرات اثنتين في الاولى
واثنتين في الثانية وواحدة في الثالثة والكل لتاكيد نفي الاستواء فالزيادة شاملة لاصل زيادتها
كالادنى من الجملة الاولى ولتكريرها كالثانية منها ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه من اوليائه
الذين خلقهم لجنته ووفقهم لطاعته هذا شروع في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتنتهي بقوله
فكيف كان نكير والمراد من قوله يسمع يهدي او يوصل من يشاء وصوله وهدايته فيجيبه بالايمان

وما أنت بمسمع من في القبور يعني الكفار الذين امات الكفر قلوبهم اي كما لا يسمع من مات كذلك
لا يسمع من مات قلبه قرئ بتنوين مسمع وقطعه عن الاضافة وباضافته إن أنت إلا نذير
اي ما أنت الا رسول منذر ليس عليك الا الانذار والتبليغ وليس لك من الهدى شيء انما الهدى
والضلالة بيد الله عز وجل إنا أرسلناك بالحق اي محقين او محقا او ارسالا متلبسا بالحق اي
بالهدى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق او بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية
وإن من أمة إلا خلا فيها نذير اي ما من امة من الامم الماضية الا مضى فيها نذير من الانبياء
ينذرها والامة الجماعة الكثيرة وتقال لكل اهل عصر والمراد هنا اهل العصر واقتصر على ذكر النذير
دون البشير لانه الصق بالمقام فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها
نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة
عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده
فهل من مدكر وهذا يقتضي ان اهل الفترة مكلفون لبقاء آثار الرسل المتقدمة فيهم وهو
خلاف ما في شرح ابن حجر على الهمزية ان اهل الفترة من اهل الجنة وان غيروا وبدلوا وعبدوا
غير الله لانه لم يرسل اليهم رسولا لان من قبلهم من الرسل انتهت رسالته بموته اذ لم يعلم لاحد
من الرسل استمرار رسالته بعد الموت الا نبينا صلى الله عليه وسلم فهم غير مكلفين بما يفعلونه ولو كان صورة
معصية لكن ورد النص بتعذيب بعض اهل الفترة كعمرو بن لحي فيتلقى ويعتقد فيمن ورد فيهم تعذيبهم
لا لان ما فعلوه كفر بل لحكمة يعلمها الله تعالى لم نطلع عليها انتهى ملخصا فالظاهر انه لا يحصل
الانفصال بين الآية وبين ما تقرر الا بان يلتزم ان جملة العرب امة ويصدق تقدم النذير فيها
بتقدم اسمعيل وان بني اسرائيل امة ويصدق تقدم النذير فيهم بتقدم عيسى ومن قبله فتامل
ثم سلى سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم وعزاه فقال وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم من
الامم الماضية انبياءهم جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات الواضحة والدلالات الظاهرة
وبالزبر اي الكتب المكتوبة كصحف ابراهيم وهي ثلاثون وكصحف موسى قبل التوراة وهي عشرة وكصحف
شيث وهي ستون فجملة الصحف مائة تضم لها الكتب الاربعة فجملة الكتب المنزلة على الانبياء مائة
واربعة قاله الحفناوي وبالكتاب المنير كالتوراة والانجيل قيل الكتاب المنير داخل تحت الزبر وتحت

البينات والعطف لتغاير المفهومات وإن كانت متحدة في الصدق والأولى تخصيص البينات بالمعجزات
والزبر بالكتب التي فيها مواعظ والكتاب بما فيه شرائع وأحكام وجواب الشرط محذوف أي فاصبر
كما صبروا وإن المذكور دليل له ثم أخذت الذين كفروا وضع الظاهر موضع المضمر ليفيد التصريح
بذمهم بما في حيز الصلة ويشعر بعلة الأخذ فكيف كان نكير الاستفهام تقريري كما قاله الكرخي
وينبغي أن يتأمل فيه أي فكيف كان نكيري عليهم وعقوبتي لهم والنكير بمعنى الإنكار وهو تعجيب المنكر
وقد مضى بيان هذا قريبا ثم ذكر سبحانه نوعا من أنواع قدرته الباهرة وخلقا من مخلوقاته
البديعة فقال ألم تر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له وهذه الرؤية
هي القلبية أي ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أي بالماء يعني المطر والنكتة
في هذا الالتفات إظهار كمال العناية بالفعل لما فيه من الصنع البديع ولأن المنة بالإخراج أبلغ
من إنزال الماء ثمرات مختلفا ألوانها المراد بالألوان الأجناس والأصناف من الرمان والتفاح و
التين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيآتها أي بعضها أبيض وبعضها أحمر وبعضها أصفر وبعضها أخضر
وبعضها أسود قال ابن عباس أي الأبيض والأحمر والأسود ومن الجبال جدد الجدد جمع جدة
بالضم وهي الطريق قال الأخفش ولو كان جمع جديد لقال جدد بضم الجيم والدال نحو سرير وسرر
وقرأ الزهري جدد بضم الجيم والدال جمع جديدة يقال جديدة وجدد وجدائد وقال أبو الفضل معناها آثار جديدة
واضحة الألوان وقرئ بفتحهما وقد رد أبو حاتم هذه القراءة من حيث النقل والمعنى وقد صححها غيره
وقال الجدد الطريق الواضح البين وقيل الجدد القطع مأخوذ من جددت الشيء إذا قطعته
حكاه ابن بحر قال الجوهري الجدة الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه والجدة الطريقة والجمع
جدد وجدائد قال المبرد جدد طرائق وخطوط قال الواحدي ونحو هذا قال المفسرون في تفسير
الجدد وقال الفراء هي الطرق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر واحدها جدة
بيض وحمر وصفر مختلف ألوانها بالشدة والضعف والمعنى أن الله سبحانه أخبر عن جدد الجبال
وهي طرائقها والخطوط التي فيها بأن لون بعضها البياض ولون بعضها الحمرة وغرابيب سود
الغربيب الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب قال الجوهري تقول هذا أسود غربيب
أي شديد السواد وإذا قلت غرابيب سود جعلت السود بدلا من غرابيب قال الفراء في الكلام تقديم

وبتأخير تقديره وسود غرابيب لانه يقال اسود غربيب وقلما يقال غربيب اسود وقيل الغربيب
تاكيد للاسود كالقاني للاحمر ومن حق التوكيد ان يتبع المؤكد وانما قدم للمبالغة والمعنى ومن الجبال
جدد بيض وحمر ومن الجبال غرابيب على لون واحد وهو السواد او ومن الجبال جدد بيض وحمر وسود
وقيل التقدير ومن الجبال ذو جدد لان الجدد انما هي في الوان بعضها ومن الناس والدواب
وقرئ بتخفيف الباء والانعام اي ومنهم صنف او نوع او بعض مختلف الوانه بالحمرة والسواد والبياض
والخضرة والصفرة قال الفراء اي خلق مختلف الوانه كاختلاف الثمرات والجبال وانما ذكر سبحانه
اختلاف الالوان في هذه الاشياء لان هذا الاختلاف من اعظم الادلة على قدرة الله وبديع
صنعه كذلك اي مختلفا مثل ذلك الاختلاف والتقدير مختلف الوانه اختلافا كائنا كذلك اي
كاختلاف الجبال والثمار وقال ابن عطية متعلق بما بعده اي مثل ذلك المطر والاعتبار في مخلوقات
الله واختلاف الوانها وهو مردود بان ما بعد انما لا يعمل فيما قبلها والراجح الوجه الاول والوقف
على كذلك تام ثم استانف الكلام واخبر سبحانه بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء او
من تتمة قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب على معنى انما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به
وما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة وعلى كل تقدير فهو سبحانه قد عين في هذه الآية
اهل خشيته وهم العلماء به وبعظيم قدرته قال مجاهد انما العالم من خشي الله عز وجل وعن مثله
عن الشعبي وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار جهلا وعن ابن مسعود نحوه فمن كان
اعلم بالله كان اخشاهم له قال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم ووجه تقديم المفعول ان
المقام مقام حصر الفاعلية ولو اخر لانعكس الامر وقرئ برفع الاسم الشريف ونصب العلماء وروي
هذه القراءة عن ابي حنيفة قال في الكشاف الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انه يجلهم ويعظمهم
كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس قال ابن عباس العلماء بالله الذين يخافونه وعنه قال
الذين يعلمون ان الله على كل شيء قدير وعن ابن مسعود قال ليس العلم من كثرة الحديث ولكن العلم
من الخشية وفي لفظ بكثرة الرواية وعن حذيفة بحسب المؤمن من العلم ان يخشى الله وعن عائشة
قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب
فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية اخرجه البخاري ومسلم

إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب على معصيته غافر لمن تاب من عباده
إن الذين يتلون كتاب الله اي يستمرون على تلاوته ويداومونها والكتاب هو القرآن العظيم ولا وجه
لما قيل ان المراد به جنس كتب الله وأقاموا الصلوة اي فعلوها في اوقاتها مع كمال اركانها واذكارها عن
ابن عباس قال نزلت في حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف وأنفقوا مما رزقناهم سرا و
علانية فيه حث على الانفاق كيفما تهيأ فان تهيأ سرا فهو افضل والا فعلانية ولا يمنعه ظنه ان يكون
رياء فان ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء ويمكن ان يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة وبالعلانية
الزكوة واليه اشار في التقرير قاله الكرخي وهو لف ونشر مشوش كما يقتضيه صنيع ابي السعود
حيث قال وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة انتهى يرجون تجارة اي ثواب الطاعة
لن تبور اي لن تكسد ولن تهلك والاخبار برجائهم لثواب ما عملوا بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم واللام
في قوله ليوفيهم اجورهم متعلقة بلن تبور على معنى انها لن تكسد لاجل ان نوفيهم اجور اعمالهم الصالحة
ومثل هذه الآية قوله سبحانه فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من
فضله وقيل ان اللام متعلقة بمحذوف دل عليه السياق اي فعلوا ذلك ليوفيهم ومعنى ويزيدهم من
فضله انه يتفضل عليهم بزيادة على اجورهم التي هي جزاء اعمالهم قيل بتفسيح القبور او بتشفيعهم فيمن
احسن اليهم او [illegible] حسناتهم او بتحقيق وعد لقائه انه غفور شكور تعليل لما ذكر من التوفية
والزيادة اي غفور لذنوبهم شكور لطاعاتهم والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن وقيل
اللوح المحفوظ على ان من تبعيضية او ابتدائية هو الحق مصدقا لما بين يديه اي موافقا لما
تقدمه من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير اي محيط بجميع امورهم الباطنة والظاهرة ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا انما قدم المفعول الثاني لقصد التشريف والتعظيم
للكتاب والمعنى ثم اورثنا الذين اصطفيناهم من عبادنا الكتاب وهو القرآن اي قضينا وقدرنا بان نورث
العلماء من امتك يا محمد هذا الكتاب الذي انزلناه عليك فاورثنا استعارة تبعية سمى اعطاء
الكتاب اياهم من غير كد وتعب في وصوله اليهم توريثا اورثناه ومن للبيان او للتبعيض والمراد
بعبادنا امة الاجابة سواء حفظوه او لا فهو عطية لجميعهم حتى من لم يحفظه لانه قد ورثه وفيه
هدايته وبركته ومعنى اصطفائهم اختيارهم واستخلاصهم ولا شك ان علماء هذه الامة من الصحابة

فمن بعدهم الى يوم القيامة قد شرفهم الله على سائر العباد وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء
على الناس واكرمهم بكونهم امة خير الانبياء وسيد ولد ادم عليه وعليهم الصلوة والسلام
وخصهم بحمل افضل الكتب قال مقاتل يعني قرآن محمد جعلناه ينتهي الى الذين اصطفينا من عبادنا
وقيل ان المعنى اورثناه من الامم السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفيناهم لاو
اولى ثم قسم سبحانه هؤلاء الذين اورثهم كتابه واصطفاهم من عباده الى ثلاثة اقسام فقال
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وفي قوله باذن الله تنبيه
على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها اي بامره او بعلمه او بتوفيقه ذلك اي توريث الكتاب
والاصطفاء وقيل السبق الى الخيرات والاول اولى وهو مبتدأ وخبره هو الفضل الكبير اي
الفضل الذي لا يقادر قدره وقد استشكل كثير من اهل العلم معنى هذه الاية لانه سبحانه
جعل هذا القسم الظالم لنفسه من ذلك المقسم وهو من اصطفاهم من العباد فكيف يكون من
اصطفاه الله ظالما لنفسه فقيل ان التقسيم هو راجع الى العباد اي فمن عبادنا ظالم لنفسه
وهو الكافر ويكون ضمير يدخلونها عائدا الى المقتصد والسابق وقيل المراد بالظالم لنفسه هو
المقصر في العمل به وهو المرجى لامر الله وليس من ضرورة ورثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب وهذا فيه نظر لان ظلم النفس لا يناسب الاصطفاء وقيل
الظالم لنفسه هو الذي عمل الصغائر وقد روي هذا القول عن عمر وعثمان وابن مسعود وابي الدرداء
وعايشة وهذا هو الراجح لان عمل الصغائر لا ينافي الاصطفاء ولا يمنع من دخول صاحبه مع الذين
يدخلون الجنة ووجه كونه ظالما لنفسه انه نقصها من الثواب بما فعل من الصغائر المغفورة
له فانه لو عمل مكان تلك الصغائر طاعات لكان لنفسه فيها من الثواب حظ عظيم وقيل
الظالم هو صاحب الكبائر قلت ومنشأ الاشكال هو من جعل الوارثين هم العلماء من امة محمد
صلى الله عليه وسلم اذ لو جعلت الوراثة لجميع الامة زال الاشكال القطع بان منهم ظالم لنفسه ولا ينافي
الاصطفاء لكونهم فضلوا الامم الاخرة وقد ورد في ذلك شيء كثير كما لا يخفى ويؤيده ما سيأتي آخر
البحث والله اعلم وقد اختلف السلف في تفسير السابق والمقتصد فقال عكرمة وقتادة والضحاك
ان المقتصد المؤمن العاصي والسابق التقي على الاطلاق وبه قال الفراء وقال مجاهد في تفسير الاية

فمنهم ظالم لنفسه اصحاب المشأمة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات
السابقون من الناس كلهم وقال المبرد ان المقتصد هو الذي يعطي الدنيا حقها والآخرة حقها
وقال الحسن الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته على سيئاته
وقال مقاتل الظالم لنفسه اصحاب الكبائر من اهل التوحيد والمقتصد الذي لم يصب كبيرة والسابق
الذي سبق الى الاعمال الصالحة وحكى النحاس ان الظالم صاحب الكبائر والمقتصد الذي لم يستحق
الجنة بزيادة حسناته على سيئاته فيكون قوله الآتي جنات عدن يدخلونها الذين سبقوا
بالخيرات لا غير قال وهذا قول جماعة من اهل النظر لان الضمير في حقيقة النظر لما يليه اولى
قال الضحاك فمنهم ظالم لنفسه اي من ذريتهم ظالم لنفسه وقال سهل بن عبد الله السابق
العالم والمقتصد المتعلم والظالم لنفسه الجاهل وقال ذو النون المصري الظالم لنفسه الذاكر لله
بلسانه فقط والمقتصد الذاكر بقلبه والسابق الذي لا ينساه وقال الانطاكي الظالم صاحب
الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وقال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله
من اجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من اجل العقبى والسابق الذي اسقط مراده بمراد الحق
وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من النار والمقتصد الذي يعبده طمعا في الجنة والسابق الذي
يعبده لا لسبب وقيل الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي يحب دينه والسابق الذي يحب
ربه وقيل الظالم الذي ينتصف ولا ينصف والمقتصد الذي ينصف وينتصف
والسابق الذي ينصف ولا ينتصف وقيل الظالم هو المرجا لامر الله والمقتصد هو الذي خلط
عملا صالحا وآخر سيئا قال النسفي وهذا التاويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون
من المهاجرين الآية وقال بعده وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده وآخرون مرجون
لامر الله انتهى وقال الربيع بن انس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق
المجتنب لهما وسئل ابو يوسف عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون واما صفة الكفار فبعد هذا
وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم واما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده
وهم اهل الايمان وعليه الجمهور وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد
الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالي

للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالي له العالم به والسابق القاري له العالم به العامل بما فيه وقد ذكر الثعلبي وغيره اقوالا كثيرة ولا شك ان المعاني اللغوية للظالم والمقتصد والسابق معروفة وهو يصدق الظالم لنفسه بمجرد احرامها الحظ وتفويت ما هو خير لها فتارك الاستكثار من الطاعات قد ظلم نفسه باعتبار ما فوتها من الثواب وان كان قائما بما اوجب الله عليه تاركا لما نهاه عنه فهو من هذه الحيثية ممن اصطفاه الله ومن اهل الجنة فلا اشكال في الآية ومن هذا قول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وقول يونس اني كنت من الظالمين ومعنى المقتصد هو من يتوسط في امر الدين ولا يميل الى جانب الافراط ولا الى جانب التفريط وهذا من اهل الجنة واما السابق فهو الذي سبق غيره في امور الدين وهو خير الثلاثة وقد استشكل تقديم الظالم على المقتصد وتقديمهما على السابق مع كون المقتصد افضل من الظالم لنفسه والسابق افضل منهما فقيل ان التقديم لا يقتضي التشريف كما في قوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة ونحوها من الآيات القرآنية التي فيها تقديم اهل الشر على اهل الخير وتقديم المفضولين على الفاضلين وقيل وجه التقديم هنا ان الظالمين كثير وان المقتصدين بالنسبة الى اهل المعاصي قليل والسابقين بالنسبة الى الفريقين اقل قليل فقدم الاكثر على الاقل والاول اولى فان الكثرة بمجردها لا تقتضي تقديم الذكر وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لئلا ييأس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل ان اول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يامن احد مكره وكلهم في الجنة وقد قيل في وجه التقديم غير ما ذكرناه مما لا حاجة الى التطويل به وعن ابن عباس في الآية قال هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله كل كتاب انزل فظالمهم مغفور له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب واخرج احمد والترمذي وحسنه وغيرهما عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم يدخلون الجنة وفي اسناده رجلان مجهولان واخرج احمد وابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وغيرهم عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله ثم اورثنا الكتاب الآية فاما الذين سبقوا فاولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب

قال السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم
لنفسه اصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم واخرج سعيد بن منصور وغيره
عن عثمان بن عفان انه نزع بهذه الآية ثم قال الا ان سابقنا اهل جهادنا الا وان مقتصدنا
اهل حضرنا الا وان ظالمنا اهل بدونا واخرج البيهقي في البعث عن البراء بن عازب قال اشهد على الله
انه يدخلهم الجنة جميعا واخرج الفريابي وابن جرير وابن مردويه عنه قال قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الآية قال كلهم ناج وهي هذه الامة واخرج الفريابي وعبد بن حميد عن ابن عباس في الآية
قال هي مثل التي في الواقعة اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون صنفان ناجيان وصنف هالك
وعنه قال هو الكافر والمقتصد اصحاب اليمين وهذا المروي عنه رضي الله عنه لا يطابق ما هو الظاهر من
النظم القرآني ولا يوافق ما قدمنا من الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة وعن عبد الله
بن الحارث ان ابن عباس سأل كعبا عن هذه الآية فقال نجوا كلهم ثم قال تحاكت مناكبهم ورب الكعبة
ثم اعطوا الفضل باعمالهم اخرجه ابن ابي شيبة وغيره وقد قدمنا عن ابن عباس ما يفيد ان الظالم
لنفسه من الناجين فتعارضت الاقوال عنه وقوله جَنَّاتُ عَدْنٍ مبتدأ وخبره يَدْخُلُونَهَا
والضمير يعود الى الاصناف الثلاثة فلا وجه لقصره على الصنف الاخير وقرئ جنة بالافراد وقرئ جنات
بالنصب على الاشتغال وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يُحَلَّوْنَ فِيهَا هو من حليت المرأة فهي حال وفيه
اشارة الى سرعة الدخول فان في تحليتهم خارج الجنة تاخير الدخول فلما قال يحلون فيها اشار الى ان
دخولهم على وجه السرعة مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون
بعض اساور كائنة من ذهب والاساور جمع اسورة جمع سوار وَلُؤْلُؤًا منصوب بالعطف على محل من
اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اي مرصعا بلؤلؤ او يحلون اساور ولؤلؤا وهو الاولى واخرج الترمذي والحاكم
وصححه والبيهقي في البعث عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله جنات عدن يدخلونها
الآية فقال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ لما فيه
من اللذة والزينة وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الحج وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ
عَنَّا الْحَزَنَ بفتحتين وقرئ بضم الحاء وسكون الزاي والمعنى انهم يقولون هذه المقالة اذا دخلوا
الجنة وصيغة الماضي للدلالة على التحقق قال قتادة حزن الموت وقال عكرمة حزن السيئات والذنوب

وخوف رد الطاعات وقال ابن عباس حزن النار وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة
وقيل حزن اهوال يوم القيامة وقال الكلبي ما كان يحزنهم في الدنيا من امر يوم القيامة وقال سعيد
بن جبير هم الخبز في الدنيا وقيل هم المعيشة وقال الزجاج اذهب الله عن اهل الجنة كل الاحزان
ما كان منها لمعاش او لمعاد وهذا ارجح الاقوال فان الدنيا وان بلغ نعيمها اي مبلغ لا يخلو من شوائب
ونوائب تكثر لاجلها الاحزان وخصوصا اهل الايمان فانهم لا يزالون وجلين من عذاب الله
خائفين من عقابه مضطربين القلوب في كل حين هل تقبل اعمالهم او ترد حذرين من
عاقبة السوء وخاتمة الشر ثم لا تزال همومهم واحزانهم حتى يدخلوا الجنة واما اهل العصيان
فهم وان نفس عن خناقهم قليلا في حياة الدنيا التي هي دار الغرور وتناسوا دار القرار يوما
من دهرهم فلا بد ان يشتد وجلهم وتعظم مصيبتهم وتغلي مراجل احزانهم اذا شارفوا
الموت وقربوا من منازل الآخرة ثم اذا قبضت ارواحهم ولاح لهم ما يسوءهم من جزاء اعمالهم
ازدادوا غما وحزنا فان تفضل الله عليهم بالمغفرة وادخلهم الجنة فقد اذهب عنهم احزانهم
وازال غمومهم وهمومهم اخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس في
الآية قال هم قوم في الدنيا يخافون الله ويجتهدون له في العبادة سرا وعلانية وفي قلوبهم
حزن من ذنوب قد سلفت منهم فهم خائفون ان لا يتقبل منهم هذا الاجتهاد من الذنوب
التي سلفت عندها قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وروى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكاني
باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
ان ربنا لغفور شكور غفر لنا العظيم وشكر لنا القليل من اعمالنا او يغفر الجنايات ويقبل
الطاعات وقيل غفور لمن عصاه شكور لمن اطاعه الذي احلنا اي انزلنا دار المقامة اي
التي يقام فيها ابدا ولا ينتقل عنها من فضله اي تفضلا منه ورحمة لا يمسنا فيها نصب
اي لا يصيبنا في الجنة عناء ولا تعب ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب اي اعياء من التعب و
كلال من النصب ثم لما فرغ سبحانه من ذكر جزاء عباده الصالحين ذكر جزاء عباده الظالمين
فقال والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب

قرئ فيموتوا بالنصب جواب النفي وقرئ باثبات النون قال ابن عطية هي ضعيفة ولا وجه
لهذا التضعيف بل هي كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل
كلما خبت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب كلما خبت النار زيد اسعارها
وهذه الآية هي مثل قوله سبحانه لا يموت فيها ولا يحيى كذلك نجزي كل كفور اي مثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي كل من هو مبالغ في الكفر لا جزاء اخف ادنى منه وقرئ يجزى على البناء
للمفعول وهم يصطرخون فيها من الصراخ وهو الصياح اي وهم يستغيثون في النار
رافعين اصواتهم والصارخ المستغيث ربنا اي يقولون ربنا او قائلين ربنا وقال مقاتل انهم
ينادون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل من الشرك والمعاصي فنجعل الايمان
منا بدل ما كنا عليه من الكفر والطاعة بدل المعصية قيل وزيادة قوله غير الذي كنا نعمل
للتحسر على ما عملوه من غير الاعمال الصالحة مع الاعتراف منهم بان اعمالهم في الدنيا كانت غير
صالحة فاجاب الله عليهم بقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر الاستفهام
للتقريع والتوبيخ والواو للعطف على مقدر كما في نظائره وما نكرة موصوفة اي اولم نعمركم عمرا
يتمكن من التذكر فيه من تذكر فقيل هو ستون سنة وقيل اربعون وقيل ثماني عشرة سنة
قال بالاول جماعة من الصحابة ومنهم ابن عباس وبالثاني الحسن ومسروق وغيرهما وبالثالث عطاء
وقتادة اخرج ابن ابي حاتم والطبراني والبيهقي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة
قيل اين ابناء الستين وهو العمر الذي قال الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وفي اسناده ابراهيم
بن الفضل المخزومي وفيه مقال واخرج احمد والبخاري والنسائي وغيرهم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعذر الله الى امرئ اخر عمره حتى بلغ ستين سنة وعن سهل بن سعد
مرفوعا نحوه اخرجه عبد بن حميد والطبراني والحاكم وعن علي بن ابي طالب قال العمر الذي عيرهم الله
ستون سنة واخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم وابن المنذر والبيهقي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك قال الترمذي بعد اخراجه حسن غريب
لا نعرفه الا من هذا الوجه وعن ابن عباس في هذه الآية هو ست واربعون سنة وعنه قال العمر الذي اعذر
الله الى ابن ادم فيه بقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اربعون سنة وجاءكم النذير

قال الواحدي قال جمهور المفسرين هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع
والحسن بن الفضل والفراء وابن جرير هو الشيب فيكون معناه على هذا القول أولم نعمركم حتى
شبتم وقيل هو القرآن وقيل الحمى قال الأزهري معناه أن الحمى رسول الموت أي كأنها تشعر بقدومه
وتنذر بمجيئه والشيب نذير أيضاً لأنه يأتي في سن الاكتهال وهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي
هو سن اللهو واللعب وقيل هو موت الأهل والأقارب وقيل هو كمال العقل وقيل البلوغ
(فذوقوا فما للظالمين من نصير) الفاء لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي
فما للتعليل أي فذوقوا عذاب جهنم لأنكم لم تعتبروا ولم تتعظوا فما لكم ناصر يمنعكم من عذاب الله
ويحول بينكم وبينه قال مقاتل فذوقوا فما للمشركين من مانع يمنعهم (إن الله عالم غيب
السموات والأرض) قرأ الجمهور بالإضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب والمعنى أنه عالم بكل شيء ومن
ذلك أعمالكم لا تخفى عليه منها خافية فلو ردكم إلى الدنيا لم تعملوا صالحاً كما قال ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه (إنه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله لأنه إذا علم مضمرات الصدور وهي
أخفى من كل شيء فعلم ما فوقها بالأولى وقيل هذه الجملة مفسرة للجملة الأولى وذات تأنيث ذو
بمعنى صاحب أي بالأمور صاحبة الصدور ومصاحبتها لها من حيث اختباؤها فيها (هو الذي
جعلكم خلائف في الأرض) جمع خليفة ويقال للمستخلف خليفة وخليف فيجمع الأول على خلائف
والثاني على خلفاء أي جعلكم أمة خالفة لمن قبلها قال قتادة خلفاً بعد خلف وقرناً بعد
قرن والخلف هو التالي للمتقدم وقيل جعلكم خلفاء في أرضه (فمن كفر) منكم هذه النعمة
(فعليه كفره) أي عليه ضرر كفره لا يتعداه إلى غيره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم
إلا مقتاً) أي غضباً وبغضاً (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً) أي نقصاً وهلاكاً والمعنى
أن الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيدهم إلا المقت ولا ينفعهم في أنفسهم حيث لا يزيدهم إلا
خساراً والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين
القبيحين بطريق الاستقلال والأصالة ثم أمره سبحانه أن يوبخهم ويبكتهم فقال (قل أرأيتم
شركاءكم الذين تدعون) أي أخبروني عن الشركاء الذين اتخذتموهم آلهة وعبدتموهم من
دون الله أي غيره وهم الأصنام وغيرها (أروني ماذا خلقوا من الأرض) بدل اشتمال

من ارايتم والمعنى اخبروني عن شركائكم اروني اي شيء خلقوا من الارض وقيل ان الفعلين وهما
ارايتم واروني من باب التنازع وقد اعمل الثاني على ما هو اختيار البصريين أم لهم شرك في
السموات الضمير يعود الى الشركاء وهو الاحسن لتناسق الضمائر وقيل يعود على المشركين فيكون
التفاتا من خطاب الى غيبة اي ام لهم شركة مع الله في خلقها او ملكها او التصرف فيها حتى
يستحقوا بذلك الشركة في الالهية أم آتيناهم اي ام انزلنا عليهم كتابا بالشركة وام في
الموضعين منقطعة بمعنى بل والهمزة فيكون قد اضرب عن الاستفهام الاول وشرع في استفهام
آخر والاستفهام انكاري فهم على بينة منه اي على حجة ظاهرة واضحة من ذلك الكتاب قرئ بينة
بالتوحيد وبالجمع قال مقاتل يقول هل اعطينا كفار مكة كتابا فهم على بيان منه بان مع الله شريكا ثم اضرب
سبحانه عن هذا الى غيره فقال بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اي ما يعد
الظالمون بعضهم بعضا كما يفعله الرؤساء والقادة من المواعيد لاتباعهم الا غرورا يغرونهم به و
يزينونه لهم وهو الاباطيل التي تغر ولا حقيقة لها وذلك قولهم ان هذه الالهة تنفعهم وتقربهم الى
الله وتشفع لهم عنده وقيل ان الشياطين تعد المشركين بذلك وقيل المراد بالوعد الذي يعد بعضهم
بعضا هو انهم ينصرون على المسلمين ويغلبونهم إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا اي
يمنعهما من الزوال قاله الزجاج او كراهة ان تزولا او قيل لئلا تزولا والجملة مستأنفة لبيان قدرة الله
سبحانه وبديع صنعه بعد بيان ضعف الاصنام وعدم قدرتها على شيء وقيل المعنى ان شركهم
يقتضي زوال السموات والارض كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر قال
وقع في قلب موسى هل ينام الله عز وجل فارسل الله اليه ملكا فارقه ثلاثا واعطاه قارورتين
في كل يد قارورة وامره ان يحتفظ بهما فجعل ينام ويكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما
على الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا ان الله
تبارك وتعالى لو كان ينام لم يستمسك السماء والارض اخرجه ابو يعلى وابن جرير وابن ابي حاتم و
الدارقطني والبيهقي في الاسماء والصفات وغيرهم وروي من طرق عن ابن سلام وابن
ابي بردة ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده اي ما امسكهم احد من بعده

امسكهما من بعده زوالهما والجملة سادة مسد جواب القسم والشرط ومن الاولى زائدة والثانية
ابتدائية قال الفراء اي ولو زالتا ما امسكهما من احد قال وهو مثل قوله ولئن ارسلنا ريحا
فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون وقيل المراد زوالهما يوم القيامة انه كان حليما غفورا
تعليل لما قبله من امساكه تعالى للسموات والارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن اهدى من احدى الامم المراد قريش اقسموا قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
بهذا القسم حين بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل
فكذبوهم واقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن اهدى دينا منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه
فانزل الله هذه الآية والمعنى من احدى الامم المكذبة للرسل والنذير النبي والهدى الاستقامة وكانت
تتمنى ان يكون منهم رسول كما كان الرسل في بني اسرائيل فانث احدى لكون امة مؤنثة كما قال
الاخفش وقيل المعنى من احدى الامم على العموم وقيل من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا
لها فلما جاءهم نذير اي ما تمنوه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو اشرف نذير واكرم رسول
وكان من انفسهم ما زادهم مجيئه الا نفورا منهم عنه وتباعدا عن اجابته استكبارا
في الارض اي لاجل الاستكبار والعتو وبدل من نفورا وحال قاله الاخفش وهذا جواب لما وفيه
دليل على انها حرف لا ظرف اذ لا يعمل ما بعد ما النافية فيما قبلها وتقدمت له نظائر واسناد الزيادة
الى النذير مجاز لانه سبب في ذلك كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ومكر السيء اي لاجل مكر العمل
السيء او مكروا المكر السيء والمكر هو الحيلة والخداع والعمل القبيح واضيف الى صفته كقولهم
مسجد الجامع وصلوة الاولى قرأ الجمهور ومكر السيء بخفض همزة السيء وقرأ الاعمش وحمزة بسكونها
وصلا وقد غلط كثير من النحاة هذه القراءة ونزهوا الاعمش على جلالته ان يقرأ بها قالوا وانما
كان يقف بالسكون فغلط من روى عنه انه كان يقرأ بالسكون وصلا وتوجيه هذه القراءة
ممكن بان من قرأ بها اجرى الوصل مجرى الوقف ومثله قراءة من قرأ وما يشعركم بسكون الراء ومثل
ذلك قراءة ابي عمرو الى بارئكم بسكون الهمزة وغير ذلك كثير قال ابو علي الفارسي هذا على اجراء الوصل
مجرى الوقف وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا تنزل عاقبة السوء الا
من اساء قال الكلبي يحيق بمعنى يحيط والحوق الاحاطة يقال حاق به كذا اي احاط به وهذا هو الغالب

من معنى يحيق في لغة العرب ولكن قطرب فسره هنا بينزل فهل ينظرون أي ما ينتظرون إلا سنة
الأولين أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل بأولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا
أي لا يقدر أحد أن يبدل سنة الله التي سنها بالأمم المكذبة من إنزال عذابه بهم بأن يضع موضعه
غيره بدلا عنه والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا أي لا
يحول أحد ما جرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان
التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد
انتفائهما أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة
لتقرير ما قبلها وتأكيده أي أولم يسيروا في أرض الشام واليمن والعراق فينظروا ما أنزلنا بعاد وثمود
ومدين وأمثالهم من العذاب لما كذبوا الرسل فإن ذلك هو من سنن الله في المكذبين التي لا تبدل
ولا تحول وآثار عذابهم وما أنزل الله بهم موجودة في مساكنهم ظاهرة في منازلهم والهمزة للإنكار و
النفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام وكانوا أي والحال أنهم كانوا أشد منهم قوة وأطول أعمار
وأكثر أموالا وأقوى أبدانا فما نفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوة وما كان الله ليعجزه من شيء
في السموات ولا في الأرض أي ما كان ليسبقه ويفوته شيء من الأشياء كائنا ما كان فيهما وهذا تقرير لما فهم
ما قبله من استئصال الأمم السابقة إنه كان عليما قديرا أي كثير العلم كثير القدرة لا يخفى عليه شيء و
لا يصعب عليه أمر وهذا تعليل لذلك التقرير ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من الذنوب وعملوا من الخطايا
ما ترك على ظهرها أي الأرض من دابة من الدواب التي تدب كائنة ما كانت أما بنو آدم فلذنوبهم وأما
غيرهم فلشؤم معاصي بني آدم وقيل المراد ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدب من بني آدم والجن
وقال بالأول ابن مسعود وقتادة وقال بالثاني الكلبي وقال ابن جرير والأخفش والحسين بن الفضل
أراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم أخرج الفريابي وغيره عن ابن مسعود قال إنه كاد الجعل
ليعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم قرأ هذه الآية وفي الآية كناية أريد به اللزوم أو استعارة مكنية
قال قتادة وقد فعل ذلك في زمن نوح وقال يحيى بن سلام يحبس الله المطر فيهلك كل شيء ولكن
يؤخرهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا أي بمن يستحق
منهم الثواب ومن يستحق منهم العقاب وفي هذا تسلية للمؤمنين ووعيد للكافرين والعامل في إذا هو جاء لا بصيرا

سورة يس هي ثلاث وثمانون آية

والاول اولى وهي مكية قال القرطبي بالاجماع الا ان فرقة قالت ونكتب ما قدموا وآثارهم نزلت في بني
سلمة من الانصار حين ارادوا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسياتي بيان ذلك وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن عائشة مثله واخرج الدارمي والترمذي
ومحمد بن نصر والبيهقي في الشعب عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا
وقلب القرآن يس من قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات قال الترمذي هذا حديث
غريب لا نعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن وفي اسناده هارون ابو محمد وهو شيخ
مجهول وفي الباب عن ابي بكر ولا يصح لضعف اسناده واخرج الدارمي وابو يعلى والطبراني والبيهقي
وغيرهم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة
قال ابن كثير اسناده جيد واخرج احمد وابو داود والنسائي وابن ماجة والطبراني وابن حبان
والحاكم والبيهقي عن معقل بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يس قلب القرآن لا يقرأها
عبد يريد الله والدار الآخرة الا غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرؤها على موتاكم وقد ذكر له
احمد اسنادين احدهما فيه مجهول والآخر ذكر فيه عن ابي عثمان وقال ليس بالنهدي عن ابيه
عن معقل واخرج الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من دام على قراءة يس كل ليلة ثم مات مات شهيدا

بسم الله الرحمن الرحيم

يس قرأ الجمهور بسكون النون وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بادغام
النون في الواو التي بعدها وقرئ بفتح النون وبكسرها فالفتح على البناء او على انه مفعول فعل مقدر
تقديره اتل يس والكسر على البناء ايضا كجير وقيل الفتح والكسر للفرار من التقاء الساكنين واما
وجه قراءة الجمهور فلكونها مسرودة على نمط التعديد فلا حظ لها من الاعراب وقرئ بضم النون على
البناء كمنذ وحيث وقط وقيل على انها خبر مبتدا محذوف اي هذه يس ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث

واختلف في معنى هذه اللفظة فقيل معناها يا رجل او يا انسان قال ابن الانباري الوقف على يس
حسن لمن قال هو افتتاح للسورة ومن قال معناه يا رجل لم يقف عليه وقال سعيد بن جبير
وغيره هو اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم دليله انك لمن المرسلين ومنه قوله تعالى سلام
على ال يس اي ال محمد ومنه قول الشاعر ∴ يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة على المودة الا
ال ياسين وسياتي في الصافات ما المراد بال ياسين قال الواحدي قال ابن عباس والمفسرون
يريد يا انسان يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر الوراق معناه يا سيد البشر وقال مالك هو اسم
من اسماء الله تعالى روى ذلك عنه اشهب وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق ان معناه
يا سيد وقال كعب هو قسم اقسم الله به ورجح الزجاج ان معناه يا محمد واختلفوا هل هو عربي او غير
عربي فقال سعيد بن جبير وعكرمة حبشي وقال الكلبي سرياني تكلمت به العرب فصار من لغتهم وقال
الشعبي هو بلغة طي وقال الحسن هو بلغة كلب وقد تقدم في طه وفي مفتتح سورة البقرة ما يغني عن
التطويل ههنا والاولى ان يقال الله اعلم بمراده به والقرآن الحكيم بالجر على انه مقسم به ابتداء و
قيل هو معطوف على ياسين على تقدير كونه مجرورا باضمار القسم قال النقاش لم يقسم الله لاحد
من انبيائه بالرسالة في كتابه الا لمحمد صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتمجيدا والحكيم المحكم الذي لا يتناقض
ولا يتخالف او الحكيم قائله او ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة بطريق الاستعارة والتصف
بها على الاسناد المجازي وجواب القسم انك لمن المرسلين الذين ارسلوا على طريقة مستقيمة
وهذا رد على من انكر رسالته من الكفار بقولهم لست مرسلا وقوله على صراط مستقيم خبر اخر لان
اي انك على الطريق القيم الموصل الى المطلوب قال الزجاج على طريقة الانبياء الذين تقدموك
ويجوز ان يكون في محل نصب على الحال تنزيل العزيز الرحيم قرء نافع وغيره برفع تنزيل على
انه خبر مبتدء محذوف اي هو تنزيل ويجوز ان يكون خبرا لقوله يسين ان جعل اسما للسورة
وقرئ بالنصب على المصدرية اي نزل الله ذلك تنزيل العزيز والمعنى ان القرآن تنزيل العزيز الرحيم
وقيل المعنى انك يا محمد تنزيل العزيز والاول اولى وقيل هو منصوب على المدح على قراءة النصب
وعبر سبحانه عن المنزل بالمصدر مبالغة حتى كانه نفس التنزيل وقرئ بالجر على النعت للقرآن
او البدل منه واللام في قوله لتنذر يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفعل مضمر يدل عليه لمن المرسلين

أي أرسلناك لتنذر قوماً أي العرب وغيرهم ما أنذر ما هي النافية أي لم تنذر آباؤهم ويجوز
أن تكون ما موصولة أو موصوفة أي لتنذر قوماً الذي أنذر آباؤهم أو لتنذرهم مثل ما أنذر آباؤهم
أو مصدرية أي إنذار آبائهم وعلى القول بأنها نافية المعنى ما أنذر آباؤهم برسول من أنفسهم ويجوز
أن يراد ما أنذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة وأما آباؤهم الأبعدون فقد أنذروا بإسمعيل
وبعيسى ومن قبلهما فهم غافلون أي فهم بسبب ذلك غافلون أو فهم غافلون عما أنذرنا به آباءهم
قال أبو السعود الضمير للفريقين أي فهم جميعاً غافلون وقد ذهب أكثر أهل التفسير إلى أن المعنى على
النفي وهو الظاهر من النظم القرآني لترتيب فهم غافلون على ما قبله لقد حق اللام هي الموطئة
للقسم أي والله لقد ثبت وتحقق ووجب القول أي الحكم والقضاء الأزلي أو العذاب على أكثرهم
أي أكثر أهل مكة أو أكثر الكفار على الإطلاق أو أكثر كفار العرب وهم من مات على الكفر وأصر عليه
طول حياته فيتفرع قوله فهم لا يؤمنون على ما قبله بهذا الاعتبار أي لأن الله سبحانه قد علم منهم
الإصرار على ما هم فيه من الكفر والموت عليه وقيل المراد بالقول المذكور هنا قوله سبحانه لقد
حق القول مني لأملأن جهنم منك وممن تبعك وقيل نزلت هذه الآية في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين
وجملة إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً تقرير لما قبلها مثلت حالهم بحال الذين غلت أعناقهم
فهي أي الأغلال منتهية إلى الأذقان جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لأن الغل يجمع اليد إلى العنق
فلا يقدرون عند ذلك على الالتفات ولا يتمكنون من عطفها لأن طوق الغل الذي في عنق المغلول
يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجاً من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه
يطاطئ رأسه فلا يزال مقمحاً وهو معنى قوله فهم مقمحون أي رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم
قال الفراء والزجاج المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه ومعنى الإقماح رفع الرأس وغض البصر يقال
أقمح البعير رأسه وقمح إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء قال الأزهري أراد الله أن أيديهم لما غلت عند
أعناقهم رفعت الأغلال إلى أذقانهم ورؤسهم صعداء فهم مرفوعو الرؤس برفع الأغلال إياها
وقال قتادة معنى مقمحون مغلولون والأول أولى قال أبو عبيدة قمح البعير إذا رفع رأسه عن الحوض
ولم يشرب وعنه أيضاً هو مثل ضربه الله لهم في امتناعهم عن الهدى كامتناع المغلول كما يقال
فلان حمار أي لا يبصر الهدى قال الفراء هذا ضرب مثل أي حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله

وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وبه قال الضحاك وقيل الآية اشارة الى ما يفعل
بقوم في النار من وضع الاغلال في اعناقهم كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقرأ ابن عباس
انا جعلنا في ايمانهم اغلالا قال الزجاج اي في ايديهم قال النحاس وهذه القراءة تفسير ولا
يقرء بما خالف المصحف قال وفي الكلام حذف على قراءة الجماعة اي انا جعلنا في اعناقهم وفي
ايديهم اغلالا فهي الى الاذقان فلفظ هي كناية عن الايدي لا عن الاعناق والعرب تحذف مثل هذا و
نظيره سرابيل تقيكم الحر اي وسرابيل تقيكم البرد لان ما وقى من الحر وقى من البرد لان الغل اكثر ما يكون
في العنق فلا بد ان يكون في اليد ولا سيما وقد قال الله فهي الى الاذقان فقد علم انه يراد به الايدي
فهم مقمحون اي رافعوا رؤسهم لا يستطيعون الاطراق لان من غلت يداه الى ذقنه ارتفع راسه
وروي عن ابن عباس انه قرأ انا جعلنا في ايديهم اغلالا وعن ابن مسعود انه قرء انا جعلنا في ايمانهم
اغلالا كما روي سابقا عن ابن عباس وعنه قال الاغلال ما بين الصدر الى الذقن فهم مقمحون كما تقمح
الدابة باللجام وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا اي منعناهم عن الايمان
بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد والسد
بضم السين وفتحها لغتان قال الضحاك سدا اي الدنيا وسدا اي الآخرة وقيل بالعكس فاغشيناهم
بالغين المعجمة اي غطينا ابصارهم على حذف مضاف وقرئ بالعين المهملة من العشاء وهو ضعف
البصر ومنه ومن يعش عن ذكر الرحمن فهم بسبب ذلك لا يبصرون اي لا يقدرون على ابصار
شيء قال الفراء فالبسنا ابصارهم غشاوة اي عمي فهم لا يبصرون سبيل الهدى وكذا قال قتادة
ان المعنى لا يبصرون الهدى وقال السدي لا يبصرون محمدا صلى الله عليه وسلم حين ائتمروا على قتله
وعن ابن عباس قال في السد كانوا يمرون على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يرونه وعنه ايضا قال
اجتمعت قريش بباب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرون خروجه ليؤذوه فشق ذلك عليه فاتاه جبريل بسورة
يس وامره بالخروج عليهم فاخذ كفا من تراب وخرج وهو يقرؤها ويذر التراب على رؤسهم فما راوه حتى
جاز فجعل احدهم يلمس راسه فيجد التراب فجاء بعضهم فقال ما يجلسكم قالوا ننتظر محمدا فقال لقد رايته
داخل المسجد قال قوموا فقد سحركم قال الضحاك في الآية اي عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرائع
في الدنيا قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم قال البيضاوي هذا تمثيل اخر

بمن احاط بهم سدان فغطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات والدلائل وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَاَنْذَرْتَهُمْ اَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ اي انذارك اياهم وعدمه سواء وهذا بيان لشانهم بطريق التوبيخ بعد بيانه بطريق التمثيل وجملة لَا يُؤْمِنُونَ مستانفة مبينة لما قبلها من الاستواء او حال مؤكدة او بدل منه روي ان عمر بن عبد العزيز قرء هذه الاية على غيلان القدري فقال كاني لم اقرأها اشهدك اني تائب عن قولي في القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فاخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق وعن ابن عباس في الاية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرء في المسجد فيجهر بالقراءة حتى تاذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه واذا ايديهم مجموعة باعناقهم واذا هم عمي لا يبصرون فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ننشدك الله والرحم يا محمد قال ولم يكن بطن من بطون قريش الا وللنبي صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة فدعى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يٰس الى قوله لا يؤمنون قال فلم يؤمن من ذلك النفر احد وفي الباب روايات في سبب نزول ذلك هذه الرواية احسنها واقربها الى الصحة وقال الزجاج في الاية اي من اضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وانما ينفع الانذار من ذكر في قوله اِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ اي القران وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ اي في الدنيا فَبَشِّرْهُ الفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية اي بشر هذا الذي اتبع الذكر بِمَغْفِرَةٍ عظيمة وَّاَجْرٍ كَرِيْمٍ اي حسن وهو الجنة ثم اخبر سبحانه باحيائه الموتى فقال اِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتٰى اي نبعثهم بعد الموت وقال الحسن والضحاك اي نحييهم بالايمان بعد الجهل والاول اولى وهو بيان لشان عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا ثم توعدهم بكتب اثارهم فقال وَنَكْتُبُ في صحف الملائكة مَا قَدَّمُوْا اي ما سلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وَاٰثَارَهُمْ اي ما ابقوه من الحسنات التي لا ينقطع نفعها بعد الموت كمن سن سنة حسنة كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او السيئات التي تبقى بعد موت فاعلها كمن سن سيئة كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشي احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه ونحو ذلك

قال مجاهد وابن زيد نظيره قوله علمت نفس ما قدمت واخرت وقوله ينبؤ الانسان يومئذ
بما قدم واخر وقيل المراد بالآثار آثار المشائين الى المساجد وبه قال جماعة من الصحابة و
التابعين قال النحاس وهو اولى ما قيل في الآية لانها نزلت في ذلك ويجاب عنه بان الاعتبار
بعموم الآية لا بخصوص سببها وعمومها يقتضي كتب جميع آثار الخير والشر والاحياء هو المعتبر و
الكناية مؤكدة معظمة لامره فلهذا اقدم الاحياء وقرئ نكتب على البناء للفاعل وللمفعول عن
ابي سعيد الخدري قال كان بنو سلمة في ناحية من المدينة فارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد
فانزل الله انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه
يكتب آثاركم ثم قرأ عليهم الآية فتركوا اخرجه الترمذي وحسنه والبزار والحاكم وصححه وغيرهم
وفي صحيح مسلم وغيره من حديث جابر قال ان بني سلمة ارادوا ان يبيعوا ديارهم ويتحولوا قريبا من
المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم وكل شيء من اعمال
العباد وغيرها كائنا ما كان وقرء الجمهور بنصب كل على الاشتغال وقرئ بالرفع على الابتداء احصيناه
في امام اي كتاب مقتدى به مبين موضح لكل شيء قال مجاهد وقتادة وابن زيد اراد اللوح المحفوظ
وقالت فرقة اراد صحائف الاعمال واضرب لهم مثلا اصحاب القرية قد تقدم الكلام على نظير
هذا في البقرة والنحل والمعنى اضرب لاجلهم مثلا او اضرب لاجل نفسك اصحاب القرية مثلا اي
مثلهم عند نفسك باصحاب القرية فعلى الاول لما قال تعالى انك لمن المرسلين وقال لتنذر قوما
قال قل لهم ما انا بدعا من الرسل فان قبلي بقليل جاء اصحاب القرية المرسلون وانذروهم بما انذرتكم
وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار المقامة وعلى الثاني لما قال ان الانذار لا ينفع
من اضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي صلى الله عليه وسلم اضرب لنفسك ولقومك مثلا اي مثل
لهم عند نفسك مثلا باصحاب القرية حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على الايذاء
وانت جئت اليهم واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤا الى اهل قرية وانت بعثت الى
الناس كافة والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية
فترك المثل واقيم اصحاب القرية مقامه في الاعراب وقيل لا حاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب
القرية لهم مثلا على ان يكون مثلا واصحاب القرية مفعولين لاضرب او يكون اصحاب القرية بدلا من مثلا

وقد قدمنا الكلام على المفعول الاول من هذين المفعولين هل هو مثلا او اصحاب القرية وقد
قيل ان ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله ضرب الله
مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ويستعمل اخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير
قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم احوالا بديعة غريبة هي
في الغرابة كالامثال فقوله سبحانه هنا واضرب لهم مثلا يصح اعتبار الامرين فيه قال القرطبي هذه
القرية هي انطاكية في قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس وبريدة وهي ذات عين وسور
عظيم من صخر داخله خمسة اجبل دورها اثنا عشر ميلا والعواصم بلاد قصبتها انطاكية وهي بارض
الروم اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية والمرسلون هم اصحاب عيسى بعثهم الى
اهل انطاكية للدعاء الى الله وكانوا عبدة اوثان وانما اضاف سبحانه الارسال الى نفسه في قوله اذ ارسلنا
اليهم اثنين لان عيسى ارسلهم بامر الله سبحانه ويجوز ان يكون ارسلهم الله بعد رفع عيسى الى
السماء من غير واسطة فكذبوهما في الرسالة وقيل ضربوهما وسجنوهما قيل واسم الاثنين يوحنا و
شمعون وقيل اسماء الثلاثة صادق ومصدوق وشلوم قاله ابن جرير وغيره وقيل شمعان و
يحيى وبولس وقال وهب اسمهما يحيى وبولس وقال كعب صادق و صدوق فعززنا بثالث قرئ
بتشديد الزاي وتخفيفها قال الجوهري فعززنا يخفف ويشدد اي قوينا وشددنا فالقراءتان على
هذا بمعنى وقيل التخفيف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه وعزني في الخطاب والتشديد بمعنى قوينا وكثرنا
قيل وهذا الثالث هو شمعون وقيل غيره وعن ابن عباس قال كان بين موسى بن عمران وبين عيسى
بن مريم الف سنة وتسعمائة سنة ولم تكن بينهما فترة وانه ارسل بينهما الف نبي من بني اسرائيل
سوى من ارسل من غيرهم وكان بين ميلاد عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسع وستون
سنة بعث في اولها ثلاثة انبياء وهو قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والذي
عزز به شمعون وكان من الحواريين وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا اربعمائة سنة واربعا
وثلاثين سنة اخرجه ابن سعد وابن عساكر فقالوا انا اليكم مرسلون اي قال الثلاثة جميعا
وجاؤا بكلامهم هذا مؤكدا لسبق التكذيب للاثنين والتكذيب لهما تكذيب للثالث لانهم ارسلوا جميعا
بشيء واحد وهو الدعاء الى الله عز وجل وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كانه قيل ما قال

هؤلاء الرسل بعد التعزيز لهم بثالث وكذلك جملة قالوا ما انتم الا بشر مثلنا فانها مستانفة
كانه قيل فما قال لهم اهل انطاكية فقيل قالوا ما انتم الا بشر مثلنا اي مشاركون لنا في البشرية
فليس لكم مزية علينا تختصون بها والخطاب للثلاثة ثم صرحوا بجحود انزال الكتب السماوية فقالوا
وما انزل الرحمن من شيء مما تدعونه انتم ويدعيه غيركم ممن قبلكم من الرسل واتباعهم
ان انتم الا تكذبون في دعوى ما تدعون من ذلك قالوا اي فاجابوهم باثبات رسالتهم بكلام
مؤكد تاكيدا بليغا لتكرر الانكار من اهل انطاكية وهو قولهم ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فاكدوا
الجواب بالقسم الذي يفهم من قولهم ربنا يعلم وبان وباللام قال الزمخشري ووجه التكرار ان
الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار انتهى وهذا مخالف لما في المفتاح من انهم اكدوا
في المرة الاولى لان تكذيب الاثنين تكذيب للثالث لاتحاد المقالة فلما بالغوا في تكذيبهم زادوا
التاكيد وما ذهب اليه الزمخشري نظرا الى ان مجموع الثلاثة لم يسبق منهم اخبار ولا تكذيب
لهم في المرة الاولى فالتاكيد فيها للاعتناء والاهتمام بالخبر انتهى قاله الشهاب وما علينا الا البلاغ
المبين اي ما يجب علينا من جهة ربنا الا تبليغ رسالته على وجه الظهور والوضوح بالادلة
الواضحة وهي ابراء الاكمه والابرص والمريض واحياء الميت وليس علينا غير ذلك وهذه جملة مستانفة
كالتي قبلها وكذلك جملة قالوا انا تطيرنا بكم فانها مستانفة جوابا عن سؤال مقدر اي انا تشاءمنا
بكم لانقطاع المطر عنا بسببكم لم يجدوا جوابا يجيبون به على الرسل الا هذا الجواب المبني على
الجهل المنبئ عن الغباوة العظيمة وعدم وجود حجة يدفعون الرسل بها وعادة الجهال ان
يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم بلاء
او نقمة قالوا بشومه هذا وبركة هذا قال مقاتل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشومكم
قيل انهم اقاموا ينذرونهم عشر سنين وقيل انما تطيروا لما بلغهم من ان كل نبي اذا جاء قومه
فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك واصل التطير التفاول بالطير فانهم كانوا يزعمون ان الطائر
السانح سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل في كل ما يتشاءم به وفي المختار وطائر الانسان
عمله الذي قلده والطير ايضا الاسم من التطير ومنه قولهم لا طير الا طير الله وتطير من الشيء وبالشيء
والاسم الطيرة بوزن عنبة وهو ما يتشاءم به من الفال الردي وفي الحديث انه كان يحب الفال ويكره الطيرة

وقوله تعالى قالوا اطيرنا بك اصله تطيرنا فادغم ثم رجعوا الى التجبر والتكبر لما ضاقت صدورهم
واعيتهم العلل فقالوا لئن لم تنتهوا اللام للقسم اي والله لئن لم تتركوا هذه الدعوى و
تعرضوا عن هذه المقالة لنرجمنكم بالحجارة قال الفراء عامة ما في القران من الرجم المراد به القتل
وقال قتادة هو على بابه من الرجم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم اي شديد فظيع و
قيل معناه التحريق بالنار او القتل وقيل الشتم وقيل هو التعذيب المولم من غير تقييد بنوع
خاص وهذا هو الظاهر لكنهم حنثوا في هذا القسم لانهم لم يتمكنوا من بره لاهلاك الله لهم ثم
اجاب عليهم الرسل دفعا لما زعموه من التطير بهم و قالوا طائركم معكم اي شومكم
معكم من جهة انفسكم لازم في اعناقكم وليس هو من شومنا قال الفراء طائركم اي رزقكم وقدركم
وعملكم وبه قال قتادة وقرأ الجمهور طائركم اسم فاعل اي ما طار لكم من الخير والشر وقرأ الحسن
اطيركم اي تطيركم ائن ذكرتم قرئ بهمزة استفهام بعدها ان الشرطية على الخلاف بينهم في
التسهيل والتحقيق وادخال الف بين الهمزتين وعدمه وقرئ بهمزتين مفتوحتين وقرئ
اين على صيغة الظرف واختلف سيبويه ويونس اذا اجتمع استفهام وشرط ايهما يجاب فذهب
سيبويه الى انه يجاب الاستفهام وذهب يونس الى انه يجاب الشرط وعلى القولين فالجواب هنا
محذوف اي ائن ذكرتم ووعظتم وخوفتم فطائركم معكم لدلالة ما تقدم عليه وقرئ ان
ذكرتم بهمزة مفتوحة اي لان ذكرتم والقراءات كلها سبعية ثم اضربوا عما يقتضيه الاستفهام
والشرط من كون التذكير سببا للشوم او مصححا للتوعد فقالوا بل انتم قوم مسرفون اي ليس الامر
كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في المعصية فمن ثم اتاكم الشوم من قبلكم لا من قبل رسل الله
وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في تطيركم قاله قتادة وقال يحيى بن سلام مسرفون في كفركم
وقال ابن بحر السرف هنا الفساد والاسراف في الاصل مجاوزة الحد في مخالفة الحق اي متجاوزون
الحد بشرككم وهذا لا ينافي كون اهل انطاكية اول المؤمنين برسل عيسى فان الملك وقومه امنوا
وهلاك قاتلي حبيب لا يستلزم هلاك اهل انطاكية وجاء من اقصا المدينة وهي القرية السابق
ذكرها وعبر عنها هنا بالمدينة اشارة لكبرها واتساعها رجل يسعى هو حبيب بن مري وكان
نجارا وقيل اسكافا وقيل قصارا وقال مجاهد و مقاتل هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام

وقال وهب كان يعمل الحرير وقال قتادة كان يعبد الله في غار فلما سمع بخبر الرسل جاء يسعى
اي يشتد عدواً قال ابن عباس اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد اسرع فيه قال القرطبي
وهو ممن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يؤمن احد بنبي غير نبينا صلى الله عليه وسلم الا بعد ظهوره وعلم انبينا فامن به قبل ظهوره كذا قاله انتهى وفيه
من البعد والضعف ما لا يخفى ويدفعه قوله سبحانه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اي رسل عيسى عليه
السلام ولم يذكر نبينا صلى الله عليه وسلم ولا دلت الآية عليه والجملة مستأنفة كأنه قيل فماذا قال لهم
عند مجيئه فقيل قال الخ اي اتبعوا هؤلاء الذين ارسلوا اليكم فانهم جاؤا بحق ثم اكد ذلك وكرره
فقال اتبعوا من لا يسألكم بدل من المرسلين باعادة العامل او تابع له اجراً على ما جاؤكم به
من الهدى وهم اي الرسل مهتدون ولو كانوا متهمين بعدم الصدق لسألوكم المال فاهتدوا
انتم ايضا تبعا لهم ثم ابرز الكلام في معرض النصيحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه فقال

ومالي لا اعبد الذي فطرني

اي اي مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقني ثم رجع الى خطابهم لبيان انه ما اراد نفسه
بل ارادهم بكلامه فقال واليه ترجعون اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة
اثر النعمة وكانت عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم اليق ولذلك لم يقل اليه ارجع
وفيه مبالغة في التهديد وهذه الطريقة احسن من ادعاء الالتفات ثم عاد الى المساق الاول
وهو التلطف في الارشاد والنصيحة لقصد التأكيد ومزيد الايضاح فقال أأتخذ من دونه آلهة
اي غيره آلهة وجعل الانكار متوجها الى نفسه وهم المرادون به اي لا اتخذ من دون الله آلهة واعبدها
واترك عبادة من يستحقها وهو الذي فطرني ثم بين حال هذه الاصنام التي يعبدونها من دون
الله سبحانه انكارا عليهم وبيانا لضلال عقولهم وقصور ادراكهم فقال ان يردن الرحمن بضر
اي بسوء ومكروه شرط وجوابه لا تغن عني شفاعتهم شيئا من النفع كائنا ما كان اي لا شفاعة
لها فتغني عني ولا ينقذون من ذلك الضر الذي ارادني الرحمن به فاسمعوني في الحالين وهذه
الجملة صفة لآلهة او مستأنفة لبيان حالها في عدم النفع والدفع اني اذاً اي اني اذا اتخذت من دونه

الهة وعبدت غير الله إني إذا لفي ضلال مبين ظاهر واضح لأن إيثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه
ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وهذا تعريض
بهم كما سبق والضلال الخسران ثم صرح بإيمانه تصريحا لا يبقى بعده شك فقال إني آمنت
بربكم فاسمعون بكسر النون وهي نون الوقاية وهي اللغة العالية وقرئ بفتحها وهي غلط قال
المفسرون أراد القوم قتله فأقبل هو على المرسلين فقال إني آمنت بربكم أيها المرسل فاسمعوا
إيماني واشهدوا لي به وقيل إنه خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله تصلبا في الدين
تشددا في الحق وعدم المبالاة بالقتل فلما قال هذا القول وصرح بالإيمان وثبوا عليه فقتلوه
وقيل وطئوه بأرجلهم وقال الحسن حرقوه حرقا وعلقوه في سور المدينة وقبره في سور أنطاكية
وقيل حفروا له حفيرة وألقوه فيها وقيل إنهم لم يقتلوه بل رفعه الله إلى السماء وهو في الجنة
وبه قال الحسن وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقيل
نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت روحه إلا في الجنة فدخلها فذلك
قوله تعالى قيل ادخل الجنة أي قيل له ذلك عند موته تكريما له بدخولها بعد قتله كما هي
سنة الله في شهداء عباده ولم يذكر لفظ له في نظم الآية لأن الغرض بيان المقول لا المقول له
فإنه معلوم وعلى قول من قال إنه رفع إلى السماء ولم يقتل يكون المعنى أنهم لما أرادوا قتله نجاه
الله من القتل وقيل له ادخل الجنة وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن وقيل إنه الأمر
أمر تكوين لا أمر امتثال على قوله أن يقول له كن فيكون فالمعنى أدخله الله الجنة سريعا فلما
دخلها ورأى نعيمها وشاهدها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من
المكرمين الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر أي فماذا قال بعد أن قيل له ادخل الجنة
فدخلها فقال يا ليت قومي الخ وهم الذين قتلوه فنصحهم حيا وميتا قال ابن أبي ليلى سباق
الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وهو أفضلهم ومؤمن آل فرعون وصاحب
يس وهم الصديقون ذكره الزمخشري وما في بما هي المصدرية وقيل موصولة أي بالذي غفر لي
ربي والباء صلة يعلمون والعائد محذوف أي غفره لي ربي واستضعف هذا لأنه لا معنى
لتمنيه أن يعلم قومه بذنبه المغفور وليس المراد إلا التمني منه بأن يعلم قومه بغفران الله له

وانيه اشار في التقرير وقال الفراء انها استفهامية جاءت على الاصل بمعنى التعجب والباء صلة
غفر كانه قال باي شيء غفر لي ربي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم
قال الكسائي لو صح هذا لقال بم من غير الف ويجاب عنه بانه قد ورد في لغة العرب اثباتها وان
كان مكثورا بالنسبة الى حذفها ومعنى تمنيه قولان احدهما انه تمنى ان يعلموا بحاله ليعلموا حسن
ماله وحميد عاقبته ارغاما لهم وقيل انه تمنى ان يعلموا بذلك ليؤمنوا مثل ايمانه فيصيروا
الى مثل حاله ولما وقع ما وقع منهم مع حبيب النجار غضب الله له وعجل لهم النقمة واهلكهم
بالصيحة ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ﴾ اي على قوم حبيب النجار من بعد قتلهم له او من بعد
رفع الله له الى السموات على الاختلاف السابق ﴿مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ لاهلاكهم والانتقام منهم
اي لم نحتج الى ارسال جنود من السماء لاهلاكهم كما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر من ارسال
الملائكة لنصرته وحرب اعدائه وذلك لان الله اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض
لحكمة اقتضت ذلك وعن ابن مسعود في الاية قال يقول ما كابدناهم بالجموع اي الامر
ايسر علينا من ذلك ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ اي وما صح في قضائنا وحكمتنا ان ننزل لاهلاكهم جندا لسبق
قضائنا وقدرنا بان اهلاكهم بالصيحة لا بانزال الجند وقال قتادة ومجاهد والحسن اي ما انزلنا
عليهم من رسالة من السماء ولا نبي بعد قتله وروي عن الحسن انه قال هم الملائكة النازلون
بالوحي على الانبياء والظاهر ان معنى النظم القراني تحقير شانهم وتصغير امرهم اي ليسوا باحقاء
بان ننزل لاهلاكهم جندا من السماء بل اهلكناهم بصيحة واحدة كما يفيده قوله ﴿إِن كَانَتْ﴾ اي
العقوبة او النقمة او الاخذة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بها جبريل فاهلكهم قرئ صيحة بالنصب
على ان كان ناقصة واسمها ضمير يعود الى ما يفهم من السياق كما قدمنا وقرئ برفعها على ان كان
تامة اي وقع وحدث وانكرها ابو حاتم وكثير من النحويين بسبب التانيث في قوله ان كانت وقيل غير ذلك
وقرا ابن مسعود ان كانت الا زقية واحدة والزقية الصيحة قال النحاس وهذا مخالف للمصحف
وايضا فان اللغة المعروفة زقى يزقو اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي فكان يجب على هذا ان
يكون زقوة ويجاب عنه بما ذكره الجوهري قال الزقو والزقي مصدر وقد زقى الصدى ايزقو زقاء اي
صاح وكل صائح زاق والزقية الصيحة قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم

صيحة فإذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت وهو معنى قوله فإذا هم خامدون
ميتون شبههم بالنار إذا طفئت لأن الحياة كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والموت كخمودها
يا حسرة على العباد النصب على أنها منادى منكر كأنه نادى الحسرة وقال لها هذا أوانك فاحضري
وقيل إنها منصوبة على المصدرية والمنادى محذوف والتقدير يا هؤلاء تحسروا حسرة وقرئ بالضم
على النداء قال الفراء في توجيه هذه القراءة إن الاختيار النصب وأنها لو رفعت النكرة لكان صوابا
واستشهد بأشياء نقلها عن العرب منها أنه سمع منهم يا مهتم بأمرنا لا تهتم قال النحاس وفي هذا
إبطال باب النداء أو أكثره قال وتقدير ما ذكره يا أيها المهتم لا تهتم بأمرنا وحقيقة الحسرة أن يلحق
الإنسان من الندم ما يصير به حسيرا قال ابن جرير المعنى يا حسرة من العباد على أنفسهم وتندما
وتلهفا في استهزائهم برسل الله وقرئ يا حسرة العباد على الإضافة ورويت هذه القراءة عن
أبي وقال الضحاك إنها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل وقيل هي من قول الرجل الذي
جاء من أقصى المدينة وقيل إن القائل يا حسرة على العباد هم الكفار المكذبون والعباد الرسل و
ذلك أنهم لما رأوا العذاب تحسروا على قتلهم وتمنوا الإيمان قاله أبو العالية ومجاهد وقيل إن التحسر
عليهم هو من الله عز وجل بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه وقرئ يا حسره بسكون الهاء إجراء
للوصل مجرى الوقف وقرئ يا حسرتا كما قرئ بذلك في سورة الزمر قال ابن عباس أي يا ويلا
للعباد وعنه قال الندامة على العباد يوم القيامة واللام في العباد للجنس ما يأتيهم من رسول
إلا كانوا به يستهزئون مستأنفة مسوقة لبيان ما كانوا عليه من تكذيب الرسل والاستهزاء
بهم وأن ذلك هو سبب التحسر عليهم ثم عجب سبحانه من حالهم حيث لم يعتبروا بأمثالهم من
الأمم الخالية فقال ألم يروا كم أهلكنا أي ألم يعلموا كثرة من أهلكنا قبلهم من القرون
التي أهلكناها من الأمم الخالية والاستفهام للتقرير على حد قوله ألم نشرح لك صدرك
أنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا على المعنى قال سيبويه إنه بدل من كم وهي
الخبرية فلذلك جاز أن يبدل منها ما ليس باستفهام والمعنى ألم يروا أن القرون الذين
أهلكناهم أنهم إليهم لا يرجعون وقال الفراء كم في موضع نصب من وجهين أحدهما بيروا
والوجه الآخر بأهلكنا قال النحاس القول الأول محال لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها لأنها استفهام

وحال ان يدخل الاستفهام في حيز ما قبله وكذا حكمها اذا كانت خبرا وان كان سيبويه
قد اومى الى بعض هذا فجعل انهم بدلا من كم وقد رد ذلك المبرد اشد رد ثم بين سبحانه
رجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا فقال وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ
قرئ لما مشددا ومخففا قال الفراء من شدد جعل لما بمعنى الا وان بمعنى ما اي ما كل الا
جميع ومعنى جميع مجموعون فهو فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له واما على قراءة التخفيف
فان هي المخففة من الثقيلة وما بعدها مرفوع بالابتداء واللام هي الفارقة بين المخففة والنافية
قال ابو عبيدة وما على هذه القراءة زائدة والتقدير عنده وان كل لجميع والحاصل ان كل اشير بها
لاستغراق الافراد وشمولهم وجميع اشير بها الى اجتماع الكل في مكان واحد وهو المحشر وقيل بمعنى
محضرون معذبون والاولى انه على معناه الحقيقي من الاحضار للحساب والجزاء ثم ذكر سبحانه البرهان
على التوحيد والحشر مع تعداد النعم وتذكيرها فقال وَآيَةٌ لَهُمُ على البعث والتوحيد الْأَرْضُ
الْمَيْتَةُ فآية خبر مقدم وتنكيرها للتفخيم ولهم صفتها او متعلقة بآية لانها بمعنى علامة والارض
مبتدأ ويجوز ان يكون آية مبتدأ لكونها قد تخصصت بالصفة وما بعدها الخبر قرئ ميتة بالتشديد
والتخفيف أَحْيَيْنَاهَا مستانفة مبينة لكيفية كونها آية وقيل هي صفة للارض فنبههم الله بهذا
على احياء الموتى وذكرهم نعمه وكمال قدرته فانه سبحانه احيى الارض بالنبات واخرج منها الحبوب
التي ياكلونها ويتغذون بها وهو معنى قوله وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وهو ما يقتاتونه من الحبوب
وتقديم منه للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل واكثر ما يقوم به المعاش وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ
مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ اي جعلنا في الارض جنات من انواع النخل والعنب وخصهما بالذكر لانهما اعلى
الثمار وانفعها للعباد والنخل والنخيل بمعنى والواحدة نخلة وفي المصباح النخل اسم جمع والواحدة
نخلة وكل جمع يفرق بينه وبين واحده بالتاء فاهل الحجاز يؤنثونه واهل نجد وتميم يذكرونه
واما النخيل بالياء فمؤنثة قال ابن ابي حاتم لا اختلاف في ذلك والاعناب جمع عنب والعنبة الواحدة
من العنب وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ اي فجرنا في الارض بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه او المفعول العيون ومن مزيدة على رأي من جوز زيادتها في الاثبات والمراد بالعيون
عيون الماء قرأ الجمهور بالتشديد وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى واللام في

قوله ليأكلوا من ثمره متعلقة بجعلنا والضمير المجرور يعود الى المذكور من الجنات والنخيل وقيل هو راجع
الى ماء العيون لان الثمر منه قاله الجرجاني وقرئ ثمره بضمتين وبفتحتين وهما سبعيتان وقرأ الاعمش
بضم الثاء واسكان الميم وقد تقدم الكلام في هذا في الانعام وما عملته ايديهم اي ليأكلوا
من ثمره ويأكلوا مما عملته ايديهم كالعصير والدبس ونحوهما وكذلك ما غرسوه وحفروه
على ان ما موصولة وفيه تجوز على هذا وقيل هي نافية والمعنى لم يعملوه بل العامل له هو الله عز
وجل اي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل انها نكرة
موصوفة والكلام فيها كالذي في الموصولة وقيل انها مصدرية اي ومن عمل ايديهم
والمصدر واقع موقع المفعول به فيعود المعنى الى معنى الموصولة او الموصوفة وعن ابن عباس في الاية
قال وجدوها معمولة لم تعملها ايديهم يعني الفرات ودجلة ونهر بلخ واشباهها افلا يشكرون
الاستفهام للتقريع والتوبيخ لهم بعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي ايرون هذه النعم او يتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الازواج كلها
مستانفة مسوقة لتنزيهه سبحانه عما وقع منهم من ترك الشكر لنعمه المذكورة والتعجب من اخلالهم
بذلك وقد تقدم الكلام مستوفى في معنى سبحان وهو في تقدير الامر للعباد بان ينزهوه عما لا يليق به
والازواج الانواع والاصناف فكل زوج صنف لانه مختلف في الالوان والطعوم والاشكال والصغر
والكبر فاختلافها هو ازدواجها قال قتادة يعني الذكر والانثى مما تنبت الارض بيان للازواج
والمراد كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها ومن انفسهم اي خلق الازواج
من انفسهم وهم الذكور والاناث ومما لا يعلمون من اصناف خلقه في البر والبحر و
السماء والارض ثم الاودية والبحار اشياء لا يعلمها الناس ولم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا
الى معرفتها ووجه الاستدلال في هذه الاية انه اذا انفرد بالخلق فلا ينبغي ان يشرك به
واية لهم الليل نسلخ منه النهار الكلام في هذا كما قدمنا في قوله واية لهم الارض الخ والمعنى
ان ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب الهيته والسلخ الكشط والنزع يقال
سلخه الله من دينه ثم يستعمل بمعنى الاخراج فجعل سبحانه ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من
الشيء وهو استعارة بليغة فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام مفاجأة وبغتة يقال

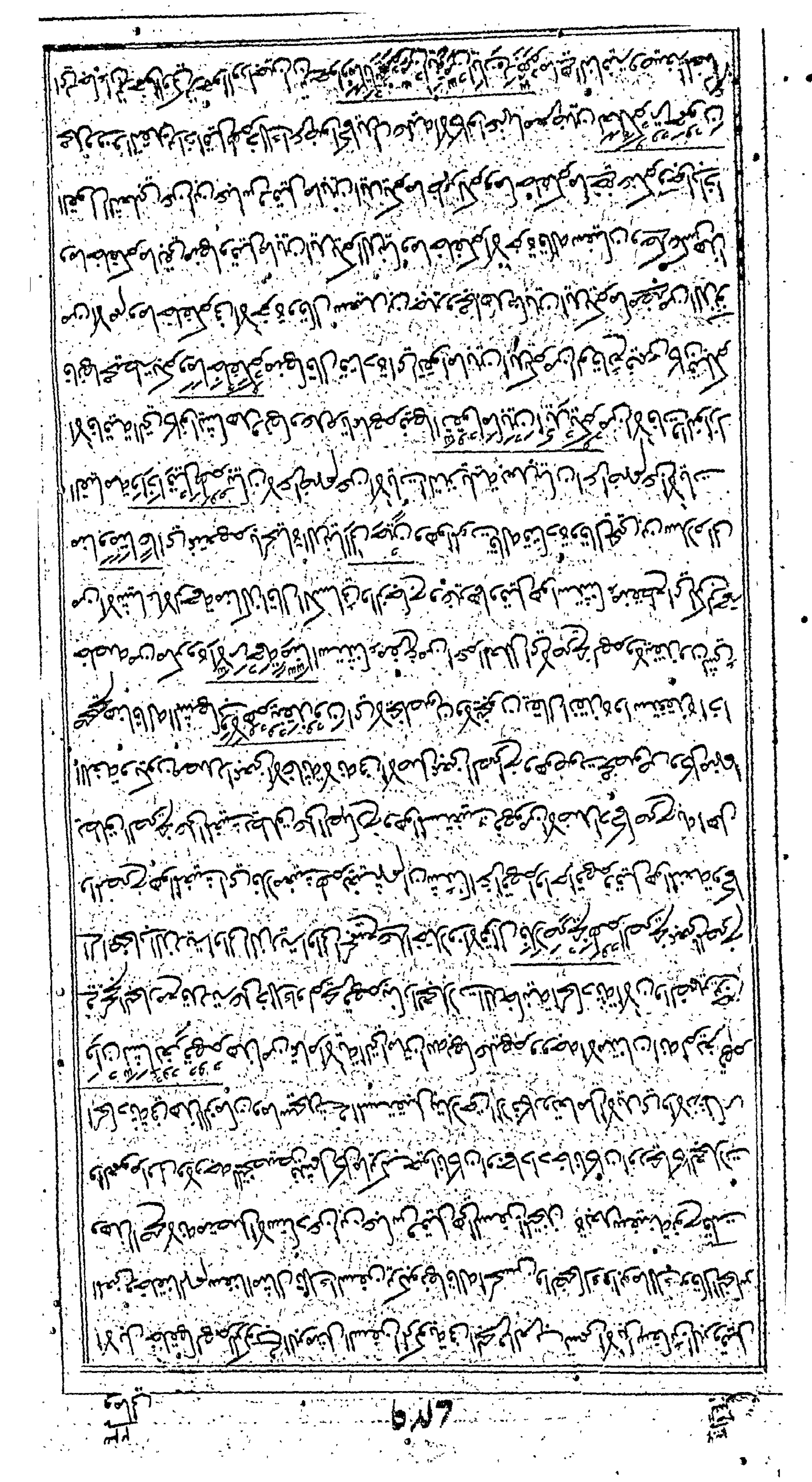
اظلمنا اي دخلنا في ظلام الليل واظهرنا دخلنا في وقت الظهر وكذلك اصبحنا وامسينا
وقيل منه بمعنى عنه والمعنى نسلخ عنه ضوء النهار فاذا هم في ظلمة لان ضوء النهار يتداخل
في الهواء فيضيء فاذا اخرج منه اظلم قال الفراء يرمي بالنهار على الليل فيأتي بالظلمة وذلك
ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليه فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل اي كشط و
ازيل فتظهر الظلمة وظاهره يشعر بان النهار طارئ على الليل قال المرزوقي الاية دلت على ان الليل
قبل النهار لان المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ كما ان المعطي قبل العطاء لكن كلامه في سورة الرعد
مؤذن بان بين الليل والنهار تواليا وتداخلا قال تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على
الليل والشمس تجري لمستقر لها يحتمل ان تكون الواو للعطف على الليل والتقدير واية لهم الشمس
ويجوز ان تكون ابتدائية والشمس مبتدء وما بعدها الخبر ويكون الكلام مستانفا مشتملا على
ذكر اية مستقلة قيل وفي الكلام حذف والتقدير تجري لجري مستقر لها اي تنتهي في سيرها
لاجل مستقرها وقيل اللام بمعنى الى قيل والمراد بالمستقر يوم القيامة فعنده تستقر فلا تبقى
لها حركة وقيل مستقرها هو ابعد ما تنتهي اليه ولا تجاوزه وقيل نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية
هبوطها في الشتاء وقيل مستقرها تحت العرش لانها تذهب الى هنالك فتسجد فتستاذن في الرجوع
فيؤذن لها وهذا هو الراجح وقال الحسن ان للشمس في السنة ثلثمائة وستين مطلعا تنزل
في كل يوم مطلعا ثم لا تنزل الى الحول فهي تجري في تلك المنازل وهو مستقرها وقيل ان الشمس
في الليل تسير وتشرق على عالم اخر من اهل الارض وان كنا لا نعرفه ويؤيد هذا القول ما قاله
الفقهاء في باب المواقيت كالشمس الرملي من ان الاوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات و
النواحي فقد يكون المغرب عندنا عصرا عند اخرين ويكون الظهر صبحا عند اخرين وهكذا
وقيل غير ذلك وقرئ لا مستقر لها بلا التي لنفي الجنس وبناء مستقر على الفتح وقرئ لا مستقر لها
التي بمعنى ليس ومستقر اسمها ولها خبرها ذلك اي ذلك الجري على ذلك الحساب الذي يكل النظر
عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه تقدير العزيز اي الغالب القاهر بقدرته على كل مقدور
العليم اي المحيط علمه بكل شيء ويحتمل ان تكون الاشارة راجعة الى المستقر اي ذلك المستقر تقدير الله اخرج
البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري

لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي لفظ للبخاري وغيره من حديثه قال كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال يا ابا ذر اتدري اين تغرب الشمس قلت الله ورسوله اعلم
قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها وفي لفظ من
حديثه ايضا عند احمد والترمذي والنسائي وغيرهم قال يا ابا ذر اتدري اين تذهب هذه
قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد بين يديها فتستاذن في الرجوع فيأذن
لها وكأنها قد قيل لها اطلعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ثم قرأ ذلك مستقر لها وذلك
قراءة عبد الله واخرج الترمذي والنسائي وغيرهما من قول ابن عمر نحوه قال النووي اختلف
المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس
كل يوم استقرت تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجري الى مستقرها واصل لا تتعداه وعلى
هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا واما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه
الله تعالى فيها والله اعلم والقمر قدرناه منازل قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو برفع القمر على
الابتداء وقرأ الباقون بالنصب على الاشتغال وانتصاب منازل على انه مفعول لان قدرنا
بمعنى صيرنا ويجوز ان يكون منتصبا على الحال اي قدرنا سيره حال كونه ذا منازل ويجوز ان يكون
منتصبا على الظرفية اي في منازل واختار ابو عبيد النصب في القمر قال لان قبله فعلا وهو نسلخ وبعده
فعلا وهو قدرنا قال النحاس اهل العربية جميعا فيما علمت على خلاف ما قال منهم الفراء قال الرفع
اعجب الي قال وانما كان الرفع عندهم اولى لانه معطوف على ما قبله ومعناه وآية لهم القمر قال
ابو حاتم الرفع اولى لانك شغلت الفعل عنه بالضمير فرفعته بالابتداء والمنازل هي الثمانية و
العشرون التي ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير
فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويسمى
صغر وفتر وسما في آخرها فاذا صار القمر في آخرها عاد الى اولها فيقطع الفلك في ثمان وعشرين
ليلة ثم يستتر ليلتين ثم يطلع هلالا فيعود في قطع تلك المنازل من الفلك اخرج الخطيب عن
ابن عباس في الآية قال هي ثمانية وعشرون منزلة لا ينزلها القمر في كل شهر اربعة عشر منها شامية و
اربعة عشر منها يمانية فاولها الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع

والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك وهو آخر الشامية والغفر والزبانا
والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية
ومقدم الدلو ومؤخر الدلو والحوت وهو آخر اليمانية سئل الرملي هل القمر الموجود في كل شهر هو الموجود
في الآخر او غيره فاجاب بان في كل شهر قمرا جديدا انتهى وهذا يدل على صحة تجدد الامثال
ان ثبت بالنص من الشارع ويمكن مثله القول في الشمس لكن لا دليل على ذلك كله حتى عاد في
آخر منازله في رأي العين كالعرجون القديم هو عود الشماريخ بالضم اذا يبس واعوج والقديم
الذي اتى عليه الحول واذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به من ثلاثة اوجه فاذا
سار هذه الثمانية وعشرين منزلا عاد كالعرجون القديم كما كان في اول الشهر وهذا يدفع ما
ذكره الرملي فليتأمل وقال ابن عباس العرجون القديم اصل العذق العتيق قال الزجاج العرجون
هو عود العذق الذي فيه الشماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف اي سار في منازله
حتى اذا كان في آخرها دق واستقوس وصغر حتى صار كالعرجون القديم وعلى هذا فالنون
زائدة قال قتادة هو العذق اليابس المنحني من النخلة قال ثعلب العرجون الذي يبقى في النخلة اذا
قطعت والقديم البالي قال الخليل العرجون اصل العذق وهو اصفر عريض يشبه به الهلال
اذا انحنى وكذا قال الجوهري انه اصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل
يابسا وعرجنه ضربه بالعرجون وعلى هذا فالنون اصلية قرأ الجمهور بضم العين والجيم وقرئ بكسر
العين وفتح الجيم وهما لغتان لا الشمس ينبغي لها مرفوعة بالابتداء اي لا يصح ولا يمكن للشمس ولا
يستقيم ولا يتسهل ان تدرك القمر في سرعة السير وتنزل في المنزل الذي فيه القمر وتجمع
معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان ذلك يخل بتكوين النبات وتعيش
الحيوان ولان لكل واحد منهما سلطانا على انفراده فلا يتمكن احدهما من الدخول على الآخر فيذهب
سلطانه الى ان يأذن الله بالقيامة فتطلع الشمس من مغربها ويفهم من الآية ان حركتهما بالتسخير
لا بارادتهما ونفى الله تعالى الادراك عن الشمس دون عكسه لان مسير القمر اسرع لانه يقطع فلكه
في شهر والشمس لا تقطع فلكها الا في سنة فكانت جديرة بان توصف بنفي الادراك لبطء سيرها
وكان القمر خليقا بان يوصف بنفي السبق لسرعة سيره كما سيأتي وقال الضحاك معناه

اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء وقال مجاهد اي لا يشبه
ضوء احدهما ضوء الآخر وقال الحسن انهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة وكذا قال
يحيى بن سلام وقيل معناه اذا اجتمع في السماء كان احدهما بين يدي الآخر في منزل لا يشتركان
فيه وقيل القمر في سماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة ذكره النحاس والمهدوي قال النحاس احسن
ما قيل في معناه وابينه ان سير القمر سريع والشمس لا تدركه في السير واما قوله تعالى وجمع الشمس و
القمر فذلك حين حبس الشمس عن الطلوع على ما تقدم بيانه في الانعام ويأتي في سورة القيامة
ايضا وجمعهما علامة لانقضاء الدنيا وقيام الساعة ولا الليل سابق النهار اي لا يسبقه فيفوته
ولكن يعاقبه ويجيء كل واحد منهما في وقته لا يسبق صاحبه وقيل المراد من الليل والنهار آيتاهما
وهما الشمس والقمر فيكون عكس قوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي ولا القمر سابق الشمس وهذا
لا ينافي ان الليل برمته سابق في الوجود على النهار برمته وهو احد قولين واستدل بعضهم
بهذه الآية على ان النهار مخلوق قبل الليل وان الليل لم يسبقه بالخلق ووجه الاستدلال ان
المعنى ليس الليل سابق النهار يعني بل النهار هو السابق وهذا ينظر الى مقابلة جملة الليل بجملة
النهار والآية محتملة لكل من القولين وايراد السبق مكان الادراك لسرعة سير القمر وهما نيران لا يزال
امرهما على هذا الترتيب الى ان تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها
وكل في فلك يسبحون التنوين في كل عوض من المضاف اليه اي وكل واحد منهما والفلك هو
الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة قال العماد بن كثير في البداية والنهاية حكى ابن حزم
وابن الجوزي وغير واحد الاجماع على ان السموات كرية مستديرة واستدل عليه بهذه الآية
قال الحسن يدورون وقال ابن عباس في فلكة مثل فلكة المغزل قالوا ويدل على ذلك ان
الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع في آخرها من المشرق قال ابن حجر حكى الاجماع على ان
السموات مستديرة جمع واقاموا عليه الادلة وخالف في ذلك فرق يسيرة من اهل الجدل
وقال ابن العربي السموات ساكنة لا حركة فيها جعلها الله ثابتة مستقرة هي لنا كالسقف للبيت
ولهذا سماها السقف المرفوع واستخرج اهل البديع من لفظ كل في فلك صنعة القلب ونحوه قوله تعالى
وربك فكبر والتسبيح السير بانبساط وسهولة والجمع باعتبار اختلاف مطالعهما فكأنهما متعددان

بتعددها او المراد الشمس والقمر والكواكب ثم ذكر سبحانه وتعالى نوعا آخر مما امتن به على عباده
من النعم فقال وآية لهم ارتفاع آية على انها خبر مقدم والمبتدأ انا حملنا او العكس اي
علامة ودلالة وقيل معنى آية هنا العبرة وقيل النعمة وقيل النذارة وقيل ان الضمير في لهم
يرجع الى العباد المذكورين في قوله يا حسرة على العباد لانه قال بعد ذلك وآية لهم الارض الميتة
وقال وآية لهم الليل ثم قال وآية لهم انا حملنا ذريتهم فكانه قال وآية للعباد انا حملنا ذريات
العباد ولا يلزم ان يكون المراد باحد الضميرين البعض منهم وبالضمير الآخر البعض الآخر وهذا
قول حسن وقد اختلف في معنى انا حملنا ذريتهم فالى من يرجع الضمير لان الضمير الاول هو
قوله وآية لهم لاهل مكة او لكفار العرب او للكفار على الاطلاق الكائنين في عصر محمد صلى الله عليه وسلم
فقيل الضمير يرجع الى القرون الماضية والمعنى ان الله حمل ذرية القرون الماضية في الفلك
المشحون فالضميران مختلفان وهذا حكاه النحاس عن الاخفش وقيل الضميران لكفار مكة ونحوهم
والمعنى ان الله حمل ذرياتهم من اولادهم وضعفائهم على الفلك فامتن الله عليهم بذلك اي
انهم يحملونهم معهم في السفن اذا سافروا او يبعثون اولادهم للتجارة لهم فيها وقيل الذرية
الآباء والاجداد والفلك هو سفينة نوح اي ان الله حمل آباء هؤلاء واجدادهم في سفينة نوح
وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وابلغ في التعجب من قدرته قال
الواحدي والذرية تقع على الآباء كما تقع على الاولاد قال ابو عثمان وسمي الآباء ذرية لان منهم
ذرء الابناء وقيل الذرية النطف الكائنة في بطون النساء وشبه البطون بالفلك المشحون قاله علي
بن ابي طالب ذكره الماوردي والراجح القول الثاني ثم الاول ثم الثالث واما الرابع ففي غاية
البعد والنكارة وقد تقدم الكلام في الذرية واشتقاقها في سورة البقرة مستوفى والمشحون المملوء
الموقر والفلك يطلق على الواحد والجمع كما تقدم في يونس عن ابي مالك في الآية قال في سفينة
نوح حمل فيها من كل زوجين اثنين وعن ابي صالح نحوه وعنه في الآية قال يعني الابل خلقها
الله كما رأيت فهي سفن البر يحملون عليها ويركبونها ومثله عن الحسن وعكرمة وعبد الله بن شداد
ومجاهد وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اي خلقنا لهم مما يماثل الفلك ما يركبونه على
ان ما هي الموصولة ومن زائدة وقال مجاهد وقتادة وجماعة من اهل العلم من المفسرين وغيرهم



للدلالة على التجدد ومن الأولى مزيدة للتوكيد والثانية للتبعيض والمعنى ما تأتيهم من آية
دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى صحة ما دعا إليه من التوحيد في حال من الأحوال إلا كانوا عنها
معرضين وظاهره يشمل الآيات التنزيلية والتكوينية والمراد بالإعراض عدم الالتفات إليها و
ترك النظر الصحيح فيها وهذه الآية متعلقة بقوله يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا
كانوا به يستهزءون إذا جاءتهم الرسل كذبوا وإذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها وإذا قيل لهم
إشارة إلى أنهم أخلوا بجميع التكاليف لأن جملتها ترجع إلى أمرين التعظيم لجانب الله والشفقة على
خلق الله أنفقوا مما رزقكم الله أي تصدقوا على الفقراء مما أعطاكم الله وأنعم به عليكم من
الأموال قال الحسن يعني اليهود أمروا بإطعام الفقراء وقال مقاتل إن المؤمنين قالوا لكفار قريش
أنفقوا على المساكين مما زعمتم أنه لله من أموالكم من الحرث والأنعام كما في قوله سبحانه وجعلوا
لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فكان جوابهم ما حكاه الله عنهم بقوله قال الذين كفروا
للذين آمنوا استهزاء بهم وتهكما بقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه أي من لو يشاء
الله رزقه وقد كانوا سمعوا المسلمين يقولون إن الرازق هو الله وأنه يغني من يشاء ويفقر من
يشاء فكأنهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمسلمين وقالوا نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من
لم يطعمه الله وهذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل فإن الله سبحانه أغنى بعض خلقه
وأفقر بعضا ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأعطى الدنيا للغني لا استحقاقا وأمر الغني أن يطعم
الفقير وابتلاه به فيما فرض له من ماله من الصدقة ولا اعتراض لأحد في مشيئة الله وحكمته
في خلقه والمؤمن يوافق أمر الله وقولهم من لو يشاء الله أطعمه هو وإن كان كلاما صحيحا في نفسه
ولكنهم لما قصدوا به الإنكار لقدرة الله وإنكار جواز الأمر بالإنفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم
من هذه الحيثية باطلا إن أنتم في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا إلا في ضلال مبين أي بين
وهذا من تمام كلام الكفار والمعنى إنكم أيها المسلمون في سؤال المال وأمرنا بإطعام الفقراء لفي
ضلال في غاية الوضوح والظهور وقيل هو من كلام الله سبحانه جوابا على هذه المقالة التي قالها الكفار
وقيل هو من قول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم وقال القشيري والماوردي إن الآية نزلت في قوم من الزنادقة
وقد كان في كفار قريش وغيرهم من سائر العرب قوم يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع فقالوا هذا

المقالة استهزاء بالمسلمين ومناقضة لهم وحكى نحو هذا القرطبي عن ابن عباس ولهذا الظهر في
مقام الاضمار قيل كان العاص بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى
مني بك ويقول قد منعه الله أفأطعمه انا ويقولون متى هذا الوعد الذي تعدونا به من البعث
والعذاب والقيامة والمصير الى الجنة والنار وهذا رجوع للكلام مع الكفار من قريش المعترفين بوجود
الله تعالى إن كنتم صادقين فيما تقولونه وتعدوننا به قالوا ذلك استهزاء منهم وسخرية
بالمؤمنين ومقصودهم انكار ذلك بالمرة ونفي تحققه وتجدد وقوعه فاجاب الله سبحانه عنهم بقوله
ما ينظرون اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهي نفخة اسرافيل في الصور وهذه النفخة هي الاولى
وهي نفخة الصعق التي يموت بها من كان موجودا على وجه الارض وجعلوا منتظرين نظرا الى قولهم متى
تقع لان من قال متى يقع الشيء الفلاني يفهم من كلامه انه ينتظر وقوعه تأخذهم وهم
يخصمون اي يختصمون في ذات بينهم في البيع والشراء ونحوهما من امور الدنيا ويتكلمون في
الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح هذا في الاحاديث
الصحيحة وهي معروفة في كتب السنة وقرئ يخصمون من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا وقيل
اصله يختصمون وقرأ أبي على الاصل والقراءات كلها سبعية فلا يستطيعون توصية اي لا
يستطيع بعضهم ان يوصي الى بعض بماله وما عليه او لا يستطيع ان يوصيه بالتوبة والاقلاع
عن المعاصي بل يموتون في اسواقهم ومواضعهم قال ابو هريرة تقوم الساعة والناس في اسواقهم
يتبايعون ويذرعون الثياب ويحلبون اللقاح وفي حوائجهم فلا يستطيعون توصية الآية وعن
الزبير بن العوام قال ان الساعة تقوم والرجل يذرع الثوب والرجل يحلب الناقة ثم قرأ الآية واخرج
البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن الساعة وقد نشر
الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه
ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه
فلا يطعمها ولا الى اهلهم يرجعون اي الى منازلهم التي ماتوا خارجين عنها بل يموتون حيث يسمعون
الصيحة لان الساعة لا تمهلهم بشيء وقيل المعنى لا يرجعون الى اهلهم قولا وهذا اخبار عما ينزل بهم
عند النفخة الاولى ثم اخبر سبحانه عما ينزل بهم عند النفخة الثانية فقال ونفخ في الصور وهي النفخة

التي يبعثون بها من قبورهم وما بين النفختين اربعون سنة أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا ابا هريرة اربعين يوما قال ابيت
قالوا اربعين شهرا قال ابيت قالوا اربعين سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون
كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب
الخلق يوم القيامة وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي حيث قال ونفخ تنبيها على تحقق وقوعه
كما ذكره اهل البيان وجاءوا هذه الآية مثالا له والصور باسكان الواو هو القرن الذي ينفخ فيه
اسرافيل كما وردت بذلك السنة واطلاق هذا الاسم على القرن معروف في لغة العرب وقد
مضى هذا مستوفى في سورة الانعام وقال قتادة الصور جمع صورة اي نفخ في الصور الارواح
فاذا هم من الاجداث اي القبور جمع جدث وهو القبر وقرئ الاجداف بالفاء وهي لغة
واللغة الفصيحة بالثاء المثلثة والمقبور من من شأنه ان يقبر فيشمل من اكلته السباع ونحوها
الى ربهم ينسلون اي يسرعون ويعدون ويخرجون منها احياء بسرعة بطريق الجبر والقهر
لا بطريق الاختيار فالنسل والنسلان الاسراع في السير يقال نسل الذئب ينسل كضرب يضرب
ويقال ينسل بالضم ايضا وهو الاسراع في المشي قالوا عند بعثهم من القبور بالنفخة يا ويلنا نادوا ويلهم
كانهم قالوا له احضر فهذا اوان حضورك وهو مصدر لا فعل له من لفظه بل من معناه وهو هلاك
وهؤلاء القائلون هم الكفار قال ابن الانباري الوقف على يا ويلنا وقف حسن ثم يبتدئ الكلام بقوله
من بعثنا من مرقدنا اي مضجعنا ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما داخلهم
من الفزع انهم كانوا نياما وقرئ من بعثنا على الاستفهام وبكسر الميم على انها حرف جر وفي قراءة
ابي من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقيل انهم يقولون ذلك اذا عاينوا جهنم وقال
ابو صالح اذا نفخ النفخة الاولى رفع العذاب عن اهل القبور وهجعوا هجعة الى النفخة الثانية وعن ابي بن
كعب في الآية قال ينامون قبل البعث نومة وعن مجاهد انهم يستريحون من العذاب قبيل
النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم انتهى فعليه يكون قولهم من مرقدنا حقيقة لان المرقد حقيقة
هو مكان النوم وقيل ان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا في الثانية
عاينوا اهوال القيامة دعوا بالويل هذا ما وعد الرحمن جواب عليهم من جهة الملائكة

او من جهة المؤمنين المتقين وقيل هو من كلام الكفرة يجيب به بعضهم على بعض قال بالاول
الفراء وبالثاني مجاهد وقال قتادة هي من قول الله سبحانه وما في ما وعد موصولة وعائدها محذوف
اي هذا الذي وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون قد حق عليكم ونزل بكم ومفعولا الوعد
والصدق محذوفان اي وعدكموه الرحمن وصدقكموه المرسلون والاصل وعدكم به وصدقكم
فيه او وعدناه الرحمن وصدقناه المرسلون على ان هذا من قول المؤمنين او من قول الكفار اقروا
حين لا ينفعهم الاقرار إن اي ما كانت تلك النفخة الثانية التي حكيت عنهم انفا الا صيحة واحدة
صاحها اسرافيل بنفخه في الصور فاذا هم جميع لدينا محضرون اي فاذا هم مجموعون محضرون
لدينا بسرعة للحساب والعقاب فاليوم لا تظلم نفس من النفوس شيئا مما تستحقه اي لا ينقص من
ثواب عملها شيئا من النقص ولا تظلم فيه بنوع من انواع الظلم وهذا حكاية لما سيقال لهم حين
يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم ولا تجزون الا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا
او الا بما كنتم تعملونه اي بسببه او في مقابلته ولما ذكر الله سبحانه حال الكافرين اتبعه بحكاية
حال عباده الصالحين وجعله من جملة ما يقال للكفار يومئذ زيادة لحسرتهم وتكميلا لجزعهم وتتميما
لما نزل بهم من البلاء وما شاهدوه من الشقاء فاذا رأوا ما اعد الله لهم من العذاب وما اعده لاوليائه
من انواع النعيم بلغ ذلك من قلوبهم مبلغا عظيما وزاد في ضيق صدورهم زيادة لا يقادر
قدرها فقال إن اصحاب الجنة اليوم في شغل لما هم فيه من اللذات التي هي ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر عن الاهتمام بامر الكفار ومصيرهم الى النار وان كانوا من
قراباتهم والاولى عدم تخصيص الشغل بشيء معين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله
عما سواه من شئونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة
والغم والمراد هنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد
به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية وقال قتادة ومجاهد شغلهم ذلك
اليوم بافتضاض العذارى وبه قال ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعن ابن عمر ان المؤمن كلما
اراد زوجه وجدها عذراء وقد روي نحوه مرفوعا وعن ابن عباس ايضا قال في ضرب الاوتار وقال
ابو حاتم هذا لعله خطأ من المستمع وانما هو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار وقال

وكيع شغلهم بالسماع وقال ابن كيسان بزيارة بعضهم بعضا وقيل شغلهم كونهم ذلك اليوم في
ضيافة الله الجبار وقيل شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او عن اهاليهم في النار لا يهمهم
امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد
من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة
اشتغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه
وقرئ شغل بضمتين وبضم الشين وسكون الغين وهما لغتان كما قال الفراء وقرئ بفتحتين وبفتح
الشين وسكون الغين فَاكِهُونَ وقرئ فكهين وفكهون قال الفراء هما لغتان كالفاره والفره
والحاذر والحذر وقال الكسائي وابو عبيدة الفاكه والفاكهة مثل تامر ولابن والفكه المتفكه
المتنعم وقال قتادة الفكهون المعجبون وقال ابو زيد يقال رجل فكه اذا كان طيب النفس
ضحوكا وقال مجاهد والضحاك كما قال قتادة وقال السدي كما قال الكسائي وقال ابن عباس فاكهون
فرحون وقيل ناعمون متلذذون في النعمة من الفكاهة وهي التمتع والتلذذ ماخوذ من الفاكهة
وفسرها زاده بطيب العيش والنشاط هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ مستانفة
مسوقة لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم سرورا وبهجة من كون ازواجهم
معهم على هذه الصفة من الاتكاء على الارائك تحت تلك الظلال والظلال جمع ظل وقرئ ظلل
بضم الظاء جمع ظلة والظل هو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس والظلة ما سترك عن الشمس وعلى
القراءتين فالمراد الفرش والستور التي تظلهم كالخيام والحجال والارائك جمع اريكة كسفائن جمع
سفينة والمراد بها السرر التي في الحجال قال احمد بن يحيى ثعلب الاريكة لا تكون الا سريرا في قبة
وقال مقاتل ان المراد بالظلال اكنان القصور وجملة لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ مبينة لما يتمتعون به
في الجنة من الماكل والمشارب ونحوها ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان
ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس اي ولهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع
الفواكه وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ما هذه هي الموصولة والعائد محذوف او موصوفة او مصدرية و
يدعون مضارع ادعى قال ابو عبيدة يدعون يتمنون والعرب تقول ادع علي ما شئت اي تمن
وفلان في خير ما ادعى اي يتمنى قال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعونه اهل الجنة ياتيهم

من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل
قيل افتعل بمعنى تفاعل اي ما يتداعونه كقولهم ارتموا وتراموا وقيل المعنى ان من ادعى منهم شيئا
فهو له لان الله قد طبعهم على ان لا يدعي احد منهم شيئا الا وهو يحسن ويجمل به ان يدعيه
وقرئ يدعون بالتخفيف ومعناه واضح قال ابن الانباري والوقف على يدعون وقف حسن ثم
يبتدئ سلام على معنى لهم سلام وقيل ان سلام خبر ما اي مسلم خالص او ذو سلامة وقال
الزجاج سلام بدل من ما اي ولهم ان يسلم الله عليهم هذا منى اهل الجنة والاولى ان يحمل قوله
ولهم فيها ما يدعون على العموم وهذا السلام يدخل تحته دخولا اوليا ولا وجه لقصره على
نوع خاص وان كان اشرف انواعه تحقيقا لمعنى العموم ورعاية لما يقتضيه النظم القرآني
وقيل سلام يقال لهم قولا وقيل التقدير سلام عليكم وقرئ سلاما على المصدرية او على
الحالية بمعنى خالصا والسلام اما من التحية او من السلامة وقرئ سلم كانه قال سلم لهم
لا يتنازعون فيه اي قال الله لهم ذلك قولا او يقوله لهم قولا من رب رحيم اي من جهته
قيل يرسل الله سبحانه اليهم بالسلام وقال مقاتل ان الملائكة تدخل على اهل الجنة من كل
باب يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من رب رحيم واخرج ابن ماجة وابن ابي الدنيا
في صفة الجنة والبزار وابن ابي حاتم والآجري في الرؤية وابن مردويه عن جابر قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب قد اشرف
عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة وذلك قول الله سلام قولا من رب رحيم
قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب
عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم قال ابن كثير في اسناده نظر واخرج ابن المنذر وابن ابي
حاتم عن ابن عباس في الآية قال ان الله هو يسلم عليهم وامتازوا اليوم ايها المجرمون هو على
اضمار القول مقابل ما قيل للمؤمنين اي ويقال للمجرمين امتازوا اي اعتزلوا من مازه يميزه يقال
مزت الشيء من الشيء اذا عزلته عنه ونحيته قال مقاتل معناه اعتزلوا اليوم يعني في الآخرة
من الصالحين وقال السدي كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين وذلك حين يحشر
المؤمنون ويسار بهم الى الجنة وقال الضحاك ان لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه

ومالي

فيكون فيه ابد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض وقال قتادة
عزلوا عن كل خير وقال الضحاك يمتاز المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة والنصارى
فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة وعبدة الاوثان فرقة وقال داود بن الجراح يمتاز المسلمون من
المجرمين الا اصحاب الاهواء فانهم يكونون مع المجرمين ثم وبخهم سبحانه وقرعهم بقوله ألم
أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان وهذا من جملة ما يقال لهم والعهد
الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله به على السنة الرسل من
الاوامر والنواهي اي الم اوصكم وابلغكم على السن رسلي ان لا تطيعوا الشيطان قال الزجاج
المعنى الم اتقدم اليكم على لسان الرسل يا بني آدم وقال مقاتل يعني الذين امروا بالاعتزال وقيل
المراد بالعهد هنا الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهر آدم وقيل هو ما نصبه الله لهم
وركزه فيهم من الدلائل العقلية التي في سمواته وارضه وما انزل عليهم من ادلة السمع وعبادة
الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وانما عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير
والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادة الله وجملة إنه لكم عدو مبين تعليل لما قبلها من النهي عن
طاعة الشيطان وقبول وسوسته وأن اعبدوني ان في الموضعين هي المفسرة للعهد الذي
فيه معنى القول ويجوز ان تكون مصدرية فيهما اي الم اعهد اليكم بان لا تعبدوا وبان اعبدوني
او الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وفي تقديم النهي على الامر لما ان حق
التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله هذا اي عبادة الله وتوحيده
او دين الاسلام صراط مستقيم بليغ في الاستقامة ولا صراط اقوم منه ثم ذكر سبحانه عداوة
الشيطان لبني آدم فقال ولقد أضل منكم جبلا كثيرا اللام هي الموطئة للقسم والجملة
مستأنفة للتشديد في التقريع وتأكيد التوبيخ اي والله لقد اضل قرئ جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد
اللام وبضم الجيم وسكون الباء وبضمتين مع تخفيف اللام وبضمتين مع تشديد اللام وقرئ
بكسر الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام قال النحاس وابينها القراءة الاولى والدليل على ذلك
انهم قد قرأوا جميعا والجبلة الاولين بكسر الجيم والباء وتشديد اللام فيكون جبلا جمع جبلة
واشتقاق الكل من جبل الله الخلق اي خلقهم ومعنى الآية ان الشيطان قد اغوى خلقا كثيرا

كما قال مجاهد وقال قتادة جموعا كثيرة وقال الكلبي أمما كثيرة قال الثعلبي والقرآءات كلها بمعنى
الخلق وقرئ جيلا بالجيم والياء التحتية قال الضحاك الجيل الواحد عشرة آلاف والكثير ما يحصيه إلا
الله عز وجل أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ الهمزة للتوبيخ والتقريع والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
كما تقدم في نظائره أي أتشاهدون آثار العقوبات أفلم تكونوا تعقلون أو أفلم تكونوا تعقلون
عداوة الشيطان لكم أو أفلم تكونوا تعقلون شيئا أصلا وقرئ الفعلان بالخطاب وبالغيبة
هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ بها في الدنيا على ألسنة الرسل والقائل لهم الملائكة وهو
استئناف خوطبوا به بعد تمام التوبيخ عند إشرافهم على شفير جهنم ثم يقولون لهم اصْلَوْهَا أمر
تبكيت وإهانة كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم أي قاسوا حرها وادخلوها الْيَوْمَ وذوقوا
أنواع العذاب فيها بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ أي بسبب كفركم بالله في الدنيا وطاعتكم للشيطان وعبادتكم للأوثان
الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ قال المفسرون إنهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل كما في قولهم
والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم ختما لا يقدرون معه على الكلام وفي هذا
التفات من الخطاب إلى الغيبة للإيذان بأن أفعالهم القبيحة مستدعية للإعراض عن خطابهم
ثم قال وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أي تكلمت أيديهم بما كانوا
يفعلونه وشهدت أرجلهم عليهم بما كانوا يعملون باختيارها بعد إقدار الله تعالى لها على
الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم وقرئ لتكلمنا ولتشهد بلام كي قيل سبب الختم
على أفواههم ليعرفهم أهل الموقف وقيل ختم على أفواههم لأجل أن يكون الإقرار من جوارحهم
لأن شهادة غير الناطق أبلغ في الحجة من شهادة الناطق لخروجه مخرج الإعجاز وقيل ليعلموا
أن أعضاءهم التي كانت أعوانا لهم في معاصي الله صارت شهودا عليهم وجعل ما ينطق به الأيدي
كلاما وإقرارا لأنها كانت المباشرة لغالب المعاصي وجعل نطق الأرجل شهادة لأنها حاضرة عند
كل معصية وكلام الفاعل إقرار وكلام الحاضر شهادة وهذا اعتبار بالغالب وإلا فالأرجل قد
تكون مباشرة للمعصية كما تكون الأيدي مباشرة لها وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبزار وغيرهم
عن أنس في الآية قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه قال أتدرون مم ضحكت
قلنا لا يا رسول الله قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول إني

لا اجيز علي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا
فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت اناضل واخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن ابي سعيد وابي هريرة
قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى العبد ربه فيقول الله قل الم اكرمك واسودك وازوجك و
اسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى اي رب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول
لا فيقول اني انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول مثل ذلك ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك
فيقول امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول
الا نبعث شاهدنا عليك فيفكر في نفسه من الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي
فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ما كان وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي
يسخط عليه واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم من حديث ابي موسى نحوه ولو نشاء لطمسنا
على اعينهم اي اذهبنا اعينهم وجعلناها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن قال الكسائي طمس
يطمس ويطمس والمطموس والطميس عند اهل اللغة الذي ليس في عينيه شق كما في قوله ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم قال السدي والحسن المعنى لتركناهم عميا يترددون لا يبصرون طريق
الهدى واختار هذا ابن جرير وقال ابن عباس في الآية اعميناهم واضللناهم عن الهدى وقال
عطاء ومقاتل وقتادة المعنى لو نشاء لفقأنا اعينهم واعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم
من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم واهتدوا وتبادروا الى طريق الآخرة فاستبقوا الصراط
معطوف على لطمسنا اي تبادروا الى الطريق ليجوزوه ويمضوا فيه والصراط منصوب بنزع الخافض
اي فاستبقوا اليه وقرئ فاستبقوا على صيغة الامر اي فيقال لهم استبقوا وفي هذا تهديد لهم
فانى اي فكيف يبصرون الطريق ويحسنون سلوكه ولا ابصار لهم ثم كرر التهديد لهم فقال
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم المسخ تبديل الخلقة الى تغيير الصورة وابطال القوى
الى حجر او غيره من الجماد او بهيمة والمكانة المكان اي لو شئنا لبدلنا خلقهم على المكان الذي
هم فيه قيل والمكانة اخص من المكان كالمقامة والمقام قال الحسن اي لاقعدناهم وقيل لمسخناهم
في المكان الذي فعلوا فيه المعصية وقيل المعنى لو نشاء لاهلكناهم في مساكنهم قال ابن عباس

وقال يحيى بن سلام هذا كله يوم القيامة قرء الجمهور على مكانتهم بالافراد وقرئ على مكاناتهم بالجمع
فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي لا يقدرون على ذهاب ولا مجيء قال الحسن فلا يستطيعون
ان يمضوا امامهم ولا يرجعوا وراءهم وكذلك الجماد لا يتقدم ولا يتاخر قرئ مضيا بضم الميم و
بفتحها وبكسرها قيل والمعنى لا يستطيعون رجوعا يقال مضى يمضي مضيا اذا ذهب في الارض و
رجع يرجع رجوعا اذا عاد من حيث جاء ومن نعمره ننكسه في الخلق قرا الجمهور ننكسه
بفتح النون الاولى وسكون الثانية وضم الكاف مخففة وقرئ بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر
الكاف مشددة والتنكيس جعل الشيء اعلاه اسفله والمعنى من نطل عمره نغير خلقه ونجعله
على عكس ما كان عليه اولا من القوة والطراوة قال الزجاج المعنى من اطلنا عمره نكسنا خلقه
فصار بدل القوة الضعف وبدل الشباب الهرم ومثل هذه الاية قوله سبحانه ثم يرد الى ارذل العمر
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وقوله ثم رددناه اسفل سافلين افلا يعقلون قرء الجمهور بالتحتية
وقرئ بالفوقية على الخطاب اي افلا يعلمون بعقولهم ان من قدر على ذلك قدر على البعث و
النشور ولما قال كفار مكة ان القران شعر وان محمدا شاعر رد الله عليهم بقوله وما علمناه
الشعر والمعنى نفي كون القران شعرا لان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع
منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل
الجليل المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة
الدنيا والاخرة ثم نفى ان يكون النبي شاعرا فقال وما ينبغي له اي لا يصلح له الشعر ولا يتاتى منه
ولا يتسهل عليه لو طلبه واراد ان يقوله بالطبع والسجية كما جعلناه اميا لا يهتدي الى الخط
لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض بل كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان ينشد بيتا قد قاله شاعر
متمثلا به كسر وزنه فانه لما انشد بيت طرفة بن العبد المشهور وهو قوله ۵ ستبدي لك
الايام ما كنت جاهلا + ويأتيك بالاخبار من لم تزود + قال ويأتيك من لم تزوده بالاخبار وانشد
مرة اخرى قول العباس بن مرداس السلمي ۵ اتجعل نهبي ونهب العبيد + بين عيينة والاقرع
فقال بين الاقرع وعيينة وانشد ايضا ۵ كفى بالاسلام والشيب ناهيا + فقال ابو بكر يا
رسول الله انما قال الشاعر ع كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا + فقال اشهد انك رسول الله

ومالي

يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم كثير من مثل هذا

قال الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتاتى منه انتهى

ووجه عدم تعليمه الشعر وعدم قدرته عليه التكميل للحجة والدحض للشبهة كما جعله الله اميا

لا يقرأ ولا يكتب واما ما روي عنه من قوله صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت + وفي سبيل

الله ما لقيت + وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب + ونحو ذلك فمن الاتفاق الوارد

من غير قصد كما ياتي ذلك في بعض ايات القران وليس بشعر ولا مراد به الشعر بل اتفق ذلك

اتفاقا كما يقع في كثير من كلام الناس فانهم قد يتكلمون بما لو اعتبره معتبر لكان على وزن

الشعر ولا يعدونه شعرا وذلك كقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله وجفان كالجواب

وقدور راسيات على انه قد قال الاخفش ان قوله انا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين

ان ما جاء من السجع على جزئين لا يكون شعرا قال ابن العربي والاظهر من حاله انه قال لا كذب

برفع الباء من كذب وبخفضها من عبد المطلب قال النحاس قال بعضهم انما الرواية بالاعراب

واذا كانت بالاعراب لم يكن شعرا لانه اذا فتح الباء من الاول او ضمها او نونها وكسر الباء من الثاني

خرج عن وزن الشعر وقيل ان الضمير في له عائد الى القران اي وما ينبغي للقران ان يكون شعرا

اخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم قال بلغني انه قيل

لعايشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان ابغض الحديث اليه

غير انه كان يتمثل ببيت اخي بني قيس فيجعل اوله اخره يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال

ابو بكر ليس هكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني والله ما انا بشاعر ولا ينبغي لي وهل ابرد ما نقلنا

عن الخليل سابقا ان الشعر كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام واخرج ابن

ابي شيبة واحمد عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استراث الخبر تمثل ببيت طرفة ويأتيك

بالاخبار من لم تزود واخرج ابن ابي شيبة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل

من الاشعار ويأتيك الخ واخرج البيهقي في سننه عن عايشة قالت ما جمع رسول الله صلى

بيت شعر قط الا بيتا واحدا تفاءل بما تهوى يكن فلقلما + يقال لشيء كان الا تحقق + قالت

عايشة ولم يقل تحققا لئلا يعربه فيصير شعرا واسناده هكذا قال اخبرنا ابو عبد الله الحافظ

يعني الحاكم حدثنا ابو حفص عمر بن احمد بن نعيم حدثنا ابو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضرير
حدثنا علي بن عمرو الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره
وقد سئل المزي عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير في اسناده قال
البيضاوي والخازن قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على
لسانه الشريف مكسرا ولو كان ممن يقول الشعر لتطرقت التهمة عقلا في ما جاء به من عند نفسه
ولهذا قال ويحق القول الخ كما ياتي لانه لم يبق الا العناد الموجب للهلاك وقال القرطبي اصابة الوزن
منه صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان لا توجب انه يعلم الشعر كقوله انا النبي لا كذب الخ والمعول عليه في
الانفصال على تسليم ان هذا شعر ان التمثل بالبيت لا يوجب ان يكون قائله عالما بالشعر ولا ان يسمى
شاعرا باتفاق العلماء كما ان من خاط خيطا على سبيل الاتفاق لا يكون خياطا قال الزجاج اي
ما جعلناه شاعرا وهذا لا ينافي ان ينشئ شيئا من الشعر من غير قصد كونه شعرا قال النحاس
وهذا احسن ما قيل في هذا وقد قيل انما اخبر الله عز وجل انه ما علمه الشعر ولم يخبر انه لا ينشئ
الشعر وقد قالوا كل من قال قولا موزونا لا يقصد به الى شعر فليس بشاعر وانما وافق الشعر فما يجري
على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد اليه
ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال إن هو اي القرآن إلا ذكر من الاذكار وموعظة من
المواعظ يوعظ بها الانس والجن وقرآن مبين اي كتاب من كتب الله السماوية مشتمل على الاحكام
الشرعية يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدين والدرجات فكم
بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين واقاويل الشعراء الكاذبين لينذر قرئ
بالتحتية وبالفوقية وعلى الاولى المراد القرآن وعلى الثانية المراد النبي صلى الله عليه وسلم من كان حيا
يعقل ما يخاطب به اي مؤمنا قلبه صحيح يقبل الحق ويابى الباطل لان الكافر كالميت لا يتدبر ولا يتفكر
ويحق القول على الكافرين اي وتجب كلمة العذاب على المصرين على الكفر المتمنعين من الايمان
بالله وبرسله وايرادهم في مقابلة من كان حيا فيه اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحياة التي
هي المعرفة اموات في الحقيقة ثم ذكر سبحانه قدرته العظيمة وانعامه على عبيده وجحد الكفار
لنعمه فقال او لم يروا الهمزة للانكار والتعجيب من حالهم والواو للعطف على مقدر كما في نظائره

والرؤية هي القلبية اي او لم يعلموا بالتفكر والاعتبار انا خلقنا لهم اي لاجلهم ولانتفاعهم
مما عملت ايدينا اي مما ابدعناه وعملناه من غير واسطة ولا شركة واسناد العمل الى
الايدي مبالغة في الاختصاص والتفرد بالخلق كما يقول الواحد منا عملته بيدي للدلالة على
تفرده بعمله وما بمعنى الذي وحذف العائد لطول الصلة ويجوز ان تكون مصدرية واتى
بهذه الجملة بعد قوله خلقنا للاشارة الى حصر الخلق لهذه النعم فيه تعالى واستقلاله بها
فهو كناية عرفية وقيل تمثيلية اي مما توليناه احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وقوله
انعاما مفعول خلقنا وهي جمع نعم وهي البقر والغنم والابل وانما خصها بالذكر وان كانت الاشياء
كلها من خلق الله وايجاده لان النعم اكثر اموال العرب والنفع بها اعم وقد سبق تحقيق الكلام فيها
ثم ذكر سبحانه المنافع المترتبة على خلق الانعام فقال فهم لها مالكون اي ضابطون قاهرون
يتصرفون بها كيف شاءوا ولو خلقناها وحشية لنفرت عنهم ولم يقدروا على ضبطها او المراد
انها صارت في املاكهم ومعدودة في جملة اموالهم المنسوبة اليهم نسبة الملك والاول اظهر
ليكون قوله وذللناها لهم تاسيسا لنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي جعلناها لهم
مسخرة لا تمتنع عما يريدون منها من منافعهم حتى الذبح ويقودها الصبي فتنقاد له ويزجرها
فتنزجر فمنها ركوبهم الفاء لتفريع احكام التذليل عليه اي فمنها مركوبهم الذي يركبونه
كما يقال ناقة حلوب اي محلوبة يعني معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمة الركوب
قرء الجمهور ركوبهم بفتح الراء وقرئ بضمها على المصدر وقرء ابي وعائشة ركوبتهم والركوب والركوبة
واحد مثل الحلوب والحلوبة والحمول والحمولة وقال ابو عبيدة الركوبة تكون للواحد والجماعة
والركوب لا يكون الا للجماعة وزعم ابو حاتم انه لا يجوز فمنها ركوبهم بضم الراء لانه مصدر والركوب
ما يركب واجاز ذلك الفراء كما يقال فمنها اكلهم ومنها شربهم ومنها يأكلون اي ما يأكلونه من
لحمها ومن للتبعيض وانما غير الاسلوب هنا لان الاكل يعم الانعام كلها بخلاف الركوب فهو خاص
بالابل منها ولهم فيها اي لهم في الانعام بقسميها منافع غير الركوب بها والاكل منها وهي ما ينتفعون
به من اصوافها واوبارها واشعارها وما يتخذ منه من الادهان من شحومها وكذلك الحمل عليها
والحراثة بها وجلودها ونسلها ولهم فيها مشارب مما يحصل من البانها جمع مشرب وهو موضع

الشرب والشراب والظاهر ان المراد به ضروعها أفلا يشكرون الله على هذه النعم ويوحدونه
ويخصونه بالعبادة ثم ذكر سبحانه جهلهم واغترارهم ووضعهم كفران النعم موضع شكرها
فقال واتخذوا من دون الله آلهة من الاصنام ونحوها يعبدونها ولا قدرة لها على شيء ولم
يحصل لهم منها فائدة ولا عاد عليهم من عبادتها عائدة لعلهم ينصرون اي رجاء ان
ينصروا من جهتهم ان نزل بهم عذاب او دهمهم امر من الامور لا يستطيعون نصرهم
مستانفة لبيان بطلان ما رجوه منها واملوه من نفعها وانعكاس تدبيرهم وجمعهم بالواو والنون
جمع العقلاء بناء على زعم المشركين انهم ينفعون ويضرون ويعقلون وهم لهم جند محضرون
اي والكفار جند للاصنام يحضرونهم في الدنيا قال الحسن يمنعون منهم ويدفعون عنهم
وقال قتادة اي يغضبون لهم في الدنيا قال الزجاج ينتصرون للاصنام وهي لا تستطيع نصرهم
وقيل المعنى يعبدون الالهة ويقومون بها فهم لهم بمنزلة الجند هذه الاقوال على جعل ضمير هم
للمشركين وضمير لهم للالهة وقيل وهم اي الالهة لهم اي للمشركين جند معدون ومحضرون معهم
في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل معناه وهذه الاصنام لهؤلاء الكفار جند الله عليهم
في جهنم لانهم يلعنونهم ويتبرؤون منهم وقيل المعنى ان الكفار يعتقدون ان الاصنام جند لهم
يحضرون يوم القيامة لاعانتهم ثم سلى سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال فلا يحزنك قولهم
الفاء لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم
الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتيب الشر على ما تبوؤه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطر و
يورث السلوة والنهي وان توجه بحسب الظاهر الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلعم
وهذا القول هو ما يفيده قوله واتخذوا من دون الله آلهة فانهم لا بد ان يقولوا هؤلاء آلهتنا
وانها شركاء الله في المعبودية ونحو ذلك وهو نهي للرسول صلى الله عليه وسلم عن التاثر لذلك بطريق
الكناية على ابلغ وجه واكده وقيل انه نهي لهم عن الاسباب التي تحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان النهي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن التاثر لما يصدر منهم هو من باب لا اريئنك ههنا فانه يراد به نهي من خاطبه
عن الحضور لديه لا نهي نفسه عن الرؤية وهذا بعيد والاول اولى والكلام من باب التسلية كما ذكرنا
ويجوز ان يكون المراد بالقول المذكور هو قولهم انه ساحر وشاعر ومجنون انا نعلم ما يسرون و

ومالي

ما يعلنون تعليل لما تقدم من النهي فان علمه سبحانه بما يظهرون وما يضمرون مستلزم
المجازاة لهم بذلك وان جميع ما صدر منهم لا يعزب عنه سواء كان خافيا او باديا سرا او جهرا
مظهرا او مضمرا وتقديم السر على الجهر للمبالغة في شمول علمه لجميع المعلومات وقرئ انا بالكسر و
بالفتح على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وكسرها ابو حنيفة وفتح
الشافعي وكلاهما تعليل كما تقدم اولم ير الانسان مستانفة مسوقة لبيان اقامة الحجة على من
انكر البعث وللتعجب من جهله فان مشاهدة خلقهم في انفسهم على هذه الصفة من البداية
الى النهاية مستلزمة للاعتراف بقدرة القادر الحكيم على ما هو دون ذلك من بعث الاجسام وردها
كما كانت في والانسان المذكور في الآية المراد به جنس الانسان كما في قوله اولا يذكر الانسان انا خلقناه
من قبل ولم يك شيئا ولا وجه لتخصيصه بانسان معين كما قيل انه عبد الله بن ابي وانه قال
ذلك لما انكر البعث وقال الحسن هو امية بن خلف وقال سعيد بن جبير هو العاص بن وائل
السهمي وقال قتادة ومجاهد هو ابي بن خلف الجمحي فان احد هؤلاء وان كان سببا للنزول فمعنى
الآية خطاب الانسان من حيث هو لا انسان معين ويدخل من كان سببا للنزول تحت جنس الانسان
دخولا اوليا انا خلقناه من نطفة قذرة خسيسة مذرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة
النجاسة والنطفة هي اليسير من الماء وقد تقدم تحقيق معناها فاذا هو خصيم مبين هذه
الجملة معطوفة على الجملة المنفية قبلها داخلة معها في حيز الانكار المفهوم من الاستفهام واذا
هي الفجائية اي الم ير الانسان انا خلقناه من اضعف الاشياء واخسها وامهنها ففاجأ خصومتنا
في امر قد قامت فيه عليه حجج الله وبراهينه وشهدت بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة والمعنى
العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله ودناءة اوله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز
لمجادلته في انكار البعث ولا يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة قذرة وهو غاية المكابرة والخصيم
الشديد الخصومة الكثير الجدال ومعنى المبين المظهر لما يقوله الموضح له بقوة عارضته وطلاقة لسانه
قال ابن عباس جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد
ايحيي الله هذا بعد ما ارى قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت
الآيات من آخر يس اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة الى آخرها اخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم

وعنه قال جاء عبد الله بن ابي في يده عظم حائل الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثل ما تقدم قال ابن كثير وهذا منكر لان السورة مكية وابن ابي انما كان بالمدينة وعنه قال جاء ابي بن خلف الجمحي وذكر نحو ما تقدم وعنه ايضا قال نزلت في ابي جهل وذكر نحو ما تقدم وضرب لنا مثلا اي بفتة المعظم والجملة معطوفة على الجملة المنفية داخلة في حيز الانكار المفهوم من الاستفهام فهي تكميل للتعجيب من حال الانسان وبيان جهله بالحقائق واهماله للتفكر في نفسه فضلا عن التفكر في سائر مخلوقات الله ويجوز ان تكون جملة فاذا هو خصيم مبين معطوفة على خلقنا وهذه معطوفة عليها اي اورد في شاننا قصة غريبة كالمثل في الغرابة وهي انكاره احياءنا للعظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياءنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفي الكل على العموم فالمثل على الاول هو انكار احياءه للعظام وعلى الثاني هو احياءه لها واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر ونسي خلقه اي خلقنا اياه من المني الدال على بطلان ما ضربه من المثل وذهل عنه وترك ذكره على طريقة اللداد والمكابرة فهو اغرب من احياء العظم قال من يحيي العظام وهي رميم بالية استيناف جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل ما هذا المثل الذي ضربه فقيل قال من يحيي العظام وهي رميم وهذا الاستفهام للانكار لانه قاس قدرة الله على قدرة العبد فانكر ان الله يحيي العظام البالية حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر يقال رم العظم يرم رما اذا بلي فهو رميم ورمام وانما قال رميم ولم يقل رميمة مع كونه خبر المؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات وقيل لكونه معدولا عن فاعله وكل معدول عن وجهه يكون مصروفا عن اعرابه كما في قوله وما كانت امك بغيا لانه مصروف عن باغية كذا قال البغوي والقرطبي وقال بالاول صاحب الكشاف والاولى ان يقال انه فعيل بمعنى فاعل او مفعول وهو يستوي فيه المذكر والمؤنث كما قيل في جريح وصبور ومن يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبث بهذه الاية وهي عند الحنفية طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وقد استدل ابو حنيفة وبعض اصحاب الشافعي

بهذه الآية على أن العظام مما تحلها الحياة وقال الشافعي لا تحلها الحياة وأن المراد بقوله من
يحيي العظام من يحيي أصحاب العظام على تقدير مضاف محذوف ورد بأن هذا التقدير خلاف
الظاهر ثم أجاب سبحانه عن الضارب لهذا المثل فقال (قل) أي على سبيل تبكيته وتذكيره
بما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال (يحييها الذي أنشأها) أي ابتدأها وخلقها
(أول مرة) من غير شيء ومن قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الثانية (وهو بكل خلق
عليم) لا تخفى عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج كائنا ما كان أي يعلم تفاصيل المخلوقات
بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها
وطريق تمييزها وضم بعضها إلى بعض على النمط السابق وإعادة الأعراض والقوى التي كانت
فيها أو إحداث مثلها وقال الكرخي يعلمه مجملا ومفصلا أي قبل خلقه وبعد خلقه والآية حجة على
من ينكر علمه سبحانه بالجزئيات ونظيره قوله سبحانه أن الله قد أحاط بكل شيء علما (الذي
جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) هذا رجوع منه سبحانه إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم
فنبه سبحانه على وحدانيته ودل على قدرته على إحياء الموات بما يشاهدونه من إخراج النار
المحرقة من العود الندي الرطب وذلك أن الشجر المعروف بالمرخ والشجر المعروف بالعفار إذا قطع منهما
عودان مثل السواكين وضرب أحدهما على الآخر انقدحت منهما النار وهما أخضران قيل المرخ هو الذكر والعفار هو
الأنثى ويسمى الأول الزند والثاني الزندة تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر
منهما وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار إلا العناب قيل لمصلحة الدق
للثياب ولذلك تتخذ منه مطارق القصارين وبالجملة فمن بدائع خلقه انقداح النار من الشجر
الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر قدر على
المعاقبة بين الموت والحياة في البشر وإجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل
من الجمع معا بلا ترتيب وقال الأخضر ولم يقل الخضر اعتبارا باللفظ وقرئ الخضر اعتبارا بالمعنى
وقد تقرر أنه يجوز تذكير اسم الجنس وتأنيثه كما في قوله نخل منقعر وقوله نخل خاوية فبنو تميم
ونجد يذكرونه وأهل الحجاز يؤنثونه إلا نادرا والموصول بدل من الموصول الأول (فإذا أنتم منه
توقدون) أي تقدحون منه النار وتوقدونها من ذلك الشجر الأخضر ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم

من الانسان خلقا فقال أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر كنظائره ومعنى الآية ان من قدر على خلق السموات
والارض وهما في غاية العظم وكبر الاجزاء يقدر على اعادة خلق البشر الذي هو صغير الشكل ضعيف
القوة كما قال سبحانه لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس قال الشهاب اي مثل هؤلاء الاناسي
الذين ماتوا والمراد هم وامثالهم على سبيل التقدير والتأخير او المراد هم على طريق الكناية في نحو
مثلك يفعل كذا قرأ الجمهور بقادر بصيغة اسم الفاعل وقرئ يقدر بصيغة الفعل المضارع
ثم اجاب سبحانه عما افاده الاستفهام من الانكار التقريري بقوله بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ
اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم على اكمل وجه واتمه وقرئ وهو الخالق ثم
ذكر سبحانه ما يدل على كمال قدرته وتيسير المبدء والاعادة عليه فقال إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ
شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اي انما شانه سبحانه اذا تعلقت ارادته بشيء من الاشياء ان يقول له احدث
فيحدث من غير توقف على شيء اخر اصلا وقد تقدم تفسير هذا في سورة النحل وفي البقرة قرء
الجمهور فيكون بالرفع على الاستيناف وقرء الكسائي بالنصب عطفا على يقول ثم نزه سبحانه نفسه
عن ان يوصف بغير القدرة فقال فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ هذا تنزيه له تعالى
عما وصفوه به وتعجيب مما قالوا في شانه والملكوت في كلام العرب لفظ مبالغة في الملك كالجبروت
والرحموت كانه قال فسبحان من بيده مالكية الاشياء الكلية قال قتادة ملكوت كل شيء مفاتح
كل شيء وقرئ ملكة بزنة شجرة وقرئ مملكة بزنة مفعلة وملك والملكوت ابلغ من الجميع وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب مبنيا للمفعول وقرئ بالتحتية على الغيبة مبنيا للمفعول
ايضا وقرأ زيد بن علي على البناء للفاعل اي ترجعون اليه لا الى غيره وتردون وتعادون
بعد الموت بلا فوت وذلك في الدار الآخرة بعد البعث

سورة الصافات هي مائة واثنتان وثمانون آية

وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن عمر قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يامرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات اخرجه النسائي والبيهقي في سننه وعن ابن عباس

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله اعطاه سؤله اخرجه
ابن ابي داود في فضائل القرآن وابن النجار في تاريخه وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ساله ملوك حضرموت
عند قدومهم عليه ان يقرأ عليهم شيئا مما انزل اليه قرأ والصافات صفا حتى بلغ رب
المشارق والمغارب الحديث اخرجه ابو نعيم في الدلائل والسلفي في الطيوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا الواو للقسم والمقسم به الملائكة والمراد بالصافات التي تصف في السماء من الملائكة
كصفوف الخلق في الدنيا قاله ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد
وقتادة وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة عند
ربهم قالوا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في
الصف اخرجه ابو داود وقيل انها تصف اجنحتها في الهوى واقفة فيه حتى يامرها الله بما يريد
وقال الحسن صفا كصفوفهم عند ربهم في صلاتهم وقيل المراد بالصافات هنا الطير كما في
قوله أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات والاول هو الاول والصف ترتيب الجمع على خط كما يصف
في الصلوة وقيل الصافات جماعة الناس المؤمنين اذا قاموا صفا في الصلوة او في الجهاد
ذكره القشيري فالزاجرات زجرا اي الفاعلات للزجر من الملائكة اما لانها تزجر السحاب
كما قال السدي واما لانها تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصائح وقال قتادة المراد بالزاجرات
الزواجر من القرآن وهي كل ما ينهى ويزجر عن القبيح والاول اولى وانتصاب صفا وزجرا على المصدرية
لتاكيد ما قبلهما وقيل المراد بالزاجرات العلماء لانهم هم الذين يزجرون اهل المعاصي عن
المعاصي والزجر في الاصل الدفع بقوة وهو هنا قوة التصويت ومنه زجرت الابل والغنم اذا
افزعتها بصوتك فالتاليات ذكرا اي الملائكة التي تتلو القرآن كما قال ابن مسعود و
ابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبير والسدي وقيل المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع تعظيما
له مع انه لا يخلو من اتباع له من الملائكة وقال قتادة المراد كل من تلا ذكر الله وكتبه وقيل
المراد آيات القرآن ووصفها بالتلاوة وان كانت متلوة كما في قوله ان هذا القرآن يقص

على بني اسرائيل وقيل لان بعضها يتلو بعضا ويتبعه وذكر الماوردي ان التاليات هم
الانبياء يتلون الذكر على اممهم وانتصاب ذكرا على انه مفعول به ويجوز ان يكون مصدرا
كما قبله قيل وهذه الفاء في قوله فالزاجرات فالتاليات اما لترتيب الصفات انفسها في الوجود
او لترتيب موصوفاتها في الفضل وفي الكل نظر ان الهكم لواحد جواب القسم اي اقسم الله
بهذه الاقسام انه واحد ليس له شريك واجاز الكسائي فتح ان الواقعة في جواب القسم وانما
اقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم
وللتاكيد لما تقدم لا سيما والقران انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة
مالوفة عندهم قال ابن الانباري الوقف على لواحد وقف حسن ثم يبتدي رب السموات
والارض على معنى هو رب بهما وقيل غير ذلك والمعنى في الاية ان وجود هذه المخلوقات على هذا
الشكل البديع من اوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته وانه رب ذلك كله اي خالقه
ومالكه وما بينهما اي من المخلوقات الكائنات ورب المشارق اعاد الرب فيها لما فيها من
غاية ظهور اثار الربوبية وتجددها كل يوم قيل اراد مشارق الكواكب والظاهر انها مشارق
الشمس قيل ان الله خلق للشمس كل يوم مشرقا ومغربا بعدد ايام السنة تطلع كل يوم من
واحد منها وتغرب من واحد كذا قال ابن الانباري وابن عبد البر واما قوله في سورة الرحمن
رب المشرقين ورب المغربين فالمراد بالمشرقين اقصى مطلع تطلع منه الشمس في الايام الطوال
واقصر يوم في الايام القصار وكذلك في المغربين واما ذكر المشرق والمغرب بالافراد فالمراد
بهما الجهة التي تشرق منها الشمس والجهة التي تغرب منها واقتصر على المشارق اكتفاء على حد
سرابيل تقيكم الحر اي والمغارب للشمس لم يعكس لان شروق الشمس سابق على غروبها وايضا
فالشروق ابلغ في النعمة واكثر نفعا من الغروب فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى
على عباده ولهذه الدقيقة استدل ابراهيم عليه السلام بالمشرق فقال ان الله ياتي بالشمس من
المشرق قال الكرخي وجمع هنا المشرق وحذف مقابله وثناه في الرحمن وجمعه في المعارج و
افرده في المزمل مع ذكر مقابله في الثلثة لان القران نزل على المعهود من اساليب كلام
العرب وفنونه ومنها الاجمال والتفصيل والذكر والحذف والتثنية والجمع والافراد باعتبارات

مختلفة فافرد وجمع في المزمل اراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما وجمع وفصل في المعارج
اراد جميع مشارق السنة ومغاربها وهي تزيد على سبعمائة وثنى وفصل في الرحمن اراد مشرقي
الصيف والشتاء ومغربيهما وجمع وحذف هنا اراد جميع مشارق السنة واقتصر عليه لدلالته
على المحذوف كما مرت الاشارة اليه وخص ما هنا بالجمع موافقة للجمع في اول السورة وبالحذف
مناسبة للزينة اذ هي انما تكون غالبا بالضياء والنور وهما ينشآن من المشرق لا من المغرب
وما في الرحمن بالتثنية موافقة للتثنية في يسجدان وفي فبأي آلاء ربكما تكذبان وبذكر
المقابلين موافقة لبسط صفاته تعالى وانعاماته ثم وما في المعارج بالجمع موافقة للجمع قبله و
بعده وبذكر المقابلين موافقة لكثرة التاكيد في القسم وجوابه وما في المزمل بالافراد موافق
لما قبله من افراد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده من افراد ذكر الله تعالى وبذكر المقابلين موافقة
للحصر في قوله لا اله الا هو ولبسط اوامر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ثم انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب المراد بالسماء الدنيا التي تلي الارض من الدنو وهو القرب فهي اقرب السموات
الى الارض قرء الجمهور باضافة زينة الى الكواكب والمعنى زيناها بتزيين الكواكب اي بحسنها وقرئ
بتنوين زينة وخفض الكواكب على انها بدل من الزينة على ان المراد بالزينة الاسم لا المصدر
والتقدير بعد طرح المبدل منه انا زينا السماء بالكواكب فان الكواكب في انفسها زينة عظيمة فانها في الليلة
المظلمة في اعين الناظرين لها كالجواهر المتلألئة على سطح ازرق وقرء عاصم في رواية ابي بكر
عنه بتنوين زينة ونصب الكواكب على ان الزينة مصدر وفاعله محذوف والتقدير بان الله
زين الكواكب بكونها مضيئة حسنة في انفسها او تكون الكواكب منصوبة باضمار اعني وبدلا من السماء
بدل اشتمال وقيل المعنى بضوء الكواكب لان الضوء والنور من احسن الصفات واكملها ولو لم
تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها
المتناسبة والمختلفة في الشكل كجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل غير ذلك وحفظا اي حفظناها
حفظا وقيل زيناها بالكواكب للحفظ وقيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل
شيطان مارد اي عات متمرد خارج عن الطاعة يرمى بالكواكب وهي الشهب كقوله انا زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين لا يسمعون الى الملأ الاعلى مستانفة

لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وقال ابو حاتم اي لئلا يسمعوا ثم حذف ان فرفع
الفعل وكذا قال الكلبي قال النحاس وفيه تعسف يجب صون القران عن مثله فان كل واحد
من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث
وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه ان المعدى بنفسه يفيد الادراك و
المعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك انتهى والملا الاعلى اهل السماء الدنيا فما فوقها وسمي الكل
منهم اعلى باضافته الى ملا الارض لانهم سكان السماء والضمير في يسمعون للشياطين وقيل
ان جملة لا يسمعون صفة لكل شيطان وقيل جواب عن سؤال مقدر كانه قيل فما حالهم
بعد حفظ السماء عنهم فقال لا يسمعون الى الملا الاعلى قرء الجمهور بسكون السين وتخفيف
الميم وقرئ بتشديدهما والاصل يتسمعون فالاولى تدل على انتفاء سماعهم دون استماعهم
والثانية تدل على انتفائهما وفي معنى الاولى قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون قال مجاهد
كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون واختار الثانية ابو عبيدة قال لان العرب لا تكاد تقول سمعت
اليه وتقول تسمعت اليه وكان ابن عباس يقرأ مخففة وقال انهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون
وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا اي يرمون من كل جانب من جوانب السماء ونواحيها وجهاتها
بالشهب اذا ارادوا الصعود لاستراق السمع والدحور الطرد تقول دحرته دحرا ودحورا طردته
قرئ يقذفون مبنيا للمفعول وللفاعل وهي غير مطابقة لما هو المراد من النظم القراني وانتصاب
دحورا اي مدحورين وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا وقيل انه مصدر
لمقدر اي يدحرون دحورا وقال الفراء ان المعنى يقذفون بما يدحرهم اي بدحور ثم
حذفت الباء فانتصب بنزع الخافض قرأ الجمهور دحورا بضم الدال وقرئ بفتحها واختلف
هل كان هذا الرمي لهم بالشهب قبل المبعث او بعده فقال بالاول طائفة وبالآخر آخرون
وقالت طائفة بالجمع بين القولين ان الشياطين لم تكن ترمى قبل المبعث رميا يقطعها
عن السمع ولكن كانت ترمى وقتا ولا ترمى وقتا آخر وترمى من جانب ولا ترمى من جانب آخر
ثم بعد المبعث رميت في كل وقت ومن كل جانب حتى صارت لا تقدر على استماع شيء
وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ اي دائم لا ينقطع والمراد به العذاب في الآخرة غير العذاب الذي

في الدنيا من الرمي بالشهب قال مقاتل يعني دائما الى النفخة الاولى والاول اولى وقد ذهب جمهور
المفسرين الى ان الواصب الدائم وقال السدي وابو صالح والكلبي هو الموجع الذي يصل
وجعه الى القلب ماخوذ من الوصب او الوصوب وهو المرض وقيل هو الشديد الا من خطف
الخطفة الاستثناء هو من قوله لا يسمعون او من قوله ويقذفون وقيل الاستثناء راجع
الى غير الوحي لقوله انهم عن السمع لمعزولون بل يخطف الواحد منهم خطفة مما يتفاوض
فيه الملائكة ويدور بينهم مما سيكون في العالم قبل ان يعلمه اهل الارض والخطف الاختلاس
مسارقة واخذ الشيء بسرعة قرء الجمهور خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مخففة وقرئ بكسرهما
وتشديد الطاء وهي لغة تميم بن مرو وبكر بن وائل وقرئ بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة وقرء
ابن عباس بكسرهما مع تخفيف الطاء وقيل ان الاستثناء منقطع فاتبعه اي لحقه وتبعه
شهاب ثاقب اي نجم مضيء او مستوقد فيحرقه او يقتله ويخبله وربما لا يحرقه فيلقي الى
اخوانه ما خطفه وليس الشهب التي ترجم بها هي من الكواكب الثوابت بل من غير الثوابت واصل الثقوب الاضاءة
قال الكسائي ثقبت النار تثقب ثقابة اذا اتقدت وهذه الاية هي كقوله الا من استرق السمع
فاتبعه شهاب مبين قال ابن عباس اذا رمي الشهاب لم يخط من رمي به وتلا فاتبعه شهاب
ثاقب وقال لا يقتلون بالشهاب ولا يموتون ولكنها تحرق وتخبل وتجرح في غير قتل قال سليمان الجمل
قال انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان تنفصل منها شعلة يرمى بها
الشيطان والكواكب باقية بحالها وهذا كمثل القبس الذي يؤخذ من النار وهي على حالها ويعود
الشيطان مرة اخرى مع انه يعلم انه يصاب لا يصل الى المقصود رجاء نيل المطلوب وطمعا
في السلامة كراكب البحر فانه يشاهد الغرق احيانا لكن يعود الى الركوب رجاء السلامة ونيل المقصود
فاستفتهم اي سل الكفار المنكرين للبعث أهم اشد خلقا واقوى اجساما واعظم اعضاء
امتن بنية واشق ايجادا واصعب خلقا ام من خلقنا من السموات والارض والجبال والملائكة قال
الزجاج المعنى فاسألهم سؤال تقرير اهم احكم صنعة ام من خلقنا قبلهم من الامم السالفة يريد
انهم ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بالتكذيب فما الذي يؤمنهم من العذاب وقرئ
امن خلقنا بتشديد الميم وهي ام المتصلة عطفت من على هم وقرئ بتخفيفها وهو استفهام ثان فالهمزة

للاستفهام ايضا ومن مبتدأ وخبره محذوف اي الذين خلقنا هم اشد فهما جملتان
مستقلتان وغلب من يعقل على غيره فلذلك اتى بمن قال السمين وتكتب ام مفصولة من من في هذا الموضع
ثم ذكر خلق الانسان فقال انا خلقناهم اي في ضمن خلق ابيهم آدم من طين لازب اي لاصق
يقال لزب يلزب لزوبا اذا لصق من باب دخل وقال قتادة وابن زيد اللازب اللاصق وقال عكرمة
اللازب اللزج وقال سعيد بن جبير اللازب الجيد الذي يلصق باليد وقال مجاهد هو اللازم والعرب
تقول طين لازب ولازم تبدل الباء من الميم واللازم الثابت كما يقال صار الشيء ضربة لازب ومنه
قول النابغة ﴿ لا تحسبون الخير لا شر بعده + ولا تحسبون الشر ضربة لازب + وحكى الفراء
عن العرب طين لاتب بمعنى لازم واللاتب الثابت قال الاصمعي واللاتب اللاصق مثل اللازب
والمعنى في الآية ان هؤلاء كيف يستبعدون المعاد وهم مخلوقون من هذا الخلق الضعيف ولم ينكره
من هو مخلوق خلقا اقوى منهم واعظم واكمل واتم وقيل ان اللازب هو المنتن قاله مجاهد والضحاك
قيل وقد قرئ لازم ولاتب ولا ادري من قرأ بذلك قال ابن عباس لازب ملتصق وقال اللزج الجيد
وقال اللازب والحمأ والطين واحد كان اوله ترابا ثم صار حمأ منتنا ثم صار طينا لازبا فخلق الله منه آدم
وعن ابن مسعود اللازب الذي يلصق بعضه الى بعض والآية تشهد عليهم بالضعف لان ما يصنع
من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب
فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من
ذكر انكارهم البعث والغرض من هذا السياق اثبات المعاد والرد عليهم في دعوى استحالته ثم اضرب
سبحانه عن الكلام السابق فقال بل عجبت يا محمد من قدرة الله سبحانه او من تكذيب هؤلاء لك
قرأ الجمهور بفتح التاء من عجبت على الخطاب للنبي صلعم وقرئ بضمها قال الفراء قرأها الناس بنصب
التاء ورفعها والرفع احب الي لانها عن علي وعبد الله وابن عباس قال والعجب ان اسند الى الله فليس
معناه من الله كمعناه من العباد قال الهروي قال بعض الائمة معنى بل عجبت بل جازيتهم على عجبهم
لان الله اخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق كما قال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقالوا ان هذا
لشيء عجاب أكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم وقال علي بن سليمان معنى القراءتين واحد
والتقدير قل يا محمد بل عجبت لان النبي صلى الله عليه وسلم مخاطب بالقرآن قال النحاس وهذا قول حسن واضمار القول كثير

وقيل ان معنى الاخبار من الله سبحانه عن نفسه بالعجب انه ظهر من امره وسخطه على من كفر به ما يقوم
مقام العجب من المخلوقين قال الهروي ويقال معنى عجب ربكم اي رضي وعظم ثوابه فسماه عجبا
وليس بعجب في الحقيقة فيكون معنى عجبت هنا عظم فعلهم عندي وحكى النقاش ان معنى بل
عجبت بل انكرت قال الحسين بن الفضل التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب
وقيل معناه الانكار والذم وسئل الجنيد رح عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن
وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله وقيل معناه انه بلغ في
كمال قدرته وكثرة مخلوقاته الى حيث عجب منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها والواو للحال اي
والحال انهم يسخرون او للاستيناف والمعنى ويسخرون منك بسبب تعجبك او بما تقوله من اثبات
المعاد واذا ذكروا لا يذكرون اي اذا وعظوا بموعظة من مواعظ الله او مواعظ رسوله
لا يتعظون بها ولا ينتفعون بما فيها قال سعيد بن المسيب اي اذا ذكر لهم ما حل بالمكذبين
ممن كان قبلهم اعرضوا عنه ولم يتدبروا واذا راوا آية اي معجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانشقاق القمر يستسخرون اي يبالغون في السخرية قال قتادة يسخرون ويقولون انها سحر
يقال سخر واستسخر بمعنى مثل قر واستقر وعجب واستعجب والاول اولى لان زيادة البناء تدل على زيادة
المعنى وقيل المعنى يستدعون السخري من غيرهم وقال مجاهد يستهزؤن وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي
ما هذا الذي تاتينا به الا سحر واضح ظاهر ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون
الاستفهام للانكار اي انبعث اذا متنا فالعامل في اذا هو ما دل عليه انا لمبعوثون وهو انبعث
لا نفس مبعوثون لتوسط ما يمنع من عمله فيه فيدل [illegible] الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف و
كرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة اشد استنكارا
وهذا الانكار للبعث منهم هو السبب الذي لاجله كذبوا الرسل وما نزل عليهم واستهزؤا بما جاؤا
به من المعجزات وقد تقدم تفسير معنى هذه الآية في مواضع اوآباؤنا الاولون هو مبتدأ وخبره
محذوف اي وآباؤنا الاولون مبعوثون يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقيل معطوف
على ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون لوقوع الفصل بينهما والهمزة للانكار داخلة على
حرف العطف ولهذا قرأ الجمهور بفتح الواو وقرئ بسكونها على انها او هي العاطفة وليست الهمزة للاستفهام

ثم امر الله سبحانه رسوله بان يجيب عنهم تبكيتا لهم فقال قُلْ نَعَمْ كلكم مبعوثون وَأَنْتُمْ
دَاخِرُونَ اي صاغرون ذليلون والخطاب لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من
فاعل ما دل عليه نعم قال الواحدي والدخور اشد الصغار ثم ذكر سبحانه ان بعثهم يقع بزجرة
واحدة فقال فَإِنَّمَا اي اذا كان الامر كذلك فانما هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ او لا تستصعبوه فانما هي زجرة
واحدة والضمير للقصة او البعثة المفهومة مما قبلها اي انما قصة البعث او البعثة صيحة واحدة
من اسرافيل ينفخ في الصور عند البعث وقال الحسن هي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لان
المقصود منها الزجر من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فَإِذَا هُمْ احياء بصراء
يَنْظُرُونَ اي يبصرون سوء اعمالهم او ينتظرون ما يفعل الله بهم من العذاب والاول اولى
وَقَالُوا اي قال اولئك المبعوثون لما عاينوا البعث الذي كانوا يكذبون به في الدنيا يَا وَيْلَنَا دعوا
بالويل على انفسهم قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة وقال الفراء ان اصله
يا وي لنا ووي بمعنى الحزن كانه قال يا حزن لنا قال النحاس ولو كان كما قال لكان منفصلا و
هو في المصحف متصل ولا نعلم احدا يكتبه الا متصلا والوقف هنا تام لان ما بعده كلام مستقل
وجملة هَذَا يَوْمُ الدِّينِ تعليل لدعائهم بالويل على انفسهم والدين الجزاء فكانهم قالوا هذا
اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا من الكفر والتكذيب للرسل فاجاب عليهم الملائكة بقولهم
هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ويجوز ان يكون هذا من قول بعضهم لبعض والفصل
الحكم والقضاء لانه يفصل فيه بين المحسن والمسيء احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا هو امر من الله سبحانه
للملائكة بان يحشروا المشركين وَأَزْوَاجَهُمْ وهم اشباههم في الشرك والتابعون لهم في الكفر
والمشايعون لهم في تكذيب الرسل كذا قال قتادة وابو العالية وقال الحسن ومجاهد المراد بازواجهم
نساؤهم المشركات الموافقات لهم على الكفر والظلم وقال الضحاك ازواجهم قرناؤهم من الشياطين
يحشر كل كافر مع شيطانه وبه قال مقاتل قال ابن عباس يقول الملائكة للزبانية هذا القول
او خطاب من بعضهم لبعض يحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم
وعن عمر بن الخطاب قال امثالهم الذين هم مثلهم يجيء اصحاب الربا مع اصحاب الربا و
اصحاب الزنا مع اصحاب الزنا واصحاب الخمر مع اصحاب الخمر ازواج في الجنة وازواج في النار

وعن ابن عباس ايضا قال اشباههم وفي لفظ نظراؤهم اي من العصاة عابد الصنم مع عبدة
الاصنام وعابد الكوكب مع عبدة الكواكب كقوله كنتم ازواجا ثلثة ولا مانع من حمل الآية على
الجميع وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام والشياطين ونحوها وهذا العموم
المستفاد من ما الموصولة فانها عبارة عن المعبودين لا عن العابدين كما قيل مخصوص
لان من طوائف الكفار من عبد المسيح ومنهم من عبد الملائكة فيخرجون بقوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقيل الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به
لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص ووجه حشر الاصنام مع كونها جمادات
لا تعقل هو زيادة التبكيت لعابديها وتخجيلهم واظهار انها لا تنفع ولا تضر فاهدوهم الى
صراط الجحيم اي عرفوا هؤلاء المحشورين طريق النار وسوقوهم اليها يقال هديته الطريق
وهديته اليها اي دللته عليها وفي هذا تهكم بهم وقال ابن عباس وجهوهم ودلوهم الى
طريق النار وقفوهم اي احبسوهم في الموقف يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي وقوفا
يتعدى ولا يتعدى وهذا الحبس لهم يكون قبل السوق الى جهنم اي قفوهم للحساب ثم سوقوهم الى النار
بعد ذلك كان الملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك انهم مسؤلون
تعليل للجملة الاولى اي ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتاخير العذاب في الجملة بل ليسألوا
لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله
الآتي ما لكم بطريق التهكم والتوبيخ قال الكلبي اي مسؤلون عن اعمالهم واقوالهم وافعالهم اي
جميعها وقال الضحاك عن خطاياهم وقيل عن لا اله الا الله وقيل عن ظلم العباد وقال
ابن عباس احبسوهم انهم محبوسون واخرج البخاري في تاريخه والدارمي والترمذي وابن جرير
والحاكم وغيرهم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من داع دعا الى شيء الا كان موقوفا
معه يوم القيامة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون وعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن
عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه
فيما ابلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي ما لكم لا تناصرون اي اي شيء

لكم لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجيز
العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ حينئذ اشد وقعاً
وقرئ لا تناصرون واصل تناصرون تتناصرون فطرحت احدى التاءين تخفيفاً وقيل الاشارة بقوله ما لكم
الى قول ابي جهل يوم بدر نحن جميع منتصر ثم اضرب سبحانه عما تقدم الى بيان الحالة التي هم عليها
هنالك فقال بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ اي منقادون لعجزهم عن الحيلة قال قتادة مستسلمون
خاضعون في عذاب الله وقال الاخفش ملقون بأيديهم يقال استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع
وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ اي بعض الكفار عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ اي يتلاومون ويتخاصمون قيل هم
الاتباع والرؤساء يسأل بعضهم بعضاً سؤال توبيخ وتقريع ومخاصمة قال ابن عباس ذلك اذا بعثوا
في النفخة الثانية وقال مجاهد هو قول الكفار للشياطين وقال قتادة هو قول الانس للجن والاول اولى
لقوله قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا في الدنيا عَنِ الْيَمِينِ اي من جهة الحق والدين والطاعة وتصدوننا
عنها قال الزجاج كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا ان الدين والحق ما تضلوننا به واليمين
عبارة عن الحق وهذا كقوله تعالى اخباراً عن ابليس ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم و
عن ايمانهم قال الواحدي قال اهل المعاني ان الرؤساء كانوا قد حلفوا لهؤلاء الاتباع ان ما
يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم فمعنى تأتوننا عن اليمين اي من ناحية الايمان التي كنتم
تحلفونها فوثقنا بها قال والمفسرون على القول الاول وقيل المعنى تأتوننا عن الايمان التي نحبها و
نتفاءل بها لتغرونا بذلك عن جهة النصح والعرب تتفاءل بما جاء عن اليمين وتسميه السانح وقيل اليمين
بمعنى القوة اي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر كما في قوله فراغ عليهم ضرباً باليمين اي بالقوة وهذه
الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وكذلك جملة قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ اي قال
الرؤساء او الشياطين لهؤلاء القائلين كنتم تأتوننا عن اليمين بل لم تكونوا مؤمنين ولم نمنعكم
من الايمان والمعنى انكم لم تكونوا مؤمنين قط حتى ننقلكم عن الايمان الى الكفر بل كنتم من الاصل
على الكفر فأقمتم عليه اجابوا بأجوبة خمسة الاول بل لم تكونوا الخ والثاني قوله وَمَا كَانَ لَنَا
عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ اي قوة وقدرة وتسلط بقهر وغلبة حتى ندخلكم في الايمان ونخرجكم
من الكفر والثالث قوله بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ اي متجاوزين الحد في الكفر والضلال والرابع قوله

فحق علينا اي وجب علينا وعليكم ولزمنا قول ربنا يعنون قوله تعالى لاملأن جهنم منك و
ممن تبعك منهم اجمعين انا جميعا لذائقون العذاب الذي ورد به الوعيد قال الزجاج
اي ان المضل والضال في النار الخامس فاغويناكم اي اضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما
كنا فيه من الغي وزينا لكم ما كنتم عليه من الكفر فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد
انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك الدعوة لانا اردنا ان تكونوا امثالنا
في الغواية ومعنى الاية اقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في انفسنا بالغواية فاقروا ههنا
بانهم تسببوا لغوايتهم لكن لا بطريق القهر والغلبة ونفوا عن انفسهم فيما سبق انهم قهروهم
وغلبوهم فقالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم اخبر الله سبحانه عن الاتباع والمتبوعين
بقوله فانهم يومئذ اي يوم اذ يتساءلون ويتحاورون ويتخاصمون بما سبق في العذاب
مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك نفعل بالمجرمين اي باهل الاجرام وهم
المشركون كما يفيده قوله سبحانه انهم كانوا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون
عن القبول واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد
عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله وانزل الله في كتابه وذكر قوما استكبروا فقال
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية
يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قضية المدة وعن ابن عباس قال
كانوا اذا لم يشرك بالله يستنكفون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر اي لقول
شاعر مجنون لا يعقل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم فحكى الله سبحانه صدقه ورد عليهم
بقوله بل جاء بالحق يعني القرآن المشتمل على التوحيد والوعد والوعيد وصدق
المرسلين اي صدقهم فيما جاؤا به من التوحيد والوعيد واثبات الدار الآخرة
ولم يخالفهم ولا جاء بشيء لم يات به الرسل قبله انكم بسبب شرككم وتكذيبكم

لذائقوا العذاب الأليم أي الشديد وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب لإظهار كمال الغضب
عليهم قرأ الجمهور لذائقوا بحذف النون وخفض العذاب وقرئ بحذفها ونصب العذاب
وأجاز سيبويه أيضا والمقيمي الصلوة بنصب الصلوة على هذا التوجيه وقد قرئ بإثبات النون
ونصب العذاب على الأصل ثم بين سبحانه أن ما ذاقوه من العذاب ليس إلا بسبب أعمالهم فقال
وما تجزون إلا جزاء ما أو بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي ثم استثنى المؤمنين فقال
إلا عباد الله المخلصين قرأ أهل المدينة والكوفة بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله لطاعته
وتوحيده وقرئ بكسرها أي الذين أخلصوا لله العبادة والتوحيد والاستثناء إما متصل على
تقدير تعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين أو منقطع أي لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون
العذاب أولئك المخلصون لهم رزق يرزقهم الله إياه معلوم في حسن منظره وطيبه ولذته
ورائحته وطعمه وعدم انقطاعه قال قتادة يعني الجنة وقيل معلوم الوقت وهو أن يعطوا
منه بكرة وعشية كما في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس إليه أسكن وقيل
معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة وقيل معلوم القدر الذي يستحقونه بأعمالهم من
ثواب الله تعالى وقيل هو المذكور في قوله بعده فواكه فإنه بدل من رزق أو هم فواكه وهذا هو
الظاهر والفواكه جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وخصص الفواكه بالذكر لأن أرزاق
أهل الجنة كلها فواكه كذا قيل والأولى أن يقال إن تخصيصها بالذكر لأنها أطيب ما يأكلونه وألذ
ما تشتهيه أنفسهم وقيل إن الفواكه من أتباع سائر الأطعمة فذكرها يغني عن ذكر غيرها وهم
مكرمون في محل نصب على الحال أي ولهم من الله عز وجل إكرام عظيم برفع درجاتهم عنده وسماع
كلامه ولقائه في الجنة أو مكرمون في نيل ثواب يصل إليهم من غير تعب وسؤال كما عليه
رزق الدنيا قرئ مكرمون بتخفيف الراء وبتشديدها في جنات النعيم على سرر متقابلين قال
عكرمة ومجاهد معنى التقابل أنه لا ينظر بعضهم في قفاء بعضهم تواصلا وتحاببا وقيل إنها
تدور بهم الأسرة كيف شاؤوا فلا يرى بعضهم قفاء بعض قرأ الجمهور سرر بضم الراء وقرئ
بفتحها وهي لغة بعض تميم قيل على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرر ما بين صنعاء إلى
الجابية وما بين عدن إلى أيلة وقيل تدور بأهل المنزل الواحد والله أعلم ذكره القرطبي

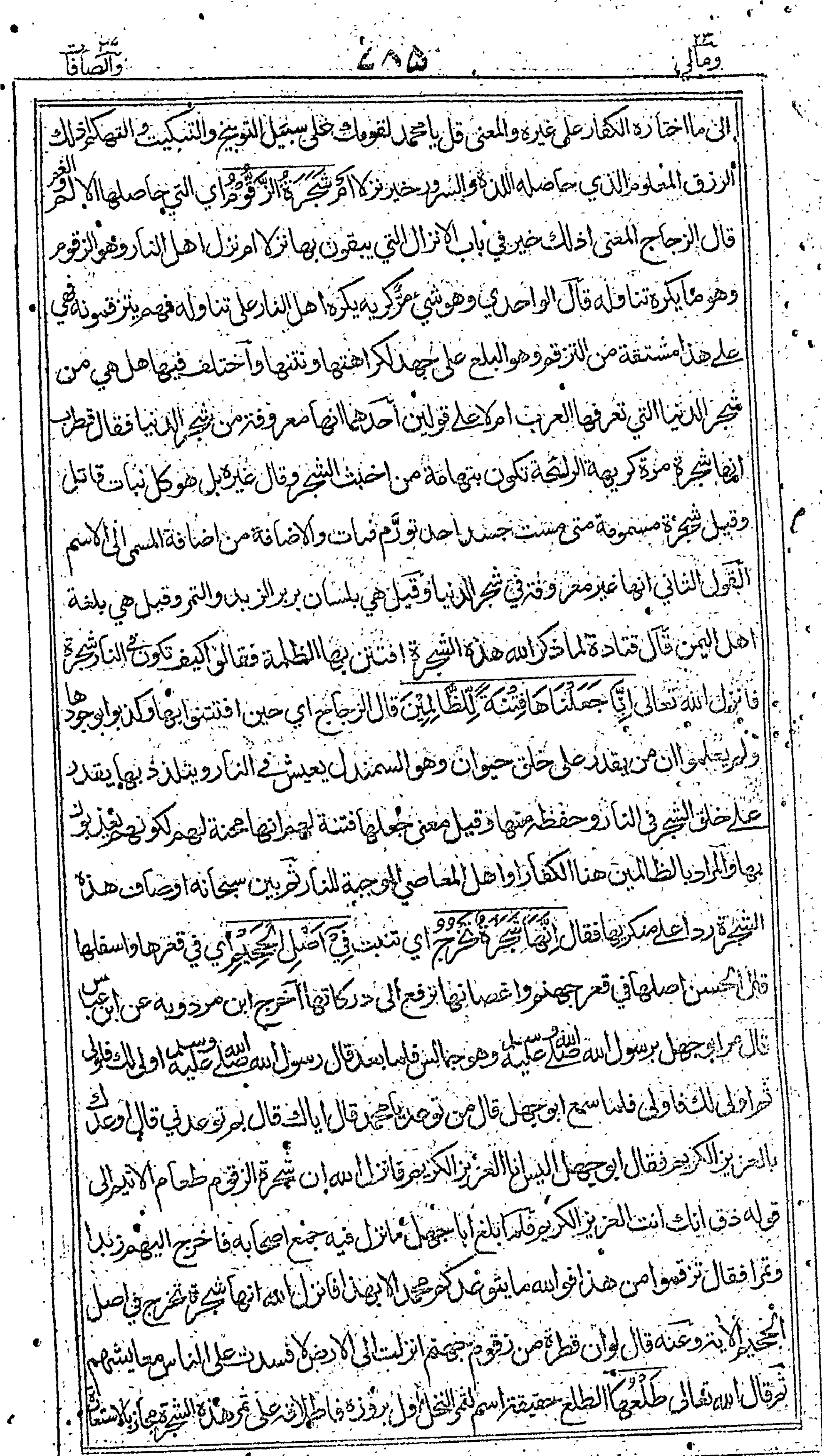
ثم ذكر سبحانه صفة اخرى لهم فقال يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مستانفة جواب سوال مقدر
او في محل نصب على الحال والكاس عند اهل اللغة ما كان من الزجاج وهو اسم شامل لكل اناء
فيه الشراب فان كان فارغا فليس بكاس وقد تسمى الخمر نفسها كاسا تسمية للشي باسم محله قال الشاعر
وكاس شربت على لذة ، واخرى تداويت منها بها وقال الضحاك والسدي كل كاس في القران فهي الخمر قال النحاس وحكى
من يوثق به من اهل اللغة ان العرب تقول للقدح اذا كان فيه خمر كاسا فاذا لم يكن فيه خمر
فهو قدح كما يقال للخوان اذا كان فيه طعام مائدة فاذا لم يكن عليه طعام لم يقل له مائدة
مِنْ مَعِينٍ صفة لكاس قال الزجاج اي من خمر تجري كما تجري العيون على وجه الارض ظاهرة
تراها العيون والمعين الماء الجاري وقوله بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ صفتان لكاس قال
الزجاج اي ذات لذة فحذف المضاف ويجوز ان يكون الوصف بالمصدر لقصد المبالغة
في كونها لذة ولا يحتاج الى تقدير المضاف قال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لها لذة لذيذة
يقال شراب لذ ولذيذ كما يقال نبات غض وغضيض واللذيذ كل شي مستطاب وقيل
البيضاء هي التي لم تعتصرها الرجال ثم وصف هذه الكاس من الخمر بغير ما يتصف به خمر الدنيا
فقال لا فِيها غَوْلٌ اي لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع قال الفراء
العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول سواء وقال ابو عبيدة الغول ان تغتال عقولهم وقال
الواحدي الغول حقيقته الاهلاك يقال غاله غولا واغتاله اي اهلكه والغول كل ما اغتالك
اي اهلكك ومنه الغول بالضم شي توهمته العرب ولها فيه اشعار كالعنقاء وَلا هُمْ عَنْها
يُنْزَفُونَ اي يسكرون يقال نزف الشارب فهو منزوف ونزيف اذا سكر قرا الجمهور ينزفون مبنيا
للمفعول وقرى بضم الياء وكسر الزاي من انزف الرجل اذا ذهب عقله من السكر فهو نزيف و
منزوف ومنزف يقال احصد الزرع اذا ان حصاده واقطف الكرم اذا حان قطافه قال الفراء
من كسر الزاي فله معنيان يقال انزف الرجل اذا فنيت خمره وانزف اذا ذهب عقله من السكر
وتحمل هذه القراءة على معنى لا ينفد شرابهم لزيادة الفائدة قال النحاس والقراءة الاولى ابين
واصح في المعنى لان معنى ينزفون عند جمهور المفسرين لا تذهب عقولهم فنفى الله سبحانه عن خمر الجنة الافات
التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر وقال الزجاج وابو علي الفارسي معنى لا ينزفون بكسر الزاي لا يسكرون قال

المهدوي لا يكون معنى ينزفون يسكرون لان قبله لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فيكون
تكريرا وهذا يقوي ما قاله قتادة انما الغول وجع البطن وكذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد
وقال الحسن ان الغول الصداع وبه قال ابن عباس وقال ابن كيسان هو المغص
فيكون معنى الاية لا يكون فيها نوع من انواع الفساد المصاحبة لشرب الخمر في الدنيا من
مغص او وجع بطن او صداع او عربدة او لغو او تاثيم ولا هم يسكرون منها ويؤيد هذا ان
اصل الغول الفساد الذي يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره في خفية
ومنه الغول والغيلة القتل خفية وقرئ ينزفون بفتح الياء وكسر الزاي وقرئ بفتح الياء
وضم الزاي عن ابن عباس قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فنزه الله
خمر الجنة عنها فقال لا فيها غول اي لا تغول عقلهم من السكر ولا هم عنها ينزفون قال
لا يقيئون عنها كما يقيء صاحب خمر الدنيا عنها وعنه قال هي الخمر ليس فيها وجع بطن قال
في النهر ذكر اولا الرزق وهو ما تتلذذ به الاجسام وثانيا الاكرام وهو ما تتلذذ به النفوس ثم ذكر
المحل الذي هم فيه وهو جنات النعيم ثم اشرف المحل وهو السرر ثم لذة التأنس بان بعضهم مقابل
بعضا وهو اتم للسرور وآنسه ثم المشروب وانهم لا يتناولون ذلك بانفسهم بل يطاف عليهم
بالكؤس ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد ثم ذكر تمام النعمة الجسمانية
وختمها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق وهي ابلغ الملاذ وهي التأنس بالنساء فقال
وعندهم قاصرات الطرف اي نساء حابسات الاعين غاضات العيون قصرن طرفهن
على ازواجهن فلا يردن غيرهم والقصر معناه الحبس وقيل القاصرات المحبوسات على ازواجهن
والاول اولى لانه قال قاصرات الطرف ولم يقل مقصورات عين اي عظام العيون جمع
عيناء وهي الواسعة العين والذكر اعين قال الزجاج معنى عين كبار الاعين حسانها وقال
مجاهد العين حسان العيون عظام المقلة وقيل نجل العيون بضم النون جمع نجلاء وهي
التي اتسع شقها سعة غير مفرطة وقال الحسن هن الشديدات بياض العين الشديدات
سوادها والاول اولى كأنهن بيض جمع بيضة وهو معروف مكنون اي مصون مستور
من كننته اذا جعلته في كن قال الحسن وابن زيد شبهن ببيض النعام تكنه النعامة بالريش

من الريح والغبار فلونه ابيض في صفرة وهو احسن الوان النساء عند العرب وقيل فاحسنها
عند العجم والروم الابيض المشرب بحمرة وقال سعيد بن جبير والسدي شبههن ببطن
البيض قبل ان يقشر وتمسه الايدي وبه قال ابن جرير قال المبرد وتقول العرب اذا وصفت الشيء
بالحسن والنظافة كانه بيض النعام المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر اي انهن
عذارى وقيل المراد بالبيض اللؤلؤ كما في قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون والاول اولى
وانما قال مكنون ولم يقل مكنونات لانه وصف البيض باعتبار اللفظ وعن ابن عباس في قوله
كانهن بيض مكنون قال اللؤلؤ المكنون وعنه قال بياض البيضة ينزع عنها فوفها وغشاءها
فاقبل بعضهم على بعض يعني اهل الجنة في الجنة يتساءلون اي يسأل هذا ذاك وذاك
هذا حال شربهم عن احوالهم التي كانت في الدنيا وما جرى لهم وما عملوه وذلك من تمام
نعيم الجنة والتقدير فيقبل بعضهم على بعض وانما عبر عنه بالماضي للتأكيد والدلالة على
تحقق وقوعه قيل المعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشراب قال الشاعر ؎
فما بقيت من اللذات الا + احاديث الكرام على المدام + قال قائل منهم اي من اهل الجنة
في حال اقبال بعضهم على بعض بالحديث وسؤال بعضهم لبعض اني كان لي قرين اي
صاحب ملازم لي في الدنيا كافر بالبعث منكر له قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من
الانس وقيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه
يهوذا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين والاول
اولى يقول أإنك لمن المصدقين بالبعث والجزاء وهذا الاستفهام من القرين لتوبيخ
ذلك المؤمن وتبكيته بايمانه وتصديقه بما وعد الله به من البعث وكان هذا القول
منه في الدنيا قرأ الجمهور مصدقين بتخفيف الصاد من التصديق اي لمن المصدقين
بالبعث وقرئ بتشديدها ولا ادري من قرأ بها ومعناها بعيد لانها من التصدق لا من
التصديق ويمكن تأويلها بانه انكر عليه التصدق بماله لطلب الثواب وعلل ذلك باستبعاد
البعث ثم ذكر ما يدل على الاستبعاد للبعث عنده وفي زعمه فقال أإذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أإنا لمدينون اي لمجزيون باعمالنا ومحاسبون بها بعد ان صرنا ترابا وعظاما

وقيل معنى مدينون مسوسون يقال دانه اذا ساسه وقد اختلف القراء في هذه الاستفهامات
الثلاثة فقرأ نافع الاولى والثانية بالاستفهام بهمزة والثالثة بكسر الالف من غير استفهام
ووافقه الكسائي الا انه يستفهم الثالثة بهمزتين وابن عامر الاولى والثالثة بهمزتين والثانية
بكسر الالف من غير استفهام والباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم
بهمزة واحدة غير مطولة وبعدها ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم وحمزة بهمزتين
قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ القائل هو المؤمن الذي في الجنة بعد ما حكى لجلسائه فيها ما قاله
له قرينه في الدنيا اي هل انتم يا اخواني مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين الذي
قال لي تلك المقالة كيف منزلته في النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا قال ابن الاعرابي
والاستفهام هو بمعنى الامر اي اطلعوا وقيل القائل هو الله سبحانه وقيل الملائكة والاول
اولى قرأ الجمهور مطلعون بتشديد الطاء مفتوحة وبفتح النون فاطلع ماضيا مبنيا للفاعل
من الطلوع وقرأ ابن عباس ورويت هذه القراءة عن ابي عمرو مطلعون بسكون الطاء وفتح
النون فاطلع بقطع الهمزة مضمومة وكسر اللام ماضيا مبنيا للمفعول وقرئ مطلعون بتخفيف
الطاء وكسر النون فاطلع مبنيا للمفعول وانكرها ابو حاتم وغيره قال النحاس هي لحن لانه لا يجوز
الجمع بين النون والاضافة ولو كان مضافا لقال هل انتم مطلعي وان كان سيبويه والفراء
قد حكيا مثله ولكنه شاذ خارج عن كلام العرب فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ اي فاطلع
ذلك المؤمن على النار الذي صار يحدث اصحابه في الجنة بما قال له قرينه في الدنيا فرأى قرينه
في وسط الجحيم وقال الزجاج سواء كل شيء وسطه قال النحاس فاطلع فيه قولان احدهما ان
يكون فعلا مستقبلا اي فاطلع انا والثاني ان يكون فعلا ماضيا اي المؤمن قال ابن
مسعود في الاية اطلع ثم التفت الى اصحابه فقال لقد رأيت جماجم القوم تغلي قال ابن عباس
ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى النار جمع كوة وهي النقب في الحائط وهي بفتح الكاف وضمها
وفي الجمع وجهان كسرها وضمها لكن مع الكسر يصح المد والقصر ومع الضم يتعين القصر قَالَ
ذلك الذي من اهل الجنة لما اطلع على قرينه ورآه في النار تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ اي لتهلكني
بالاغواء وفيه معنى التعجب قال الكسائي الردى الهلاك قال المبرد لو قيل لتردين لتوقعني في النار

لكان جائرا قال مقاتل المعنى والله لقد كدت ان تغويني فانزل منزلتك والمعنى متقارب فمن
اغوى انسانا فقد اهلكه ولولا نعمة ربي اي رحمته وانعامه علي بالاسلام وهدايتي الى الحق
وعصمتي عن الضلال لكنت معك في النار من المحضرين قال الماوردي ولا يستعمل احضر الا في الشر
ولما تمم كلامه مع ذلك القرين الذي هو في النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة فقال
أفما نحن بميتين الهمزة للاستفهام التقريري وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على محذوف
كما في نظائره اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين وقرأ زيد بن علي بمائتين قال ابن عباس
في الآية قول الله لاهل الجنة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال هنيئا اي لا تموتون فيها فعند
ذلك قالوا افما نحن بميتين الى قوله الفوز العظيم وقيل هذا السؤال من اهل الجنة للملائكة
حين يذبح الموت وقيل من قولهم توبيخا للكفار لما كانوا ينكرونه من البعث وانه ليس الا الموت
في الدنيا والاول اولى الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وقوله هذا كان على طريقة الابتهاج
والسرور بما انعم الله عليهم من نعيم الجنة الذي لا ينقطع وانهم مخلدون لا يموتون ابدا و
الاستثناء مفرغ وقيل منقطع بمعنى لكن وما نحن بمعذبين كما يعذب الكفار ثم قال مشيرا
الى ما هم فيه من النعيم ان هذا الامر العظيم والنعيم المقيم والخلود الدائم الذي نحن فيه لهو
الفوز العظيم الذي لا يقادر قدره ولا يمكن الاحاطة بوصفه لمثل هذا اي لنيل مثل هذا العطاء
والفضل العظيم فليعمل العاملون فان هذه هي التجارة الرابحة لا العمل للدنيا الزائلة وحظوظها
المشوبة بالآلام السريعة الانصرام فانها صفقة خاسرة نعيمها منقطع وخيرها زائل وصاحبها
عن قريب منها راحل وهذا من تمام كلامه وقيل ان هذا من قول الله سبحانه قاله ابن عباس
وقيل من قول الملائكة والاول اولى واخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب قال كنت امشي
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في يدي فرأى جنازة فاسرع المشي حتى اتى القبر ثم جثى على ركبتيه
فجعل يبكي حتى بل الثرى ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون واخرج ابن مردويه عن انس قال
دخلت مع النبي صلى الله عليه وسلم على مريض يجود بنفسه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك الذي
ذكر من نعيم الجنة وهو مبتدأ وخبره خير ونزلا تمييز والنزل في اصل اللغة الفضل و
الريع فاستعير للحاصل من الشيء والرزق الذي يصلح ان ينزلوا معه ويقيموا فيه والخير بالنسبة



الى ما اختاره الكفار على غيره والمعنى قل يا محمد لقومك على سبيل التوبيخ والتبكيت والتهكم اذلك
الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا أم شجرة الزقوم اي التي حاصلها الالم والغم
قال الزجاج المعنى اذلك خير في باب الانزال التي يتقوتون بها نزلا أم نزل اهل النار وهو الزقوم
وهو ما يكره تناوله قال الواحدي وهو شيء مر كريه يكره اهل النار على تناوله فهم يتزقمونه فهي
على هذا مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها واختلف فيها هل هي من
شجر الدنيا التي تعرفها العرب ام لا على قولين احدهما انها معروفة من شجر الدنيا فقال قطرب
انها شجرة مرة كريهة الرائحة تكون بتهامة من اخبث الشجر وقال غيره بل هو كل نبات قاتل
وقيل شجرة مسمومة متى مست جسد احد تورم فمات والاضافة من اضافة المسمى الى الاسم
القول الثاني انها غير معروفة في شجر الدنيا وقيل هي بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هي بلغة
اهل اليمن قال قتادة لما ذكر الله هذه الشجرة افتتن بها الظلمة فقالوا كيف تكون في النار شجرة
فانزل الله تعالى إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ قال الزجاج اي حين افتتنوا بها وكذبوا بوجودها
ولم يعلموا ان من يقدر على خلق حيوان وهو السمندل يعيش في النار ويتلذذ بها يقدر
على خلق الشجر في النار وحفظه منها وقيل معنى جعلها فتنة لهم انها محنة لهم لكونهم يعذبون
بها والمراد بالظالمين هنا الكفار او اهل المعاصي الموجبة للنار ثم بين سبحانه اوصاف هذه
الشجرة ردا على منكريها فقال إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ اي تنبت في قعرها واسفلها
قال الحسن اصلها في قعر جهنم واغصانها ترفع الى دركاتها أخرج ابن مردويه عن ابن عباس
قال مر ابو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فلما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لك فاولى
ثم اولى لك فاولى فلما سمع ابو جهل قال من توعد يا محمد قال اياك قال بم توعدني قال اوعدك
بالعزيز الكريم فقال ابو جهل اليس انا العزيز الكريم فانزل الله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الى
قوله ذق انك انت العزيز الكريم فلما بلغ ابا جهل ما نزل فيه جمع اصحابه فاخرج اليهم زبدا
وتمرا فقال تزقموا من هذا فوالله ما يتوعدكم محمد الا بهذا فانزل الله انها شجرة تخرج في اصل
الجحيم الآية وعنه قال لو ان قطرة من زقوم جهنم انزلت الى الارض لافسدت على الناس معايشهم
ثم قال الله تعالى طَلْعُهَا الطلع حقيقة اسم لثمر النخل اول بروزه فاطلاقه على ثمر هذه الشجرة مجاز بالاستعارة

والمعنى تمويها بما تخيله كأنه في تناهي قبحه وهوله وشناعة منظره رؤس الشياطين فشبه
المحسوس بالمتخيل وان كان غير مرئي للدلالة على انه غاية في القبح كما يقولون في تشبيه من
يستقبحونه كأنه شيطان وفي تشبيه من يستحسنونه كأنه ملك كما في قوله ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم قال الزجاج والفراء الشياطين حيات هائلة لها رؤس واعراف وهي من اقبح الحيات
واخبثها واخفها جسما وقيل ان رؤس الشياطين اسم لنبت قبيح معروف باليمن يقال له
الاستن ويقال له الشيطان قال النحاس وليس ذلك معروفا عند العرب وقيل هو شجر
خشن منتن مر منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وقيل هو شجر يقال له الصوم فعلى
هذا قد خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة وقيل انه خاطبهم
بما الفوه من الاستعارات فانهم لآكلون لشدة جوعهم او لقهرهم على الاكل منها اي من
الشجرة او من طلعها والتانيث لاكتساء الطلع التانيث من اضافته الى الشجرة فمالئون منها
البطون وذلك انهم يكرهون على اكلها حتى تمتلئ بطونهم فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل
رزق اهل الجنة ثم ان لهم عليها اي على الشجرة بعد الاكل منها لشوبا من حميم الشوب
الخلط قال الفراء يقال شاب طعامه وشرابه اذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبا وشيابة قال
ابن عباس شوبا مزجا اي يخالط طعامهم ويشاب بالحميم وهو الماء الحار فاخبر الله سبحانه انه
يشاب لهم طعامهم من تلك الشجرة بالماء الحار ليكون افظع لعذابهم واشنع لحالهم كما في قوله
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قرء الجمهور بفتح الشين وهو مصدر وقرء شيبان النحوي
بالضم قال الزجاج المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى المشوب كالنقص بمعنى المنقوص ثم
ان مرجعهم بعد شرب الحميم واكل الزقوم لالى الجحيم وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو
خارج الجحيم كما تورد الابل ثم يردون الى الجحيم كما في قوله سبحانه يطوفون بينها وبين حميم آن
وهذا قول الاقل والجمهور على انه داخلها وانهم لا يخرجون اصلا وقيل ان الزقوم والحميم
نزل تقدم اليهم قبل دخولها قال ابو عبيدة ثم بمعنى الواو وقرء ابن مسعود ثم ان منقلبهم لالى
الجحيم وعنه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء اهل الجنة واهل
النار وقرء ان مقيلهم لالى الجحيم انهم الفوا اي وجدوا اباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما

ما تقدم ذكره أي صادفوهم كذلك فاقتدوا بهم تقليداً وضلالة لا لحجة أصلاً قال ابو السعود
أي بتقليد آبائهم في الدين من غير أن يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به أصلاً فهم على
آثارهم يهرعون أي من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أو لا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى
تأمل والإهراع الإسراع الشديد وقال الفراء الإسراع برعدة وقال أبو عبيدة يهرعون يستحثون
من خلفهم يقال جاء فلان يهرع إلى النار إذا استحثه البرد إليها وقال المفضل يزعجون
من شدة الإسراع قال الزجاج هرع وأهرع إذا استحث وأزعج والمعنى يتبعون آباءهم في
سرعة كأنهم يزعجون إلى اتباع آبائهم وذلك في الدنيا ولقد ضل قبلهم أي قبل هؤلاء
المذكورين أكثر الأولين من الأمم الماضية بالتقليد ورفض الدليل وترك النظر وإيثار التأويل
ولقد أرسلنا فيهم منذرين أي أرسلنا في هؤلاء الأولين رسلاً أنذروهم العذاب
وحذروهم عواقب التقليد وبينوا لهم الحق فلم ينجع ذلك فيهم وكذلك لا ينجع في مقلدة هذا
الزمان فما أشبه الليلة بالبارحة فانظر كيف كان عاقبة المنذرين أي الذين أنذرتهم
الرسل فإنهم صاروا إلى النار قال مقاتل يقول كان عاقبتهم العذاب يحذر كفار مكة والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه التمكن من مشاهدة آثارهم ثم استثنى عباده المؤمنين
فقال إلا عباد الله المخلصين أي إلا من أخلصهم الله بتوفيقهم إلى الإيمان والتوحيد وإيثار
الدليل وترك التقليد وقرئ المخلصين بكسر اللام أي الذين أخلصوا لله طاعاتهم ولم يشوبوها
بشيء مما يغيرها ولما ذكر سبحانه أنه أرسل في الأمم الماضية منذرين ذكر تفصيل بعض ما أجمله
فيما سبق فقال ولقد نادانا نوح اللام هي الموطئة للقسم والمراد أن نوحاً دعا ربه على قومه
لما عصوه فأجاب الله دعاءه وأهلك قومه بالطوفان فالنداء هنا هو نداء الدعاء لله و
الاستغاثة به كقوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً وقوله أني مغلوب فانتصر
وحاصل ما يأتي من القصص سبع قصة نوح وقصة إبراهيم وقصة إسماعيل وقصة موسى
وهارون وقصة إلياس ولوط ويونس فلنعم المجيبون له نحن أي دعانا فأجبناه وأهلكنا
قومه واللام للتعظيم ونجيناه وأهله المراد بأهله أهل دينه وهم من آمن معه وكانوا ثمانين
أو زوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الثلاث من الكرب العظيم هو الغرق وقيل تكذيب قومه

له وما يصل إليه منهم من أنواع الأذى ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ وحدهم دون غيرهم
كما يشعر به ضمير الفصل وذلك لأن الله أهلك الكفرة بدعائه ولم يبق منهم باقية ومن
كان معه في السفينة من المؤمنين ماتوا كما قيل ولم يبق إلا أولاده قال سعيد بن المسيب
كان ولد نوح ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود
والنصارى وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب السند والهند والنوب والزنج والحبشة والقبط
والبربر وغيرهم ويافث أبو الصقالبة والترك والخزر ويأجوج ومأجوج وغيرهم وقيل إنه كان
لمن مع نوح ذرية كما يدل عليه قوله ذرية من حملنا مع نوح وقوله قيل يا نوح اهبط بسلام
منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم فيكون
على هذا معنى الآية ذريته وذرية من معه دون ذرية من كفر فإن الله أغرقهم فلم يبق لهم
ذرية والأول أولى وأخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم عن سمرة بن جندب عن
النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال حام وسام ويافث وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وأبو يعلى
وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سام أبو العرب وحام
أبو الحبش ويافث أبو الروم والحديثان هما من سماع الحسن عن سمرة وفي سماعه منه مقال معروف
وقد قيل إنه لم يسمع منه إلا حديث العقيقة فقط وما عداه فبواسطة قال ابن عبد البر وقد روي
عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وأخرج البزار وابن أبي حاتم والخطيب في تالي
التلخيص عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فولد سام
العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم
وولد حام القبط والبربر والسودان وهو من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد
عن سعيد بن المسيب عنه قلت في الآية دليل على أن الطوفان عم كل البلاد وشمل جميع العباد
ولم يبق أحد من الناس سوى من كان معه في السفينة والفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل
والهند وأهل الصين وأصناف الأمم المشرقية ينكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا
لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا أغرق إلا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان
ولا بلغ إلى ممالك المشرق قالوا وقع في زمان طهمورث وإن أهل المغرب لما أنذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا

المباني العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما اليد خلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طهورث الانذار
بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة امر باختيار مواضع في مملكته صحيحة الهواء
والتربة فوجد ذلك باصبهان فامر بتجليد العلوم ودفنها فيها في اسلم المواضع ويشهد لهذا
ما وجد بعد الثلثمائة من سني الهجرة في حي من مدينة اصفهان من التلال التي انشقت عن بيوت
مملوءة اعدالا عدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التي تلبس بها القسي وتسمى التوز مكتوبة بكتابة
لم يدر احد ما هي ذكره المقريزي في الخطط وقال بعض محققي الهنود جان سري كشن الهندي قد اخبر
قبل وفاته بسبع يوم ان بلدة دواركا ستغرق عن قريب واشار الى حصول الطوفان بارض الهند
والحق ما دلت عليه هذه الاية وغيرها من عموم الغرق للعمران وشمول الطوفان بجميع الارض
ونوع الانسان ولا يلتفت الى قول من انكره او اوّله او خصه ببعض الامكنة دون بعضها فانه
اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يعني
في الذين ياتون بعده الى يوم القيامة من الامم وقال ابن عباس يقول يذكر بخير والمتروك هذا
هو قوله سلام على نوح اي تركنا هذا الكلام بعينه والسلام هو الثناء الحسن اي يثنون عليه
ثناء حسنا ويدعون له ويترحمون عليه قال الزجاج تركنا عليه الذكر الجميل الى يوم القيامة
وذلك الذكر هو قوله سلام على نوح قال الكسائي في ارتفاع سلام وجهان احدهما وتركنا
عليه في الآخرين يقال سلام والثاني ان يكون المعنى وابقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدئ
فقال سلام على نوح اي سلامة له من ان يذكر بسوء في الآخرين قال المبرد اي تركنا عليه
هذه الكلمة باقية يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقوله سورة انزلناها
وقيل انه ضمن تركنا معنى قلنا قال الكسائي وفي قراءة ابن مسعود سلاما منصوب بتركنا
اي تركنا عليه ثناء حسنا وقيل المراد بالآخرين امة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿في العالمين﴾ اي سلام
ثابت او مستمر او مستقر على نوح في العالمين من الملائكة والجن والانس وهذا يدل على عدم اختصاص
ذلك بامة محمد صلى الله عليه وسلم كما قيل ﴿انا كذلك نجزي المحسنين﴾ هذه الجملة تعليل لما قبلها
من التكرمة لنوح باجابة دعائه وبقاء الثناء من الله عليه وبقاء ذريته اي انا كذلك
نجزي من كان محسنا في اقواله وافعاله راسخا في الاحسان معروفا به والكاف في كذلك نعت

[illegible] وفي اي جزاء كذلك الجزاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ هذا بيان لكونه من المحسنين
وتعليل له بانه كان عبدا مؤمنا مخلصا لله وذلك اجلال لشان الايمان وشرفه وترغيب في تحصيله
والثبات عليه والازدياد منه كما قال في مدح ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين وفيه من الدلالة
على جلالة قدرهما لا يخفى فلا يقال كيف مدح الرسل بذلك مع ان مرتبتهم فوق مرتبة المؤمنين
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ اي الكفرة الذين لم يؤمنوا بالله ولا صدقوا نوحا معطوف على نجيناه والترتيب
حقيقي لان نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين والشهاب فهم انه معطوف
على قوله وجعلنا ذريته فجعل الترتيب اخباريا لان اغراق الآخرين كان قبل جعل ذريته باقين
ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم وبين انه ممن شايع نوحا فقال وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ اي من
اهل دينه وممن شايعه ووافقه على الدعاء الى الله والى توحيده والايمان به قال مجاهد و
ابن عباس اي على منهاجه وسنته قال الاصمعي الشيعة الاعوان وهو ماخوذ من الشياع وهو الحطب
الصغار التي توقد مع الكبار حتى تستوقد وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون
سنة وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح والذين قبل نوح ثلاثة ادريس وشيث وآدم فجملة
من قبل ابراهيم من الانبياء ستة والمعنى كان من اتباعه في اصل الدين وان اختلفت فروع
شرائعهما او كان بين شريعتهما اتفاق كلي والكثير وان طال الزمان وقال الفراء المعنى وان من
شيعة محمد لابراهيم فالهاء على هذا في شيعته لمحمد صلى الله عليه وسلم وكذا قال الكلبي ولا يخفى ما في هذا
من الضعف والمخالفة للسياق إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ اي مخلص من الشرك والشك او من
آفات القلوب وقيل هو الناصح لله في خلقه وقيل الذي يعلم ان الله حق وان الساعة قائمة و
ان الله يبعث من في القبور ومعنى مجيئه الى ربه يحتمل وجهين احدهما عند دعائه الى توحيده
وطاعته الثاني عند القائه في النار وجاء استعارة تصريحية تبعية شبه اخلاصه قلبه بمجيئه
بتحفة كأنه جاء به تحفة من عنده في انه فاز بما يستجلب به رضاه والظرف في قوله اذ جاء منصوب
بفعل محذوف اي اذكر وقيل بما في الشيعة من معنى المتابعة قال ابو حيان لا يجوز لان فيه الفصل بين
العامل والمعمول باجنبي وهو ابراهيم والاولى ان يقال ان لام الابتداء تمنع ما بعدها عن العمل فيما قبلها
إِذْ اي وقت قَالَ لِأَبِيهِ آزر وَقَوْمِهِ من الكفار مَاذَا اي اي شيء تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ

تريدون أي أتريدون آلهة من دون الله للإفك فتقديم هذه المعمولات للفعل عليه للاهتمام وقيل جعلها نفس الإفك مبالغة وهذا أولى من الوجه الأول وقيل أتريدون آلهة آفكين أو ذوي إفك قال المبرد الإفك أسوأ الكذب وهو الذي لا يثبت ويضطرب ومنه ائتفكت بهم الأرض

فما ظنكم برب العالمين إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وما ترونه يصنع بكم وهو تحذير مثل قوله ما غرك بربك الكريم وقيل المعنى أي شيء توهمتموه بالله حتى أشركتم به غيره فنظر نظرة

في النجوم أي إليها فقال إني سقيم قال الواحدي قال المفسرون كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم بذلك لئلا ينكروا عليه وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم لتلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون إليه وأراد أن يتخلف عنهم فاعتل بالسقم وذلك أنهم كلفوه أن يخرج معهم إلى عيدهم فنظر إلى النجوم أي في علمها أو في كتبها يريهم أنه مستدل بها على حاله فلما نظر إليها قال إني سقيم أي مشارف للسقم وقال الحسن إنهم لما كلفوه أن يخرج معهم تفكر فيما يعمل فالمعنى على هذا أنه نظر فيما نجم له من الرأي أي فيما طلع له منه فعلم أن كل شيء يسقم فقال إني سقيم قال الخليل والمبرد يقال للرجل إذا فكر في الشيء يدبره نظر في النجوم وقيل كانت الساعة التي دعوه إلى الخروج معهم فيها ساعة تغشاه فيها الحمى وقال الضحاك معنى إني سقيم سأسقم سقم الموت لأن من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت وهذا تورية وتعريض كما قال للملك لما سأله عن سارة هي أختي يعني أخوة الدين وقال سعيد بن جبير أشار لهم إلى مرض يسقم ويعدي وهو الطاعون وكانوا يهربون من ذلك قال ابن عباس سقيم أي مريض وقال أيضا مطعون ولهذا قال فتولوا عنه مدبرين أي تركوه وذهبوا مخافة العدوى

فراغ إلى آلهتهم يقال راغ يروغ روغا وروغانا إذا مال ومنه طريق رائغ أي مائل وقال السدي ذهب إليهم وقال أبو مالك جاء إليهم وقال الكلبي أقبل عليهم والمعنى متقارب وكانت اثنين وسبعين صنما من حجر وخشب وذهب وفضة ونحاس وحديد ورصاص وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر فقال إبراهيم للأصنام التي راغ إليها استهزاء وسخرية ألا تأكلون من الطعام الذي كانوا يصنعونه لها وخاطبها كما يخاطب من يعقل لأنهم أنزلوها بتلك المنزلة وكذا قوله ما لكم

لا تنطقون فإنه خاطبهم خطاب من يعقل والاستفهام للتهكم بهم لأنه قد علم أنها جماد لا تنطق قيل إنهم تركوا عند أصنامهم طعامهم للتبرك بها وليأكلوه إذا رجعوا من عيدهم

وقيل تركوه السدنة وقيل ان ابراهيم هو الذي قرب اليها الطعام مستهزيا بها فراغ عليهم
ضربا باليمين اي فمال عليهم يضربهم ضربا مصدر موكد لفعل محذوف او هو مصدر لراغ
لانه بمعنى ضرب قال الواحدي قال المفسرون يعني بيده اليمنى يضربهم بها وقال السدي بالقوة والقدرة
لان اليمين اقوى اليدين قال الفراء وثعلب ضربا بالقوة واليمين القوة وقال الضحاك والربيع بن
انس المراد باليمين اليمين التي حلفها حين قال وتالله لاكيدن اصنامكم وقيل المراد باليمين هنا
العدل كما في قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين اي بالعدل واليمين كناية
عن العدل كما ان الشمال كناية عن الجور واول هذه الاقوال اولاها فاقبلوا اليه يزفون اي
اقبل اليه عبدة تلك الاصنام يسرعون لما علموا بما صنعه بها فقالوا نحن نعبدها وانت تكسرها
ويزفون في محل نصب على الحال حال من فاعل اقبلوا قرا الجمهور بفتح الياء من زف الظليم يزف
اذا عدا بسرعة وقرئ بضم الياء من ازف يزف اي دخل في الزفيف او يحملون غيرهم على الزفيف
قال الاصمعي ازففت الابل اي حملتها على ان تزف وقيل هما لغتان يقال زف القوم وازفوا وزففت
العروس وازففتها حكى ذلك عن الخليل قال النحاس زعم ابو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة يعني
يزفون بضم الياء وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء وشبهها بقولهم اطردت الرجل اي
صيرته الى ذلك وقال المبرد الزفيف الاسراع وقال الزجاج الزفيف اول عدو النعام وقال قتادة
والسدي معنى يزفون يمشون وقال الضحاك يسعون وقال يحيى بن سلام يرعدون غضبا وقال
مجاهد يختالون اي يمشون مشي الخيلاء وقيل يتسللون تسللا بين المشي والعدو والاولى
تفسيره بيسرعون وقال ابن عباس يزفون يخرجون وقرئ يزفون على البناء للمفعول وقرئ
على زنة يرمون وحكى الثعلبي عن الحسن ومجاهد وابن السميفع انهم قرأوا يرفون بالراء المهملة
وهي ركض بين المشي والعدو فلما انكروا على ابراهيم فعله بالاصنام ذكر لهم الدليل الدال على
فساد عبادتها فقال مبكتا لهم ومنكرا عليهم اتعبدون ما تنحتون اي اتعبدون اصناما انتم
تنحتونها والنحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاتة البراية ووجه التوبيخ ظاهر
وهو ان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص
لم يحدث فيه الا اثار تصرفه عن هيئته فلو صار معبودا لهم عند ذلك لزم ان الشيء الذي لم يكن معبودا اذا حصل

فيه آثار صار معبودا فساده واضح وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ اي وخلق الذي تصنعونه على
العموم ويدخل فيها الاصنام التي تنحتونها دخولا اوليا ويكون معنى العمل هنا التصوير والنحت ونحوهما
نحو عمل الصائغ السوار اي صاغه ويرجحه ما قبله اي أتعبدون الذي تنحتون او خلقكم وخلق
عملكم وجعلها الاشعرية دليلا على خلق افعال العباد لله تعالى وهو الحق فان فعلهم كان بخلق الله
فيهم فكان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك ويرجح على الاول بعدم الحذف والمجاز ويجوز
أن تكون ما استفهامية اي اي شيء تعملون ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقريع ويجوز ان تكون نافية
اي ان العمل في الحقيقة ليس لكم فانتم لا تعملون شيئا وقد طول صاحب الكشاف الكلام في رد
قول من قال انها مصدرية ولكن بما لا طائل تحته وجعلها موصولة اولى بالمقام واوفق بسياق
الكلام والجملة اما حالية او مستانفة قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ مستانفة جواب
سؤال مقدر كالجملة التي قبلها قالوا هذه المقالة لما عجزوا عن جواب ما اورده عليهم من الحجة
الواضحة فتشاوروا فيما بينهم ان يبنوا له حائطا من حجارة ويملؤه حطبا ويضرموه ثم يلقوه
فيه والجحيم النار الشديدة الاتقاد قال الزجاج وكل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم واللام في
جحيم عوض عن المضاف اليه اي في جحيم ذلك البنيان ثم لما القوه فيها نجاه الله منها وجعلها عليه
بردا وسلاما وهو معنى قوله فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا مكرا وحيلة اي احتالوا لاهلاكه فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ
اي المقهورين المغلوبين با بطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه لانها قامت
له بذلك عليهم الحجة التي لا يقدرون على دفعها ولا يمكنهم جحدها فان النار الشديدة الاتقاد
العظيمة الاضطرام المتراكمة الجمار اذا صارت بعد القائه فيها بردا وسلاما ولم تؤثر فيه اقل
تاثير كان ذلك من الحجة بمكان يفهمه كل من له عقل وصار المنكر له سافلا ساقط الحجة ظاهر
التعصب واضح التعسف وسبحان من يجعل المحن لمن يدعو الى دينه منحا ويسوق اليهم الخير بما هو من
صور الضير ولما انقضت هذه الواقعة واسفر الصبح لذي عينين وظهرت حجة الله لابراهيم
وقامت براهين نبوته وسطعت انوار معجزته قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي اي مهاجر من مولدي
وبلد قومي الذين فعلوا ما فعلوا تعصبا للاصنام وكفرا بالله وتكذيبا لرسله الى حيث امرني بالهجرة
اليه او الى حيث اتمكن من عبادته وهذه الآية اصل في الهجرة والعزلة واول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام

وذلك حين خلصه الله من النار سيهدين الى حيث امرني بالذهاب اليه او
الى مقصدي وقيل ذاهب بعملي وعبادتي وقلبي ونيتي فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن والاول
اظهر قيل ان الله سبحانه امره بالمصير الى الشام وقد سبق بيان هذا في سورة الكهف مستوفى قال
ابن عباس قال هذا حين هاجر قال مقاتل فلما قدم الارض المقدسة سال ربه الولد فقال
رب هب لي ولدا صالحا من الصالحين يعينني على طاعتك ويونسني في الغربة كذا قال
المفسرون وعللوا ذلك بان الهبة قد غلب معناها في الولد فتحمل عند الاطلاق عليه واذا وردت
مقيدة حملت على ما قيدت به كما في قوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون وزيرا على فرض انها
لم تغلب في طلب الولد فقوله فبشرناه بغلام حليم يدل على انه ما اراد بقوله رب هب لي من الصالحين
الا الولد والمعنى بشرناه به على لسان الملائكة الذين جاؤا اليه في صورة الاضياف ثم انتقلوا من
قريته الى قرية لوط كما تقدم في هود وياتي في الذاريات ووصفه حليم ان يكون حليما عند كبره فكانه
بشر ببقاء ذلك الغلام حتى يكبر ويصير حليما لان الصغير لا يوصف بالحلم قال الزجاج هذه
البشارة تدل على انه مبشر بابن ذكر وانه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم فلما بلغ معه السعي
في الكلام حذف كما تشعر به هذه الفاء الفصيحة والتقدير فوهبنا له الغلام فنشأ حتى صار الى
السن التي يسعى فيها مع ابيه في امور دنياه معينا له على اعماله قال مجاهد اي لما شب وادرك
سعيه سعي ابراهيم قال ابن عباس شب حتى بلغ سعيه سعي ابيه في العمل وقال مقاتل لما مشى معه
قال الفراء كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقال الحسن هو سعي العقل الذي تقوم به الحجة وقال
ابن زيد هو السعي في العبادة وقيل هو الاحتلام قال ابراهيم لابنه لما بلغ ذلك المبلغ يا بني بفتح
الياء وكسرها سبعيتان اني ارى في المنام اني اذبحك اي افعل الذبح او امرت به فهما احتمالان
ويشير للثاني قوله افعل ما تومر ويشير للاول قد صدقت الرؤيا والمعنى اني رايت في المنام هذه
الرؤيا قال مقاتل راى ابراهيم ذلك ثلث ليالي متتابعات قال قتادة رؤيا الانبياء حق اذا راوا
شيئا فعلوه وقد اختلف اهل العلم في الذبيح هل هو اسحق او اسماعيل عليهما السلام قال القرطبي
فقال اكثرهم الذبيح اسحق وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وهو الصحيح عن
ابن مسعود ورواه ايضا عن جابر وعلي وابن عمر وعمر بن الخطاب قال فهؤلاء سبعة من الصحابة قال

ومن التابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق
وعكرمة والقاسم بن ابي برزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبد الله
بن ابي الهذيل ومالك بن انس كلهم قالوا الذبيح اسحق وعليه اهل الكتابين اليهود والنصارى
واختاره غير واحد منهم النحاس وابن جرير الطبري وغيرهما قال وقال آخرون هو اسمعيل وممن قال
بذلك ابو هريرة وابو الطفيل عامر بن واثلة وروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس ايضا كما سيجيء ومن
التابعين سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب
القرظي والكلبي وعلقمة وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب
عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة قال ابن كثير في تفسيره وقد ذهب جماعة
من اهل العلم الى ان الذبيح هو اسحق وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى يقال عن بعض الصحابة
وليس في ذلك كتاب ولا سنة وما اظن ذلك تلقى الا عن اخبار اهل الكتاب واخذ مسلما من غير حجة
وكتاب الله شاهد ومرشد الى انه اسمعيل فانه ذكر البشارة بالغلام الحليم وذكر انه الذبيح وقال
بعد ذلك وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين انتهى واحتج القائلون بانه اسحق بان الله عز وجل
قد اخبرهم عن ابراهيم حين فارق قومه وهاجر الى الشام مع امرأته سارة وابن اخيه لوط
فقال اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعى فقال رب هب لي من الصالحين وقال تعالى
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب ولان الله قال وفديناه بذبح
عظيم فذكر انه في الغلام الحليم الذي بشر به ابراهيم وانما بشر باسحق لانه قال وبشرناه باسحق وقال
هنا بغلام حليم وذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان يصير له اسمعيل وليس في القرآن انه بشر
بولد الا اسحق قال الزجاج الله اعلم ايهما الذبيح انتهى وهذا مذهب ثالث وهو الوقف عن الجزم باحد
القولين وتفويض علم ذلك الى الله تعالى فيما استدل به الفريقان يمكن الجواب عنه والمناقشة له
ومن جملة ما احتج به القائلون بانه اسمعيل ان الله وصفه بالصبر دون اسحق كما في قوله واسمعيل
واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه
كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله سبحانه قال
وبشرناه باسحق نبيا فكيف يأمره بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا وايضا فان الله قال فبشرناها

باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يؤمر بذبح اسحق قبل انجاز الوعد في يعقوب وايضا ورد
في الاخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على ان الذبيح اسمعيل ولو كان اسحق لكان الذبح
واقعا ببيت المقدس وكل هذا ايضا يحتمل المناقشة والمسئلة ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها
فلا نسأل عنها في القيامة فهي مما لا ينفع علمه ولا يضر جهله وزعم ابن عباس ان الذبيح اسمعيل
وعنه قال المفدى اسمعيل وتبوا الاظهر وعن ابن عمر قال اسمعيل ذبح عنه ابراهيم الكبش وعن
الفرزدق الشاعر قال رأيت ابا هريرة يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول ان الذي امر بذبحه
اسمعيل وعن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نبي الله داود يا رب اسمع الناس
يقولون رب ابراهيم واسحق ويعقوب فاجعلني رابعا قال ان ابراهيم القي في النار فصبر من اجلي وان اسحق
جاد لي بنفسه وان يعقوب غاب عنه يوسف وتلك بلية لم تنلك اخرجه البزار وابن جرير وابن ابي حاتم
والحاكم وابن مردويه وفي اسناده الحسن بن دينار البصري وهو متروك عن علي بن زيد بن جدعان
وهو ضعيف واخرج الديلمي عن ابي سعيد الخدري مرفوعا نحوه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله
الذبيح اسحق اخرجه الدارقطني في الافراد والديلمي واخرج ابن مردويه عن ابي هريرة مرفوعا مثله
وعن ابن مسعود قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس قال يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح
الله اخرجه الطبراني وابن مردويه وعن ابن مسعود موقوفا مثله وعن العباس مثله اخرجه
البخاري في تاريخه وغيره في غيره وعن علي قال كبش اعين ابيض اقرن قد ربط بسمرة في اصل ثبير
وعن ابن عباس قال فدي اسمعيل بكبشين املحين اقرنين اعينين وما سقناه من الاختلاف في الذبيح
هل هو اسحق او اسمعيل وما استدل به المختلفون في ذلك تعلم انه لم يكن في المقام ما يوجب القطع
او يتعين به جانبه تعينا ظاهرا وقد رجح كل قول طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير فانه رجح انه
اسحق ولكنه لم يستدل على ذلك الا ببعض ما سقناه ههنا وكابن كثير فانه رجح انه اسمعيل
وجعل الادلة على ذلك اقوى واصح وليس الامر كما ذكره فانها ان لم تكن دون ادلة القائلين
بان الذبيح اسحق لم تكن فوقها ولا ارجح منها ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء وما روي
عنه فهو اما موضوع او ضعيف جدا ولم يبق الا مجرد استنباطات من القرآن كما اشرنا الى ذلك
فيما سبق وهي محتملة ولا تقوم حجة بمحتمل فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ومن الاستدلال بالمحتمل

فَانْظُرْ مَاذَا تَرٰى قرئ بضم التاء الفوقية وكسر الراء والمفعولان محذوفان اي انظر ماذا تريني اياه من
صبرك واحتمالك وقرئ بفتح التاء والراء من الرأي وهو مضارع رأيت وقرئ ترى بضم التاء وفتح
الراي مبنيا للمفعول اي ماذا يخيل اليك ويسنح لخاطرك قال الفراء في بيان معنى القراءة الاولى
انظر ماذا ترى من صبرك وجزعك قال الزجاج لم يقل هذا احد غيره وانما قال العلماء ماذا
تشير اي ما تريك نفسك من الرأي وقال ابو عبيد انما يكون هذا من رؤية العين خاصة وكذا
قال ابو حاتم وغلطهما النحاس وقال هذا يكون من رؤية العين وغيرها ومعنى القراءة الثانية
ظاهر واضح وانما شاوره ليعلم صبره لامر الله والا فرؤيا الانبياء وحي وامتثالها لازم لهم متحتم عليهم
قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ به مما اوحي اليك من ذبحي وما موصولة وقيل مصدرية على معنى افعل
امرك والمصدر مضاف الى المفعول وتسمية المامور به امرا والاول اولى سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّابِرِينَ على ما ابتلاني به من الذبح والتعليق بمشية الله سبحانه تبركا بها منه فَلَمَّا أَسْلَمَا اي
استسلما لامر الله واطاعاه وانقادا له وخضعا قرأ الجمهور اسلما وقرأ علي وابن مسعود
وابن عباس فلما سلما اي فوضا امرهما الى امر الله وروي عن ابن عباس انه قرأ استسلما قال
قتادة اسلم احدهما نفسه لله واسلم الآخر ابنه يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد
وقد اختلف في جواب لما اذا هو فقيل هو محذوف تقديره ظهر صبرهما او اجزلنا لهما اجرهما او فديناه
بكبش هكذا قال البصريون وقال الكوفيون الجواب هو ناديناه والواو زائدة مقحمة واعترض عليهم
النحاس بان الواو من حروف المعاني ولا يجوز ان تزاد وقال الاخفش الجواب وتله للجبين والواو زائدة
وروي هذا ايضا عن الكوفيين ويرد عليه اعتراض النحاس كما ورد على الاول وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ
اي صرعه واسقطه على شقه وقيل هو الرمي بقوة واصله من رماه على التل وهو المكان المرتفع
او من التليل وهو العنق اي رماه على عنقه ثم قيل لكل اسقاط وان لم يكن على تل ولا على عنق
وفي القاموس تله تلا من باب قتل فهو متلول وتليل صرعه والقاه على عنقه وخده يقال
تللت الرجل اذا القيته والتل الصرع والدفع والمراد انه اضجعه على جبينه على الارض والجبين ما
انكشف من الجبهة قاله السمين وفي المصباح الجبين ناحية الجبهة من محاذاة النزعة الى الصدغ
وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها قاله الازهري وابن فارس وغيرهما فتكون الجبهة بين جبينين

وجمعه جبن بضمتين مثل بريد وبرد واجبنة مثل اسلحة وقيل المعنى كبه على وجهه كيلا
يرى منه ما يؤثر الرقة لقلبه واختلف في الموضع الذي اراد ذبحه فيه فقيل بمكة في المقام وقيل
في المنحر بمنى عند الجمار وقيل على الصخرة التي باصل جبل ثبير وقيل بالشام وناديناه ان يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا اي عزمت على الاتيان بما رايته قال المفسرون لما اضجعه للذبح نودي من الجبل
يا ابراهيم الخ وجعله مصدقا بمجرد العزم وان لم يذبحه لانه قد اتى بما امكنه والمطلوب استسلامهما
لامر الله وقد فعلا قال القرطبي قال اهل السنة ان نفس الذبح لم يقع ولو وقع لم يتصور رفعه
فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل لانه لو حصل الفراغ من امتثال الامر بالذبح ما تحقق الفداء
قال ومعنى صدقت الرؤيا فعلت ما امكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا اصح ما قيل في هذا الباب
وقالت طائفة ليس هذا مما نسخ بوجه لان معنى ذبحت الشيء قطعته وقد كان ابراهيم ياخذ السكين
فيمر بها على حلقه فتنقلب كما قال مجاهد وقال بعضهم كان كلما قطع جزءا التام وقالت طائفة
منهم السدي ضرب الله على عنقه صفحة نحاس فجعل ابراهيم يحز ولا يقطع شيئا وهذا كله جائز في القدرة
الالهية لكنه يفتقر الى نقل صحيح فانه امر لا يدرك بالنظر وانما طريقه الخبر ولو كان قد جرى ذلك لبينه
الله تعظيما لرتبة اسمعيل وابراهيم وكان اولى بالبيان من الفداء وقال بعضهم ان ابراهيم ما امر بالذبح
الحقيقي الذي هو فري الاوداج وانهار الدم وانما رأى انه اضجعه للذبح فتوهم انه امر بالذبح الحقيقي
فلما اتى بما امر به من الاضجاع قيل له قد صدقت الرؤيا وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل
والذبيح ان يفهما من هذا الامر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وايضا لو صحت هذه الاشياء
لما احتيج الى الفداء اخرج الطبراني عن ابن عباس قال لما اراد ابراهيم ان يذبح اسحق قال لابيه اذا ذبحتني
فاعتزل لا اضطرب فينتضح عليك دمي فشده فلما اخذ الشفرة واراد ان يذبحه نودي من خلفه ان
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا واخرج احمد عنه مرفوعا مثله مع زيادة واخرجه عنه موقوفا واخرج
ابن المنذر والحاكم وصححه من طريق مجاهد عنه قال فلما اسلما اسلما ما امر به وتله وضع وجهه
الى الارض فقال لا تذبحني وانت تنظر عسى ان ترحمني فلا تجهز علي وان اجزع فانكص فاقتنع منك
ولكن اربط يدي الى رقبتي ثم ضع وجهي الى الارض فلما ادخل يده ليذبحه فلم تحل المدية حتى نودي
ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فامسك يده وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء وحي

اخرجه ابن ابي حاتم واخرجه البخاري وغيره من قول عبيد بن عمير واستدل بهذه الاية انّا كذلك اي
كما جزيناك نجزي المحسنين اي نجزيهم بامتثال الامر بالخلاص من الشدائد والسلامة من المحن فالجملة
كالتعليل لما قبلها قال مقاتل جزاه الله سبحانه باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه إنّ هٰذا
لهو البلاء المبين الابتلاء والبلاء الاختبار والمعنى ان هذا هو الاختبار الظاهر حيث اختبره
الله في طاعته بذبح ابنه وقيل ان هذا لهو النعمة الظاهرة حيث سلم الله ولده من الذبح وفداه
بالكبش يقال ابلاه الله ابلاء وبلاء اذا انعم عليه والاول اولى وان كان الابتلاء يستعمل في الاختبار
بالخير والشر ومنه ونبلوكم بالشر والخير فتنة ولكن المناسب للمقام المعنى الاول قال ابو زيد هذا في البلاء
الذي نزل به في ان يذبح ولده قال وهذا من البلاء المكروه وفديناه بذبح عظيم الذبح اسم
المذبوح وجمعه ذبوح كالطحن اسم المطحون وبالفتح المصدر ومعنى عظيم عظيم القدر ولم يرد عظيم
الجثة وانما عظم قدره لانه فدي به الذبيح اولانه متقبل قال النحاس العظيم في اللغة يكون للكبير
وللشريف واهل التفسير على انه ههنا للشريف اي المتقبل قال الواحدي قال اكثر المفسرين ومنهم
ابن عباس انزل عليه كبش قد رعى في الجنة اربعين خريفا وقال الحسن ما فدي الا بتيس من الاروى
اهبط عليه من ثبير فذبحه ابراهيم فداء عن ابنه قال الزجاج قد قيل انه فدي بوعل والوعل
التيس الجبلي ومعنى الاية جعلنا الذبح فداء له وخلصناه به من الذبح قال ابن عباس بكبش عظيم
متقبل قيل قد بقي قرناه معلقين على الكعبة الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي
رايت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان
راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يبس انتهى ومن المعلوم المقرر ان كل ما هو من الجنة
لا تؤثر فيه النار فلم يطبخ لحم الكبش بل اكلته السباع والطيور تامل قال ابو السعود لما ذبحه السيد
ابراهيم قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله
اكبر ولله الحمد فبقي هذا سنة انتهى عن ابن عباس ان رجلا قال نذرت لاذبحن نفسي فقال ابن عباس
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ثم تلا وفديناه بذبح عظيم فامره بكبش فذبحه وقد
استشهد ابو حنيفة بهذه الاية فيمن نذر بذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة وتركنا عليه في
الآخرين اي في الامم الآخرة التي تاتي بعده ثناء ولا وقف عليه لان قوله سلام على ابراهيم

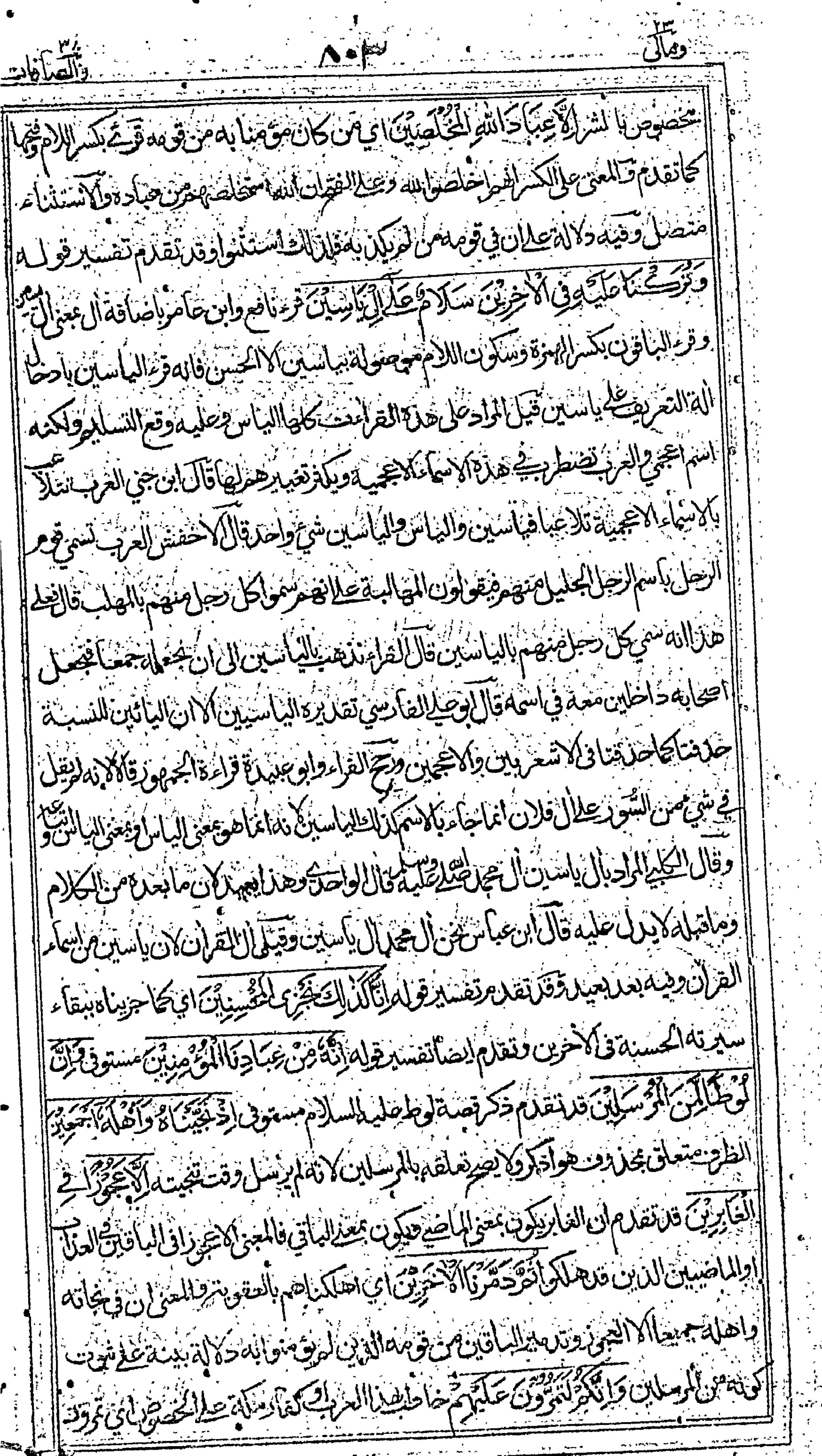
مفعول وتركنا والسلام الثناء الجميل وقال عكرمة سلام منا وقيل سلامة من الآفات والكلام
في هذا كالكلام في قوله سلام على نوح في العالمين وقد تقدم في هذه السورة بيان معناه كذلك
نجزي المحسنين اي مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من انقاد لامرنا ولم يقل انا كذلك هنا كما في
غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستخف بتركه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية انه من
عبادنا المؤمنين اي الذين اعطوا العبودية حقها ورسخوا في الايمان بالله وتوحيده وبشرناه
باسحاق نبيا من الصالحين اي بشرنا ابراهيم بولد يولد له ويصير نبيا بعد ان يبلغ السن التي
يتاهل فيها لذلك ونبيا منصوب على الحال وهي حال مقدرة وقال ابن عباس انما بشر نبيا حين
فداه الله من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده قال الزجاج ان كان الذبيح اسحق فيظهر
كونها مقدرة والاولى ان يقال ان من فسر الذبيح باسحق جعل البشارة هنا خاصة بنبوته وفي ذكر الصلاح
بعد النبوة تعظيم لشانه ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط
وانما الشرط المقارنة للفعل وقوله من الصالحين كما يجوز ان يكون صفة لنبيا يجوز ان يكون
حالا من الضمير المستتر فيه فتكون احوالا متداخلة وباركنا عليه اي على ابراهيم وعلى اسحق
بمرادفة نعم الله عليهما وقيل كثرنا اولادهما وقيل ان الضمير في عليه يعود الى اسمعيل وهو بعيد
وقيل المراد بالمباركة هنا هي الثناء الحسن عليهما الى يوم القيامة وقيل اخرجنا من صلبه الف
نبي اولهم يعقوب واخرهم عيسى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين اي محسن في
عمله بالايمان والتوحيد وظالم بالكفر والمعاصي لما ذكر الله سبحانه البركة في الذرية بين ان كون الذرية من هذا
العنصر الشريف والمحتد المبارك ليس بنافع لهم ولا يجري امر الخبيث والطيب على العرق والعنصر فقد يلد
البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر بل انما ينتفعون باعمالهم لا باباءهم
فان اليهود والنصارى وان كانوا من ولد اسحق فقد صاروا الى ما صاروا اليه من الضلال المبين
وان العرب وان كانوا من ولد اسمعيل فقد ماتوا على الشرك الا من انقذه الله بالاسلام وفيه تنبيه
على ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت
يداه لا على ما وجد من اصله وفرعه ولما فرغ سبحانه من ذكر انجاء الذبيح من الذبح وما من عليه
بعد ذلك من النبوة ذكر ما من به على موسى وهارون فقال ولقد مننا على موسى وهارون يعني

ومع



بالنبوة وغيرها من النعم العظيمة التي انعم الله بها عليهما ونجيناهما وقومهما المراد بقومهما
هم المؤمنون من بني اسرائيل من الكرب العظيم هو ما كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم
وما كان يصيبهم من جهته من البلاء وقيل هو الغرق الذي اهلك فرعون وقومه والاول
اولى ونصرناهم جاء بضمير الجمع قال الفراء الضمير لموسى وهارون وقومهما لان قبله ونجيناهما
وقومهما وقيل الضمير عائد على الاثنين موسى وهارون تعظيما لهما والاول اولى فكانوا بسبب
نصرنا واياهم هم الغالبين على عدوهم من القبط بعد ان كانوا تحت اسرهم وقهرهم وهم
تاكيد او بدل وفصل وهو الاظهر وآتيناهما الكتاب المستبين اي التوراة المستبين البين الظاهر فيما اتى
به من الحدود والاحكام يقال استبان كذا اي صار بينا وهديناهما الصراط المستقيم اي
القويم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام فانه الطريق الموصلة الى الحق والصواب عقلا
وسمعا والى المطلوب وهو الجنة وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون
اي ابقينا عليهما في الامم المتاخرة الثناء الجميل وقد قدمنا الكلام في السلام وكذلك تقدم
في هذه السورة تفسير قوله انا كذلك اي كما جزيناهما نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
تعليل لاحسانهما بالايمان واظهار لجلالة قدره واصالة امره وان الياس لمن المرسلين
قال المفسرون هو نبي من انبياء بني اسرائيل وقصته مشهورة مع قومه قيل وهو الياس بن ياسين
من سبط هارون اخي موسى قال ابن اسحق وغيره كان الياس هو القيم بامر بني اسرائيل بعد
يوشع وقال قتادة هو ادريس وقيل هو ابن عم اليسع والاول اولى وعن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الخضر هو الياس اخرجه ابن مردويه قرئ الياس بهمزة مكسورة مقطوعة وبوصلها
وهما سبعيتان وتوجيههما انه اسم عجمي تلاعبت به العرب فقطعت همزته تارة ووصلوها
اخرى وقرأ ابن مسعود والاعمش ويحيى بن وثاب وان ادريس لمن المرسلين وقرئ ابليس [?] وقالوا
فيه الياسين كاسرافيل قيل في الالياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافي
كما وكل الخضر بالبحار قال السيوطي في الاتقان قال وهب الياس عمر كما عمر الخضر وانه يبقى الى آخر
الدنيا انتهى وقال الحسن البصري قد هلكا ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان وهو الراجح نظرا
فلا حيلة والله اعلم وعلمه [?] ثم [illegible] [illegible] اختلف في كون الخضر نبيا او مرسلا او نبيا فقط او هو

هو من الاولياء واما الياس فهو نبي مرسل باتفاق وذكر الثعلبي انه كان الياس على صفة موسى
في الغضب والقوة نشأ نشأة حسنة يعبد الله جعله الله نبيا رسولا واتاه ايات وسخر له الجبال
والاسود وغيرهما وتوهم قوم ان اليسع هو الياس وليس كذلك لان الله تعالى افرد كل واحد بالذكر
وقال وهب اليسع صاحب الياس وكانا قبل زكريا ويحيى وعيسى وقيل الياس هو ادريس وهذا غير صحيح
لان ادريس جد نوح والياس من ذريته وقيل الياس هو الخضر وقيل لا بل الخضر هو اليسع اذ
ظرف لقوله من المرسلين او متعلق بمحذوف اي اذكر يا محمد اذ قال لقومه الا تتقون عذاب
الله ثم انكر عليهم بقوله اتدعون بعلا هو اسم لصنم كانوا يعبدونه اي اتعبدون صنما
وتطلبون الخير منه قال ثعلب اختلف الناس في قوله سبحانه بعلا فقالت طائفة البعل هنا
الصنم وكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بالضلال والخدمة يحفظونه ويعلمونه الناس
وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فافتتنوا به وعظموه حتى اخدموه باربعمائة خادم
وجعلوهم انبياءه وقالت طائفة البعل هناك ملك وقال ابن اسحق امرأة كانوا يعبدونها قال الواحدي
والمفسرون يقولون ربا وهو بلغة اليمن يقولون للسيد والرب البعل قال النحاس القولان صحيحان اي
اتدعون صنما عملتموه ربا وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشام
وتذرون احسن الخالقين اي وتتركون عبادة احسن من يقال له خالق باي معنى كان
كما قاله الامدي وانتصاب الاسم الشريف في قوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين على انه بدل
من احسن هذا على قراءة حمزة والكسائي والربيع بن خثيم وابن ابي اسحق وغيرهم فانهم قرأوا بنصب
الثلاثة الاسماء وقيل النصب على المدح وقيل على عطف البيان وحكى ابو عبيد ان النصب على النعت
قال النحاس وهو غلط وانما هو بدل ولا يجوز النعت لانه ليس بتحلية واختار هذه القراءة ابو عبيد
وابو حاتم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وغيرهما بالرفع قال ابو حاتم بمعنى هو الله ربكم قال النحاس واولى
ما قيل انه مبتدأ وخبر بغير اضمار ولا حذف وحكى عن الاخفش ان الرفع اولى واحسن قال ابن
الانباري من رفع او نصب لم يقف على احسن الخالقين على جهة التمام لان الله مترجم عن احسن
الخالقين على الوجهين جميعا والمعنى انه خالقكم وخالق من قبلكم فهو الذي تحق له العبادة
فكذبوه فانهم بسبب تكذيبه لمحضرون في العذاب او في النار وقد تقدم ان الاحضار المطلق



مخصوص بالشر الا عباد الله المخلصين اي من كان مؤمنا به من قومه قرئ بكسر اللام وفتحها
كما تقدم والمعنى على الكسر انهم اخلصوا لله وعلى الفتح ان الله استخلصهم من عباده والاستثناء
متصل وفيه دلالة على ان في قومه من لم يكذب بمثل ذلك استثنوا وقد تقدم تفسير قوله
وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين قرء نافع وابن عامر باضافة آل بمعنى اهل
وقرء الباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين الا الحسن فانه قرء الياسين بادخال
آلة التعريف على ياسين قيل المراد على هذه القراءات كلها الياس وعليه وقع التسليم ولكنه
اسم اعجمي والعرب تضطرب في هذه الاسماء الاعجمية ويكثر تغييرهم لها قال ابن جني العرب تتلاعب
بالاسماء الاعجمية تلاعبا فياسين والياس والياسين شيء واحد قال الاخفش العرب تسمي قوم
الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال فعلى
هذا انه سمي كل رجل منهم بالياسين قال الفراء تذهب بالياسين الى ان تجعله جمعا فتجعل
اصحابه داخلين معه في اسمه قال ابو علي الفارسي تقديره الياسيين الا ان اليائين للنسبة
حذفتا كما حذفتا في الاشعريين والاعجمين ورجح الفراء وابو عبيدة قراءة الجمهور قالا لانه لم يقل
في شيء من السور على آل فلان انما جاء بالاسم كذلك الياسين لانه انما هو بمعنى الياس او بمعنى الياس واتباعه
وقال الكلبي المراد بآل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدي وهذا بعيد لان ما بعده من الكلام
وما قبله لا يدل عليه قال ابن عباس نحن آل محمد آل ياسين وقيل آل القرآن لان ياسين من اسماء
القرآن وفيه بعد بعيد وقد تقدم تفسير قوله انا كذلك نجزي المحسنين اي كما جزيناه ببقاء
سيرته الحسنة في الآخرين وتقدم ايضا تفسير قوله انه من عبادنا المؤمنين مستوفى وان
لوطا لمن المرسلين قد تقدم ذكر قصة لوط عليه السلام مستوفى اذ نجيناه واهله اجمعين
الظرف متعلق بمحذوف هو اذكر ولا يصح تعلقه بالمرسلين لانه لم يرسل وقت تنجيته الا عجوزا في
الغابرين قد تقدم ان الغابر يكون بمعنى الماضي ويكون بمعنى الباقي فالمعنى الا عجوزا في الباقين في العذاب
او الماضين الذين قد هلكوا ثم دمرنا الآخرين اي اهلكناهم بالعقوبة والمعنى ان في نجاته
واهله جميعا الا العجوز وتدميره الباقين من قومه الذين لم يؤمنوا به دلالة بينة على ثبوت
كونه من المرسلين وانكم لتمرون عليهم خطاب لهذا العرب اي كفار مكة على الخصوص اي تمرون

علي منازلهم التي فيها آثار العذاب مُصْبِحِينَ اي داخلين في وقت الصباح وهو من اصبح التامة وَبِاللَّيْلِ
المعنى تمرون على منازلهم في ذهابكم الى الشام ورجوعكم منه نهارا وليلا والوقف عليه مطلق والباء
للملابسة أَفَلَا تَعْقِلُونَ ما تشاهدونه في ديارهم من آثار عقوبة الله النازلة بهم فان في ذلك
عبرة للمعتبرين وموعظة للمتدبرين وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من
قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين في آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد
منفردا بالسلام وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ يونس هو ذو النون وهو ابن متى قال المفسرون
وكان يونس قد وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج عنهم وقصد البحر وركب السفينة
فكان بذهابه الى البحر كالفار من مولاه فوصف بالاباق وهو معنى قوله إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ اي
المملوء واصل الاباق الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه وصف به فهو استعارة
تصريحية او مجاز مرسل من استعمال المقيد في المطلق وقال المبرد تأويل ابق تباعد اي ذهب اليه
ومن ذلك قولهم عبد ابق وقد اختلف اهل العلم هل كانت رسالته قبل التقام الحوت اياه او بعده
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ المساهمة اصلها المغالبة وهي الاقتراع وهو ان يخرج السهم
على من غلب قال المبرد اي فقارع اهل السفينة قال واصله من السهام التي تجال والمعنى فصار
من المغلوبين قال يقال دحضت حجته وادحضها الله واصله من الزلق عن مقام الظفر قال
ابن عباس اقترع فكان من المقروعين وعنه قال بعث الله يونس الى اهل قريته فردوا عليه ما
جاءهم به فامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك اوحى الله اليه اني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا
فاخرج من بين اظهرهم فاعلم قومه الذي وعد الله من عذابه اياهم فقالوا ارمقوه فان خرج من
بين اظهركم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبيحتها ادلج فراه
القوم فحذروا فخرجوا من القرية الى براز من ارضهم وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله وانابوا
واستقالوا فاقالهم الله وانتظر يونس الخبر عن القرية واهلها حتى مر به مار فقال ما فعل اهل القرية
قال ان نبيهم لما خرج من بين اظهرهم عرفوا انه قد صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من
القرية الى براز من الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها ثم عجوا الى الله وتابوا فقبل منهم واخر
عنهم العذاب فقال يونس عند ذلك لا ارجع اليهم كذابا ابدا ومضى على وجهه اخرجه ابن جرير

وابن أبي حاتم ومعنى هذه المساهمة ان يونس لما ركب السفينة احتبست فقال الملاحون ههنا
عبد ابق من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها ابق لا تجري فاقترعوا فوقعت القرعة
على يونس فقال انا الابق وزج نفسه في الماء وقد قدمنا الكلام على قصته وما روي فيها في
سورة يونس فلا نكرره فالتقمه الحوت يقال لقمت اللقمة والتقمتها اذا ابتلعتها اي فابتلعه
الحوت ومعنى وهو مليم هو مستحق للوم يقال رجل مليم اذا اتى بما يلام عليه واما الملوم فهو الذي
يلام سواء اتى بما يستحق ان يلام عليه ام لا وقيل المليم المعيب يقال الام الرجل اذا عمل شيئا صار به
معيبا وقيل داخل في الملامة وقال ابن عباس المليم المسيء قال سعيد بن جبير لما استهموا جاء
حوت الى السفينة فاغرا فاه ينتظر امر ربه حتى اذا القى نفسه في الماء اخذه الحوت فلولا انه
كان من المسبحين اي الذاكرين لله او المصلين له او من القائلين لا اله الا انت الاية وقيل من
العابدين وقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وقال الحسن ما كانت له صلوة في بطن
الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة للبث في بطنه الى يوم
يبعثون اي لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم البعث وقيل للبث في بطنه حيا واختلف
المفسرون كم اقام في بطن الحوت فقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان اربعين يوما وقال
الضحاك عشرين يوما وقال عطاء سبعة ايام وقال مقاتل بن حيان ثلثة ايام وقيل ساعة واحدة
وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وفي هذه الاية ترغيب في ذكر الله وتنشيط للذاكرين له فنبذناه
بالعراء النبذ الطرح والعراء قال ابن الاعرابي هو الصحراء وقال الاخفش الفضاء وقال ابو عبيدة
الواسع من الارض وقال الفراء المكان الخالي وروي عن ابي عبيدة ايضا انه قال هو وجه الارض
وقيل الارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل قاله ابن عباس والمعنى ان الله طرحه من
بطن الحوت في الصحراء الواسعة التي لا نبات فيها وامر الحوت بنبذه وانما اضاف النبذ الى نفسه
وان كان الحوت هو النابذ لان اعمال العباد مخلوقة لله وهو عند القائه سقيم لما ناله في بطن
الحوت من الضرر وقيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وقيل كالفرخ الممعط اي المنتوف
شعره وقيل كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة وقد استشكل بعض المفسرين الجمع بين
ما وقع ههنا من قوله فنبذناه بالعراء وقوله في موضع اخر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء

وهو مذموم فإن هذه الآية تدل على أنه لم ينبذ بالعراء وأجاب النحاس وغيره بأن الله سبحانه
أخبر ههنا أنه نبذ بالعراء وهو غير مذموم ولولا رحمته عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم
﴿وأنبتنا عليه شجرة﴾ فوقه تظلل عليه وقيل معنى عليه عنده وقيل معنى عليه له أي مظلة
له ﴿من يقطين﴾ هو شجرة الدباء وقال المبرد اليقطين يقال لكل شجرة ليس لها ساق بل يمتد على
وجه الأرض نحو الدباء والبطيخ والحنظل فإن كان لها ساق تقلها فيقال لها شجرة فقط وهذا قول
الحسن ومقاتل وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو كل شيء ينبت ثم يموت من عامه قال الجوهري
اليقطين ما لا ساق له من الشجر كشجر القرع ونحوه قال الزجاج اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان
أي أقام به فهو يفعيل وقيل هو اسم أعجمي قال المفسرون كان يستظل بظلها من الشمس وقيض الله
له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشية فكان يشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت
شعره ثم أرسله الله بعد ذلك قال ابن عباس يقطين القرع وعليه الجمهور وفائدته أن
الذباب لا يجتمع عنده وأنه أسرع الأشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا قال ابن جزي وخص الله القرع
لأنه يجمع برد الظل ولين الملمس وكبر الورق وأن الذباب لا يقربه فإن جسد يونس حين ألقي لم
يكن يحتمل الذباب وقيل اليقطين شجرة التين وقيل الموز وقال سعيد بن جبير اليقطين كل شيء يذهب
على وجه الأرض فعنه قال إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت وهو معنى قوله ﴿وأرسلناه إلى
مائة ألف أو يزيدون﴾ هم قومه الذين هرب منهم إلى البحر وجرى له ما جرى بعد هربه كما قصه الله
علينا في هذه السورة وهم أهل نينوى قال قتادة أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل
أن يصيبه ما أصابه وأو في قوله أو يزيدون قيل بمعنى الواو والمعنى ويزيدون وقال الفراء
أو ههنا بمعنى بل وهو قول مقاتل والكلبي وأبي عبيدة وقال المبرد والزجاج والأخفش أو ههنا على
أصله والمعنى أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون فالشك
إنما دخل على حكاية قول المخلوقين وقرأ جعفر بن محمد ويزيدون بدون ألف الشك قال السمين
الشك بالنسبة إلى المخاطبين والإبهام بالنسبة إلى أن الله أبهم أمرهم والإباحة بالنسبة إلى الناظر وكذلك
التخيير أي هو مخير بين أن يحزرهم كذا أو كذا وقد وقع الخلاف بين المفسرين هل هذا الإرسال هو
الذي كان قبل التقام الحوت له وتكون الواو في وأرسلناه لمجرد الجمع بين ما وقع له مع الحوت وبين

ارساله الى قومه من غير اعتبار تقديم ما تقدم فى السياق وتاخير ما تاخر وهو ارسال له
بعد ما وقع له من الحوت ما وقع على قولين وقد قدمنا الاشارة الى الاختلاف بين اهل العلم هل
كان قد ارسل قبل ان يهرب من قومه الى البحر او لم يرسل الا بعد ذلك والراجح انه كان رسولا قبل
ان يذهب الى البحر كما يدل عليه ما قدمنا في سورة يونس وبقي مستمرا على الرسالة وهذا الارسال
المذكور هنا هو بعد تقدم نبوته ورسالته قال سعيد بن جبير انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه
الحوت ثم تلى فنبذناه بالعراء الى قوله الى مائة الف او يزيدون وقد تقدم ما يدل على ان رسالته
كانت من قبل ذلك وليس فى الاية ما يدل على ما ذكره كما قدمنا وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم
آخرين غير القوم الاولين وفيه بعد واخرج الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم
وابن مردويه عن ابي بن كعب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله هذا قال يزيدون
عشرين الفا قال الترمذي غريب كذا روي عن الكلبي ومقاتل وعن ابن عباس قال يزيدون
ثلاثين الفا وروي عنه انهم يزيدون بضعة وثلثين الفا وكذا روي عن الحسن وروي عن ابن عباس
انهم يزيدون بضعة واربعين الفا وقال سعيد بن جبير سبعين الفا ولا يتعلق بالخلاف في
هذا كثير فائدة فآمنوا فمتعناهم الى حين اي وقع منهم الايمان بعد ما شاهدوا اعلام النبوة
فمتعهم الله فى الدنيا الى حين انقضاء آجالهم ومنتهى اعمارهم ولما كانت قريش وقبائل من العرب
يزعمون ان الملائكة بنات الله امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم باستفتائهم على طريقة التقريع
والتوبيخ فقال فاستفتهم اي استخبرهم يا محمد الربك البنات ولهم البنون اي كيف يجعلون
لله على تقدير صدقهم فيما زعموه من الكذب ادنى الجنسين واوضعهما وهو الاناث ولهم اعلاهما
وارفعهما وهم الذكور وهل هذا الا حيف فى القسمة لضعف عقولهم وسوء ادراكهم ومثله قوله الكم
الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ثم زاد في توبيخهم وتقريعهم فقال ام خلقنا الملائكة
اناثا وهم شاهدون فاضرب عن الكلام الاول الى ما هو اشد منه فى التبكيت والتهكم بهم اي
كيف جعلوهم اناثا وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم وهذا كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم فبين سبحانه ان مثل ذلك لا يعلم الا بالمشاهدة ولم يشهدوا ولا دل
دليل على قولهم من السمع ولا هو مما يدرك بالعقل حتى ينسبوا ادراكه الى عقولهم ثم اخبر سبحانه عن كذبهم

فقال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون استئناف من جهته تعالى
غير داخل تحت الامر بالاستفتا مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان انه ليس مبناه الا الافك
الصريح والافتراء القبيح من دون دليل ولا شبهة دليل فانه لم يلد ولم يولد وقرأ الجمهور ولد الله
فعلا ماضيا مسندا الى الله وقرئ باضافة ولد الى الله على انه خبر مبتدأ محذوف وهي اي يقولون الملائكة
ولد الله والولد بمعنى مفعول يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ثم كرر سبحانه تقريعهم
وتوبيخهم فقال اصطفى البنات على البنين قرأ الجمهور بفتح الهمزة على انها للاستفهام الانكاري
وقد حذف معها همزة الوصل استغناء بها عنها وقرئ بهمزة وصل تثبت ابتداء وتسقط درجا
ويكون الاستفهام منويا قاله الفراء وحذف حرفه للعلم به من المقام او على ان اصطفى وما بعده
بدل من الجملة المحكية بالقول وعلى تقدير عدم الاستفهام والبدل فقد حكى جماعة من المحققين
منهم الفراء ان التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام كما في قوله اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا وقيل هو على اضمار القول والاصطفاء اخذ صفوة الشيء ما لكم كيف تحكمون جملتان
استفهاميتان ليس لاحدهما تعلق بالاخرى من حيث الاعراب استفهم بهم اولا استفهام توبيخ ثم
استفهام انكار وثانيا استفهام تعجب من هذا الحكم الذي حكموا به والمعنى اي شيء ثبت لكم كيف تحكمون
لله بالبنات وهو القسم الذي تكرهونه ولكم بالبنين وهو القسم الذي تحبونه افلا تذكرون اي
تتذكرون والمعنى الا تعتبرون وتتفكرون فتتذكرون بطلان قولكم ام لكم سلطان مبين
اي حجة واضحة ظاهرة على هذا الذي تقولونه ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من مستند حسي
او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من مستند نقلي وهو اضراب عن توبيخ الى توبيخ وانتقال من تقريع
الى تقريع فأتوا بكتابكم اي فأتوا بالحجة الواضحة على هذا او فأتوا بالكتاب الذي ينطق لكم بالحجة
ويشتمل عليها ان كنتم صادقين فيما تقولونه وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات للغيبة
للايذان بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم وتحكى جناياتهم للآخرين
قال اكثر المفسرين ان المراد بالجنة هنا الملائكة قيل لهم جنة لانهم لا يرون وقال مجاهد هم
بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة وقال ابو مالك انما قيل لهم الجنة لانهم خزان على الجنان
والنسب الصهر قال قتادة والكلبي قالوا لعنهم الله ان الله صاهر الجن فكانت الملائكة من اولادهم

قالوا والقائل بهذه المقالة اليهود وقال مجاهد والسدي ومقاتل ان القائل بذلك كنانة وخزاعة
قالوا ان الله خطب الى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم فالملائكة بنات الله من سروات بنات
الجن وقال الحسن اشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه وقال ابن عباس زعم اعداء
الله انه تبارك وتعالى هو وابليس اخوان ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
اي علموا ان هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول يحضرون النار ويعذبون فيها لكذبهم في قولهم ذلك
والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين ادعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم
بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤبدا وقيل علمت الجنة
انهم انفسهم يحضرون للحساب والاول اولى لان الاحضار اذا اطلق فالمراد به العذاب وقيل المعنى ولقد
علمت الجنة انهم لمحضرون الى الجنة ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه الكريمة فقال سبحان الله عما يصفون
او هو حكاية لتنزيه الملائكة لله عز وجل عما وصفه به المشركون ذكره الحادي واشار له ابو السعود
والاستثناء في قوله الا عباد الله المخلصين منقطع والتقدير لكن عباد الله المخلصين بريئون عن
ان يصفوا الله بشيء من ذلك وقد قرئ بفتح اللام وكسرها ومعناهما ما بيناه قريبا وقيل هو استثناء
من المحضرين اي انهم يحضرون النار الا من اخلص فيكون متصلا لا منقطعا قاله ابو البقاء وعلى
هذا تكون جملة التسبيح معترضة ثم خاطب الكفار على العموم او كفار مكة على الخصوص فقال فانكم
وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين اي فانكم والهتكم التي تعبدون من دون الله لستم بفاتنين
على الله بافساد عباده واضلالهم وعلى متعلقة بفاتنين والواو في وما تعبدون اما للعطف على اسم
ان او هو بمعنى مع وما موصولة او مصدرية اي فانكم والذي تعبدون او وعبادتكم ومعنى
فاتنين مضلين يقال فتنت الرجل وافتنته ويقال فتنه على الشيء وبالشيء كما يقال اضله على الشيء
واضله به قال الفراء اهل الحجاز يقولون فتنته واهل نجد يقولون افتنته ويقال فتن فلان
على فلان امرأته اي افسدها عليه فالفتنة هنا بمعنى الاضلال والافساد قال مقاتل يقول ما
انتم بمضلين احدا بالهتكم الا من قدر الله له ان يصلى الجحيم وما في ما انتم نافية وانتم خطاب لهم
ولمن يعبدونه على التغليب قال الزجاج اهل التفسير مجمعون فيما علمت ان المعنى ما انتم بمضلين احدا
الا من قدر الله عز وجل عليه ان يضل والجملة تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن

اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام الا من هو صال
الجحيم اي الا من سبق له في علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار والاستثناء مفرغ قاله السمين
وهذا من حيث اللفظ واما من حيث المعنى فهو استثناء من المفعول المقدر قال ابن عباس في الآية
انكم يا معشر المشركين وما تعبدون يعني الآلهة ما انتم عليه بمضلين الا من سبق في علمه انه
سيصلى الجحيم وعنه قال يقول انكم لا تضلون انتم ولا اضل منكم الا من قضيت عليه انه صال الجحيم
وعنه قال لا تفتنون الا من هو صال الجحيم قرء الجمهور صال بكسر اللام لانه منقوص مضاف حذفت
الياء لالتقاء الساكنين وحمل على لفظ من فافرد كما افرد هو وقرء الحسن وابن ابي عبلة بضم اللام مع
واو بعدها وروي عنهما انهما قرءا بضم اللام بدون الواو فاما مع الواو فعلى انه جمع سلامة بالواو
حملا على معنى من وحذفت نون الجمع للاضافة واما بدون الواو فيحتمل ان يكون جمعا وانما حذفت
الواو خطا كما حذفت لفظا ويحتمل ان يكون مفردا وحقه على هذا كسر اللام قال النحاس وجماعة
اهل التفسير يقولون انه لحن لانه لا يجوز هذا قاض المدينة والمعنى ان الكفار وما يعبدونه لا يقدرون
على اضلال احد من عباد الله الا من هو من اهل النار وهم المصرون وانما يصر على الكفر من سبق
القضاء عليه بالشقاوة وانه ممن يصلى النار اي يدخلها ثم قال الملائكة مخبرين للنبي صلى الله عليه وسلم
كما حكاه الله سبحانه عنهم وما منا في الكلام حذف والتقدير وما منا احد او وما منا ملك الا له
مقام معلوم في عبادة الله وقيل التقدير وما منا الا من له مقام معلوم رجح البصريون التقدير
الاول ورجح الكوفيون الثاني قال الزجاج هذا قول الملائكة وفيه مضمر والمعنى وما منا ملك الا له
مقام معلوم يعبد ربه فيه لا يتجاوزه وقيل مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقيل يعبد الله على
مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضاء والاول اولى وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين اي
وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيامة وفيه بعد ثم قالوا وانا لنحن الصافون
اي في مواقف الطاعة او حول العرش داعين للمؤمنين قال قتادة هم الملائكة صفوا اقدامهم
وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف اهل الدنيا في الارض او نحن الصافون له في الصلوة
وهذا على القول الثاني انهم المؤمنون والاول اظهر وانا لنحن المسبحون اي المنزهون لله المقدسون له
عما اضافه اليه المشركون وقيل المصلون وقيل المراد بقولهم المسبحون مجموع التسبيح باللسان وبالصلوة

والمراد ان هذه الصفات هي صفات الملائكة وليسوا كما وصفهم به الكفار من انهم بنات الله
قال ابن عباس قال هذه الملائكة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في السماء موضع قدم
الا عليه ملك ساجد او قائم وذلك قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
اخرجه ابن جرير وابو الشيخ وابن مردويه وغيرهم وعن العلاء بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يوما لاصحابه اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع قدم الا عليه ملك راكع او ساجد
ثم قرء وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون اخرجه محمد بن نصر وابن عساكر وعن ابن مسعود قال
ان من السموات لسماء ما فيها موضع شبر الا وعليه جبهة ملك او قدماه قائما او ساجدا ثم قرء
وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون واخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن مردويه عن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون ان السماء اطت وحق لها
ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد الله قيل الاطيط اصوات الاقتاب
وقيل اصوات الابل وحنينها وقد ثبت في الصحيح وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اصحابه بان
يصفوا كما تصف الملائكة عند ربهم فقالوا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يقيمون
الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف قال القرطبي قال مقاتل هذه الايات الثلث نزلت ورسول
الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتاخر جبريل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اهنا تفارقني فقال جبريل
ما استطيع ان اتقدم عن مكاني هذا وانزل الله حكاية عن قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم
الى اخرها وان كانوا ليقولون ان مخففة من الثقيلة وفيها ضمير شان محذوف واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية اي وان الشان كان كفار العرب ليقولون الخ هذا رجوع الى الاخبار عن
المشركين اي كانوا قبل المبعث المحمدي اذا عير وا بالجهل قالوا لو ان عندنا ذكرا من الاولين
اي كتابا من كتبهم كالتوراة والانجيل لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة له ولم نكفر به
كما كفر ولما جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز بين الكتب فكفروا به قال ابن عباس
لما جاء المشركين من اهل مكة ذكر الاولين وعلم الاخرين كفروا بالكتاب والفاء هي الفصيحة الدالة
على محذوف مقدر في الكلام قال الفراء تقديره فجاءهم محمد بالذكر فكفروا به وهذا على طريق
التعجب منهم ونظير ذلك قوله في سورة فاطر واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن.

اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا والمراد بالذكر الرسول وقد قيل هنا
ان الذكر هو الرسول فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ومغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام
وفي هذا تهديد لهم شديد ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين مستانفة مقررة للوعيد
وتصديرها بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونها اي وبالله والمراد بالكلمة ما وعدهم الله به
من النصر والغلبة والظفر على الكفار قال مقاتل عني بالكلمة قوله سبحانه كتب الله لاغلبن انا ورسلي
وقال الفراء سبقت كلمتنا بالسعادة لهم والاولى تفسير هذه الكلمة بما هو مذكور هنا فانه قال انهم لهم
المنصورون فهذه هي الكلمة المذكورة سابقا وهذا تفسيرها وانما سماها كلمة وهي كلمات
لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة فهو مجاز من اطلاق الجزء على الكل
وان جندنا المراد بجند الله حزبه وهم الرسل واتباعهم والجند الانصار والاعوان والجمع اجناد
وجنود والواحد جندي فالياء للوحدة مثل روم ورومي وجند بفتحين بلد باليمن قال الشيباني جاء هنا
على الجمع يعني قوله لهم الغالبون من اجل انه راس اية وهذا الوعد لهم بالنصر والغلبة لا ينافيه
انهزامهم في بعض المواطن وغلبة الكفار لهم فان الغالب في كل موطن هو انتصارهم على الاعداء
وغلبتهم لهم فخرج الكلام مخرج الغالب على ان العاقبة المحمودة لهم على كل حال وفي كل موطن
كما قال سبحانه والعاقبة للمتقين والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم
القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الاخرة وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في العقبى
والحاصل ان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من
الابتلاء والمحنة فالعبرة للغالب ويعطي الاكثر حكم الكل ويلحق القليل بالعدم او الغلبة باعتبار
عاقبة الحال وملاحظة المال ثم امر الله سبحانه رسوله بالاعراض عنهم والاغماض عما يصدر
منهم من الجهالات والضلالات فقال فتول عنهم حتى حين اي اعرض عنهم الى مدة معلومة
عند الله سبحانه وهي مدة الكف عن القتال قال السدي ومجاهد حتى نامرك بالقتال وقال قتادة
الى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل الى يوم فتح مكة قيل هذه الاية منسوخة باية السيف والاولى
وكان صلى الله عليه وسلم اول الامر مامورا بالتبليغ والانذار والصبر على اذى الكفار تاليفا لهم ثم امر بالجهاد
في السنة الثانية من الهجرة قال ابن جرير وغزواته صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون غزوة قاتل في ثمان منها بنفسه

واضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذي العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه به وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه ويترتب على القولين مسئلة اليمين فعلى الاول ينعقد بها اليمين لانها صفة من صفاته بخلاف الثاني فانه لا ينعقد بها اليمين قاله السمين ثم ذكر ما يدل على تشريف رسله وتكريمهم فقال وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ اي الذين ارسلهم الى عباده وبلغوا رسالاته وهو من السلام الذي هو التحية وقيل معناه امن لهم وسلامة من المكاره آخرج ابن سعد وابن مردويه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمتم على المرسلين فسلموا علي فانما انا بشر من المرسلين وعن انس مرفوعا نحوه باطول منه عند ابن مردويه وعمم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لان في تخصيص كل بالذكر تطويلا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ارشاد لعباده الى حمده على ارسال رسله اليهم مبشرين ومنذرين وتعليم لهم كيف يصنعون عند انعامه عليهم وما يثنون به عليه وقيل انه الحمد على هلاك المشركين ونصر الرسل عليهم والاولى انه حمد الله سبحانه على كل ما انعم به على خلقه اجمعين كما يفيده حذف المحمود عليه فان حذفه مشعر بالتعميم كما تقرر في علم المعاني والحمد هو الثناء الجميل لقصد التعظيم عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يسلم من صلاته قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اخرجه سعيد بن منصور وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابو يعلى وابن مردويه وآخرج الطبراني عن ابن عباس قال كنا نعرف انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلوة بقوله سبحان ربك الخ واخرج الخطيب نحوه من حديث ابي سعيد واخرج الطبراني عن زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال دبر كل صلوة سبحان ربك الآيات ثلاث مرات فقد اكتال بالمكيال الاوفى من الاجر واخرج حميد بن زنجويه في ترغيبه عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه نحوه وعن علي رضي الله تعالى عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الخ ذكره النسفي والخازن قال النسفي اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب

ع٤

خاتمة الطبع للشاب الذكي المتوقد الخبير المتتبع العالم البصير نائب مفتي الرياسة البهوفالية المولوي محمد عبد الرشيد بن محمد شاه الكشميري سلمه الله تعالى وعافاه وإلى مدارج العلى رقاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من علينا بتنزيل كتابه ونص على الاجزال في ثوابه لمن اقتدى به والصلاة
والسلام على رسوله الامين الآتي بالكتاب المبين وعلى آله واصحابه ومن وفق للتأدب بآدابه
ثم نثني عليك اللهم الثناء الجميل ونشكرك بالاجمال والتفصيل على ما انعمت به علينا في
هذا العصر من النعم التي جلت عن الحصر في دولة ذات الفضيلة الجلية والمكانة العلية
ولية النعم حضرتنا **نواب شاهجهان بيكم** ايد الله توفيقها وجعل السعادة
الابدية رفيقها وسددها في الاقوال والافعال وبلغها جميع الاماني والآمال بهي طبع هذا
الجزء الثالث من التفسير الجليل والسفر المسفر عن وجه المقصد الجميل ولعمري انه غريب
في فنه عجيب في حسنه لطيف في بابه شريف في ايجازه واطنابه سلك به مؤلفه حسن السلوك
واتى بما يكفي الملوك ويغني الصعلوك واهتدى في التتبع الرواية والدراية وجاء تحت كل آية بكل نفيسة
ليس وراءها غاية مع حسن الاختصار ولطف الاظهار والاضمار فلو رآه القاضي محمد بن الشوكاني
لسرح في رياضه عيون الاماني او اطلع عليه الحافظ ابن كثير لقال هذا اكمل من تفسيري الكبير
ولا غرو ان بهر وصفه وانتشر عرفه وطاب نشره الذي يروح ويحيي فمؤلفه السيد العلامة
صديق بن حسن القنوجي المخاطب بنواب والا جاه امير الملك
بهادر نفع الله بعلومه كل عبد وحر وكفاك به من محقق ألمعي ومفسر لوذعي ومحدث
بلتعي ضم اليه كل شاردة مهمة وأورد فيه كل ما شغفت للغة المدلهمة ادام الله عظيم افضاله
وشريف اعماله فهو الذي رفع لواء الفضل وبسط وطاء العدل واعد اسباب التمدن ومد
اطناب التفنن وسهل طرق التقدم وارشد الى حسن التعليم والتعلم وشيد رسوم الكتاب
العزيز المعارف واسبغ على رؤوس العلماء ظلها الوارف وجد في طلب مآثر واسنى الاصالة
وجلة وزاول ما كان قاصيا وحاول ما رام متعاصيا واجتذب الكتب الحديثية الشاردة

بتوجيه الهمة العليا للمبادرة والقول الفصل والفضل الجزل وتحف اهل الهند واليمن
بالسيل الفطن وسعى في تكثير قريبها وتيسير غريبها فغدت فوائده صادرة ومحامدها مدى الدهر
كالامثال سائرة وفاقت بها بهوپال على غيرها من المدن والبلاد ونشر بها لاهل العلم
افضل علم ومهد لهم اجمل مهاد واحيى ما كان في حيز العدم وابدع الحكم منها بالحكم واستحدث
ما لم يكن قديما وصار نفعه عميما من الفوائد السديدة والعوائد الجديدة المفيدة وصرف
لها حسن الرعاية ولحظها بعين العناية حتى فازت كتب السنة المطهرة بتشييد رسوم التحقيق
والانصاف غب الدروس وتبسم لها اخر الزمن بعد طول العبوس اضحى بها القطر روضا
نضيرا واهدى من طيب نشرها عبيرا وقد تم طبع هذا الجزء الثالث من التفسير المسمى
بفتح البيان في مقاصد القرآن واتم ينعه وارتفع وضعه وابتلج نوره و
ابتهج منثوره وراق صنعه وعم نفعه بالمطبع الصديقي البهي الواقع بدار الطباع
الوضي بهوپال المحمية حرسها الله واهلها عن كل آفة وبلية في اواخر شهر ربيع الاول
من سنة الف ومائتين وثلث وتسعين من الهجرة القدسية بكتابة القارئ لكتاب الله الكريم
الحافظ علي حسين الكنوي ثبته الله على الصراط السوي وتصحيح العالمين الكريمين التقيين النقيين
السيد ذو الفقار احمد والشيخ عبد الصمد المولويين نزههما الله تعالى عن كل
شين ورين وحلاهما بكل حسنة وزين تحت ادارة المتبحر الصالح الرفيع الشان المولوي
محمد عبد المجيد خان مهتمم مطابع دار الرياسة العليه حماه الله عن كل رزيه
واصلاح حجر الطبع من الحافظ كرامة الله سلمه الله تعالى وابقاه ولما تم طبعه اجتلى اهل
الاقاليم انواره الساطعه واجتنى كل طالب ثمراته النافعه ومازالت القلوب اليها مصروفه
والابصار والاسماع على محاسنه عاطفة مصطوفه وكل اهل العرب بذكره لهج وبكثرة الذي
يعطر الكون مبتهج وقيض الله له جمعة ادبية واتاح لها مدائحه البهية فافتحوا الباب الى طريق الصواب
وجاؤا في مادحه من بلاد شاسعة بكل عجب عجاب منهم الامام الكامل والهمام الفاضل
مفسر عصره ومحدث مصره اعجوبة الدهر ونخبة الزمان مولانا الشيخ سليمان بن محمد
الاهدل مفتي زبيد اعلى الله تعالى مقامه وانجح مرامه وعبارته هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد من اتى احمد صلى الله عليه وآله وسلم جوامع الكلم والكلم الجامعة + وامده بشمس المعارف
التي بهر سناها انوار شمس الآفاق الساطعة + وبعثه بالدين الذي حلى تاجه بجواهر الفاظه
اللامعة + ومنحه من العلوم والصفات ما لا تحيط باستقصائه دائرة النطق الواسعة + صلى الله
وسلم عليه وعلى آله وصحبه ما تركبت الالفاظ من حروف مبانيها ودلت على اسرارها ومعانيها
وبعد فقد وفقت ان وقفت على هذا التفسير العظيم والدر النظيم المبين لمعاني القرآن
العظيم واسراره الكاشف لرموزه واشاراته وانواره تاليف النواب عالي الجاه والجناب السيد
السند الامام المعتمد والاجاه امير الملك **نواب صديق حسن خان صاحب**
بهادر فاذا هو اجل تصنيف قد افرغ في احسن ترتيب وترصيف + فاق به وعلا على كل تفسير
وتاليف + وحوى من النكات السنية دررا + ومن الفوائد الفرائد غررا + مع ايجاز المباني
وجزالة المعاني كيف لا ومؤلفه راضح در التحقيق ولبانه + وواضع در التدقيق عقد اجلى لباته
رافع طراز سند الحديث ورواياته + كشاف اسرار التنزيل واحكام آياته + مجمع بحري المعقول
والمنقول + منيع نهري الفروع والاصول + ساحب ذيل البلاغة على سحبان وائل + مالك
ازمة اليراعة والبراعة والفضائل + جامع الفنون البعيدة والقريبة + والعلوم المعروفة
والغريبة + لا زالت شمس العلوم به متألقة + وانهارها من زخار بحره متدفقة + ورياض
البلاغة به عن ازهارها متفتقة + فلقد فجر في كتابه هذا انهار العلوم ونثر فيه ازهار
المنثور والمنظوم + ولعمري لقد برهن بانتشاره على سعة الاطلاع + ودل على طول يده في العلوم
وباعه + وانه الذي تناول افنان الفنون + وفهم تلميحات ذهنه اشارات المكنون + واماط
عن وجوه المعاني البديعة النقاب + واتى في ذلك بالعجب العجاب + فالله اسال وبنبيه اتوسل
ان يبلغه من خيري الدارين ما امله + وييسر له كل طريق امّه + انه على ما يشاء قدير
وبالاجابة جدير + آمين والحمد لله رب العالمين + وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
كتبه الفقير الى الله عز وجل المعترف بالقصور سليمان بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى بن
عمر الاهدل مفتي زبيد في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٢٩١ عفا الله عنهم وغفر لهم آمين آمين آمين

ومنهم الحبر الفهامة والبحر العلامة ترجمان القرآن وشارح قول سيد عدنان زبدة الفضلاء الكرام عمدة العلماء الاعلام
الشيخ محمد بن عبد الله الزواك مفتي مدينة الزبيدية رفع الله شانه في البرية وعبارته هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اهل لخدمة كتابه العزيز من اختاره من عباده + وجعلهم خزنة علمه وعيبة
اسراره ومطلع انواره وخلفاء انبيائه في اقطار بلاده + والصلوة والسلام على نبي الرحمة
وهادي الامة + وافضل ناطق بالحكمة وعلى آله الائمة واصحابه مصابيح الظلمة وبعد
فقد وقفت على هذا التفسير الخطير والمنهل العذب النمير الذي جمع بين الرواية والدراية
وسبق بسهولة التعبير وحسن التقرير الى اقصى غاية فلقد منح الله مؤلفه من مفاتح الغيب
علما كشافا لمشكلات التاويل وفهما بعلوم الحبر الخبير اسرار البلاغة في معالم التنزيل كيف لا
ومؤلفه المتسلسل من ذؤابة ابي السبطين والحائز للشرفين السيد الامام صدر العلماء
الاعلام اجل المسندين وعمدة الحفاظ المحدثين المعتمدين شريف النجار عظيم المقدار الذي
افتخرت به بهوپال على جميع الاقطار وانتشرت بوجوده علوم السنة والآثار نواب والاجاه
امير الملك السيد محمد صديق حسن خان بهادر لازال مشرقا بدر
كماله الباهر + محميا بحماية الملك القادر + فقد برهن هذا التفسير الجليل بانه حفظه الله
قد حلى في سبقه وسطعت شمس العلوم من افقه + ولمعت انوار التحقيق عن برقه واستمد
البحر والنهر من ودقه + فاغزر الله وبله واحيى به العلم واهله + وبارك في عمره ونشر
في الآفاق اعلام فضله وفخره آمين .

ياطالب التفسير ان اغلقت ... ابوابه دونك فتح البيان
وان تكن ابحاثه اشكلت ... واستبهمت فهو لها ترجمان
لله تفسير بديع بدا ... الفه الحبر وحيد الزمان
الى اخير العصر لكنه ... سباق غايات بيوم الرهان
يقول من يسمع الفاظه ... هذا جنا يانع ام جنان
لازال بدرا في سماء العلى ... مظفر الملك فسيح المكان

كتبه العبد الفقير محمد بن عبد الله الزواك المعروف بابن صائم الدهر الحسيني مفتي مدينة
الزبيدية غفر الله له آمين بتاريخ ١٤ شهر ذي الحجة الحرام ختم سنة ١٢٩١ الهجرية

ومنهم الشيخ العلامة الفقيه والجهبذ الفاضل النبيه مجتهد عصره ومفتي مصره انسان عين
الآمال والاماني الشيخ يوسف بن المبارك العريشي اليماني نفع الله بعلومه الاقاصي والاداني بهذه عبارة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من جعل العلماء العاملين ورثة الانبياء ورفع مقامهم اعلاما + فكانوا للمسترشدين
والاهتداء نجوما واعلاما + وشغلهم بخدمة كتابه فبينوا احكامه وكشفوا اسراره و
اوضحوا حقائقه وقسموا علومه اقساما + ووفقهم بعنايته فقاموا في خدمته بتفسيره
وتاويله واجروا في كشف حقائقه اقلاما + لما علموا انه ارسخ العلوم اصلا وانورها كلاما + و
اسبغها فروعا واصلا واحسنها نظاما + اذ لا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال
عليه وله اماما + فاحرزوا بذلك مزايا ورتبا صاروا بها عظاما + وقد ورث في قلوبهم انوارا
يرون بها من المشكلات ما كان بعيد المحجبا ويفهمونه افهاما + منا منه تعالى عليهم
وافضالا وعزا واكراما فذاقوا حلاوة فهم اسرار كتابه فما وجدوا في طلب سفره تعبا ولا سآما +
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله اكرم به رسولا واماما +
صلى الله عليه وعلى آله واصحابه صلوة وسلاما + اما بعد فان الله سبحانه وتعالى
لما من علينا بالاجتماع باخينا العلامة المحقق الفهامة قاضي الجنة حسين بن محسن السبيعي
حفظه الله وزاده علما + واسبغ عليه بمنه وكرمه عظيم النعمى + في حرمه الشريف بمكة
المشرفة شرفها الله وعظمها ودار الكلام بالمذاكرة بيننا في ذلك المكان الشريف وحلا
وطاب لنا الوقت في تلك المآثر الشريفة وسلا + فسالناه عن تلك الديار التي ساقته اليها الاقدار +
وهل بقي في زوايا تلك الارض خبايا من العلماء العاملين + وائمة المسلمين + وهداة لعباده
المؤمنين + فذكر لنا الخير الكثير + ومن جملة من ذكره السيد الجليل العلامة النواب تاج
العلم والبهاء + والنباهة التي علت مرتبته فوق السهى + فاوجز في وصفه فاعجز واطال فاطاب +
واجاد في كشف مناقبه حين اجاب + وذكر من جملة مناقبه ان وفقه الله سبحانه للتفسير
كتابه بتفسير عظيم النفس فوائده + وانفع فرائده وافصح مقاله وافسح مجاله فلما سمعنا مقالته
تشوقت نفوسنا لرؤية ذلك الكتاب وروايته + فقال لي القاضي المذكور قد طبع بحمد الله منه الجزء الاول

وسأرسل اليك به + والباقي ان شاء الله يصلكم على ايدي ناس من عند السيد العلامة النواب محمد ابنه
فلما رجع القاضي المذكور ابو السعادات + من زيارة سيد الكائنات + ارسله الينا من بندر
الحديدة فاستبشرت بوروده + وحصلت على الفائدة من وفوده + فسرحت في درر معانيه
نظري + وروضت في رياض حقائق كلامه جواد فكري + فوجدته تفسيرا قد رصع من جواهر
معاني التحقيق بما رق وغلا + وجمع من بديع التفسير ما دق وجلا + ولما كشفت عن خازن
جواهر سطوره انوار علومه + وتأملت بيان مفاتح الغيب من منطوقه ومفهومه + قام لنا بفتح
القدير خطيب نيل اوطاره + وكشاف حقائق علومه واسراره + على منبر الفضل ينادي بانه
من اجل المصنفات في علم التفسير واعلاها + جامعا للصحيح من الاقاويل واسناها + عاريا
عن الشبه والتصحيف والتبديل برتبة قد سماها + محلى بالاحاديث النبوية الصحاح + مطرزا
بالاحكام الشرعية البينات + مرصعا باحسن الاشارات + واوضح العبارات + مساقا بابلغ بيان
واحسن ترتيب + مع التسهيل والتقريب + كلماته ازاهر نبتت في كتاب + وجواهر تكونت من الفاظ
عذاب + ومواهب لا تدرك بيد اكتساب + فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب + وكيف لا و
محاسنه لا توجد مجموعة قبله في كتاب + فهو تفسير فاضت عليه انوار البلاغة والفصاحة من
كل باب + ملأ حسن صنعه الاوراق بما راق + وزين الافاق بما فاق + كلامه احلى في
الافواه من الشهد + واشهى الى النواظر من النوم بعد السهد +

معان تطرب السمع لها حكم واحكام + والفاظ هي الارواح لا ارواح اجسام

فلا بدع صدر هذا التفسير عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق وروية
ملأت علومها المغارب والمشارق + وقريحة اذا قدحناها وشمت سناها تذكرت ما بين
العذيب وبارق + فما ترك ابن الحسن من الحسن في هذا الفن نوعا + فما احقه بقول القائل فيما اجاد صنعا

قطف الرجال القول حين نباته + وقطفت انت القول لما نورا +

فلله در الفاظك يا نواب + ولله درر فضلك يا اواب + احسن بوابلك الهاطل بالبيان +

وطلك المغيث بالعرفان + على رسلي فما لك من مجاري + الى رتب العلاء ولا رسيل +

لسانك غواص ولفظك جوهر + وصدرك بحر بالفضائل زاخر +

وبالجملة فلقد وقفت على هذا التأليف وقوف من افحمه الحصر + ورمت التطاول لمدحه فلحق باعي
القصر + واستنطقت لساني ليعرب عن حسن وصفه فاستعجم + واستقدمت جواد قلمي للجري
في هذا الميدان فاحجم + وكيف وقد حقق لنا بما نقب عليه وقرر + واستخرجه من عويصات
الافكار وحرر + قول القائل الماهر + كم ترك الاول للاخر + وعلمنا ان في الزوايا خبايا + وفي
الرجال بقايا + والمنح الالهية ليست مختصة بقوم دون قوم + ولا مفاضة في يوم دون يوم
بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم + فلعمري ان هذا لهو التاليف
الذي يفتخر به العالمون + ولمثل هذا فليعمل العاملون + لا برحت حدائق حقائقه نزهة
للاحداق + وحقائق بلاغته وحسن تاليفه في جيد الاجادة بمنزلة الاطواق + والله المسؤول
ان يرفع قدر مقال مؤلفه ومقام قدره ويوضح منهاج التفسير بنور بدره + بمنه وكرمه
ولا زال قدوة لمن اقتدى + وسراجا منيرا لمن استرشد واهتدى + ونور الشريعة بمحامد
صفاته الشريفة لا زال بها محمدا سائلا من الله تعالى ان يديمه قرطا لعاتق سماء
السعادة + ساميا مراتب المفاخر والسيادة + آمين اللهم آمين + والى هنا انتهى بنا
الكلام على ما اوردناه من التقريض على هذا المصنف + الذي لا يقدر
وصفه وقصدناه + والصلاة والسلام على من حسن به الابتداء والختام
سيدنا ومولانا محمد بدر التمام + وعلى آله واصحابه هداة الانام + ما
اشرق نجم في الخضراء + واورق شجر في الغبراء + آمين اللهم آمين
قاله بلسانه وخطه ببنانه وحرره بقلمه وبيانه
خادم العلم والعلماء العربي الاحقر المستغفر اسمه
ان لا يسطر الفقير الى الله تبارك يوسف بن
المبارك حسين الشافعي الاشعري
القرشي اليمني غفر الله له و
ستر عيبه وخلله امين
اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم

تصحيح المواضع المهمة من اغلاط ثالث مجلد التفسير فتح البيان في مقاصد القرآن

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
۳	۱۱	زکریّا	زکریّا	۱۶	۷	کیف من	کیف نکلم من
//	۱۳	ذربة	ذرية	۱۷	۱۱	اخوف غيرها	اخوف من غيرها
//	۱۶	ذلك	ذلك مع كون قرطا لم يمسسني بشر	۱۸	۸	فخصهم	فخصهم
//	۲۱	يتغذى	يتعدّى	۱۹	۲۱	مردوبه	مردويه
۴	۱۲	النضرع	التضرع	۲۰	۳	وبين	وكان بينه وبين
//	۱۳	خفّت	خفّت	۲۱	۱۹	قنادة	بقتادة
۵	۵	سوال	سؤال	۲۲	۱۹	وكلّا	وكلّا
//	۱۴	نبيا	نبيا	۲۴	۱۶	بنا	بنى
۷	۱۳	عنا	هنا	۲۵	۲۲	ومن	ومن
//	۱۴	متكلم	تكلم	۲۷	۱۴	شهد	شهاد
۸	۱۴	للب	اللب	//	۱۹	سمعت	سمعت
۹	۱	يخلصهم	يخلصهم	۲۸	۴	عي	غي
//	۱۷	حبّا	حبّا	//	۲۰	انتيته	أتيته
۱۲	۱۳	قيل	قبل	۳۰	۱۸	وخالق	وخالق
۱۳	۴	البهنسي	البهنسي	۳۱	۱۹	عليه	عليها
//	۸	نسئا	نسئا	۳۲	۱۶	كلّا	كلّا
//	۱۱	ناداه	ناداها	//	//	هذه عند الجمهور	عند الجمهور
۱۵	۱	القصى	القصي	۳۳	۱	يصلى	يصلى

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٣	١	يصلى	صلي
〃	٢	هم	بالذين هم
〃	١٠	هد	هذا
〃	٢٠	انشرف	انه اشرف
٣٥	٢٣	ويلبثون	ويلبسون
٣٦	١٦	مجاسن	محاسن
٣٩	٣	الثالث	والثالث
〃	٣١٠	لايستخونه	لايستحقونه
٤٠	٢	ليتعزروا	ليتعززوا
〃	١٩	الإز	الأزّ
٤١	٥	لخطاقهم	لخطاتهم
〃	١٨	مشاة	مشاتا
٤٢	٦	اذامره	اذا امره
〃	٢٠	اذّا	اذا
٤٦	١٤	والمغنى	والمعنى
٤٧	١٧	افرأوها	اقرّوها
〃	٢٢	يذبر	يدبرها
٤٩	١	وخطرة	واخطرة
٥٠	٢	فقمال	فتقال
〃	٩	بى نس	يونس
〃	٢٣	سجات	سبحات
٥١	٥	رسالتر	رسالته

صفحه	سطر	خطا	صواب
٥٣	٦	واشعارا	لا اشعارا
〃	٢٠	ووجة	ووجه
٥٦	٢٣	منّا	مسّا
٥٧	١٢	اذا	اذ
٥٨	٢٢	اثني عشر	اثنتاعشرة
٥٩	٢	وكلمايبتلي	وكل مايبتلي
٦٠	٧	التسع الآيات	[illegible]
٦١	١٢	سرف	اسرف
٦٣	١٧	لايكتفي	لايكتفي
〃	٢١	يفهي	ينهى
〃	٢٢	النهي	النُّهى
٦٥	٣	اجزاءكم	اجزاؤكم
٦٦	〃	ساخر	ساحر
٦٧	١٣	ياويلنا	ياويلنا
٦٩	٢١	نخيل	نخيل بالنون
٧٠	٩	للسخرة	للسحرة
٧٨	٢٣	هذا	هذا
٨٠	١٨	الملكي	لي الملك
٨١	٥	به	به
٨٢	١٣	ستاتيه	ستأتيه
〃	١٥	تخلفه	تخلفه
٨٣	١٣	القاء	الفاء

صفحه	سطر	خطا	صواب
٨٤	١٥	هكذ	هكذا
//	٢٠	مستنفع	مستنقع
٨٥	٥	وناق	وتداق
//	٢٣	صوت	هوصوت
٨٦	١٠	باذن	الاباذن
٨٧	١٧	لستادة	اسنادة
٨٨	٩	ولنبيه	والتنبيه
٨٩	٥	عزمه	عزمه بقوله
٩٣	١	الضنكي	الضنكا
٩٤	١٢	وقبل غروبها	وقبلَ غُرُوبِهَا
٩٧	١	لم يأتهم	لم يأتهم
//	١٢	اثنا عشر	اثنتا عشرة
٩٨	١٤	الجزير	الجزم
١٠١	٩	سماها	منها
١٠٣	١١	الهي	ألهى
//	١٣	الهاتي	الهائي
١٠٧	١٠	يسينه	بسببه
١١٥	٣	يكاوكم	يكاوكم
١١٩	٦	مشابه	مشابها
//	//	مثلث	مثلّث
//	//	المشابه	مشابها
١٢١	٣	الاوليان	الاوليان

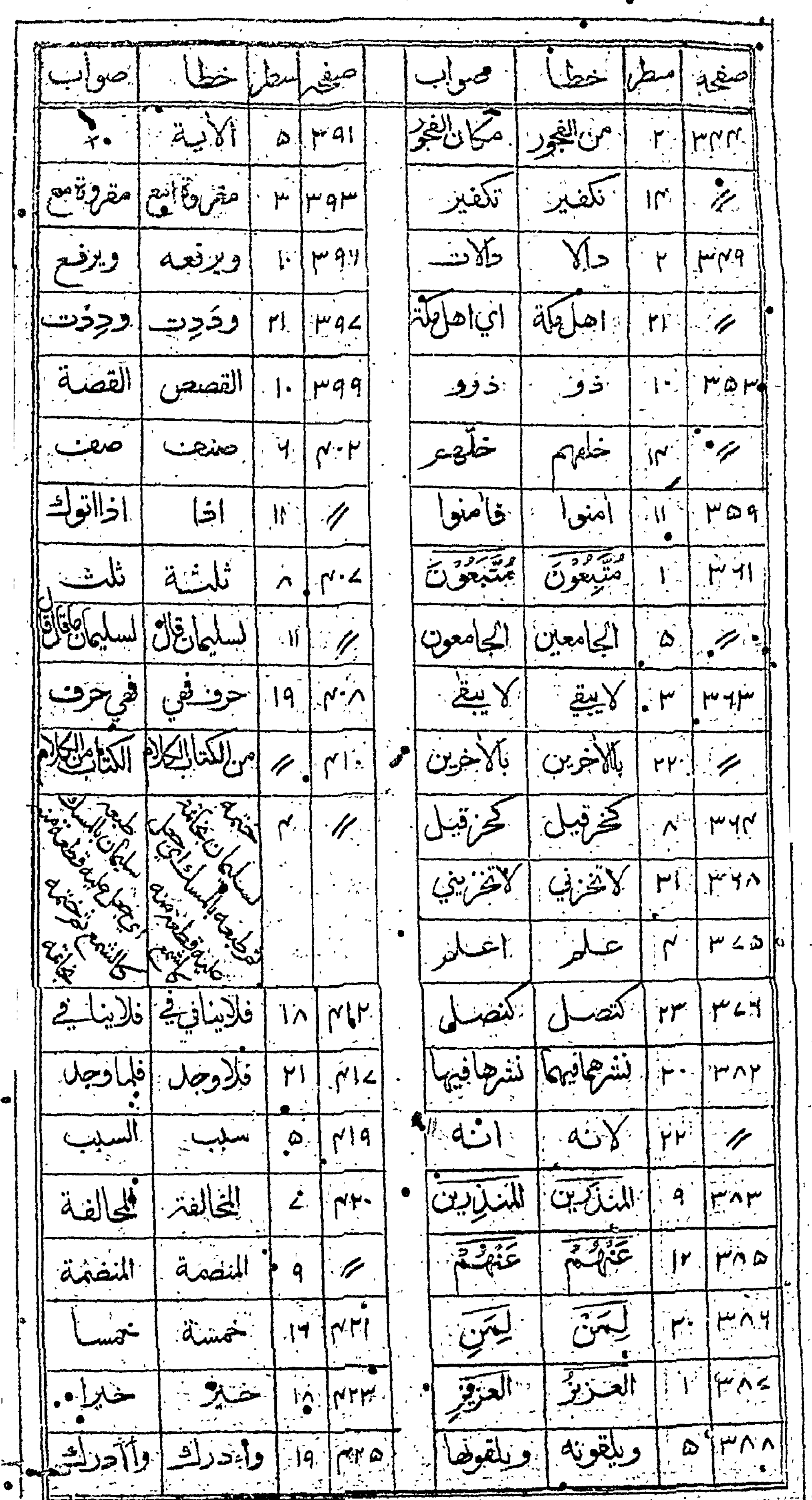
صفحه	سطر	خطا	صواب
١٢٣	٦	والجواب	الجواب
//	٣٠	المقالةو	المقاولة
١٢٥	٧	والايمان	والامان
١٢٨	١١	دواد	داؤد
١٣١	١٦	لالرفع	لاارفع
//	١٩	سبع بنين	سبعة بنين
//	٢١	اوتي	اوتي اهله
١٣٥	٦	مايسم	مالم يسمّ
١٣٩	١٠	مشركو	مشركوا
//	١١	الاتية	الآية
١٥٠	٥	خرجت	اخرجت
//	//	سارّ	سارٍ
١٥٤	٥	وذكر	ذكر
١٥٤	٨	به	بها
١٥٨	١٨	الاجراق	الاحراق
١٦٣	٣	الاالهم	الاتريٰهم
//	٧	من كان	ممن كان
//	٢٣	وان	وقال ان
١٦٧	٢٣	نسقط	تسقطه
١٧٠	٥	القوليت	قولين
١٧١	١٥	الغوي	اللغوي
١٧٢	٨	الخبر	الخبير

صفحه	سطر	خطا	صواب
١٧٣	١٩	وقد مت	[illegible]
״	٢١	تعطاها	تعطيلها
١٧٨	٢	لمجيئة	لمجيئه
״	٨	من مجيئة	من مجيئه
١٧٩	٦	ويجوز	ويجوز
١٨٠	״	بطلاته	بطلانه
١٨١	١٤	ثلانة	ثلاثة
١٨٣	١	يثبستوا	يثبتوا
١٨٤	١٠	الانسان	الاحسان
״	١٢	متذبيل	تذييل
١٨٦	١٣	ولاتها	ولانهامة
״	״	اخضر	اخضرار
״	٢٣	هذة	وهذة
١٨٩	٢١	كتب	اكتب
١٩٧	٢٠	[illegible]	×
״	٢٢	على	على احد
٢٠١	١٨	لقد	ولقد
״	١٩	انشأناه	ثم انشاناه
٢٠٤	١٣	وقرئ	قرئ
٢٠٥	٥	سغائن	سفائن
٢٠٦	٥٦	وقيل قد	قيل وقد
״	٩	مجئ	ان مجئ

صفحه	سطر	خطا	صواب
٢٠٧	١٠	وكامن	وكان من
٢٠٨	١	استوائهم	استواءهم
״	٦	قال لنوح	قال الله لنوح
״	٢٣	تعديتة	تعديته
٢١٠	١٩	جري	جرى
٢١٥	״	الخيرة	الحيرة
٢١٧	٢٠	لان	ان
٢١٩	١٤	ولا	+
״	١٥	جاوا	جاءا
٢٢٠	٧	راغب	الراغب
٢٢١	١٣	اتخاد	اتخاذ
٢٢٧	٤	يَصفون	يَصفون
٢٢٨	״	ذكري	ذكرى
٢٣١	١١	خسأت	وخسأت
٢٣٤	٢١	مقطوعا	مقطوعة
٢٣٧	١	رجعها	رجعهما
٢٣٨	٣	لة	له
٢٤١	٢	ربين	ثم ربين
״	٨	لاستثناء	الاستثناء
״	١٣	لفسق	الفسق
״	١٩	بالتصل	المتصل
٢٤٤	٧	احد	احدهم



صفحه	سطر	خطا	صواب
٢٤٣	٥	تعزير	تعزيرا
٢٤٦	١٣	الآخر	الآخرة
٢٦٧	٢٢	تحصيلا	تحصيل
٢٧١	١٣	لصدقها	تصدقها
٢٧٣	١٥	بهذا	بهذه
٢٧٥	١١	لاتنانها	لاتنالها
٢٧٦	٩	يقتدي	يُقتدى
″	١٤	تقرابيا	تقريبا
٢٧٧	٥	والمصباح	ولا المصباح
٢٧٨	٨	وقيل خص	قيل وخص
٢٨٠	٥	كيفاتها	كيفياتها
٢٨٦	٢٨	على م	على ما
٢٨٧	٨	وما	ما
٢٨٨	١٧	اورأوالهمة	اورأوامنه همة
٢٩٠	١٩	علادهم	علادهم
٢٩٤	٩	بعدذلك	بَعْدَ ذٰلِكَ
٢٩٥	١٣	وقرئ	قرئ
٢٩٦	١٥	خلى الرجل	خلا الرجل
″	١٦	خلى باهله	خلا باهله
٣٠٣	٧	هذا	واعتبار هذا
٣٠٤	″	يرفق	برفق
″	١٠	وقيل الاتجعلوا	وقيل معناه لا تجعلوا
٣٠٦	١	الفرقان	الفرقان
٣٠٨	٢٣	ويعدي	وتُعدى
٣٠٩	″	يأكل الطعام	يَأْكُلُ الطَّعَامَ
٣١١	١٨	فجعل	فيجعل
٣١٣	٣	كماتستكره	كمايستكره
٣١٤	٢٢	ان كانت	وان كانت
٣١٥	٧	أولياء	أولياء
٣١٦	٤	ماتقولون	بماتقولون
″	١٦	حزفه	حذفها
٣١٧	٢٠	لقاءنا	لقاءنا
٣٢٠	١٨	تيههم	تيههم
٣٢٢	٢	انه	انها
٣٢٥	″	سيكذبون بها	سيكذبون بها
٣٢٨	١٣	عقل	من عقل
٣٣٠	٨	يكون	بكون
″	٢٢	وخلقه	وخلفه
٣٣٥	٢٠	نسب	النسب
٣٣٦	١١	كافر	كافرا
٣٣٨	٩	الذين	الدين
٣٤٢	١٨	واخرجا	واخرج الشيخان
٣٤٣	٦	تصحيحه	تصح
٣٤٤	٢	من الشك	مكان الشك



صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٤٤	٢	من الفجور	مكان الفجور
//	١٤	نكفير	تكفير
٣٤٩	٢	دالا	دالات
//	٢١	اهل مكة	اي اهل مكة
٣٥٣	١٠	ذو	ذوو
//	١٤	خلهم	خلفهم
٣٥٩	١١	امنوا	فامنوا
٣٦١	١	مُتبِعُونَ	مُتتبِعُونَ
//	٥	الجامعين	الجامعون
٣٦٣	٣	لا يبقي	لا يبقى
//	٢٢	بالاخرين	بالآخرين
٣٦٤	٨	كخرقيل	كحزقيل
٣٦٨	٣١	لاتخزني	لاتخزيني
٣٧٥	٤	علم	اعلم
٣٧٦	٢٣	كتصل	كنصلى
٣٨٢	٢٠	نشرها فيهما	نشرها فيها
//	٢٢	لانه	انه
٣٨٣	٩	المنذرين	المنذِرين
٣٨٥	١٢	عنهُمُ	عنهُمْ
٣٨٦	٣٠	لِيمنَ	لِيمنِ
٣٨٧	١	العزيزُ	العزيزِ
٣٨٨	٥	ويلقونه	ويلقونها

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٩١	٥	الآية	٢٠
٣٩٣	٣	مقرونة انع	مقرونة مع
٣٩٦	١٠	ويرفعه	ويرفع
٣٩٧	٢١	وددت	وددت
٣٩٩	١٠	القصص	القصة
٤٠٢	٦	صنف	صف
//	١١	اذا	اذا اتوك
٤٠٧	٨	ثلثة	ثلث
//	١١	لسليمان قال	لسليمان لما قال
٤٠٨	١٩	حرف في	في حرف
٤١٠	//	من الكتاب الكلام	الكتاب من الكلام
//	٤	[illegible]	[illegible]
٤١٢	١٨	فلا ينافي في	فلا ينافي
٤١٧	٢١	فلاوجد	فلما وجد
٤١٩	٥	سبب	السبب
٤٢٠	٧	المخالفة	المخالفة
//	٩	المنصمة	المنضمة
٤٢١	١٢	خمسة	خمسا
٤٢٣	١٥	خير	خيرا
٤٢٥	١٩	وادرك	وادراك

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٤٣٠	١٥	التذكرة	التذكرتاتي	٥٠٥	٢١	بِالَّتِيَ	بِالَّتِي
٤٣٨	٤	فقلّا	فقل له	٥٠٦	١	والتحسين	والتخشين
٤٤١	١٦و١٧	الزاء	الزاي	״	٥	بهاو	بها
٤٥١	٢٣	ثلث	ثلثة	٥٠٨	١٢	الارشارة	الاشارة
٤٥٥	٥	له	لهٖ	٥٠٩	١	اليك	عليك
٤٥٦	١٢	كائتان	كائنان	״	٣	غيرة	غيره
٤٦٧	٢٠	قليلا	قليلة	״	٤	تعرف	تُعرف
٤٦٩	٤	منها	منه	٥١٠	١٥	ويستعجلونك	يستعجلونك
٤٧٠	٢٢	الاختيارة	الاختيار	٥١٣	٨	في اعلى	الاخفى في اعلى
٤٧٤	١٦	اذا ثقلني	اي اثقلني	٥١٣	١٤	ان	ابيّ
٤٧٥	٢٠	شيابك	شبابك	٥١٥	١	نزل	نَزَل
٤٨٠	٢١	والتضعيف	بالتضعيف	٥١٧	٥	السيدي	السدي
٤٨٧	٢٠	وغلبةٌ عا	وغلبة على	٥١٨	٩	على مع	على مَع
٤٩٠	٣	فقال من القيلولة	فقال	٥٢٠	٤	العشرة	العشر
״	٤	فقال	فقال	٥٢٥	١٤	والمصلة	والمهلة
٤٩٢	٣	وقرئ	قرئ	״	١٨	بِاللهِ	بالله
״	٢٢	بعدا	بعد	٥٢٧	١٧	والانتشار	والانتشار
٤٩٩	٤	ثم بذكر	ثم يذكر	٥٣٢	٧	مماليكم	مماليكم
٥٠٠	١٤	المذكوين	المذكورين	״	٨	شُركاءَ	شُركاء
״	١٥	بالحصباء	بالحصباء	״	٢٣	يوضحها	يوضحها
٥٠٢	١٧	تعالى منه	منه تعالى	٥٣٧	٣	وقرئ	قرئ
٥٠٥	٤	قلت اي	قلت لابن عباس اي	״	٢٣	الندب	لعذب

صفحه	سطر	خطا	صواب
٥٢٨	٩	وقيل بحكمة	+
٥٣٩	٢١	وانتم	فانتم
٥٤٠	٤	مِنْ	مِنَ
٥٤١	٧	وقرئ	قرئ
//	٨	ونون	وبنون
٥٥٤	٣	هب	وهب
//	٢٢	زاجع	راجع
٥٥٧	٩	مفسرة	مفسرة للضماير
//	١٣	المغطي	المغطّى
٥٥٨	١٠	نهي	نهى
٥٥٩	٢	مشيئك	مشيتك
٥٦١	١١	المبتوعين	المتبوعين
٥٦٢	٢٠	لا تنقى	لا تبقى
٥٦٤	٨	وكانت	لوكانت
٥٦٥	٦	ضبر	صبر
٥٦٦	٢١	حقٌّ بالبعث	بالبعث حقٌّ
٥٦٧	٧	وغيرهو	وغيرهما
//	١٥	كسب	اكتسب
//	٢٠	وجواز	وجوّز
٥٧٠	٦	اجمع	جمع
//	٢٠	تي	في
٥٧٤	٢١	التشريف	للتشريف

صفحه	سطر	خطا	صواب
٥٧٥	١٤	المعيني	المغني
//	٢٣	جاهدون	جاحدون
٥٨٢	١٠	الزاء	الزاي
٥٨٦	٩	اضحاب	اصحاب
٥٩٣	٢٢	النبيين	النبيّين
٥٩٥	١٠	غطقان	غطفان
٥٩٩	٥	ولااقامة	اولااقامة
٦٠٠	١٤	وقرئ	قرئ
٦٠١	٦	سوء	بسوء
٦٠٣	١٠	زحمة	رحمة
٦١٢	٧	سبني	نبي
٦٣٣	٣	جاثر	جائز
٦٣٥	//	اللساء	النساء
//	٢٣	الواهيات	الواهبات
٦٣٦	٦	ثلث عشر	ثلث عشرة
٦٣٧	٢٣	تحا	تخل
٦٣٨	٢	والمواهية	والواهبة
//	٢٢	امسكت	امسكت
//	٢٣	وهين	وهبن
٦٤١	١١	ابوزيد	ابن زيد
٦٤٥	٣	بيث	بنيت
//	٦	للمتنع	المنع

صفحه	سطر	خطا	صواب
٦٣٥	١٤	الخطب	الخطيب
٦٣٦	٢٢	طلخة	طلحة
٦٣٧	//	لانما	لانهما
//	١٧	على	×
٦٥٥	١	الزناة	الزنات
//	١٨	استبط	استنبط
٦٥٦	١١	ليتغشي	ليتحشى
٦٥٧	٩	بلبسن	بلبس
٦٥٩	١٢	بفتح التاء والراء وفتح	وقرئ بفتح التاء واللام
//	١٦	الرسولا	الرسولا
٦٦١	٥	من ضربه	ممن اثر ضربه
//	١٢	فلما اخذ	فلما نام اخذ
//	١٣	فلما نارجع	فلما رجع
٦٦٢	١٤	هذه الآية	الامانة
٦٦٣	٥	رايات	آراء
٦٦٤	١٤	التكسيو	تكسير
٦٦٥	٢	اخر	أُخر
٦٧١	١٢	المعنيين	العنيين
//	١٧	لمريكن	لم يكن
٦٧٣	١٦	وجيبت	وجبيت
٦٧٤	//	الحِن	الجِنّ
//	٢٣	وعلى الناس	على الناس

صفحه	سطر	خطا	صواب
٦٧٦	١٦	ختعم	خثعم
//	٢١	اتاهما	آتاهما
٦٧٩	١١	لمتبانغ	المتبالغ
//	١٥	يجازيے	يجازے
٦٨١	٩	احدها	احدٰها
//	١٧	لانه	لانهم
٦٨٢	١	اغوالهم	اغواهم
٦٨٣	٧	الامور	الالهة
٦٨٦	١٥	بمرأيه	بمرئي
٦٨٨	١٢	جاءكم	جاءهم
٦٨٩	١٩	مساكيهم	مساكينهم
٦٩٨	٤	من التاوش	من النوش
//	٨	التناول	التناوش
٧٠٠	١٠	ال	آل
٧٠١	٤	مابفتح	مايفتح
٧٠٢	٢٠	لفضلكم	بفضله عليكم
٧٠٥	١٤	وبطلبها	ويطلبها
٧٠٦	١١	بحاديث	بحديث اتيناكم
٧٠٨	١٢	بخمسة	بخمس
٧١١	٨	مطمع	مطعم
//	٢٣	والامم	والآم
٧١٤	٢٢	فجملة	فجملة

صفحه	سطر	خطا	صواب
٧١٦	١٧	لاانعكس	لانعكس
″	٢٣	لاعليهم الله	لاعلمهم بالله
٧١٧	١٢	لنوفيهم	ليوفيهم
٧١٨	١٣	ورثة	وراثة
٧٢١	٩	في التي ذكر	التي ذكر في
٧٢٢	٢٠	ولبارسهم	ولباسهم
٧٣٠	٧	معناء	معناه
٧٣٢	١٤	العشاء	العشا
″	١٦	عيمي	عمى
٧٣٣	٥	عمرو	عمر
٧٣٩	٥	المرسل	الرسل
″	٨	قال	وقال
″	″	انطاكية	[illegible]
٧٤٢	٣	محضرون	محضرون
٧٤٣	″	في هذا	على هذا
٧٤٧	″	اذا اجتمع	اذا اجتمعا
٧٥٢	٥	المستغل	المستقبل
٧٥٣	٢٢	الاونار	الاوتار
٧٦٠	″	تهوي	تهوى
٧٦٥	٩	وينفي	وينفى
٧٦٦	١	مماتحا	مماتحله
٧٦٧	٢٠	سورة والصافات	سورة الصافات

صفحه	سطر	خطا	صواب
٧٦٨	٢	النجار	النجّار
٧٧٠	١	والبناء	والشتاء
″	″	وفضل	وفصّل
″	٢	للمنسنة	السنة
″	٤	رخص لهما	وخص ماهنا
″	١٤	زبناها	زيناها
″	٢١	رقيلي	وقيل
٧٧١	″	ترسمي	ترضى
٧٧٥	٦	بنفجة	بنفحة
٧٧٦	٢	كنتم	وكنتم
٧٧٨	٢١	قولوا	تولوا
٧٧٩	٢٠	تواصلا	تواصلا
٧٨٠	١٣	غول	غول
٧٨٨	٢	بنه	به
″	٩	ذبرية	ذريته
٧٩٠	″	شائعه	شايعه
″	٤	والكثري	اوالكثري
٧٩٧	١	ترنبي	ترضي
٧٩٩	١٥	علي	علي
٨٠٢	١	هوصن	من
٨٠٣	١٢	الاشعريين	الاشعرين
٨٠٥	٣	قصة	قصته